العسجد المسبوك والزبرجد المحكوك

في

تاريخ دولة الإسلام وطبقات الملوك

[القسم الثاني
الباب الرابع في ذكر اليمن ومن ملك صنعاء وعدن
الباب الخامس في ذكر زبيد وأمرائها وملوكها ووزرائها]

ويذيله

مختصر الشهاب المحالبي المسمى
بـ (الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام)

تأليف
الإمام النسابة أبي الحسن موفق الدين
علي بن الحسن بن محمد الخزرجي النقاش الزبيدي
المتوفى سنة ٨١٢هـ

تحقيق
الدكتور مقبل التام عامر الأحمدي

المجلد الأول

الجيل الجديد ناشرون - صنعاء

شركة فؤاد البعينو للتجليد
فاكس ٤٥٥٩٩٩ ١ ٠٠٩٦١
بيروت

شركة فؤاد البعينو للتجليد ش.م.م.
فاكس ٠٠٩٦١ (١) ٤٥٥٩٩٩
بيروت - لبنان

العسجد المسبوك والزبرجد المحكوك

في

تاريخ دولة الإسلام وطبقات الملوك

١

بسم الله الرحمن الرحيم

الجيل الجديد ناشرون

اليمن - صنعاء

هاتف: ٢١٣١٦٤-٠١

فاكس: ٢١٣١٦٣-٠١

E-mail:

aag@aag.ye.com

Web site:

www.aag-ye.com

قسم التوزيع والجملة:

(٢٥٥٢٨٦-٠١) تحويله (١٠٤)

فرع الجامعة الجديدة :ت/ ٢٢٧٥٤٠-٠١

فرع الحي السياسي :ت/ ٤٧٣٩٤٠-٠١

فرع شارع تعز : ت/ ٦٠٨٤٦٩-٠١

فرع عدن :ت/ ٢٥٧٢٩٠-٠٢

فرع تعز :ت/ ٢٦٣٧٢٤-٠٤

فرع الحديدة :ت/ ٢١٨١٤٦-٠٣

فرع حضرموت :ت/ ٣٨٤٠٥٢-٠٥

فرع إب :ت/ ٤٠٦٨٤٢-٠٤

الطبعة الأولى

٢٠٢٠م

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء (١٧٧٤)

لعام ٢٠٢٠م

حقوق الطبع محفوظة

النَّاشِر

مَكتبَة الجيل الجديد

حقوق الطبع محفوظة (C)٢٠٢٠م لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يُمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

249590
124755
F-410

العسجد المسبوك والزبرجد المحكوك

في

تاريخ دولة الإسلام وطبقات الملوك

[القسم الثاني

الباب الرابع في ذكر اليمن ومن ملك صنعاء وعدن

الباب الخامس في ذكر زبيد وأمرائها وملوكها ووزرائها]

وبذيله

مختصر الشهاب المحالبي المسمى

بـ(الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام)

تأليف

الإمام النسابة أبي الحسن موفق الدين

علي بن الحسن بن محمد الخزرجي النقاش الزبيدي

المتوفى سنة ٨١٢هـ

تحقيق

الدكتور مقبل التام عامر الأحمدي

المجلد الأول

الجيل الجديد ناشرون - صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

لم يحظَ صُقْعٌ من أصقاع الوطن العربيّ ولا مِصْرٌ من أمصاره بما حظي به الصّقع اليماني، من تَسْطِير تاريخه وتَدْوين أخباره، وتَقْييد أشعار أَهْلِهِ وأنسابهم وأيّامهم، وتَخْليد مآثلهم ومآثرهم في الجاهليّة والإسلام؛ إذ بارَى أهلَهُ النّسيمَ في تَطْلاب ذلك وصَيْده فنهضَ بعِبْئِهِ وناءَ به جِلّةٌ من علمائهم وأرباب السِّيَر والأخبار والأنساب فيهم منذ القرن الأوّل الهجريّ.

وقد انتهى إلينا من طلائع التّأليف في ذلك القرن مُسْتَلّاتٌ من أخبار عُبَيد بن شَرِيَّة الجُرْهميّ (نحو ٦٩هـ) في (أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها)، وهي أخبارٌ عزيزةٌ كان يُسامر بها عُبَيدٌ معاويةَ بنَ أبي سفيان (٦٠هـ) حين استقدمه من صَنْعاءَ أقدم مدينةٍ مأهولةٍ عامرة إلى تِرْبها دمشقَ ليسمع منه أخبار الأوّلين من أَذْواء اليمن وأَقْيالهم وتَبابِعَتهم وملوكهم.

وفي القرن نفسه -أو بُعَيده- صنّف وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ الصَّنْعانيّ (١١٤هـ) بعد الجُرْهميّ كتابَهُ (التِّيجان في ملوك حِمْير)، وقد وصلت إلينا بُقْيا الكتابين محشورَةً في مجلّدةٍ واحدةٍ، ونُشِرت نشرةً غير محقّقة غلب عليها قلّة التّحرّي وعَجَّت بالتّصحيف والتّحريف ومارَتْ بهما، ولم تلقَ أدنى مِراسٍ لما اشتملت عليه من الوَضْع والاختلاق والأخبار المرسَلَة(١).

(١) الكتاب برواية ابن هشام (٢١٨هـ)، وقد طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر أباد الدّكن، سنة ١٣٤٧هـ، ثمّ أعيد تنضيد هذه الطّبعة بمركز الدّراسات والأبحاث اليمنيّة بصنعاء، سنة ١٩٧٩م، وقد أصاب التّنضيد ما أصابه!

أمّا باعث أمجاد اليمن ومحيي لسان ملوكها الأوائل فأبو محمّدٍ الحسنُ بنُ أحمد الهَمْدانيّ (نحو ٣٣٤هـ)، فعليه كان المعوَّل في بَعْث مُمْضَى أهل اليمن، وشَحْذ هِمَم بَنِيْهِ لنشْر مَطْوِيّ ما ترك أسلافهم من مفاخرَ ومناقب؛ وأَجَلُّ ما يُجَأَرُ بذلك من كُتُبِهِ الإكليلُ والدّامغة، على أنّ الهَمْدانيّ قد مَتَحَ أكثر ما أتى به في مصنّفاته من سِجلّاتٍ كانت متوارثةً من الجاهليّة[١].

وتلا الهَمْدانيَّ جمهرةٌ من علماء اليمن امتثلوا هَدْيَهُ في البَعْث والإحياء، وحاولوا في لُغُوبٍ اقتفاء أَثَرِهِ القُذَّةَ بالقُذّة وأنَّى لهم إدراك شَأْوِهِ! ومع ذلك فقد خلّفوا كُتُباً ظلّت معيناً عظيم الجَرَيان دائم الهَمَيان حتّى ارْتَشَف الخزرجيُّ (٨١٢هـ) منها رَحِيْقَها زمناً طويلاً، أعانه على ذلك تراخي المنيّة وغَفْلةُ الحُسّاد ومَنْجًى من غَوائل الدّهر؛ ومن أهمّ تلك الكُتُب:

(تاريخ صنعاء) لإسحاق بن يحيى بن جرير الطّبريّ الصّنعانيّ (٤٥٠هـ)، و(تاريخ صنعاء) لأحمد بن عبد الله الرّازيّ (٤٦٠هـ)، و(المفيد في أخبار زبيد) لجَيّاش بن نَجاح (٤٩٨هـ)، و(الأُتْرُجّة في تراجم علماء اليمن) لمُسَلَّم بن محمّد اللَّحْجيّ (٥٤٥هـ)، و(المفيد في أخبار صنعاء وزَبِيْد) لعُمارة بن أبي الحسن الحَكَميّ (٥٦٩هـ)، و(خلاصة السّيرة الجامعة) لنَشْوان بن سعيد الحِمْيَريّ (٥٧٣هـ)، و(طبقات فقهاء اليمن) لعُمَر بن عليّ بن سَمُرة الجَعْديّ (٥٨٦هـ)، و(الحدائق الورديّة في مناقب أئمّة الزّيديّة) لحُمَيد بن أحمد المَحلّي (٦٥٢هـ)، و(تاريخ المستبصر=صفة بلاد اليمن ومكّة وبعض الحجاز) ليوسف بن يعقوب المعروف بابن المجاور (٦٩٠هـ)، و(السّمط الغالي الثّمن في أخبار الملوك من الغُزّ باليمن) لمحمّد بن حاتم اليامي الهَمْدانيّ (بعد ٧٠٢هـ)، و(كنز الأخيار في

---

(١) انظر (السّجلّات والزُّبُر المتوارثة من الجاهليّة في اليمن)، وهو بحثٌ للدكتور مقبل التّام عامر الأحمديّ، منشور بمجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، سنة ٢٠٠٧م، العدد: ٢/٨٢، الصّفحات: ٣٠١-٣٢٦.

معرفة السِّيَر والأخبار) لإدريس بن عليّ الحمزيّ، و(السّلوك في طبقات العلماء والملوك) لمحمّد بن يوسف الجَنَديّ (نحو ٧٣٢هـ)، و(تاريخ اليمن) لعبد الباقي بن عبد المجيد اليمنيّ (٧٤٣هـ)، و(العطايا السَّنيّة والمواهب الهنيّة في المناقب اليمنيّة) للملك الأفضل العبّاس بن عليّ الغَسّانيّ (٧٧٨هـ).

وعَقَبَ الخَزْرجيَّ علماءُ غَيارَى كُثُر، ليسوا دون من تقدَّمه، فسَعَوا سَعْياً لم يضلَّ، وحاولوا الماضي بمثلِهِ سَحائب أُعْقِبت بسَحائب، فصنّفوا مصنّفاتٍ أفنوا فيها المُهَج؛ منها:

(تحفة الزّمن في تاريخ سادات اليمن) للحسين بن عبد الرّحمن بن محمّد الأَهْدل (٨٥٥هـ)، و(عيون الأخبار وفنون الآثار) لإدريس بن الحسن الأَنْف (٨٧١هـ) (طبقات الخواصّ أهل الصّدق والإخلاص) لأحمد بن أحمد بن عبد اللّطيف الشَّرْجيّ (٨٩٣هـ)، و(طبقات صلحاء اليمن) لعبد الوهّاب بن عبد الله البُريهيّ (٩٠٤هـ)، و(قرّة العيون في أخبار اليمن الميمون) و(بغية المستفيد في أخبار زبيد) و(الفضل المزيد على بغية المستفيد) وكلّها لعبد الرّحمن بن عليّ الدّيبع الشّيبانيّ (٩٤٤هـ) و(النِّسبة إلى المواضع والبلدان) و(تاريخ ثَغْر عدن) وكلاهما للطَّيِّب عبد الله بن عبد الله بن أحمد با مخرمة الحِمْيريّ (٩٤٧هـ)، و(مطلع البدور ومجمع البحور) لأحمد بن صالح بن أبي الرّجال (١٠٩٢هـ)، و(غاية الأماني في أخبار القطر اليماني) و(أنباء الزّمن في تاريخ اليمن) و(بهجة الزّمن في حوادث اليمن) وكلّها ليحيى بن الحسين (١٠٩٩هـ)، و(حسنة الزّمان في ذكر محاسن الأعيان) لحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ المُهَلّى (١١١١هـ)، و(بلوغ المرام ومسك الختام فيمن تولّى مُلْك اليمن من مَلِك وإمام) لحسين بن أحمد العَرَشيّ (١٣٢٩هـ)، و(نَشْر العَرْف لنبلاء اليمن بعد الألف) لمحمّد بن محمّد زَبارة (١٣٨١هـ).

على أنّ جُلَّ ما نُشِر من تلك المصادر قبل الخَزْرجيّ وبعده -ما عدا صنيعَ

المستشرقين- لم يُوفَ حقّه، ولم يَلْقَ نصيباً من التّحقيق الجادّ، بل غَلَبَ على ما أُخْرِجَ منه العَجْلةُ في النّشر؛ إذ كان النّاشر -ممّن هجموا على تلك الأصول- يُصَدِّر نشرته بقائمةٍ قصيرةٍ لما نَشَرَهُ وقائمةٍ طويلةٍ لحَجْز ما يَزْعُم أنّه تحت النّشر، وقائمةٍ أطولَ لما يُزْمِع نشره، مع أنّ دون ما أمّلوا خرطَ القَتاد باللّيل حتّى لو عُمِّر الزّاعم ذلك عُمْرَ الحِسْلِ أو عُمْرَ نُوحٍ زمنَ الفِطَحْلِ.

على أنّ الباعثَ لما تقدّم من فَرْط الادّعاء في النّشر هو الطَّمَع والرّغبة في الحيلولة بين تلك الأصول وبين أربابها من أساطين التّحقيق في الوطن العربيّ، يُضاف إلى ذلك سَبْق الأَشْباه الّذين يسلكون النَّهْج نفسه إلى النّشر، وصَرْفهم عنه؛ وقد امتلأت بذلك الغُثاءِ الّذي ليس فيه أدنى غناءٍ المكتباتُ، على أنّ تلك النّشراتِ لو مُحِّصَت تَمْحِيصاً لصَحَّ فيها القول[1]:

إنِّي لأَفْتَحُ عَيْني حِيْنَ أَفْتَحُها ... عَلَى كَثِيْرٍ، ولكنْ لا أَرَى أَحَدا

أمّا كتاب الخزرجيّ (**العَسْجَد المَسْبُوك والزَّبَرْجَد المَحْكوك**) تامًّا، فهو موسوعةٌ عظيمة القَدْر والخَطَر؛ وجِرْمُهُ - بحسب ما ذُكِر في صَدْر مخطوطة القسم الأوّل منه[2]- في عشرة أبواب قُسِمت قسمين، **كُسِر الأوّل منهما على خمسة أبواب**، سُبِقت بمقدّمة عن النّبيّ ﷺ في ثمانية عشر فصلاً صغيراً؛ وتلك الأبواب هي:

الباب الأوّل: في ذِكْر الخلفاء الرّاشدين من الصّحابة.

الباب الثّاني: في ذِكْر الخلفاء من بني أُميّة.

الباب الثّالث: في ذِكْر الخلفاء من بني العبّاس.

الباب الرّابع: في أئمّة الزّيديّة من أولاد الحَسَن.

---

(١) شعر دعبل بن عليّ الخزاعيّ: ١٢١.

(٢) ورد هذا التّقسيم للكتاب في صدر مخطوطة القسم الأوّل منه الورقة: ٣٩/أ.

الباب الخامس: في ذِكْر الإماميّة، ومعرفة الإثني عشريّة والإسماعيليّة من أولاد الحسين، وذِكْر الشّارع في صَيْرورة الخلافة إلى كلِّ فريقٍ منهم.

وكُسِر القسم الثّاني على خمسة أبواب أيضاً، هي:

الباب الأوّل: في ذِكْر ملوك مصر والشّام.

الباب الثّاني: في ذِكْر ملوك إفريقيا والقَيروان.

الباب الثّالث: في ذِكْر ملوك الأندلس والمغرب الأقصى.

الباب الرّابع: في ذِكْر ملوك صَنْعاء وعَدَن.

الباب الخامس: في ذِكْر زَبِيد وأُمَرائها وملوكها ووُزرائها.

وقبل البَدْء في الكلام على كتاب الخزرجيّ الّذي بين أيدينا والولوج فيه لا بدّ من التَّعْريج على كتابين لَصِيقَي الصّلة به مضموناً ودراسةً، وهما: القطعة المسمّاة بـ(العسجد المسبوك)، وثانيهما (أبو الحسن الخزرجيّ وآثاره التّاريخيّة).

فأمّا الكتاب الأوّل فحقّقه الأستاذ شاكر محمود عبد المنعم ببغداد سنة ١٩٧٥م، وفي تحقيقه لتلك القطعة أمران، أوّلهما: أنّ العنوان يَشي بأنّ الكتاب تامٌّ؛ وليس الأمر كما تُوْهِم هذه الوِشاية لأنّ القطعة تلك إنّما تضمّنت الخمسة الفصول الأخيرة من الباب الثّالث الذي اشتمل على أربعين فصلاً؛ أي قَدْر ثمنه لَيْس غَيْر. وقد غطّى ما اشتملت عليه ستّاً وسبعين سنةً من تاريخ العراق وبغداد منه خاصّة (٥٧٥ - ٦٥٦هـ).

وأمّا الأمر الثّاني فمتعلّقٌ بنسبة الكتاب؛ إذ نسبه محقّقه إلى الأشرف الرَّسوليّ وهذا ما نطقت به المخطوطة الّتي اعتمد عليها في التّحقيق، لكنّ نُسَخاً كثيرةً أُخَرَ تصرخُ علانيةً بنسبة الكتاب إلى الخَزْرجيّ فضلاً عمّا جاء في تضاعيفها من أدلّةٍ تقطع بتلك النّسبة؛ وهذا ما انتهى إليه صاحب الكتاب الثّاني بعد جهدٍ شاقٍّ وبحثٍ جادٍّ، ومناقشاتٍ مستفيضة، واستشهاداتٍ مستلّة عن أصولٍ مخطوطة لمؤلّفات الخزرجيّ.

وعنوان الكتاب الثّاني المُشار إليه، هو (أبو الحسن الخزرجيّ وآثاره التّاريخيّة) للباحث الدّكتور محمّد بن عليّ العسيريّ؛ وقد بَناهُ صاحبُهُ على خمسة فصول، هي: عصر المؤلِّف وترجمته، ومؤلّفاته التّاريخيّة، ومصادر مؤلّفاته التّاريخيّة، ومنهجه في البحث التّاريخيّ، والخزرجي المؤرّخ وآثاره التّاريخيّة في الميزان. وهو كتاب مهمٌّ إذ خَدَمَ به صاحبُهُ الخزرجيَّ وإرثَهُ التّاريخيّ خدماتٍ جليلةً رَأَبَ بها ثُلْمَةً في المكتبة التّاريخيّة العربيّة، وقدّم مادّةً عن الخزرجيّ ومؤلّفاته تُغني مَن جاء بعده عن تَكْرار التّرجمة، وتَعداد المؤلَّفات والتّحقّق من صحّة نسبتها وقَطْع التّنازع فيها؛ والتّنازع في كتب الخزرجيّ خاصّة من أعظم الآفات التي ابْتُلي بها تراثُهُ النّفيس.

وقد اطّرحتُ ترجمةَ الخزرجيّ ترجمةً وافيةً من هذه المقدّمة اتّكالاً على ما بُسِط في مقدّمات كتبه المطبوعة كـ(العقود اللّؤلؤيّة)، و(العِقْد الفاخر الحَسَن)، وما كتبه العسيريّ خاصّة؛ إذ إنّ المرء لو شاء الاتّساع في التّرجمة لوجد نفسه مغلوباً بما ساقه الرّجل في كتابه، ولاستكثر النُّقولات عنه؛ ومن البِرِّ القولُ إنّه لو رُزِق علماء اليمن كأبي محمّدٍ الحَسَن بن أحمد الهَمْدانيّ وأبي محمّد نَشْوان بن سعيدٍ الحميريّ وغيرهما ما رُزِقَهُ الخزرجيّ ترجمةً ودراسةَ آثار لانتفع النّاس بما تركوا أيّما انتفاع.

ومع ذلك لا بُدّ مِن سَوْق ما لا يَحْسُنُ بالمرء أن يتركَهُ من ترجمة الرّجل في تصدير كتابٍ له، وكذا ما يتعلّق بذِكْر كتبه المفقودة منها والموقوف عليها؛ **فأمّا الخزرجيّ فهو أبو الحسن، موفَّق الدّين عليّ بن الحسن بن أبي بكر الحسن بن عليّ بن وَهّاس الخزرجيّ الزَّبيديّ، اشتُهِر بـ(ابن وَهّاس) و(ابن النّقّاش)؛ وُلِد سنة (٧٣٢هـ) وعُمِّر حتّى أَسَنّ؛ إذ توفّي سنة (٨١٢هـ) عن نحو ثمانين سنةً**[1].

---

(١) أبو الحسن الخزرجيّ وآثاره التّاريخيّة: ٩٥، والعقد الفاخر الحسن: ١/ ٢٥، ٨١، ٨٧.

وأمّا مؤلّفاته فالمفقود منها حتّى الآوان: (المحصول في انتساب بني الرّسول)، و(مرآة الزّمن في تاريخ زَبيد وعَدَن)، يُضاف إلى ذلك ديوان شعره الّذي منه قصيدةٌ دامغة تُعرف بـ(الدَّوحة اليَعْربيّة والنَّفحة الخَزْرجيّة)[(١)]. وأمّا المطبوع منها فـ(العقود اللّؤلؤيّة في أخبار الدّولة الرّسوليّة)، و(طراز أعلام الزّمن في طبقات أعيان اليمن=العِقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن)، وكذا طُبعت قطعةٌ من (العسجد المسبوك) اشتملت على ستٍّ وسبعين سنة من تاريخ العراق وبغداد منه خاصّة (٥٧٥-٦٥٦هـ).

على أنّ ثمّة أمراً لافتاً في مصنَّفات الخزرجيّ يكمن في إغفاله فيها ذِكْر بقيّة كُتُبه أو الإحالة عليها ما عدا كتاباً واحداً -ما يزال مفقوداً- هو (المحصول في انتساب بني الرّسول)؛ فقد ذَكَرَهُ في مقدّمة كتابه العقود اللّؤلؤيّة فقال وهو يذكر قصيدة الملك الحارث الرّائش: «قال عليّ بن الحسن الخزرجيّ، تجاوز الله عنه: وقد كنتُ شرحتُ هذه القصيدة الّتي قالها الحارث الرّائش في جزءٍ لطيفٍ، وسمّيته **(المحصول في انتساب بني الرّسول)**؛ وذلك لما شهدتُ به من صحّة انتسابهم، وقلَّ أن يوجد دليلٌ على صحّة نَسَبِ أحدٍ من النّاس كصحّة هذا النَّسَب»[(٢)].

وثمّة أمرٌ لافتٌ آخر يتعلّق بـ(الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام) أو (العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك)؛ وهو كتابٌ مُشْكِل في اسمه ونسبته، على أنّ مضمونه هو مضمون كتابنا هذا، ببابَيه الرّابع والخامس، عينه؛ وقد اشتمل الباب الرّابع المعنون بـ(ذِكْر اليمن ومن مَلَكَ صَنْعاء وعَدَن وما يتعلّق بذلك) وفيه عشرة فصول، على: ذِكْر فَضْل اليمن، وذكر إسلام أهل اليمن وذِكْر عمّال رسول الله فيه، وذكر عُمّال اليمن بعد وفاة الرّسول، وعُمّال بني أُميّة، وعُمّال الدّولة العبّاسيّة، وذِكْر القَرامطة

(١) العقد الفاخر الحسن: ٨١/١، ٨٧. ومن أوهام ذلك التّحقيق الظّنّ أنّ متن الخزرجية التي نشرها Rene Basset بالجزائر سنة ١٩٠٢م، هي للخزرجي صاحب العسجد، وإنّما هي في العَروض وصاحبها خزرجيّ آخر.

(٢) ٣٠٣/٢.

باليمن، والأُمَراء المتَغلِّبين على صَنْعاء، والدّولة الصّليحيّة، وملوك صَنْعاء بعد الصُّليحيّين، والدّولة الزُّريعيّة.

واشتمل الباب الخامس المعنون بـ(ذِكْر زَبِيْد وأُمَرائها وملوكها ووُزرائها) وهو خاتمة الأبواب، وبتمامه يتمُّ الكتاب، وفيه اثنا عشر فصلاً، على: ذِكْر اخْتِطاط زَبِيْد وتَمَلُّك بني زياد، وذِكْر ملوك الحَبَشة باليمن من آل نَجاح، وذِكْر وزراء آل نَجاح، وذِكْر قيام السَّيِّد عليّ بن مهديّ وزَوال مُلْك الحَبَشة وانْقِضاء دولتهم، وذِكْر دولة بني أيّوب وأوّل دُخُولهم اليمن، وذِكْر الدّولة الرّسوليّة وذِكْر قيام السّلطان نور الدّين أبي الفتح عُمَر بن عليّ بن رسول الغَسّانيّ، وذِكْر التُّبَّع الأكبر السّلطان الملك المُظَفَّر شمس الدّين يوسف بن عُمَر بن عليّ بن رسول، وذِكْر دولة السّلطان الملك الأشرف مُمَهِّد الدّين عُمَر بن يوسف بن عُمَر بن عليّ بن رسول، وذِكْر دولة الملك المؤيّد هِزَبْر الدّين داود بن يوسف بن عُمَر بن عليّ بن رسول، وذِكْر دولة السّلطان الملك المجاهد سيف الإسلام أبي الحسن عليّ بن داود بن يوسف بن عُمَر بن عليّ بن رسول، وذِكْر قيام الدّولة الأفضليّة وما جرى فيها، وذِكْر الدّولة الأَشْرفيّة الكُبْرى.

وذُيِّل الكتاب بعد الّذي سلف بتتمّة منسوبةٍ إلى الشّهاب المحالبيّ[1]، وهي قَدْر أربع ورقات صُدِّرت بما يأتي: «تمام هذا الجزء من مختصر الشّهاب المحالبيّ المسمّى بـ(الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام)».

وقد خَلَتْ هذه التّتمّة من العبارات التي تتكرّر في كتاب العسجد نحو قوله: «قال عليّ بن الحسن الخَزْرجيّ تولّاه الله بحسن ولايته ... وفّقه الله ... قابله الله بالقبول ... عامله الله بحوله وكرمه... إلخ»، وإنّما بدئت بقوله: «قال رحمه الله تعالى: وفي ليلة الأحد

(١) ورد له بإحدى حواشي (العقد الفاخر الحسن: ١/٨٦) ترجمةٌ مقتضبةٌ - مأخوذةٌ عن السّخاويّ والأكوع وتاريخ الدّولة الرّسوليّة لمجهول - وفيها: «هو أحمد بن إبراهيم المحالبيّ، ولي للسّلطان الملك الظّافر يحيى بعض قرى وادي زبيد، سنة ٨٣٢هـ، ثمّ ولّاه الوزارة سنة ٨٣٤، وله مدرسة بزَبيد تعرف بالمدرسة المحالبيّة».

التّاسع من الشّهر المذكور ...»؛ يعني بذلك شهر جمادى الأخرى السّالف الذّكر قبل إقحام تلك التّتمّة، وفيه: «وفي ليلة الإثنين الثّالث من جُمادَى الآخرة: كان عرس الأمير بدر الدّين محمّد بن زياد الكامليّ على ابنة الأمير علم الدّين سُنْجُر صاحب القَحْمَة ...».

على أنّ الخبر -المجزَّأ بين الخزرجيّ والمحالبيّ هٰهنا- بيومَيه الأحد والإثنين ورد متّصلاً من دون انقطاع في كتاب آخر للخزرجيّ هو العقود اللّؤلؤيّة[1]، وفيه: «**وفي ليلة الإثنين الثّالث من جمادى الآخرة** كان عرس الأمير بدر الدّين محمّد بن زياد الكامليّ على ابنة الأمير سيف الدّين سُنْجُر صاحب القَحْمة ...، **وفي يوم الأحد التّاسع من الشّهر المذكور** تقدّم السّلطان إلى الجهات الحَيْسيّة ...».

وفيما سلف آيةٌ على وَهْم نسبة التّتمة إلى الشّهاب المحالبي، وأنّ عبارة النّسبة إليه مُقْحَمةٌ لتَسْويغ نسبة الكتاب إلى الأَشْرف الّذي توفّي سنة (٨٠٣هـ)، وكان لزاماً قطع جَرَيان الكلام على لسانه -في النّسخ الّتي نسبت الكتاب إليه وليس منها السّتّ المعتمدة في التّحقيق هٰهنا- وإتمامه على لسان آخر، وهو هٰهنا الشّهاب المحالبيّ.

على أنّه لم يَخْلُ ما نُسب إلى المحالبيّ من النّقل عن الخزرجيّ الّذي تَرْجَمَ الملكَ الأشرف وعاصر النّاصرَ مدّةً؛ من ذلك قوله في أثناء أحداث (٨٠٣هـ) يذكر وفاة الأشرف: «قال عليّ بن الحسن الخزرجيّ أخبرني القاضي موفّق الدّين عليّ بن أبي بكر النّاشريّ قال تولّيت غسلَهُ بوصيةٍ منه، وأعانني على ذلك الفقيه جمال الدّين محمّد بن صالح الدَّمْتي وبعده الفقيه موفّق الدّين عليّ ابن محمّد فخر»[2].

وفي موضعٍ آخر: «وروى الخَزْرَجيّ عنِ الأمير نجم الدّين محمّد بن إبراهيم الشّرف المتولّي في زَبِيْد يومئذٍ، قال: أخبرني الفقيه تقيّ الدّين عمر بن أحمد بن عبد الواحد، وكان يومئذٍ نائباً للمشدّ على الأملاك سَرْياقَوْس قال: أخبرني بعض الرّعيّة الثّقات من أهل

(١) ٢/٣٠٣.

(٢) العقود اللّؤلؤيّة: ٢/٣١٦، وانظر العسجد: ٨٠٧.

وادي زَبِيْد أنّه رأى حَنَشاً كبيراً خرج من جُحْرِهِ فأكل منَ الجَراد شيئاً كثيراً حتّى عجز عنِ المسير إلى جُحْرِهِ، فوقف موضعه ذلك فوقع عليه الجَراد حتّى غشية من كلّ ناحية، ثمّ أكلوه ولم يتركوا منه شيئاً»(١).

والسّؤال الّذي ليس من الإجابة عنه مَحِيصٌ ولا مَصْرِف هٰهنا، هو: هلِ البابانِ الرّابعُ والخامس اللّذان اشتمل عليهما هذا الكتاب صُنِّفا مستقلَّين بأنفسهما على احتفاظهما بترتيبهما العامّ في القسم الثّاني من الكتاب كلِّه، أو هما مستلّان منه ليس غير من دون زيادةٍ أو نقصان؟

وللإجابة عن هذا السّؤال لا بدّ من استعراض بعض إحالات الخزرجيّ، الّتي وردت في تضاعيف ذينِ البابين، على ما سبق من كتابه قبلهما بقسمَيْهِ الأوّل والثّاني؛ نحو قوله:

١ - «وقد تقدَّم في **صدر كتابِنا** هذا، أنّ رسول الله بعث رُسُلَهُ إلى النّواحي في سنة سبعٍ منَ الهجرة»(٢).

٢ - «ولما توفّي معاوية ...، وكانت وفاتُهُ في رجب من سنة ستّين للهجرة، وقد تقدّم ذِكْر ذلك **في صدر الكتاب**»(٣).

٣ - «... فتبعَهُ رجلان من أهل حضرموت، كان قَتَلَ أباهما، فلم يزالا يَرْصُدانِهِ حتّى قَتلاهُ غِيْلَةً في سِجِسْتان واخْتَفَيا في المدينة أيّاماً بعد قَتْله حتّى سكن الأمر، ثم رَجَعا إلى حضرموت، وقد تقدَّم تاريخ وفاتِهِ **في صدر الكتاب**»(٤)؛ يعني مَعْنَ بنَ زائدة.

---

(١) العقود اللّؤلؤيّة: ٢/٣١٤-٣١٥، والعسجد المسبوك: ٨٠٥.

(٢) العسجد المسبوك: ١٩.

(٣) العسجد المسبوك: ٤٩.

(٤) العسجد المسبوك: ٦١.

٤ - «وكان ميمونٌ القَدّاح يخدم الضَّريح هو وولدُهُ عُبَيدُ الله، ولا يكاد يفارقُهُ ليلاً ولا نهاراً؛ وولده عُبَيد الله هو جدُّ العُبَيديِّين الّذين ملكوا مصر، وتقدَّم ذكرُهُم **في القسم الأوّل منَ الكتاب في الباب الخامس منه**»[١].

٥ - «... وقد تقدَّم في **صدر هذا الكتاب** ذكرُهُ مستوفًى، واختلاف أقوال القائلين فيه، والله أعلم»[٢]؛ يعني ميموناً وابنه أيضاً.

٦ - «كان الأمين قد قُتِل في سنة ثمانٍ وتسعين ومئة، وقد تقدَّم ذِكْر ذلك **في موضعه منَ الكتاب**»[٣].

٧- «وكان بنو أيّوب جميعاً ...، وتقدَّم ذكر ذلك **في موضعه من كتابنا هذا**»[٤].

على أنّه في موضعٍ آخر يُحيل على الباب الخامس هٰهنا منبِّهاً على كونه الباب الثّاني عادًّا الباب الرّابع هو الأوّل، وهذا يدلّ على انفرادهما كتاباً واحداً مستقلّا بنفسه عن بقيّة الكتاب؛ وقد ساق ذلك في قوله وهو يذكر تُوران شاه بن أيّوب والسّلطان عليّ بن حاتم: «وسأذكر ما كان منه ومن السّلطان عليّ بن حاتم **في الباب الثّاني بعد هذا، وهو الباب الخامس**، إن شاء الله تعالى وبالله التّوفيق»[٥].

واتّكاءً على ما تقدّم من النُّقُولات فإنّ البابينِ منتزعانِ من الكتاب الكبير على بقائهما محتفظَين بترتيبهما فيه حسب ورودهما، غير أنّ الخزرجيّ فصلهما عنه وأخرجهما مستقلَّين، وربّما زاد عليهما أشياء تخصّ دُويلاتِ اليمن، ولاسيّما كونهما متعلِّقَين بتاريخ اليمن وحدَه؛ وهذا ما حمل غير واحدٍ على إطلاق تسميةٍ خاصّة عليهما، هي: (الكفاية والإعلام فيمن

---

(١) العسجد المسبوك: ٨١.

(٢) العسجد المسبوك: ٨٢.

(٣) العسجد المسبوك: ١٩١.

(٤) العسجد المسبوك: ٢٧٥.

(٥) الورقة (٣٩) من القسم الأوّل من مخطوط العسجد المسبوك.

ولي اليمن في الإسلام) أو (العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك)؛ وهي تسميةٌ منصفةٌ وموفَّقةٌ وموافقةٌ ما اشتملا عليه، غير أنّ مثل هذا يصحّ على أي بابٍ أُفْرد موضوعُهُ وحدَهُ.

وقد حُقّق البابانِ الرّابعُ والخامس من القسم الثّاني، وهما اللّذان بين أيدينا هٰهنا، على مخطوطاتٍ ستّ محفوظة أصولها بدار المخطوطات بصنعاء، وقد جُعِلت أعلى تلك المخطوطات أُمًّا (الأمّ) وما دونها بُنيّات لها (أ، ب، ج، د، هـ)، على أنّ النّسخة الأمّ قد قُوبلت على أُمٍّ لها بتاريخ الرّابع والعشرين من شهر شوّال سنة (٩٧١هـ). ويحسن هٰهنا التّنبيه على أنّه اعتُمد في ضبط المواضع غير المضبوطة في هذا الكتاب على أصولٍ عدّة، أهمّها: (صفة جزيرة العرب) للهَمْدانيّ (٣٣٤هـ) تحقيق العلّامة مولّير دون سواهُ، و(معجم ما استعجم) للبكريّ (٤٨٧هـ)، و(معجم البلدان) لياقوتٍ الحَمَويّ (٦٢٦هـ)، و(تاريخ المستبصر) لابن المجاور (٦٩٠هـ)، و(تاج العروس) للزّبيديّ (١٢٠٥هـ) يُضاف إلى ذلك ما ضُبِط ضبطَ عبارة في الكتب الّتي لم تلقَ تحقيقاً لبيقاً بها كـ(السّلوك في طبقات العلماء والملوك) للجَنَديّ (نحو ٧٣٢هـ).

ويحتلّ ذانِ البابانِ من كتاب الخزرجيّ الخاصّ باليمن ومَن ملكه في نحو ثمانية قرون، مكانةً سامقةً بين كتب تاريخ هذا الصُّقْع يستوي في ذلك ما سَبَقَه منها وما تلاهُ بأشياءَ، منها:

أ- اعتمادُ مصنِّفِهِ، في رَصْدِ كثيرٍ من أحداث عصره، على المشاهدة والسّماع والإخبار، وثمّة إشاراتٌ دالّة على ذلك غصّ بها كتابُهُ منها قولُهُ:

١ - «وكنتُ أُشاهد مدّةَ سنين»(١).

٢ - «وكنتُ يومئذٍ أشتغل في الدّار المذكور من جملة المُزَخْرِفين»(٢).

---

(١) العسجد المسبوك: ٢٣٨.

(٢) العسجد المسبوك: ٢٠١.

٣- «وشاهدتُهم ... بزَبِيْد يبنون في أسواسِهِ بالآجُرّ والطِّين»(١).

٤- «وكان للسّلطان الملك المُظَفَّر منَ المآثر الحسنة ما هو مشاهَدٌ إلى الآن»(٢).

٥- «وأدركت عدّةً من أهل زَبِيْد يذكرون أنّ هذا المَرَض حدث في سنة ثلاثٍ وسبع مئة»(٣).

٦- و«أخبرني بذلك الفقيه أبو بكر بن سليمان الأُصابي عن مشاهدةٍ لا عن رواية»(٤).

٧- «وأخبرني والدي»(٥).

٨- و«حدّثني الفقيه عليّ بن محمّدٍ النّاشريّ»(٦).

٩- «وأخبرني الشّيخ الصّالح شهاب الدّين أحمد بن أبي بكر الرَّدّاد قال: سمعت أبي يقول»(٧).

١٠-«ومن ذلك ما أخبرني به الفقيه جمال الدّين محمّد بن عبد الله الرَّيْميّ قاضي قضاة اليمن»(٨).

١١-«وممّا أخبرني به الفقيه جمال الدّين أيضاً ...»(٩).

١٢-«وسمعتُ غيرَ واحد منَ النّاس يحكي»(١٠).

---

(١) العسجد المسبوك: ٢٥٤.

(٢) العسجد المسبوك: ٤٥٧.

(٣) العسجد المسبوك: ٦٠٠.

(٤) العسجد المسبوك: ٧٧٠.

(٥) العسجد المسبوك: ٢٥٤.

(٦) العسجد المسبوك: ٧٤١.

(٧) العسجد المسبوك: ٢٢٥.

(٨) العسجد المسبوك: ٥٥٢.

(٩) العسجد المسبوك: ٥٥٢.

(١٠) العسجد المسبوك: ٢٢٥.

على أنّ الخزرجيَّ لم يتلقَّ ما كان يُقْذف إليه بقلبٍ مُطْمئنّ من دون تَمْحيصٍ أو تَنْقير، وإنّما حَرَص الحِرْص كلَّه على تَحَرِّي الأخبار وتوثيق أصحابها وتَوخّي الحَذَر والتزامَهُ بصرامة، فظهر نصُّهُ على توثيق مَن يأخذ عنهم توثيقاً في غير ما موضعٍ من كتابه؛ نحو قولِهِ:

١ - «وأخبرني مَن **أَثِق** به»(١).

٢ - «فأخبرني رجلٌ من أهل سَهام لا **أَتَّهِمُهُ**»(٢).

٣- و«أخبرني الفقيه كمال الدّين حسين بن عبد الله بن منصور، وكان **ثقةً**»(٣).

٤ - و«حدّثني من لا **أَتَّهِم**»(٤).

٥ - «وحدّثني مَن **أَثِقُ** به من حُفّاظ الأخبار»(٥).

ب- سَعَة مادّته وغَزارة أخباره وكَثْرة عِراضِهِ، وتَنَوُّع مصادره؛ إذ أَوْعَب صاحبُهُ فيه أُصُولاً جمّةً -على تفاوتٍ فيما نقل عنها- كالإكليل للهَمْدانيّ، وأخبار مكّة للأَزْرقي، والعقد الثَّمين للحاتميّ، والمستبصر لابن المُجاور، والمُفِيد الكبير لجَيّاش، والمُفِيد لعُمارة الحَكَميّ، وبهجة الزّمن لابن عبد المجيد، وتاريخ الجَنَديّ، وكنز الأخيار للشّريف إدريس، وغيرها من الكتب الّتي اشتمل عليها فهرس الكُتُب(٦).

ج- وَفْرة الأشعار والأراجيز الواردة فيه، وتَفرُّدِهِ بسَوْق أشياءَ عزيزةٍ نفسية؛ إذ بلغتِ الأشعارُ الواردة فيه ثمانيةَ عشرَ ومئَتي بيتٍ وألفَ بيتٍ (١٢١٨)، وبلغتِ الأراجيزُ ثلاثةَ

---

(١) العسجد المسبوك: ٦٠١.

(٢) العسجد المسبوك: ٦٨٧.

(٣) العسجد المسبوك: ٥٦٩.

(٤) العسجد المسبوك: ٥٧٩.

(٥) العسجد المسبوك: ٤٦٧.

(٦) العسجد المسبوك: ١٠٥١.

وأربعين ومئتي مشطورٍ (٢٤٣)، وبلغت أنصاف الأبيات فيه ستّة أشطرٍ؛ وكان فيما تقدّم مطوّلاتٌ عالية وأُرجوزاتٌ نادرة، كأُرجوزة عبد النبيّ بن عليّ الزُّعَيْنيّ الحِمْيريّ (٥٧١هـ) المعروفة بالمُسَمَّطة، التي بلغت ثمانيةً وثمانين ومئتي بيتٍ، ، فضلاً عن أشعارٍ كثيرةٍ ساقها الخزرجيّ لنفسه تُثير في النّفس الرّغبة في اقتفاء آثاره وتعقّب أشعاره في مصنّفاته كلّها وإخراجها ديواناً قائماً بذاته، يكون بين يديِ الباحثين سَهْل المأْتى قريب المَبْغَى للدّراسة وإنعام النَّظر.

ولمعرفة أشياءَ أخرى كثيرةٍ امتاز بها هذا السِّفْرُ من غيره، وصعب حشرها مجتزأةً في هذه المقدَّمة، فقد ذُيِّل بفهارسَ كاشفةٍ تُرْبي على عشرين فهرساً، كشفت خَبيئَهُ ونشرت مطويَّهُ وأظهرت ما تَبَطَّنَهُ ونَمَّت عليه، فصارت عَقائلُهُ غيرَ خَفِراتٍ ولا مُخَدَّرات؛ من أهمّها:

- فهرس الكُتُب.
- فهرس الأيّام والوقائع.
- فهرس أسماء الخيل والإبل والسُّيُوف.
- فهرس الأَطْعِمة والأَشْرِبة والحلويات.
- فهرس الفوائد في اللُّغة والأعلام والأنساب.
- فهرس الحصون والقِلاع والقصور والقِباب والبُيوت والدُّور.
- فهرس الحوادث الغَرِيبة والمجاعات والزَّلازل والأحداث الكونيّة.
- فهرس المساجد والجوامع، والمدارس والأَرْبِطة العلميّة، والأَسْبِلة.

وفيما يأتي وصفٌ للنُّسَخ المعتمدة في التّحقيق وهي ستّ مخطوطاتٍ جُعَلت أعلاها أُمًّا وما دونها بُنيّات لها كما سلف ذِكْرُهُ، وقد اشتملتِ المخطوطاتُ جمعاء على بابين اثنين، هما:

الباب الرّابع، وفيه عشرة فصول، هي:

الفصل الأوّل: في فَضْل اليمن.

الفصل الثاني: في ذِكْر إسلام أهل اليمن وذِكْر عمّال رسول الله.

الفصل الثّالث: في ذِكْر عُمّال اليمن بعد وفاة الرّسول في اليمن.

الفصل الرّابع: في ذِكْر عُمّال بني أُميّة.

الفصل الخامس: في ذِكْر عُمّال الدّولة العبّاسيّة.

الفصل السّادس: في ذِكْر القَرامطة باليمن.

الفصل السّابع: في ذِكْر الأُمَراء المُتَغَلِّبين على صَنْعاء.

الفصل الثّامن: في ذِكْر الدّولة الصّليحيّة.

الفصل التّاسع: في ذِكْر ملوك صَنْعاء بعد الصُّليحيّين.

الفصل العاشر: في أخبار الدّولة الزُّريعيّة.

والباب الخامس: **في ذِكْر زبيد وأُمَرائها وملوكها ووُزرائها**، وفيه اثنا عشر فصلاً، هي:

الفصل الأوّل: في ذِكْر اخْتِطاط زَبِيْد وتَمَلُّك بني زياد.

الفصل الثّاني: في ذِكْر ملوك الحَبَشة باليمن من آل نَجاح.

الفصل الثّالث: في ذِكْر وزراء آل نَجاح.

الفصل الرّابع: في ذِكْر قيام السَّيِّد عليّ بن مهديّ وزَوال مُلْك الحَبَشة وانْقِضاء دولتهم.

الفصل الخامس: في ذِكْر دولة بني أيّوب وأوّل دُخُولهم اليمن.

الفصل السّادس: في ذِكْر الدّولة الرّسوليّة وذِكْر قيام السّلطان عمر بن عليّ بن رسول.

الفصل السّابع: في ذكر التُّبَّع الأكبر الملك المُظَفَّر شمس الدين يوسف.

الفصل الثّامن: في ذِكْر دولة الأشرف مُمَهِّد الدّين عُمَر بن يوسف بن عُمَر.

الفصل التّاسع: في ذِكْر دولة الملك المؤيّد هِزَبْر الدّين داود بن يوسف بن عُمَر.

الفصل العاشر: في ذِكْر دولة الملك المجاهد عليّ بن داود بن يوسف بن عُمَر.

الفصل الحادي عشر: في ذِكْر قيام الدّولة الأفضليّة وما جرى فيها.

الفصل الثّاني عشر: في ذِكْر الدّولة الأشرفيّة الكبرى.

يُضاف إلى ما تقدّم التّتمّة المسمّاة بـ(الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام) المنسوبة إلى الشّهاب المحالبيّ، وهي قدر أربع ورقات.

وفيما يأتي وصفٌ لكلّ نسخةٍ على حِدَة، مبيِّنٌ في هذا الوصف رقم المخطوطة وعنوانها وعدد أوراقها ومقاسها ومسطرتها وأشياء أخرى تتعلّق بالنّساخة وغيرها؛ على أنّ النّسخ جمعاء بدأت -بعد البسملة والاستعانة- بعبارة: «الباب الرّابع في ذِكْر اليمن ومَنْ مَلَك صَنْعاء وعَدَن ...»، وانتهت بالبيت الخامس والثّلاثين من قصيدة شرف الدّين إسماعيل بن أبي بكر المُقْري، وهو قوله:

«سَقَى قَبْرَهُ الفَيّاضَ بِالجُودِ والنَّدَى   سَحابٌ مُلِثٌّ لَيْسَ يُقْلِعُ راتِبُهْ»

يعقب البيت ذِكْر التّكملة والحَمْدَلة والحَوْقَلة ونظائرها؛ ما عدا النّسخة (أ) سقطت منها الورقة الأخيرة الّتي فيها قصيدة المقري[1]، وفيها بعد السَّقْط: «من شهور سنة ثمانٍ وعشرين بعد الألف منَ الهجرة النّبويّة على صاحبها أفضل الصّلاة والتّسليم».

وقد اشتملت النُّسَخ جمعاء على عباراتٍ نامَّةٍ على الخزرجيّ مُصنِّف الكتاب، تصدَّرت الأخبار إلّا قليلاً، نحو قولِهِ:

١ - «قال عليّ بن الحسن الخزرجيّ، وفّقه الله».

٢ - « قال عليّ بن الحسن الخزرجيّ، قابله الله بالقَبول».

٣ - «قال عليّ بن الحسن الخزرجيّ، تولّاه الله بحسن ولايته».

٤ - «قال عليّ بن الحسن الخزرجيّ، عامله الله بحوله وكرمه».

---

(١) انظر العسجد المسبوك: ٨١١.

النّسخة (الأمّ) ذات الرّقم (٢٥٨٥).

عنوانها: الجزء السّابع[1] من كتاب العسجد المسبوك والزّبرجد المحكوك في تاريخ دولة الإسلام وطبقات الملوك، تأليف الإمام النّسّابة أبي الحسن موفّق الدّين عليّ بن حسن بن محمّد الخزرجيّ النّقّاش الزّبيديّ.

تقع هذه النّسخة في (٢١٦) ورقةً ذات لوحين، مقاسها (٢٩×٢٠)، ومسطرتها (٢٧) سطراً، وغلافها كرتونيٌّ مغطًّى بالجلد المزَخْرف، وأطرافُهُ من الجلد البُنّي والورق المقوَّى.

ورد في الورقة (٢١٤/ب) منها عبارة نصّها: «هذا آخر ما وُجِد من تاريخ العسجد للفقيه الصّالح الفاضل شمس الدّين عليّ بن حسن الخزرجيّ الأنصاريّ، رضي الله عنه ورحمه رحمة الأبرار، آمين».

وورد عقبه حاشيةٌ بخطٍّ مغاير فيها: «إلى هنا انتهى ما وجد من تاريخ العسجد المسبوك والزّبرجد المحكوك في تاريخ دولة الإسلام وطبقات الملوك للمؤرّخ الخزرجي الزَّبيديّ الشّافعيّ الأشعريّ عفا الله عنه وإيّاي، وتمامه من مختصر الشّهاب المحالبي الموسوم بالكفاءة والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام، فليعلم ○ كاتبه إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن المنصور بالله أمير المؤمنين القاسم بن محمّد بن عليّ قدس الله سرّه .. ○ ».

وورد بعد التّحشية عنوانٌ بخطٍّ أحمرَ فيه: «تمام هذا الجزء من مختصر الشّهاب المحالبيّ المسمّى بالكفاءة والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام؛ قال رحمه الله تعالى:

---

(١) قوله: «السّابع» كذا؟ على أنّ الكتاب -وَفْقاً لما ذكر المؤلّف نفسه في تصدير كتابه - قُسِم قسمين، كُسِر كلّ قسم على خمسة أبواب؛ يُعدّ الباب الرّابع الذي يبدأ به كتابُنا هذا الباب التّاسع في سياق التّرتيب الكتاب كلّه، ولم أستطع توجيه هذه التّسمية توجيهاً مقبولاً على البابين الرّابع والخامس.

«وفي ليلة الأحد التّاسع من الشّهر المذكور: تقدّم»[٢١٤/ب].

وورد في الورقة (٢١٨/ب) عبارة تدلّ على تمام ما نُقل عن مختصر المحالبيّ، وفيها: «نجز تكميله والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم».

وبعد الذي تقدّم كلامٌ عن ابن الدّيبع أوّله: «تتمّة ذلك من تاريخ شيخنا وجيه الدّين الدَّيبع المسمَّى بُغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد؛ قال رحمه الله تعالى: ...».

كتبتِ النّسخة بخطٍّ نسخيّ جيّد، وهي على قلّة الإعجام فيها لم تخلُ من ضبط بعض ألفاظها؛ وقد ميّزت الهمزات فيها بوضع علامة المدّ على الألف، ومداخل الأبواب والفصول والأخبار بالحِبْر الأحمر، وأبيات الشّعر بعلامة (،) في بداية البيت ونهايته وبين الشّطرين، ونهاية الفقرات برسم دائرة صغيرة (٥)؛ بها تعقيبةٌ شِبْه مائلة وبعضها مستقيمة.

ورد في هوامشها تصحيحاتٌ تكمّل المتن وحواشي مرمّمة، وُضعت فيها العلامات المستخدمة في النّساخة الإسلاميّة (ط) للدّلالة على المقابلة على نسخةٍ أخرى، و(صح) للدّلالة على تكملةٍ لعبارات سقطت من المتن؛ وقد جُعِل في المتن إشارةٌ مكان السّقط تدلّ على موضع التّحشية الّتي تذيّل بعلامة (صح)، ثمّ ما يقابل الأحداث الواردة في المتن في كتب أخرى. وساق في هامش الحافة العليا عنواناً جارياً، وفي بقيّة الهوامش وقفاتٌ وتنبيهاتٌ لما ورد في المتن، كما تكرّر لفظ بلغ مقابلةً في كلّ هامش.

وقد أشير في نهاية الحواشي إلى أنّ كاتبها إسماعيل، وهو المشار إليه في الورقة (٢١٤).

وهذه النّسخة مقابلة على النّسخة الأمّ بتاريخ الرّابع والعشرين من شهر شوّال سنة (٩٧١هـ)، وُجد ذلك بنهاية كتاب الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد الّذي ذُيّل به كتابنا هذا في الورقة (٢٩٠).

على النّسخة تمليكاتٌ أقدمها طُمس اسم صاحبه وتاريخ نسخه ولم يبق منه سوى أنّه كان بشهر صفر، وتمليك برسم مالكه عليّ بن أحمد بن إسماعيل؛ وثمّة تمليكٌ لمحمّد بن

قاسم بن محمّد بالشّراء الصّحيح من مالكه ناصر بن لطف الله الضّميريّ، بتاريخ ذي الحجّة سنة ١١٧٠هـ، ثم صار الكتاب ملك الفقيه صالح الجبرتي المؤذن في المدرسة في مدينة ذمار.

على أنّ جميع تلك التّمليكات في حواشي الورقة السّابقة للعنوان، أمّا ما ورد في ورقة العنوان فعبارة مفادها: «تميّز بالقسمة الشّرعيّة لمحمّد بن صالح الجبرتي في شهر شوّال من سنة ١١٧٩هـ، ثمّ انتقل منه بالشّراء الصّحيح من مالكه لعليّ بن أحمد بن إسماعيل بتاريخ شهر ذي القعدة الحرام سنة ١١٨٦هـ». وفي الورقة الأولى تمليكٌ بالهبة من الإمام بنظر حاكم حَراز الأخ العلّامة حسين محمّد المهديّ بتاريخ ربيع الثاني سنة ١٣٦١هـ.

تصدّر العنوانَ بورقتين نقولاتٌ تاريخيّة عن كتب عدّة منها التّرجمان لابن المظفّر، والبرق اليماني، وتاريخ الرّازيّ، وذكر مدينة ذَمار في كتب التاريخ، وآخر من كتابٍ فيه ترجمة السّلطان عامر بن عبد الوهّاب؛ وجملة من التّمليكات علا أسماءَ أصحابها طمسٌ.

النّسخة (أ) ذات الرّقم: (٢٥٨١).

عنوانها: تاريخ الشّيخ العلّامة القدوة الفهّامة عليّ بن حسين الخزرجيّ اليمنيّ الزّبيديّ؛ وكُتِب عليه بخطٍّ مغاير وقلمٍ مختلف: «الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها في الإسلام».

تقع هذه النّسخة في (٢٢٠) ورقةً ذات لوحين، مقاسها (٢٣×١٩)، ومسطرتها (٢٧) سطراً، غلافها كرتونيٌّ مغطّى بالقماش الأسود، كعبه وأركانه من الجلد، عليه ترقيمٌ حديث؛ ومن خلال التّرقيم القديم حدّد السّقط من نهاية المخطوط قَدْرَ ورقة اشتملت على قصيدة المُقْري التي رثى بها الفقيه موفّق الدّين عليّ بن أبي بكر النّاشريّ، واشتمل أيضاً على يوم الفراغ من النّسخ وشهره، وتلا السّقطَ: «... من شهور سنة ثمانٍ وعشرين بعد الألف من الهجرة النّبويّة على صاحبها أفضل الصّلاة والتّسليم».

في الورقـة (٢١٧/أ = ٤٣٤) صـفحة عبـارة نـصّها: «تمـام هـذا الجـزء مـن مختـصر الشّهاب المَحالبيّ المسمّى بالكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام».

كُتِبت بخطٍّ نسخيٍّ جيّد حسن، وهي على قلّة الإعجام فيها لم تخلُ من ضبط كالنّسخة الأمّ؛ ومُيّزت أبيات الشّعر فيها بعلامة (٥) في بداية البيت ونهايته وبين الشّطرين، ومداخل الأبواب والفصول بالقلم العريض؛ فيها تعقبةٌ مائلة، وفي هوامشها تصحيحاتٌ لبعض الأخطاء الواردة في المتن، ومن الرّموز المتبعة المستخدمة في نساختها:

٧ وهي إحالة يدوّنها النّاسخ عند مقابلته على النّسخة الأصليّة، أو النّسخة التي اعتمدها في مقابلته، ويضع التّصويب على الهامش في اتّجاه الإحالة، إمّا إلى اليمين وإمّا إلى اليسار.

⊙ علامة يضعها النّاسخ إذا شكّ في أنّ ثمّة سقطاً، فإذا كان وأصلحه وضع في داخلها نقطةً صغيرة. ومثله حرف (ح) فإذا تأكّد أضاف إليه حرف الصّاد فصحح (صح).

وقد تمّ الأخذ عن هذه النّسخة لتصويب كثيرٍ ممّا أشكل من الألفاظ في بقيّة النّسخ، ولولا ما اعتراها من أضرار في أوراقها الأخيرة الخاصّة بالتّتمّة من آثار التّرميم البدائيّ لبعض الثّقوب التي أحدثتها الأَرَضَة في متن المخطوط= لصحّ اعتمادها أُمًّا لغيرها؛ فهي قريبةٌ من (الأمّ) ومن (ب).

دُوّن أسفل العنوان بقلم ناسخ المخطوطة: «ملك مولانا القاضي العلّامة جعفر القاضي بصنعاء اليمن ...»، وثمّة تدوين في أعلى الصّفحة ظَهَر منه صاحبه سليمان بن عبد الله في تاريخ سنة (١١١٠هـ)، وتدوين ثالث «ممّا تفضّل الله به على عبده الفقير إلى رحمته وعفوه عليّ ابن أحمد الصّرميّ عفا الله عنهما في جمادى الآخر من سنة (١٢٣٣هـ)».

النّسخة (ب) ذات الرّقم: (٢٥٨٢).

عنوانها: الجزء السّابع[1] من كتاب العسجد المسبوك والزّبرجد المحكوك، تأليف الإمام النَّسّابة أبي الحسن موفّق الدّين عليّ بن حسن بن محمّد الخزرجيّ النَّقّاش الزَّبيديّ.

تقع هذه النّسخة في (١٩٠) ورقةً ذات لوحين، مقاسها (٢٨×٢١سم)، ومسطرتها (٣١) سطراً، وغلافها كرتونيٌّ مغطًّى بقماش أبيض.

نسخها عليّ بن عبد الله بن عبد الرّحمن الزّبير المليكيّ بتاريخ ظهر يوم الأربعاء سَلْخ جمادى الأولى من سنة ثلاثٍ خمسين وألف من الهجرة؛ وقد كُتِبت برَسْم السّيّد أمير المؤمنين عزّ الدّين محمّد بن الحسن بن القاسم.

كتبت النّسخة بخطٍّ جيّد، وهي على قلّة الإعجام فيها لم تخلُ من ضبط كالنّسختين الأُولَيين؛ وقد مُيّزت مداخل الأبواب والفصول والسّنوات بالقلم العريض، وأُطِّرت الأوراق المشتملة على الأشعار والقصائد بخطّين. في بعض هوامشها تصحيحاتٌ لبعض ألفاظ المتن، وفيها تعقيبةٌ شبه مائلة؛ والمخطوطة ضمن مجموع يعقبها فيه شرح أُرْجُوزة عبد الله بن حمزة في وصف الخيل لولده محمّد بن عبد الله بن حمزة.

وهذه النّسخة توافق (الأمّ) فيما صحّ أو أشكل، مع اختلافٍ هيّنٍ بينهما، ولعلّ كلتيهما نُقِلت عن أصلٍ واحد؛ ولذا فقد أُكْمل عنها ما سقط من (الأمّ)؛ ولها خصيصة أخرى اختصّت بها كونها بعناية الإمام عزّ الدّين بن الحسن ورَسْمه.

ورد عليها تَمْليكٌ من خزانة المتوكّل على الله ربّ العالمين يحيى بن أمير المؤمنين المنصور محمّد بن يحيى تاريخه ١٢ شعبان، وتمليكٌ آخر ظهر منه: «... بن أحمد بن إسماعيل بالشّراء الصّحيح من مالكه بتاريخ شهر القعدة الحرام سنة ١١٨٦هـ» بعد أن كان قد تميّز بالقسمة الشّرعيّة إلى عقب محمّد ... في شهر شوّال من سنة ١١٧٩هـ؛ وعليها تمليكاتٌ أخرى لم تبن لنا لما علاها من طمس. وقد اعتراها كسابقتها بعضُ الضّرر من التّرميم البدائيّ الذي أتى على بعض ألفاظها.

---

(١) في المخطوط: «النّافع»، ولكنّه ضُرب عليه وكُتب فوقه: «السّابع» وهذا يوافق ما ورد بالنّسخة (الأمّ).

النّسخة (ج):

عنوانها: العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، تأليف الفقيه الفاضل العالم العلّامة النّسابة المحقّق شمس الدّين أبي الحسن عليّ بن الحسن بن أبي بكر الخزرجيّ الأنصاريّ.

نُشِرت مصوّرة بوزارة الإعلام والثّقافة مشروع الكتاب طبعة ١٤٠١هـ=١٩٨١م، وتقع في (٥٠٧)، مسطرتها (٢٣) سطراً.

نُسخت يوم الخميس خامس شهر شعبان المعظّم من شهور سنة (١١٠٢هـ)، وهي مكتوبةٌ بخطٍّ جيّد وهي على قلّة الإعجام فيها لم تخلُ من ضبطٍ كالنّسخ قبلها، وقد اعتمد النّاسخ فيها معالجة ما أشكل عليه من الألفاظ على حدسه وقياسه.

اعترى هذه النّسخة سقطٌ كثيرٌ في معظم فصولها على تفاوتٍ بين كلمة وعبارة وسطر، بل بلغت أحياناً فقراتٍ كاملة. وهي نسخةٌ كثر التّصحيف والتّحريف فيها ولاسيّما الأشعار وأسماء المناطق؛ وممّا ابتُليت بها إضافة عبارات في المتن عن (بغية المستفيد لابن الدَّيْبع) من دون تنبُّهِ النّاسخ عليه أو تنبيهه.

مُيّزت الفواصل بين صدر البيت وعجزه بالحبر الأحمر، وتكملة المتن بثلاث نقاطٍ بالحبر الأحمر تُشابه ما وُضِع في عَجُز البيت وتُوازيه. أُطّرت بعض صفحاتها (٣٣-٧٨) بخطّين أحمرين، وأُطِّرت بعض مداخل الفصول فيها بالحبر الأحمر وبعضها بالأسود المشبع بالحُمْرة.

في بعض هوامشها وقفاتٌ وتنبيهاتٌ تشير إلى ما تحدّث عنه في المتن، وكذلك ذكر أسماء الملوك ووفاتهم، وتعقيبتها مستوية. وقد خلت هذه النّسخة من أيّ تمليكات.

النّسخة (د) ذات الرّقم: (٢٥٨٤).

عنوانها: العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من السّلاطين والملوك، تأليف أبي الحسن عليّ بن الحسن الخزرجيّ.

تقع هذه النّسخة في (٢٣٩) ورقة، مقاسها (٣٢×٢٢)، ومسطرتها (٢٤) سطراً؛ غلافها كرتونيٌّ مغطّى بجِلْدٍ ذي لسان، وعليه زخارف نباتيّة، أصاب بعض أطرافه تمزّقات. وقد كان نَسْخها بتاريخ يوم السّبت سَلْخ جمادى الآخرة سنة خمس عشرين ومئتين وألف من الهجرة.

كُتِبت بخطٍّ نسخيّ جيّد، ومُيّزت مداخل الأبواب والفصول بالخطّ العريض، والنّسخة موفّاة من أوّلها قدر ورقة ونصف بخطّ العلّامة المؤرّخ عبد الله بن عبد الكريم الجرافيّ. استخدمت فيها الفواصل المفردة والمثلّثة بالأشعار، فجعلت علامة في بداية البيت وفي نهايته، وعلامة فيما بين الشّطرين، واتّبع ذلك النّسق في تكملة المتن اللّاحق للأبيات بعلامةٍ أخرى رابعة. على بعض هوامشها تصحيحاتٌ للمتن، وبعض أوراقها مؤطَّرة بخطٍّ أسودَ تأطيراً بدائيًّا؛ وتعقيبتها مائلة إلى الأعلى وبعضها مستوٍ.

لم تخلُ النّسخة من الأسقاط والتّصحيفات، ومعظم ما أشكل فيها يوافق النّسخة (ج) زيادةً ونقصاناً، على أنّها أحياناً توافق النّسخة (هـ).

كُتب بنهايتها: «بلغ مقابلةً على حسب الطّاقة والاجتهاد على الأمّ المنسوخ منها آخر ما نجز، حيث بُدئ بالمقابلة في أوّل ربيعٍ الأوّل، وفرغ منها في يوم الثّلوث سَلْخ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٢٦هـ»، وهي برَسْم الشّيخ الفاضل عزّ الإسلام محمّد الشّعرانيّ. ورد في ورقة العنوان ترجمةٌ للمؤلف نقلها عبد الله بن عبد الكريم الجرافيّ عن ملحق البدر الطالع لزَبَارة.

النّسخة (هـ) ذات الرّقم (٢٥٨٣).

عنوانها: «الجزء النّافع[1] من كتاب العسجد المسبوك والزّبرجد المحكوك، تأليف الفقيه الإمام أبي الحسن موفّق الدّين بقيّة المؤرّخين عليّ بن الحسن بن محمّد الخزرجيّ الأنصاريّ الزَّبيديّ بلداً».

تقع هذه النّسخة في (١٨٢) ورقة ذات لوحين، مقاسها (٣٠×٢٠سم)، ومسطرتها (٣١) سطراً؛ غلافها كرتونيٌّ مغطًّى بالقماش الأبيض.

كتبت بخطٍّ نسخيّ معظمه غير معجَم، وقد مُيّزت مداخل الأبواب والفصول بالقلم العريض باللّون الأحمر والأسود، وفُصِل بين صدر البيت وعجزه بدائرة منقوطة، وكذا جعلت في بداية البيت ونهايته، وقد استخدمت هذه الدّوائر في الفصل بين بعض الأخبار في تتابع الفصول وجعلها بنسب متفاوتة في خمس دوائر إلى تسع. وفي هامشها تعليقات وإضافات بعضها عن (قرّة العيون) وبعضها عن (إنباء الزمن) وغيرهما. تعقيبتها بين المائلة والمستوية وجُعِلت التّعقيبة كلمتين على خلاف بقيّة النّسخ.

اعترى النّسخة أسقاطٌ في معظم الفصول قَدْر كلمة وعبارة وفقرة، كما ظهر شرود النّاسخ في أثناء نساخته؛ إذ كان ينتقل من الكلمة إلى مثلها في الأسطر اللّاحقة لها.

وهذه النّسخة كثيرةُ التّصحيف المُخِلّ بالمعنى، وربّما اعتمد النّاسخ أحياناً على حدسه وفهمه في أثناء النّساخة فأتى بالأعاجيب، ولاسيّما في الأشعار.

وافقت النّسخة في معظمها النّسختين (ج، د)، وخالفت أحياناً النّسخ جمعاء، وقلّ أن أُخِذ عنها. وقد مُزِجت بعض العبارات والأحداث بزيادات من (قرّة العيون) و(بغية المستفيد) وكلاهما لابن الدَّيبع الشّيبانيّ، أشير إلى هذا الخَلْط أحياناً، وغفل النّاسخ عنه أحايين أخرى.

---

(١) قوله: «النّافع» كذا؟ وقد كُتب عليها بخطٍّ مغاير: «الرّابع» وهذا يعزّز الشّك فيما ورد بـ(الأمّ، ب).

سُبقت صفحة العنوان بفهرست للعسجد تسلسلت فيه الأحداث حتّى سنة ٧٩٦هـ وقت خروج مجد الدّين مؤلّف القاموس.

عليها تمليك من خزانة أمير المؤمنين المتوكّل على الله يحيى بن محمّد وختم مكتبة الجامع الكبير صنعاء.

وفي ختام هذه المقدَّمة لا بدّ من القول إنّي لمّا اقتحمت هذا الكتاب وكشفتُ مشتَمَلَه، ألفيتُهُ عظيم الجَنَى ممتعاً جدًّا، وليتَهُ كان، وأمثاله من الكتب ذات النَّفَس نفسه، بين يدي النّشء للانتفاع والإفادة منذ أزمانٍ؛ لأنّ فيه خيراً وفيراً وغَناء كثيراً عمّا يُقذف إليهم من غُثاء؛ وقد بذلت في عِراض مخطوطاته وضبطه وفهرست مادّته خالص النّفس، وحَرَصت ألّا أترك فيه شيئاً مبهماً أو مُستَعْجَماً فكان لي جلّ ما أريد على بقاء أثارةٍ في النّفس ووحشةٍ من أشياء عزّ توجيهها؛ والله أسأل التّوفيق والسَّداد إنّه نعم المولى ونعم النّصير.

وكذا لا بدّ من شُكر طائفةٍ من الأساتذة الكرام كان لهم الفضلُ في خروج هذا السِّفر مقابلةً ومراجعة، وهم: عبد الباري طاهر الأَهْدل، وخالد أبا زيد الأَذرعيّ، وعبد الله علويّ البابكيّ، وهشام حسين الأَهْدل، ووضّاح عبد الباري الأَهْدل، والله أسأل لهم المثوبة والأجر.

كتبه نَزيْل صَنْعاء المحروسة

مقبل التام عامر الأحمدي

عصر الأحد ٢٦/ جمادى الأولى/ ١٤٣٦هـ

الموافق ١٥/ آذار/ ٢٠١٥م

صور من المخطوطات المعتمدة في التحقيق

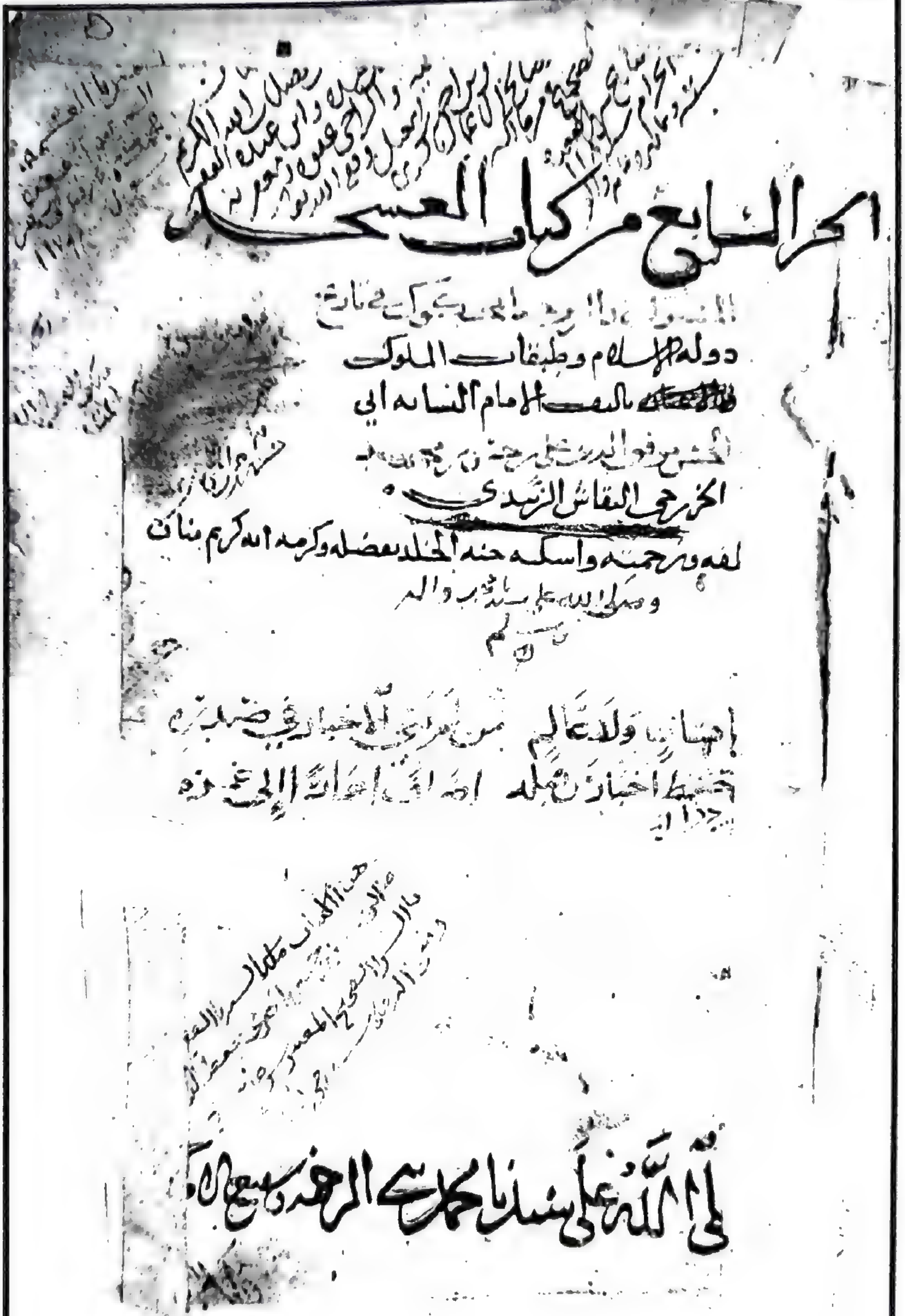

الجزء السابع من كتاب العسجد

المسبوك والزبرجد المحكوك في تاريخ

دولة الإسلام وطبقات الملوك

الإمام النسابه أبي

الخزرجي النقاش الزبيدي

لطفه ورحمه واسكنه جنة الخلد بفضله وكرمه انه كريم منان

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

عنوان النسخة (الأم)

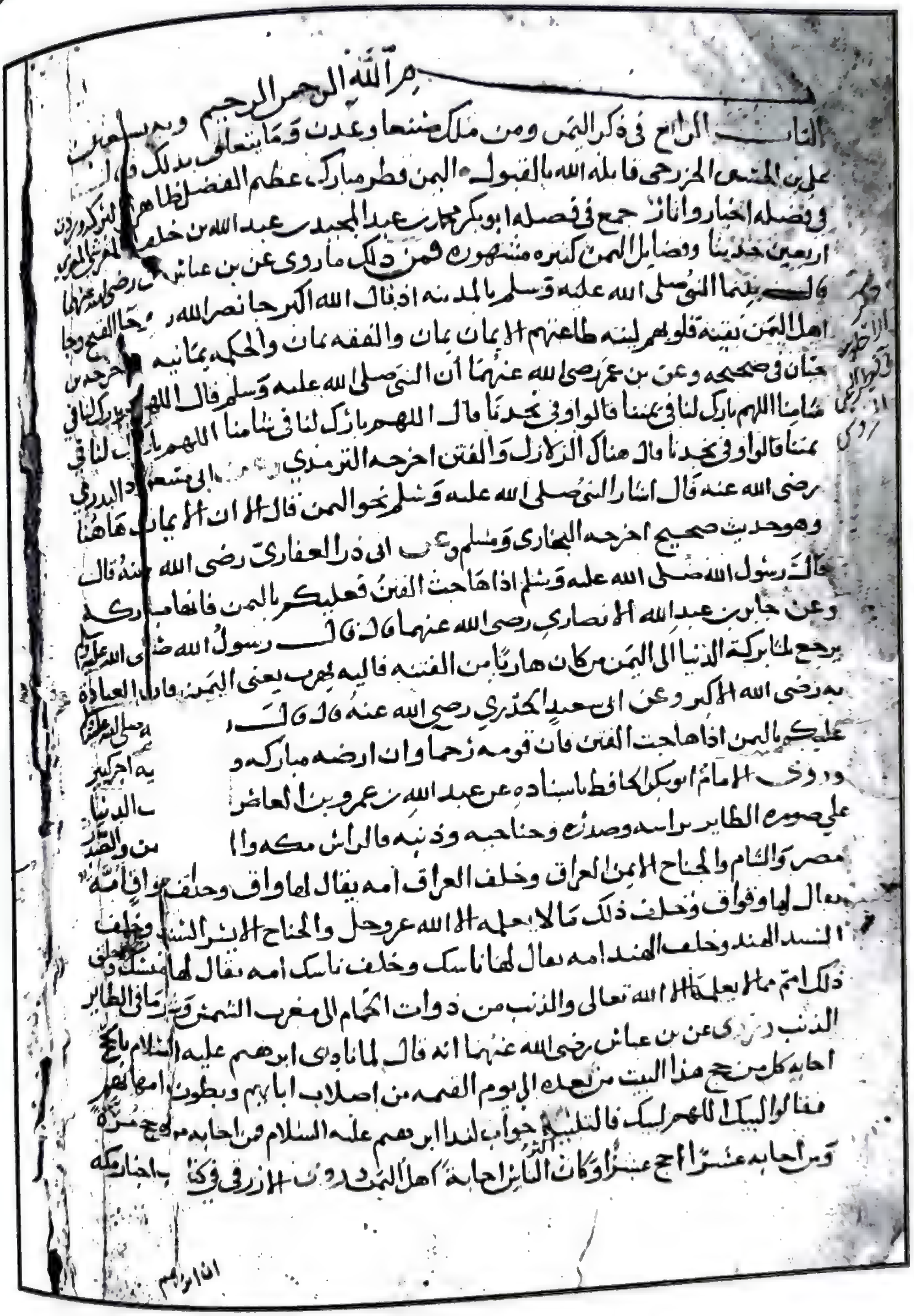
بسم الله الرحمن الرحيم
الباب الرابع في ذكر اليمن ومن ملك صنعا وعدن وما يتعلق بذلك
علي بن الحسن الخزرجي رحمه الله تعالى اليمن قطر مبارك عظيم الفضل ظاهر
وفضله اخبار واثار جمع في فضله ابو بكر محمد بن عبد المجيد عبد الله بن خلف
اربعين حديثا وفضايل اليمن كثيره مشهوره فمن ذلك ما روي عن ابن عباس
قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينه اذ قال الله اكبر جا نصر الله
اهل اليمن نقيه قلوبهم لينه طاعتهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمه يمانيه
... في صحيحه وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم
شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في
يمننا قالوا وفي نجدنا قال هناك الزلازل والفتن اخرجه الترمذي ... ابي مسعود البدري
رضي الله عنه قال اشار النبي صلى الله عليه وسلم نحو اليمن قال الا ان الايمان هاهنا
وهو حديث صحيح اخرجه البخاري ومسلم وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هاجت الفتن فعليكم باليمن فانها مباركه
وعن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجع ليتا بركه الدنيا الى اليمن ... من الفتنه فاليه يهرب يعني اليمن
... وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
عليكم باليمن اذا هاجت الفتن فان قومه رحما وان ارضه مباركه و
وروى الامام ابو بكر الحافظ باسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص
على صوره الطاير براسه وصدره وجناحيه وذنبه فالراس مكه وا...
مصر والشام والجناح الايمن العراق وخلف العراق امه يقال لها واق وخلف واق امه
يقال لها وقواق وخلف ذلك ما لا يعلمه الا الله عز وجل والجناح الايسر السند وخلف
السند الهند وخلف الهند امه يقال لها ناسك وخلف ناسك امه يقال لها منسك وخلف
ذلك امم ما لا يعلمها الا الله تعالى والذنب من ذوات الحمام الى المغرب الشمس وشر ما في الطاير
الذنب وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نادى ابرهيم عليه السلام بالحج
اجابه كل من حج هذا البيت من يومه الى يوم القيمه من اصلاب ابايهم وبطون امهاتهم
فقالوا لبيك اللهم لبيك فالتلبيه جواب لندا ابرهيم عليه السلام فمن اجابه مره حج مره
ومن اجابه عشرا حج عشرا وكان اكثر الناس اجابه اهل اليمن ... الازرقي في كتاب اخبار مكه

الصفحة الأولى من النسخة (الأم)

أنارت به الآفاق والشمس أشرقت ٭ بطلعته والليل تجلى غياهبه ٭
فيا ناصر الإسلام صبرًا فإنه ٭ متى مر طعم الصبر سرت عواقبه ٭
لقد كنت نعم الحبر للكسر بعده ٭ وبالكد ضد عالم فلقيد شاعبه ٭
شقي قبر الفياض بالجود والندى ٭ سحاب ملث لست يقلع ناسه ٭

٭ تم بتكميله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نقلت ذلك من تاريخ شيخنا وجيه الدين الربيع المسمى بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد قال رحمه الله تعالى ولم يزل حسن الطريقة قاصدًا طريق الحقيقة إلى أن مات يوم التاسع عشر من ربيع الأول سنة ثلث وثمان مائة في مدينة زبيد الشريفة ... رحمه الله وكانت نفسه تؤثر العلم والعلما كان متفننا في العلوم مشغولا بها أكرم الله مثواه. وكان ... السلطان الملك الناصر أحمد في مرض أبيه حملت زائدة ورزقت يوم ثامن ربيع الأول برعامه وكان السرى وحط على حصن الحمرا في مرض والده وساعده ولم يهدي صاحب شباح فخرج الناصر يوم السادس عشر من شهره فأخذ شباح وغيره ورفع السرى عن مكانه ونهب ما معهم ثم عاد منصورا وفي يوم الخامس عشر من جمادى الأولى برعامه قصد ... وأباد الأقران وأسر الأعيان ورجع إلى بلاد الأساوده في الثاني والعشرين من شهره وسلموا حصونهم بالرضا منهم ثم عاد إلى تعز وحصلت منهم خيانة فقصدهم لأجلها في الرابع من جمادى الأخرى فأخرب بلادهم وحصونهم وأهلك منهم كثيرًا ثم سار إلى زبيد يوم الاثنين الثاني والعشرين من الشهر المذكور وأقام بها إلى عاشر شهر رجب وخرج إلى المعازبة وسألوا الذمة فأمنهم وسار إلى حركة المخالفين من بلاد الرماد فأخذ ما مع الرماة من خيل ودخل زبيد وأقام إلى أول يوم من شعبان وأخذ المعازبة أيضًا فأغار عليهم يوم الثاني وأباد منهم أمما وقتل جمعا كثيرا وكان ذلك سببا لترك المعازبة الخلاف ... أمراء منهم ولم يحدث منهم بعد ذلك حادث وفي الثاني من شوال أخذ حصن الهوز وهو حصن عظيم به انحسمت مادة الخلاف في مخاليف سهام وتلك الأطراف ثم طلع إلى تعز يوم الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ثلث وثمانمائة ... وفي سنة ... وثمانمائة أخذ حصن رهد وسائر ما هنالك وكان افتتاح هذه الأماكن على يد الأمير بدر الدين زياد بن أحمد الكاملي والطواشي نظام الدين حصن الخازندار الأشرفي ... وقدم عليه الشريف المنتصر في سنة سبع

نهاية النص من النسخة (الأم)

كتاب تاريخ الشيخ
العلامة القدوة النسابة
علي بن حسن الخزرجي
اليمني الزبيدي
تغمده الله تعالى بواسع
الرحمة
ملك مولانا القاضي العلامة جعفر القاضي بصنعا
اليمن حرسها الله تعالى من جميع الفتن

العنوان من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والحمد لله رب العالمين
الباب الرابع في ذكر اليمن ومن ملك صنعا وعدن وما يتعلق بذلك قال علي بن الحسين
الخزرجي غفر الله له اليمن قطر مبارك عظيم الفضل ظاهر البركة وقد ورد في فضله اخبار واثار
جمع في فضله ابو بكر محمد بن عبد المجيد بن عبد الله بن خلف القرشي المصري اربعين حديثا وفضل
اليمن كثيرة مشهورة فمن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما النبي صلى الله عليه
بالمدينه اذ قال الله اكبر جا نصر الله وجا الفتح وجا اهل اليمن نقية قلوبهم لينة طاعتهم
الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية اخرجه ابن حبان في صحيحه وعن ابن عمر
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا
قالوا وفي نجدنا قال هناك الزلازل والفتن اخرجه الترمذي وعن ابن مسعود البدري
رضي الله عنه قال اشار النبي صلى الله عليه وسلم نحو اليمن وقال الا ان الايمان هاهنا وهو
حديث صحيح اخرجه البخاري ومسلم وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا هاجت الفتن فعليكم باليمن فانها مباركة وعن جابر بن عبد الله الانصاري
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجع ثلثا بركة الدنيا الى اليمن من كان
هاربا من الفتنه فاليه يهرب يعني اليمن فان العبادة فيه رضا الله الاكبر وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم باليمن اذا هاجت الفتن فان
قومه رحما وان ارضه مباركه وللعبادة فيه اجر كثير وروى الامام ابو بكر الحافظ باسناده
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال خلقت الدنيا على صورة الطاير براسه وصدره وجناحيه وذنبه
فالراس مكه والمدينه واليمن والصدر مصر والشام والجناح الايمن العراق وخلف العراق
امه يقال لها واق وخلف واق امة يقال لها واق واق وخلف ذلك ما لا يعلمه الا الله عز وجل
والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف الهند امه يقال لها ناسك وخلف ناسك امه يقال لها
منسك وخلف ذلك امم لا يعلمها الا الله تعالى والذنب من ذات الحمام الى مغرب الشمس وشر
ما في الطير الذنب وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نادى ابرهيم عليه السلام بالحج
اجابه كل من حج هذا البيت من خلقه الى يوم القيمه من اصلاب ابائهم وبطون امهاتهم فقالوا لبيك
اللهم لبيك فالتلبية جواب لندا ابرهيم عليه السلام فمن اجابه مرة حج مرة ومن اجابه عشرا حج عشرا
وكان اكثر من اجابه اهل اليمن وذكر الازرقي في كتاب اخبار مكه ان ابرهيم الخليل استقبل الجهات
الاربع في ندايه وانه بدا بجهة اليمن وروى الامام ابو الشيخ باسناده عن ابن عمر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اهل اليمن فانهم برين الحاج وفي رواية اخرى عن ابن عمر

الصفحة الأولى من النسخة (أ)

٤٣٩

من زبيد نعمة عظيمة حتى قال الناس لم يعهد مثلها ابدا واخرب المعظم [illegible]
الجاهدي وفي هذه السنه ظهر جراد كثير في نواحي زبيد واتلف كثيرا من الزرع [illegible]
والاشجار روى الخزرجي عن الامير نجم الدين محمد ابن ابرهيم الشريف المتولي [illegible]
[illegible] قال اخبرني الفقيه تقي الدين عمر بن احمد بن عبد الواحد وكان يومئذ [illegible]
على الاملاك [illegible] قال اخبرني بعض الرعية الثقات من اهل [illegible] زبيد انه
راى جنينا كبيرا خرج من [illegible] فاكل من الجراد شيا كثيرا حتى عجز عن المشي الى حجره [illegible]
موضعه ذلك فوقع عليه الجراد حتى غشيه من كل ناحية حتى اكلوه ولم يتركوا منه
شيا قال واخبرني بعض الثقات من اهل الحاجرية وهي [illegible]
[illegible] انه راى ديكا وقد انتشر الجراد في موضعه ذلك فالتقط منه ذلك [illegible]
وهو ياكل حتى انتهى ثم وقع عليه الجراد فاكله جميعا ولم يتركوا منه [illegible]
وكان ظهور الجراد في اخر شوال من السنه المذكوره وفي سنة ثلث وثمانمائه
رضي الدين ابو بكر ابن القاضي شهاب الدين احمد بن عمر بن معيبد
[illegible] الجمال محمد [illegible] واستمر الامير سيف الدين [illegible]
الامير فخر الدين ابو بكر بهادر العدلي [illegible] سلخ المحرم [illegible]
[illegible] من الجهات الشاميه الى باب السلطانه
[illegible] شديد في التاريخ المذكور وقلق الناس من اجل [illegible]
[illegible] الدار بزبيد الى دار السرور يوم الجمعه
[illegible] اقامته فيه وصلت خزانه من عدن وكان وصولها
وفي يوم الثامن والعشرين من الشهر المذكور في هذا التاريخ [illegible]
اشتد من الاول فاقام اياما ينتقل من موضع الى موضع فلم يجد راحه فتقدم الى الطلوع
الى تعز فتقدم يوم الخميس ثاني شهر ربيع الاول فاقام في حيس اياما بسبب
ما يجد من الالم ثم سار الى تعز فكان دخوله تعز ليلة الاربعا ثامن شهر ربيع الاول واقام
في دار الوعد عشرة ايام ثم توفي الى رحمة الله تعالى ليلة السبت الثامن عشر من الشهر
المذكور فاصاب [illegible] الناس عليه اسف شديد وكان رحمة الله عليه خير ملك [illegible]
احسن سيرة جوادا [illegible] حليما رحيما [illegible] مشفقا [illegible] لم يكن في ملوك [illegible]
[illegible] قال القاضي موفق الدين علي ابن ابي بكر [illegible] وتوليت غسله [illegible]
[illegible] الفقيه جمال الدين محمد بن صالح [illegible] والفقيه موفق الدين [illegible]
[illegible]
[illegible] وكان ذكيا
[illegible] وعشرين بعد الالف من الهجرة النبويه
على صاحبها افضل الصلوة والتسليم

نهاية النص من النسخة (أ)

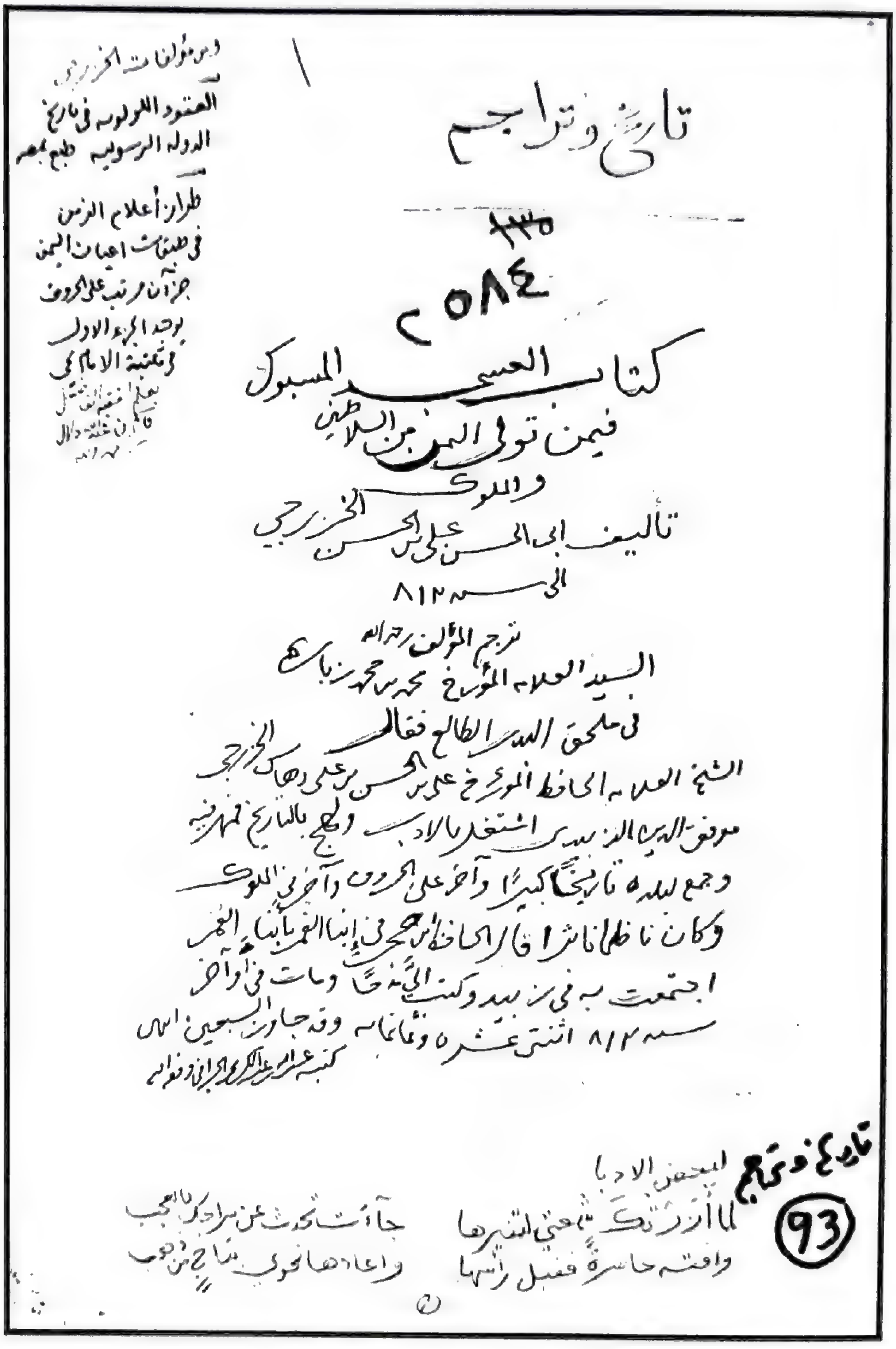
تاريخ وتراجم

135

٥٠٨٤

كتاب العسجد المسبوك
فيمن تولى اليمن من السلاطين والملوك
تأليف أبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي
المتوفى سنة ٨١٢

ترجم المؤلف رحمه الله
السيد العلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة
في ملحق البدر الطالع فقال
الشيخ العلامة الحافظ المؤرخ علي بن الحسن بن علي وهاس الخزرجي
موفق الدين الزبيدي اشتغل بالأدب ولهج بالتاريخ فمهر فيه
وجمع لبلده تاريخا كبيرا وآخر على الحروف وآخر في الملوك
وكان ناظما ناثرا قال الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر بأبناء العمر
اجتمعت به في زبيد وكتبت إليه أشياء ومات في أواخر
سنة ٨١٢ اثنتي عشرة وثمانمائة وقد جاوز السبعين انتهى
كتبه عبد الرحمن عبد الكريم الإرياني غفر له

ومن مؤلفات الخزرجي
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية طبع بمصر
طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن جزآن مرتب على الحروف يوجد الجزء الأول في مكتبة الإمام يحيى

تاريخ وتراجم
93

لبعض الأدباء
لما أزرتك تبغي أشبرها ... جاءت تحدث عن سراديك العجب
واعتنقته حاسرة فقبل رأسها ... وأعادها تحوي مزاج من ذهب

العنوان من النسخة (د)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة والتوفيق

الباب الرابع في ذكر اليمن ومن ملك صنعا وعدن وما يتعلق بذلك

قال علي بن الحسن الخزرجي عامله الله بالقبول

اليمن قطر مبارك عظيم الفضل ظاهر البركة وردت في فضله اخبار

وآثار وجمع في فضله ابوبكر محمد بن عبد المجيد بن عبد الله بن خلف القرشي المصري

اربعين حديثا في فضائل اليمن[1] كثيرة مشهورة

فمن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم

بالمدينة اذ قال الله اكبر جآ نصر الله وجآ الفتح وجآ اهل اليمن نقية قلوبهم لينة طاعتهم

الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية اخرجه ابن حبان في صحيحه

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اللهم بارك في شامنا

اللهم بارك في يمننا قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك

لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال هناك الزلازل والفتن اخرجه الترمذي

وعن ابي مسعود البدري رضي الله عنه قال اشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم

بيده نحو اليمن وقال الا ان الايمان ههنا وهو حديث صحيح اخرجه البخاري ومسلم

وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اذا هاجت الفتن فعليكم باليمن فانها مباركة وعن جابر بن عبد الله الانصاري

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجع ثلثا بركة الدنيا الى اليمن

من كان هاربا من الفتنة فاليه يهرب يعني نحو اليمن فان العبادة فيه رضي الله الاكبر

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عليكم باليمن اذا هاجت الفتن فان قومه رحما وان ارضه مباركة وللعبادة

فيه أجرا كبيرا وروى الامام ابوبكر الحافظ باسناده عن عبد الله

ابن عمرو بن العاص قال خلقت الدنيا على صورة الطائر برأسه وصدره

وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر مصر

والشام والجناح الأيمن العراق وخلف العراق امة يقال لها واق

(1) قال السيد محمد بن السيد درويش الشهير بالحوت البيروتي وكتابه اسنى المطالب في احاديث مختلفة المراتب

ان احاديث فضائل البلدان والفواكه ضعيفة قلت ويستثنى من ذكر

ما ذكر معزوا الى الصحاح كحديث الايمان يمان الخ وخلف

الصفحة الأولى من النسخة (د)

فلا تجزعن للدهر من بعد امرئ ❊ فما الدهر إلا ضيغم أنت راكبه
يصانع الفتى حتى يرى فيه فرصة ❊ فينشب فيه نابه ومخالبه
أبا أحمد أسلمت أمة أحمد ❊ إلى أحمد فاستسلم الحق صاحبه
فقام بأمر الله من بعد ما عفت ❊ معالمه فينا وغارت كواكبه
وشمر عن ساق امرئ همه العلى ❊ يجاذب عن أطرافها ويجاذبه
وأمن من خوف وقرب من نوى ❊ وساس البرايا وهو ما طر شاربه
ودانت له الدنيا وأذعن أهلها ❊ وراضت صعاب الحادثات تجاربه
كريم أهان المال إلا ومن نهى ❊ لسائله أمواله عن جانبه
نادت به الآفاق والشمس أشرقت ❊ بطلعته والليل تجلى غياهبه
فيا ناصر الإسلام صبرًا فإنه ❊ متى مر طعم الصبر سرت عواقبه
لقد كنت نعم الجبر للكسر بعده ❊ فيا لك صدعًا لم يلقه شاعبه
سقى قبره الفياض بالجود والندى ❊ سحاب ملث ليس يقطع راتبه

تمت القصيدة العظيمة
بعون الله وكرمه ومنه
وفضله
والحمد لله رب
العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

نهاية النص من النسخة (د)

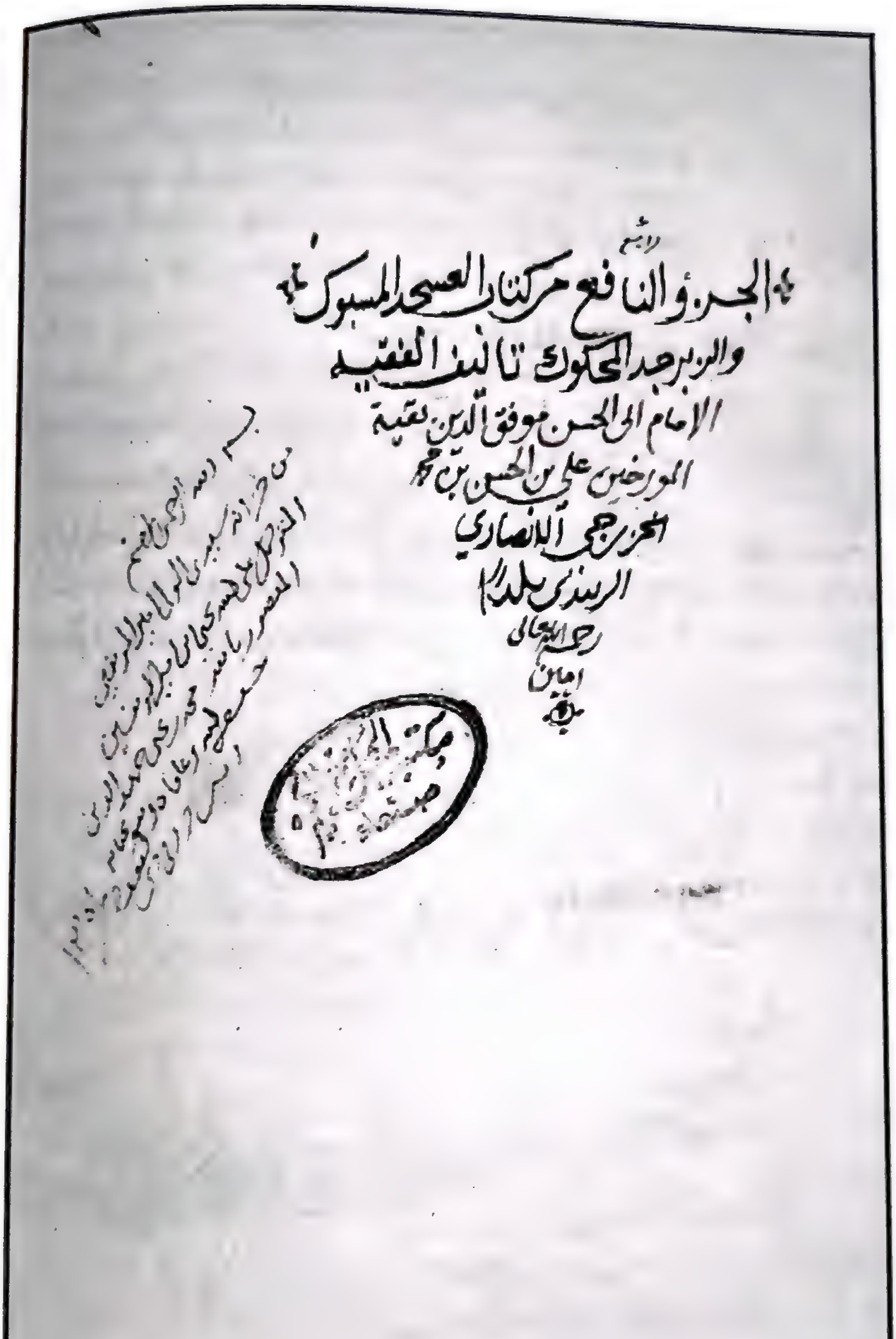
الجزء النافع من كتاب العسجد المسبوك
والزبرجد المحكوك تأليف الفقيه
الإمام أبي الحسن موفق الدين نفعه
المؤرخ علي بن الحسن بن محمد
الخزرجي الأنصاري
الزبيدي بلدا
رحمه الله تعالى
آمين

العنوان من النسخة (هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة والتوفيق
الباب الرابع في ذكر اليمن ومن ملكه صنعا وعدن
وما يتعلق بذلك قال علي بن الحسن الخزرجي قابله الله بالقبول
اليمن قطر مبارك عظيم الفضل طاهر البركة وردت في فضايله اخبار
واثار جمع في فضله ابو بكر محمد بن عبد المجيد بن عبد الله بن خلف القرشي المصري
اربعين حديثاً وفضايل اليمن كثيرة مشهورة من ذلك ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال بينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة اذ قال الله اكبر جا
نصر الله وجا الفتح وجا اهل اليمن نقية قلوبهم لينة طاعتهم الايمان يمان
والفقه يمان والحكمة يمانية اخرجه ابن حبان في صحيحه وعن ابن عمر ان النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا
قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال هناك الزلازل
والفتن اخرجه الترمذي وعن ابي مسعود البدري رضي الله عنه قال اشار النبي
صلى الله عليه وآله وسلم نحو اليمن وقال الا ان الايمان ههنا وهو حديث صحيح اخرجه البخاري
ومسلم وعن ابي ذر الغفاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا هاجت الفتن فعليكم
باليمن فانها مباركة وعن جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من رجع تلك الفتن الى اليمن من كان هاربا من الفتنة فالى اليمن يعني اليمن فان العبادة
فيه رضا الله الاكبر وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليكم
باليمن اذا هاجت الفتن فان قومه رحما وارضه مباركة وللعبادة فيه اجر كبير
... الامام ابو بكر الحافظ باسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال خلقت الدنيا
على صورة الطاير براسه وصدره وجناحيه وذنبه فالراس مكة والمدينة واليمن
والصدر مصر والشام والجناح الايمن العراق وخلف العراق امة يقال لها واق
وخلف ذلك امة يقال لها وقواق وخلف ذلك امم لا يعلمها الا الله عز وجل والجناح الايسر
السند وخلف السند الهند وخلف الهند امة يقال لها ناسك وخلف ناسك
امة يقال لها

الصفحة الأولى من النسخة (هـ)

نهاية النص من النسخة (هـ)

العسجد المسبوك والزبرجد المحكوك

في

تاريخ دولة الإسلام وطبقات الملوك

[القسم الثاني

الباب الرابع في ذكر اليمن ومن ملك صنعاء وعدن

الباب الخامس في ذكر زبيد وأمرائها وملوكها ووزرائها]

تأليف

الإمام النسابة أبي الحسن موفق الدين

علي بن الحسن بن محمد الخزرجي النقاش الزبيدي

المتوفى سنة ٨١٢هـ

وبذيله

مختصر الشهاب المحالبي المسمى

بـ (الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام)

تأليف

الإمام النسابة أبي الحسن موفق الدين

علي بن الحسن بن محمد الخزرجي النقاش الزبيدي

المتوفى سنة ٨١٢هـ

تحقيق

الدكتور مقبل التام عامر الأحمدي

البَابُ الرَّابع

فِي ذِكْرِ اليَمَن وَمَنْ مَلَكَ صَنْعَاء وَعَدَن

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ويه نستعين[(١)]

الباب الرّابع
في ذِكْر اليمن ومَنْ مَلَكَ[(٢)] صنعاء وعَدَن وما يَتَعَلَّق بذلك
[وفيه عشرةُ فصولٍ:
الفصل الأوّل في فَضْل اليمن][(٣)]

قال[(٤)] عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ قابله[(٥)] الله بالقَبول: اليَمنُ قطرٌ مباركٌ عظيمُ الفضل، ظاهرُ البَرَكة، وردتْ في فضلِهِ[(٦)] أخبارٌ وآثار؛ جَمَعَ[(٧)] في فضله أبو بكر محمّدُ بنُ عبد المجيد[(٨)] بن عبد الله بن خَلَف القُرَشيّ المِصْريّ أربعين حديثاً[(٩)].

---

(١) في (أ): «... والحمد لله رب العالمين» وفي (ب، د، هـ): «الإعانة والتوفيق» وفي (ج): «ثقتي».

(٢) في (ب، هـ): «ومن ملك من».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج)، وهو أمر يقتضيه تقسيم الباب وما يتضمّنُهُ كما سيأتي.

(٤) في (أ): «قال قال».

(٥) في (د): «عامله».

(٦) في (ب، هـ): «فضائله» وفي (ج): «فضيلته».

(٧) في (د): «وجمع».

(٨) في (ب): «أبو بكر بن محمد بن عبد المجيد»، وذكر صاحب كشف الظّنون اسم الكتاب وصاحبه ولكنه جعله (ابن عبد الحميد)، فقال: «... الأربعين اليمانية: للشّيخ محمّد بن عبد الحميد القرشيّ، جمعها في فضائل اليمن: ١/ ٦١». وقد خاله صاحب كتاب (اليمن في عهد الولاة: ٢٤) ابن عبد المجيد صاحب (بهجة الزّمن)، وذلك وهمٌ منه.

(٩) ثمّة حاشية للنّاسخ في (د) بها: «قال السّيّد محمّد بن السّيّد درويش الشّهير بالحوت البيروتي في كتابه (أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب): إنّ أحاديث فضائل البلدان والفواكه ضعيفةٌ. قلت: ويُستثنى من ذلك ما ذُكِر معزوًّا إلى الصّحاح؛ كحديث: الإيمان يمان إلخ».

وفضائلُ اليمن كثيرةٌ مشهورة؛ فمِنْ ذلك ما رُوِيَ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: بينما[1] النبيُّ ﷺ بالمدينة إذ قال: «الله أكبر، جاء نصر الله وجاء الفتح، وجاء أهل اليمن نقيّةً قلوبُهُم، ليّنةً طاعتُهُم[2]، الإيمان يمانٍ والفقه يمانٍ والحِكْمة يمانية» أخرجه ابن حِبّان في صحيحه[3].

وعن ابن عُمَر رضي الله عنهما، أنّ[4] النّبيّ ﷺ قال: «اللّهمّ بارِكْ لنا في شامِنا، اللّهمّ بارك لنا في يَمِننا»، قالوا: وفي نَجْدِنا، قال: «اللّهمّ بارك لنا[5] في شامنا، اللّهم بارك لنا في يمننا» قالوا: وفي نَجْدِنا، قال: «هناكَ الزّلازل والفِتَن[6]» أخرجه التِّرْمِذيّ[7].

وعن أبي[8] مسعود البَدْريّ رضي الله عنه قال[9]: أشار النّبيُّ ﷺ نحو اليَمَن [و][10] قال: «ألا إنّ الإيمان هٰهنا» وهو حديثٌ صحيحٌ، أخرجه البخاريّ ومسلم[11].

وعن أبي ذَرٍّ الغِفاريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هاجتِ الفِتَنُ[12]

---

(١) في (ب، هـ): «بينا».

(٢) في (ج): «طباعهم».

(٣) صحيح ابن حبّان: ١٦/٢٨٧، ورقمه: ٧٢٩٨.

(٤) في (ج): «عن».

(٥) في (د): «اللّهم بارك في شامنا...».

(٦) في (أ): «اللّهم بارك لنا في شامنا، اللّهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: هناك الزلازل والفتن».
في (ج): «اللّهم بارك لنا في شامنا، اللّهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: اللّهم بارك لنا في يمننا، اللّهم بارك لنا في شامنا، قالوا: وفي نجدنا، قال: الزلازل والفتن».

(٧) السنن: ٥/٧٣٣، ورقمه: ٣٩٥٣.

(٨) في (أ، ج): «ابن»، وإنّما هو أبو مسعود، غلبت عليه كنيتُهُ، واسمه: عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عُسَيرة؛ انظر: الاستيعاب: ٣/١٠٧٤، وأسد الغابة: ٤/ ٥٧، والإصابة: ٢/١٢٧٢.

(٩) في (ج): «... البدري رضي الله عنه أشار...».

(١٠) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

(١١) صحيح البخاري: ٣/١٢٠٢، ورقمه: ٣١٢٦، وفيه زيادة، وصحيح مسلم: ١/٥١، ورقمه: ١٩٠.

(١٢) في (ج): «الفتنة».

فعليكم باليمن، فإنّها مباركة»[1].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاريّ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يرجع[2] ثُلُثا بركة الدّنيا إلى اليمن، من كان هارباً منَ الفتنة فإليه[3] يهرب -يعني اليمن[4]- فإنّ العِبادة به[5] رضا الله الأكبر»[6].

وعن أبي سعيد الخُدْريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم باليمن إذا هاجتِ الفِتَن، فإنّ قومه[7] رُحَماء، وإنّ أرضه[8] مباركةٌ، وللعبادة[9] فيه أجرٌ كبير[10]»[11].

وروى الإمام أبو بكر الحافظ بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (خُلِقَتِ[12] الدّنيا على صورة[13] الطّائر برأسِهِ وصدرِهِ وجناحَيْهِ وذَنَبِهِ؛ فالرّأس مكّةُ والمدينة واليمن[14]، والصَّدْر مِصْر والشّام، والجناح الأيمن العراق، وخَلْفَ العراق أُمّةٌ يُقال لها: واق، وخلف واقٍ[15] أُمّةٌ يُقال لها: وَقْواق[16]، وخَلْفَ ذلك ما لا يعلمُهُ إلّا الله

---

(١) ذكره صاحب نثر الدّرّ المكنون: ٣٨.

(٢) في (أ، ج): «ترجع».

(٣) في (ب، هـ): «فإليها».

(٤) في (د): «نحو اليمن».

(٥) في (ب، هـ): «العزلة فيه» وبقيّة النّسخ: «... فيه»، وثمة تحشية في (د): «العزلة».

(٦) ذكره صاحب نثر الدّرّ المكنون: ٣٨.

(٧) في (ج) كتب فوق كلمة: «قومه» كلمة «أهله».

(٨) في (ب، هـ): «وأرضه».

(٩) مطموسة بـ(الأمّ) وأثبتت عن بقيّة النّسخ.

(١٠) في (أ): «كثير».

(١١) ذكره صاحب نثر الدّرّ المكنون: ٣٨.

(١٢) ثمّة طمس بـ(الأمّ) بقدر كلمتين بفعل التّرميم البدائيّ، وأثبتّنا عن بقيّة النّسخ.

(١٣) في (ج): «صفة».

(١٤) ثمة طمس بـ(الأمّ) بقدر كلمتين، وأثبتنا عن بقيّة النّسخ.

(١٥) في (ب، هـ): «وخلف ذلك أمة».

(١٦) في (د): «واق الواق».

عزّ وجلّ، والجناح الأيسر السِّنْد، وخلف السِّنْدِ الهندُ، وخلف الهندِ[١] أمّةٌ يُقال لها: ناسك[٢]، وخلف ناسك أُمّة يُقال لها: منسك، وخلف ذلك أُمَمٌ مما[٣] لا يعلمها إلا الله تعالى؛ والذَّنَب[٤] من ذواتِ الحَمام إلى مغرب الشّمس، وشرُّ ما في الطّائر[٥] الذَّنَب).

ورُوِي عنِ ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه قال: (لمّا نادى إبراهيم عليه السّلام بالحَجّ أجابَهُ كلّ مَنْ حَجّ هذا البيت مِنْ بعده[٦] إلى يوم القيامة مِنْ أصلاب آبائهم وبُطُون أمّهاتهم، فقالوا[٧]: لبَّيك اللّهمّ لبَّيك؛ فالتَّلْبية[٨] جوابٌ لِنِداء[٩] إبراهيم عليه السلام، فمن أجابَهُ مرّةً حجّ مرّة، ومَنْ أجابه عشراً حجّ عشراً، وكان أكثر النّاس إجابةً أهل اليمن)[١٠].

ورَوَى الأَزْرقيُّ في كتاب[١١] (أخبار مكّة)[١٢][١أ]: أنّ إبراهيم الخليل استقبلَ الجهاتِ الأربعَ في ندائه، وأنّه بَدَأ[١٣] بجهة اليمن.

ورَوَى الإمام أبو الشّيخ[١٤] بإسناده، عن ابن عُمَر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) في (ج) سقط: «وخلف الهندِ».

(٢) في (د): «ناسك، ذوات الحمام وخلف ذلك ما لا يعلمه إلا الله، والذنب ...»، وثمة حاشية للناسخ بها: «هذه الرواية من الخرافات، ولم يعرف السياح في العصر الأخير لا الواق ولا واق الواق».

(٣) قوله: «مما» سقط في (ب، ج، ه)

(٤) في (ب، ه): «والدنيا».

(٥) في بقيّة النّسخ: «الطير».

(٦) في (أ): «من خلفه» وسقط من (ب، ه): «من بعده».

(٧) في (ج): «وقال».

(٨) في (د): «والتلبية».

(٩) في (ج): «الدعاء».

(١٠) فتح الباري: ٣/٤٠٩، باختلاف.

(١١) في (د): «كتابه».

(١٢) أخبار مكة: ١/٤٦، بتصرّف.

(١٣) في (ج): «وابتدأ».

(١٤) أبو الشّيخ، عبد الله بن محمّد بن جعفر بن حِبّان الأصبهانيّ (٣٦٩هـ)؛ الأعلام: ٤/١٢٠.

«لا تَسُبُّوا أهلَ اليمن[١]، فإنّهم زَيْنُ[٢] الحاجِّ»[٣].

وفي رواية أخرى عن ابن عُمَر رضي الله عنهما: قال[٤]: لا تَسُبُّوا أهل اليمن فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «زَيْنُ الحاجّ أهلُ اليمن».

ورُوِي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَوْتادُ الأرض من أُمَّتي أَبْدالُ الشّام، وعُصَب[٥] اليمن أربعون صِدِّيقاً لا يموت منهم أحدٌ إلّا أُبْدِل[٦] مكانَهُ مثلُهُ»[٧].

ورَوَى الإمام الحافظ أبو الشّيخ بإسنادٍ[٨]، عن أحمد بن أبي[٩] الحَواريّ، عن أبي سليمان أنه قال: الأَبْدال بالشّام[١٠] والنُّجَباء بمِصْر، والعُصَب[١١] باليمن، والأَخْيار بالعراق[١٢].

ورُوِيَ أنّ رسول الله[١٣] ﷺ لـمّا خرج من مكّة إلى الطّائف يُريدُ النُّصرةَ من ثَقِيف على أهل مكّة، فأقام عندهم ما شاء الله، ثمّ رجع يريد مكّة، وقد يَئِسَ[١٤] من خير ثَقِيف، فلمّا[١٥]

---

(١) في (ب، هـ): «فإني سمعت...».

(٢) في (أ): «يزينوا».

(٣) المعجم الأوسط: ١٦٣/٤، ورقمه: ٣٨٧٣.

(٤) بقيّة النّسخ: «أنه قال».

(٥) في (د): «وعصبة أهل».

(٦) في (أ، هـ): «... يموت أحد إلا أبدل الله ...» ونحوه في (ب، هـ) وفيهما أيضاً: «بدل» وفي (د): «وأبدل».

(٧) تاريخ دمشق: ٤٣٥/٢٦.

(٨) بقيّة النّسخ: «بإسناده».

(٩) في (ب، ج، هـ): « ... بن الحواري»، وإنّما هو أحمد بن أبي الحَواريّ؛ انظر توضيح المشتبه: ٣٧٧/٣.

(١٠) في (د): «في الشام». والأبدال: قومٌ من الصّالحين يُقيم الله بهم الأرض.

(١١) في (أ): «والقطب» وفي (ب، د، هـ): «والصديقون». والعُصَب: جمع العُصْبة.

(١٢) ذكره صاحب نثر الدّرّ المكنون: ٣٧.

(١٣) في (ج): «أن النبي» وفي (د): «عن ...».

(١٤) في (ب، هـ): «ويئس».

(١٥) في (ب، هـ): «ولما».

كان بنَخْلَةَ(١) يُصلِّي في جوف اللّيل، مَرَّ به(٢) نفرٌ من الجِنّ، وهو يتلو(٣) القرآن، فرَقَّتْ له قلوبُهُم، فأسلموا، فأنزل الله فيهم(٤): ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن] إلى آخر القصّة(٥).

قال الجَنَديّ، عن الرّازي: إنّهم(٦) من قريةٍ منَ اليمن يقال لها: نَصِيْبِين(٧)، والله أعلم(٨).

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ عامله الله بإحسانه: ومِنَ المنسوب إلى اليمن: الرُّكْن اليَماني، ورِيْح الجنوب.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مَرَرْتُ بالرّكْن اليماني إلّا وعنده ملكٌ يُنادي يقول(٩): آمين آمين، فإذا مَرَرْتُم فقولوا: اللّهمّ ربَّنا آتِنا في الدّنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذاب النّار»(١٠).

وروى الآجُرّيّ بإسناده عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ(١١) قال: «وَكَّل الله به

---

(١) نَخْلَة: موضع على ليلة من مكّة، وإليها يُنسب بطن نخلة، وهي الّتي ورد فيها الحديث ليلة الجنّ، وقال ابن ولّاد: هما نخلة الشّاميّة ونخلة اليمانية ...؛ قاله البكريّ: ١٣٠٤/٤، وانظر: معجم البلدان: ٢٧٧/٥؛ وانظر الخبر في السّيرة النّبويّة: ٤٢١-٤٢٢.

(٢) في (أ): «فأقام يصلي ... فمر به» وفي (ب، ج): «قام يصلي ... فمر به» وفي (د): «قام يصلي بجوف فمر به».

(٣) في (ب، هـ): «يقرأ».

(٤) في (ج): «إليهم».

(٥) قوله: «إلى آخر القصة» ليس في (ج)؛ السيرة النبوية: ٢٦٩/٢.

(٦) في (ج): «إنها».

(٧) كذا بتاريخ مدينة صنعاء: ٢٨٧، و(نصيبين) اسمٌ لمواضعَ كثيرةٍ ببلاد الشّام؛ انظر معجم البلدان: ٢٨٨/٥.

(٨) ثمة حاشية للناسخ في (د) بها: «المشهور أن نصيبين من الشام» وقوله: «والله أعلم» ليس في (ج). والخبر في السّلوك: ٧٤/١.

(٩) في (ب، هـ): «ينادي: آمين آمين، فإذا مررتم به فقولوا: ربنا ...».

(١٠) شعب الإيمان: ٤٥٣/٣، ورقمه: ٤٠٤٦.

(١١) في (د): «وكل ... بالركن اليماني قال: فمن ...».

سبعين ألفَ ملكٍ[١] -يعني الرُّكْن اليماني- فمَنْ قال: أسألُكَ العفوَ والعافية، ربَّنا آتِنا في الدّنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنا عذاب النّار، قالوا: آمين آمين»[٢].

وذكر الشّيخ أبو جعفر محمّد بن[٣] عبد الله الكِسائيّ في كتابه (عجائب الملكوت): أنّ النّبيّ ﷺ قال: «رِيْح الجَنوب من ريح الجنّة، ومنها خلق الله الخيل العِراب، وهي الرِّياح اللَّواقِح»[٤].

وعن وَهْب بن مُنبِّه أنّه قال: لَمّا أراد الله أن يخلق[٥] الخيل، قال للرّيح الجَنوب: إنّي خالقٌ منكِ خَلْقاً أجعله عزًّا لأوليائي ومَذَلَّةً لأعدائي، وإجلالاً لأهل طاعتي، فقَبَض قَبْضةً من ريح الجَنوب فخلق[٦] منها فَرَساً، وقال: سَمَّيْتُك فَرَساً وجعلتك تطيرُ[٧] بلا جَناحين، فأنت المَطْلَب وإليك المَهْرب.

واختلف العلماء في تَسْمية الشّام بالشّام، واليَمَن باليَمَن، فقال جمهورُ العلماء: اليمن اسمٌ لولد قَحْطان بن الهَمَيْسع بن تَيْمن بن نابت[٨] بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام[٩]، وبهم سُمِّيتِ النّاحية الّتي سكنوها كما سُمِّي كثيرٌ منَ البلدان بأسماء من سكنها، كالشَّوافي وبَعْدان وذُؤالة ولِعْسان وقُفاعَة[١٠] وشَرْعَب ووُحاظَة ويَحْصِب[١١].

---

(١) في (ب، هـ): «سبعين ملكاً».

(٢) سنن ابن ماجه: ٢/٩٨٥، ورقمه: ٢٩٥٧.

(٣) في (هـ): «أبو».

(٤) كنز العمال: ٣/٦٠٢، ورقمه: ٨١١٧، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٨/١٥٤، ورقمه: ٣٦٥٢.

(٥) في (د): «... الله خَلْق ...» وفي (ب، هـ): «يخلق الخيل العراب ...»

(٦) في (د): «فخلق الله ...».

(٧) في (ج، د): «تطيرين».

(٨) في (ج): «ثابت»، وإنّما هو «نَبْت» انظر نسب معدّ واليمن: ١/٥٩-٦٠، ونسب عدنان وقحطان: ٥٩.

(٩) ورد بعده في (ب، د، هـ): «سموا بأبيهم الأكبر وهو تيمن بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام».

(١٠) في (ب): «ودفاعة»، وإنّما هي القُفاعَة؛ انظر صفة جزيرة العرب: ٧٤، ومعجم البلدان: ٤/٣٨٠.

(١١) معجم البلدان: ٥/٤٣١، وصفة جزيرة العرب: ١٠١، ١٣٥، ٢٠٩، ٢٤٠، وفيه: «يحضب». وفي الأنساب للسَّمعاني =

قالوا: وسُمِّي الشّام شاماً[١] لشامات سُودٍ وبِيْض في أرضه، وذلك لاختلاف التُّرب والبُقَع، وهذا قول ابن الكَلْبيّ وطائفةٍ منَ العلماء.

وقال آخرون: سُمِّي الشّام شاماً لشُؤمِهِ، وسُمِّي اليمن يَمَناً ليُمْنِهِ، وهذا القول يُعْزَى إلى قُطْرُب النَّحْوي وطائفةٍ آخرين[٢][١ب].

وقيل: سُمِّي اليمن يَمَناً؛ لأنّه عن يمين الكعبة، ويمين الكعبة[٣] رُكْناها الأيْمنان، وهما: الرُّكْن اليماني وركن الحَجَر الأسود؛ وقيل[٤]: الرُّكْنان المُكْتَنِفان للمِيْزاب؛ بدليل أنّك إذا استقبلت إنساناً فالّذي يقابل يمينَكَ هو شمالُهُ[٥]، والّذي يقابل شمالَكَ هو يمينُهُ[٦]، وكذلك الكعبة، إذا استقبلها إنسانٌ، فالّذي يقابل يمينَهُ هو شمالُ الكعبة، والّذي يقابلُ شمالَهُ هو يمينُ الكعبة[٧].

قالوا: وسُمِّي الشّام شاماً؛ لأنّه عن شمال الكعبة، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾[الواقعة].

قالوا: وسُمِّي الحِجاز حجازاً؛ لأنّه حَجَزَ بين الشّام واليمن، والله أعلم.

قال: واليمنُ يَمَنان يمنٌ أعلى ويمنٌ أسفل؛ فأمّا اليمن الأعلى فقَصَبَتُهُ صنعاء، وهي

= (٤٨٣/١٣): «اليَحْصِبيّ، بفتح الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، وسكون الحاء المهملة وكسر الصّاد المهملة، وقيل بضمّ الصّاد وهو أشهر». وفي التّاج (ح ص ب) الصّاد مثلّثة.

(١) في (ب): «... لشؤمه، ويسمى اليمن ...».

(٢) في (د): «أخرى».

(٣) قوله: «ويمين الكعبة» ليست في (ج).

(٤) في (أ): «... الأسود وشماليها الركنان ...» ونحوه في (ب، ج، هـ) وفيها أيضاً: «... وشماليها» وفي (د): «ويقال».

(٥) في (د): «هو يساره» في (ب، هـ): «يمينك يساره».

(٦) في (ب، هـ): «شمالك يمينه» بإسقاط «هو».

(٧) في (ب، هـ): «يمين الكعبة، قال الله تعالى: ...».

إحدى جِنان الأرض[١] لما رُوِي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ثلاثُ جنّات[٢] في الدّنيا: مَرْو من خُراسان، ودمشق من الشّام، وصنعاء من اليمن، وجنّة هذه الجِنان صنعاء» ذكره في (تاريخ صنعاء)[٣].

وعن بعض العلماء قال: جِنان الدّنيا أربعُ: غوطة دمشق، وشِعْب بَوّان، وصَعِيد[٤] سَمَرْقَنْد، وصنعاء اليمن.

ويقال: أوّل[٥] بُنْيان رفع على وجه الأرض بعد الطُّوفان مسجد صنعاء، وقيل: أوّل[٦] حَجَرٍ وُضِع على حجرٍ بعد الكعبة حَرّان[٧] من أرض[٨] الجزيرة، وكان الّذي عَمَرَها نوح عليه السلام، ثمّ بعدها غُمْدان[٩] بصنعاء، وكان الّذي عَمَرَهُ سام بن نوح عليه السلام.

وعن وَهْب بن مُنَبِّه قال: لمّا توفِّي نوح عليه السلام سار سام بن نوح في الأرض يَرْتاد مكاناً طيِّباً أطيبَ ما فيها، فأقبل طالعاً في الجَنوب إلى أن صار إلى الإقليم الأوّل، فوجد اليمنَ أَطْيَبَهُ[١٠] سُكنى، وارتاد اليمن فوجد حَقْلَ صنعاء أطيبَهُ، فبَنَى صنعاء اليمن[١١]، ثمّ أَسَّسَ غُمْدان واحْتَفَر بئرَهُ، وهي الّتي[١٢] تُسَمَّى بئرَ كَرامة، وهي مقابلة لأوّل بابٍ من

---

(١) في (ج): «الأرض الأربع، وذلك ما روي ...».

(٢) في (أ، ب، هـ): «جنان».

(٣) قوله: «ذكره في تاريخ صنعاء» ليس في (ج)؛ وانظر الخبر في تاريخ مدينة صنعاء: ٢٣٧.

(٤) في (ب، هـ): «صعيدة» والكلمة غير معجمة وتحتمل وجوهاً.

(٥) في (ب، هـ): «إن أول».

(٦) في (ب، هـ): «إن أول».

(٧) في (ج): «جران» مصحّفاً، وإنما هو حَرّان؛ انظر معجم ما استعجم: ١/٤٣٥، ومعجم البلدان: ٢/٢٣٥.

(٨) في (الأمّ): «الأرض».

(٩) في (ج): «قصر غمدان» وفي (د): «ثم من بعدها قصر غمدان».

(١٠) في (أ): «طيبة».

(١١) في (ب، هـ): «فبنى صنعاء، ثم».

(١٢) في (د): «الذي».

أبواب المسجد الجامع من ناحية الشَّرْق، وماؤها اليوم أُجاجٌ.

واختلفتِ[١] الأقوالُ في سَمْك غُمْدان بعد أن زاد فيه التَّبابعةُ من ملوك حِمْير، وكان من المباني العجيبة، فأَصَحُّ[٢] ما قِيْل فيه: أنَّه عشرون سقفاً بين كلِّ سقفين عشرون[٣] ذراعاً، وقيل: عشرة أذرع. وفي رأسه غرفةٌ من زجاج طولها اثنا عشر ذراعاً، وعرضها كذلك، فكان يَنْبَسِط[٤] ظلُّهُ على[٥] ثلاثة فراسخ؛ الفرسخ: ثلاثة أميال؛ المِيْل ثلاثة آلاف خطوة؛ الخطوة ذراعان.

وكان إذا أُسْرِج فيه الشَّمْع[٦] يَراهُ النَّاظر مثلَ النَّجْم الزَّاهر، ولم يزلْ قائم العِمارة إلى أن هدمَهُ فَرْوة بن مُسَيْك المُراديّ بأمر رسول الله ﷺ.

وقيل: هدمَهُ[٧] في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وقيل: في خلافة عُمَر، وقيل: في خلافة عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

ورَوَى[٨] ابنُ عبد المجيد في كتابه (بهجة الزّمن في أخبار اليمن)[٩]: أنَّ دُوْر[١٠] صنعاء بلغتْ مئةً وعشرين ألف دار، وكانت مساجدُها ثلاثةَ عشرَ ألف مسجد، وحمّاماتها كذلك. قالوا: وعدّوا مساكن القطيع فبلغت سبعين ألف مسكن؛ والقطيع رُبْعها. قال:

---

(١) في (أ، ج): «واختلف».

(٢) في (أ): «فأوضح».

(٣) في (د): «عشرة أذرع، وفي رأسه».

(٤) قوله: «ينسبط» من دون إعجام في المخطوط، وتحتمل أن تكون: «يبسط أو بسط».

(٥) في (ج): «ظله ثلاثة» بإسقاط «على» وفي (د): «فكان بناؤها على ...».

(٦) في (ج): «الشمعة» وفي (د): «فيه الليل الشمع يرى الناظر فيه مثل».

(٧) في (ب، د، هـ): «هدم».

(٨) في (أ): «وذكر».

(٩) بهجة الزمن: ١٩.

(١٠) في (ب، هـ): «أديار».

ثمّ تَلاشَتْ في أيّام أحمد[١] بن قيس بن الضّحّاك، وذلك في سنة ثمانين وثلاث مئة[٢أ] للهجرة، وكانت ألف دارٍ وأربعين داراً[٢].

قال المُصَنِّفُ أَيَّدَهُ اللهُ: وقد أثبتُّ في هذا الباب ذِكْرَ ملوك **اليمن الأعلى** وما آل إليه أمرهم منَ الملوك والعُمّال والأئمّة في عشرة فصول[٣].

وأمّا اليمن الأسفل فقَصَبَتُهُ مدينة زَبِيْد، وهي إحدى البِقاع المُقَدَّسات المَرْحُومات.

ورَوَى[٤] الحسنُ بن أحمد بن يعقوب الهَمْدانيّ عن مشايخِهِ عن كعب الأَحْبار عَمَّنْ أدركَهُ[٥] من أصحاب شِقٍّ وسَطِيْح الكاهنين: أنّ في اليمن أربعَ بِقاعٍ مُقَدَّسات -أو قال: مرحومات[٦]- وهي الكَثِيْب[٧] الأَبْيَض والجَنَد[٨]، ومارِب وزَبِيْد[٩].

ورُوِي عن رسول الله ﷺ أنّه لَمّا قَدِم[١٠] الأشعريّون منَ اليمن قال[١١]: «مِنْ أين

---

(١) في (ب، هـ): «أيام قيس ...».

(٢) بهجة الزمن: ١٩-٢٠، وبعض الخبر في تاريخ مدينة صنعاء: ١٦٠.

(٣) في (أ): «الأئمة في فصول».

(٤) قوله: «وروى» ليست في (ج).

(٥) في (د): «أدرك».

(٦) في (أ): «مقدسات أو مرحومات».

(٧) في (ج): «الكتف».

(٨) قوله: «والجند» ليست في (ب، هـ).

(٩) الإكليل: ١١٨/٨، بتصرف، وفيه: « قال الهَمْدانيّ: ذكر بعض حمير عن أسلافه عن كعب الأحبار: أنّه أدرك من لقي من عشيرته سَطيحاً وخبّره أعقاب مَن لقي شَقًّا الكاهن أنّهما: سُئلا عن كثيرٍ من أخبار اليمن فخبّرا بأحداثٍ تكون فيها كثيرة؛ منها أنّهما قالا: باليمن بقاعٌ منها أربع مقدّسة -أو قال: أربع مرحومة- وأربع مرحومة أو مشؤومة، وثمانية كنوز: فالبقاع المرحومة مِراء معين (لعلّه أبين وفيه الكثيب الأبيض وهو رباط يخرج إليه النّاس إلى عصرنا هذا) والجند ومأرب وهكر زبيد».

(١٠) في (أ، ج، هـ): «أنه قال لما قدم».

(١١) في (ب، ج، د، هـ): «قال لهم».

جئتم؟ قالوا: من زَبِيْد. قال: بارك الله في زَبِيْد. قالوا: وفي رِمَع[١]. قال: بارك الله في زَبِيْد. قالوا: وفي رِمَع. قال: بارك الله في زَبِيْد. قالوا: وفي رِمَع. قال: وفي رِمَع»[٢]؛ قالها ثلاثاً في زَبِيْد ومرّة في رِمَع. وقد رَوَى هذا الحديث الإمام أبو بكر بن الحسين البَيْهَقيّ في كتابه[٣] (دلائل النُّبُوَّة)[٤].

قلتُ: والبركة في زَبِيْد ظاهرةٌ لا شكَّ فيها؛ وذلك لدعاء رسول الله ﷺ بالبركة[٥]، وقد أَفْرَدْتُ لزَبِيْد باباً[٦] مُسْتَقِلًّا فيه ذِكْر ملوكها ووزرائها وأَعْيانها[٧] وأُمَرائها وهو خاتمةُ الأبواب، وبتمامه يتمّ الكتاب، إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق[٨].

---

(١) في (ب، هـ): «وفي رمع قالها ثلاثاً ...» وأسقط بقية الحديث.

(٢) في (ج) كرر لفظة: «بارك الله في زبيد» أربع مرات. وذكر الأثر صاحب نثر الدرّ المكنون: ٤٥

(٣) في (ب، هـ): «في دلائل ....» وفي (ج): «في كتاب».

(٤) دلائل النبوة: ٢٩٨/٦، ومصنف عبد الرزاق: ١٠٧/٢، ورقمه: ٤٩٤.

(٥) في (ب، د، هـ): «فيه بالبركة».

(٦) في (ج): «أفردت له باباً مستقبلاً».

(٧) قوله: «وأعيانها» ليست في (ج).

(٨) قوله: «وبالله التوفيق» ليست في (ج).

الفصل الثّاني
في ذِكْر إسلام أهل اليَمَن
وذِكْر عُمّال رسول الله، ﷺ، فِيْهِ[(١)]

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ عفا الله عنه: أجمع العلماء قاطبةً على أنّ كافّة أهل اليمن أسلموا على عهدِ رسول الله ﷺ، وقد تقدَّم في صدر كتابِنا هذا، أنّ رسول الله ﷺ بعث رُسُلَهُ إلى النّواحي في سنة سبعٍ منَ الهجرة، فبعث المُهاجرَ بنَ أبي[(٢)] أُمَيَّة المَخْزوميّ إلى الحارث بن [عبد] كُلال[(٣)] الحِمْيَريّ ملكِ اليمن يومئذٍ، يدعوه وقومَهُ إلى الإسلام[(٤)]، فأسلم وأسلموا.

وقيل: إنّ أوّل مَنْ بعثَهُ[(٥)] رسولُ الله ﷺ إلى اليمن[(٦)] وَبْر بن يُحَنِّس الخُزاعيّ - وقيل: الأنصاريّ- بعثه إلى صنعاء، وذلك بعد موت باذان؛ فأنزله داذَوَيْهِ[(٧)] في كنيسة صنعاء اليمن الّتي[(٨)] عند امرأته أُمّ سعيد البُرْزُجِيَّة[(٩)]، فقرأ عليها وَبْر بن يُحَنِّس القرآن[(١٠)]

---

(١) قوله: «فيه» أخلت بها بقيّة النّسخ.

(٢) في (ج): «بن أمية».

(٣) في (الأمّ): «الحارث بن كلال»، وما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ؛ وانظر شعراء حمير: ١/ ١٨٠.

(٤) في (د): «يدعوه وقوله إلى الإسلام يومئذٍ».

(٥) في (ج، د): «وقيل: بعث ...».

(٦) قوله: «إلى اليمن» ليست في (ب، هـ).

(٧) في (الأمّ): «ذادويه» وإنّما المعروف في أسمائهم ما أُثبت.

(٨) قوله: «اليمن» ليست في (أ، ج، د) وفي (ب، هـ): «في صنعاء التي».

(٩) في (الأمّ): «البرزخية» مصحّفاً، وإنّما هي البُرْزُجِيّة، ووالدها هو النّعمان بن بُزُرْج اليماني؛ انظر أسد الغابة: ٥/ ٣٢٦، والإصابة: ٣/ ٢٩٢٨-٢٩٢٩.

(١٠) في (ب، هـ): «الكتاب».

فأسلمت وحَسُنَ إسلامُها، فكانت أوَّل مَنْ أسلم من أهل اليمن باليمن[١]، وتعلَّمتِ القرآن وصَلَّت في منزلها.

ثمّ فَشا الإسلام في اليمن، فهاجر فَرْوة بن مُسَيك المُراديّ إلى رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كِنْدة ومباعداً لهم، فاستعمله رسول الله ﷺ على مُراد ومَذْحِج وزُبَيد كلِّها، فقال لرسول ﷺ: إنِّي امرؤٌ شريف وإنِّي في بيتٍ من قومي وعُدَدِهم، أفأُقاتلُ من أدْبَرَ من قومي ممَّن أقبل؟ قال: نعم. فخرج فَرْوة منَ المدينة يريد اليمن حتّى إذا سار يوماً وليلة نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فأمره ونهاهُ، فسأل رسولِ الله ﷺ عن فَرْوة فقيل له: إِنَّهُ قد سار[٢] إلى بلاده، فبعث رسول الله ﷺ عُمَرَ بن الخطّاب فلمّا لحقَهُ[٣] قال: إنِّي رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكَ، فقال فَرْوَة: أنا عائذٌ بالله من غضبِهِ، وغضبِ[٤] رسول الله ﷺ.

ورجع مع عُمَر إلى [٢ب] رسول الله ﷺ، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «لا سُخْطَ[٥] عليك إنّك أتيتني وزعمتَ أنّك شريفٌ في قومك، وأنّك في بيتِ قومك وعُدَدِهم[٦]، وسألتني أن تقاتلَ بإجابة من معك مَنْ أدبر من قومك، فأتاني جبريلُ فأمرني ونهاني، فكان فيما أمرني بالرّأفة[٧] بأولاد سَبَأ واللُّطْفِ بهم، والتَّحَنُّنِ عليهم، وأعلمني أنّه يَحْسُنُ إسلامهم، فدَعْ القومَ[٨]، فمنْ أسلم فاقبلْ منهم[٩]، ومن لم يسلم فلا تَعْجَلْ عليه، حتّى أُرسل إليك»[١٠].

---

(١) قوله: «باليمن» ليست في (ب).

(٢) في (ب، هـ): «قالوا ...» وفي (ج، د): «صار».

(٣) في (ب، ج، د، هـ): «في طلبه فلما لحقه».

(٤) في (ب، هـ): «ومن غضب».

(٥) في (أ): «لا اسخط».

(٦) في (ب، هـ): «بيت من قومك» وفي (ج): «وأنا في بيت قومك وأتاني جبريل».

(٧) في (ب، ج، د، هـ): «بالراحة».

(٨) قوله: «فدع القوم» ليست في (ب، هـ).

(٩) بقيّة النّسخ: «منه».

(١٠) ذكره صاحب نثر الدّرّ المكنون: ٣٨-٣٩.

وهاجَرَ إلى رسول الله ﷺ الأَشْعَثُ بن قيس الكِنْديّ في ثمانين راكباً من كِنْدة، ومن زُبَيْد[1] عمرُو بنُ معدي كَرِب الزُّبَيْديّ في عدّةٍ من قومه؛ فأقام هو والأَشْعثُ بن قيس[2] مُسْلِمَيْنِ حياةَ رسول الله ﷺ، ثمّ ارتدَّا بعد موتِهِ، ثمّ أَسْلَما في أيّام أبي بكر ﷺ، وشَهِدا المشاهدَ في أيّامِهِ.

وتزوّج الأشعثُ بنُ قيس أُمَّ فَرْوَة بنتَ أبي[3] قُحافَةَ أختَ أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ، وأَوْلَمَ على عُرْسِها وليمتَهُ المشهورة.

وهاجَرَ إلى رسول الله ﷺ الأَبْيَضُ بن حَمّال[4]، وهو جدُّ بني الكِرَنْديّ[5] ملوك المَعافِر، فأقطعَهُ رسول الله ﷺ[6] مِلْح مارِب. فقال الأَقْرَع بن حابِس التَّمِيْمي: يا رسولَ الله إنِّي[7] قد وَرَدْتُ هذا المِلْحَ في الجاهليّة، وإنّه مثلُ الماء العَذْب مَنْ وَرَدَهُ أَخَذَهُ[8]. فاستقالَ النَّبيُّ ﷺ من أَبْيَض[9] بن حَمّال. فقال: قد أَقَلْتُكَ يا رسولَ الله ﷺ على أن تجعلَهُ مِنّي صدقةً، فقال: هو منك صدقة[10].

وهاجَرَ إلى رسول الله ﷺ الأشعريّون منَ اليمن من وادي زَبِيْد ووادي رِمَع؛ فيهم أبو موسى الأَشْعريّ وأَخَواهُ[11] أبو بُرْدَة وأبو رُهْم، واثنانِ وخمسون رجلاً[12]

---

(١) في (أ): «ومن ذلك من عمرو».

(٢) في (د): «قيس الكندي».

(٣) في (ج): «فروة بن قحافة».

(٤) هو أَبْيَض بن حَمّال بن مَرْثَد، ينتهي نسبه إلى سبأ الأصغر؛ أسد الغابة: ٥٧/١، والإصابة: ١٨/١.

(٥) الكِرَنْديّ: بخفض الكاف وفتح الرّاء وسكون النون ثمّ دال مهملة ثم ياء مثنّاة من تحت؛ كذا ضبطه الجنديّ ضبط عبارة بالسلوك: ٤١٥/٢، وهو كذلك في المستبصر: ٧٢.

(٦) قوله: «وهاجر إلى ... فأقطعه رسول الله» سقط في (ج).

(٧) قوله: «إني» ليست في (ب، هـ).

(٨) في (ب، هـ): «أخذ» وفي (ج): «ورّده» بتشديد الراء.

(٩) بقيّة النّسخ: «الأبيض».

(١٠) سنن ابن ماجه: ٨٢٧/٢، ورقمه: ٢٤٧٥، وقد تصرّف المصنف في الحديث.

(١١) في (ج): «وأخوه».

(١٢) في (أ): «نفراً».

من قومهم، فلَقُوا[١] رسول الله ﷺ حين افتتح خَيْبَر فقسم لهم ولم يقسم لأحدٍ ممّن لم يشهدِ[٢] الفَتح غيرِهم، وقال لهم رسولُ الله ﷺ: «مِنْ أين جئتُمْ؟ قالوا: من زَبِيْد، فقال: بارك الله في زَبِيْد ... الحديث[٣]»[٤].

فلمّا فَشا الإسلام باليمن بعثَ رسول الله ﷺ عمّالَهُ، وهم:

عليُّ بنُ أبي طالب، ومعاذُ بن جبل، وأبو موسى الأَشْعريّ، وخالدُ بنُ الوليد المَخْزوميّ، وزياد بن لَبِيد الأَنْصاريّ، وخالد بن سعيد بن العاص، والطّاهر بن أبي هالَة[٥]، ويَعْلَى بن أُمَيّة[٦]، وعمرو بن حَزْم[٧]، وعُكاشَة بن ثَور[٨]، ومعاوية بن كِنْدة، وجرير بن عبد الله البَجَليّ، وعامر بن شَهْر[٩]، وشَهْر بن باذام.

قال البخاريّ[١٠]: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه، وخالدَ بن الوليد إلى اليمن قبل حِجّة الوَداع، ومع عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: بُرَيْدة الأَسْلَميّ والبَراء بن عازِب، فوصل عليّ بن أبي طالب إلى صنعاء، ثمّ عاد بالهدايا فوافى رسولَ الله ﷺ في حِجّة الوَداع.

---

(١) في (ب): «فأتوا».

(٢) في (ج): «ممن شهد» وهو خطأ.

(٣) قوله: «الحديث» ليست في (ب، ج، د، هـ).

(٤) ذكره صاحب نثر الدّرّ المكنون: ٤٥.

(٥) الاستيعاب: ٢/ ٧٧٥، وهو في أسد الغابة: ٣/ ٧٣، والإصابة: ٢/ ٩٤٢: «طاهر بن أبي هالة».

(٦) في (الأم): «يعلي بن أبي أمية»، وصوابه عن بقيّة النّسخ؛ وانظر: الاستيعاب: ٤/ ١٥٨٥، وأسد الغابة: ٥/ ٥٢٣، والإصابة: ٣/ ٢١٢٣.

(٧) في (ج): «عمر بن حزم»، وإنّما هو عمرو بن حزم بن زيد بن لَوذان الأنصاري؛ الإصابة: ٢/ ١٣٢٤.

(٨) في (ب، د، هـ): «بن أبي ثور»، وإنّما هو عكاشة بن ثور بن أصغر القُرَشيّ؛ انظر الاستيعاب: ٣/ ١٠٨٠، وأسد الغابة: ٤/ ٦٧، والإصابة: ٢/ ١٢٧٧.

(٩) في (الأمّ): «عامر بن شهد» وصوابه عن (ب، ج، د، هـ)؛ وانظر: الاستيعاب: ٢/ ٧٩٢، وأسد الغابة: ٣/ ١٢٦، والإصابة: ٢/ ٩٧٦.

(١٠) صحيح البخاريّ: ٤/ ١٥٨٠.

ورُوِي: أنّ عليّ بن أبي طالب ﵁ لَمّا تجاوز أرض عَكٍّ في تِهامة قاتلوه[1] في حدّ بلادهم من ذُؤال وعَقَرُوا بَغْلَتَهُ[2]، فلذلك سُمِّي الموضع المَعْقِر، ثمّ إنّه هزمهم وقتل منهم جماعةً[3] وأَسَرَ آخرين، وكان في جملة[4] مَنْ أسر زهيرُ بن محمّد[5] بن مالك بن ذُؤال، ثمّ أسلموا وحَسُنَ إسلامُهم[١٣].

وزهير بن محمّد المذكور في الأُسارَى هو جَدٌّ[6] الزُّهَيْرِيّين أصحاب محلّ دلهام[7]، وقد قيل: إنّ عليًّا ﵁ دخل عَدَن أَبْيَن وخَطَبَ على مِنْبَرِها خطبةً بليغةً.

وفي كتاب (الميمون)[8]: أنّ النَّبيّ ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فأقام فيهم ستَّةَ أشهرٍ[9] يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه[10]، ثمّ أنّه بعث عليّ بن أبي طالب ﵁ فلَمّا دنا منهم خرجوا إليه فصلّى بمَنْ معه، ثمّ صَفَّهم[11] صفًّا واحداً، وتقدَّمَ بين أيديهم، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمتْ هَمْدان جميعاً. فكتب عليٌّ إلى رسول الله ﷺ يخبرُهُ بإسلامهم، فلَمّا قرأ النَّبيّ ﷺ الكتاب خرَّ لله

---

(١) في (الأمّ): «وأن قبائل عك قاتلوه» والعبارة غير مستقيمة.

(٢) في (ب، هـ): «ناقته»، والعبارة ركيكة ومضطربة في جميع النّسخ.

(٣) في (ج، د): «طائفة» وقوله: «وأسر آخرين» ليست في (د).

(٤) في (أ): «في جماعة».

(٥) في (أ): « زهير بن محمد المذكور ...».

(٦) في (الأمّ): «وهو جدّ» وفي (ب): «أحد».

(٧) في (ج، د): «ولهام».

(٨) ثمة حاشية في (الأمّ) عرف الناسخ فيها (كتاب الميمون) بقوله: «قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لعبد الرحمن الديبع الشيباني الزبيدي» وهو خطأ، إنما الكتاب لابن أبي الصّيف محمد بن إسماعيل اليمني المتوفى سنة ٦٠٩هـ، واسم الكتاب (الميمون في فضائل أهل اليمن)؛ انظر: العقد الثّمين: ١/ ٤١٥، وكشف الظّنون: ٢/ ١٩١٩.

(٩) قوله: «فأقام فيهم ستة أشهر» ليست في (ب، هـ).

(١٠) بقيّة النّسخ: «يجيبوا».

(١١) في (ب، هـ): «ثم صف صفاً».

ساجداً[١]، ثمّ رفع رأسَهُ ﷺ فقال[٢]: «السّلام على هَمْدان»[٣].

ورُوِي: أنّه بعثَهُ[٤] إلى نَجْران ليجمعَ صدقاتِهم، ويَقْدُمَ عليه[٥] بجِزْيَتِهم.

ورَوَى البَيْهَقيّ[٦] في (دلائل النُّبُوَّة) عن عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثُني وأنا شابٌّ أقضي بينهم، ولا أدري ما القضاء؟ قال: فضربَ بيده على[٧] صدري، وقال: «اللّهُمَّ أَهْدِ قلبه، وثبِّتْ لسانَهُ. فوالّذي فَلَقَ الحَبَّةَ ما شَكَكْتُ بقَضاءٍ[٨] بين اثنين»[٩].

قال ابن هشام[١٠]: وقَدِمَ وَفْدُ هَمْدان على رسول الله ﷺ، معهم[١١] مالك بن نَمَط الهَمْدانيّ أبو ثَور وهو ذو المِشْعار[١٢]، ومالك بن أَيْفَع، وضِمام بن مالك الهَمْدانيّ السَّلْمانيّ[١٣]، وعُمَيْرة بن مالك الخارفيّ[١٤]، فلقوا رسول الله ﷺ في مَرْجِعِهِ من تَبُوك

---

(١) في (أ): «خر ساجداً لله تعالى» وفي (ب، هـ): «كتابه خر ...» وفي (ج): «قرأ رسول الله ... خر ساجداً».

(٢) في (الأمّ): «رأسه رسول فقال» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٣) السّنن الكبرى للبيهقي: ٥١٦/٢، ورقمه: ٣٩٣٢.

(٤) في (ب، ج، د، هـ): «بعث».

(٥) في (أ): «وقدم عليه» في (ج، د): «وتقدم عليهم».

(٦) دلائل النبوة: ٤٩٤/٥، ورقمه: ٢١٣٤.

(٧) بقيّة النّسخ: «في صدري».

(٨) في (ب، د، هـ): «في قضاء».

(٩) سنن ابن ماجه: ٣٦٩/٢، ورقمه: ٣٧٤٧، ومسند أحمد: ٨٣/١، ورقمه: ٦٣٦.

(١٠) السّيرة النّبويّة: ٥٩٧/٢-٥٩٨.

(١١) في (ب، هـ): «منهم» وفي (ج، د): «فيهم».

(١٢) في جميع النّسخ: «وأبو ثور»، وفي (ب، هـ): «وهوذ والمشعال» و(ج): «وهود والإسعار» و(د): «وهود والمسعار»، وإنّما هو أبو ثور ذو المِشْعار، مالك بن نَمَط الهَمْدانيّ؛ الاستيعاب: ١٣٦٠/٣، وأسد الغابة: ٥٠/٥، والإصابة: ١٧٥٩/٣.

(١٣) في (ج، د): «وصمصام»، وفي (د): «السلياني»، وإنّما هو ضِمام السَّلْمانيّ، بكسر الضّاد المعجمة أوّله؛ الإصابة: ٩٢٨/٢، وأسد الغابة: ٥١/٥، وورد ذكره في الاستيعاب في تضاعيف ترجمة مالك بن نَمَط الهَمْدانيّ (١٣٦٠/٣): «صمام».

(١٤) في جميع النّسخ: «الحارثي»، وإنّما هو الخارفيّ نسبةً إلى خارف، وهو مِخْلاف من مَخاليف اليمن لِهَمْدان؛ معجم ما استعجم: ٤٨٣/٢، والاستيعاب: ١٣٦٠/٣، وأسد الغابة: ٥١/٥، والإصابة: ١٧٦٠/٣.

وعليهم مُقَطَّعات الحِبَرات[١] والعمائم العَدَنيّة برِحال المَيْس[٢] على المَهْرِيَّة والأَرْحَبِيَّة؛ ومالك بن نَمَط ورجلٌ آخر يرتجز بهم؛ يقول[٣] أحدهما: (من مشطور الرَّجَز)

هَمْدانُ خَيْرُ سُوْقَةٍ وأَقْيالْ[٤]

لَيْسَ لَهَا في العالَمِيْنَ أَمْثالْ[٥]

مَحَلُّها الهَضْبُ وفِيْها الأَبْطالْ[٦]

لَهَا إِطاباتٌ بِها وآكالْ[٧]

ويقول الآخر[٨]: (من مشطور الرَّجَز)

إِلَيْكَ جَاوَزْنَ سَوادَ الرِّيفِ[٩]

في هَبَواتِ الصَّيْفِ والخَرِيْفِ[١٠]

---

(١) في (ب): «قطعات»، **والمقطَّعات** من الثّياب: القصار. **والحِبَرات**: جمع الحِبَرة والحَبَرة، وهي ضربٌ من برود اليمن.

(٢) في (ج): «بن خال إبليس» وفي (د): «برجال إبليس» وهو تصحيف قبيح. **والمَيْس**: شَجَر تُعْمل منه الرِّحال.

(٣) في (ج): «... نمط وآخر يرتجز ...» وفي (هـ): «... يرتجز يقول أحدهما». وورد الرّجز لمالك بن نمط الهَمْداني في شعر هَمْدان: ٣٧٠؛ والتّخريج ثمّة.

(٤) **السُّوقة**: الرَّعيّة ومَن دون الملك؛ وفي اللّسان (س و ق): وكثير من النّاس يظنّون السّوقة أهل الأسواق. **والأقيال**: جمع القَيْل، وهو الملك من ملوك حمير يقول ما شاء، وقيل: هو دون الملك الأعلى؛ اللسان: (ق و ل).

(٥) في (ج، د): «مثال» مختل الوزن.

(٦) في (د): «ومحلها ...» مختل الوزن. وفي شعر هَمْدان: «... ومنها الأبطال» **والهَضْب** لعلّه أراد جِناب الهَضب؛ وفي اللسان (هـ ض ب): وفي حديث ذي المِشْعار: وأهل جِناب الهَضْب؛ الجِناب، بالكسر: اسم موضع.

(٧) في جميع النسخ: «لها إطات لها..» ولم يتّجه لي معناه، وما أثبت عن شعر هَمْدان، وفيه: «لها إطابات بها وآكال». وفي (هـ): «لها عطايا جمّةٌ وآكال» وهو كذلك في (ب) لكنّه أورده شرحاً للبيت. وفي (ج، د): «والرحال». **والإطابات**، لعلها من قولهم: وأطاب: قدّم طعاماً طيّباً؛ اللّسان: (ط ي ب).

(٨) انظر شعر هَمْدان: ٣٧٠؛ والتّخريج ثمّة.

(٩) في (أ): «جازوت ...».

(١٠) في (الأمّ، ب): في هوات ...»، وصوابه عن بقيّة النّسخ. **والهَبَوات**: واحدتها الهبوة، وهي: غبارٌ ساطعٌ في السّماء كأنّه دُخان؛ اللسان: (هـ ب و).

مُخطّماتٍ بِحِبالِ اللّيفِ[1]

فقام مالك بن نَمَط بين يديْ رسول الله ﷺ، ثمّ قال: يا رسولَ الله نَصِيَّةٌ[2] من هَمْدان من كلِّ حاضرٍ وبادٍ، أتوكَ على قُلُص[3] نواجٍ متّصلة[4] بحبالِ الإسلام، لا تأخذهم في الله لومةَ لائمٍ.

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه[5]: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا كتابٌ من محمّدٍ رسول الله ﷺ لِمِخْلاف خارِف وأهل جَناب الهَضْب وحِقاف الرَّمْل، مع وافِدِها ذي المِشْعار[6] مالك بن نَمَط، ومن أَسْلم مِنْ قومه: على أنّ لهم فِراعَها[7] ووِهاطها ما أقاموا [٣ب] الصّلاة وآتوا الزّكاة، يأكلون علاتها[8]، ويرعون[9] عافيها، لهم بذلك عهدُ الله وذِمامُ رسول الله، وشاهدُهُم المهاجرون والأَنْصار»[10].

وأمّا معاذ بن جبل وأبو موسى الأَشْعريّ فاختلفتِ الرِّوايتان[11] عنهما، فقيل: بُعِثَ

---

(١) حبال اللّيف: أي حبال من النّخل، قال الزَّبيديّ: قال شيخنا: فما كان من غير النّخل لا يُسمّى لِيفاً؛ التّاج: (ل ي ف).

(٢) نصية القوم: سيّدهم؛ أساس البلاغة: (ن ص و).

(٣) قوله: «قلص» ليست في (ج، د).

(٤) في (هـ): «متصلين».

(٥) قوله: «كتاباً فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله» ليست في (ج، د).

(٦) في (الأمّ): «المعشار» وصوابه عن (أ، ج، د، هـ).

(٧) في (ج، د): «فراغها»، والفِراع: الأوديّة. والوِهاط: الأماكن المطمئنّة من الأرض، وواحدتها الوَهْطة.

(٨) في جميع النسخ: «علافها» وقد صحّحه العلّامة مطهّر الإريانيّ، فقال: «والذي صحّ عندي أنّ (علافها) ما هي إلّا كلمة (علاتها) من (علاة) أو (العلاة) الّتي ترد في نقوش المسند ...، ومعناها: ما يزرع في المناطق العالية والمدرّجات الجبليّة، والأماكن المرتفعة، ونسمّيها (المَعلاة)، وهي في مفهومنا تشمل: البُرّ والشّعير والبلسن»؛ المعجم اليمني: ١/٣٧٩.

(٩) في (أ): «ويزرعون».

(١٠) ذكره صاحب نثر الدّرّ المكنون: ٦٦، والسيرة النبوية: ٥/٢٩٨؛ وانظر ما كتبه العلّامة مطهر الإريانيّ عن بعض مفردات الرّسالة في المعجم اليمني: ١/٣٧٦، وما بعدها.

(١١) في (ج): «الروايات».

أوّلاً إلى اليمن[١] أبو موسى الأشعري، ثمّ معاذ. وقيل: بُعِثَا معاً[٢]، وقال رسول الله ﷺ لهما[٣]: «ادعوا النّاس وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وتَطاوَعا ولا تَخْتَلِفا»[٤]، وبعث كلَّ واحدٍ منهما على مِخْلافٍ منَ اليمن.

ولمّا بَعثَ رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: «بِمَ تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنّة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهدُ برأيي. فقال: الحمد لله الّذي وَفَّقَ رسولَ رسولِ الله لِما يرضاه رسولُ الله»[٥]، ولا يبعثُ رسول الله ﷺ للقضاء إلا عالماً[٦].

وكان معاذ بن جبل مِن أَفْقَهِ أصحاب رسول الله ﷺ، وهو معدودٌ في أكابر الصّحابة رضي الله عنهم[٧]، وقال فيه رسولُ الله ﷺ: «أعلمُ أُمَّتي بالحلال والحرام معاذُ بن جبل»[٨].

ولمّا خطب عمرُ بالجابِية قال: مَنْ أراد الفقهَ فليأتِ مُعاذاً. وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا تحدّثوا، وهو فيهم، نظروا إليه هيبةً له.

ويُرْوَى: أنّه كان يوماً جالساً عند عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه في جماعةٍ منَ الصّحابة رضي الله عنهم، إذ رَفَعَ رجلٌ امرأتَهُ إلى عُمَر، فقال: يا أمير المؤمنين غِبْتُ عن زوجتي هذه سنتين

---

(١) في (ج): «بعث إلى اليمن أولاً إلى اليمن ...» وفي (د، هـ): «بَعَثَ... أبا موسى».

(٢) في (ج، د، هـ): «بَعَثَ معاذاً».

(٣) في (ج، د، هـ): «وقال لهما ...».

(٤) صحيح البخاري: ٣/١١٠٤، ورقمه: ٢٨٧٣، وصحيح مسلم: ٣/١٣٥٩، ورقمه: ١٧٣٣؛ قوله: «ادعوا الناس» ليس في صحيح البخاري.

(٥) ذكره صاحب نشر الدّرّ المكنون: ٧٨.

(٦) في (ج): «عالماً به».

(٧) في (هـ): «الصحابة إذا تحدثوا ...» بإسقاط ما بين لفظ الصحابة الأول والثاني، وهو سهو نظر.

(٨) ذكره صاحب نشر الدّرّ المكنون: ٧٩.

وهي حائل[١]، ثم جئتُ وهي حامل.

فاسْتَشار[٢] في رَجْمِها، فقال له معاذ: إن كان ذلك عليها فما لَكَ على ما في بطنها[٣] من سبيل، دَعْها حتّى تضع فلمّا وضعت بعد أيّام عرف زوجُها شَبَهَ الولد، فقال: ابني، وربِّ الكعبة. فقال عُمَر رضي الله عنه حينئذٍ[٤]: عَجِز النّساء أنْ يَلِدْنَ مثلَ مُعاذ، لولا معاذٌ لهَلَكَ عُمَر.

ورَوَى البَيْهقيّ في (دلائل النُّبوَّة)[٥]: عن عاصم بن حُميد[٦] السَّكونيّ: أن معاذ بن جبل لما بعثَهُ رسول الله ﷺ خرج راكباً[٧] ورسول الله ﷺ يمشي إلى جنب راحلتِهِ.

ورُوِي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم بالمدينة[٨]، ثمّ أقبل علينا بوجهه الكريم صلوات الله عليه وسلامه، فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار من يَغْتَرِب منكم إلى اليمن؟» فقام أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه فقال[٩]: أنا لها يا رسول الله، فِداك أبي وأمّي. ثمّ عاد الثّانية، فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار من يغترب منكم إلى اليمن؟» فقام عُمَر رضي الله عنه فقال: أنا لها يا رسول الله، فِداك أبي وأُمّي. ثمّ عاد الثّالثة، فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، من يغترب منكم إلى اليمن؟»، فقام مُعاذ بن جبل الأَنْصاريّ فقال: أنا لها يا رسول الله، أنا لها. فقال رسول الله ﷺ[٤أ]: «نعم أنتَ، وهي لك».

---

(١) في (أ، ج، د): «حايم» محرّفاً، والحائل: من قولهم: حالتِ النّاقة والفرس والنّخلة والمرأة والشّاة وغيرُهُنّ، إذا لم تَحمل؛ اللّسان: (ح و ل).

(٢) في (ج، د، هـ): «فاستشار عُمرُ ...».

(٣) في (ب): «على بطنها»، وهي كذلك ب(الأمّ)، إلا أنه كتب فوقها «ما في» بخطٍ صغير.

(٤) قوله: «حينئذٍ» ليست في (ب).

(٥) دلائل النبوة: ٥/٤٠٤.

(٦) في (هـ): «عاصم بن أحمد».

(٧) في (ج، د): «بعثه رسول الله إلى اليمن خرج راكباً».

(٨) قوله: «بالمدينة» ليست في (ج) وفي (هـ): «ذات يوم إلى راحلته، ثم ...»، وهو تحريف.

(٩) في (د): «فقال أبو بكر أنا لها».

ثمّ التفت فقال: «يا بلال ائتني بعِمامةٍ من عند فاطمة، فأتاهُ بلالٌ بعِمامته فسَدَلَها على رأس معاذٍ بيدِهِ[١]، ثمّ أقبل على معاذ يوصيه، فقال له: يا معاذ، أوصيك بتقوى الله، وأَداء الأمانة، وتَوَقِّي الخيانة، وعليك بِحُسْن الخُلُق، يا معاذ، جالِسِ المساكين والفقراء، وكُنْ لليتيم كالأبِ الرّحيم، وللأَرْمَلة كالزَّوجِ الصّالح. يا معاذ، عَلِّمِ الجاهل الخير وَأْمُر بالمعروف وانْهَ عنِ المنكر، واصْبِر على ما أصابك، ولا تأخذك في الله لومة لائم. يا معاذ، يَسِّر ولا تُعَسِّر، فإنِّي أعلم أنّك لا تلقاني إلى يوم القيامة. فبكى معاذٌ بكاءً شديداً، فقال: ما يُبْكيك؟ قال: أبكي لِفِراقك يا رسول الله، بأبي أنت وأُمِّي. فقال: لا تَبْكِ، فإنّ البكاء فتنة»[٢].

وقيل: إنّ رسول الله ﷺ كتبَ له كتاباً إلى ملوك حِمْير وإلى السَّكاسك؛ وهم أهل مِخْلاف الجَنَد، وكانت رئاستهم إلى قوم منهم، يُقال لهم: بنو الأَسْنُود[٣] وأمرهم بإعانته على بناء مسجد الجَنَد[٤]، ووعد مَنْ أعانه على ذلك خيراً.

ثمّ قال: «يا معاذ، إذا قدمت عليهم فزَيِّنِ الإسلام بعَدْلِك، وحِلْمِك، وصَفْحِك، وعَفْوِك، وحُسْنِ خُلُقِك، فإنّ النّاس ناظرون إليك وقائلون: خِيْرَةُ رسول الله ﷺ، فلا تُرَ لك[٥] سَقْطَةٌ يَسْتَرِيْبُ بها أحدٌ في حُكْمِك[٦] وعِلْمِك وعَدْلِك، فإنّ الرسولَ[٧] من المرسلين. يا معاذ، أوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ وصِدْق الحديث، ووفاء العَهْد، وأداء

---

(١) في (د): «بيده الشريفة».

(٢) ذكره صاحب نثر الدرّ المكنون: ٧٨؛ على أن ثمة تقديماً وتأخيراً وسقطاً يسيراً في بقيّة النّسخ، من ذلك أنه لم يرد في (ج، هـ) ذكر لسيدنا عمر رضي الله عنه.

(٣) في (د، هـ): «الأسود».

(٤) في (ج، د، هـ): «بناء المسجد».

(٥) على أن الرسم يعين على قراءة قوله: «فلا تُرَ لك» قراءة أخرى هي: «تُذِلّك».

(٦) في (أ، ب، ج، د): «حلمك» مع تقديم وتأخير في المفردتين بعدها وخلو (أ) من قوله: «علمك».

(٧) في (أ، ج، د، هـ): «الرسل».

الأمانة، وتَرْك الخيانة، ورحمة الضعيف، وحِفْظ الجار، وكَظْم الغَيْظ، ولِيْن الكلام، وبَذْلِ السّلام، ولُزُوم الإمام، والتَّفَقُّهِ بالقرآن، وحُبِّ الآخرة، والجَزَعِ منَ الحساب، وقِصَرِ الأمل، وحُسْن العمل. وأنهاكَ أن تشتمَ مسلماً[(١)]، أو تُصَدِّق كاذباً، أو تَعْصي إماماً عادلاً، وأن تُفْسِد في الأرض. يا معاذ، اذكرِ الله عند كلِّ شَجَرٍ وحَجَر[(٢)]، وأَحْدِثْ لكلِّ ذَنْبٍ[(٣)] توبةً، السِّرُّ بالسِّرّ والعلانيَة بالعلانيَة، ويَسِّر ولا تُعَسِّر، وبَشِّر ولا تُنَفِّر، وستقدُمُ على قومٍ أهل كتاب، يسألونك عن مفاتيح الجنّة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[(٤)].

وسار معاذ حتّى قدم صنعاء[(٥)]، فصَعِدَ المِنْبَرَ وحَمِدَ الله وأَثْنَى عليه، وصلّى على النّبيِّ ﷺ، فلَمّا فَرَغَ من خطبته أتاهُ أهلُ صنعاء، فقالوا له: يا معاذ، هذا منزلك قد فرّغناهُ لك -أو هذا منزلك قد هَيَّأْناهُ- فانزل بين أَظْهُرنا؛ فبكى معاذٌ بكاءً شديداً، ثمّ قال: يا أهلَ صنعاء ليس بهذا أمرني رسول الله ﷺ، إنّما أوصاني: أن أُجالس الفقراءَ والمساكينَ.

فأقام على ولايته لا يَرْزَؤُهم شيئاً، إنّما يعمل على راحلته ويأكلُ من كسبها، ثمّ توجَّهَ نحو الجَنَد فقَدِمَها في جُمادَى الأخرى، وأوصل كتابَ رسول الله ﷺ إلى بني الأَسْنُود، وقد كانوا أسلموا، ثمّ إنّهم اجتمعوا في أوّل جمعةٍ من رجب يَعِظُهُم معاذ، وفيهم جمعٌ من بني الأَسْنُود[(٦)]، فسألوه عن مفاتيح الجنّة؟ فقال[٤ب]: صدقَ رسولُ الله ﷺ إنّ[(٧)] مفاتيحها شهادةُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فقالوا له: عَجَباً من إصابتك الجواب، وقولِك صدق رسول الله ﷺ! فقال لهم: إنّ رسول الله ﷺ أخبرني عن

---

(١) في (د): «مؤمناً».

(٢) في (أ): «حجر وشجر».

(٣) في (هـ): «واصل» بدل: «ذنب».

(٤) الحلية لأبي نعيم: ١/٢٤١، وكنز العمال: ١٠/٥٩٤، ورقمه: ٣٠٢٩٢، ٣٠٢٩٣، بألفاظ متقاربة.

(٥) في (د): «صنعاء فقالوا: هذا منزلك. فصعِد ...».

(٦) في (ج، د، هـ): «من اليهود»، وسوف يرد في (د، هـ) في موضع آخر: «الأسود»..

(٧) قوله: «إنّ» ليست في (ج، د، هـ).

سؤالكم هذا. فأسلموا عن آخرهم، وكان ذلك في مَحْفِلٍ عظيمٍ قدِ اجتمع فيه[١] النّاس من جهاتٍ شتّى. ومن ذلك اليوم أَلِف النّاس إتْيانَ مسجد الجَنَد في أوّل جمعةٍ من رجب، ويصلّون[٢] الصّلاة المشهورة.

ورَوَى البخاريّ[٣] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمُعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنّك ستأتي قوماً أهلَ كتاب، فإذا جئتهم فادْعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، [فإن][٤] أطاعوا لك فأخبرهم أنّ الله قد [فرض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإن أطاعوا لك فأخبرهم أنّ الله قد][٥] افترض عليهم صدقةً تُؤْخَذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإيّاك وكرائمَ أموالهم، واتَّقِ دعوة المظلوم فإنّه ليس بينها وبين الله حِجاب».

ورَوَى البخاريّ في صحيحه[٦] عن عمرو بن ميمون[٧]: أنّ معاذاً لمّا قَدِمَ اليمن صلّى بهم يوماً صلاة الصُّبْح، فقرأ سورة النِّساء، فلمّا قال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[النّساء:١٢٥] قال رجلٌ خلفَهُ: قرَّتْ عينُ أُمِّ إبراهيم[٨].

وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيعٍ الآخر -أو جُمادَى الأولى- من

---

(١) قوله: «فيه» ليست في (ج، د، هـ).

(٢) في (أ، ج، هـ): «يصلون فيه» وفي (د): «يصلون به».

(٣) في (ب): «وروى البخاري في صحيحه»؛ وانظر صحيح البخاري: ٦/٢٦٨٥، ورقمه: ٦٩٣٧، وصحيح مسلم: ١/٥٠، ورقمه: ١٩. على أنّ ثمة فروقاً يسيرة في بقيّة النّسخ في سياق الحديث.

(٤) قوله: «فإن» سقط في (الأمّ) وصوابه عن بقيّة النّسخ؛ وفي (ب): «فإن هم».

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب، ج) ورُمّ عن (أ، د، هـ).

(٦) قوله: «في صحيحه» ليست في (ج، د) ورواية البخاري هذه كلها ليست في (هـ)؛ انظر الحديث في صحيح البخاري: ٤/١٥٨٠، ورقمه: ٤٠٩١.

(٧) في (ج): «عمر بن ميمون الأودي» وفي (د): «عمرو بن ميمون الأزدي»، وإنّما هو أبو عبد الله عمرو بن ميمون الأوديّ؛ الاستيعاب: ٣/١٢٠٥، وأسد الغابة: ٤/٢٧٥، والإصابة: ٢/١٤٧٥.

(٨) في (ج): «... رجل قرت عين إبراهيم» وقوله: «خلفه» ليست في (د).

سنة عشرٍ إلى بني الحارث بن كعب بنَجْران يدعوهم إلى الإسلام، وأَمَرَهُ: ألَّا تقاتلهم ثلاثاً فإن استجابوا وإلّا قاتِلْهم.

فخرج خالدٌ حتّى قدم عليهم فبَعَثَ الرُّكْبان يضربون في كلِّ وجهٍ يدعون إلى الإسلام، ويقولون: يا أيها النّاسُ اسلموا. فأسلموا[1] ودخلوا فيما دُعُوا إليه، فأقام فيهم يعلِّمهم الإسلام، وكتبَ إلى رسول الله ﷺ كتاباً يخبرُهُ فيه بإسلامهم من غير قِتال.

فكتبَ إليه رسولُ الله ﷺ: «أن أَقْبِل وليُقْبِل معك وَفْدهم»[2]، فوَفَدوا على رسول الله ﷺ مع خالدٍ، وفيهم قيس بن الحُصَين[3] ذو الغُصَّة، ويزيد بن عبد المَدان وعدّةٌ من أعيانهم. فلمّا قدموا على رسول الله ﷺ فقال: «مَنْ هؤلاء الذين كأنّهم رجال الهند؟». قيل: يا رسول الله هؤلاء بنو الحارث بن كعب، فلمّا وَقَفوا بين يديْ رسول الله ﷺ سَلَّموا عليه، وقالوا: نشهد أنّك رسول الله، وأنّه لا إله إلا الله. فقال لهم رسول الله ﷺ: «أنتم الّذين إذا زُجِروا اسْتَقْدِمُوا؟» فلم يُجِبْهُ منهم أحدٌ، [ثمّ أعادها الثّانية، فلم يجبْهُ منهم أحدٌ][4]، ثمّ أعادها الثّالثة، فلم يجبْهُ منهم أحدٌ، ثمّ أعادها الرّابعة، فقال يزيد بن عبد المَدان: نعم يا رسول الله، نحن الّذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربع مرّات، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنّ خالداً لم يكتب إليَّ أنّكم أسلمتم ولم تقاتلوا لأَلْقَيْتُ[5] رؤوسكم تحت أقدامكم»[6].

---

(١) في (أ، ج، د، هـ): «أسلِموا تسلموا، فأسلموا».

(٢) ذكره صاحب نثر الدرّ المكنون: ٨٠.

(٣) في جميع النّسخ: «قيس بن الحضرمي» محرّفاً، وإنّما هو ذو الغُصَّة قيس بن الحصين بن يزيد بن شدّاد بن قَنان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب الحارثيّ؛ السيرة النّبويّة: ٢/٥٩٣، والاشتقاق: ٤٠٢، والاستيعاب: ٣/١٢٨٦، وأسد الغابة: ٢/٣٠، ٤/٤١٨، والإصابة: ٣/١٦٢٩.

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب)، ورمّ من بقيّة النّسخ.

(٥) في (الأمّ): «إلا ألقيت».

(٦) دلائل النبوة: ٥/٤١١.

فقال يزيد بن عبد المَدان: أما والله ما حَمِدْناك ولا حَمِدنا خالداً. قال: «فمن حَمِدتُم؟» قال: حَمِدْنا الله الّذي هدانا بك [١٥] يا رسول الله. قال: «صدقتم»، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «بِمَ كنتم تغلِبون النّاس ممّن قاتلكم في الجاهليّة؟» قالوا: لم نكن نغلِب أحداً. قال: «بلى قد كنتم تغلِبون مَنْ قاتلكم»، قالوا: كنّا نغلِب مَنْ قاتلنا يا رسول الله أنّا كنّا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحداً بظُلْم. قال: «صدقتم»، فأمّر رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيسَ بن الحُصَين[١]، ورجع وفدهم إلى قومهم في شوّال من سنة عشر، والله أعلم[٢].

وعن محمّد بن إسحاق قال: قدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حِمْير مَقْدَمَهُ من تَبُوك، وهم: الحارث بن عبد كُلال، ونُعَيم بن عبد كُلال، والنُّعمان قَيْل ذي رُعين ومَعافِر وهَمْدان، وبعثَ إليه ذو يَزَن[٣] مالك بن مُرَّة الرُّهاويّ[٤] بإسلامهم، ومفارقتهم للشّرك وأهله، فكتبَ إليهم رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرّحمن الرحيم

من محمّدٍ رسولِ الله النَّبيّ إلى الحارث بن عبد كُلال ونُعَيم بن عبد كُلال، وإلى النُّعمان قَيْل ذي رُعَيْن ومَعافِر وهَمْدان، **أمّا بعد ذلكم**: فإنّي أحمدُ الله الّذي لا إله إلا هو، فإنّه قد وَقَع بنا رسولُكُم مُنقلَبَنا من أرض الرّوم فلَقِينا بالمدينة، فبلّغ ما أرسلتم به، وخَبَّرَ ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأنّ الله قد هداكم بهداهُ، فإن أصلحتم وأطعتم اللهَ ورسوله وأقمتم الصّلاةَ وآتيتم الزّكاة وأعطيتم منَ الغنائم خُمُس الله وسَهْم النَّبيّ[٥]، وما كُتِب على المسلمين من الصَّدقة من العَقار[٦] عُشْر ما سَقَتِ العَين وسَقَتْهُ السّماء، وعلى ما

---

(١) في (الأمّ، ب): «قيس بن الحضرمي» محرَّفاً، وقد سلف الكلام عليه في أوّل الخبر.

(٢) في الخبر تقديم وتأخير وسقط يسير في بقيّة النّسخ. وانظر: دلائل النبوة: ٥/٤١١.

(٣) قوله: «ذو يزن» ليس في (ب).

(٤) ويُقال مالك بن مرارة، ويقال ابن مزرّد؛ الاستيعاب: ٣/١٣٥٣، وأسد الغابة: ٥/٤٨، والإصابة: ٣/١٧٥٧.

(٥) في (أ، ج، د، هـ): «... النبي وصفيه».

(٦) العَقار، من الأرض: ما يُسقى من السّماء والعُيون. وفي اليمن يُسمّى العَقَر؛ انظر المعجم اليمني: ٢/٧٦٧.

سقى الغَرْب[١] نصف العُشر، وأنّ في الإبل: الأربعون لَبُون، وفي ثلاثين منَ الإبل ابنُ لَبُون ذَكَر، وفي كلّ خمسٍ منَ الإبل شاةٌ، وفي كلّ عشر من الإبل شاتان، وفي كلّ أربعين من البقر بقرة، وفي كلّ ثلاثين من البقر تَبِيْعٌ جَذَع أو جَذَعة، وفي كلّ أربعين من الغنم سائمةٍ وحدَها شاةٌ، وأنها فريضة الله تعالى الّتي افترض على المؤمنين في الصَّدقة، فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له، ومن أدّى ذلك وأشهد على ذلك وأشهد على إسلامه وظاهَرَ المؤمنين على المشركين فإنّه منَ المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم، وله ذِمَّة الله وذِمَّة رسوله.

وأنّه من أسلم[٢] من يهوديٍّ أو نَصْرانيٍّ فإنّه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديَّتِهِ أو نَصْرانيَّتِهِ فإنّه لا يُردُّ عنها وعليه الجِزْيَةُ، على كلّ حالمٍ - ذكراً أو أنثى حرًّا أو عبداً - دينارٌ وافٍ من قِنَة[٣] المَعافِر أو عوضه ثيابٌ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإنّ له ذمّةَ الله وذِمّة رسوله، وإن منعها فإنّه عدوٌّ لله ولرسوله.

أمّا بعد فإنّ رسول الله محمّدًا النَّبيَّ أرسلَ إلى زُرْعة ذي يَزَن: أَنْ إذا أتاكم رُسُلي فأوصيكم فيهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عُبادة، وعقبة بن نَمِر[٤]، ومالك بن مُرّة وأصحابهم. وأنِ اجمعوا ما عندكم منَ الصّدقة من مَخالِيفكم وأبلغوها [٥ب] رُسُلي فإنّ أميرَهم معاذ بن جبل، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلّا راضياً.

أمّا بعد: فإنّ محمّدًا يشهد أن لا إله إلا الله وأنّه عبدُهُ ورسوله، ثمّ إنّ مالك بن مُرّة الرُّهاويّ قد حدّثني: أنّك أسلمت من أوّل حِمْير، وقتلتَ المشركينَ فأَبْشِر بخيرٍ، وآمُرُك بحِمْير خيراً، ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإنّ رسول الله ﷺ هو مولى غنيّكم وفقيركم، وأنّ

---

(١) الغَرْب: الدَّلو الكبير.

(٢) قوله: «وأنه من أسلم ... وعليه ما عليهم» ليس في (ج، د) وقوله: «وله ذمة ... وعليه ما عليهم» سقط في (هـ).

(٣) في جميع النّسخ: «قيمة» محرّفاً، وصوابه عمّا ورد في النّقوش؛ قال العلّامة مطهر الإرياني (المعجم اليمني: ١/ ٣٨٠): «وكلمة (قيمة) ما هي إلّا كلمة (قِنَة) وهي: مقياس للوزن في نقوش المسند، كما في النّقش ... ».

(٤) عقبة بن نَمِر - وقيل: ابن مُرّ- الهَمْدانيّ؛ الاستيعاب: ٣/ ١٠٧٧، وأسد الغابة: ٤/ ٦١، والإصابة: ٢/ ١٢٧٤.

الصّدقة لا تحلّ لمحمّدٍ ولا لأهلِ بيته، إنّما هي زكاة يُزكّى بها على فقراء المسلمين وابن السّبيل؛ وإنّ مالكاً قد بلّغَ الخبر، وحفظ الغيب، وآمُرُكم به خيراً، وإنّي قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي، وذوي دينهم، وأولي علمهم، وآمركم بهم خيراً، فإنّه منظورٌ إليهم، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

وروَى سيفٌ[2] عن شهاب بن يوسف[3]، عن أبيه[4]، عن عُبَيد بن صَخْر[5] بن لَوذان الأَنْصاريّ - وكان فيمن بعث النّبيّ ﷺ مع عمّال اليمن بعدما حَجّ حِجّة الوَداع - قال: فرّق رسول الله ﷺ عمّاله بعدما حَجّ حِجّة الوَداع بين شَهْر بن باذام، وعامر بن شَهْر، وأبي موسى عبد الله بن قيس الأَشْعريّ، وخالد بن سعيد بن العاص، والطّاهر بن أبي هالَة، ويَعْلَى بن أُمَيّة؛ وعمرو بن حَزْم على حضرموت، وزياد بن لَبِيد الأَنْصاريّ البَياضيّ، وعُكاشة بن ثور [على][6] السّكاسِك والسّكون وبني معاوية بن كِنْدة[7]. وعَهِدَ النّبيّ[8] ﷺ عهوداً جامعةً لمعاني الشّريعة منَ الصّلاة والزّكاة والحَجّ والصّيام، وسائر الأحكام منَ الحلال والحرام والخاصّ والعامّ.

وروَى سيفٌ بإسناده عن أبي بُرْدة، عن أبيه قال: بعثني رسول الله ﷺ خامسَ خمسةٍ على أصناف اليمن.

---

(١) دلائل النبوة: ٥/٤٠٨؛ على أنّ في الخبر تقديماً وتأخيراً وسقطاً في بقيّة النّسخ ما عدا (أ، ب).

(٢) سيف بن عُمَر الأسدي التّميميّ (٢٠٠هـ)؛ الأعلام: ٣/١٥٠.

(٣) المذكور في هذه السّلسلة (سهل) وليس (شهاب)؛ انظر الاستيعاب: ٣/١٠١٧، وأسد الغابة: ٣/٥٤٢.

(٤) في (ج، د): «بن أبي يوسف» وليست في (هـ).

(٥) في (أ): «عن عبيد صخر» و(ج، هـ، د): «عن زياد بن لبيد بن صخر».

(٦) قوله: «على» ليس في (الأمّ، ب) ورم من (أ، ج، د، هـ).

(٧) قوله: «السكون» ليس في (ج)، وفي جميع النّسخ: « ومعه معاوية بن كندة» محرّفاً؛ انظر جمهرة أنساب العرب: ٤٢٥، والاستيعاب: ٣/١٠٨٠، وأسد الغابة: ٤/٦٧.

(٨) في (ج): «رسول الله».

وروى سيفٌ عن(١) عُبادة اللَّيْثيّ: أنّ النّبيّ ﷺ أفرد كلَّ رجلٍ بحَيِّز(٢)، ففرّق عِمالةَ(٣) حضرموت بين ثلاثة، وعلى نَجْران عمرو بن حَزْم(٤)، وعلى ما بين نَجْران ورِمَع وزَبِيْد خالد بن سعيد بن العاص، وعلى هَمْدان عامر بن شَهْر، وعلى صنعاء شَهْر بن باذام، وعلى عَكّ والأَشْعريّين الطّاهر بن أبي هالَة، وعلى مارب أبو موسى الأَشْعريّ، وعلى الجَنَد يَعْلَى بن أُميّة(٥).

قال: ولا خلاف أن باني مسجد الجَنَد معاذ بن جبل، واختلفوا فيمن بنى مسجد صنعاء؛ فقِيْل: أَبانُ بنُ سعيد بن العاص، وقيل: وَبْر بن يُحَنِّس الخُزاعيّ، وهو ممّن بعثه رسول الله ﷺ وكتب إليه: «أن تبني الحائط الّذي لباذان مسجداً، وتجعله منَ الصَّخْرة إلى موضع جداره، واسْتَقْبِل بقِبْلَتِهِ جبل ضِيْن» وهو جبل مُؤَمَّلٌ(٦)؛ وكان موضع المسجد بستاناً لباذان.

ولـمّا ظهر الأسود العَنْسيّ باليمن وادَّعى النُّبُوَّة، تابعه طائفةٌ واستفحل أمره واستطار، فكتبَ عُمّال اليمن إلى رسول الله ﷺ بخبره، فأمرهم بمحاربته ومحاربة مَنْ معه، فحاربوه [٦أ]، فأعزَّ اللهُ الإسلام بقَتْله، وكان بين ظُهُوره وقَتْله نحوٌ من أربعةِ أشهر؛ هكذا ذكر ابن سَمُرَة في (طبقاته)(٧)، وكان الّذي قتلَهُ فيروز الدَّيلميّ، **وقيل:** قيس بن المَكْشوح المُراديّ، والله أعلم.

---

(١) في (الأمّ، ب): «بن عبادة» والتصويب عن بقيّة النّسخ، وفي (أ): «وروى سيف أيضاً ...».

(٢) في جيمع النّسخ: «بخير» وهو تصحيف، وفي تاريخ الطبري (٢/٢٤٧): «بحيزه».

(٣) العِمالة: كالولاية؛ ومنه قيل: لا صغير مع الوِلاية والعِمالة.

(٤) في (ج): «عمر بن حزم»، وإنما هو عمرو بن حزم بن زيد بن لَوذان الأنصاري؛ الإصابة: ٢/١٣٢٤.

(٥) تاريخ الطبري: ٢/٢٤٧.

(٦) كذا: «مؤمل»، وفي الإكليل (الكرملي: ٨/١١٤) في معرض حديث الهَمْدانيّ عن بعض القصور: «... وقصر شرعة من ظاهر الصيد. وقصر مؤمّل. وقصر ... »، ونحوه في الإكليل (نبيه فارس: ٨/٩٤)، غير أنّه غيّره إلى «مرمل» مخالفاً الأصل الذي بين يديه، متكلا على ما ورد في صفة جزيرة العرب (موللير: ٢٤١).

(٧) طبقات فقهاء اليمن: ٤٠.

الفصل الثّالث
في ذِكْر عُمّال اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ

قال علماء السِّير، رحمهم الله تعالى: توفِّي رسول الله ﷺ وقد أسلم أهل اليمن جميعاً، فلمّا توفِّي رسول الله ﷺ[1] ارتدّ بعض أهل حضرموت وقومٌ من أهل صنعاء، وطائفة من أهل تِهامة، وكان عُمّال رسول الله ﷺ على اليمن يومئذٍ ثلاثةً[2]: أَبان بن سعيد بن العاص على صنعاء وأعمالِها، ومعاذ بن جبل الأَنْصاريّ على الجَنَد ومَخالِيفها، وزياد بن لَبِيد البَياضيّ على حضرموت وأعمالها.

وقيل: استعمل رسول الله ﷺ المُهاجِر بن أبي أُمَيَّة المَخْزوميّ على كِنْدة بحضرموت، فمرض في المدينة ولم يُطِقِ الذَّهابَ إلى حضرموت، فكتبَ رسول الله ﷺ إلى زياد بن لَبِيد ليقوم على عمل المُهاجِر. فلَمّا توفِّي رسول الله ﷺ أقرّه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه على عمله، وأمَرَه أن يقاتلَ المُرْتَدَّة في سائر اليمن مع بَقاء[3] عُمّال رسول الله ﷺ، فسار المُهاجِر إلى اليمن وسار معه عبد الرّحمن بن العاص وجرير بن عبد الله البَجَليّ، فلمّا وصل نَجْران انضمّ إليه فَرْوة بن مُسَيْك المُراديّ فيمن معه من مُراد، فقسم المُهاجِر خيله فرقتين، فترك عنده فرقةً وأرسل أخاه عبد الله بن [أبي][4] أُمَيَّة في الفرقة الأخرى إلى منِ ارتّد من عكّ بتِهامة.

---

(١) قوله: «وقد أسلم أهل اليمن جميعاً، فلما توفّي رسول الله» ليس في (ج).

(٢) قوله: «يومئذٍ» ليس في (ب) وقوله: «ثلاثة» ليس في (ج، د، هـ).

(٣) في (الأمّ) كتب لفظة: «بقا» من دون همزة، وكتب فوقها: «يا» كأنه أراد: (بقايا) ولها وجه.

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في جميع النّسخ؛ واسم أبي أميّة: حذيفة؛ انظر جمهرة أنساب العرب: ١٤٦.

ولـمّا دخل المُهاجِر بن أبي أُمَيّة صنعاء كتبَ معاذٌ إلى أبي بكر يستأذنه بالقُفُول، وكذا سائر العُمّال. فكتبَ إليهم أبو بكر ﵁: إنّ رسول الله ﷺ بعثكم لِما بعثكم له من أمره، فمَنْ كان منكم أنفذَ ما أمرَهُ به رسول الله ﷺ وأحبَّ أن يرجِع فليرجِع ويستخلف على عمله مَن أحبّ، ومن أحبّ منكم أن يُقِيم فليُقِم.

فاستخلفَ معاذٌ عبدَ الله بن أبي ربيعة المَخْزوميّ والد عُمَر بن أبي ربيعة الشّاعر، واستخلف أبان بن سعيد بن العاص على عمله يَعْلَى بنَ أُمَيّة التَّميميّ حَلِيفَ بني نوفل بن عبد مَناف. وأمَّر أبو بكر ﵁ عبدَ الله بن أبي ربيعة المَخْزوميّ على الجَنَد ومَخالِيفهِ، وأقرَّ يَعْلى بن أُمَيّة على صنعاء ومَخالِيفها.

ولـمّا قدم المُهاجِر حضرموت وحارب المُرتدّة أَسَرَ الأشعثَ بنَ قيس الكِنْديّ على رِدَّتِهِ، وبعث به إلى أبي بكر ﵁، فلمّا وصل المدينة أسلم فأطلقه أبو بكر وزوَّجهُ أختَهُ أمّ فَرْوة بنت أبي قُحافة، فأَوْلَمَ الأشعث وَلِيْمته المشهورة يوم تَزْوِيجها[١] [٦ب].

ورُوِي أنّ أبا بكر ﵁ بعثَ عليًّا ﵁، إلى أرض عكٍّ من تِهامة وإلى المَصانِع وحَضُور وجبل الوَرْس، وأنّ عليًّا قاتَلَ عَكًّا في حدود[٢] بلادهم وهَزَمهم، وقتل منهم وأَسَر، بعد أن عَقَروا بغلتَهُ في الموضع الّذي يسمَّى المَعْقِر من بلاد عَكّ[٣]؛ ولذلك سمّي الموضع المَعْقِر.

وحَكَى صاحب (نزهة الأبصار)[٤] ما حكاهُ الشّريف إدريس بن عليّ بن عبد الله في كتابِهِ (كنز الأخيار) قال: توفّي رسول الله ﷺ وعاملُهُ على مكّة عَتّاب بن أَسِيْد، وعلى

---

(١) ثمة طمس في (الأمّ) بقدر كلمة بيمين المتن من السطر العاشر بالمخطوط، ورُمّ من بقيّة النّسخ.
وثمة اختلاف يسيرٌ في بقيّة النّسخ في سياق هذا الخبر.

(٢) في (أ): «في جهة مر وبلادهم».

(٣) قوله: «من بلاد عك ولذلك سمي الموضع المعقر» ليس في (ج).

(٤) في (أ): «نزهة الأخبار».

بلاد عَكّ من تِهامة الطّاهر بن أبي هالَة، وعلى الطّائف عثمان بن أبي العاص الثَّقفيّ، وعلى نَجْران عمرو بن حَزْم الأَنْصاريّ وأبو سفيان بن الحارث، وعلى ما بين زَبِيْد ونَجْران خالد بن سعيد بن العاص، وعلى صنعاء فيروز الدَّيْلميّ، وعلى الجَنَد يَعْلَى بن أُمَيّة، وعلى مارب أبو موسى الأَشْعريّ، وكان معاذ بن جبل ينتقل إلى عمل كلِّ واحدٍ منهم يعلِّمهم القرآن ويُفَقِّههم في الدِّين.

وثار الأسود العَنْسيّ في آخر أيّام النَّبيّ ﷺ فحاربه[1] النَّبيّ بالكتب والرّسائل حتّى قتله الله قبل وفاة رسول الله بليلةٍ أو ليلتين.

فلمّا توفّي رسول الله ﷺ انْتَقَضَتِ اليمن، كثيرٌ كثير من أهلها، فالْتَجأَ عُمّال رسول الله إلى مَنْ بقي من المسلمين باليمن إلّا عمرَو بنَ حَزْم وخالدَ بنَ سعيد، فإنّهما قَدِما على أبي بكر ﵁، فحارب أبو بكر جزيرة اليمن بالكُتُب والرّسائل أيّامَ اشتغالِهِ بمُرْتَدَّة اليَمامة والبَحْرين وعُمان وبني تَمِيم وغيرهم. وأمر عَتّاباً فحارب منِ ارْتَدَّ من أهل[2] مكّة بمن أقام منهم على إسلامه، وكذلك عثمان بن [أبي] العاص، وأوقع الطّاهر بن أبي هالة بجُمُوعٍ تجمّعت من عَكّ والأَشْعريّين بتِهامة.

ثمّ بَعَثَ أبو بكر ﵁ جريرَ بن عبد الله البَجَليّ إلى نَجْران فأقام بها، وخرج عِكْرِمة بن أبي جهل نحو اليمن حتّى قَدِمَ أَبْيَن عَدَن[3]، فاسْتَبْرأَ النَّخَع وحِمْير وأقام بأَبْيَن حتّى سار المُهاجِر إلى حضرموت فسار معه، وكان أبو بكر ﵁ قد بعث المُهاجِر بن أبي أُمَيَّة إلى اليمن، فلمّا قدم نَجْران أتاه قيسُ بن المَكْشوح المُراديّ وعَمْرُو بن معدي كرب الزُّبَيديّ على غير أمانٍ فأَوْثَقهما وبعث بهما إلى أبي بكر، فلمّا قَدِمَا على أبي بكر عاتَبَهُما وحَقَنَ دماءهما واسْتَبْقاهما، وردَّهما إلى قومهما.

---

(١) قوله: «فحاربه ... وفاة رسول الله» ليس في (أ).

(٢) في (د): «من أهل اليمن مكة» وهو خطأ.

(٣) في (ج، د): «أبين وعدن».

وسار المُهاجِر يريد صنعاء، فلمّا دخلها تتبع شَذّان القبائل[١] المُرْتَدِّين، وكتب إلى أبي بكر يخبرُهُ بدخوله صنعاء واستقامة[٢] أهل اليمن. فكتب إليه أبو بكر يأمرُهُ بالمسير إلى حضرموت، فسار من صنعاء، وسار عِكْرمة بن أبي جهل[٣] فالْتَقَيا بمارب وواجههما كتاب زياد[٤] بن لَبِيْد الأنصاريّ يَسْتَحِثُّهما ويُعْلِمُهما[١٧] بما كان بينه وبين كِنْدة، فتَعَجَّل المُهاجِر في سَرَعان النّاس[٥]، واستخلف عِكْرمة على الجيش.

فلمّا قدم المُهاجِر ومَنْ معه[٦] على زياد بن لَبِيد ومَنْ معه نهضوا جميعاً لكِنْدة، وكان على كِنْدة الأشعثُ بنُ قيس الكنديّ، فانْهَزَمَتْ[٧]، فهربوا إلى النُّجَيْر، وقد حَصَّنُوهُ من كلّ جانب، فسار إليهم المُهاجِر وزياد وعِكْرمة وحَصَرُوهم في النُّجَيْر.

فلمّا ضَيّقوا عليهم خرج الأشعث إلى عِكْرمة بن أبي جهل بأمانٍ، وغَدَرَ بقومه، واستأمَنَ لنفسِهِ[٨] ولتسعةٍ معه، فكتب أسماءهم ونَسِيَ نفسَهُ، وفتح الأشعثُ الباب فاقتحم المسلمون عليهم فقتلوهم عن آخرهم، ثمّ نظر المُهاجِر في الكتاب فلم يجد اسمَ الأشعثَ فيه، فهَمَّ بقتله، ثمّ إنّه أرسل بالسَّبْي والأَخْماس [وبالأشعث][٩] إلى أبي بكر رضي الله عنه، فلمّا قدم على أبي بكر لامَهُ وعَنَّفَهُ على رِدَّتِهِ، وهَمَّ بقتله، ثم إنَّه عفا عنه وأطلقه، وزوَّجَهُ أختَه أمَّ فَرْوة بنت أبي قُحافة، ولم يزلِ الأشعثُ بن قيس بالمدينة حتّى شَهِدَ فَتْح العراق.

---

(١) شَذّان القبائل: متفرّقوها.

(٢) قوله: «واستقامة أهل .... فسار من صنعاء» ليس في (ج، د).

(٣) بعده في بقيّة النّسخ ما عدا (ب): «من أبين ...».

(٤) في (ج): «يزيد».

(٥) سَرَعان النّاس: أوائلهم.

(٦) قوله: «ومن معه ... الأشعث» ليس في (أ).

(٧) في (أ، ج، د، هـ): «فانهزمت كندة».

(٨) في (ب): «القومه».

(٩) ليس في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

ومنْ عجيب ما جرى في أيّام أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه باليمن أنّه حصل مطرٌ عظيم فأبرز[1] عن باب مغلوق[2] فهاب النّاس فتحَهُ، وظنّوا أنّه كنزٌ. فكتبوا إلى أبي بكر يُعلمونَهُ بذلك، فعاد جوابُهُ إلى عامل البلد: ألّا يتركَ أحداً يقرب الموضع حتّى يقدم أُمَناؤُهُ.

فلمّا قدم الأُمَناء فتحوا الباب، فإذا هو على مَغارة فدخلوها، فإذا فيها[3] سريرٌ عليه رجلٌ ميت، وعلى الرّجل سبعون حُلّةً مَنْسوجة بالذّهب، وبيده اليُمْنى لوحٌ مكتوبٌ فيه[4]: (من الوافر)

إذا خانَ الأَمِيْرُ وكاتِباهُ ... وقاضي الأَرْضِ داهَنَ في القَضاءِ[5]
فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ... لِقاضي الأَرْضِ مِنْ قاضي السَّماءِ

وفي كفِّـهِ الأيـسر خـاتمٌ مكتـوبٌ فيهـا: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف].

وعند رأسه[6]: (من السّريع)

يا لائِمي في هَجْرِهِمْ جاهِلاً ... عُذْرِيَ مَنْقُوشٌ عَلَى خاتَمي[7]

وسيفٌ أشدّ خُضْرةً منَ البَقْلَة، مكتوبٌ عليه: هذا سيفُ هود بن عاد بن إِرَم.

وكان هذا من أعجب ما جرى باليمن في أيّام أبي بكر رضي الله عنه.

---

(١) في بقيّة النّسخ: «فأبرز السيل».

(٢) في (الأمّ): «مفتوح» ثمّ كتب بالهامش: «ط: مغلوق».

(٣) في (الأمّ): «هي» وضرب عليها وكتب فوقها «فيها».

(٤) البيتان في بهجة المجالس: ١/٣٦٩، والمستطرف: ١/٣١٤.

(٥) في بهجة المجالس: «إذا جار ...».

(٦) البيت رابع أربعة أبيات غير معزوّة في بهجة المجالس: ٢/٦٧٦.

(٧) صدره في بهجة المجالس: «يا عاذلي في تركهم جاهلا».

فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه اسْتَنْفَرَ أهلَ اليمن إلى الشّام والعراق(١)، وأبقى عمّال اليمن على حالهم، لم يُغيِّر على أحدٍ منهم إلّا يَعْلَى بنَ أُمَيَّة صاحب صنعاء، فإنّه عزلَهُ عن صنعاء مرّتين.

فأمّا أوّل مرّة فإنّ رجلاً من أهل جبل حُفَاش أتى إلى يَعْلَى بن أُمَيَّة، فقال له: إنّ رجلاً قتل ابني. فكتب يَعْلَى إلى سعد بن عبد الله - وكان نائبه على جبل حُفَاش ومِلْحان-: أن تحضر إليَّ قاتِلَ ولدِ فلان. فقدم به سعد على يَعْلَى، فأحضر [٧ب] يَعْلَى وجوه أهل صنعاء، ودفع إلى والد المقتول سيفاً وقال: اقتله، وهؤلاء شهود. فضربَهُ بالسّيف حتّى سقط وظَنَّ الرّجل ومَنْ حضره أنّه قد مات، فاحتمله قومُهُ ليدفنوه فوجدوا فيه رَمَقاً فداووهُ حتّى بَرِئَ. فبينا هو ذات يوم يرعى غنماً له إذ مرَّ به أبو المقتول فعرفَهُ، فذهب إلى يَعْلَى، فقال له: إنّي وجدت قاتل ابني يرعى غنماً. فكتب يَعْلَى إلى عامله بإشْخاصِهِ إليه فَأَشْخَصَهُ إليه حيًّا(٢)، وبه أثرُ جِراحاتٍ كثيرة، فأمر يَعْلَى من قَدَّر إرْشَها فبلغتِ الدِّيَةَ، فقال لوالد المقتول: إن شئت تقتلُهُ فعليكم الدِّيَة وإلّا فدعْهُ. فغضب الرّجل ولَحِقَ بعُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه مُسْتَعْدِياً على يَعْلَى، وأنّه حال بينه وبين قاتل ابنه.

فغضب عُمَر وبعث المغيرةَ بن شعبة على صنعاء، وأمرَهُ أن يدفع إليه يَعْلَى بن أُمَيَّة، فأساء المغيرة إلى يَعْلَى وأَشْخَصَهُ إلى عُمَر بوجهٍ غيرِ مستحسن، فلمّا قدم على عُمَر أخبرَهُ بالخبر(٣)، فشَكَّ عُمَر فاستفتى عليًّا عليه السلام، فقال: لقد قضى بالحقِّ، فردَّهُ عُمَر إلى عمله. فلمّا قدم صنعاء أحسن إلى المغيرة وجهَّزَهُ إلى عُمَر أحسن جِهاز، فقال المغيرة: والله إنّ يَعْلَى خيرٌ منّي حين عُزِلَ، وخيرٌ منّي حين وُلِّيَ(٤). وأقام يَعْلَى على عمله ما شاء الله. ثمّ إنّ أخاه

---

(١) في (ج، د): «استقر أهل اليمن والعراق».

(٢) في (ج، د): «بإشخاصه إليه حياً».

(٣) قوله: «بالخبر» ليس في (ج، د).

(٤) قوله: «حين ولي» ليس في (ب، هـ).

عبد الرّحمن ابتاع فرساً من رجل بمئةِ قَلُوص، ثمّ ندم البائع على فرسِهِ، فاستقالَ عبد الرّحمن فلم يُقِلْهُ، فلَحِقَ الرّجل بعُمَر بن الخطّاب، وقال: إنّ يَعْلَى وأخاه غصباني فرساً. فكتب عُمَر إلى يَعْلَى: أنِ أقدم عليَّ، فلمّا قدم عليه قَصَّ عليه الصّورة، فقال عُمَر: إن الخيل لتَبْلُغَ عندكم هذا الثَّمن؟ فقال يَعْلَى: نعم. فقال عُمَر: نأخذُ من الأربعين شاةً شاةً، ولا تأخذ من الخيل شيئاً؟ خُذْ على كلِّ فرس ديناراً، ثمّ أعاده إلى عملِهِ.

وفي أيّام يَعْلَى بن أُمَيّة كانت قصّة أَصِيل؛ وذلك أنّ رجلاً من أهل صنعاء غاب عن امرأةٍ له اسمها زينب، وترك معها ابناً له من غيرها يُسمّى أصيلاً، صبيٌّ في سنّ التّمييز، وكانت فاسقةً وكان لها سبعةُ أَخْدان، فكانت تضيقُ منَ الصّبيّ وتخشى منه أن يفضحهم، فقالت لأَخْدانها: إنّ هذا فاضِحُنا لا محالة، ولست آمنُهُ أن يفضحني وإيّاكم، ثم حَسَّنَتْ لهم قتلَهُ، ولم تزل بهم حتّى دخلوا عليه وهو نائمٌ فخَنَقُوهُ ثمّ حملوه فألقوه في بئرٍ وسط غُمْدان خلفَ بئر سام بن نوح عليه السلام.

ثمّ إنّ المرأة أظهرت بعد ذلك فَقْدَ الصّبيّ، وجعلت تدور شوارعَ صنعاء راكبةً على حمار، وهي تقول: اللّهُمّ لا يخفى عليك من قتَلَ أصيلاً؟! ثمّ اتّصل العلمُ بيَعْلَى أنّ صبيًّا فُقِد لا يُعْلَم له بخبرٍ، فساءه ذلك وشَقَّ عليه، ثمّ إنّه صَعِد المِنْبَر فحَمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: انظروا يا أهل صنعاء هل تجدون لهذا الصَّبيّ علماً أو تعلمون له خبراً؟ فلم يجبه أحدٌ منهم بشيء.

فلمّا كان بعد أيّام مرّ رجلٌ من أهل صنعاء بالبئر فوجد لها ريحاً ورأى ذُباباً [١٨] أخضرَ يطلع من البئر ويرجِع إليها، فغَلَبَ على ظنّه أنّ الغلام فيها، فذهب إلى يَعْلَى وقال له: أَظُنُّني قد قَدَرْتُ على طَلَبِهِ، أيّها الأمير، ثمّ أخبره بما وجد في البئر، فبادر يَعْلَى وركب مِن فَوْره حتّى وقف على رأس البئر ومعه جمعٌ كثير من الحَفَدَة(١) وأهل البلد، وفي جملة ذلك

(١) الحَفَدَة: الخدم.

الجمع واحد من الخصوم، فلمّا ازدحم النّاس على البئر، قال الرّجل الّذي هو من الخصوم: أَدْلُوني أنزل إلى البئر أنظر لكم ما فيها، وأكشف الخبر. فرُبِطَ بحبالٍ وأُنْزل، فلمّا كان بالقرب من الماء وجد الصَّبيّ على وجه الماء فغيَّبَهُ في جانب من جوانب البئر، ثمّ قال: أطلعوني، فإنّي لم أجد شيئاً، فقال النّاس له: إنّك لمّا ضربت في الماء وحرّكتَهُ اشتدَّتِ الرّائحة وكَثُرَ صُعود الذّباب. فقال رجلٌ آخر: أَدْلُوني مكانَهُ لعَلّي أَظْفَرُ بشيءٍ، إن شاء الله. فأَدْلَوهُ في البئر.

فلمّا نزل وطلع الأوّل أخذتْهُ رِعْدَةٌ شديدة فاسْتَوثَقُوا منه، فلمّا نزل الثّاني وصار على الماء تحرّكَ الماء فظهرتِ الرّائحة واشتدّت، وإذا بالصَّبيّ في جانب البئر وعليه أثر التّقليب، فشَدَّهُ بالحَبْل وطلع أوّلاً، ثمّ أطلعوا الصَّبيّ الهالك، فلمّا طلع الصَّبيّ ورآه الرّجل الأوّل اشتدّت رِعْدَتُهُ، فشَدَّدَ عليه يَعْلَى واستقرَّهُ فأَقَرَّ واعترف أنّه قتلَهُ سابع سبعة، وأنّ سببَ ذلك زوجةُ أبيه.

فطُلِبُوا جميعاً فسُجِنُوا وجُعِلَتِ المرأةُ بمَعْزِلٍ عنهم، وكتب يَعْلَى إلى عُمَر يسأله الحكم فيهم فاستحضر عُمَر فقهاء الصّحابة رضي الله عنهم وعَرَضَ عليهم كتاب يَعْلَى واستشارهم، وقال: أرى أن يُقْتَلُوا جميعاً الرّجال والمرأة، غيرَ أنّي أردتُ ألّا ينفذ ذلك إلّا بعد مشورةٍ منكم، فاستصوبوا رأيَهُ، فكتب إلى يَعْلَى بقَتْلِهم جميعاً[1].

ثمّ إنّ نفراً من موالي يَعْلَى وقعوا على رجلٍ فضربوه، فلَحِقَ بعُمَر، فقال له: يا أمير المؤمنين: إنّ موالي يَعْلَى ضربوني حتّى! قال عمر: حتّى مِهْ؟ قال: حتّى أَحْدَثْت. فكتب عُمَر إلى يَعْلَى أن يأتيه ماشياً، فخرج يَعْلَى ماشياً على قدميه حتّى إذا سار[2] مراحل من صنعاء لقيه الخبرُ بموت عُمَر واستخلاف عثمان بعدَهُ، وإقراره له على عمله.

---

(١) ثمّة اختلاف يسير بين النّسخ في رواية الخبر لا يخل بجوهره.

(٢) في (ج، د، هـ): «صار»

فعاد يَعْلَى راكباً فرحاً مسروراً، وتلقّاه أهل بيته ومواليه بالدَّبادِب[١] والمَعازف، فلم يزلْ على عمله بصنعاء إلى أنّ توفِّي عثمان رضي الله عنه، وكذلك ابن [أبي][٢] ربيعة لم يزلْ على الجَنَد إلى أن توفِّي عثمان رضي الله عنه، والله أعلم.

ثمّ استخلف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، فلمّا ولي الخلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه استعمل على اليمن عُبَيْد الله بن العبّاس على صنعاء وأعمالها، وعلى الجَنَد سعيد بن سعد بن عُبادة الأنْصاريّ، فأقام ابن عبّاس[٨ب] بصنعاء أربعين شهراً.

ولـمّا علم يَعْلَى بن أُمَيّة وعبد الله بن أبي ربيعة بقدوم عُبَيْد الله بن العبّاس[٣] وسعيد بن سعد، سارا نحو الحِجاز على خوفٍ ووَجَل، فلَحِقا بمكّة ولم يعرض لهما.

وكان يَعْلَى قد جمع أموالاً عظيمة تخرج عن حدّ الحَصْر، فلمّا وصل مكّة لقي بها طَلْحة والزُّبَير وعائشة رضي الله عنهم، وقد عَزَموا على الخلاف على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه والمسير إلى البصرة، فأعانهم يَعْلَى على جِهازهم - فيما ذكر ابنُ عبد المجيد في كتابه (بهجة الزمن في أخبار اليمن)[٤] - بستِّ مئة ألف درهمٍ وستِّ مئة بعيرٍ، منها[٥] جَمَل عائشة الّذي يُنْسب إليه يوم الجَمَل، وكان اسمه عَسْكَراً. ولم يزلْ عُبَيْد الله بن العبّاس على صنعاء[٦] يَحُجُّ بالنّاس إلى آخر[٧] أيّام عليٍّ رضي الله عنه.

ثـمّ إنّ معاوية بن أبي سفيان سَيَّر[٨] جيشاً إلى اليمن، وأَمَّرَ عليهم بِسْر بن أَرْطاة

---

(١) في (ج): «بالدبارب» وفي (د): «بالربارب»، وكل ذلك تحريف، إنّما هي الدَّبادِب: واحدها الدَّبْدب، وهو الطَّبل.

(٢) قوله: «أبي» سقط في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

(٣) في (أ): «إلى صنعاء».

(٤) بهجة الزمن: ٢٣.

(٥) في (الأمّ): «منها منها».

(٦) في (ج، د): « صنعاء اليمن».

(٧) في (د): «... إلى أيام ...».

(٨) في (أ): «جهز».

العامريّ - وقيل: اسمه بِسْر بضمّ الموحَّدة[١] وسكون المهملة - وأَمَرَهُ أن يقتل شيعة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فلمّا بلغ المدينة دَخَلَها وقتل بها جماعة وهَدَم دوراً، ثمّ أتى مكّة فقتل قوماً[٢] من ولد أبي لَهَب وكذلك فعل بالسَّراة وبنَجْران، فلمّا صار قريباً من صنعاء، وعلم به عُبَيْد الله بن العبّاس جمع أهلَ صنعاء وخَطَبَهم وحَضَّهم على القتال، فقال[٣] له فيروز الدَّيلميّ: يا عُبَيْد الله احْتَرِز في نفسك. فلمّا أَيِسَ من نصرهم استخلف عمرو بن أراكَة[٤] الثَّقفيّ على عملِهِ وسار يريد عليًّا رضي الله عنه وتَرَكَ وَلَدْينِ له صغيرين عند أُمّ سعيد البُرْزُجِيَّة الّتي تقدّم ذِكْرها.

فلمّا قَدِمَ [بِسْر][٥] صنعاء - وقد خرج منها ابن عبّاس كما ذكرنا - انحازت منه هَمْدان إلى جبل شِبام، فاستدعى بالوَلِيْدَينِ الصَّغيرين، فأمر بقَتْلها فقتلا. وقيل: ذَبَحَها بيده[٦]، وكان اسم الكبير حسناً والصّغير حُسَيناً، وقيل: عبد الرّحيم[٧] وقُثَم، وكان عُمْرُ الكبير منهما ثماني سنين.

ثمّ قَتَلَ عمرو بن أراكة الثَّقفيّ الّذي استخلفه عُبَيْد الله بن العبّاس على صنعاء، وقتل من الأَبْناء اثنين وسبعين رجلاً كانوا قد شَفِعُوا بالوَلَدَينِ الصَّغِيرين.

فدُفِنَ الولدان حيث قُتِلا، وبُنِيَ عليهما مسجدٌ، وهو معروف هنالك بمَشْهَد[٨] الشَّهِيدين، مشهورُ الفضل والبَرَكة، وكان بِسْر بن أَرْطاة أَوَّلَ جَبّار دخل اليمن وعَسَفَ

---

(١) في (الأمّ، أ، ب): «بالباء الموحدة»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ لأنّ الخلاف في حركة الباء الموحدة.

(٢) قوله: «قوماً» سقط من (ج، د، هـ).

(٣) في (الأمّ): «فقال فقال».

(٤) وقيل: عمرو بن أبي أراكة؛ أسد الغابة: ١٩١/٤، والإصابة: ١٣١٣/٢.

(٥) قوله: «بسر» سقط في (الأمّ، أ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

(٦) في (هـ): «بيده الملعونة».

(٧) في (أ، ج): «عبد الرحمن».

(٨) في (ج، د): «بمسجد».

أهلَهُ، واستحلَّ الحرام، وعاثَ في البلاد حتّى بلغ[1] عَدَن.

ولـمّـا بلغ عليًّا، كرّم الله وجهه، دخول بِسْرٍ اليمن جَهَّزَ أَلْفَي فارس منَ الكوفة، ومثلَها من البصرة، وجعل على الجميع حارثةَ بن قُدامة السَّعْديّ، وأَمَرَهُ بدخول اليمن ومُتابعة بِسْرٍ حيثُ كان، ومطالبتِهِ بما أحدث في اليمن من قتلٍ وإفساد.

فلمّا دخل حارثة اليمن هَرَبَ بِسْرٌ وتفرَّقَ أصحابُهُ [١٩]، وكان قد وافَقَ بِسْراً جماعةٌ من أهل اليمن وغيرهم على رأيِهِ وفعلِهِ، فلَزِمَهم حارثة ونَكَّلَ بهم، وقتل منِ استحقّ القتل منهم، ثمّ عاد إلى مكّة، فلمّا دخلها بلغَهُ موت عليٍّ رضي الله عنه، فأخذ حارثة بن قُدامَة البيعة على أصحابه وعلى أهل مكّة لمن بايع له أصحاب عليّ، وكان اليمن والحِجاز والعراق وخُراسان تحت يدِ عليٍّ يستخلف عليهم من يشاء من صالِحي أصحابِهِ، رضي الله عنهم أجمعين.

(١) في (ج، د): «دخل» وفي (هـ): «حتى بلغ علياً».

الفصل الرّابع
في ذِكْر عُمّال بني أُمَيَّة على اليمن

قال عُلَماء السِّيْرة والتَّواريخ: لمّا توفِّي أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، وصار الأمر بعده إلى معاوية بن أبي سفيان، استعمل على اليمن عثمان بن عَفّان الثَّقفيّ فأقام به مُدَّة، ثمّ عزلَهُ بأخيه عُتْبة بن أبي سفيان، وجمع له ولايةَ المِخْلافين: صنعاء والجَنَد، فأقام في الجَنَد سنتين -وقال الشّريف إدريس: ثلاث سنين- ثمّ لحق بأخيه معاوية، واستخلف على اليمن فيروز الدَّيْلميّ، فأقام ثماني سنين، وفي مدَّتِهِ توفِّي عتبة بن أبي سفيان، واستعمل معاوية مكانه النُّعْمان بن بشير الأَنْصاريّ، فأقام في اليمن سنة، ثمّ عزلَهُ ببشير بن سعيد الأَعْرج؛ فيما قاله الجَنَديّ[1].

وقال الشّريف إدريس: عزلَهُ واستعمل سعيد بن داذَوَيْهِ الفارسيّ، فأقام تسعة أشهر ثمّ مات عُقَيْبها، فاستعمل معاوية على اليمن الضَّحّاك بن فيروز الدَّيلميّ، فلم يزلْ على اليمن إلى أن توفِّي معاوية، رحمه الله تعالى.

وقال الجَنَديّ: كان والياً على صنعاء ولم أعلم من كان نائبه على الجَنَد، والله أعلم[2].

ولما توفِّي معاوية، رحمه الله ورضي عنه - وكانت وفاتُهُ في رجب من سنة ستّين[3] للهجرة، وقد تقدَّم ذِكْر ذلك في صدر الكتاب[4]، وكان معاوية قد ألزم النّاسَ البيعةَ ليزيد

(١) السّلوك: ١/١٧٥.

(٢) السّلوك: ١/١٧٥.

(٣) قوله: «من سنة ستين» ليس في (ب).

(٤) يُريد بذلك أوّل الكتاب كاملاً، وليس أوّل الباب الرّابع الذي بدأ به كتابنا هذا.

طوعاً وكرهاً - استولى[١] يزيد على الخلافة.

ولمّا ولي يزيد بن معاوية استعمل على اليمن بَحِيْر بن رَيْسان الحِمْيريّ على المِخْلافين معاً، وكان أَوْجَد كرام[٢] الولاة، وكانت ولايتُهُ ضَماناً بمالٍ معلوم يحمله في كلّ سنة، وكان يبعثُ في كلّ سنة بالمال وسبعين[٣] رأساً منَ الرَّقيق ما بين وَصِيْف ووَصِيفة، وكان مُتَجَبِّراً عاتياً، جواداً مِتْلافاً، وكان يأنفُ أن يُسألَ قليلاً، وربّما عاقب مَن يسألُهُ القليل، ويُحكى أنّ رجلاً قصدَهُ مِنَ الحجاز، وامْتَدَحَهُ بشعرٍ يقول فيه: (منَ الطّويل)

بَحِيْرُ بْنُ رَيْسانَ الّذي سادَ حِمْيَراً ... ونائِلُهُ مِثْلُ الفُراتِ غَزِيْرُ[٤]
وإِنِّي لأَرْجُو مِنْ بَحِيْرٍ وَلِيْدَةً ... وذاكَ مِنَ الحُرِّ الكَرِيْمِ كَثِيْرُ[٥]

فغضب عليه بَحِيْر، وقال: ترحل منَ الحِجاز لا ترجو إلّا وَلِيدةً! لأُؤَدِّبَنَّك؛ ثمّ أمر به فضرب أَسْواطاً، وبعث له بعشر وَلائد وبجائزةٍ سَنِيَّة، ولم يزلْ بَحِيرٌ على اليمن إلى أن توفِّي يزيد بن معاوية، وكانت وفاتُهُ في سنة أربع وستّين من الهجرة.

ولمّا توفِّي يزيد بن معاوية في التّاريخ المذكور صار الأمر إلى عبد الله بن الزُّبَير، فاستولى على العِراق والحجاز واليمن، واستخلف [٩ب] على اليمن الضَّحّاك بن فيروز الدَّيلميّ فأقام سنة، ثمّ عزلَهُ بعبد الله بن عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد فأقام مدّة، ثمّ عزلَهُ بعبد الله بن عبد المُطَّلِب بن أبي وَداعة[٦] السَّهْميّ، فأقام سنةً وثمانية أشهر، ثمّ عزلَهُ

(١) في (الأم): «فاستوى» وإنّما هو جواب (لمّا) في أوّل العبارة.

(٢) في (الأم): «إكرام»، وقوله: «أوجد» لعلّهم من قولهم: وجدتُ في المال، أي صرت ذا مال. أو أن يكون بالحاء المهملة.

(٣) في (ج، د، هـ): «وتسعين».

(٤) عجزه في الجليس الصالح: «بأفعاله الدّائرات تدور».

(٥) عجزه في الجليس الصالح: «وذاك على المرء الكريم يسير».

(٦) في (ج): «عبد المطّلب بن وداعة»، وهو في جمهرة أنساب العرب: ١٦٤: «عبد الله بن المُطَّلِب بن أبي وداعة» واسم أبي وداعة: الحارث، كذا قال ابن حزم. وفي الإصابة: ١١٣٧/٢: «عبد الله بن أبي وداعة» بإسقاط (عبد المطّلب) كما ورد في جميع النّسخ، أو المطّلب كما ذكر ابن حزم.

بأخيه عُبَيْدة بن الزُّبَير، فمَكَثَ خمسة أشهر، ثمّ عُزِل بحَنَش بن عبد الله[1] الفقيه، فلَبِثَ مدَّةً، ثمّ عُزِل بقيس بن يزيد السَّعْديّ التَّميميّ، فأقام عشرة أشهر.

قال الشّريف: ثمّ عزلَهُ واستعمل بعدَهُ وُلاةً يَقِفون الأشهر[2] ثمّ يَعْزلهم، حتّى قُتِلَ سنة ثلاث وسبعين.

وقال الجَنَديّ: لمّا قُتل قيس بن يزيد السّعديّ ولي بعدَهُ أبو النّجود مولى عثمان بن عفّان فمَكَثَ خمسة أشهر، ثمّ أُعِيْد الضَّحّاك بن فيروز الدَّيلميّ، فمَكَثَ ستّة أشهر، ثمّ عُزِل بخَلَّاد بن السّائب الأنْصاريّ، ثمّ عُزِل بأبي الجيوب[3]، وفيّ أيّامِهِ قدمتِ الحَرُوْرِيَّة صنعاء، وذلك سنة إحدى[4] وسبعين؛ فجمع وَهْبُ بن مُنَبِّه النّاس لقتالهم، فقال النّاس: ليس لنا بقتال الخوارج طاقةٌ، ونحن نخشى أن يستحلّوا دماءنا[5]؛ فتفرَّقَ النّاس وصالحوا الخوارج على مئة ألف دينار، فاستعان أهلُ صنعاء بأهلِ المَخالِيف على المال فأعانوهم، واضطرب أهلُ اليمن من يومئذٍ، ولم يزلْ مضطرباً إلى أن قُتِلَ ابن الزُّبَير في سنة ثلاثٍ وسبعين[6].

ولمّا صار الأمر إلى عبد الملك بن مَرْوان، واستولى الحَجّاج على مكّة، استعمل على صنعاء أخاه محمّدَ بنَ يوسف الثّقفيّ، وعلى الجَنَد واقِدَ بن سَلَمة[7] الثّقفيّ، وعلى حضرموت الحَكَم بن أيُّوب الثَّقفيّ[8] فأقاموا سنة، ثمّ عَزَل واقِداً وجمع المِخْلافين لأخيه

---

(١) في جميع النسخ: «بحسن بن عبد الله» مصحّفاً محرَّفا، وإنّما هو حَنَش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة السَّبَئيّ الصَّنْعانيّ (١٠٠هـ)؛ العقد الفاخر الحسن: ٢/٧٨٢-٧٨٣، والأعلام: ٢/٢٨٦.

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «الأربعة الأشهر»

(٣) كتب في (الأمّ): «النجود» ثمّ ضبّب عليها وكتب «الجيوب».

(٤) في (ج): «اثنين».

(٥) في (هـ): «أولادنا».

(٦) السّلوك: ١/١٧٧.

(٧) في (ج، د): «مسلمة».

(٨) قوله: «وعلى حضرموت الحكم بن أيوب الثقفي» ليس في (هـ).

[محمّدٍ][(١)]، ولم يزل والياً عليهما إلى آخر أيّام عبد الملك، وتوفّي قبل وفاة عبد الملك - وقيل: توفّي سنة إحدى وتسعين- وكان قد جمع المَجْذومين بصنعاء وجمع لهم الحَطَب ليحرقهم، فمات قبل ذلك؛ فاستناب الحَجّاج على اليمن ابنَ[(٢)] عمِّهِ أيّوب بن يحيى الثَّقفيّ، ولم يزل والياً عليها مدّة أيّام الوليد، وهو الّذي بنى الجامع بصنعاء، حين زاد الوليدُ فيه ما زاد[(٣)].

فلمّا توفّي الوليد ولي الخلافةَ أخوه سليمانُ بن عبد الملك، واستخلف على اليمن عُرْوة بن محمّد السَّعديّ، فأقام على اليمن مدّة خلافة سليمان بن عبد الملك.

فلمّا توفّي سليمان بن عبد الملك ولي الخلافة بعده ابنُ عمِّهِ عمر بن عبد العزيز، فأقرّ عُرْوة بن محمّد السَّعديّ على عمله، واستقضى وَهْبَ بن مُنبِّه على اليمن أيضًا، فأقام عُرْوة على عمله إلى أن توفّي عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فلمّا توفّي عمر بن عبد العزيز واستولى يزيد بن عبد الملك، استعمل على اليمن مسعود بن عوف الكَلْبيّ، فأقام والياً عليها مدّة ولاية يزيد بن عبد الملك.

فلمّا توفّي يزيد وولي أخوه هشام بن عبد الملك أَقَرَّ مسعود[(٤)] بن عوف على ولايته سنة، ثمّ عزلَهُ واستعمل يوسفَ بن عُمَر الثَّقفيّ على مَخاليف اليمن كلِّها، فأقام والياً على اليمن ثلاثَ عشرةَ سنة. واستقضى على صنعاء[(٥)] الغِطْرِيف بن الضَّحّاك بن فيروز [١٠أ] الدَّيلميّ، وخرج عليه عباد[(٦)] الرُّعَينيّ في ثلاث مئةٍ فغَلَبَهم يوسف بن عُمَر الثَّقفيّ، ثمّ

---

(١) قوله: «محمد» ليس في (الأم، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

(٢) قوله: «ابن» ليس في (د).

(٣) في (الأم): «أزاد فيه ما أزاد» من دون إعجام.

(٤) ورد بعده في (د): «فأقام والياً عليها مدة ولاية يزيد» وهي تكرار لما سبق.

(٥) في (د): «اليمن».

(٦) في (ج): «عبادة».

أمره هشام بالتَّقدُّم إلى العراق والقَبْض على خالد بن عبد الله القَسْريّ، فاستخلف على اليمن ابنه الصَّلْت بن[1] يوسف، فأقام الصَّلْت على اليمن إلى أن توفِّي هشام بن عبد الملك في سنة خمس وعشرين ومئة.

وفي هذه السنة: توفِّي عمرو بن دينار مولى باذان الفارسيّ أمير [الفُرْس][2] بصنعاء، وكان مولدُهُ لبِضْعٍ وأربعين للهجرة، ثمّ نشأ بمكّة وتَفَقَّهَ على ابن عُمَر وابن عبّاس وجابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من التّابعين، وكان من جملة[3] العلماء الرّاسخين.

وقيل لعَطاء بن أبي[4] رَباح: بمن تأمرُنا بعدَك؟ فقال: بعمرو بن دينار.

وقال طاووس لابنه: إذا قَدِمْتَ مكّة فجالس عمرو بن دينار، وكان حَسَنَ الخَلْق والخُلُق، وقيل: كانت وفاتُهُ سنة أربع، وقيل: بل سنة سبع وعشرين ومئة.

وكانت ولاية الصَّلْت في اليمن خمس سنين، وفي أيّامه كان سَيْلُ دار حَوْط[5]، وذلك يوم الجمعة منتصف شهر شوّال من سنة أربعٍ وعشرين ومئة، وكانت دار حَوْط تُسمّى بِرْك الغِماد، وكانت مجمعاً للعرب والوفود بصنعاء إذا قدموا على ملوكها[6] حتّى ضُرِبَ بها المثل.

فلما توفِّي هشام ولي الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك فاستعمل على اليمن جميعِهِ[7] مروانَ بن محمّد بن يوسف الثّقفيّ، وهو ابن أخي الحَجّاج بن يوسف الثَّقفيّ؛ قاله الشّريف إدريس.

---

(١) قوله: «الصلت بن» سقط في (ج).

(٢) قوله: «الفرس» سقط في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

(٣) في (هـ): «جلة».

(٤) في (ج): «عطاء بن رباح» بإسقاط «أبي».

(٥) ليس مضبوطاً في جميع النّسخ، ولم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر، ولعلّه منسوبٌ إلى بني حَوْط، وهم بطنٌ من مَذْحج؛ انظر عجالة المبتدي: ٥١.

(٦) في (ج، د): «ملاكها».

(٧) في (ج): «هميعة» وهو تحريف قبيح.

فلمّا قُتل الوليد بن يزيد وولي ابنُ عمّه[١] يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك، استعمل على اليمن الضَّحّاك بن واصل السَّكْسَكيّ، واستقضى يحيى بن شرحبيل بن أبْرَهَة، فأقام [الضَّحّاك][٢] والياً على اليمن مدّة ولاية يزيد بن الوليد بن[٣] عبد الملك.

فلمّا غَلَبَ مروانُ بنُ محمّد استخلف على اليمن القاسم بن عمر الثَّقفيّ، وفي أيّامه ثار بحضرموت الخارجيّ الأعورُ، وهو عبد الله بن يحيى، ثمّ قصد صنعاء فهَزَمَ القاسم بن عُمَر، وقتل[٤] ابن أخيه الصَّلْت بن يوسف، وغَلَبَ عبد الله بن يحيى على اليمن سنة وأربعة أشهر، واستولى نائبُهُ أبو حمزة الخارجيّ على مكّة[٥]، وقتل أهلَ قُدَيد، وسار فاستولى على المدينة، فأقام بها أربعة أشهر، ثمّ سار منها يريد الشّام، فبلغ وادي القرى فلقيته جموع الشّام الذين بعثهم مروان بن محمّد مع عبد الملك بن محمد[٦] بن عطيّة السَّعديّ، وكان قد انْتَخَبَهم من فرسان العرب ووجوه النّاس، فلقيهم عبد الملك بوادي القرى وقاتلهم فهَزَمَهم وقتل منهم خَلْقاً كثيراً.

ثمّ تَتَبَّعهم إلى مكّة ثمّ إلى بِيْشة ثمّ إلى اليمن وسار [بعدهم][٧] إلى حضرموت فأتاه كتاب مروان بتوليته الموسم فصالحهم، وسار في ركبٍ قليلٍ يُريدُ الموسم، فلمّا بلغ الجوف قُتِل.

ولمّا بلغ مروانَ الخبرُ بقتل عبد الملك بن عطيّة بَعثَ الوليدَ بن عُرْوة بن محمّد، فلم

---

(١) في (هـ): «فلما قتل الوليد بن يزيد قتله عمه ...».

(٢) قوله: «الضحاك» ليس في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

(٣) قوله: «الوليد بن» سقط في (ب).

(٤) في (ج): «وقيل»، وهو خطأ؛ إذ الذي قُتل هو الصَّلتُ بن يوسف بن عمر الثقفيّ.

(٥) في (هـ): «ملكه».

(٦) قوله: «مع عبد الملك بن محمد» سقط في (ج).

(٧) قوله: «بعدهم» ليس في (الأمّ، ب) ورمّ عن بقيّة النّسخ.

يزلْ على اليمن[١٠ب] إلى أنِ انقطعتْ دولة بني أُمَيَّة بالشّام، وقُتِلَ مروان بن محمّد ببُوْصِيْر من أرض مصر، وذلك آخر سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة(١): توفِّي الفقيه عبدُ الله بن طاووس، وكان إماماً جليلاً مشهوراً.

قال عبد الرزّاق(٢): لم أَرَ فقيهاً كابن طاووس. قيل له: ولا هشام بن عُرْوة؟ قال: لم يكن مثلَهُ. وقيل: كانت وفاتُهُ سنة ستٍّ وثلاثين ومئة، والله أعلم.

(١) في (هـ): «سنة ثلاثين ومئة».

(٢) عبد الرّزّاق بن همام الحِمْيريّ الصّنعانيّ (٢١١هـ)؛ الأعلام: ٣/٣٥٣.

الفصل الخامس
في ذِكْر عُمَّال اليمن في الدّولة العبّاسيّة

قال عُلَماء السِّيَر: لما قُتِل مروان بن محمّد بن مروان آخر خلفاء بني أُمَيَّة وولي أبو العبّاس السَّفّاح، استعمل على اليمن والحِجاز عمَّهُ داود بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطَّلِب، فاستعمل داودُ بن عليّ على اليمن عُمَرَ بن عبد الحميد[1] بن عبد الرّحمن بن زيد بن الخطّاب القُرَشيّ العَدَويّ، فكان أوّل مَنْ قدم اليمن نائباً لبني العبّاس، فلمّا أقام بصنعاء بَوَّبَ جامعها ولم يكن له بابٌ قبل ذلك.

ثمّ مات - أو قتل - داود بن عليّ بعد مُضِيّ خمسة أشهرٍ فبعث أبو العبّاس على اليمن محمَّدَ بن زيد بن عبد الله بن زيد بن عبد المَدان الحارثيّ فقَدِمَها لسبعٍ بَقِين من رجب سنة ثلاثٍ وثلاثين ومئة، وبعث أخاً له على عَدَن، فساءت سيرةُ الكلّ منهما.

وأحدث صاحبُ صنعاء قبائحَ كبيرةً[2] بصنعاء، وهَمَّ بإحراق المَجْذومين، وأمر أن يجمع لهم الحَطَب، وقال: لو كان بهم خيرٌ ما أوقع الله بهم هذا الجُذام. فمرض أيّاماً يسيرةً قبل أن يفعل بهم، ثمّ مات ومات أخوه الّذي في عَدَن.

ويُقالُ: كان موتهما في يوم واحد، فبعث أهل صنعاء رسولاً إلى أخيه الّذي في عَدَن يخبرونَهُ بموت أخيه، وبعث أهلُ عَدَن رسولاً إلى أخيه بصنعاء يخبرونه بموت أخيه،

---

(١) في (الأمّ، ب، د): «فاستعمل داود بن علي على اليمن داود بن عبد المجيد» وفي (أ، ج): «فاستعمل دواد بن عمر على اليمن داود بن عبد المجيد ...» وفي (هـ): «فاستعمل داود على اليمن عمر بن عبد المجيد»، وفي الخبر اضطراب في اسمَي الرَّجلين؛ فأمّا الأوّل فقد تقدّم على الصّواب، وأما الثّاني فصوابه ما أثبت عن نسب قريش: ٨٢٤/٢، وجمهرة أنساب العرب: ١٥٢، والعقد الثّمين: ٣٢٩/٦.

(٢) في (أ، ج، د): «كثيرة».

وسار الرَّسولانِ[1] والتَقيَا وتحدَّثا وأخبر كلُّ واحدٍ منهما صاحبه بموتِ الآخر، فأخذ كلُّ واحدٍ منهما كتابَ الآخر وعاد كلُّ واحد منهما إلى بلده يُخْبِرُ بموتِ الّذي سار إليه؛ هذه رواية الجَنَديّ[2].

وذَكَرَ ابنُ عبد المجيد[3]: أنّهما باتا جميعاً في موضع، ولم يعلم أحدُهما بما قدم له الآخر، ثمّ افترقا عند الصّباح، وسار كلّ واحد منهما يَؤُمُّ مقصدَهُ[4]، فلمّا علم أبو العبّاس السَّفّاح بموتهما بعث مكانهما عبدَ الله بن مالك الحارثيّ، فأقام أربعة أشهر، ثمّ عزلَهُ، وبعث عليّ بن الرَّبيع بن عبد الله بن عبد المَدان [الحارثيّ][5] فمكث أربع سنين وأشهراً.

وفي أيّامه كانت حُكُومة أهل صنعاء والأَبْناء في الرَّحْبَة[6]، فوَكَّلَ أهل صنعاء عُمَر بن ثُمامة، ووَكَّلَ الأَبْناء إبراهيمَ بن فُراس[7]، فأخرج إبراهيم بن فُراس كتاب رسول الله ﷺ: إنّها للأَبْناء. فقال عمر بن ثُمَامَة: إنّه يكفر بهذا الكتاب. فغضب الأمير عليّ بن الرَّبيع وقال له [١١أ]: تكفر بكتاب رسول الله ﷺ؟ وجَرَّدَهُ من ثيابِهِ وضربَهُ خمسة وسبعين سوطاً. وقال: أما إنّه لا يخرج منَ الدُّنيا حتّى تصيبَهُ عاهةٌ. فأقام حتّى ولي منصور بن يزيد الحِمْيريّ، ودعا وُجُوهَ أهل صنعاء إلى حائط له، وفيهم عُمَر بن ثُمامة فأكل جُؤْجُؤ فَرْخ طائر، فغَصَّ به فمات من ساعته.

ولما توفِّي أبو العبّاس السَّفّاح وولي الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور، استعمل على اليمن عبد الله بن الرَّبيع بن عبد الله بن عبد المَدان الحارثيّ، فأقام مدّةً وسار نحو

---

(١) قوله: «وسار الرسولان» سقط من (هـ).

(٢) السلوك: ١/١٨١.

(٣) بهجة الزمن: ٢٨.

(٤) قوله: «يؤم مقصده» غير واضحة في (ج، د).

(٥) قوله: «الحارثي» عن (ج، د).

(٦) الرَّحْبة، بفتح وسكون ففتح؛ كذا بصفة جزيرة العرب: ١١١، وفي معجم البلدان (٣/٣٣، ٣٤): «الرُّحبة».

(٧) قوله: «فُراس» بضمّ الفاء، كذا ورد مضبوطاً في (الأمّ).

المنصور، واستخلف ابنَهُ، فأقام باليمن حتّى قدم عليه مَعْن بن زائدة الشَّيْبانيّ، وكان قدومُهُ في شهر ربيعٍ الأوّل من سنة أربعين ومئة.

وفي تلك السّنة: تناثرتِ النّجوم مثلَ المطر نحو المغرب من أوّل اللّيل إلى الصُّبح، وعُوفيَ في تلك اللّيلة[١] كثيرٌ من المجانين، فأصبحوا وليس بهم بأس.

وحكي عن بعضهم قال: كنتُ أعرف امرأةً منَ المجانين تقوم على رأسها، وتجعل رجلَيْها أعلاها، وتقف عامّةَ يومها كذلك، فأصبحت ذلك اليوم عاقلةً تغسل ثيابها. فقالت: إن الله تعالى رماه[٢] البارحة بنجمٍ فأحرقَهُ وكفانِيْهِ.

وبعث [مَعْن][٣] في أيّام ولايته باليمن ابنَ عمٍّ له يقال له: سليمان، إلى المَعافِر[٤].

وقال الجَنَديّ[٥]: بعث مَعْنٌ أخاً له -أو ابنَ عَمٍّ- نائباً[٦] له في الجَنَد، فأراد إذْلالَهم فقتلوه، فغَزاهم مَعْنٌ وأَخْرب القرية المذكورة الّتي قُتِل فيها ابن عَمِّهِ، وقَتَلَ من أهل القرية نحواً من أَلْفَي رجلٍ[٧] وكان بعد ذلك يُنْشِد: (من الطّويل)

إذا تمّتِ الأَلْفانِ كادَتْ حَرارَةٌ ... عَلَى القَلْبِ مِنْ ذِكْرَى سُلَيْمانَ تَبْرُدُ

وقدم ابن جريج الفقيه على مَعْن وافداً من مكّة لدَيْنٍ لَحِقَهُ، فأقام عنده، حتّى إذا كان عاشر ذي القِعْدة مَرَّ بقوم وجاريةٌ تُغَنِّي لهم بشعر عمر بن [أبي] ربيعة المَخْزوميّ حيث

---

(١) في (الأمّ، ب): «السنة» وهو خطأ، وصُحّح عن بقيّة النّسخ.

(٢) في (د): «قد رماه» أي رمى الجني الذي مسها.

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (جـ، د، هـ).

(٤) قوله: «يقال له» ليس في (ج) وقوله: «إلى المَعافِر» ليس في (د).

(٥) السّلوك: ١/١٨٣.

(٦) في (الأمّ، أ، ج، د): «أخاً له وابن عم»، وهو خطأ، وما أثبت عن (هـ) وهو كذلك في السّلوك. وقوله: «نائباً» ليس في (ب).

(٧) في (الأمّ، أ، ب، هـ): «الفين رجلاً» وفي (ج): «أربعين رجلاً».

يقول شعراً[١]: (من البسيط)

هَيهاتَ مِنْ أَمَةِ الوَهّابِ مَنْزِلُنا ... إذا حَلَلْنا بِسِيفِ البَحْرِ مِنْ عَدَنِ[٢]

واحْتَلَّ أَهْلُكِ أَجْياداً، فَلَيْسَ لَنا ... إلّا التَّذَكُّرُ، أَوْ حَظٌّ مِنَ الحَزَنِ[٣]

بِاللهِ قُولي لَهُ في غَيْرِ مَعْتَبَةٍ: ... ماذا أَرَدْتَ بِطُولِ المُكْثِ في اليَمَنِ؟؟

إنْ كُنْتَ حاوَلْتَ دُنْيا أَو ظَفِرْتَ بِها ... فما أَخَذْتَ بِتَرْكِ الحَجِّ مِنْ ثَمَنِ[٤]

فبكى ابن جُرَيج بكاءً شديداً واستأذن على مَعْن، وقال له: إن أردت بي خيراً فرُدَّني إلى مكّة، ولستُ أريد منك شيئاً. فاستأجر له مَعْنٌ أَدِلّاء وأعطاهم خمس مئة دينار، ودفع إلى ابن جُرَيج ألفاً وخمس مئة دينار، فسار[٥] به الأَدِلّاء حتّى وافوا به عَرَفات يوم عَرَفة.

ثمّ إنّ حضرموت انْتَقَضَتْ على مَعْن فسار إليهم فمَرّ برياب[٦] في وادي مَسْوَر[٧] فعَظُمَ في عينه ما رأى من جَرِين[٨] الزَّبِيْب بها، فقال لنائبه: لا تقبل منهم إلّا عشرة آلاف ذَهْبٍ[٩] زَبِيباً، فلم يزالوا به حتّى [١١ب] حَطَّ لهم ألفَ ذَهْبٍ، فجمعوا أَعْشارَهم فجاءت

(١) الأغاني: ١/١١٦-١١٧، من قصيدةٍ له في ثمانية أبيات، ترتيب الأبيات فيها: ١-٢، ٧-٨.

(٢) في (هـ): «إذا جلسنا ...».

(٣) في (هـ): «إلا التلذذ ...».

(٤) في (ب): «حاولت دينا ...» وفي (هـ): «بترك الحج ...».

(٥) في جميع النّسخ: «فساروا» على لغة (أكلوني البراغيث) وهذا كثير بهذا الكتاب.

(٦) كذا في (الأم)، وفي صفة جزيرة العرب مُعدِّداً مواضعَ في وادي مسور (١٠٨): « ووادي مسور، فمن أدناها ثربان وعصفان، ومن أقصاهُ زبار والحجلة».

(٧) مَسْوَر: بفتح الميم أوّله وسكون السّين المهملة وفتح الواو آخره راء مهملة؛ صفة جزيرة العرب: ٦٩، ومعجم ما استعجم ٤/١٢٢٩، وذكره ياقوت في معجم البلدان: ٥/١٢٩ أنه بكسر أوّله، وهو وَهْم في بعض الأسماء اليمانية؛ انظر الكلام عليه في شعراء حِمْير: ١/١٠.

(٨) في (ج): «جريرة»، والجَرين والجُرْن: الموضع الّذي يُجفّف فيه الزّبيب والتّمر وغيرهما.

(٩) الذّهْب، بفتح أوّله وسكون ثانيه: مكيال لأهل اليمن، وهو أنواع، ويجمع على أذهاب؛ انظر نور المعارف: ١/٣٤٢، واللّسان والقاموس بفتح الهاء أيضاً: (ذ هـ ب).

عشرة آلاف ذَهْبٍ، فأعطوا عاملَهُ تسعة آلاف، وبنوا مسجدهم بألفٍ[(١)].

ولمّا وصل مَعنٌ إلى حضرموت أوقع بهم عدَّةَ وقعاتٍ حتّى بلغت قَتْلاهم فيها إلى نحو خمسةَ عشرَ ألفاً، فأعظم النّاس ذلك، وتحدّثوا به حتّى قال رجلٌ من قريش للمنصور: ألا تَرَى يا أمير المؤمنينَ إلى ما فعل مَعْنٌ بأهل حضرموت، كاد أن يأتي عليهم؟!

فقال له المنصور: يا بن أخي أخبرني عن قومٍ نُسّاك من قومك ومن الأنصار، كنت أعرفهم بملازمة السَّواري في مُؤَخّر مسجد رسول الله ﷺ، وقد اصفرّت ألوانهم من العبادة؟ قال: قتلهم الخوارج يوم قُديد. قال: فأخبرني عنِ الرّجل الصّالح الّذي كان يلازم السّاريّة الفلانيّة حتّى كأنّه حَنِيَّةٌ[(٢)] منَ العبادة؟ قال: قُتل يوم قُديد. قال: فأخبرني عن أهل البيتِ الصّالح بني فلان ما فعل الدّهر بهم؟ قال: قُتلوا يوم قُديد. فجعل المنصور يسألُهُ عمّن قتل يوم قُديد من المهاجرين والأنصار من وجوه أهل المدينة وعُبّادهم ونُسّاكهم وساداتهم؟ وهو يقول: قتلوا يوم قُديد. فقال له المنصور: يا بن أخي أفتعِيْبُ على مَعْنٍ في قتل أهل حضرموت وقد أخذ بثأركم[(٣)]؟! فسكت عن ذلك القُرشيّ.

ولمّا رجع مَعْنٌ إلى صنعاء أقام بها حتّى أتاهُ كتاب المنصور بعد مُضِيٍّ ستِّ سنين من ولايته فاستدعاهُ إلى العراق، وأمره أن يستخلف ابنَهُ زائدةَ على اليمن. فاستخلف ابنه، وسار إلى العراق فوجّهه المنصور إلى خُراسان لقتال الخوارج بها، فتبعَهُ رجلان من أهل حضرموت، كان قَتَلَ أباهما، فلم يزالا يَرْصُدانِهِ حتّى قَتَلاهُ غِيْلَةً في سِجِسْتان واخْتَفَيا في المدينة أيّاماً بعد قَتْله حتّى سكن الأمر، ثم رَجَعا إلى حضرموت، وقد تقدَّم تاريخ وفاتِهِ في صدر الكتاب[(٤)].

---

(١) قوله: «ذهبٍ فأعطوا ... بألفٍ» ليس في (ب).

(٢) الحَنِيَّة: القوس.

(٣) في (د): «بثارهم».

(٤) يُريد بذلك أوّل الكتاب كاملاً، وليس أوّل الباب الرّابع الذي بدأ به كتابنا هذا.

وأقام زائدة بن مَعْن في اليمن[١] بعد أبيه ثلاث سنين.

قال الجَنَديّ[٢]: ثمّ استعمل المنصور على اليمن الحجّاج بن منصور فأقام مُدَيدةً، ثمّ عَزَلَهُ واستعمل[٣] على اليمن الفُرات بن سالم العَنْسيّ؛ فأقام[٤] ثلاث سنين ثمّ عزلهُ بيزيد[٥] بن منصور خال المهديّ، وذلك في سنة أربعٍ وخمسين ومئة، فأقام والياً على اليمن خمس سنين إلى أن توفّي المنصور؛ وكانت وفاتُهُ في سنة ثمانٍ وخمسين ومئة.

ولما توفّي المنصور في التّاريخ المذكور استولى على الخلافة بعدَهُ ولدُهُ [محمّد][٦] المهديّ، فأَقَرَّ خالَهُ يزيد بن منصور الحِمْيريّ على اليمن سنة، ثمّ[٧] كتب إليه أنْ يستخلف على اليمن ويسير إلى مكّة، ليقيمَ للنّاس حجّهم، ففعل واستخلف عبد الخالق بن محمّد الشّهابيّ، فولي خمسةً وسبعين يوماً، ثمّ توفّي يزيد بن منصور، فاستعمل المهديّ على اليمن رجاء[٨] بن [١٢أ] رَوح الجُذاميّ، وكان قد وقع بين أهل صنعاء والجَنَد قتالٌ في العيد، فانحاز أهل الجَنَد إلى شَعوب، ثمّ اصطلحوا فأقام رجاء بن رَوح في اليمن ثلاثة عشر شهراً.

ثمّ بعث المهديّ على اليمن عليّ بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس فقدمها في المحرَّم من سنة إحدى وستّين ومئة، وأقام هنالك إلى سنة اثنتين وستّين[٩] ومئة، وقيل: كانت إقامتُهُ في اليمن سنةً وخمسة أشهر، وسار نحو العراق، واستخلف على اليمن رجلاً

---

(١) في (ج، د): «حضرموت اليمن».

(٢) السّلوك: ١/ ١٨٤.

(٣) في (هـ): «واستعمل في أيام ...».

(٤) في (ج): «فأقام والياً».

(٥) في (هـ): «ثلاث سنين يزيد».

(٦) ما حُفَّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ، وفي (هـ): «محمد بن المهدي» وهو وَهْم.

(٧) في (ج): «ثم عزله كتب ...».

(٨) في (ج): «وجاء».

(٩) في (الأمّ، ب): «وسبعين» وهو خطأ، وصوابه عن بقيّة النّسخ، واتساق الخبر.

يُقال له: واسع بن عصمة فأقام بعدَهُ أحد عشر شهراً، ثمّ بعث المهديُّ عبدَ الله بن سليمان -أخا عليّ بن سليمان[١]- فقدم لسبعٍ بقين من ربيعٍ الآخر سنة ثلاث وستّين ومئة فأقام بها سبعة أشهر، فيما قاله الجَنَديّ[٢].

وقال ابن عبد المجيد[٣]: أقام سبعة عشر شهراً[٤]، ثمّ بعث المهديّ منصورَ بن[٥] يزيد بن منصور الحِمْيريّ فقدم سنة خمس وستّين ومئة، فمكث سنةً ثمّ عزلَهُ بعبد الله بن سليمان النَّوفَليّ، فمكث سنة[٦]، وكان خَيِّراً يروي الحديث عن الزّهريّ عن عُرْوة عن عائشة[٧]، ويروي عن [يزيد بن يزيد] بن جابر[٨]، عن مكحول.

ثمّ عزل النَّوفليّ بسليمان بن يزيد بن عبد الله بن عبد المَدان الحارثيّ فمكث سنةً وعشرة أشهر، ثمّ توفِّي المهديّ في المحرَّم[٩] من سنة تسعٍ وستّين ومئة، وقد تقدَّم ذكر تاريخ وفاتِهِ.

ولـمّا توفِّي المهديّ في هذا التّاريخ، واستولى على الخلافة بعده ولدُهُ موسى الهادي، استعمل على اليمن عبد الله بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس فأقام سنة، ثمّ عزله بإبراهيم بن سليمان بن عقبة بن مُسْلِم الباهليّ فمكث أربعة

---

(١) قوله: «أخا علي بن سليمان» ليس في (ج، د، هـ).

(٢) السّلوك: ١/ ١٨٥.

(٣) بعده في (الأمّ): «الحميري فقدم سنة خمس وستين» ثمّ ضبّب عليها، والخبر في بهجة الزمن: ٣٢، وفيه: «تسعة عشر شهرا».

(٤) في (ج): «سبعة أشهر».

(٥) في (الأمّ، ب): «المهدي بن منصور»، وهو خطأ وصوابه عن بقيّة النّسخ.

(٦) قوله: «فمكث سنة» ليس في (ب).

(٧) في (د): «عائشة عن عروة».

(٨) (الأمّ، ب): «زيد بن جابر عن مكحول» وصوابه عن (د) وفي (أ): «يزيد بن زيد بن جابر» وفي (ج، هـ): «يزيد بن يزيد، عن جابر».

(٩) قوله: «المحرم ... توفِّي المهدي» سقط في (هـ).

أشهر، وتوفِّي الهادي وكانت وفاته في سنة سبعين ومئة.

ولمّا توفِّي الهادي في التّاريخ المذكور استولى على الخلافة بعدَهُ أخوه هارون الرَّشيد، واستعمل على اليمن خالَهُ الغِطْريف -وقال الجَنَديّ[١]: هو ابنُ خاله- فقدم اليمن والفتنةُ ثائرةٌ بين أهل الجَنَد وأهل صنعاء، فأصلح بينهم وأقام في الجَنَد ثلاث سنين وسبعة أشهر، ثمّ سار نحو الرّشيد، واستخلف على اليمن عباد بن محمّد الشِّهابيّ فبعث الرّشيدُ على اليمن الرَّبيعَ بن عبد الله بن عبد المَدان الحارثيّ، فقدم صنعاء آخر سنة أربعٍ وسبعين ومئة[٢].

وفي أيّامِهِ حصل الثَّلْج بصنعاء، ولم يكن حصل قبل ذلك مثلُهُ، ثمّ عزلَهُ الرّشيد بعاصم بن عُيَيْنة[٣] الغَسّانيّ، فأقام سنة[٤] ثمّ عزلَهُ بأيّوب بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس فمكث سنةً ثمّ عزله بالرَّبيع بن عبد الله الحارثيّ والعبّاس بن سعد مولى بني هاشم: الرَّبيع على الحَرْب والصّلاة، والعبّاس على الجِباية. فأقامَا سنتين ثمّ عُزِلا بمحمّد بن إبراهيم الهاشميّ وجمع له الحِجاز واليمن، فأقام بالحِجاز وبعث ابنه العبّاس إلى اليمن فشكاهُ النّاس، فعزلَهُ الرَّشيد بعد [١٢ب] ستّة أشهر بعبد الله بن مصعب بن ثابت [بن عبد الله][٥] بن الزُّبَير، وكان رِزْقُ[٦] عُمّال صنعاء في كلِّ شهر ألفَ دينار، فجعل له الرَّشيد أَلْفَي دينار؛ فقال له يحيى بن خالد[٧]: هذا يُفسدُ عليك مَنْ تُولِّيهِ بعده

(١) السّلوك: ١/١٨٥.

(٢) في (الأمّ): «... ومئة سنة».

(٣) في (أ، ج): «عُتيبة» وفي (د): «عتبة».

(٤) قوله: «فأقام سنة» ليس في (ج).

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن (هـ) وفيها: «عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن الزبير»، وإنّما هو جدّ الزُّبير بن بكّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير؛ جمهرة أنساب العرب: ١٢٢-١٢٣، وأسد الغابة: ٣/٣٧٢.

(٦) في (ج): «ورق».

(٧) في (هـ): «يحيى بن الحاجب» محرّفاً.

من أهل بيتك، فَردَّ رزقَهُ إلى ألف دينار ووصله بصلةٍ جليلة، فأقام سنةً ثمّ عزلَهُ بأحمد بن إسماعيل بن عليّ الهاشميّ.

وفي هذه السّنة: ثار الهَيْصَم[1] بن عبد المجيد في جبال مَسْور[2]، فحارب جنود السّلطان وهَزَمهم وقتَلهم.

وعُزِلَ أحمد بن إسماعيل بإبراهيم بن عبد الله بن عُبَيد الله بن أبي طَلْحة بن عبد الدّار[3]، فأقام سنةً ووَثَبَ به الجُنْدُ، وكان في ولايته تخليطٌ وضَعْف، فعزلَهُ الرَّشيد بمحمّد بن [خالد بن][4] بَرْمَك فدخل صنعاء في شوّال من سنة ثلاثٍ وثمانين ومئة، فأقام بها حتّى جرّ إليهم النّهر المعروف بالبَرْمكيّ، ثمّ سار إلى بلد يَحْصِب فأقام بقرية مَنْكَث يجبي[5] المِخْلافين الجَنَد وصنعاء، وكان من أحسن الولاة القادمين اليمن عَدْلاً ورِفْقاً، وحُسْن سيرة.

ولمّا فَرَغَ من عِمارة النّهر المذكور جمع أهل صنعاء وحَلَفَ لهم الأيمان المُغَلَّظَة: إنّه لم يصرف في عِمارته شيئاً من مال السّلطان ولا من مال حرام ولا شِبْهَهُ. ثمّ وَقَفَهُ على المسلمين، وبنى مسجداً بصنعاء عند سوق اللَّسّاسِين[6]، وكان محمّد بن خالد هذا كثيرَ الصَّدَقة في جميع أحواله، وكان كثير التَّفَقُّد لأحوال الرَّعيَّة، محبًّا لهم ومشفقاً عليهم.

ويُحكى أنّه خرج يوماً إلى سواد صنعاء فوافَى أهلَ ذلك السَّواد، وعليهم ثيابُ

---

(١) في (د): «الهيضم» مصحَّفاً، وإنّما هو الهيصم - بالصّاد المهملة -بن عبد المجيد الهَمْدانيّ؛ المُحَبَّر:٤٨٨، والأعلام:٨/١٠٥.

(٢) قوله: «مسور» ليس في (د).

(٣) في (أ، د، هـ): «... بإبراهيم بن عبيد الله بن عبد الله بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار» ونحوه في (ج) وفيه أيضاً: «.. بن إبراهيم ...».

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين هو الصّواب، وسيأتي بعد قليل.

(٥) ويحتمل الرسم في (الأم): «مَجبى».

(٦) اللَّسّاسون: الذين يبيعون اللَّسِيس، وهو ما يُلَسّ من الحبّ؛ أي يُسلق؛ انظر المعجم اليمني: ٢/٩٣٩.

الصُّوف الأسود، وهي الّتي تُسمَّى الشّمال، فظَنَّ أنّهم سُؤّالاً؛ فقال لخدمِهِ: تصدَّقوا على هؤلاء المساكين. فقيل له: إنّ هؤلاء الرَّعيّة الّذين يُؤخَذ منهم المال، فتألَّمَ لحالهم، وقال: ما ينبغي أن يُؤخَذ مِنْ هؤلاء شيءٌ، فلم يَزَلْ يَلْطُفُ(١) بهم حتّى أراد بعضهم الخروج عليه. وخرج من(٢) طاعته أهل تِهامة، فبعث إلى الرَّشيد يشكوهم؛ فبعث الرَّشيد مكانَهُ مولاه حمّاداً البَرْبَريّ(٣)، فقال له: اسمعني أصوات أهل اليمن، فقدم اليمن في شوّال سنة أربع وثمانين ومئة، فعاملهم بالعَسْف والجَبَرُوت، وقتل جماعةً من رؤسائهم وشَرَّدَ جمعاً كثيراً منهم، حتّى دانوا له وأطاعوا وسلَّموا ما يجب عليهم من الخَراج المُعْتاد(٤) وزيادة، وعُمرتِ اليمن في أيّامه وخاصّة صنعاء، وأَمِنَتِ السُّبُل حتّى كانتِ القوافل تقدم من اليمامة فيها القطيع من الغَنَم(٥) على كلِّ شاةٍ مِخْلاتان في كلِّ مِخْلاة ستّة أَمْداد تمْراً فيباع بأَرْخَص الأثْمان، وأخصبتِ اليمن في أيّامه خِصْباً لم يُعهد مثلُهُ، ورَخُصَتِ الأَسْعار، واشتدّ العَسْف على أهل اليمن منه، فحَجّوا إلى مكّة وشكوا إلى الرّشيد فلم يسمع منهم، فأَغْلَظوا له في الكلام فلم يُجِبْهم إلى شيءٍ ممّا(٦) سألُوهُ منه.

فخالف عليه الهَيْصَم بن [١١٣أ] عبد المجيد وأجابه إلى الخلاف خلقٌ كثيرٌ من أهل اليمن بسبب ما نالهم منَ العَسْف، فكتب حمّاد إلى الرّشيد يستمدُّهُ(٧) فأَمَدَّهُ بعشرة قُوّاد من أهل العراق وخراسان، فاستأمن إبراهيم بن عبد المجيد أخو الهَيْصَم إلى حمّاد فأَمَّنَهُ، وكان

---

(١) في (ج، د، هـ): «يتلطف».

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «عن».

(٣) في (الأم): «اليزبري» وفي (ج، د): «اليزيدي» وصوابه عن بقيّة النّسخ؛ انظر ترجمته في العقد الثّمين: ٤/ ٢٢٤.

(٤) في (الأم): «والمعتاد».

(٥) في (هـ): «القطيع من اليمن».

(٦) في (الأم): «ممن ما».

(٧) قوله: «يستمده» ليس في (ب).

سببُ ظَفَرِ حمّادٍ بجبال العَضُد[1] مَهْرَبَ[2] الهَيْصَم إلى بَيْش من تِهامة، فظفرتْ به هنالك الجيوش، وأُخِذَ وحُمِلَ إلى حمّاد فأَشْخَصَهُ حمّادٌ إلى الرَّشيد ومعه جماعةٌ من أهل بيته[3]، فأمر الرَّشيد بضَرْب عنق الهَيْصَم، وصَرَفَ مَنْ كان معه إلى السِّجْن ببغداد، فأقاموا هنالك إلى أن هلك الرَّشيد؛ وكانت وفاة الرَّشيد في سنة ثلاث وتسعين ومئة.

ولمّا توفّي الرَّشيد في التّاريخ المذكور واستولى على الخلافة بعده ولده محمّد الأمين، أَقَرَّ حمّاداً البَرْبَريّ على عمله في اليمن سنةً بعد موتِ الرَّشيد، ثمّ عزلَهُ بمحمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ[4]، فلمّا قدم اليمنَ صادر عُمّال حمّاد، وأخذ منهم أموالاً جليلةً، وحَسُنَتْ سيرتُهُ بالرَّعايا وأحبَّهُ أهل اليمن.

وبعد سنةٍ من ولايته عُزِلَ بمحمّد بن سعيد بن السَّرْح الكِنانيّ فقدم صنعاء في شعبان من سنة خمسٍ وتسعين ومئة، فأقام باليمن حتّى ثارتِ الفتنة بين الأمين والمأمون، فلمّا ضعف الأمينُ وحَصَرَهُ طاهر بن الحسين دخل أهل الأطراف في طاعة طاهر، فبعث طاهر بن الحسين على اليمن يزيد بن جرير [بن يزيد] بن خالد بن عبد الله القَسْريّ[5]، فقبحت سيرتُهُ في اليمن، وظهرت منه عصبيَّة قبيحة؛ وذلك أنّه وجد قوماً من الأبناء - الّذين بعث بهم كسرى مَدَداً لسيف بن ذي يزن فتزوَّجوا في العرب - فأمرهم بطلاق مَنْ في أيديهم من نساء العرب، فلمّا بلغ ذلك المأمون عزلَهُ بعمر بن إبراهيم بن واقد بن محمّد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وكان نازلاً مع أخواله من أَرْحَب.

---

(١) صفة جزيرة العرب: ٧٢.

(٢) في (الأمّ) وجميع النسخ: «فهرب» وسياق الخبر يقتضي أن يكون «مهرب» هو الخبر.

(٣) بعد في (الأمّ): «فأمر الرشيد ومعه جماعة من أهل بيته» وهو تكرار وخلط.

(٤) قوله: «مالك الخزاعي» سقط في (هـ).

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ)، وسيأتي على الصواب، وفي (هـ): «يزيد بن جرير بن يزيد بن جرير بن خالد» وفي (ج، د): «القشيري» وهو خطأ. وثمة سقط في (ج، د) من قوله: «فقبحت سيرته ... يزيد القسري».

وقيل: بل قدم رجلٌ من العراق يقال له: الصّلْت[(١)] على يزيد بن جرير بن يزيد القَسْريّ طالباً، فلم يُعْطِهِ يزيد شيئاً، فقصد عمر بن إبراهيم بن واقد العُمَريّ، وكان مقيماً عند أخواله من همْدان، فأخبره بما كان من يزيد بن جرير[(٢)]. فقال عمر بن إبراهيم: بئس ما صنع يزيد، ووصل أبا الصَّلْت بعشرين ديناراً. فقال أبو الصَّلْت: لأُحْسِنَنّ[(٣)] مكافأتك إن شاء الله تعالى.

فخرج من عنده يُريد العراق فغاب عنه مدَّة، ثمّ قدم عليه بكتابٍ افتعلَهُ بولايته على اليمن، فقدَّم عمر بن إبراهيم ولَدَهُ في جماعةٍ من العرب وقوم جمعهم، فدخلوا صنعاء في شهر صفر من سنة ثمانٍ وتسعين ومئة، وأخذ يزيد بن جرير وحبسَهُ وصادرَهُ بمالٍ جزيل، ثمّ قدم عليه أبوه بعد ذلك فأقام أيّاماً وأخرج يزيد بن جرير من السِّجْن ميتاً، وقيل: مقتولاً.

وأقام العُمَريّ في ولايته سنةً -وقيل: أشهراً، وقيل: شهراً واحداً- ثمّ عزله المأمون بإسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى[(٤)] بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن[(٥)] العبّاس فقدم في القِعْدة [١٣ب] من سنة ثمانٍ وتسعين ومئة[(٦)] -فيما قاله الشّريف- فأقام على ولايتِهِ سنة تسعٍ وتسعين ومئة، ثمّ سار يُريد الحِجاز، واستخلف على اليمن ابن عمّهِ القاسمَ بن إسماعيل، وذلك حين بلغَهُ ظهورُ الإمام محمّد بن إبراهيم المعروف بطَباطَبا بالكوفة واستيلاؤُهُ عليها.

فلمّا سار إسحاق بن موسى من صنعاء أيّاماً وَثَبَ عليه الأعرابُ فقاتلوه، فرجع إلى

---

(١) في (أ، هـ): «أبو الصلت».

(٢) في (ج، هـ): «جابر».

(٣) في (الأمّ، ب): «لأحسبن» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٤) قوله: «ابن عيسى بن موسى» ليس في (ب).

(٥) قوله: «العباس ... ابن عمه» سقط في (ج).

(٦) قوله: «فيما قاله ... تسعين ومئة» سقط في (د، هـ).

صنعاء فوجد نائبَهُ قد أحدث بها أحداثاً وضَرَبَ بها رجالاً، وهدم بها دوراً كثيرةً؛ فقال له: ما حَمَلَكَ على ما صنعت؟ فقال: تخَوَّفتُ، وأخرج كتاباً قد زُوِّر على خطِّهِ بذلك. فلم يزل يبحث عنِ الّذي زَوَّرَ الكتاب حتّى عرفهُ. فقال له: ما حَمَلَكَ على ما صنعتَ؟ فقال: تخوَّفتُ أن يُقتَلَ ابنُ عمِّك. فسَكَتَ[1] ولم يُنكِر عليه ما فعل.

وسمع بقدوم إبراهيم بن موسى بن جعفر الصّادق أميراً على اليمن من قبل الإمام محمّد بن إبراهيم بن طَباطَبا، فقدم إبراهيم بن موسى[2] اليمن في صفر من سنة مئتين، فأَسْرَف في القتل حتّى سُمِّي الجَزّار، ولم تزل أمورُهُ مستقيمةً في اليمن إلى أن مات[3] محمّد بن إبراهيم، وأقام بعده محمّد بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين، فلمّا أُسِرَ محمّدُ بن محمّد[4]، وقُتِلَ أبو السَّرايا انجلتْ أمور الطّالِبيِّين باليمن والحِجاز.

وبعث المأمون محمّد بن عليّ بن عيسى بن ماهان فكانت بينه وبين إبراهيم بن موسى عدّة وقائع استظهر فيها ابن ماهان على إبراهيم، ولم يزل إبراهيم بن موسى يتردّد في القرى الّتي حول صنعاء حتّى قدم عليه عهد[5] المأمون بولاية اليمن فأَبَى ابنُ ماهان أن يُسلِّمها إليه، فالْتَقَيا بجُدر[6] عند صنعاء فانهزم إبراهيم، ولم يستقم له أمر بعد ذلك، ثمّ بعث المأمونُ عيسى بن يزيد الجَلُوديّ التَّميميّ والياً على اليمن، فجمع له ابن ماهان عشرة آلاف مقاتل، وخرج بهم ابنُهُ عبدُ الله من صنعاء فالتقوا بالجَلُوديّ فهَزَمَهم الجَلُوديّ،

---

(١) في (ج، هـ): «فنشك».

(٢) في (الأم): «موسى بن إبراهيم» وهو وَهْم.

(٣) في (أ، ج، د، هـ): « مات الإمام محمد».

(٤) في (ج، د، هـ): «محمد بن الحسين» وهو خطأ.

(٥) قوله: «عليه عهد» ليس في (هـ).

(٦) قوله: «بجُدر» بضمّ الجيم كذا ورد مضبوطاً في (الأمّ)، والمشهور المعروف اليوم «جَدِر» بفتح الجيم وكسر الدّال المهملة آخره راء مهملة.

ودخل بعدهم صنعاء، فتَمَّ عبد الله منهزماً طريقَ أَعْشار في فرسان حتّى قدم مكّة، واختفى أبوه محمّد بن ماهان بصنعاء، فدُلّ عليه الجَلُوديّ فقَبَضَهُ وحَبَسَهُ.

وفي هذا التّاريخ: توفِّي الإمام أبو الغَيْث محمّد بن خالد الجَنَديّ، وهو أحد شيوخ الإمام الشّافعيّ رحمه الله، وكان بعض الفقهاء يستدلُّ على الشّافعيّ رحمه الله أنّه دخل الجَنَد كما دخل صنعاء بروايته عنِ الإمام محمّد بن خالد الجَنَديّ المذكور، وكانت وفاتُهُ على رأس المئتين منَ الهجرة، والله أعلم.

ولـمّا استقرّ الجَلُوديّ بصنعاء فَرَّقَ عمّاله في المَخالِيف وشَخَصَ نحو العراق، واستخلف على العُمّال(١) رجلاً يُقال له: حصن بن المِنْهال، فأقام حتّى قدم عليه إبراهيم الإِفريقيّ، وهو رجلٌ من(٢) شَيْبان.

وفي سنة ثلاث ومئتين: قلّد المأمون محمّد بن عبد الله بن زياد الأعمال التّهاميَّة، وما استولى [١٤أ] عليه من الجبال، فقدم اليمن في سنة أربع ومئتين، واستعمل على القضاء بتِهامة محمّد بن هارون التَّغلِبيّ، وهو جدّ بني عُقامة.

واستولى ابن زياد على التّهائم بعد حروب جرت بينه وبين العرب، واختطَّ مدينة زَبِيْد في الرّابع من شعبان سنة أربع ومئتين، وسأذكر وُلاةَ التَّهائم وما يتعلّق بذلك في الباب الآتي بعد هذا الباب، إن شاء الله تعالى.

ولـمّا قدم الإِفْريقيّ(٣) اليمن أقام بها مدَّةً، ثمّ عُزِلَ بنُعَيم بن الوَضّاح الأَزْديّ والمُظَفَّر بن يحيى الكِنْديّ اشْتَرَكا في العمل؛ فقَدِما صنعاء في صفر سنة ستٍّ ومئتين.

فسار المُظَفَّر إلى الجَنَد فأقام بها مدّةً يَجْبي مَخالِيفها، ثمّ رجع إلى صنعاء فمات بعد أيّام

---

(١) في (ب): «الأعمال».

(٢) في (هـ): «من بني شيبان».

(٣) قوله: «اليمن أقام ... العمل، فقدما» سقط في (ج).

من رجوعه، وصار الأمر جميعُهُ إلى نُعَيم بن الوَضّاح الأزْديّ(١)، فأقام بها حتّى عُزل بمحمّد بن عبد الله بن محرز مولى المأمون، فقدم اليمن سنة ثمانٍ ومئتين، وأَمَّرَ ابناً له يُقال له: أبو الحميد(٢) يَجْبي الجَنَد ومَخاليفها، فلم يلبث أن شَغَبَ(٣) عليه أهل الجَنَد، وكان في ولايته ضَعْفٌ. فخرج نحو الحِجاز واستخلف عباد بن عمر(٤) الشِّهابيّ، فأقام حتّى قدم عليه إسحاق بن العبّاس(٥) بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، وكان قدومُهُ آخر شهر رجب من سنة تسع ومئتين، فأساء السِّيْرة، وظلم النّاس وغَشَمَهم، وظهرت منه أخلاقٌ منكرةٌ غليظة(٦)، ونال(٧) من اليمانية كلَّ منال، وتَعَصَّبَ عليهم تَعَصُّباً لم يفعلْهُ أحدٌ قبله، وكان لا يسأل أحداً عن نسبه، فينتسب إليهم إلّا قتله، ولم يترك لِحِمْير ذِكْراً، حتّى إنَّه أمر بقَلْع الخَوْخ الحِمْيريّ ممّا(٨) أَسْرَف في التَّحامل عليهم.

وفي أيّامه كانتِ الزَّلْزَلة العظيمة المشهورة بصنعاء سنة اثنتي عشرة ومئتين، ولم يزل كذلك إلى أن توفِّي سنة ستّ عشرة، واستخلف على عمله عند موته ولدَهُ يعقوبَ فلم تصفُ له اليمن بعد أبيه، وحصل بينه وبين أهل صنعاء شِقاقٌ أَفْضَى إلى قتالٍ قُتل فيه جماعةٌ من أهل صنعاء، ثمّ انهَزَم إلى ذَمار.

فعزلَهُ المأمون بعبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد الله بن العبّاس(٩)

---

(١) في (ج، د): «الأسدي».

(٢) في (ج): «أبو الحمد».

(٣) في (الأمّ، أ، ب): «سعت» ولها وُجَيه. وقوله: «ومَخاليفها ... أهل الجند» ليس في (هـ).

(٤) في (ج، د): «العمر الشهابي».

(٥) في (ج، د): «إسحاق بن محمد ...».

(٦) في (ج): «عظيمة».

(٧) في (الأمّ): «ونال الناس» ثم ضبب على الناس.

(٨) في (ج، د): «بما».

(٩) قوله: «بن عبد الله بن العباس» الثانية ليس في (ج، د، هـ).

فقدم في المحرَّم سنة سبع[1] عشرة ومئتين، فلم يزل بها إلى أن توفِّي المأمون، وكانت وفاتُهُ في سنة ثماني عشرة ومئتين، فلحق بالعراق، واستخلف عَبّاد[2] بن عمر الشِّهابيّ.

ولمّا توفِّي المأمون وولي أخوه المعتصم الخلافة أَقَرَّ عَبّاد[3] بن عُمر الشِّهابيّ على عمله سنتين، ثمّ عزلَهُ بعبد الرّحيم بن جعفر بن سليمان بن عليّ الهاشميّ، وابنه عند الأمير يُعْفِر بن إبراهيم الحِواليّ[4]، فأقام عبد الرّحيم إلى سنة خمسٍ وعشرين ومئتين، وعُزِل بجعفر بن دينار مولى المعتصم، فأرسل خليفةً له يُقال له: منصور[5] بن عبد الرّحمن[6] التَّنوخيّ، فقدم اليمن في صفر من سنة خمس وعشرين ومئتين، فضَبَطَ البلاد ووجَّهَ عُمّاله إلى المَخالِيف، فقدم عليه عبد الله بن محمّد بن عليّ [١٤ب] بن عيسى بن ماهان، وقد أُشْرِكَ مع جعفر في الولاية، فأقام[7] منصور في اليمن وقتاً، ثمّ عُزِل جعفر بن دينار بإِيْتاخ التُّركيّ مولى المعتصم، فأَقَرَّ[8] منصوراً وعبد الله بن عليّ على عملهما، فلم يزالا إلى أن مات المعتصم في سنة سبع وعشرين.

---

(١) في (أ): «تسع عشرة ومئتين» وهو خطأ.

(٢) في (ج، د): «عبادة».

(٣) في (ج، د): «عبادة».

(٤) في (أ): «عبد الأمير» وفي (أ، هـ): «جعفر بن إبراهيم الحوالي». وقوله: «الحوالي» ضُبِط في (الأمّ): بضمّ الحاء المهملة (الحِواليّ) بكسر الحاء المهملة أوّله: منسوبٌ إلى ذي حِوال الأكبر بن يَرِيْم بن ذي مُقار. ويقال: إنّ اسم ذي مُقار: أحمد؛ ويُقال: يُحْمِد بن مالك بن زيد بن سَدَد بن زُرعة، وهو حِمْير الأصغر؛ الإكليل: (المخطوط: ٢/٧٨٧٧، والمطبوع: ٢/١٦٧). وثمّة لبسٌ يحدث بين النّسب إلى الحِواليّ الحِمْيريّ هذا وآخر مِنَ الأزد؛ النّسبة إليه: الحَواليّ، بفتح الحاء، في حين الحِمْيريّ بكسرها كما سلف؛ الأنساب للسّمعانيّ: ٤/٣١١.، والمشهور الكسر. وورد في مصادر كثيرة: «يعفر بن عبد الرحيم بن كريب الحوالي» الأعلام: ٢/١٩٣، وانظر مصادره.

(٥) في (د): «المنصور».

(٦) في (ب): «عبد الرحيم التنوخي».

(٧) في (ج، د، هـ): «فأقام مع منصور ...».

(٨) قوله: «فأقر منصوراً ... المعتصم» سقط في (ج، د).

ولمّا توفّي المعتصمُ: استولى على الخلافة بعده ولدهُ الواثق فأقرّ إيْتاخ التُّركيّ على اليمن فوجّهَ أبا العلاء أحمد بن العلاء[1] العامريّ، فلمّا وصل صَعْدَة أرسل الأمير يُعْفِر[2] بن عبد الرّحيم الحِوالي غلامَهُ طريف[3] بن ثابت في عسكر نحو صنعاء، فخرج إليهم منصور بن عبد الرّحمن في أهل صنعاء وهَزَمَهم وقتَلَ من موالي يُعْفِر بن عبد الرّحيم نحواً من ألف رجلٍ وأَسَرَ آخرين، فضرب أعناقهم؛ وقدم ابن العلاء صنعاء بعد الواقعة فأقام فيها حتّى توفّي ، واستخلف أخاه عمرو بن العلاء فأقام بها مدّة.

ثمّ إنّ إيْتاخ استخلف على اليمن هَرْثَمة[4] بن السير مولى المعتصم، فورد كتاب هَرْثَمة على منصور بن عبد الرّحمن بنيابته على اليمن، ثمّ قدم هَرْثَمة في آخر المحرّم من سنة ثلاثين ومئتين، فأقام أيّاماً وخرج لمحاربة الأمير يُعْفِر بن عبد الرّحيم الحِوالي وهو بشِبام فحاربه أيّاماً، ثمّ عاد إلى صنعاء.

ثمّ إنّ الواثق عزل إيْتاخ عنِ اليمن، واستعمل عليها جعفر بن دينار، فسار إلى اليمن فلمّا قدمها حاصر يُعْفِر بن عبد الرّحيم[5] مدّةً، وحصل الصّلحُ بينهما، وعاد إلى صنعاء، فأقام بها إلى أن توفّي الواثق في آخر ذي الحِجّة من سنة اثنتين وثلاثين ومئتين[6].

فلمّا توفّي الواثق استولى أخوه المتوكّل على الخلافة، وأَقَرَّ جعفرَ بن دينار على اليمن، فأقام بها مدّة، واستخلف ابنه محمّد بن جعفر بن دينار على عمله، وسار نحو العراق فأَقَرَّ المتوكّلُ محمّد بن جعفر على اليمن، فلم يزل المتوكّل حتّى قُتِلَ في شوّال من سنة سبع وأربعين ومئتين.

---

(١) في (أ): «أبا العلاء أحمد بن العامري» وفي (ج): «أبا العلاء العامري».

(٢) في (ب): «يعقوب».

(٣) في (ج): «طريق» وفي (د): «ظريف» وفي (هـ): «أرسل ولده طريف بن ...».

(٤) قوله: «ابن هرثمة ... ثم قدم هرثمة» سقط في (ج).

(٥) في (ج، د، هـ): «يُعْفِر بن إبراهيم».

(٦) قوله: «في آخر ذي الحِجّة من سنة اثنتين وثلاثين ومئتين» سقط في (د) وفي (هـ): «... من سنة ثلاثين ومئتين».

فلمّا توفّي المتوكّل استولى على الخلافة بعده ولدُهُ المنتصر[1] فأقرّ محمّدَ بن جعفر على عمله، فأقام باليمن إلى أن مات المنتصر في سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين.

فلمّا توفّي المنتصر ولي الخلافة بعده ابنُ عمّه أحمد المستعين، فأقرّ محمّد بن جعفر على عمله، فأقام باليمن حتّى خُلِعَ المستعين في سنة إحدى وخمسين ومئتين.

ولمـا خُلِعَ المستعين ولي الخلافة بعده ابنُ عمِّهِ محمّد المهتدي، فأقرّ محمّد بن جعفر على عمله، فأقام هنالك إلى أن قُتِلَ المهتدي في سنة ستٍّ وخمسين ومئتين[2].

فلمّا قُتِلَ المهتدي واستولى على الخلافة بعده ابنُ عمِّهِ أحمد المعتمد، أقرّ محمّد بن جعفر على عمله، وكانت أمور المعتمد كُلُّها بيد أخيه أبي أحمد الموفّق طلحة بن المتوكّل، فوردت كتبُ أبي أحمد إلى الأمير يُعْفِر بن عبد الرّحيم الحِواليّ[3] بولاية اليمن، فوجّهَ عمّاله على المَخالِيف وفتح حضرموت[4]، وكانت قد تمنَّعتْ على مَنْ قَبْلَهُ؛ هذه رواية الشّريف إدريس في كتابه (كنز الأخيار).

وقال الجَنَديّ[5]: لمـا توفّي الواثقُ وقامَ بالأمر بعده أخوه المتوكّل أقرّ [١٥أ] جعفر بن دينار على اليمن مدّة، ثمّ عزلَهُ واستعمل حِمْيَر بن الحارث، فلم يتمَّ له الأمرُ مع الأمير يُعْفِر بن عبد الرّحيم الحِوالي فعاد حِمْيَرٌ إلى العراق هارباً واستولى يُعْفِر بن عبد الرّحيم[6] على صنعاء ومَخالِيفها، وقُتِلَ المتوكّل عُقَيب ذلك.

ثمّ قام بالأمر بعدَهُ ابنُهُ محمّد المنتصر، فأقام في الخلافة ستّة أشهرٍ، وتوفّي في سنة ثمانٍ

---

(١) في (ج): «المنتصر في سنة ثمان وأربعين ومئتين».

(٢) في (الأم، ب، د، هـ): «خمس وستين ومئتين» وفي (أ، ج): «خمس وخمسين ومئتين» وسيأتي صوابه.

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «محمد بن يعفر بن عبد الرحيم الحوالي».

(٤) في (ج): «حصن حضرموت».

(٥) السلوك: ١/١٩١.

(٦) قوله: «فعاد حمير ... عبد الرحيم» سقط من (ج).

وأربعين ومئتين، فقام بالأمر بعده ابنُ عمِّه أحمد المستعين بن محمّد بن[1] المعتصم، فكان في ولايته تخليطٌ وضَعْف، ثمّ خُلِع وقُتل في سنة اثنتين وخمسين ومئتين، وولي الخلافة بعده ابنُ عمِّه المعتزُّ بالله الزُّبَير بن المتوكِّل[2]، وكان مغلوباً على أمره إلى أن خُلِعَ وقُتل في سنة خمس وخمسين ومئتين، ثمّ تولَّى الخلافة بعده ابن عمِّه المهتدي بالله محمّد بن الواثق فلم تَطُلْ مُدتُّهُ، فخُلِعَ وقُتِلَ في سنة ستٍّ وخمسين ومئتين، فوَلِي الخلافة بعده ابنُ عمِّه المعتمد على الله أبو العبّاس أحمد بن جعفر المتوكِّل، فلمّا استوثقت له البلاد وامتدَّت أيّامُهُ أخذ البيعة له في اليمن الأمير محمّد بن يُعْفِر بن عبد الرّحيم وتابع الخُطْبَة له، فلمّا وصل خبرُهُ إلى المعتمد كتب إليه بنِيابَتِهِ على صنعاء ومَخالِيفها، فغَلَبَ على صنعاء والجَنَد وحضرموت، وكان مع ذلك يُوالي ابن زياد صاحب زَبِيْد، ويحملُ إليه الخَراج ويوحده[3] أنّه نائبُهُ لعجزِهِ عن مقاومته.

وكان وصول كتاب المعتمد عليه في سنة سبعٍ وخمسين ومئتين، فأقام على عمله إلى سنة اثنتين وستّين ومئتين، واستخلف على عمله ابنَهُ إبراهيم بن محمّد بن يُعْفِر وحجَّ إلى مكّة المشرّفة في السّنة المذكورة.

وفي أيّام الأمير محمّد بن يُعْفِر حصل في صنعاء سيلٌ عظيم -وهو السّيل الثّاني في الإسلام- فأَخْرَب دوراً كثيرةً[4]، وأَتْلَف أموالاً جزيلةً، وهلك عالمٌ لا يُحْصون كَثْرةً، ويُقال: إنّ عدّة الدّور الّتي خَرِبَتْ يومئذٍ ستّة آلاف دارٍ -وقيل: بل ألف دارٍ ومئتا دار- والله أعلم. وكان ذلك في شهر ذي الحِجَّة من سنة اثنتين وستّين؛ قاله الشّريف، قال:

---

(١) في (ب، ج): «محمد المعتصم».

(٢) المعروف أنّ اسمه محمّدٌ المعتز بالله بن جعفر المتوكّل على الله وثمّة من سمّاه الزّبير؛ انظر الأعلام: ٦/ ٧٠.

(٣) قوله: «ويوحده» كذا بجميع النّسخ، وسيأتي في (الأمّ، ج، د، هـ): «وأوحدهم»، وفي (أ، ب): «وأوجدهم» وهو كذلك في العقود: ٢/ ١٤٤؛ والمعنى ههنا من خلال سياق الكلام: يُوهِمُهُ وأَوْهَمَهم.

(٤) قوله: «وأتلف ... كثرةً» ليس في (ج، د، هـ).

وكان معظمُهُ في السّرار[(١)].

قال الجَنَديّ[(٢)]: ولمّا رجع الأمير محمّد بن يُعْفِر من الحجّ بنى جامع صنعاء على الحال الّذي هو عليه إلى الآن، وذلك في سنة خمس وستّين ومئتين، ذُكر ذلك عن[(٣)] القاضي سَرِيّ بن إبراهيم.

قال الشّريف إدريس: ولم يزلْ إبراهيم بن محمّد بن يُعْفِر على ولايته إلى سنة سبعين ومئتين، ثمّ أَمَرَهُ جدُّه[(٤)] يُعْفِر بن عبد الرّحيم بقتل ولدِهِ[(٥)] محمّد بن يُعْفِر وأحمد بن يُعْفِر فقُتِلا بعد المغرب في صَوْمَعَة مسجد[(٦)] شِبام، فانتشرتِ الأمور على يُعْفِر بن عبد الرّحيم، وخالف عليه الفضل بن نفيس المُراديّ بالجَوف وولد طريف غلامه بيَحْصِب ورُعَين والمُكَرَّمان[(٧)] ببَيْحان، ومالوا إلى جعفر بن محمّد[(٨)] المَناخيّ، فوجَّهَ أبو جعفر إبراهيمُ بن محمد بن يُعْفِر [إلى المخالفين عليه مَنْ حاربهم، فكانتِ الحرب بينهم سِجالاً.

وولّى إبراهيمُ بن محمّد بن يُعْفِر][(٩)] على الجوفين محمّداً الدُّعَام، فتغيَّرَ له الدُّعَام ونَصَبَ له الحرب[(١٠)]، فسارت إليه عساكرُ إبراهيمَ بنِ محمّد بن يُعْفِر فالتقوا بِوَرْوَر فهَزَمَهم [١٥ب] الدُّعَامُ وقتَلَ منهم كثيراً.

---

(١) قوله: «السّرار» غير واضح في (الأمّ، ب) ويحتمل: «البرار»، وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ) والسّرار: وسط الواديّ.

(٢) السّلوك: ١/٢٠٠.

(٣) في (ب، ج، د، هـ): «ذكر ذلك القاضي ...».

(٤) في (الأمّ، ب): «حفدةوا وهو خطأ.

(٥) في في (أ، ج، د، هـ): «ولديه».

(٦) في (ج): «صومعة شبام».

(٧) في (د): «والكرمان».

(٨) في (أ، هـ): «جعفر بن أحمد المياخي» محرّفاً.

(٩) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

(١٠) قوله: «له الحرب» سقط في (ب).

وقدم[(١)] عهد ابن يُعْفِر[(٢)] بن إبراهيم بن محمّد بن يُعْفِر على صنعاء ومَخالِيفها من ذَوي الوزارتين صاعد بن مَخْلَد وزير المعتمد، فاعتزل إبراهيم بن محمّد بن يُعْفِر عن الإمارة، وولّى ابنه عبد الرّحيم[(٣)] فأقام بصنعاء مدّةً، ثمّ عزلَهُ أبوه حين قدم صنعاء في سنة ثلاث وسبعين ومئتين، واستعمل على صنعاء وُلاةً كثيرة، وكان أكثر مُقامه بشِبام، ثمّ اجتمع أهلُ صنعاء، منَ الأَبْناء وغيرهم، والشِّهابيُّون، على عمّال أبي يُعْفِر[(٤)] بصنعاء فقاتلوهم وأخرجوهم من صنعاء ونهبوا دار أبي يُعْفِر[(٥)] وأحرقوها، ولم يلبث أبو يُعْفِر[(٦)] أن قُتل بشِبام آخر المحرَّم سنة تسع وسبعين ومئتين، فقام بالأمر بعده ابنُ عمّه عبد القاهر بن أحمد بن يُعْفِر أيّاماً حتّى قدم منَ العراق عليّ بن الحسين المعروف بجُفْتُم[(٧)] عاملاً على صنعاء، وكان قدومُهُ في صفر سنة تسعٍ وسبعين ومئتين، فقاتله الدُّعَام في مدينة صنعاء فهزمه جُفْتُم ودخل عليه صنعاء وطردَهُ منها، ولم يزل جُفْتُم مالكاً صنعاء إلى أن توفِّي المعتمد في شهر رجب من سنة تسعٍ وسبعين[(٨)] ومئتين.

فلما توفِّي المعتمد وتولّى الخلافة بعده ابنُ أخيه أحمد بن المعتضد بن الموفَّق طلحة بن المتوكِّل[(٩)] أقَرَّ عليّ بن الحسين جُفْتُم[(١٠)] على ولايته بصنعاء، فلم يزل مالكَها إلى سنة اثنتين

---

(١) في (الأمّ، أ): «وقد».

(٢) في (ج، د، هـ): «عهد يُعْفِر».

(٣) في (أ): «ووله ابنه عبد الرحمن» وفي (هـ): «وولى إبراهيم بن عبد الرحيم».

(٤) في (أ، ج، د): «أبي جعفر».

(٥) في (أ): «ابني يُعْفِر».

(٦) في (أ، ج، د): «أبو جعفر».

(٧) قوله: «جفتُم» كذا في أوّل ورودِ له، ولكنّه سيأتي بعد ذلك مختلف الضّبط والرّسم، فتارة: «جَفتم» وتارة: «خفتم».

(٨) في (أ، د): «تسع وتسعين ومئتين» وهو خطأ.

(٩) في (أ، د): «أحمد المعتصم بن الموفق» وفي (ج، هـ): «أحمد المعتضد بن الموفق».

(١٠) في (الأمّ، ب): «علي بن الحسين بن جُفتم»، وقد تقدم فيهما: «علي بن الحسين المعروف بجُفْتُم»، وما أثبت عن بقية النسخ وهو الصواب وسيأتي في جميع النسخ.

وثمانين ومئتين، وكان لا ينام اللَّيل، بل يكون قاعداً وأبواب الدُّرُوب[١] بين يديه والعَسَسُ تختلف إليه، وكلّ من له حاجةٌ وصل إليه وقضاها منه حتّى يطلع الفجر، فإذا صلَّى الصّبح قَعَدَ للنّاس إلى وقت الغداء، فيتغدَّى معه خاصّته ونوّابُهُ، ثمّ ينام إلى الظّهر، فإن انتبه عند الأذان وإلّا اجتمع الصِّبْيان وكبَّروا حتّى يَنْتَبِهَ.

ثمّ عاد إلى العراق في سنة اثنتين وثمانين ومئتين، فلمّا رحل عن صنعاء قصدها الدُّعَام فدخلها، ثمّ هرب منها، ورجع الأمر إلى بني يُعْفِر الحِوالِيِّين، ولم يزل إبراهيم [ابن محمّد][٢] بن يُعْفِر على صنعاء ومَخالِيفها، وهو يُهادِن ابنَ زياد، وقد اتّخذ زَبِيْد دار ملكٍ، ولم تَطُلْ مدّة إبراهيم [بن محمّد] بن يُعْفِر، فلمّا هلك قام بالأمر بعده ابنُهُ أسعدُ بن أبي يُعْفِر إبراهيم بن محمّد يُعْفِر بن عبد الرّحيم[٣].

وفي أيّامه ظهر القَرامِطَة فخرج قومٌ منَ اليمن إلى جَبَل الرَّسّ[٤] فقدموا بالإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وذلك في سنة أربع وثمانين ومئتين، فمَلَكَ ما بين صنعاء وصَعْدَة، وبعث عمّاله إلى النّواحي، وكان مقيماً بصَعْدَة، ثمّ[٥] إنّ أبا العتاهية بن الرَّوِيَّة المَذْحجيّ استدعى الإمام الهادي من صَعْدَة إلى صنعاء[٦] في المحرَّم من سنة ثمان وثمانين ومئتين، ودعا إلى نفسه فبايَعَهُ النّاس، وضَرَبَ اسمَهُ على الدّنانير والدّراهم، وكَتَبَ في

---

(١) في (ب): «ومفاتيح أبواب الدروب» وفي (ج، د) «وأبواب الدور».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين سقط، وقد تقدم مع الصواب وسيأتي.

(٣) في جميع النّسخ: «أسعدُ بن يُعْفِر بن إبراهيم بن محمّد يُعْفِر بن عبد الرّحيم»، والصّواب ما أثبت؛ انظر سلسلة نسب آل يُعْفِر الحِوالي في مخطوط الإكليل الجزء الثّاني: الأوراق ٨٧-٩٠.

(٤) في (الأمّ، ب): «الراس»، وما أُثبت عن (أ، ج، د، هـ).

(٥) قوله: «ثم» ليس في (د)..

(٦) في (ج، د، هـ): «صنعاء، فدخل صنعاء».

الطِّرْز[١]، ووجّه عمّاله إلى المَخاليف فقَبَضُوا الأَعْشار، وخرج إلى يَحْصِب ورُعَين ونواحيها، واستخلف [١٦أ] على صنعاء أخاه عبد الله بن الحسين، فأقام أيّاماً هنالك، ثمّ عاد إلى صنعاء، ثمّ خرج منها إلى شِبام، واستخلف ابن عمِّهِ عليّ بن سليمان[٢] على صنعاء، وكان بعض آل يُعْفِر الحِوالِيِّين وبعض آل طريف في سجن صنعاء، وبعضهم في سجن شِبام، فاجتمعت هَمْدان وغيرها وقصدوا الهادي إلى شِبام وقاتلوه بصنعاء، ووَثَبَ من كان في صنعاء على نائبه بصنعاء وطردوه وكسروا السّجن وأخرجوا مَنْ كان فيه من آل يُعْفِر وآل طريف.

وخرج الهادي من شِبام، وأقام برَيْدَة وبَيْت زُود شهراً[٣]، ثمّ عاد إلى صنعاء في جيشٍ عظيم، فدخل صنعاء[٤] وانحازت آل يُعْفِر إلى شِبام، وتولَّى الأمرَ فيهم أسعد بن أبي يُعْفِر وابن عمّه عثمان بن أبي الخير[٥] بن يُعْفِر، فأقامتِ الحرب بينهم سِجالاً، والنّاس في ضيقٍ منَ العيش وانقطاعٍ منَ الطُّرُق، ثمّ رجع الهادي إلى صَعْدَة سنة تسعٍ وثمانين ومئتين وذلك في جُمادَى الآخرة فيها[٦]، وعادت صنعاء إلى آل يُعْفِر الحِوالِيِّين ودخلها مولاهم إبراهيم بن خلف.

وفي هذه السّنة: توفِّي المعتضد أحمد واستولى على الخلافة بعده ولدُهُ المكتفي عليّ بن المعتضد أحمد، واستعمل على اليمن نجح بن نجاح، فورَدَتْ كتبُهُ على الأميرَينِ أسعد بن أبي يُعْفِر[٧] وعثمان بن أبي الخير بتَجْدِيد وُلايتهما.

---

(١) الطِّرْز: البَزّ.

(٢) في (ج، د، هـ): «ابن عمه سليمان».

(٣) في (الأم، أ، ب) من دون إعجام، وفي (ج): «ووثب شهراً» وفي (د): «وبيت ذانب شهراً». وصوابه (هـ)؛ انظر: صفة جزيرة العرب: ١٩٠ .

(٤) قوله: «فدخل صنعاء» ليس في (ج، د، هـ).

(٥) في (هـ): «ابن أبي الحسين» وهو خطأ، وبعده سقط إلى قوله: «ثم رجع».

(٦) في (ج، د): «منها».

(٧) في جميع النّسخ: «أسعدُ بن يُعْفِر»، والصّواب ما أثبت؛ انظر سلسلة نسب آل يُعْفِر الحِوالي في مخطوط الإكليل الجزء الثّاني: الورقة ٨٧-٩٠.

وفي ذلك الوقت اشتدّ القَحْط باليمن وأكل النّاس بعضُهم بعضاً، ومات كثيرٌ من النّاس جوعاً، وخَرِبَتْ في اليمن عدّةٌ كثيرةٌ من القرى، ثمّ قدم عليّ بن الحسين جُفْتُم والياً على اليمن -وهي الولاية الثّانية- فلمّا صار في بلد بني شِهاب خَرَجَ إليه جَرّاح وإبراهيم بن خلف كالمُسَلِّمَين عليه فقَبَضاهُ وحَبَساهُ في ضَهْر[1]، وانضمّ جيشُهُ إليهما، فمَكَثَ في الحبس مدّة، ثمّ احتال لنفسه في الخروج، فخرج منَ الحبس، وسار[2] إلى صنعاء، فانضمّ إليه أصحابُهُ الّذين وصلوا معه، والجُنْد الّذي بها.

وكان الأمير أسعد بن أبي يُعْفِر وابن عمّه عثمان بن أبي الخير يَغْدوانِ إليه في كلّ يوم، فسألهما تسليمَ الأمر إليه، فاستنظراهُ، فجمع أصحابَهُ يوماً وكَبَسَهما فأرادا الهَرَب[3]، فلم يمكنهما، فخرجا في مواليهما ومن انضمّ إليهما من أهل صنعاء، فاقتتلوا فقُتِلَ عليّ بن الحسين جُفْتُم، وقُتِلَ معه جماعة من أصحابه، ومال الجيش جميعاً إلى آل يُعْفِر، ويُقال: إنّ بعض أهل صنعاء أكل من لحم جُفْتُم.

ثمّ إنّ أسعد بن أبي يُعْفِر وَثَبَ على ابن عمّه عثمان بن أبي الخير، فحبسه واستبدّ بالأمر وحدَهُ إلى سنة ثلاث وتسعين ومئتين.

وفي سنة ثلاث وتسعين ومئتين: دخل القَرامطة صنعاء، وانحاز الأمير أسعد بن أبي يُعْفِر إلى بلاد قُدَم، والله سبحانه أعلم.

---

(١) في (الأمّ): «ظهر».

(٢) في (ج، د): «وصار».

(٣) قوله: «فاستنظراه ... الهرب» ليس في (ج).

الفصل السّادس
في ذِكْر القَرامطة باليمن وظُهُور(١) عليّ بن الفضل وبُدُوّ أمره

ذكر علماء السِّيَر والتَّواريخ: أنّه كان - عليّ بن الفضل - شِيعيًّا على مذهب الإثني عشريّة، فاتّفق أنّه حجّ مكّة في بعض السِّنين، ثمّ خرج يُريد العراق في ركبِ أهل العراق(٢) [١٦ب] قاصداً زيارة قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام، فلمّا وصل إلى العراق وزار قبر الحسين عليه السلام بكى بكاءً شديداً عنده، وترَحّم عليه، واستغفر له، وأظهر منَ التَّأسُّف والكآبة عليه ما أَطْمَع ميمون القَدّاح في اصطياده.

وكان ميمون القَدّاح يخدم الضَّريح هو وولدُهُ عُبَيد الله، ولا يكاد يفارقُهُ ليلاً ولا نهاراً؛ وولده عُبَيد الله هو جدُّ العُبَيديِّين الّذين ملكوا مصر، وتقدَّم ذكرُهُم في القسم الأوّل منَ الكتاب في الباب الخامس(٣) منه.

فلمّا رأى ميمون القَدّاح ما ظهر من عليّ بن الفضل من البكاء والتَّأسُّف طَمِعَ في اصطيادِهِ فخلا به وحادَثَهُ، فوجده مائلاً إلى مذهبهم مع ما تبيّن [له](٤) فيه من النَّجابة والشَّهامة، وكان ميمون منجّماً، له معرفةٌ بعلوم الفَلَك، فرأى أنّه سيكون له أمرٌ عظيم، وكان قد شهد له علمُهُ أنّه سيكون لابنه عُبَيد الله شأنٌ عظيم مُفْضي به إلى المُلْك، وأنَّ عَقْبَهُ يَتَوارثون مُلكَهُ بعده دهراً طويلا، وبَعُد عليه وجه اتّصاله بالملك، وكان على ما حكاه

---

(١) في (ب، ج، د، هـ): «وذكر».

(٢) قوله: «في ركب أهل العراق» ليس في (ج، د، هـ).

(٣) في (ج، د، هـ): «الباب الرابع».

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

بعض العلماء يهوديًّا قد كَبَتَهُ الإسلام بظهورِهِ[١]، فلم يَرَ بُدًّا منَ الدُّخول فيه، فتظاهَرَ بالإسلام، وخدم مشهد الحسين وادَّعى أنّه من ولده، والعلماء منَ العَلَويِّين وغيرهم تُنكِر نسبةُ إلى أهل البيت، وقد تقدَّم في صدر هذا الكتاب[٢] ذكرُهُ مستوفًى، واختلاف أقوال القائلين فيه، والله أعلم.

وكان قد قَدِمَ عليه رجلٌ من ولد عَقِيل بن أبي طالب يُقال له: منصور بن حسن[٣]، وكان اثني عشريّ المذهب أيضاً، وفيه من العقل والذّكاء والفِطْنة والدَّهاء ما لا مزيد عليه.

فلمّا قَدِمَ عليه عليّ بن الفضل، ورأى ما رأى فيه منَ النّجابة جمعهما ميمون القدّاح، وباح لهما بما عنده منَ المذهب، وأخبرهما أنّ ابنَهُ إمام الزّمان، وأنّه لا بُدَّ له من دعاة، وذلك بعد أن أخذ عليهما العهود والمواثيق، فأجاباه إلى ما يُريد، ثمّ قال لهما: اعلما أنّ «الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية»[٤]، وكلّ أمر يكون مبدؤُهُ منَ اليمن -أو من قِبل اليمن- فهو ثابتٌ لثبوت نجمِهِ.

وكان منصور قد عرف من ميمون إصاباتٍ كثيرةً، فأجابَهُ إلى ذلك ووافقهما عليّ بن الفضل، فعاهد بينهما وأوصى كلَّ واحدٍ بصاحبه، ثمّ قال لمنصور: اللهَ اللهَ في صاحبك: احفظْهُ وأحسن إليه، ومُرْهُ بحُسْن السِّيرة، فإنّه شابٌّ ولا آمَنُ عليه؛ وقال لعليّ بن الفضل: اللهَ اللهَ في صاحبك، وقِّرْهُ واعرف حقَّهُ، ولا تخرج عن أمره، فإنّه أعرفُ منك ومنِّي، فإن عصيتَهُ لم تَرْشُد، فسارا إلى اليمن، وكان دخولهما اليمن عُقَيب قَتْلِ محمّد بن يُعْفِر، واختلاف آل يُعْفِر فافْتَرَقا من غَلافِقَة[٥].

---

(١) قوله: «بظهوره» ليس (ج، د، هـ).

(٢) يُريد بذلك أوّل الكتاب كاملاً، وليس أوّل الباب الرّابع الذي بدأ به كتابنا هذا.

(٣) في (ج): «ابن أحسن».

(٤) سلف ذكر الحديث مطوّلاً؛ وتخريجه في صحيح ابن حبّان: ١٦/٢٨٧، ورقمه: ٧٢٩٨.

(٥) صفة جزيرة العرب: ١١٩، ومعجم البلدان: ٢/٤٣.

فقدم منصورٌ عَدَن لاعَة، وبذلك أمره ميمون القدّاح، وقصد عليّ بن الفضل سَرْو[1] يافِع، وأقام كلُّ واحدٍ في ناحيته الّتي هو فيها[2] يُظهر الزُّهْد والتَّقَشُّف والوَرَع والصَّلاح حتّى صار كلُّ واحدٍ منهما مسموعَ القولِ في ناحيته؛ لِما ظهر من ظاهر أمره، ثمّ أمر كلُّ واحد [١١٧أ] منهما مَن حوله من أهل ناحيته بجمع زكواتهم، فاجتمع لكلِّ واحد منهما مالٌ عظيم.

فقال منصور بن حسن لمن حولَه: أُريد موضعاً مَنِيعاً يكون بيتَ مالٍ للمسلمين، فسارعوا إلى قوله، وبنوا له موضعاً يُسمَّى عَيْنَ مُحَرَّم، وهو حصن كان لقومٍ يُقال لهم: بنو الفَذْعاء[3] تحت مَسْور، فلمّا حصَّنَهُ نقلَ ما كان عنده من دراهم وطعام، وجمع من رجالَ الحرب نحواً من خمس مئة رجلٍ، فعاهَدَهم على القيام[4] بدعوة الإمام المهديّ الّذي بَشَّرَ به النّبيّ ﷺ. وانتقلوا إليه بأموالهم وأولادهم، واستوطنوا الحصن، فأنكر النّاس ذلك من أمره، فقال: إنّما تحصَّنتُ منَ السّلطان[5]، فلم يقبلوا قوله وقاتلوه، فهزمهم هزيمةً شديدة، فعظم شأنُهُ وشاع ذكرُهُ، وعمل لنفسه طُبُولاً وراياتٍ، وأظهر مذهبه ودعا إلى المهديّ، وقال: ما أخذتُ هذا الأمر بحالي ولا برجالي، وإنّما أنا داعي المهديّ، فانهمك عليه عامّة النّاس، ودخلوا في مذهبه.

ثمّ سَمَتْ همَّتُهُ إلى ارْتِكاب جبل مَسْوَر، فأعدَّ له الرّجال والعُدَد، ثمّ عامل عشرين رجلاً من المُرتَّبين في حصن[6] مَسْوَر، فجمع جموعه وطلع الجبل في وقتٍ معلوم[7]، ففتَحَ له أولئك العشرون، فقال: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحجر].

---

(١) في (ج، د): «شرق».

(٢) قوله: «هو فيها» سقط في (هـ).

(٣) في (ج، د): «العرجاء».

(٤) في (أ): «القتال».

(٥) في (أ): «الشيطان».

(٦) في (هـ): «جبل».

(٧) قوله: «معلوم» سقط في (هـ).

وكان طلوعُهُ في ثلاثة آلاف رجل، وكانت طبولُهُ ثلاثين طبلاً إذا ضُربت سُمعت منَ المواضع البعيدة، وأَمَّنَ مُسْتَحْفِظ الحصن ومن معه، وكان معه مالٌ جزيلٌ للحِوالِيِّين، فلم يعرض له، وعَمَرَ بَيْت رَيْب[1] وجعله دار الإمارة، وحصَّنَهُ وحَصَّن سائر الجبل، ودرَّبَهُ[2] من كُلِّ ناحية، وجعل له بابين، ولم تزل عساكره تُغِير على القبائل الَّتي حوله حتى أبادهم وأخذ أموالهم، وملك جميع تلك المَخاليف.

وسار إلى بلد بني شاوِر[3] فاستفتحها، ثمّ خرج إلى ناحية شِبام فحارب الحِوالِيِّين فكسروه وقتلوا طائفةً من عسكره، ثمّ عامل رجلاً من مواليهم كان مُسْتَحْفَظاً على حصن الضُّلَع[4]، وسار نحو الحِوالِيِّين فهزمهم وغَنِم جميع ما كان لهم بشِبام، فنقله إلى مَسْوَر.

ثمّ خالف عليه ذلك المولى الّذي كان عاملَهُ على الحصن، وندم على ما فعل، واستدعى العساكر من صنعاء فلقَوهُ[5] إلى شِبام، فخرج منهزماً إلى مَسْوَر، وترك كلَّ ما كان له هنالك، وكتب إلى ميمون [القَدّاح][6] وولده عبيد الله يخبرهما بالفَتْح الّذي فتح الله عليه من البلاد، وبعث هدايا من طُرَف اليمن، وذلك في سنة تسعين ومئتين، والله أعلم.

وأمّا عليّ بن الفضل، فهو رجلٌ من أهل اليمن خَنْفَرِيُّ النَّسب من ولد خَنْفَر بن سَبَأ بن صَيْفيّ بن زُرْعَة بن سَبَأ الأصغر، وكان ساقطاً في أوّل عمره مغموراً لا شُهْرَةَ له، إلّا أنّه كان أديباً ذكيًّا شجاعاً جريئًا لَسِناً فصيحاً، ورحل منَ اليمن إلى الكوفة -كما ذكرنا- وتعلَّم مذهب الإسماعيليّة، ورجع إلى اليمن داعيةً هو ومنصور بن حسن[7] فافْتَرَقا من

---

(١) صفة جزيرة العرب: ١٩٠، ومعجم البلدان: ١/ ٥٢٠.

(٢) درَّبه: جعل له دُروباً.

(٣)صفة جزيرة العرب: ١١١.

(٤) قوله: «الضُّلَع» بضمّ الضاد كذا في (الأمّ)، وفي صفة جزيرة العرب: ١٢٥، بكسر الضّاد.

(٥) في (الأمّ، ب): «فلقيوه» وفي (أ، ج، د، هـ): «فكبسوه» وفي (ب): «فلبسوه».

(٦) قوله: «القداح» عن (ج، د، هـ).

(٧) في (د): «ومنصور وحسن» وهو خطأ.

غَلافِقة فطلع عليّ بن الفضل إلى الجَنَد، ثمّ خرج منها إلى أَبْيَن، ثمّ خرج إلى يافع [١٧ب] فوجدهم رَعاعاً، فجعل يتعبَّدُ في بطون الأودية، ويأتونَهُ بالطّعام فلا يأكل شيئاً، وإن أكل منه أكل شيئاً يسيراً، وكان قد أقام في رأس جبل متخلّياً بزعمه للعبادة.

وكان يُريهم أنّه يصوم النّهار ويقوم اللّيل، فأحبُّوهُ وافتتنوا به، وجعلوا أمرهم بيده، وسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن معهم؛ فقال: لا أفعل إلّا أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، وتتوبوا إلى الله من سائر المعاصي، وتُقْبِلوا على طاعة الله. فأجابوه إلى ذلك، فأخذ عليهم العهود والمَواثِيق بالسَّمْع والطّاعة، ثمّ أمرهم بعِمارة حصنٍ في ناحية السَّرْو(١) ففعلوا، فأَنْهَبَهم أطراف البلاد وأراهم أنَّ ذلك جهادٌ في سبيل الله للعاصين حتّى يدخلوا(٢) في دين الله طوعاً وكرهاً، وكان يومئذٍ في لَحْج وأَبْيَن رجل يعرف بابن أبي العلاء(٣) من الأصالح(٤) مالكاً لهما، فقصدَهُ ابن الفضل بمَنْ معه من يافع وغيرهم، فهزمَهُ ابن العلاء(٥) وقتَلَ من أصحابه خلقاً كثيراً.

وانهزم عليّ بن الفضل إلى صُهَيب واجتمع هنالك أصحابه المنهزمون جميعاً، فقال لهم: إني أرى رأياً صائباً؟ قالوا: وما هو؟ قال: اعلموا أنّ القومَ قد أمنوا منّا، وأرى أن نهجمَ عليهم فإنّا نظفر بهم، فوافقوه إلى ما يريد، فلم يشعر ابن أبي العلاء إلّا وهو معه بخَنْفَر على حين غَفْلَتِهِ، وافتراق أصحابه، وقُتل ابن أبي العلاء وطائفة كثيرة من عسكره(٦)، واستباح ما كان لهم، ووَجَدَ في الخزانة الّتي لابن أبي العلاء سبعين بَدْرَة -والبَدْرَة عشرة

---

(١) في (ج، د): «الشرق».

(٢) في (الأم، ب): «حتى دخلوا».

(٣) في (أ): «بابن العلاء».

(٤) في (ج، هـ): «الأصابح» ولعلها الصواب.

(٥) في (أ، ج، د، هـ): «ابن أبي العلاء».

(٦) في (ج، هـ): « من أصحابه».

آلاف درهم-(١)، وعاد إلى بلد(٢) يافع، فعظم شأنُهُ وشاع ذكرُهُ.

ثمّ قصد المُذَيْخِرة في سنة إحدى وتسعين ومئتين، وبها جعفر بن إبراهيم المَناخيّ(٣)، وهو الّذي ينسب إليه مِخْلاف جعفر، وكان قد كتب إليه: بلغني ما أنت عليه من ظُلْم المسلمين وأَخْذِ أموالهم، وإنّما قُمتُ لإقامة الحقّ وإماتَةِ الباطل، فادفع لأهل دَلال [دية] ما به قطعت أيديهم(٤)؛ وكان جعفرُ قد قَطَعَ منهم على حَجَرٍ في المُذَيْخِرة ثلاث مئةِ يَدٍ، ولم يزل أثرُ الدَّمِ على تلك الحَجَر زماناً طويلاً.

ثمّ إنّ عليّ بن الفضل جمع جموعَهُ وسار نحو المَعافِرِ -وهي ما بين ذُبْحان وجَبَأ- وجمع المَناخيّ جموعَهُ وسار نحوه، فلَزِم هو وأصحابهُ نَقِيْل البَرَوان(٥)، وقاتلوه هنالك، فانهزم عليّ بن الفضل وأصحابه وعاد(٦) إلى بلد يافِع، وكانتِ الوقعةُ يوم الخميس لثمانٍ خَلَوْنَ من رمضان منَ السَّنة المذكورة، ثمّ جمعوا(٧) جموعهم مرّة أخرى وقصدوا المُذَيْخِرة يومَ الأربعاء لأربعَ عشرة ليلةً خَلَتْ من صفر سنة اثنتين وتسعين ومئتين، فدخلها وأخذ حصن التَّعْكَر(٨)، وانهزمَ جعفر بن إبراهيم(٩) المَناخيّ إلى تِهامة، فيُقال: إنّه بلغ قرية القُرْتُب من وادي زَبِيْد، فأَمَدَّه صاحب زَبِيْد بجيشٍ كثيف، فرجع جعفر بن إبراهيم يُريد المُذَيْخِرة فلقيَهُ عليّ بن الفضل في جموعه وكان بينهما [١١٨أ] وقعةٌ مشهورة بوادي نَخْلَة،

(١) بعده في (ج، د): «الجملة سبع مئة ألف درهم».

(٢) قوله: «بلد» في (ج) بلا إعجام وثاني حروفها الكاف.

(٣) في (أ): «المباحي» وفي (ج): «جعفر بن محمد» وفي (د، هـ): «جعفر بن أحمد».

(٤) في (الأم): «دلال ما به قطعت من أموالهم»، وما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب) وفيها: «الأهل ولاك ما به قطعت».

(٥) في (ج): «الثروات» وفي (د): «الثروان».

(٦) في (ج): «وعادوا إلى يافع».

(٧) في (الأم): «ثم جمعوا جمعوا جموعهم» بتكرار لفظة «جمعوا».

(٨) في (أ): «الدعكر».

(٩) في (ب): «جعفر بن محمد».

وفيها قُتِلَ جعفر بن إبراهيم بأَكَمَة حوالة هو وابن عمِّه أبو الفتوح، وكانتِ الوقعة يوم الجمعة آخر يوم[1] من رجب منَ السَّنة المذكورة، ودخلت رؤوسهم المُذَيْخِرة يوم السَّبت أوّل يومٍ من شعبان.

فقَوِيَتْ شوكةُ القَرامطة، واستولى عليّ بن الفضل على بلاد المَناخيّ، وجعلها مُسْتَقَرَّ ملكه، وكانت دولة جعفر بن إبراهيم المناخيّ من سنة تسعٍ وأربعين ومئتين إلى سنة اثنتين وتسعين، ثلاثاً وأربعين سنةً.

ثمّ سار عليّ بن الفضل إلى بلاد يَحْصِب ودخل مَنْكَث وأَخْرَبها، فلمّا صار بذَمار وجد جيشاً عظيماً بهِرّان من أصحاب الحِواليّ، فكتب إلى والي هِرّان يستميلُهُ، فأجابه ودخل في مِلَّتِهِ، ثمّ قصد صنعاء فهرب منه أسعد بن أبي يُعْفِر.

فلمّا صار عليّ بن الفضل في صنعاء أظهر مذهبَهُ الخبيث ودينه المشؤوم، وارتكب محظوراتِ الشَّرْع وادَّعى النُّبُوَّة، فكان المؤذِّن يؤذِّن في مجلسه: أشهد أن عليَّ بن الفضل رسولُ الله. وأباح لأصحابه شُرْبَ الخَمْر، ونِكاح البنات والأخوات وسائر المُحَرَّمات، وأنشد أبياتَهُ المشهورة الّتي يقول فيها[2]: (من المتقارب)

خُذِي الدُّفَّ يا هذِهِ والْعَبي وغَنِّي هَزارَيْكِ ثُمَّ اطْرَبي

تَوَلَّى نَبِيُّ بَنِي هاشِمٍ وهذا نَبِيُّ بَنِي يَعْرُبِ

---

(١) في (ج): «الجمعة آخر جمعة من ...».

(٢) البيت (٦) ليس في (ج، د، هـ) والبيت (١٠) ليس في (ب، ج، د، هـ)، وورد حاشيةً في (الأم)، وأشار الناسخ إلى موضعه أول النص، ولكن معناه يضعه حيثُ وُضع، على أنه ورد في (أ) بعد البيت (٥).

وزِيْد على النّص بيتان عن (ج، د)، وأشار ناسخ (د) أنهما ليسا لعليّ بن الفضل، فقال قبل إيرادهما: «إلى هنا تمّ كلام عليّ بن الفضل لعنه الله، والبيتان الآخران ليسا له»، والبيتان هما:

وصلِّ إلهي على احمد وأَخزِ الفُوَيْسِقَ مِن يَعْرُبِ

وحَرِّمْ عليهِ جِنانَ النَّعِيمِ فَقَدْ باحَ بِالكُفْرِ لم يرقبِ

لِكُلِّ نَبِيٍّ مَضَى شِرْعَةٌ وهاتِ شَرِيْعَةُ هذا النَّبي

فَقَدْ حَطَّ عَنَّا فُرُوضَ الصَّلاةِ وحَطَّ الصِّيامَ ولَمْ يُتْعِبِ

إذا النَّاسُ صَلَّوا فلا تَنْهَضي وإِنْ صَوَّمُوا فكُلي واشْرَبِي

ولا تَطْلُبي السَّعْيَ عِنْدَ الصَّفا ولا زَوْرَةَ القَبْرِ في يَثْرِبِ

ولا تَمْنَعِي نَفسَكِ المُعْرِسِيْنَ مِنَ الأَقْرَبِيْنَ أَوِ الأَجْنَبي

فَلِمْ ذا حَلَلْتِ لهذا الغَرِيْبِ وصِرْتِ مُحَرَّمَةً لِلأَبِ؟

أَلَيْسَ الغِراسُ لِمَنْ رَبَّهُ وأَسْقاهُ في الزَّمَنِ المُجْدِبِ[1]

أَحَلَّ البَناتِ مَعَ الأُمَّهاتِ ومِنْ فَضْلِهِ زادَ حَلَّ الصَّبي

وما الخَمْرُ إلَّا كماءِ السَّماءِ حَلالٌ، فَقُدِّسْتَ مِنْ مَذْهَبِ

ولـمّا علم المنصور بن حسن بدخول عليّ بن الفضل صنعاء سرَّه ذلك، وتجهَّز للمسير إليه، فلمّا سار إليه والْتَقَيا أقاما أيّاماً وابنُ الفضل يُبَجِّلُ منصوراً، ويقول: إنّما أنا سيفٌ من سيوفك، وكان منصور بن حسن يَهاب عليّ بن الفضل ويخافُهُ لِما يَرَى من شهامته وعَرامته، ثمّ عزم عليٌّ بن الفضل على نزول تِهامة فنهاهُ صاحبه منصور بن حسن، وقال له: الصّواب [١٨ب] أن تتأنّى وتقف بصنعاء وأنا بشِبام سنةً حتّى نصلح جميع ما استفتحناهُ.

فلم يقبل منه، فجمع ثلاثين ألفاً ما بين فارسٍ وراجل، وسار على طريق اللِّحْب[2]، فلمّا توسَّط مَضايق البلاد ثاروا عليه ولَزِموا عليه الطّريق، فلم يقدر على التَّخلُّص.

فلمّا علم منصور بن حسن جمع جموعه وسار نحوه، فاسْتَنْقَذَهُ[3] فعاد إلى صنعاء

---

(١) رَبَّهُ ورَبّاهُ: بمعنًى؛ أي اعتنى به ورعاه.

(٢) اللِّحْب: بتشديد اللّام الثّانية مع كسرها وسكون الحاء المهملة وآخره باء موحّدة، كذا ذكره الشَّرْجي (طبقات الخواص: ٢٩٨). واللَّحْب: الطّريق الواضح.

(٣) في (الأمّ، ب): «فاستنجده».

ورَتَّبَ بها، وسار إلى حَراز ومِلْحان، ونزل المَهْجَم فقتل صاحبَها، ثمّ سار إلى الكَدْراء فأخذها، وسار إلى زَبِيْد فهرب صاحبُها إسحاق بن إبراهيم بن محمّد بن زياد فهجم على مَنْ فيها فقتلهم واستباحهم وسَبَى من زَبِيْد أربعة آلاف عَذْراء، ثمّ خرج منها، فلمّا صار في موضع المَشاحِيْط جمع جندَهُ، وقال: إنّ هؤلاء النِّسوان يَشْغَلْنكم عنِ الجهاد ونساء الخُصِيب فتنةٌ، فاذبحوا ما في أيديكم منهنّ وتجرّدوا للجهاد، فذبحوا أربعة آلاف عذراء في ساعةٍ واحدة، فسُمِّي الموضعُ المَشاحِيْط[1]، ثمّ رجع إلى المُذَيْخِرة، وقد جعلها دار مملكته، وأمر بقَطْع الحَجّ.

ثمّ إنّ أهل صنعاء استدعوا بالإمام الهادي -وكان مقيماً بصَعْدَة- فسار إليهم ووجَّهُ ابنَهُ أبا القاسم المرتضى محمّداً إلى ذَمار ومَخالِيفها، فاستعمل العمّال، ثمّ تَعاظَم أمر القَرامطة، وقصدوا أبا القاسم المرتضى محمّد بن الإمام الهادي إلى ذَمار، فخرج من ذَمار إلى أبيه وكان بصنعاء، وذلك في سنة أربع وتسعين ومئتين.

ثمّ إنّ موالي بني يُعْفِر: الحسن بن كَبَالة[2] وابن جراح، جمعوا جموعهم[3] لحرب الإمام الهادي، فنَدَبَ أهلَ صنعاء لحربهم فتخاذلوا عنه، فخرج من صنعاء إلى صَعْدَة، فدخل أسعد بن أبي يُعْفِر[4] الحِواليّ صنعاء فمَلَكَها.

ثمّ إنّ ذا الطَّوق اليافعيّ أحد قوّاد ابن الفضل قصد ابن الرَّوِيَّة المَذْحجيّ إلى ذَمار، فهرب منه إلى رَداع وجمع عشيرتَهُ، فقصدَهُ ذو الطّوق إلى رَداع فقتله، ثمّ سار ذو الطّوق بجنودٍ عظيمة[5] نحو صنعاء، فلقيَهُ أسعد بن أبي يُعْفِر في جمعٍ من أصحابه وغيرهم، فقاتلَهُ

(١) المشاحيط، من التَّشَحُّط: وهو الاضطراب في الدَّم.

(٢) في (ج): «كالة» وفي (د): «الحسن بن كتالة».

(٣) في (الأمّ): «وابن وخرجوا جمعوا جموعهم» ثمّ ضبّب على «خرجوا» وكتب عليها واواً.

(٤) في جميع النّسخ: «أسعدُ بن يُعْفِر بن إبراهيم بن محمّد يُعْفِر بن عبد الرّحيم»، والصّواب ما أثبت؛ انظر سلسلة نسب آل يُعْفِر الحِوالي في مخطوط الإكليل الجزء الثّاني: الورقة ٨٧-٩٠.

(٥) قوله: «بجنود عظيمة» ليس في بقيّة النّسخ.

ذو الطّوق فهزَمَهُ، وقتل من أصحابه نحواً من ثلاث مئة رجلٍ، ومن سائر جمعه عدّة.

ودخل ذو الطّوق صنعاء فملكها، فاستدعى أهل صنعاء بالإمام الهادي أيضاً، فنهض نحوهم فبعث مقدّمةً من عسكره عليهم[1] عليّ بن أبي جعفر العَلَويّ والدُّعَام بن إبراهيم، وسار بعدهم ولدُهُ المرتضى في جيشٍ آخر، فخرجتِ القَرامطة من صنعاء ودخلها المرتضى محمّد بن الإمام الهادي، فأقام فيها زماناً حتّى جاءته القَرامطة بما لا قِبل له به، فخرج من صنعاء [وخرج معه جيشٌ عظيم من صنعاء][2] فلقيهم الهادي بوَرْوَر، وقد انتشر[3] القَرامطة في البلاد، فعادوا جميعاً إلى صَعْدَة، ولم يلبثِ الإمام الهادي إلى أن توفّي[4]، وكانت وفاتُهُ في سنة ثمانٍ وتسعين ومئتين.

ولمّا انتشرتِ القَرامطة في البلاد[5] وعَظُمَ أمرُهُم جمع آل يُعْفِر مواليَهم ومن قدروا عليه من سائر الجُنْد، وقصدوا القَرامطة في صنعاء [١٩أ]، فقتلوا بعضهم وهرب الباقون، ودخل أسعد بن أبي يُعْفِر صنعاء ومَلَكَها[6].

ثمّ قصد عليُّ بن الفضل صنعاء في سنة تسعٍ وتسعين ومئتين فدخلها يوم الخميس لثلاثٍ مَضَين[7] من رمضان منَ السَّنة المذكورة.

وخرج أسعد بن أبي يُعْفِر منها هارباً، فرتَّبَ[8] عليها عليُّ بن الفضل مَنْ يحفظها.

---

(١) قوله: «عليهم» ليس في (ج، د).

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٣) في (ب): «انتشر أمر القرامطة» وفي (ج، د، هـ): «انتشر ذكر القرامطة».

(٤) قوله: «ولم يلبث الهادي إلى أن توفي» كذا في جميع النّسخ.

(٥) في (ج): «باليمن».

(٦) في (الأمّ): «وقصدوا القرامطة في ص» ثم جاء عقبة بالصفحة التالية: «صنعاء وملكها» ورمّ الكلام بين الصفحتين بخطّ مختلف في الهامش،وفيه: «فقتلوا من القرامطة أمما لا تحصى، وهرب ذو الطورق هو ومن حب معه من جنده إلى علي بن الفضل إلى مذيخرة، ودخل آل أبي يعفر الحواليّين»، وما أثبت عن بقية النّسخ، وفي (ج) أيضاً: «ودخل ابن أبي يُعْفِر ...».

(٧) في (الأمّ) الرسم غير واضح، وفي (أ): «مضت» وفي (ب، ج، د): «مضين» وفي (هـ): «بقين».

(٨) في (الأمّ): «فوثب».

ولمّا رأى عليُّ بن الفضل أنّه قد استحكم له أمر اليمن خلع طاعة عُبَيد الله المهديّ[1]، ثمّ كاتب صاحبَهُ منصورَ بن حسن بذلك، فعاد جوابُهُ إليه يُعاتبُهُ، ويقول له: كيف تخلع مَنْ لم تنلْ خيراً إلّا به وببركة الدّعاء إليه، أَمَا تذكرُ ما بينك وبينه منَ العهود والمواثيق، وما أَخَذَ علينا جميعاً منَ الوصيّة بالاتّفاق وعدم الافتراق؟ فلم يلتفت إليه، فكتب إليه عليّ بن الفضل كتاباً يقول فيه: إنّ لي بأبي سعيد الجَنّابيّ[2] أُسْوةً، إذ قد دعا إلى نفسه، وأنت إن لم تدخل في طاعتي بادأْتُك[3] الحرب.

فلمّا ورد كتابُهُ على منصور بذلك غلب على ظَنِّهِ صحّتُهُ، فطلع جبل مَسْوَر وحصّنَهُ من كلّ ناحية، وقال: إنّما أحصِّن هذا الجبل من أجل هذا الطّاغية وأمثاله، ولقد عرفتُ الشّرّ في وجهه يوم اجتمعنا بصنعاء.

ثمّ إنّ عليّ بن الفضل سار لحرب منصور بن حسن وانْتَدَبَ لقتاله عشرة آلاف رجل من المعروفين بالشّجاعة والإِقْدام في عسكره، وحَصَرَهُ ثمانيةَ أشهر، فلم يظفر منه بطائل، وشَقَّ به الوقوف فراسَلَهُ منصور بالصُّلْح. فقال: لا أفعل حتّى يُرسل لي بعض ولده ويقف معي على الطّاعة، ويشيع عند العالم أنّه تركَهُ فضلاً لا عجزاً[4]، فأرسل منصور بعض أولاده إليه، فطوَّقَهُ عليّ بن الفضل طَوْقاً من ذهب، وسار به معه إلى صنعاء فأقام بها أيّاماً.

وكان أسعد بن أبي يُعْفِر ومولاهم الحسن بن كَبَالة بذَمار، فلمّا توجَّهَ عليّ بن الفضل نحو المُذَيْخِرة وثب أسعد بن أبي يُعْفِر على الحسن بن كَبَالة فقتله، واصطلح هو وعليّ بن الفضل فولّاه صنعاء، وخطب له ولبس البَياض، وقطع ذِكْر بني العبّاس، وتراجع أهل

---

(١) في (هـ): «عبيد الله بن المهدي» وهو خطأ.

(٢) في (أ، ب): «الجبائي» وفي (ج): «الحناني»، وإنّما هو الحسن بن أحمد الجَنّابيّ، بفتح الجيم وتشديد النّون، نسبة إلى جَنّابة، وهي بلدة صغيرة من سواحل فارس؛ انظر الوافي بالوفيات: ١١/٢٨٧.

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «نابذتك».

(٤) في (ج، د، هـ): «ويشيع عند العالم أني إنما تركته تفضلاً لا عجزاً».

صنعاء وأَمِنَ النّاس.

وكان أسعد بن أبي يُعْفِر حَذِراً من غَدْرِهِ(١)، ولا يكاد يستقرّ بصنعاء خوفاً من غارة تهجم عليه، وكان عنوانُ كتابه إذا كتب: من باسط الأرض وداحِيْها، ومُزَلْزِل الجبال ومُرْسِيها، عليّ بن الفضل إلى عبده فلان؟ وكفى بهذا دليلاً على كفره.

وفي مدّة نيابة أسعد بن أبي يُعْفِر لعليّ بن الفضل قدم رجلٌ غريب من أهل بغداد، يذكر أنّه شريفٌ فصحبه أسعد بن أبي يُعْفِر واختصّ به، فأقام عنده مدّة، وكان جرائحيّاً ماهراً في عمل الأدوية، بصيراً بفتح العُرُوق ومُداواة الجَرْحى.

فلمّا رأى شدّة خوف أسعد من عليّ بن الفضل، قال له: قد عزمتُ على أن أَهَبَ نفسي لله وللمسلمين، وأُرِيْحَ النّاس من هذا الرّجل الطّاغي. فقال له أسعد: لئن فعلت، ثمّ عُدْتَ إليَّ لأقاسمنَّك فيما أنا فيه منَ الملك؛ فأخذ منه عهداً وميثاقاً.

وخرج من صنعاء يُريد المُذَيْخِرة، فلمّا قدمها خالطَ وجوهَ الدّولة وكُبَراءها وسَقاهم [١٩ب] الأدوية النّافعة، وفَصَدَ مَنِ احتاج الفَصْد، وانتفع به ناسٌ كثير، فرُفِعَ ذكرُهُ إلى عليّ بن الفضل، وأُثْنيَ عليه في حضرته، وقيل له: إنّه لا يصلح إلّا لمثلك.

فلمّا كان ذات يوم أحبَّ الفِصاد فطلبه فلمّا حضر بين يديه جرَّدَهُ من ثيابه وغسل المِبْضَع وهو ينظر، وكان قد دهن أطراف شعر لحيته بسُمٍّ قاتل، فلمّا دنا منه لفِصْدِهِ وقعد بين يديه مَصَّ المِبْضَع تَنْزِيهاً لنفسه، ثمّ مسحَهُ بأطراف شعره كالمُجَفِّف له، فعلِقَ فيه ما عَلِق منَ السُّم، ثمّ فَصَدَهُ الأَكْحَلَ وربطه، وخرج من فوره هارباً منَ المُذَيْخِرة متوجّهاً إلى أسعد بن أبي يُعْفِر.

فلمّا كان بعد ساعة أَحَسَّ عليّ بن الفضل بالموت، فطلب الحكيم الغريب، فلم يجدله خبراً، فأيقن بالموت فأمر أن يُلْحَقَ حيث كان، فخرج العسكر في طلبه في كلِّ وجهٍ؛

---

(١) قوله: «ولا يكاد يستقر» ليس في (ب).

فأدركه بعضهم في وادي السَّحُول عند المسجد المعروف بقَيْنان(١) فأرادوا لَزْمَهُ فامتنع، وقاتل على نفسه حتّى قُتلَ في ذلك الموضع، فقبرُهُ هنالك.

وتوفِّي عليٌّ بن الفضل عُقيب ذلك، وكانت وفاتُهُ ليلة الخميس النِّصْف من ربيعِ الآخر سنة ثلاث وثلاث مئة، وكانت مدّة مجيئه وملكِهِ سبعَ عشرة سنة، فلا رحم الله مثواهُ، ولا بَلَّ بشيءٍ منَ الرّحمة ثَراهُ.

ولمّا علم أسعد بن أبي يُعْفِر بوفاته فرح فرحاً شديداً، وخرج يُريد المُذَيْخِرة، وكتب إلى أهل الجَنَد والمَعافِر، فالتفَّتِ العساكر إليه، وكان لعليّ بن الفضل ولد قد انضمّ إليه أهل مذهبه وتحصّنوا بالمُذَيْخِرة، فأحاطت بهم العساكر مع أسعد بن أبي يُعْفِر فنَصَبَ عليهم المَنْجَنِيقات، ولم يزل مصابراً لهم مدّة سنة كاملة حتّى أَخْرَبها المَنْجَنِيق ودخلها قهراً بالسّيف، وقَتَلَ وَلَدَ عليّ بن الفضل وسبى بناته، وكنَّ ثلاثاً، ففرقهنّ في رؤوساء العرب، ووَهَبَ واحدةً منهنّ لابن أخيه قحطان بن عبد الله بن أبي يُعْفِر، فولدت له عبد الله بن قحطان، وكان اسمها مُعاذة، فانقطعت دولة القَرامطة من مِخْلاف جعفر، ولم تزل المُذَيْخِرة خَراباً إلى عصرنا هذا، فهذه أخبار عليّ بن الفضل بأسرها، والله أعلم.

واستولى الأمير أسعد بن أبي يُعْفِر على البلاد في رجب من سنة أربع وثلاث مئة وكان وفاتُهُ في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة(٢).

وفي أيّام الأمير أسعد بن أبي يُعْفِر المذكور قدم اليمن الوزير عليّ بن عيسى بن الجرّاح من العراق، فأقام بصنعاء على أوفى كرامة، وقدّم [له](٣) مالاً كثيراً، ورجع الوزير إلى بغداد، وهو منَ الشّاكرين لأسعد بن أبي يُعْفِر الحِواليّ المذكور، فعمل في رفع الخَراج عن اليمن، فجزاه الله خيراً.

---

(١) في (ج): «بفينان».

(٢) قوله: «وكان وفاته ... وثلاث مئة» ليس في (ج، هـ).

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين ليس في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ؛ وفاعل «وقدم» أسعد بن أبي يُعْفِر.

وولي بعده أبو يُعْفِر سبعة أشهر، ثمّ ولي البلاد عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يُعْفِر الحِواليّ -وهو الّذي أُمّهُ مُعاذة بنت عليّ بن الفضل- وكانت ولايته في [٢٠أ] الثّاني عشر من شهر ربيعٍ الأوّل سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة، وكانت له وقعات مشهورة، منها: أنّ أبا يعقوب[١] المَخائيّ وازر[٢] الحسين بن سلامة على قتال بني الحِواليّ، فالتقوا للحرب في اليوم السّادس عشر من شوّال سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة، فقتل منهم مقتلةً عظيمة نحواً من أَلْفَي رجل، وكانتِ الدّائرة على أبي يعقوب المخائي، وهو من جهة الحسين بن سلامة، والله أعلم.

وأمّا منصور بن حسن[٣]: فكان رجلاً عاقلاً لبيباً كاملاً وادعاً يحبّ المُباقاة[٤]، ولم يبرح في جهة لاعَة إلى أن توفّي في سنة اثنتين وثلاث[٥] مئة، ولمّا حضرتْهُ الوفاة أوصى إلى ابنه الحسن بن منصور وإلى رجل من أصحابه يُقال له: عبد الله الشّاوِريّ -وكان خَصِيْصاً به- فأمرهما منصورٌ بالمحافظة على مذهبه وألّا يَقْطَعا أمراً دون عُبَيد الله المهديّ[٦]، وأمرهما بمكاتبة المهديّ، فإذا ورد كتابُهُ بولاية أحدهما سمع الآخر وأطاع.

فكتب الشّاوِريّ إلى المهدي برسالةٍ وهديّة وعرَّفَهُ بموت منصور، وأنّه قد قام بالدّعوة، وبعث بالكتاب مع الحسن بن منصور[٧] - وكان منصور بن حسن قد أرسل الشّاوريّ إلى المهديّ برسالة وهديّة، وقد عَرَفَهُ المهديّ- فلمّا سار حسن بن منصور بكتاب الشّاوِريّ إلى المهديّ، وقدم عليه وهو في المهديّة، فدفع إليه الكتاب، فلمّا قَرَأَهُ أمر الشّاوِريّ بالاستقلال، وبعث إليه تسعَ راياتٍ، وعاد الحسن بن منصور خائباً.

---

(١) في (أ): «أبا يُعْفِر» وهو خطأ.

(٢) في (ج، د): «وزير» وهو خطأ.

(٣) في (الأم، ب): «منصور بن حسين» وهو خطأ.

(٤) المُباقاة، هٰهنا: المُراعاة والإبقاء.

(٥) في (ب، هـ): «اثنتين وثلاثين وثلاث مئة» وهو خطأ.

(٦) في جميع النسخ: «عبيد الله بن المهدي» وهو وهم، وقد تقدم على الصواب، وانظر ترجمته في الأعلام: ٤/١٩٧.

(٧) قوله: «وأنه قد قام ... الحسن بن منصور» سقط في (ج، د، هـ).

فلمّا وصلت كتب المهديّ بولاية الشّاوِريّ وعَزْل أولاد منصور ووصل الحسن بن منصور بولاية الشّاوِريّ خائباً عمل على قتل الشّاوِريّ، فنهاه إخوتُهُ فلم ينتهِ، فكان أولاد منصور يواصلون الشّاوِريّ، وهو يكرمهم ويُبَجِّلهم، ولا يحجب منهم أحداً.

ثمّ إن الحسن بن منصور دخل يوماً على الشّاوِريّ في بعض الغَفَلات فلم يجد عنده أحداً فقتلَهُ واستولى على البلاد، فلمّا استوثق له الأمر جمع الرَّعايا من أقاصي البلاد وأدانيها وأشهدهم على نفسه أنّه قد خرج من مذهب القَرامطة إلى مذهب أهل السُّنّة، فأحبّه النّاس ودانوا له، فدخل عليه أخٌ له يُسمَّى جعفراً فنهاهُ عمّا فعل وقبَّحَهُ إليه، فلم يلتفت إليه، وقتل القَرامطة الّذين حوله وشرَّدهم في كلِّ وجه.

ثمّ إنّه خرج يوماً من مَسْوَر إلى عَيْن مُحَرَّم وفيه رجلٌ من قِبله يُقال له: ابن العَرْجاء[1]، فاستخلف على مَسْوَر إبراهيم بن عبد الحميد السّباعيّ وهو جدّ بني المُنْتاب، فلمّا دخل حسن بن منصور عَيْنَ مُحَرَّم وَثَبَ عليه نائبه ابن العَرْجاء فقتلَهُ واستولى على ما تحت يده، وبلغ الخبر إلى إبراهيم بن عبد الحميد فلَزِم مَسْوَراً، وادَّعى الأمر لنفسه، وخرج أولاد منصور بن حسن وحريمهم من مَسْوَر[2] إلى جبل بني أَعْشَب[3]، فوَثَبَ عليهم المسلمون فقتلوهم ولم يُبْقوا على أحدٍ منهم، وسَبَوا حريمهم.

ثمّ اتفقّ ابن العَرْجاء وابن عبد الحميد فاقتسما البلاد نصفين، ورجع إبراهيم إلى مذهب أهل السّنة، وخَطَبَ للخليفة [٢٠ب] العبّاسيّ، وكاتب الأمير إبراهيم بن زياد صاحب زَبِيْد ودخل في طاعته، وسأله أن يُرسل إليه برجلٍ من قِبله، فبعث ابن زياد برجل يعرف بالسّراج وقال له ابن زياد: إذا أمكنتك الفرصة من إبراهيم فثِبْ عليه. فتلقّاه إبراهيم وأنصفه وأكرمه، فعامل عليه السّراج من يقتلُهُ، فبلغ العلم إلى إبراهيم بن عبد الحميد فقبض على السّراج وحلق رأسه ولحيتَهُ ونفاهُ وقطع مواصلة ابن زياد.

(١) سلف ذكره: «ابن الفدعاء».

(٢) قوله: «من مسور» سقط في (د).

(٣) في (د): «أعسب»، وإنّما هو بإعجام الشّين، نسبةً إلى أَعْشَب بن قُدَم؛ صفة جزيرة العرب: ١١٢.

وتتبّع القَرامطةَ بالقَتْل والسَّبي حتّى أفناهم، ولم يُبْقِ منهم إلّا طائفةً قليلة بناحية مَسْوَر كاتمين أمرهم مقيمين نامُوسَهم برجلٍ منهم يُقال له: ابن الفضل[1]، فقتله إبراهيم بن عبد الحميد، فانتقلتِ الدّعوة إلى رجل يُعرف بابن جُفْتُم[2]، وذلك في أيّام المُنتاب بعد موت أبيه إبراهيم بن عبد الحميد، فخاف ابن جُفْتُم[3] على نفسه، وكان لا يستقرّ في موضعٍ واحدٍ خوفاً منَ المُنْتاب، وكان يكاتب المُعِزّ إلى مصر بعد خروجه من القَيْروان.

فلمّا حضرتْهُ الوفاة استخلف رجلاً من شِبام يُقال له: يوسف بن الأسد، فأقام دعوته مدّة حياته، فلمّا حضرتْهُ الوفاة استخلف عند موته سليمان بن عبد الله الزَّواحيّ[4]، وهو رجل من حِمْير؛ والزَّواحيّ أيضاً قريةٌ من أعمال حَراز يُنْسب إليها المذكور، والزَّواحيّ أيضاً قريةٌ من أعمال خَدِد[5]، والزّواحيّ قريةٌ كبيرة من أعمال حَيْس بتِهامة.

فكان سليمان بن عبد الله الزَّواحيّ داعياً في أيّام الحاكم والظّاهر وأوّل أيّام المُسْتَنْصِر[6] العُبَيديّين[7]، وكان كثيرَ المال والجاه، واستمالَ الرَّعاع والطَّغام إلى مذهبه، وكلّما همّ به المسلمون دافعهم بالجميل، ويقول: أنا رجلٌ مسلم، أقول أشهد أن لا إله إلا الله. فيمسكون عنه، وكان فيه كَرَمُ نَفْس، وإفضالٌ على النّاس، فلمّا حضرتْهُ الوفاة استخلف عليّ بن محمّد الصُّليحيّ، الّذي سيأتي ذكره، إن شاء الله تعالى.

---

(١) في بقيّة النّسخ: «الطفيل» ما عدا (ب) فإنه فيها في سقط يبلغ ورقة.

(٢) في (ج، د، هـ): «بابن فحيم».

(٣) قوله: «وذلك في أيام ... ابن فحيم» سقط في (هـ).

(٤) الزّواحيّ، بفتح الزّاي أوّله، وحاء مهملة قبل ياء النّسبة، كذا في (الأمّ)، ونحوه في صفة جزيرة العرب: ٦٨، ١٠٠، وورد في معجم البلدان: ٣/ ١٥٥، بالخاء المعجمة.

(٥) خَدِد، بفتح الخاء المعجمة وكسر الدّال المهملة آخره دالٌ أخرى، وفي معجم البلدان: ٢/ ٣٤٨، بفتح أوّله وثانيه.

(٦) في جميع النّسخ: «المنتصر»، وإنّما هو المستنصر، وسيأتي ذكره؛ وانظر الأعلام: ٧/ ٢٦٦.

(٧) قوله: «العبيديين» ليس في بقيّة النّسخ.

الفصل السّابع
في ذِكْر الأمراء المُتَغَلِّبين على صنعاء

قال علماء السِّيَر: لمّا أهلك الله تعالى عليَّ بن الفضل القَرمطيّ -لعنه الله- في التّاريخ المذكور استولى على صنعاء ومَخالِيفها والجَنَد وأعمالها وسائر جهات اليمن الأعلى الأميرُ أسعد بن أبي يُعْفِر[1] إبراهيم بن محمّد بن يُعْفِر بن عبد الرّحيم إلّا صَعْدَة وأعمالها فإنّها كانت تحت يد الإمام المرتضى محمّد بن الهادي -كان وادعاً ناسكاً مُؤْثِراً للعبادة والعلم- ولم يزل بمنزله بصَعْدَة إلى أن توفِّي سنة عشر وثلاث مئة، فلمّا توفِّي في التاريخ المذكور قام بالأمر بعده أخوه الإمام أحمد الناصر فاستولى على كثير من البلاد ودخل عَدَن في ثمانين ألفاً فيها أربعون ألف قوس[2]، فدان له كثير من البلاد، وأقام في إمامته إلى أن توفِّي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة [٢١أ] -وقيل: سنة خمسٍ وعشرين- والله أعلم.

ولم يزل أسعد بن أبي يُعْفِر مستولياً على صنعاء وأعمالها إلى أن توفِّي سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة، وكانت وفاته بكُحْلان[3]، ثمّ حُمل في تابوته إلى شاهرة -وهي الّتي وَقَفها على الجامع بصنعاء- ودُفِن هنالك.

وفي أيّامه كان قيام الإمام النّاصر أحمد[4] بن الهادي، ولم تزلْ صنعاء في يدِ بني يُعْفِر

---

(١) وفي (ج): «... يعفر بن ...» وهو خطأ.

(٢) في (هـ): «فرساً».

(٣) كحلان، بفتح أوّله وضمّه، كذا ورد بصفة جزيرة العرب: ١٢٥، وفي معجم البلدان (٤/٤٣٩) ضبطها بالفتح، وقال: «واليمانيون اليوم يقول: كُحلان، بالضّم.».

(٤) في (الأمّ): «الناصر بن أحمد» وهو خطأ، وصوابه عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب) فهو فيها ضمن سقط.

ومواليهم؛ مع كثرة اختلافهم وقيام من يقوم عليهم إلى سنة أربع وأربعين وثلاث مئة.

وفي سنة أربع وأربعين وثلاث مئة: وصل المختار بن النّاصر أحمد بن الهادي[١] إلى رَيْدَة، فخرج مِن صنعاء مَن كان فيها من بني الضَّحّاك، فولّاها المختارَ أبا القاسم بن يحيى بن خلف، ولم يلبث الضَّحّاك أن غَدَرَ بالمختار بن النّاصر فحبسه في قصر رَيْدَة في شهر صفر من سنة خمس وأربعين وثلاث مئة، فأقام محبوساً إلى شهر شوّال، وقتله في شهر شوّال[٢] منَ السَّنة المذكورة.

وكان عليّ بن وَرْدان من موالي آل يُعْفِر قد غلب على صنعاء، فثار الأسمر بن يوسف بن أبي الفتوح[٣] الخولانيّ فقامت معه خولان، فعارض بني يُعْفِر وبني الضَّحّاك فقصدوه وهو بخِدار[٤] فهزمهم وقتل من هَمْدان خلقاً كثيراً.

وتوفِّي علي بن وَرْدان في سنة خمسين وثلاث مئة[٥]، وقد استخلف أخاه سابوراً فقام بالأمر وصار الضَّحّاك معه كما كان مع أخيه، فخرَجا جميعاً لقتال ابن أبي الفتوح إلى بلد خولان، فلم يظفرا منه بشيء، فعاد الضَّحّاك إلى صنعاء، وسار سابور يريد ذَمار، فلحقه الأسمر ابن أبي الفتوح الخولانيّ[٦]، فقتله في نَقِيْل يَكَلى، وذلك في سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة.

وكتب الضَّحّاك إلى أبي الجيش بن زياد صاحب زَبِيْد وبَذَلَ له الطّاعة، وخطب له بصنعاء في شوّال من سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة.

---

(١) قوله: «ولم تزل صنعاء ... الهادي» سقط في (ج).

(٢) قوله: «وقتله في شهر شوال» سقط في (ج).

(٣) في (أ): «أبي الفرج».

(٤) في (ج، د، هـ): «حراز»، وهو خطأ.

(٥) في (ج، د): «خمس وأربعين وثلاث مئة».

(٦) قوله: «إلى بلد خولان ... الفتوح» سقط في (ج، د).

وكتب الأسمر الخولانيّ إلى الأمير عبد الله بن قحطان بن [عبد الله بن](١) أبي يُعْفِر الحِواليّ(٢) -وهو يومئذٍ بشِبام- أن يقوم بالأمر(٣)، فخرج الأمير عبد الله بن قحطان إلى السِّرّ فأقام مع الأسمر ابن أبي الفتوح الخولانيّ أيّاماً، ثمّ سار نحو كُحْلان فأقام به مدّة ورجع إلى صنعاء فدخلها سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة. وخرج منها الضَّحّاك منهزماً ولم يلبث ابن قحطان أن خرج من صنعاء، فاستعادها الضَّحّاك وأعاد الخُطْبة لابن زياد، فلم يستقرَّ له أمر، وعاد أمر البلاد إلى عبد الله بن قحطان وامتدَّت أيّامه.

وفي أيّامه قام الإمام يوسف بن يحيى بن النّاصر أحمد بن الإمام الهادي، وذلك في سنة ثمانٍ وستّين وثلاث مئة، فخرج منها إلى نَجْران ثمّ إلى بلد الرَّبيعة(٤)، ثمّ سار إلى رَيْدَة واستخرج عمَّه المختار بن النّاصر، رحمه الله تعالى، من قبره برَيْدَة(٥)، فوجده على هيئته من حين قتله الضَّحّاك -هكذا قاله الشّريف إدريس في تاريخه (كنز الأخيار)- فدفنَهُ وسار إلى صنعاء فدخلها في شهر جُمادَى(٦) منَ السَّنة المذكورة، وخطب لنفسه، وهدم ما كان بُني في دور(٧) صنعاء.

وسار قيس [٢١ب] بن الضَّحّاك إلى بيت بَوْس عند قدوم الإمام يوسف صنعاء(٨)، ثمّ خرج الإمام يوسف إلى الرَّحْبَة فلَقِيَتْهُ جموع قيس بن الضَّحّاك وفيهم أسعد بن أبي الفتوح، وخيلٌ قد كان استمدّ بها من مارب، وجمعٌ عظيم من أهل صنعاء وغيرهم، فهزموا أواخرَ

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٢) في (أ، ج): «الخولاني» وهو خطأ.

(٣) ينتهي هنا سقط (ب) الذي بدأ من قوله: «... في سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة ولما حضرته» وهو قدر ورقة.

(٤) في (الأمّ، ب): «الدبيعة» بالدّال المهملة، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٥) قوله: «بقبره بريدة» ليس في بقيّة النّسخ، وهو في (الأمّ) مكتوب بخط مختلف من فوق الكلام.

(٦) في (ج، د): «جُمادَى الأخرى».

(٧) في (الأمّ، أ، ب): «دار»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٨) قوله: «وسار قيس ... صنعاء» سقط في (أ).

عسكر الإمام[1] وقتلوا منهم جماعةً، فعطف الإمام في خيلِهِ وكان معه نحوٌ من ألف فارس من هَمْدان وحِمْير وغيرهم، فهزم النّاس وقتل منهم عدّة قتلى، وأمسى في شَعوب، ودخل صنعاء فأقام فيها أيّاماً، ثمّ خرج إلى المشرق إلى بلد ابن أبي الفتوح، ثمّ عاد إلى صنعاء[2] فأقام بها أيّاماً، وخرج منها فدخلها قيس بن الضَّحّاك وأسعد بن أبي الفتوح[3]، وأقام الإمام يتردّد في البَون.

واستمدَّ قيسُ بن الضَّحّاك بابن زياد صاحب زَبِيْد فأمدَّهُ بشريفٍ من ولد الهادي في عسكرٍ ضخم فسار إلى رَيْدَة وطلع الإمام يوسف بلد بني صُرَيم، وسار قيس بن الضَّحّاك طريق المُوَلَّدة إلى خَيْران[4]، ورجع الشّريف الهَدَويّ وأسعد بن أبي الفتوح إلى صنعاء، ثمّ أقبل الإمام نحو صنعاء[5] وقد جمع جموعاً عظيمة، واختلف الشّريف الهَدويّ وابن أبي الفتوح، فسار الشّريف إلى الإمام فقاتلوا أسعد بن أبي الفتوح[6] على أبواب صنعاء أربعة أيّام لم يظفروا منه بشيء، فأخربوا ما حول صنعاء منَ الأَعْناب وغيرها، وذلك في سنة تسعٍ وستّين وثلاث مئة.

ورجع الإمام ومن معه إلى رَيْدَة، وأقام أسعد في صنعاء وناصره سلمة بن محمّد الشِّهابيّ، فأقاما زماناً ثمّ اختلفا[7]: أهل صنعاء مع سلمة على أسعد بن أبي الفتوح حتّى أخرجوه من صنعاء إلى بيت بَوْس، فكتب أسعد بن أبي الفتوح إلى الإمام يوسف بالسَّمْع

---

(١) قوله: «من أهل صنعاء ... عسكر الإمام» سقط في (هـ).

(٢) قوله: «فأقام بها أياماً ... إلى صنعاء» سقط في (ج).

(٣) قوله: «ثم عاد ... وأسعد بن أبي الفتوح» سقط في (أ، هـ).

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «خيوان»، وفي معجم البلدان (٢/٤١١): «خيران حصنٌ باليمن أظنّه من أعمال صنعاء».

(٥) قوله: «نحو صنعاء» ليس في (ج، هـ) وفي (د): «فسار الشريف إلى الإمام».

(٦) في (أ): « بن أبي يُعْفِر» وهو خطأ.

(٧) في (الأمّ، ب): «اختلفا مع أهل ...» وهو خطأ، وإنّما كان أهل صنعاء مع سلمة ضدّ أسعد.

والطّاعة له وحرب أهل صنعاء، فالتقيا إلى ضُلَع ودَخَلا صنعاء على سلمة[1] بعد قتالٍ شديد، فانحاز سلمة إلى دارٍ فَهُجِم[2] عليه وأُخِذَ وقُتلَ جماعةٌ منَ الشِّهابيّين، وهدم الإمام الدَّرْبَ، ثمّ فسد ما بين الإمام وأسعد بن أبي الفتوح.

فخرج الإمام إلى بلد خولان فأخرب دوراً كثيرة فيها، إلّا دار ابن أبي الفتوح، وعاد الإمام إلى صنعاء فكان [يخرج][3] لحرب ابن أبي الفتوح إلى بيت بَوْس.

فاتّفق الإمام والضَّحّاك وجعلَ له الإمام جِباية صنعاء، ثمّ اختلف [عليه][4] هَمْدان فسار إلى بلد عَنْس، فأقام بذَمار زماناً، ثمّ سار إلى مارب، فوصل رَيْدَة وجمع هَمْدان، وسار إلى صنعاء وذلك في سنة أربع وسبعين وثلاث مئة، ثـمّ خالفت عليه هَمْدان، فرجع إلى مكاتبة ابن أبي الفتوح وبَذَلَ له نصف جِباية صنعاء، فصار إليه وطَرَدَ عمّال ابن الضَّحّاك، ودخلها وخطب للإمام ولعبد الله بن قحطان من غير أن يُؤامِرَ الإمام[5] في ذلك، فلامه على ذلك، فقطع ذكر الجميع، فسار الإمام إلى حُوْث، فبنى بها منزلاً، ونقل أولاده إليه.

وفي سنة تسع وسبعين: تجهّز الأمير عبد الله بن قحطان لنُزُول تِهامة، فسار إليها في شهر ربيعٍ الآخر منَ السَّنة [٢٢أ] المذكورة فلقيه صاحبها ابن زياد إلى حجرة حَراز فاقتتلوا هنالك، فانهزم ابن زياد وقُتل من عسكره خلقٌ كثير، ودخل عبد الله بن قحطان إلى زَبِيْد فنَهَبَ دور بني زياد أَقْبَحَ نَهْب، وأقام في زَبِيْد ستّة أيّام، ونهب العسكرُ زَبِيْد نهباً شديداً، ثمّ خرج عبد الله بن قحطان من زَبِيْد يُريد[6] كُحْلان.

---

(١) في جميع النّسخ: «سلامة» وإنما هو سلمة بن محمّد الشّهابيّ السّالف الذّكر.

(٢) بعده في (ج، د): «واحد من العسكر عسكر الإمام فقتله وقتل جماعة ....».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، أ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

(٥) يُؤامر الإمام: أي يُشاوره؛ وآمَرَ المرءُ نفسَهُ: شاورها.

(٦) قوله: «يريد» سقط في (ج).

وفي هذا التّاريخ أمر بقَطْع خطبة بني العبّاس في بلاده، وخطبَ للعزيز بن المُعِزّ العُبَيديّ(١) صاحب مِصْر، ثمّ خرج من كُحْلان قاصداً مِخْلاف جعفر فملكه واستولى عليه في سنة ثمانين(٢) وثلاث مئة.

وأقام بإِبّ واضطرب عليه أمر المِخْلاف فأمر بعِمارة المَنْظَر، وتحوّل إليه من إبّ وجعل أمر ألْهان إلى أسعد بن أبي الفتوح الخولانيّ، وأعانه على من أراد مناوأته من أُمَراء العرب.

وتوفّي الأمير عبد الله بن قحطان في سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، فقام بالأمر بعده ابنه أسعد بن عبد الله بن قحطان(٣) بن عبد الله بن أبي يُعْفِر إبراهيم بن محمّد بن يُعْفِر(٤) بن عبد الرّحيم الحِواليّ، فكان أمرُ صنعاء مُضْطَرِباً، تارةً يغلِب عليها الإمام وابن أبي الفتوح، وتارةً آل الضّحّاك، وكانتِ العرب من هَمْدان وحِمْير وخولان وبني شِهاب مفترقةً معهم، فمن كَثُرَ جمعُهُ غَلَبَ على صنعاء.

قال الشّريف إدريس: ولم يكن الإمام يوسف منَ الأئمّة السّابقين عند أهل البيت ولم يعدُّوهُ منَ الأئمّة القائمين بأمر الله تعالى.

فلمّا كان في سنة تسع وثمانين وثلاث مئة: وصل المنصور القاسم بن عليّ بن عبد الله بن محمّد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن(٥) وكان مقامُهُ قبل ذلك بتَرْج من بلد خَثْعَم، ثمّ أقام بتَبالَة واستخرج الغَيْل القديم الّذي كان بها، ووصل إلى صَعْدَة فملكها وسار إلى نَجْران ثمّ عاد نحو تَبالَة وتَرْج، فخالف عليه

---

(١) في (الأمّ): «المعتزّ» وهو خطأ، إنّما الصّواب: «المعزّ» وكذا ألقاب الفاطميّين جميعاً. وفي (ج): «وخطب للمعز العبيدي» وفي (د، هـ): «للعزيز بن المعز العبيدي».

(٢) في (الأمّ، أ، ب): «في سنة ثلاثين» وهو خطأ، وصوابه عن بقيّة النّسخ وما يقتضيه سياق الخبر.

(٣) قوله: «في سنة سبع ... عبد الله بن قحطان» سقط في (ب).

(٤) في (هـ): «إبراهيم بن يُعْفِر» باطراح «محمد بن»، وهو خطأ.

(٥) في (أ): «إبراهيم بن الحسن بن علي» وفي (هـ): «الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب».

أهل صَعْدَة، فجمع لهم هَمْدان فأخرب دَرْبَها وطَرَدَ منها الإمام يوسف بن يحيى بن النّاصر وولّاها ابنَهُ جعفر بن القاسم فأقام بعِيَان، ثمّ وصل إلى رَيْدَة فأطاعه جعفر بن الضّحّاك وكافّة أهل البَون وبايعوه، فأرسل إلى صنعاء من قِبله شريفاً يُعْرف بالقاسم بن الحسين الزَّيديّ من ولد زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السّلام، فتصرّف في صنعاء بأحكام الزَّيديّة، وعاد الإمام القاسم إلى عِيَان واستخرج غَيْل مَدان، وخالف عليه أهل نَجْران، فجمع لهم جمعاً عظيماً وسيّر إليه ابن أبي الفتوح ابن عمّه الموفَّق بن يوسف، وسارت إليه حاشِد وبَكِيل ابنا هَمْدان والزَّيديّ في أهل صنعاء، وسار نحو نَجْران في جموعه، فهدم بها عدَّة حصون وأَسَرَ منهم جماعةً كثيرة ورجع إلى عِيَان، ورجع الزَّيديّ إلى صنعاء.

ثمّ إنّ الإمام القاسم بن عليّ أمر الشّريف الزَّيديّ بالخُروج إلى بلاد عَنْس وذَمار فملكها، فصارت كلُّها في طاعة الإمام القاسم بن عليّ، فلمّا صار الزَّيديّ بذَمار أقام بها، واستعمل [٢٢ب] الإمام على صنعاء وُلاةً وهو يَعْزِلُهم[١] واحداً بعد واحد.

ثمّ وصل الإمام إلى رَيْدَة فسأل النّاس النّصرة على أهل نَجْران –وكانوا قد رجعوا عن طاعته وأفسدوا عليه– فأجابه النّاس إلى ما طلب وكتب الشّريف الزَّيديّ إلى الأمير أسعد بن عبد الله بن قحطان صاحب كُحْلان[٢] يرغبه في طاعة الإمام فأجابه وخطب له بكُحْلان، وأمدَّه في حركته إلى نَجْران بمالٍ جزيل وخَيْلٍ وخِلَع، وخطب لأسعد مع الإمام بصنعاء.

وسار الإمام بجُمُوعِهِ نحو نَجْران، فدخل عليهم دَرْبَ الفجر قهراً، وقتل منهم قتلاً ذريعاً، ثمّ غدروه باسم الصُّلح فتأخّر عنهم، فأحكموا ما فسد من دَرْبهم، ثمّ عاودهم فلم يظفر منهم بشيء، فعاد [الإمام][٣] إلى عِيَان، ثمّ فسد ما بين الزَّيديّ وابن أبي الفتوح حتّى

---

(١) في (ج، د): «يوليهم» وفي (هـ): «الإمام ولاة ...».

(٢) قوله: «صاحب كحلان» سقط في (ج).

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج) وقوله: «فعاد إلى عيان» ليس في (ب).

دخل الزَّيديّ أَلْهان فأخذ حصن أَشْيَح وكان إلى ابن أبي الفتوح(١)، وأخذ له خيلاً وجمالاً وكتب إلى نائب الإمام بصنعاء يلقاه، فالتقيا بها وهدما دور ابن أبي الفتوح.

وسار الزَّيديّ إلى صنعاء في عسكرٍ عظيم فأقام أيّاماً وعاد إلى ذَمار، وكان الإمام بوَرْوَر فسارت إليه هَمْدان، وسألوه النّفقات، فكتب إلى عامله بصنعاء فلم يجدوا عنده ما يقوم بكفايتهم فساروا إلى ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشِد فحلفوا لهما ودخلوا بهما صنعاء، وخرج وُلاة الإمام منها، وذلك في سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة.

ولمّا علم الشّريف الزَّيديّ بذلك سار من ذَمار في جموعه حتّى وصل بِئْر الخولانيّ، فقطع ما كان فيها من أَعْناب لبني أبي الفتوح، وسار إلى نُعُض(٢) فأَخْرَبها، فخرج ابن أبي حاشِد(٣) من صنعاء، وعاد ابن أبي الصّباح نائب الإمام، وكانتِ الأَبْناء قد أسلمت أسعد بن أبي الفتوح وتأخّرت عن نصرتِهِ، فلمّا رأى ذلك طرح نفسه على رؤوس القبائل وعلى الشّريف الزَّيديّ، فقبله على أن يكون مِخْلاف خولان من تحت يدِ الزَّيديّ.

وحمل أسعد بن أبي الفتوح إلى الشّريف الزَّيديّ خمسةً وسبعينَ ألف درهمٍ، ودخل الشّريف الزَّيديّ صنعاء، ثمّ تجهّز للقاء الإمام القاسم بن عليّ فلقيه ودخل الإمام صنعاء فأقام بها أيّاماً، ثمّ رجع الإمام إلى وَرْوَر، ورجع الشّريف الزَّيديّ إلى ذَمار واستعمل الإمام على صنعاء رجلاً يُقال له: هلال بن جعفر العَلَويّ.

وفي هذه السّنة: ارتفع سعر الطّعام بصنعاء ارتفاعاً عظيماً.

ووصل جعفر بن الإمام إلى صنعاء، والتقى بابن أبي الفتوح، وردَّ عليه جميع مِخْلافه ولَحِقَ النّاسَ من جعفر بن الإمام شِدّةٌ عظيمة، ثمّ تقدَّم الإمام إلى صنعاء ووصله ابن

---

(١) قوله: «حتى دخل الزَّيديّ ... ابن أبي الفتوح» سقط في (هـ).

(٢) في جميع النّسخ: «النعظ» بالظاء، وصوابه بالضّاد كذا ورد غير مرة بالنّقوش؛ انظر نقوش مسندية: ١٤٩-١٥٢.

(٣) في (ج، د): «ابن حاشد» وهو خطأ.

أبي الفتوح، وتغيّر الإمام على الشّريف الزَّيديّ فخالف عليه وأقام [١٢٣أ] حتّى جاء الإمام من صنعاء، وقد استخلف عليها ابنه جعفراً، فقصدَهُ الزَّيديّ إلى صنعاء فأَسَرَهُ وأسر جماعةً من إخوته وسيّرهم إلى بيت محمّد وحارب ابن أبي الفتوح، فانحاز إلى حصن المَقْطوع فأخرب قرية نُعُض[1].

ثمّ إنّ الإمام راسل الشّريف الزَّيديّ واستطاب نفسه، فأطلق أولاده وحملهم وسار فلقي الإمام إلى رَيْدَة فأقام عنده أيّاماً، وتَعامَلا على[2] أحوالٍ لم تظهر لأحد، وكتب له الإمام كتاباً بوِلاية عَدَن[3]، وأشهد له بذلك، وكان ذلك في شهر المحرّم من سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة.

فعاد الزَّيديّ إلى صنعاء فولّاها الشّريف هلال بن جعفر وسار نحو أَلْهان، فبلغه الخبر بموت الأمير أسعد بن عبد الله بن قحطان بن أبي يُعْفِر بكُحْلان وولاية أحمد بن أبي يُعْفِر بعده وطاعة حِمْير له، وذلك في شهر ربيعٍ الآخر من سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة.

ثمّ إن الإمام القاسم دخل صنعاء فتمَيَّلَ منه الشّريف هلال بن جعفر نائب الزَّيديّ، فوصل الزَّيديّ إلى صنعاء[4]، وكتب إلى الإمام الأوّل يوسف بن يحيى بن أحمد النّاصر بالوصول إليه، فسار نحوه فالتقيا في مشرق هَمْدان وتحالفا.

وأقام الإمام يوسف بن يحيى برَيْدَة، ورجع الشّريف الزَّيديّ إلى صنعاء، وخطب للإمام يوسف بن يحيى، وقطع خطبة الإمام القاسم بن عليّ، ووصل الشّريف يوسف بن يحيى إلى صنعاء، وسار منها إلى أَلْهان، ثمّ عاد إلى ذَمار، وخرج الإمام يوسف من صنعاء وبقيت بغير سلطان، وأتى الخبر بوفاة الإمام القاسم بن علي بعِيَان في شهر رمضان من

---

(١) في جميع النّسخ: «النعظ» بالظاء، وصوابه بالضّاد كذا ورد غير مرة بالنّقوش؛ انظر نقوش مسندية: ١٤٩-١٥٢.

(٢) تعاملا على الأمر، هٰهنا: اتّفقا عليه.

(٣) في (أ، د، هـ): «وكتب له الإمام كتاب ولاية من عجيب إلى عدن» ونحوه في (ج) بإسقاط لفظة «كتاب».

(٤) قوله: «فتميل منه ... الزَّيديّ إلى صنعاء» سقط في (ج، د).

سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة.

فوصل ابن أبي حاشِد إلى صنعاء وخطب للشّريف الزَّيديّ، ثمّ تغيّرت عليه الأحوال، فخرج من صنعاء وتركها بغير سلطان، ولم تزل كذلك حتّى اصطلح ابن أبي حاشد وابن عمِّه أبو جعفر فسارت إليه هَمْدان، فدخل صنعاء سنة خمس وتسعين وثلاث مئة، وصالحَ ابن أبي الفتوح.

فلمّا كان ليلة النِّصْف من رجب سنة ستٍّ وتسعين طلع نجمٌ منَ المشرق مثل الزُّهَرة، وارتفع مرّاتٍ بعد غروب الشّمس بنصف ساعة، ولم يكن مُدَوَّراً -بل هو إلى الطُّول أقرب- وفي أطرافِهِ شُعب مثل الأصابع، وله حركة عظيمة كأنّه في ماء يضطرب، وله شعاع كشعاع الشّمس، وكان طلوعُهُ في العَقْرب من برج المِيْزان، ولم يزل كذلك إلى ليلة النِّصْف من شهر رمضان[١] ثمّ نقص[٢] نورُهُ واضْمَحَلّ.

وفي هذه السّنة المذكورة: تجهّز ابن أبي الفتوح في جيشٍ عظيمٍ يريد أَلْهان، فلمّا صار في بعض الطّريق وَثَبَ عليه بعض غلمانِهِ[٣] فقتله، فأُعِيد[٤] إلى نُعُض[٥] فدفن بها، وكان قتله في ذي القِعْدة من سنة ستٍّ وتسعين وثلاث مئة، فقام بالأمر بعده ولده المنصور وحلفت له خولان واستقامت أموره.

ووقفت صنعاء بغير سلطان إلى المحرّم من [٢٣ب] سنة سبعٍ وتسعين ودخلها أحمد بن سعيد بن الضّحّاك والياً عليها من قبل ابن عمِّه أبي جعفر، ثمّ غلبه عليها ابن أبي حاشد وتعاوَرَها آل الضّحّاك إلى سنة ثمانٍ وتسعين وقدمها الشّريف الزَّيديّ ومعه

(١) في (ج): «شهر شعبان».

(٢) في (الأم): «نقض».

(٣) في (ج، د): «عماله».

(٤) في (ج): «وحمل».

(٥) في جميع النّسخ: «النعظ» بالظاء، وصوابه بالضّاد كذا ورد غير مرة بالنّقوش؛ انظر نقوش مسندية: ١٤٩-١٥٢.

الإمام يوسف بن يحيى بن النّاصر، فأقاما نحوَ نصف شهرٍ ولم يتمَّ لهما أمرٌ.

فخرج الإمام نحو مَدَر[1] ورجع الشّريف الزَّيديّ أيضًا إلى ذَمار، وأقامتِ الفتنة على صنعاء بين[2] هَمْدان وخولان وحِمْير والأَبْناء وبني شِهاب في كلِّ شهر لها أميرٌ[3]، وعليهم رئيس، وفي أكثر أوقاتها تخلو منَ السَّلْطنة والغالب عليها آل الضَّحّاك إلى سنة أربع مئة.

وفي سنة أربع مئة: سار جماعة من هَمْدان وبني شِهاب إلى الشّريف الزَّيديّ، وهو في ذَمار فسار معهم إلى صنعاء فدخلها في ذي القِعْدة منَ السَّنة المذكورة.

فلمّا كان في صفر من سنة إحدى وأربع مئة[4]: وصل الإمام الحسين بن الإمام القاسم بن عليّ إلى قاعَة، وادَّعى أنَّه المهديّ الّذي بَشَّر به النّبيّ ﷺ فأجابته حِمْير وهَمْدان وسائر أهل المغارب، وتخلّوا عنِ الشّريف الزَّيديّ، فوصل الزَّيديّ إلى صنعاء، وقد كان خرج إلى مغاربها وأمر ابنه محمّد بن القاسم بن عليّ[5] أن يدعو لنفسه الإمامة[6]، فوصل كتابُهُ من ذَمار بالدَّعوة فبلغت أخاه حسين بن القاسم العِيانيّ، فأجابَها بنَقْضِها.

وخرج الشّريف الزَّيديّ فأقام ببيت بَوْس، وقد حصَّنَهُ وأقام ابنَهُ زيداً[7] بصنعاء فحصَّنَ دُروبها، ثمّ بدا للزَّيديّ فأخرج مَنْ كان في حبس صنعاء، وأَنْهَب[8] أَهْراء[9] الطَّعام، وعاد إلى ذَمار فتعطَّلت صنعاء منَ السّلْطَنة إلى سنة اثنتين وأربع مئة، ووصل

---

(١) في (ج، د، هـ): «المدر».

(٢) في (ج، د، هـ): «من».

(٣) في (ج): «أمين».

(٤) في (ب): «إحدى وأربعين وأربع مئة».

(٥) في (هـ): «القاسم بن الحسين» وهو خطأ.

(٦) في (أ): «لنفسه بالإمامة» وفي (ج، د، هـ): «يدعو إلى نفسه بالإمامة».

(٧) قوله: «زيد» ليس في (ب).

(٨) قوله: «وأنهب» ورد في (الأم، ب): «وانهب» وفي (أ): «أهرب» وفي (ج، هـ) من دون إعجام، والصواب عن (د) وما يقتضيه سياق الخبر.

(٩) الأهراء: جمع الهُرْي، وهو بيتٌ ضخم لطعام السّلطان؛ العين: «هـ ر ي».

الضَّحّاك بن جعفر بن الضَّحّاك فأقام بها مدّة.

ووصل رجلٌ يسمّى: أبا النّجم رسولاً منَ الإمام الحسين بن القاسم في جماعة من أصحابه يطلب النّاس بالزّكاة فلم ينكر عليه الضَّحّاك.

ووصل الإمام الحسين بن القاسم إلى صنعاء آخر سنة اثنتين وأربع مئة، فطلب ناساً من أهل صنعاء بخُمْس عَبِيدهم وخَيْلهم، وجعل أخاهُ جعفراً على صنعاء، فضرب السِّكّة باسم الحسين، ولم يستقم لجعفرٍ بصنعاء أمرٌ وحاربه أهلها وسط المدينة، فأغار عليه أخوه الإمام فهدم دوراً لأهل صنعاء، واسْتَصْفَى[1] أموالهم وعاد وترك أخاه، فكتب أهل صنعاء إلى الشّريف الزَّيديّ يستدعونه، فقدم عليهم سنة ثلاث وأربع مئة، فخرج جعفر من صنعاء. فلمّا قدمها الزَّيديّ أمر بهدم دور جماعة من شيعة الإمام الحسين، واجتمع معه بصنعاء عسكرٌ عظيم.

ولـمّا علم الإمام الحسين بقدوم الزَّيديّ إلى صنعاء جمع عساكره -وكان أكثرهم هَمْدان وحِمْير- وقصده إلى صنعاء فالتقوا عند الجَبوب[2] فاقتتلوا قتالاً شديداً ساعة من نهار، ثمّ انهزم الزَّيديّ طريق الفَجّ[3]، ودخل [٢٤أ] الإمام الحسين بعسكره صنعاء وخرج في أفراس فلحق الزَّيديّ بالحَقْل فقتله، ورجع الإمام إلى رَيْدَة وترك أخاه جعفراً بصنعاء[4].

ولـمّا علم ابن الشّريف الزَّيديّ بقتل أبيه نهض في جمع عظيم من مَذْحِج، فوصل أَلْهان وبها ابن أبي الفتوح، فهُزم ابنُ الزَّيديّ وقُتِل جماعةٌ من عسكره، وأُخذت راياته، فبعث بها ابن أبي الفتوح إلى الإمام، ونزل ابن مروان مستمدًّا بابن زياد صاحب تِهامة فأمدّه بأموالٍ جليلة، فوصل أَلْهان وجاءه ابن الزَّيديّ في عَنْس فكادوا أن يستولوا على ابن

---

(١) في (أ، ب): «واستقفى».

(٢) الجبوب: حصن باليمن؛ قال الزَّبيديّ والمشهور الآن على ألسنة أهلها: ضمّ الأوّل كما سمعتُهُم؛ التّاج: (ج ب ب)

(٣) في (أ): «الفخ» وفي (ج): «الفتح» ونحو في (د، هـ) ولكن من دون إعجام.

(٤) في (ج، هـ): «على صنعاء» وقوله: «بصنعاء» لس في (هـ).

أبي الفتوح فاستمدّ بالإمام فسار إليه في جيوش عظيمة، فلمّا قاربَها(1) الإمام انْفَضَّ مَنْ معهم من عَنْس وغيرهم، وهرب ابنُ الزَّيديّ وابن مروانَ خِفْيَةً، فاستولى الإمام على ما كان لهما وعلى مئتَي فَرَسٍ(2) لعَنْسٍ -وقد كان أهل البَوْن(3) خالفوا عليه عند مسيره إلى ألْهان- فلمّا عاد فعل معهم ما لا يُفْعَل، ولَزِم مشايخهم وصلبهم مُنَكَّسِين، ووهب خيلهم وسلاحهم للشّيعة، وألزم جماعتهم الجِزْيَة وقَبَضَها منهم.

وسار إلى صَعْدَة في عسكرٍ عظيم فخَرَّبَ دَرْبَها وولّاها أخاهُ(4) جعفراً، وعاد الإمام الحسين إلى صنعاء وقد خالف عليه المنصور ابن أبي الفتوح وخالف بخلافه بنو شِهاب وبنو صُرَيم ووادِعَة(5).

ونزل بنو صُرَيْم حَمُدَة(6) فنهبوا دار الإمام(7) وأخرجوا المُحَبَّسين(8) من أهل البَوْن وأرسل ابن أبي الفتوح إلى ابن زياد(9) يستمدُّهُ فأمر له(10) بمالٍ(11)، وخرجتِ الشِّيعة من صنعاء بعد أن نُهبت دورهم، وجمع الإمام عسكره فقاتلوه عند رَيْدَة وهزموه إلى حَمُدَة وقتل من عسكره(12) طائفة وحطّوا عليه بحَمُدَة، فخرج مختفياً طريق بلد الصَّيد، فنهبوا(13) حَمُدة

---

(1) في (أ): «قاربهم الإمام انفض معهم من عنس ...».

(2) في (الأم): «فارس» وهو وهم.

(3) في (ج، د): «صنعاء».

(4) في (الأم، أ، ب، د): «أخوه» وهو خطأ.

(5) في (الأم): «ووداعة»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ؛ وثمّة موضع يسمّى : «وداعة»؛ انظر معجم البلدان: ٥/ ٢٦٥.

(6) حَمُدة، بفتح فضمّ ففتح، كذا بصفة جزيرة العرب: ٨٢، وفي معجم ما استعجم(٢/ ٤٦٨): «حَمْدة: بفتح أوّله وإسكان ثانيه بعده دالٌ مهملة: موضع بالبون من ديار هَمْدان».

(7) في (ج، د، هـ): «الإمارة».

(8) في (ج، د): «المحبوسين» وفي (هـ): «المحبوس».

(9) قوله: «إلى ابن أبي زياد» سقط في (هـ).

(10) في (ج، د، هـ): «فأمده».

(11) في (ج، د): «جزيل» وفي (هـ): «جليل».

(12) من قوله: «فقاتلوه ... من عسكره» سقط في (ج).

(13) في (ج): «فنهضوا».

وأعادَ الناسُ أبا جعفرٍ أحمد بن قيس بن الضَّحّاك على إمارة صنعاء فأقام بها إلى سنة أربع وأربع مئة[1].

وجمع الإمام جمعاً عظيماً، وجمع ابن الضَّحّاك سائر القبائل المخالفة على الإمام وسار بهم إلى ذي بِيْن[2] فانهزم الإمام إلى الجوف، ثمّ عاد إلى بلد الصَّيَد في مئة فارس، فعلمت به هَمْدان فلقيوه عند رَيْدَة وقاتلوه فغَشِيَهم بنفسه مِراراً، وفي كلِّها يخرق صفوفهم فتغاوروا عليه فقتلوه، وكان قتلُهُ في صفر من سنة أربع وأربع مئة.

وفي جَهَلَة الشِّيْعة مَنْ يدّعي أنّه حيٌّ لم يقتل، وأنّه المهديّ الّذي بَشَّر به النَّبيّ ﷺ، وكان على هذا الاعتقاد كثيرٌ منَ الأشراف، ثمّ انقرض أهل [هذا][3] الاعتقاد، وكانوا خَلْقاً كثيراً في مغارب صنعاء.

والأئمّة من أهل البيت وعلماؤهم باليمن مجمعون على أنّ الحسين بن القاسم رحمه الله اختلط عقلُهُ في آخر عمره؛ لأنّه ظهرت منه أشياء من الأقوال والأفعال تخالف الشرع الشّريف، وكان الحسين بن القاسم رحمه الله من أفصح خلق الله وأعلمهم، ولم يبلغ عمره ثلاثين سنة.

ولـمّا قتل الإمام الحسين بن القاسم: سار ابن أبي حاشد [٢٤ب] إلى صنعاء فدخلها وأقام بها إلى ذي الحِجَّة منَ السَّنة المذكورة، ولم يتمَّ له أمر مع هَمْدان، فخرج من صنعاء وتعطَّلت منَ السَّلْطَنة إلى النِّصْف من شوّال سنة خمس وأربع مئة، ووصلها أبو جعفر أحمد بن قيس بن الضَّحّاك، فأقام بها إلى شهر ربيع من سنة ستٍّ وأربع مئة.

وخرج منها وارتفعت أيديْ عمّاله وتعطَّلت[4] أيضًا منَ السَّلْطَنة إلى سنة ثمانٍ وأربع

---

(١) في (ب): «سنة أربع مئة».

(٢) في جميع النّسخ: «ذيبين» متصلة، وفي صفة جزيرة العرب (٨٢): «ذي بِين».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

(٤) في (ج، د): «وبطلت».

مئة، وراجعت هَمْدان أبا جعفر في الرُّجُوع إلى الأمر[١] فأجابهم.

وفي هذه سنة عشر وأربع مئة: نزل باليمن ثَلْجٌ عظيم، وكان ذلك يوم الحادي عشر من شُبَاطٍ بعد أن أصابهم في أيّام الشّتاء بردٌ عظيم جَمَدَ الماء فيه أيّاماً، وفيها ثار زيد بن الشّريف القاسم الزَّيديّ مع قوم من بني شِهاب، فقتلوه[٢] بأَشْيَح فسار إليهم ابن أبي الفتوح وأمدَّه القائد مُرجان صاحب الكَدْراء وعاضَدَهم ابن أبي حاشد.

ثمّ إنّ ابن أبي الفتوح نزل إلى تِهامة فتلقّاه القائد بالكَدْراء في أحسن مَلْقًى، وعاد فأقام ب أَلْهان حتّى أخرج زيد بن القاسم الزَّيديّ من أَشْيَح وسلمّه إلى مولاه القائد، وتحالفت هَمْدان والأَبْناء على بني شِهاب وأمرهم القائد بذلك فحاربوهم مِراراً في بيت بَوْس، ثمّ اصطلحوا.

ووصل الشّريف جعفر بن الإمام القاسم بن عليّ أخو الإمام الحسين بن القاسم من صَعْدَة إلى عِيَان فاستدعته هَمْدان وحِمْير فسار إلى صنعاء فدخلها سنة ثلاث عشرة وأربع مئة وأقام بها إلى المحرَّم، وطلب النّاسَ بالمَسِير معه إلى صَعْدَة، فسار معه طائفةٌ، فلمّا وصل صَعْدَة نَهَبَها[٣] وأحرق دوراً، وقَتَلَ جماعة.

وقد كان ذَعْفان وابن أبي حاشِد تحالفا عليه عند مسيره إلى صَعْدَة ودَخَلا صنعاء، فلمّا رجع إلى عِيَان سألته هَمْدان العودة إلى صنعاء فكره. ووقع الحَلْف بين ذَعْفان وهَمْدان وابن أبي حاشِد فاستدعوا جعفر بن الإمام القاسم فأَدْخَلوُهُ صنعاء، وذلك في صفر من سنة خمس عشرة، فطالب النّاس مطالبةً شديدة وأقام بها مدّةً يحارب ذَعْفان وابن أبي الفتوح، ثمّ اصطلحوا شهرين ونزل ذَعْفان إلى القائد بالكَدْراء فتلقّاه بأحسن مَلْقًى

---

(١) في (ج): «الرجوع إليها» وفي (د، هـ): «الرجوع في الأمر».

(٢) في (ج، د، هـ): «فسجنوه».

(٣) في (الأم): «فنهبها».

وأمدَّهُ بأموالٍ جليلة، وكتب معه إلى المُنْتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد صاحب مَسْوَر، وأمرهم جميعاً[١] بحرب جعفر بن الإمام فاجتمعوا عليه، فخرج إلى بيت شُعَيب فحصرته هَمْدان وحِمْير وأعادوا ابن أبي حاشِد على إمارة صنعاء، فهجم أهل بيت خولان على محطَّة حِمْيَر فقتلوا منهم مئة رجل، وانهزم عسكر المُنْتاب، وذلك في المحرَّم سنة ستّ عشرة وأربع مئة، ثمّ تهادنوا إلى آخر السّنة، وأقام كلٌّ بموضعه.

فلمّا كان سنة ثماني عشرة وأربع مئة ظهر إنسانٌ من ناعط، ولم يُعرَف النّاس باسمه، وذكر أنّه يتسمّى عند ظهور رايته منَ المشرق، وسار إلى مارب وبها عبد المؤمن بن أسعد بن أبي الفتوح، فتلقّاه أحسن التّلقّي، وأقام [١٢٥] عنده، وصَطَّرَ[٢] كتبه إلى النّواحي يقول فيها: (مِنْ عبد الله الإمام المعيد لدين الله، الدّاعي إلى طاعة الله، الدّامغ[٣] لأعداء الله)، وأنفذ الكتاب إلى سوائر[٤] النّواحي.

فبلغ القائد مُرْجان الحبشيّ[٥] صاحب الكَدْراء قيام عبد المؤمن معه فعتب على المنصور بن أسعد وأعاد كتبه مختمةً[٦]، فغضب المنصور وكتب إلى سبأ أن ينهض مع الإمام المعيد وأخيه عبد المؤمن فصاروا إلى مَسْوَر فلقيهم المنصور في جيوش عظيمة، ودخل الإمام صنعاء في شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربع مئة، وخطب له ابن النَّقَوِيّ بالإمامة -وهو يومئذٍ على قضاء صنعاء من جهته، وأنفذ ولايته إلى جميع المَخاليف- وأقام

(١) في (ج): «وأمرهم جعفر» وهو وهم.

(٢) في (أ): «وصدر» وفي (ج): «وصدت». وصَطَّره وسَطَّره بمعنًى، الصّاد لغةٌ في السّين.

(٣) في (ج): «الدافع».

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «سائر».

(٥) في (ج): «الحيسي».

(٦) في (ج، د، هـ): «كتابه بختمه».

أياماً ثمّ سار إلى حَراز[١]، فلقيه عَنْس[٢] وبَكِيل على بركة صاف[٣]، وسار إلى أهل ألْهان وصاحب عسكره[٤] المنصور ابن أبي الفتوح فأقام بها سبعة[٥] أيّام، ثمّ سار إلى ذَمار، فلمّا صار بحَراز أمر برَجْمِ إنسانٍ زنى هنالك ودخل صاحب كُحْلان في طاعته وذلك في سنة تسع عشرة.

وأمر الإمام المعيد ببناء حصن هِرّان، ثمّ طلبه[٦] صاحب حصن كُحْلان هو[٧] والمنصور بسبب المسير إلى مِخْلاف جعفر فسارا معه إلى إبّ، فأجمع عليهم أهل المِخْلاف إلّا ابن مكرمان صاحب التَّعْكَر فإنّه استدعى عسكر القائد إليه فأقاموا مُتَراكزين[٨] إلى سنة عشرين وعاد كلُّ واحدٍ إلى موضعه.

ثمّ إنّ ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشِد رَجَعا إلى طاعة القائد مُرْجان، فخرج الإمام المعيد إلى هِرّان لمكاتبة عَنْس له فتَعامل عليه[٩] قومٌ منهم فقتلوه في ذي الحِجَّة من سنة إحدى وعشرين وأربع مئة.

وفي هذه السّنة: اشتدّ القَحْط باليمن ومات كثيرٌ مِنَ النّاس، وخَلَتْ بلادٌ كثيرة من أهلها، وفيها كانتِ الفتنة بين الشّيعة والسّنيّة[١٠]؛ والقَحْطُ على حاله إلى سنة اثنتين

---

(١) في (أ): «خدار».

(٢) في (الأم): «عبس»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٣) في (أ، ج): «ضاف» وهو كذلك بصفة جزيرة العرب: ١١١، وفي معجم البلدان (٣/٣٨٩): «صاف: ...، بتِهامة جبل يقال له: صاف، ورواه بعضهم بالضّاد المعجمة».

(٤) في (ج، د): «وصاحب عسكر».

(٥) في بقيّة النّسخ: «ستّة».

(٦) في (ج، د، هـ): «طلب».

(٧) في (ج): «... حضر هو ...».

(٨) في (ج): «فأقاموا عنده إلى».

(٩) تعاملوا عليه، ههنا: اتّفقوا عليه وتواطؤوا.

(١٠) في (ج، د): «أهل السنة» وفي (هـ): «السنة».

وعشرين وأربع مئة وصنعاء خالية منَ السَّلْطَنَة، إلّا [أنّ][(١)] لبني مروان فيها بعضَ الأمر، وولاية ألْهان ومُقْرَى إليهم من تحت يدِ[(٢)] القائد ولصاحب مَسْوَر حسين بن المُنْتاب بعض منازعة.

وفي شهر رجب من سنة ستٍّ وعشرين وأربع مئة: ظهر الإمام أبو هاشم[(٣)] الحسن بن عبد الرّحمن إماماً وتسمَّى بالنَّفْس الزَّكيّة، ومعه ولدُهُ حمزة بن أبي هاشم -وهو الّذي ينتسب إليه الأشراف الحَمْزيّون- فقصد صنعاء فهرب منه ابن أبي حاشد، ووصله المنصور ابن أبي الفتوح فبايعَهُ[(٤)] ورجع إلى بلده، واستقوَتْ[(٥)] الشّيعة على السّنيّة[(٦)]، وعزل القاضي وكان سُنّيًّا، فأقام[(٧)] أمر الإمام أبي هاشم إلى سنة تسعٍ وعشرين وأربع مئة، ثمّ خالفت عليه هَمْدان فدخل ابن أبي حاشد صنعاء، ثمّ خرج منها وتعطّلت من السّلطنة إلى سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة.

واستدعت هَمْدان جعفر بن الإمام القاسم بن عليّ فدخل صنعاء في شهر ربيع منَ السَّنة المذكورة، فافترقت عليه هَمْدان وعلى ابن أبي حاشد، وكان الأكْثر مع عليّ بن أبي حاشد فخرج جعفر من صنعاء على غَلَبٍ وانهزم[(٨)].

وسار ابن أبي الفتوح إلى مِخْلاف جعفر للقاء ابن [٢٥ب] الكِرَنْديّ[(٩)]، وعبد الله بن

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) قوله: «يد» ليس في (ج، د، هـ).

(٣) في (الأمّ، ب): «أبو القاسم» وهو خطأ، وصوابه عن (أ، ج، د، هـ) وسياق الخبر.

(٤) في (ج): «فتابعه» وهو خطأ.

(٥) في (الأمّ، أ، ب): «واستقووا».

(٦) في (ج، د، هـ): «السنة».

(٧) في (أ): «فأبرم».

(٨) في (أ، ج، د، هـ): «وانهزم منها».

(٩) في (أ، د): «الكريدي» مصحّفاً، وإنّما هو الكِرَنْديّ ضبطه الجنديّ ضبط عبارة بالسلوك: ٢/٤١٥، وهو كذلك في المستبصر: ٧٢ .

يُعْفِر فأقام معهما إلى أوّل شهر ربيعٍ الآخر، ثمّ عاد فقوي به أمر ابن أبي حاشد، ثمّ فسدتِ الحال بينهما جميعاً، فهرب ابن أبي حاشد من صنعاء وجمع جموعاً. وجاءه ابن سلمة الشِّهابيّ فقصدوا ابن أبي الفتوح إلى السَّرْو فتَراكَزوا فيه[١]، وقتل ابن عمٍّ [لابن][٢] أبي الفتوح واستدعت هَمْدان جعفر بن الإمام القاسم إلى صنعاء بأمر ابن أبي حاشد، فكان ابن أبي الفتوح بِعَلَب[٣] وابن أبي حاشد ببيت بَوْس، فأقاموا[٤] كذلك مدّة وجعفر بن الإمام القاسم بصنعاء تارةً يجبي الأموالَ وتارةً يضعفُ عن ذلك.

ثمّ إنّ ابن أبي حاشد كَرِهَ مقام جعفر بصنعاء[٥] فعامل[٦] مَنْ أخرجه عنها، فصار إلى ابن أبي الفتوح واستدعى ابن أبي حاشد الإمام أبا هاشم، فدخل صنعاء ثاني خروج جعفر عنها فأقام الإمام بها ثمانية أيّام، وولّى على البلاد والياً، وخرج إلى رَيْدَة واطّرح ابن أبي حاشد على ابن أبي الفتوح بمنزله[٧] في نُعُض على محاربته [له][٨] مع ابن سلمة فقتله وعادتِ الفتنة بين أبي الفتوح وبين سلمة[٩]، وقد مالأهم بنو الحارث وغيرهم على حربه، ولم تزل صنعاء خاليةً عنِ السّلطان إلى شوّال سنة تسعٍ وثلاثين وأربع مئة.

ووصل الإمام أبو الفتح ناصر الدَّيلميّ[١٠] مُدَّعياً الإمامة وصار في البَون مع هَمْدان

---

(١) في (أ، ج، د، هـ): «السر ...» وفي (ب): «السدر ...» وتراكزوا: من قولهم ركز الشّيء رَكْزاً. إذا غَرَزه؛ ومركز الجند: الموضع الذي أُمروا أن يلزموه، وأمروا ألا يبرحوه؛ اللّسان: (ر ك ز).

(٢) في (الأمّ، ب): «ابن عم لأبي الفتوح».

(٣) عَلَب، كذا ضُبِط بـ(الأمّ)، ولم أقف له على ذكر في المصادر الموثوقة.

(٤) في (ج): «فأقاما».

(٥) قوله: «تارة يجبي ... جعفر بصنعاء» سقط في (ج).

(٦) في (أ، ج، د، هـ): «فعامل عليه».

(٧) قوله: «بمنزله» ليس في (ج، د).

(٨) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ) وفي (د): «ابن أبي سلمة».

(٩) في (أ): «وبني سلمة».

(١٠) في (أ): «أبو الفتح بن الناصر الديلمي» و(ج، د): «أبو الفتح بن ناصر الديلمي» وفي (هـ): «أبو الفتح جعفر بن ناصر الديلمي».

وجمع العساكر لصَعْدَة ونَهَبَها وخرَّب بها دوراً، وقَتَل من خولان بمَجْز(١) مقتلةً عظيمة، ورجع في القِعْدة فدخل صنعاء -وكان قد دخلها قبله ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد فنصرَ الشِّيعة على السّنيّة(٢)- ولمّا دخل الإمام أبو الفتح صنعاء قبض الزّكوات والأخماس، وتمّ له الأمر وأقام بذِيْبِيْن(٣) إلى صفر من سنة ثمانٍ وثلاثين وأربع مئة.

ووصل ابن أبي الفتوح فبنى له في عَلَب قصراً بالجُصّ والآجُرّ، وكتب له ابن أبي الفتوح إلى عَنس فأقبل من رؤسائهم مئة فارس فدخلوا في طاعة الإمام وبايعوه، واستدعى(٤) له أيضًا الأمير جعفر بن القاسم فجعله أمير الأمراء وصرف له ربع(٥) ما تحصّل للإمام، ثمّ فسد الأمر بينهما ولم يتمّ.

وتَمالأَ جعفر بن الإمام وابن أبي حاشد على حرب الإمام أبي الفتح(٦) وخرجا من صنعاء، فأمر الإمام بخَراب دور بني الحارث ودور بني مَرْوان، فغضب ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد لذلك ودخلا صنعاء ورفعا أيديْ وُلاةِ الإمام وطردا الشِّيعة منَ الجامع ومَكّنا منه أهل السُّنّة، وقطعا اسم الإمام من الخطبة، فخرج هارباً من عَلَب إلى الجوف(٧)، ثم رجع إلى بلد عَنْس، ووصلها(٨) جعفر بن الإمام وأقاموا في صنعاء مدّة.

وتوفّي السّلطان يحيى بن أبي حاشد أوّل سنة أربعين وأربع مئة، فأُغْلِقَت أبواب صنعاء ولم يتبايع النّاس بها ثلاثة أيّام، ووصل المنصور ابن أبي الفتوح في مئة فارس معزّياً

(١) مَجْز، بفتح أوّله وسكون الجيم ثانيه آخره زاي: اسم بلدة شماليّ صَعْدَة؛ انظر المعجم اليمني: ٢/٩٦٤.

(٢) في (ج، د، هـ): «السنة».

(٣) في (الأمّ، ب): «بدمين»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ ما عدا (ج) ففيها: «وأقام إلى ذي بين».

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «واستدنى».

(٥) قوله: «ربع» ليس في (ج).

(٦) في (ج، د): «أبي جعفر» وهو خطأ.

(٧) قوله: «إلى الجوف» ليس في (أ).

(٨) في (ج، د، هـ): «ووصلها».

فيه [٢٦أ] إلى هَمْدان فأقام النّاس ابنَهُ أبا حاشدٍ وحلفت له هَمْدان.

وفي ليلة الإثنين الثّالث من جُمادَى الآخرة سنة تسع وثلاثين وأربع مئة -وهي ليلة قِران المُشْتري- ظهر عليّ بن محمّد الصُّليحيّ باليمن واستولى عليه في أقرب مدّة، وقد أفردنا للدّولة(١) الصُّليحيّة فصلاً [نذكر فيه إن شاء الله تعالى ما لا بُدَّ مِن ذِكْره من أخبار الصُّليحيّين](٢) باليمن على حسب ما يقتضيه وضعُ كتابنا، وهو الفصل التّالي بعد هذا إن شاء الله تعالى، وبالله التّوفيق.

---

(١) في (الأم، ب): «الدولة الصُّليحيّة».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب)، ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

الفصل الثّامن
في ذِكْر[1] الدّولة الصُّليحيّة وما يتعلّق بذِكْرها إن شاء الله تعالى

قال عليُّ بن الحسن[2] الخَزْرَجيّ تولّاه الله بحُسْن وِلايته: أجمع علماء التّواريخ[3] ورُواة الأخبار من أهل اليمن أنّ القاضي محمّد بن عليّ الصُّليحيّ والد الأمير عليّ بن محمّد الصُّليحيّ كان فقيهاً عالماً سُنّيَّ المذهب، وكان قاضياً في بلده، حَسَنَ السِّيرة، مرضيَّ الطَّريقة، وكان أهلُهُ وجماعته يطيعونه ولا يخرجون عن أمره، وكان الدّاعي عامر بن عبد الله الزَّواحيّ يلوذ به ويركب إليه كثيراً لرياسته وسُؤددِهِ وصلاحه وعلمه، فرأى يوماً ولدَهُ عليًا فلاحت له فيه مخايلَ النَّجابة -وكان يومئذٍ دون البلوغ- فكان الدّاعي عامر بن عبد الله الزَّواحيّ كلَّما وصل إلى القاضي يتحدَّثُ مع ولده عليٍّ المذكور ويخلو به، ويطلعه على ما عنده حتّى استماله وغَرَسَ في قلبه ولُبِّهِ ما غرس من علومِهِ وأدبه ومحبَّةِ مذهبه.

وقيل: كانت عند الدّاعي عامر بن عبد الله الزَّواحيّ حِليَة[4] الصُّليحيّ في (كتاب الصُّوَر) وهو من الذّخائر القديمة، فأوقَفَهُ منه على ما يكون[5] من حاله وشرف مآله، وأطلعَهُ على ما أطلعه عليه سرًّا من أبيه القاضي محمّد وأهله جميعاً، ثمّ مات الدّاعي عامر بن عبد الله الزَّواحيّ فأوصى بجميع كتبه له وأعطاه مالاً جزيلاً، قد كان جمعه من أهل مذهبه، وقد رَسَخَ في ذِهْن الصُّليحيّ ما رَسَخَ، فعكف على الدَّرْس وكان ذكيًّا، فلم

---

(١) في (أ، د، هـ): «في ذكر ظهور».

(٢) في (الأم): «الحسين»، وهو خطأ.

(٣) في (ج، د، هـ): «التاريخ».

(٤) الحِلْية: تَحلِيَتُك وجه الرّجل إذا وصفته.

(٥) في (أ): «على ما ينقل من ...» وفي (ج، د، هـ): «على تنقل حاله».

يبلغ الحُلُم حتّى تضلّع في معارفه الّتي بَلَغَ بها -وبالجدّ السّعيد[1]- غايةَ الأمل البعيد، وكان فقيهاً في مذهب الإماميّة[2] مُتَبَصِّراً في علم التّأويل، ثمّ إنّه صار يحجُّ بالنّاس دليلاً على طريق السَّراة، ولم يزل كذلك نحواً من خمس عشرة سنة، وكان النّاس يقولون له: بلغنا أنّك ستَمْلِك اليمنَ بأسره ويكون لك شأن، فيكره ذلك وينكره على من يقولُهُ، مع كونه قد شاع وكَثُر في أفْواه الخاصّة والعامّة.

فلمّا كان في سنة تسع وعشرين وأربع مئة: ثار في رأس جبل مَسار[3] -وهو أعلى جبل في تلك النّاحية- وكان معه ستّون رجلاً قد حالفهم في مكّة[4] سنة ثمانٍ وعشرين وأربع مئة على الموت أو الظَّفَر بقيام الدَّعوة، وما منهم إلّا مَنْ هو في عِزٍّ ومَنْعة من قومه، ولم يكن في رأس الجبل المذكور بناءٌ -بل كان قُلَّةً عالية منيعة- فلمّا ملكها لم ينتصف ذلك النّهار الّذي ملكها في ليلته إلّا وقد أحاط به [٢٦ب] عشرون ألف سيّاف، فحصروه وشتموه وسفَّهوا رأيَهُ، وقالوا له: إن نزلت وإلّا قتلناك أنتَ ومَنْ معك؟ فقال لهم: أنا ما فعلت هذا إلّا خوفاً عليكم أن يَمْلِك هذا الجبلَ غيرُنا، فإن تركتمونا نحرسُهُ لكم وإلّا نزلنا، فانصرفوا عنه وتفرّقوا، فلم يمضِ عليه شهرٌ إلّا وقد بناهُ وحصَّنَهُ ودَرَّبَهُ وأتْقنَهُ، ولم يزل شأنُهُ يظهر شيئاً فشيئاً حتّى استفحل أمرُهُ ووصلته الشِّيعة من أنحاء اليمن وجمعوا له أموالاً جليلة، وأظهر الدّعاء إلى المستنصر[5] بالله مَعَدّ[6] بن الظّاهر العُبَيديّ.

---

(١) في (ج، د، هـ): «وبالجد السعيد تدرك ...».

(٢) في (ب): «مذهب الأخاصة».

(٣) مسار، بالسّين المهملة؛ وهو «مشار» في معجم البلدان (١٣١/٥) وصفة جزيرة العرب (٦٨)، وعلّق مولللر في فهارس صفة جزيرة العرب (١٠٤/٢): «والصّحيح: مسار».

(٤) قوله: «في مكة» طمس في (الأم)، وفي (ب): «في ملكه» وما أثبت عن (أ). وقوله: «في مكة ... وأربع مئة» سقط في (ج، د، هـ).

(٥) في جميع النّسخ: «المنتصر»، وإنّما هو المستنصر وهو صاحب مصر، وسيأتي ذكره؛ وانظر الأعلام: ٢٦٦/٧.

(٦) في (ج، د): «سعد بن الظاهر».

فلمّا ظهر بمَسار وكان معه فيه قوم من سَنْحان ويام وجُشَم وهِبَرَة[1]، حَصَرَهُ جعفر بن الإمام القاسم بن عليّ العِيَانيّ المذكور أوّلاً في جمعٍ كثير، ورجلٌ يُسمَّى جعفر بن العبّاس شافعيُّ المذهب كان رجلاً مُجاباً في مغارب اليمن الأعلى، فسار مع جعفر بن القاسم في ثلاثين [ألفاً][2] فأوقع الصُّليحيّ بجعفر بن العبّاس في محطتّهِ في شعبان منَ السّنة المذكورة، فقتلَهُ وقتل من أصحابه جمعاً كثيراً فتفرّق النّاس عنه.

ثمّ طلع جبل حَضُور فاستفتحَهُ وأخذ حصن يَناع، فجمع له ابن أبي حاشد جمعاً، فالتقوا بصوف -وهي قرية بين حَضُور وبين بني شِهاب- فقُتل ابن أبي حاشِد [وقتل معه][3] ألفُ رجلٍ من أصحابه؛ وبهذه الوقعة يُضرب المثلُ في اليمن، فيقال: قَتْلَة صوف.

ثمّ سار الصُّليحيّ إلى صنعاء فملكها فطوى اليمن طيًّا سهلَهُ ووَعْرَهُ وبَرَّهُ وبَحْرَهُ، وهذا شيءٌ لم يُعْهَد مثلُهُ في جاهليّة ولا إسلام، حتّى قال الصُّليحيّ يوماً، وهو يَخْطُب على مِنْبَر الجَنَد: وفي مثل هذا اليوم نَخْطُبُ على مِنْبَر عَدَن إن شاء الله، ولم يكن مَلَكَها حينئذٍ، فقال بعض من حضر – مستهزئاً: سُبُّوحٌ قُدُّوس[4]-، فأمر الصُّليحيّ بالحَوْطَة عليه، فلمّا كانتِ الجمعة الثّانية خطب الصُّليحيّ على مِنْبَر عَدَن فقال ذلك الرّجل: سُبُّوحان قُدُّوسان، وتَغالى في القول ودخل في مذهبهم[5].

وفي سنة إحدى وأربعين وأربع مئة: هبّت ريحٌ شديدة بشِبام حِمْيَر فاقتلعت شجر البَرْقوق بأصوله، وحملتِ الكلاب، فكانتِ الكلابُ تَنْبح في الهواء، وهدمت داراً ومسجداً وجِداراً.

---

(١) في (ج، د): «وغيره»، وهو تحريف؛ انظر صفة جزيرة العرب: ١٠١

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ) وفي (أ): «وجمع معه» وهو خطأ.

(٤) سُبُّوح قُدُّوس: من صفة الله عزّ وجلّ؛ لأنه يُسَبَّحُ ويُقَدَّسُ. ويقال: سَبُّوحٌ قَدُّوسٌ. قال اللّحيانيّ: المُجْمَع عليه فيهما الضّمّ، قال: فإن فتحتَهُ فجائز؛ المحكم: (س ب ح).

(٥) بقيّة النّسخ: «في المذهب».

وكان الصُّليحيّ يدعو للمستنصر[1] صاحب مصر ويخاف نَجاحاً صاحب زَبِيد، ويستكينُ لأمرِهِ في الظّاهر وهو في الباطن يُعملُ الحِيْلة في قتله حتّى قتلَهُ بالسُّمِّ على يدِ جاريةٍ أهداها إليه كانت بارعة الجمال. وكانت وفاة نجاح في سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة في مدينة الكَدْراء.

وفي سنة ثلاث وخمسين: كتب الصُّليحيّ إلى المستنصر بالله صاحب مصر يستأذنُهُ في إظهار الدّعوة، ووجّه إليه بهديّةٍ جليلة منها: سبعون سيفاً قوائمها منَ عقيق، وبعث مع التَّقْدِمة برجلين[2] من قومِهِ: [١٢٧أ] أحمد بن محمّد والد السَّيِّدة الصُّليحيّة -الآتي ذكرُها إن شاء الله تعالى- وهو الّذي انهدم عليه الدّار بعَدَن، والثّاني أحمد بن المُظَفَّر والد السّلطان سبأ بن أحمد، فلمّا وصلت هديّته إلى الإمام المستنصر بالله قبلها وأمر له برايات، وكتب له الألقاب وعَقَدَ له الوِلاية، وأَذِنَ له في نشر الدّعوة هنالك.

فلمّا وصل له الإذن في ذلك -وقد توفّي نجاح في التّاريخ المذكور آنفاً- سار الصُّليحيّ إلى التّهائم وافتتحها، ولم تخرج سنةُ خمس وخمسين إلّا وقد استولى على كافّة قطر اليمن من مكّة إلى حضرموت سهلِهِ وجبلِهِ، وتمنّعت عليه صَعْدَة بعض التَّمَنُّع بأولاد النّاصر. ثمّ إنّه قتل القائم فيهم وملكها، واستقرَّ مُلْكُهُ في صنعاء وأخذ معه ملوك اليمن الّذين أزال ملكهم وأسكنهم معه، واختَطَّ في صنعاء عدّة قصور، وحلف ألّا يولّي في تِهامة إلّا من حمل له مئةَ ألف دينار، ثمّ ندم على يمينه، وأراد أن يولّيها صهرَهُ أسعد بن شهاب، صِنْوَ أسماء بنت شهاب والدةِ المكَرَّم، فحملت أسماء عن أخيها أسعد[3] بن شهاب مئة ألف دينار، وطلبت له وِلاية التّهائم؛ فقال لها الصُّليحيّ: يا مولاتنا ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾[آل عمران: ٣٧]؟ قالت:

---

(١) في (أ): «للمنتصر»، وهو خطأ.

(٢) في (أ): «وبعث مع ذلك برجلين» وفي (ب): «وبعث في ذلك رجلين» وفي (ج، د، هـ): «وبعث بذلك رجلين».

(٣) في (الأم، أ، ب): «أحمد» وهو وهم.

﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٣٧]. فتبسَّمَ الصُّليحيّ، وعلم أنّه مِنْ ماله وخزانته، فقبضه وقال: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾[يوسف:٦٥]، فقالت له أسماء: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾[يوسف:٦٥]، فولّاهُ التّهائم.

فدخل أسعد بن شهاب زَبِيْد في سنة ستٍّ وخمسين وأربع مئة، فأحسن سيرته في الرَّعيّة، وفسح لأهل السُّنّة في إظهار مذهبهم، فكان يَحْمِل إلى الصُّليحيّ في كلِّ سنة -بعد أرزاق الجُند الّذين بها وغير ذلك من الأسباب اللّازمة- ألف ألف دينار، وعَاملَ الحَبَشَةَ ومن يُتَّهَم بالدّولة بالصَّفْح والإحسان، وربّما يظفر ببعض من يخشى منه، فيحسن إليه حتّى زرع له ذلك في قلوب النّاس محبَّةً شديدة، وأقام الصُّليحيّ بصنعاء إلى آخر سنة تسعٍ وخمسين وأربع مئة.

وفي هذه السّنة: عَزَمَ الصُّليحيّ على الحَجّ فتوجّه إلى مكّة المشرّفة حرسها الله تعالى بالإيمان، واستخلف ابنَهُ المُكَرَّم على المُلْك، وأخذ زوجته أسماء بنت شهاب، -وكانت من أعيان النِّساء وحَرائرهنّ- بحيثُ تُقصَد وتُمْدح؛ ويُمْدَح بها زوجُها وابنُها.

وكان الصُّليحيّ لـمّا تحقّقَ كمالَهَا وَكَّلَ إليها التَّدبير، ولم يكن يُخالفها في غالب أمرها، وكان يُجِلُّها إجْلالاً عظيماً، وكانت إذا حضرت مجلساً لا تسترُ وجهها من الحاضرين، وكان فيها منَ الكَرَم والحَزْم والتَّدبير ما لم يكن في أحد من نساء زمانها؛ وفيها يقول الشّاعر [٢٧ب]: (من الخفيف)

قُلْتُ إذْ أَعْظَمُوا لِبِلْقِيسَ عَرْشاً ... دَسْتُ أَسْماءَ مِنْ ذُرَى النَّجْمِ أَسْمى[1]

وكان عليّ بن محمّد الصُّليحيّ من أعيان اليمن وسادات الزَّمن، وأذكياء الملوك ودُهاتهم، وكان شاعراً فَصِيحاً كاملاً، ولـمّا قهر ملوك اليمن ألزمهم ألّا يُفارقوا ركابَهُ حيثُ كان؛ بعد أن توثّق منهم بالرّهائن والأَيْمان المُغَلَّظَة.

(١) الدَّسْت: الدّيوان، ومجلس الوزارة، والرئاسة؛ وهو استعمالٌ متأخر؛ التاج: (د س ت).

فلمّا أراد التَّقدُّم إلى مكّة -كما ذكرنا- ألزمهم أن يسافروا معه، فسار في خمسين مَلِكاً من ملوك اليمن وفي مئةٍ وستّين -أو مئة وسبعين- من آل الصُّليحيّ خوفاً أن ينافقوا به، أو يُغِيروا على ولده المُكرَّم، وسار في أَلْفَي فارس منَ العسكر، ومَنْ ذكرنا منَ الملوك، وبين يديه خمسُ مئة فرسٍ، مجنوبٌ عليها مراكب الفضّة، وخمس مئة هَجِينٍ عليها أكْوَاز الفضّة والرُّكُب الفضّة[1]، ومعه خمسون دَواةً من ذهب[2]، وغير ذلك منَ الزِّينة والآلات ممّا لا يدخل تحت الحَصْر، حتّى نزل في ظاهر المَهْجَم في ضَيْعة تُعْرَف بأُمِّ الدُّهَيْم [و][3] بئر أُمِّ مَعْبَد، وخَيَّمَت عساكرُهُ حوله.

فلما كان في الثّاني عشر من[4] ذي القِعْدة: لم يشعرِ النّاس انْتِصاف النّهار حتّى قيل لهم: قُتل الصُّليحيّ، فانْذَعروا[5]، وسُقِطَ في أيديهم.

قال الشّريف إدريس، رحمة الله عليه: وكان سببُ قَتْله أنّه لمّا استولى على زَبِيْد وملكها بعد أن قَتَلَ نَجاحاً بالسُّمِّ على يدِ الجارية -كما ذكرنا- تفرَّق أولاد نَجاح وهربوا إلى أرض الحبشة، وشاع على أَلْسِنة المُنَجِّمين وأهل المَلاحم: أنّ سعيداً الأَحْول بن نَجاح يقتل عليّ بن محمّد الصُّليحيّ فبلغ ذلك الصُّليحيّ فاستشعره، وصُوِّرت له صورةُ سعيد بن نَجاح على جميع حالاته.

وتَرَقَّتْ[6] هِمَّةُ سعيدٍ الأَحْول إلى ذلك وتَهَيَّأ لأسبابه، وكانت أخبار الصُّليحيّ عنده في كلِّ وقت وحين. فلمّا بلغه عَزْمُ الصُّليحيّ على الحجّ خرج منَ البحر معارضاً له في خمسة

---

(١) في (د، هـ): «عليها ألوان الفضة». وقوله: «وخمس مئة ... والركب الفضة» ليس في (ج). والرُّكُب: جمع الرِّكاب، وهو من ملحقات السَّرْج؛ يجعل الرّاكب رجله فيه عند اعتلائه السَّرج؛ نور المعارف: ١/ ٢٩٠.

(٢) في (ج، د): «من ذهب وفضة» وفي (هـ): «من ذهب ومن فضة».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين ليس في (الأمّ، ب) ورُمِّم عن بقيّة النّسخ.

(٤) في (أ، ب): «الثاني من ...».

(٥) في (ج، د، هـ): «فاندفعوا».

(٦) في (ج، د، هـ): «وترقب».

آلاف حربة من الحبشة قدِ انْتقاهم حين خرجوا من ساحل المَهْجَم، فساروا حتّى هَجَمُوا على المحطّة انْتِصافَ النّهار، والنّاس متفرّقون في خيامهم غير مستعدّين لشرّ ولا خائفين له.

فقصد سعيدٌ الأَحْول في أهل بيته خيمة الصُّليحيّ فدخلوا عليه، وهو عند دوابّ النّوبَة يريد الرّكوب فقتلوه وقتلوا أخاه عبد الله بن محمّد هنالك، وافترق باقي الجيش في المحطّة، فقتلوا مَنْ قدروا عليه، واستولى سعيدٌ الأَحْول على خزائن الصُّليحيّ وأمواله، وقد كان استصحب معه أموالاً جليلة، قيل: كان قصده دخول مصر إلى أهل دعوته من العُبَيديّين. وقتَلَ سعيدٌ الأَحْول من وَجَدَهُ من آل الصُّليحيّ رمياً بالحِراب، وأخذ أسماء بنت شهاب فأركبها هَوْدَجها، وجعل رأس [١٢٨] الصُّليحيّ وأخيه أمام هودجها ورجع إلى زَبِيْد[١].

وروى عُمارة اليمنيّ في (مفيده) صفة قتله روايةً غيرَ هذه سأذكرها في أخبار آل نجاح في الباب الثّاني بعد هذا، إن شاء الله تعالى.

ولـمّا دخل سعيد بن نجاح زَبِيْد بعد قتل الصُّليحيّ أنزل زوجتَهُ أسماءَ في دار شُخار[٢]، وجعل الرّأسين أمام طاقتها، فأقامت في الأَسْر سنةً كاملة، لم يمكنها الكَتْب[٣] إلى ابنها المُكَرَّم بشيءٍ حتّى تلطّفَتْ إلى رجلٍ مشرقيٍّ، فرمَتْ إليه برغيفٍ وفيه كتابٌ لطيفٌ إلى ابنها المُكَرَّم تخبِرُهُ فيه: أنّها قد صارت حاملاً منَ العبد الأحول -ولم يكن الأمر كذلك ولا رآها الأحول قَطُّ، وإنّما أرادت تستثير[٤] حفائظ العرب جميعاً- فلمّا وصل الكتاب إلى المُكَرَّم جمع رؤساء القبائل وقرأ عليهم الكتاب، فأخذتهم الحَمِيَّة[٥]، وثارت حفائظهم، وساروا في ثلاثة آلاف

---

(١) قوله: «ورجع إلى زبيد» ليس في (أ).

(٢) قوله: «شخار» غير معجمة في (أ، ج، هـ)، وإنّما هو بشين معجمة مضمومة، ثمّ خاء معجمة بعدها ألف، آخره راء مهملة؛ انظر المستبصر: ٧٨.

(٣) قوله: «الكتب» لم تكتب في متن (الأمّ)، وفي الهامش: «لعله: الكتب». وفي (أ): «الكتاب» وفي (ج، د): «الوصول» وفي (هـ): «يمكنها إلى ابنها».

(٤) في (أ، ب، ج، د، هـ): «أن تستثير».

(٥) قوله: «فأخذتهم الحمية» ليس في (ب).

فارسٍ غير الرَّجْل، فخطبهم المُكَرَّم، وعرَّفَهم أنهم سيقدمون على الموت، فمن أراد أن يرجع فليرجِع الآن، وتمثَّل بقول أبي الطَّيِّب المتنبِّي[١]: (من الطّويل)

وَأُورِدُ نَفْسِي، والمُهَنَّدُ في يَدِيْ، مَوارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَنْ لا يُجالِدُ

فقيل رجع بعضهم -وقيل: لم يرجع أحدٌ- وساروا حتّى وَطِئوا تِهامة من شرقيِّ زَبِيْد - قصدوا قرية التُّرَيْبَة - فنزل المُكَرَّم ودخل مسجدها المعروف، وبه بعض الجماعة [و]رجلٌ من أهل القرية قد صلَّى الصُّبح ووقف يتلو، وقد صار في سورة البروج -أو الطّارق- فوقف المُكَرَّم عنده حتّى خَتَمَ ودعا، وأمّن المُكَرَّم ومن معه على الدّعاء، وخرجوا منَ المسجدِ فركبوا خيولهم وقصدوا باب الشَّبارِق -وهو الباب الشّرقيّ من زَبِيْد- وخرج سعيدٌ الأحول من زَبِيْد في جموعه، وصفَّ رجاله وعبَّأهم وكانوا عشرين ألف حربة، وكانت ميمنة العرب لأسعد بن شهاب والميسرة لعَمِّهِ، وقال لهما المُكَرَّم: إنكما لستما كأحدٍ من أهل هذا الجيش؛ لأنكما موتوران، فإنّ مولاتنا أخت أحدكما وابنة أخي الآخر، وكان المُكَرَّم في القَلْب وكان شجاعاً مِقْداماً في الحرب، فلمّا التقوا قاتلتِ الحبشة قتالاً شديداً ساعةً من نهار، فانطوى عليها الجناحانِ فانكسرتِ الحبشة كسرةً شنيعة، فجالت عليهم الخيل جولةً واحدةً فانطحنوا طَحْنَ الرَّحَى، وأتى القتلُ على أكثرهم.

وكان سعيدٌ الأحول قد أعدَّ خيلاً مُضْمَرةً على الباب الغربيِّ المُسمَّى بباب النَّخْل من زَبِيْد، فلمّا انهزم ركبها فيمن سلم من أصحابه وخواصّه وأهل بيته، وسار عليها إلى البحر، وقد أُعِدَّت سُفنٌ له هنالك فركبها من فَوْره، وسار نحو دَهْلَك ودخل العرب زَبِيْد [قهراً بالسَّيف][٢]، فكان أوّل فارس وقف تحت طاقة أسماء ولدُها المُكَرَّم بن عليّ، فسلَّم عليها فلم تعرفه، فقالت له: من أنتَ؟ قال: أنا أحمد [٢٨ب] بن عليّ. فقالت: إنّ أحمد بن عليّ في العرب

(١) شرح ديوانه: ٣/ ٢٠٤.

(٢) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (ج، د) وفي (هـ): «قهراً» فحسب.

كثيرٌ. فرفع المِغْفَر عن وجهه فعرفته، فقالت: مرحباً بمولانا المُكَرَّم. فضربته ريحٌ حينئذٍ، ارتعشَ واخْتَلَجَتْ عينُهُ(١) ووجهُهُ، فعاش بعد ذلك بقيَّةَ عمره وهو على هذه الحالة.

وأقبل رؤساء القبائل يسلِّمون عليها وهي بارزة بوجهها لهم، وكذلك كانت عادتها بأيّام الصُّليحيّ، ثمّ أمر المُكَرَّم بإنزال الرّأسين، وبنى عليهما مشهداً.

ويروى: أنّ أسماء قالت للمُكَرَّم حين أسفر عن وجهه: من كان مجيئُهُ كمجيئك، فما أخطأ ولا أبطأ. وولّى المُكَرَّم خاله أسعدَ بن شهاب زَبِيْد والأعمال التِّهاميّة، ورجع بوالدته إلى صنعاء.

قال عُمارة(٢): وأدركت أهلَ زَبِيْد إذا شتم أحدهم صاحبه، وقيل له: أتَشْتُمَ الرَّجُلَ؟ فيقول: الرَّجلُ، واللهِ، مَنْ فَكَّ أُمَّهُ مِنَ الأَسْر وقَتَلَ دونها(٣) عشرين ألفاً.

وكان عليّ بن محمّد الصُّليحيّ شاعراً فصيحاً، ومن شعره قوله: (من الكامل)

أَنْكَحْتَ بِيْضَ الهِنْدِ سُمْرَ رِماحِهِمْ ... فَرُؤُوسُهُمْ عِوَضُ النِّثَارِ نُثَارُ(٤)
وكذا العُلَى لا يُسْتَباحُ نِكاحُها ... إلَّا بِحَيْثُ تُطَلَّقُ الأَعْمارُ

ومن شعره أيضاً: (من الكامل)

وأَلَذُّ مِنْ قَرْعِ المَثاني عِنْدَنا ... في الحَرْبِ: أَلْجِمْ، يا فُلانُ، وأَسْرِجِ(٥)
خَيْلٌ بِأَقْصَى حَضْرَموتَ أَشَدُّها ... وزَئِيْرُها بَيْنَ العِراقِ ومَنْبِجِ(٦)

---

(١) في (ج، د، هـ): «واختلجت بشرة».
(٢) المفيد (عمود: ٧٣، والأكوع: ١١٧)
(٣) في (أ، ج، د، هـ): «من دونها».
(٤) النُّثار: ما يُنثر في العُرس.
(٥) في (ج): «عنده» وفيه وفي (د، هـ): «يا غلام».
(٦) صدره في (ج، هـ): «خيل بأعلى حضرموت مجالها» وفي (ج): «وصهيلها ...». وأشدّها: لعلّه من الشَّدّ وهو الحُضر والعَدْو.

ولمـا رجع المُكَرَّم[(١)] إلى صنعاء فوَّض الأمر إلى زوجته السَّيِّدة الملكة الصُّليحيَّة، واسمها سيِّدة بنت أحمد بن محمّد بن جعفر[(٢)] بن موسى الصُّليحيّ، وكانت أسماء بنت شهاب وعليّ بن محمّد الصُّليحيّ[(٣)] هما اللّذانِ تولّيا تربيتَها، فكان الصُّليحيّ يخصُّها منَ الإِكْرام بما لا يفعل لسائر بناته، ويقول لزوجته أسماء: هذه، والله، كافلة ذَرارينا القائمة بهذا الأمر لمن بقي منّا.

وكانت أُمُّها الرَّداح بنت المُقارِع[(٤)] بن موسى، مات عنها زوجُها أحمدُ [بن محمّد][(٥)] بن جعفر والد السَّيِّدة، فخَلَفَ عليها عامرُ بن سليمان بن عامر بن عبد الله الزَّواحيّ، فولدت له[(٦)] سليمانَ بن عامر بن سليمان الزَّواحيّ، فهو أخو السَّيِّدة الملكة لأُمِّها، وولي الدّعوة بأمرها فقتله المُفَضَّل بن أبي البَرَكات بالسُّمّ - وكان مولد السَّيِّدة - في سنة أربع وأربعين وأربع مئة.

وتولّت أسماء بنت شهاب كفالَتها وتأديبَها وتهذيبها كما ذكرنا، وكانت بيضاء اللَّون مُشْرَبةً بحُمْرَة، مَدِيدةَ القامة، مُعْتَدلة الجسم، وإلى السِّمَنِ أقرب، وكانت كاملةَ المحاسن، جَهُوريَّة الصوت، قارئةً كاتبة، تحفظ الأشعار والأخبار، عارفةً بالأنساب والتّواريخ وأيّام العرب.

وكان يُقال لها: بلقيس الصُّغرى؛ لرَجاحة عقلها وحُسْن تَدْبِيرها للملك، وكانت تُفَضَّل بالمعرفة على كثير منَ الملوك. وتزوَّجها المُكَرَّم في أيّام أبيه، وكان الصُّليحيّ قد

---

(١) في (الأمّ): «الأمير المكرم» وفي (ب): «الإمام المكرم»، وكلاهما خطأ، وصوابه عن بقيّة النّسخ.

(٢) في (ج): «أحمد بن جعفر بن محمد الصُّليحيّ» وفي (د): «أحمد بن جعفر بن محمد بن موسى ...».

(٣) قوله: «وكانت أسماء ... محمد الصُّليحيّ» سقط في (ج).

(٤) في (ج): «الرواح بنت الفادع» وفي (د): «الرواح بنت الفارع» وفي (هـ): «وكانت الرداح ...».

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين تقدّم قبل قليل، وفي (أ): «زوجها جعفر بن جعفر» وهو خطأ؛ وانظر اسم الملكة ونسبها وترجمتها في المفيد لعُمارة: (ط محمود: ٧٥، ط الأكوع: ١٣٣)، والسّلوك: ٢/٤٩٣، والعقد الفاخر الحسن: ٥/٢٤٨٨.

(٦) قوله: «عامر بن سليمان ... فولدت له» سقط في (ج، د).

جعل صَداقها (عَدَن) - فلم يزلْ بنو مَعْنٍ يحملون خَراج عَدَن إليها، فلمّا [١٢٩أ] تُوفِّيَ[1] الصُّليحيّ تغلَّبَ بنو مَعْن على ذلك، فغزاهم المُكَرَّم وأخرجهم منها، وجعل مكانهم العبّاس ومسعوداً ابنَي المُكَرَّم الهَمْدانيَّين، وسنذكر ذلك في موضعه منَ الكتاب، إن شاء الله تعالى - فولدت له أربعةَ أولاد: محمّد وعليّ وفاطمة وأمّ هَمْدان؛ فأمّا محمّد وعليّ فماتا طفلين؛ وأمّا أُمّ هَمْدان فتزوَّجها ابنُ خالها أحمد بن سليمان الزَّواحيّ، فولدت له عبد المستعلي، وتوفِّيت قبل أُمِّها في سنة عشر وخمس مئة؛ وأمّا فاطمة فتزوَّجها: يُمن المعالي بن الدّاعي سبأ بن أحمد، وكانت وفاتها بعد والدتها بسنتين، وذلك في أربع وثلاثين وخمس مئة.

ولمّا رجع المُكَرَّم بوالدته إلى صنعاء - كما ذكرنا - وفوّض الأمور كلَّها إلى زوجته الحُرَّة السَّيِّدة بنت أحمد، وتفرَّغَ للشَّراب والسَّماع؛ واستبدَّت بالأمور، ويُقال: إنّها استعَفَّتْ[2] في نفسها، وقالت له: إنّ امرأةً تُراد[3] للفراش لا تصلح لتدبير أمر، فدَعْني وما أنا بصدَدِهِ. ثمّ إنّها ارتحلت في جيشٍ جَرّار، وتركته بصنعاء واتَّخذت جِبْلَة من مِخْلاف جعفر داراً؛ وكان جِبْلَة رجلاً يهوديًّا يبيع الفَخّار -وهي الكِيْزان-[4] في الموضع التي بُنِيت فيه دار العِزّ، وبه سُمِّيتِ المدينة جِبْلَة.

وكان الّذي اختطّ جِبْلَة عبد الله بن محمّد بن عليّ الصُّليحيّ، أخي عليّ بن محمّد[5] الصُّليحيّ، وكان ذلك في سنة ثمانٍ وخمسين وأربع مئة، وكان أخوه عليّ بن محمّد قد ولّاه حصن التَّعْكَر في التّاريخ المذكور، فاختطَّ مدينة جِبْلَة يومئذٍ، وهي مدينةٌ بين نهرين

---

(١) قوله: «قد جعل ... توفِّي الصُّليحيّ» سقط في (ج).

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «استعفته».

(٣) في (أ، ج، د): «تراءى» وفي (هـ): «تزا».

(٤) قوله: «وهي الكيزان» ليس في بقيّة النّسخ؛ والكِيْزان والأكواز: جمع الكوز.

(٥) قوله: «ابن علي ... بن علي» ليس في (ج).

جاريَين في الشّتاء والصّيف.

وتوفّيت أسماء بنت شهاب في سنة تسعٍ وسبعين وأربع مئة[١]، وكانت وفاتُها بصنعاء.

وفي هذه السّنة: أمر المُكرَّم أحمد بن عليّ الصُّليحيّ بضرب الدِّينار الملكيّ، وفيها عاد بنو نَجاح فأخرجوا أسعد بن شهاب من زَبِيْد، ثمّ أخرجهم المُكرَّم منها، ثمّ قُتل سعيدُ الأَحْول تحت حصن الشَّعِر بجِبْلَة، وسأذكر قتله في موضعه، إن شاء الله تعالى.

ولمـّا توفّيت أسماء بنت شهاب في التّاريخ المذكور: انتقل المُكرَّم بن عليّ إلى ذي جِبْلَة واختطَّ بها دار العزِّ، وذلك في سنة ثمانين وأربع مئة، واستخلف المُكرَّم على صنعاء عمران بن المُفَضَّل الهَمْدانيّ وأسعد بن شهاب، وذلك أنّ الحُرَّة قالت للمُكرَّم: أرسلْ يا مولانا على أهل صنعاء ومِخْلافها بالحُضُور في غدٍ إلى هذا الميدان، فلمّا حضروا قالت: أَشْرِفْ[٢] يا مولانا عليهم. فلم يقع بصرُهُ إلّا على لَمَعان السُّيُوف وبَرَقان[٣] الأَسِنَّة والبَيْض.

فلمّا نزل معها إلى ذي جِبْلَة أمرتِ الرَّعايا من مِخْلاف جعفر أن يحضروا في غدٍ، فحضروا، فقالت: يا مولانا أَشْرِف عليهم، فأشرف عليهم، فلم يقع بصره إلّا على من يقود كبشاً أو يحمل بُرًّا أو سَمْناً أو عَسَلا. فقالت له: العيش بين هؤلاء أصلحُ منَ العيش بين أولئك، فقال المُكرَّم: صدقتِ، ثمّ سَكَنَا جِبْلَة جميعاً.

فلمّا كان سنة [٢٩ب] **إحدى وثمانين وأربع مئة**: دبَّرتِ الحُرَّةُ السَّيِّدة على قتل سعيدٍ الأحول، وذلك أنّها أمرتِ الحسين بن النَّبَعيّ صاحب حصن الشَّعِر أن يُكاتب سعيداً الأحول[٤] إلى زَبِيْد، ويقول له: إنّ المُكرَّم قد أصابَهُ الفالج، وعَكَفَ على اللّذّات، ولم يبقَ

---

(١) في (ب): «تسع وأربعين» وفي (ج): «أربع وتسعين» وفي (د، هـ): «أربع وسبعين».

(٢) قوله: «أشرف» ليس في (ب).

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «بريق».

(٤) قوله: «وذلك أنها .. سعيد الأحول» سقط في (أ).

أمرُهُ إلّا بيدِ امرأة، وأنّه أقوى ملوك اليمن، فإن رأيت أن نطبقَ على ذي جِبْلَة، أنت من تِهامة ونحن منَ الجبال فافعل، فدولتُكم أحبّ إلى المسلمين.

فحَسُنَ موقعُ ذلك عند سعيدِ الأحول واستخفَّه الفرح، فخرج من زَبِيْد إلى ذي جِبْلَة في ثلاثين ألف حربة، وكان خروجُهُ من زَبِيْد في يومٍ قد واعدَهُ فيه ابن النَّبَعيّ، وكانتِ السَّيِّدة قد كتبت إلى عمران بن المُفَضَّل[1] وأسعد بن شهاب: أن يخلفوا سعيداً الأحول على زَبِيْد في ثلاثة آلاف فارس، فوصلوا زَبِيْد بعد خروج سعيدِ الأحول، فأخذوها وهرب بقيّة بني نَجاح، فلحق جَيّاش بالهند، وسنذكر رجوعَهُ إلى زَبِيْد وتملُّكَهُ بها في موضعه، إن شاء الله تعالى.

ولما صار سعيدٌ الأحول تحت حصن الشَّعِر أَطْبَقَ عليه الجيشان، فقُتل هو ومن معه جميعاً -وقيل: نجا منهم نحوٌ من ألفي رجل- والله أعلم.

وكانت زوجتُهُ أُمّ المعارك معه يومئذٍ فأُسرت، وجعلوا يعرضون عليها القتلى واحداً واحداً، فلمّا وقعت عينُها على سيِّدِها عرفته فاحتزّوا رأسه، وحُمِل على رمحٍ أمام هودجها، وجِيءَ بها إلى السَّيِّدة، فأُسْكِنت في موضع بدارِ العِزّ، ونُصِبَ رأسُ سعيدِ الأحول أمام طاقتها، فكانت تقول السَّيِّدة عند ذلك: ليتَ لكِ عيناً يا مولاتنا أسماء حتّى تنظري[2] رأس سعيدِ الأحول[3] تحت طاقة أُمّ المعارك.

وفي سنة أربع وثمانين وأربع مئة: توفّي المُكَرَّم أحمد بن عليّ الصُّليحيّ، وأَسْنَدَ الوصيّةَ في الدّعوة[4] إلى الأمير الأجلّ الأوحد عُمْدَة الخلافة أمير الأمراء أبي حِمْير سَبَأ بن أحمد بن المُظَفَّر بن عليّ الصُّليحيّ، وكان شجاعاً جواداً كريماً، شاعراً فصيحاً، ويُثيبُ على المدح

---

(١) في (الأم، أ، ب): «الفضل»، وهو خطأ، صوابه عن (ج، د، هـ).

(٢) في جميع النّسخ: «حتى تنظرين».

(٣) قوله: «أما طاقتها ... الأحول» سقط في (هـ).

(٤) قوله: «في الدعوة» ليس في (ج).

ويَمْدح مادحه؛ وفي ذلك يقول الحسين بن عليّ بن أبي القُمِّ[1] الشّاعر المشهور في قصيدة له: (منَ الطّويل)

ولمّا مَدَحْتُ الهِزَبْرِيَّ ابْنَ أَحْمَدٍ أجازَ، وجازاني على المَدْحِ بِالمَدْحِ[2]
فَعَوَّضَني شِعْراً بِشِعْري وزادَ في عَطائي، فهذا رَأْسُ مالي وذا رِبْحي[3]
شَقَقْتُ إِلَيْهِ النّاسَ حَتّى لَقِيتُهُ فَكُنْتُ كَمَنْ شَقَّ الظَّلامَ إلى الصُّبْحِ[4]
فَقُبِّحَ دَهْرٌ لَيْسَ فِيْهِ ابْنُ أَحْمَدٍ ونُزِّهَ دَهْرٌ كانَ فِيْهِ مِنَ القُبْحِ

قال عُمارة[5]: ولمّا قدم ابنُ القُمِّ على الأمير سَبَأ بن أحمد الصُّليحيّ، ومدحَهُ بهذه القصيدة، وأنشدها قائماً بين يديه= مَنَعَهُ منَ القيام ورمى له بمِخَدَّة وأمره بالجلوس عليها إكراماً له ورِفْقاً بالحاضرين[6]، فلمّا فرغ منَ الإنشاد قال له: يا عبد الله أنت عندنا كما قال أبو الطَّيِّب المتنبّي [٣٠أ][7]: (من الخفيف)

وفُؤادي مِنَ المُلُوكِ وإِنْ كا نَ لِساني يُرَى مِنَ الشُّعَراءِ[8]

وكان الأمير سَبَأ بن أحمد دَمِيمَ الخَلْق[9] قصيراً، لا يكاد يظهر منَ السَّرْج، وكان مَقَرُّ عِزِّهِ حصن أَشْيَح -وهو نظير مَسار والتَّعكُّر في العُلُوِّ والمَنْعة- وكانت حصون بني المُظَفَّر

(١) في (أ، ج، د): «علي القم» وفي (ب، هـ): «علي بن القم»، والمعروف: ابن القمّ، وليس: ابن أبي القمّ؛ ترجمه الزِّركليّ فقال: « الحسين بن عليّ بن محمّد بن مويه، أبو عبد الله، المعروف بابن القمّ» الأعلام: ٢/٢٤٦.

(٢) الهِزَبْر، بكسر الهاء وفتح الزّاي وسكون الموحّدة آخره راء: من أسماء الأسد.

(٣) في (ج): «شعراً بشعرٍ» وفي (د): «... وزادني».

(٤) في (ب): «شققت الناس إليه» مختل الوزن.

(٥) المفيد: الأكوع: ٢٠٨، وأخلّ به مطبوع محمود ولكنّه نقله عن حواشي المستشرق كاي عن الخزرجي: ٢٧٦-٢٧٧

(٦) في (الأمّ، أ، ب): «ورفقا عن الحاضرين»، وفي (ج، د، هـ): «ورفعاً عن الحاضرين» وما أثبت يقتضيه السّياق.

(٧) شرح ديوانه: ٤/٤١.

(٨) في (أ): «... الملوك ولكن».

(٩) في جميع النّسخ: «ذميم ...»، والعرب تقول: دَمِيم الخَلْق ذَمِيم الخُلُق، وهو ههنا يصف خَلْقه.

مطلّةٌ على زَبِيْد مُصاقِبةً[1] لأعمالها، وأقرب إلى تِهامة من جميع الجبال؛ ولذلك كانتِ الحرب بين بني سَبَأ بن أحمد وبين بني جَيّاش بن نَجاح سِجالاً.

فكان إذا دخل الشّتاء وبَرَدَ النَّسيمُ نزلتِ العربُ تِهامة، وحينئذٍ يرتفع جَيّاش عنِ البلاد [إلى دَهْلَك][2]، فيقيم بها سبأٌ ونوّابُهُ يجْبون خَراجها ولا يُؤْذون أحداً منَ الرَّعايا بظلمٍ ولا غيره، ويحتسب للعمّال بما قبضه منهم جَيّاش في مدّة الصّيف والخريف؛ فإذا انقضى الشّتاء والرّبيع وسخنتِ البلاد ارتفعتِ العربُ من تِهامة إلى الجبال [والحَوازّ][3]، فحينئذٍ يدخلها جَيّاش تارةً بقتالٍ وتارةً بغير قتال.

فإذا عاد جَيّاش إلى زَبِيْد نُشِرتِ المصاحفُ وظهرتِ الفقهاء وتطاولتِ العلماء واحتسب جَيّاش للعمّال بما قبضه منهم سبأٌ ونُوّابُهُ في مدّة الشّتاء والرّبيع[4].

ثمّ إنّ الدّاعي سبأ بن أحمد خطب الحُرَّةَ السَّيِّدة بنت أحمد، فكرهت ذلك وأنكرته عليه غاية الإنكار، فجمع الدّاعي جموعه وسار من أَشْيَح يُريد حربها بذي جِبْلَة، فجمعت هي أيضاً جموعها وكانت أكثر من جموعه، وتَصافَّ العسكران فاقتتلا أيّاماً، ثمّ قال له أخوها لأُمّها[5] سليمان بن عامر الزَّواحيّ: والله، لا نُجِيبك إلى ما تُريد إلّا بأمرٍ منَ المستنصر.

فترك الدّاعي قتالها ورجع إلى أَشْيَح، وسيَّرَ إلى الإمام المستنصر بالله العُبَيديّ صاحب

---

(١) في (الأمّ، د): «مصافية» ولا معنى لها. وفي (أ): «مضافية» وهي سقط في (ب) وفي (ج): «مضافة» وفي (هـ) من دون إعجام؛ والصواب ما أثبت؛ يقال: صاقب الشيء: إذا قابله وقاربه وواجهه.

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

(٤) بعده في (ج، د): «حتى كان في آخر الأمر نزل السّلطان سبأ في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل فحط على زَبِيْد والحبشة إذ ذاك فيها، فرأى من الحبشة توانياً فتوانى في الحزم، وهي مكيدة منهم فبيتوه في بعض الليالي هو وعسكره على غرة فأتوا على أكثرهم قتلاً ونجا سبأ على قدميه باقي ليلته حتى وجد من أركبه على فرس في آخر الليل، ولم تعد العرب إلى تِهامة بعد ذلك» عن (بغية المستفيد) بحسب ما جاء عن (د)؛ وهي تحشية حشرت في المتن؛ انظر بغية المستفيد: ٥٩.

(٥) في (هـ): «قال لها أخوها لأبيها»، وفي (ب، ج، د): «قال لها ...».

مصر رسولَين، هما: القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الأصبهانيّ وابنُ[1] عبد الله الطَّيِّب.

فكتب الإمام المستنصر بالله إليها - في أثناء المكاتبات - ثلاثة أسطر يأمرها فيه بنكاح سبأ بن أحمد، وسَيَّرَ إليها أستاذاً -يُعْرَفُ بحامل المِذَبَّة، ويُنْعت بيمين الدّولة- فلمّا وصلوا بالجواب منَ المستنصر بالله إلى اليمن بعث بهم الدّاعي إلى الحُرَّة بذي جِبْلَة، فلمّا دخلوا عليها وهي بدار العِزِّ من ذي جِبْلَة تكلّم الأستاذ وهو واقف ووزراؤها وكتّابها وأهل دولتها قيامٌ أمامها، فقال:

أمير المؤمنين يردُّ السّلام على الحُرَّة الملكة السَّيِّدة الطّاهرة الزّكيّة خِيرة الزّمن وسيِّدة ملوك اليمن، عُمْدة الإسلام خالصة الإمام، ذَخِيرة الدِّين، عِصْمة المسترشدين، كهف المستنجدين، وَلِيَّة أمير المؤمنين، ويقول لها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[الأحزاب]، وقد زوّجك أميرُ المؤمنين منَ الدّاعي الأوحد المنصور المُظَفَّر عُمْدة الخلافة أمير الأمراء أبي حِمْير سَبأ [بن أحمد][2] بن المُظَفَّر بن عليّ الصُّليحيّ على ما حَضَرَ منَ المال وهو مئة [٣٠ب] ألف دينار عَيْناً وخمسون ألفاً أَصْنافاً من تُحَفٍ وأَلْطاف وطِيْبٍ وكَساوٍ.

فقالت: أمّا كتابُ مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وأمرُهُ، فأقول فيه: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ ولا أقول في أمر مولانا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾[النمل].

---

(١) في (ج، هـ): «أبو ...».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين سقطٌ، وقد سلف على الصّواب وسيأتي أيضاً.

وأمّا أنت يا بن الأصبهانيّ: فوالله، ما جئت مولانا ﴿مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾[النمل] ولقد حرّفتم القول عن مواضعه و﴿سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[يوسف].

ثمّ تقدّم إليها زُرَيع بن أبي الفتح وزيرُها وابن الأصبهانيّ ونظراؤهما، فما بَرِحُوا يتلطّفون بها حتّى أجابتهم إلى العَقْد، فعُقِد النّكاح، ولم يلبث سَبأ[1] أن سار في أُمَمٍ عظيمة إلى ذي جِبْلَة فأقام شهراً والضِّيافات الواسعة تخرج إليه إلى مخيَّمِهِ كلَّ يوم، وأنفقت على عساكرِهِ من مالها مثلَما قدَّمَهُ منَ المَهْر إليها.

ورأى الأميرُ سبأُ بن أحمد من عالي هِمَّتها وشَرفِ أفعالها ما حَقَرَ نفسه [معه][2]، وندم على خطبتها فأرسل إليها في السِّرِّ يسألُها أن تأذن له في الدُّخول إلى دار العِزِّ ليتوهَّمَ النّاس أنّه دخل عليها[3]، ففعلت ذلك، فاجتمع بها ليلةً واحدة، ثمّ ارتحل في صبحها، وقيل: بعثت إليه بجارية تُشْبِهها فنُمي ذلك إلى سبأ، فباتتِ الجاريةُ واقفةً على رأسه وهو جالس لا يرفع إليها رأسه، حتّى إذا طلع الفجر أمر بضرب الطُّبُول فلم يَجْتَمِعا بعدها.

ويُقال: إنّ سبأ بن أحمد ما وَطِئ أَمَةً قطّ، ولا شرب مسكراً أبداً، وكان يرى أنّ وَطْء الأَمَة عار، وأنّ الشراب نقصٌ في المُروءة والحَسَب.

وكانت زوجتُهُ الجُمانةَ بنت[4] سُويد بن زيد الصُّليحيّ. ولم يزل بحصنِهِ[5] أَشْيَح إلى أن توفِّي سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة؛ هكذا قال الجَنَديّ في تاريخه[6].

---

(١) في (ج، د، هـ): «سبأ بن أحمد».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٣) في (أ): «أنه دخل بها» وفي (ج، د، هـ): «أنه خلى بها».

(٤) قوله: «الجمانة بنت» سقط في (أ).

(٥) في (ج): «الصُّليحيّ بحصنه» وثمة سقط يخل به السّياق.

(٦) السّلوك: ٢/٤٩٢.

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ تولّاه الله بحسن وُلايته: ولـمّا مات الدّاعي سبأ بن أحمد الصُّليحيّ في التّاريخ المذكور خرجت صنعاء وأعمالُها عن مملكة الصُّليحيّين، وارتفعت أيديهم عنها، ولم يبقَ لأحدٍ منهم فيها ذِكْرٌ، وكانتِ الحُرَّةُ بذي جِبْلَة من مِخْلاف جعفر إلى أن تُوفِّيت بها في التّاريخ الآتي ذكره، إن شاء الله تعالى.

واستولى على صنعاء وأعمالها السّلطان حاتم بن الغشيم[1]، وسيأتي ذكرُهُ وذكر مَن مَلك صنعاء بعده إن شاء الله تعالى، وبالله التَّوفيق.

ولـمّا مات الدّاعي سبأ بن أحمد الصُّليحيّ المذكور أقامتِ السَّيِّدةُ بنت أحمد للذَّبِّ عن مملكتها والقيام بدولتها المُفَضَّل بن أبي البركات بن الوليد الحِميريّ؛ وذلك أنَّ التَّعْكَر كان لعبد الله بن محمّد الصُّليحيّ - كما ذكرناه أوّلاً -، فلمّا قُتل مع أخيه عليّ بن محمّد الصُّليحيّ في ناحية المَهْجَم، واستولى المُكَرَّم على البلاد بعد أبيه جعل أمر التَّعْكَر [٣١] إلى ابن عمّه أسعد بن عبد الله الصُّليحيّ، فساءت سيرتُهُ فنقلَهُ عنِ التَّعْكَر وعوَّضَهُ منه حصونَ رَيْمة، وجعل أبا البركات بن الوليد الحِمْيريّ والياً في التَّعْكَر وأعماله.

وولّى أخاه أبا الفتوح بن الوليد حصن تَعِزّ، وكان المُفَضَّل يومئذٍ صغيراً، فكان يَتَوَصَّفُ للمُكَرَّم بذي جِبْلَة ويدخل إلى الحُرَّة برسائل المُكَرَّم، فلمّا مات أبو البركات بن الوليد - وكان موتُهُ بعد موت المُكَرَّم - جعلتِ السَّيِّدة ولاية التَّعْكَر إلى ابنه خالد بن أبي البركات فأقام نحواً من سنتين، ثمّ قتله الفقيه عبد الله بن المُصَوِّع وكان ابن المُصَوِّع المذكور فقيهاً فاضلاً، وكان ذا دنيا واسعة، وكان يواصل الأمير خالد بن أبي البركات وهو يومئذٍ والي التَّعْكَر[2] لكونِهِ الحاكم على بلده ذي السَّفال، وكان سليماً[3] وكان الوالي يأتمنُهُ، ويأمر ألّا يمنعوه عنِ الطُّلوع متى شاء، وكان الأمير لا يحتجب عنه لِـمَا يعتقدُهُ فيه

---

(١) في (ب): «حاتم بن القاسم».

(٢) قوله: «وهو يومئذٍ والي التَّعْكَر» ليس في (ج، د، هـ).

(٣) في (الأم، ب): «وكان سليمان».

منَ الخير والصّلاح.

فسوَّلَت له نفسه أن يقتل الوالي استحلالاً لدمِهِ لكونه على مذهب الإسماعيليّة، ولم يشاور أحداً في قتله، بل قدّر في نفسه أنّه متى وجد المرتّبون المال للجوامك أطاعوه على ما يريد، فعامل سلّاطاً من عادتِهِ أن يطلع الحصن بالسَّلِيط ويبيعه على أهل الحصن، فملأ بَطَّةً[1] دنانير ودراهم وطَلَعَا معاً، فلمّا خَلا الفقيه بالأمير قتله، ثمّ صاح صياحاً بانزعاج فتبادر إليه أهل الحصن فوجدوا الأمير مقتولاً فقتلوا الفقيه[2] وطلع المُفَضَّل بن أبي البركات والياً في التَّعْكَر بعد قتل أخيه، فأظهر عداوة الفقهاء، وقبض أموال الفقيه الّذي قَتل الأمير وبساتينه وأراضي قومه.

قال الجَنَديّ[3]: وهي الأملاك القديمة الّتي في ذي السَّفال، وهرب معظم الفقهاء عن مجاورته خوفاً من سَطوته.

وصار المُفَضَّل رجلَ البيت والذّابّ عنِ الملك والمَرْجوع إلى رأيه وسيفه، ولم تكن السَّيِّدة تقطع أمراً دونه، فعظُم شأنُهُ وعَلَتْ كلمتُهُ، ولم يبقَ في أعيان الدّولة من يُساميه ولا من يُساويه، وغزا تِهامة مِراراً فتارةً له وتارةً عليه، وهبط إلى عَدَن مراراً، وكان حازماً عاقلاً شجاعاً شهماً، له عدّة مكارم وجُمْلة مفاخر، لكنّها دون مكارم الدّاعي سبأ بن أحمد، وكان جواداً مُمَدَّحاً قصده الشّعراء منَ الأماكن البعيدة، ومن جملة من قصده مواهب بن حديد المغربيّ، وامتدحه بغُرَر قصائد يقول في بعضها: (من البسيط)

يا مالِكَ الدِّيْنِ والدُّنْيا وأَهْلَهُما ... ومَنْ بِعِزْوَتِهِ الإِسْلامُ مُمْتَسِكُ[4]
قَدْ قِيْلَ جاوِرْ - لِتَغْنَى- البَحْرَ أَوْ مَلِكاً ... وأَنْتَ، يا بْنَ الوَلِيْدِ، البَحْرُ والمَلِكُ

---

(١) في (أ، ج، د، هـ): «بطاطه». والبَطَّة: وعاء من الجلد يستخدم لحفظ الدّهون.

(٢) بعده في (ج، د): «الذي قتل الأمير».

(٣) السّلوك: ٢/٤٩٥.

(٤) في (ج، د): «ومن بعزته ....».

وهو الّذي جَرَّ الغَيْل من خِنْوة(١) إلى مدينة الجَنَد، والّذي حارب(٢) الدّاعي حين كرهتِ الحُرَّة زواجَهُ، وحَصَرَ عليَّ بن الدّاعي سبأ في قَيْظان(٣) حتّى أخرجه منها؛ وذلك أنّ عليَّ بن الدّاعي سبأ كان مُزوَّجاً على بنت المُكَرَّم، ثمّ تزوّج امرأةً غيرَها فطلبت منه أن يُسَرِّحها إلى أُمِّها فلم يفعل، فكتبت إلى أُمِّها تستنجدها عليه فأمدَّتها بالمُفَضَّل في عساكر جَمَّة، فلبست فاطمة بنت المُكَرَّم زِيَّ الرِّجال وخرجت من حصن زوجها إلى عسكر المُفَضَّل، فسيَّرها إلى أُمِّها وداوم الحصار على شمس المعالي عليّ بن سبأ حتّى خرج من الحصن بأمان على نفسه، واستخرج للحُرَّة نصفَ خراج عَدَن من آل زُرَيع حين تغلَّبوا عليها، ومدحَهُ القاضي أبو بكر اليافعيّ(٤)، فقال: (من الكامل)

وأَقَلُّ مَكْرُمَةٍ لَهُ وفَضيْلَةٍ ... إجْراؤُهُ لِلْغَيْلِ في الأَجْنادِ
شَقَّ الجِبالَ الشّامِخاتِ كَأَنَّما ... كانَتْ شَوامِخُها شِعابَ وِهادِ(٥)

وذلك أنّه حفر في الصَّفا حُفَراً عديدةً، وخرَّقَ بعضها إلى بعض، وأجرى الماء فيها [٣١ب] في مواضع لا يُصدِّق بها إلّا مَن رآها، ثمّ لمّا جاء إلى موضع بين جبلين أمر الفُسّاح(٦) فبنوا جداراً منَ الجبل إلى الجبل طولُهُ نحو مئتَي ذراعٍ، وعرضُهُ نحو من عشرة أذرع بالحديد، وارتفاعه نحو من خمسين ذراعاً، بحيث إنّه إذا رآه شخص يقول: ما فعل هذا إلّا الجنّ.

---

(١) في جميع النّسخ: «حنوه» بإهمال حروفها خلا النون، وما أثبت عن (ب، د) وضبطه عن الجنديّ؛ إذ قال: «اخنوة» بالخاء المعجمة مخفوضة ونون ساكنة ثمّ واو مفتوحة ثمّ هاء ساكنة؛ السّلوك: ١/ ٣١٠.

(٢) في (ب): «أجاب الداعي».

(٣) **قَيْظان**، بالظّاء المعجمة أخت الطّاء المهملة؛ التّاج: (ق ي ظ).

(٤) في (ج): «الشافعي».

(٥) في (ج، د): «كانت بهمته ...» وهذا الشطر سقط في (هـ).

(٦) في (أ، ج، د، هـ): «الصناع».

وبنى مسجد الجَنَد، وجدّد بناءه منَ المقدّم والجناحين ما هو مبنيٌّ بالحجارة وسقف على ذلك، فلم يزل كذلك حتّى ظهر مهدي بن عليّ بن مهديّ فأخربَهُ وأحرقَهُ، ولم يزل مهدوماً حتّى قدم سيف الإسلام فزاد في سَمْك المسجد ما هو مبنيٌّ الآن بالآجُرّ؛ هكذا قاله الجَنَديّ في (تاريخه)[1].

وكان التَّعْكَر مقرَّ ذخائر بني الصُّليحيّ الّتي صارت إليهم من ملوك اليمن، وكانتِ الحُرَّة تطلع من ذي جِبْلَة في أيّام الصَّيف فتقيم فيه، فإذا برَد الوقت نزلت إلى ذي جِبْلَة؛ والمُفَضَّل لا يتصرَّف عن أوامرها ويدخل إليها مع خواصّ وزرائها، والأَزِمَّة الأكابر من عبيدها، فقال يوماً للحُرَّة وهي في التَّعْكَر: انظري إلى ما كان في القصر من ذخائرك فانزلي به إلى دار العِزّ أو فاعزليه في بعض هذه القصور، وأمّا هذا الحجر فلا طاقة لكِ على ما فيه بعد هذا اليوم.

فقالت له: لو لم تقل بهذا القول ما أحوجتك إليه: الحصنُ حصنُكَ وأنت رجل البيت، ولا حَرَجَ عليك. فخَجِلَ منها وأطرق.

ونزلت إلى ذي جِبْلَة ولم تغيِّر منَ الأموال شيئاً، فكان بعد ذلك ينزل إليها ويترضّاها في طلوع الحصن كعادتها فلم تفعل، وهي مع ذلك تواصل بِرَّهُ بما يحسن موقعه عِنْدَهُ منَ الجَوار المَغاني والكَساوي والطِّيب وغير ذلك، ولم تزلْ هذه حاله إلى سنة أربع وخمس مئة[2].

وفي هذه السَّنة: استنجد منصورُ بن جَيّاش بالحُرَّة على أخيه وبذل لها مبلغاً، فبعثت معه المُفَضَّل ناصراً له فسار معه وأخذ له زَبِيْد، فلمّا صار بعسكره في زَبِيْد همَّ المُفَضَّل أن يغدر به ويأخذ زَبِيْد منه؛ فبينا هو كذلك إذ وصلَهُ الخبرُ بأخذ التَّعْكَر، فخرج من زَبِيْد لا يلوي على شيءٍ حتّى وصل التَّعْكَر، فطلع عَزّان التَّعْكَر، وصار محاصِراً للتَّعْكَر مدّة.

---

(١) السّلوك: ٢/٤٩٦.

(٢) في (الأم): «أربع وخمسين وخمس مئة» وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وهو ما يقتضيه سياق الخبر.

وكان متولِّي التَّعْكَر رجلٌ منَ الفقهاء فطلع إليه جماعة من فقهاء المِخْلاف ليسوا من أهل السّنة فحسَّنوا له الخِلاف في الحصن على الأمير المُفَضَّل بمُواطأةٍ من الرَّعايا ووافَقهم على ذلك ابنُ عمٍّ للمُفَضَّل فاستولوا على الحصن وما فيه من الأموال والذّخائر.

فلمّا وصل المُفَضَّل حَصَرَ الفقهاء الّذين في الحصن حَصْراً شديداً، فلمّا حَصَرَهم المُفَضَّل قال أحدهم: لا أموت حتّى أقتلَ المُفَضَّل، ثمّ بعد قتله أهلاً بالموت؛ فعَمَدَ إلى حَظايا المُفَضَّل وسَراريه فأطلعهنّ سقوف الدّار بحيث يراهن المُفَضَّل ومن معه، وألبسهنّ [٣٢أ] مصبغات الثّياب، وأمرهنّ بأن يُغَنِّين ويَضْربن بالدُّفوف بمَرْأَى المُفَضَّل وغيرِه، وكان المُفَضَّل شديد الغَيْرة فأخذته بطنُهُ -وقيل كان في يدِهِ خاتم مسموم فامْتَصَّهُ فأصبح ميتاً- وهو في قُبَّة[١] بعَزّان، وذلك في شهر رمضان من سنة أربع وخمس مئة[٢].

وعند ذلك طلعتِ الحُرَّة من ذي جِبْلَة فحَطَّت بالرَّبادي[٣] وكاتبتِ الفقهاء بالنُّزول منَ الحصن على أن يقترحوا عليها ما شاؤوا، فأجابوا إلى ذلك واشترطوا عليها شروطاً وفت لهم بها، وجعلتِ السَّيِّدة في الحصن مولاها فتح بن فتح[٤] فلبث ما شاء الله، ثمّ تَغَلَّب على الحصن فاحتال عليه بنو الزِّرِّ[٥]؛ وذلك أنّهم خطبوا ابنةً له لواحدٍ منهم فزوَّجه بها، فلمّا كان ليلة الزّفاف وصل جماعةٌ منهم فأخرجوه منَ الحصن، وأقامتِ السَّيِّدة مقامَ المُفَضَّل ابنَ عمِّه أسعد بن أبي الفتوح بن العلاء بن الوليد الحِمْيريّ في القيام بدولتها، والذَّبِّ عن مملكتها والتَّوجُّه أين ما أمرته. وكان متولّياً بحصن تَعِزّ وصَبِر[٦]، إذ كان أبوه

---

(١) في (أ، هـ): «وهو في قبته» وفي (ج، د): «فأصبح وهو في فيه».

(٢) في (الأمّ، ب): «أربع وخمسين وخمس مئة» وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وما يقتضيه سياق الخبر.

(٣) في (ج، د): «بالدياري».

(٤) كذا، وفي العقد الفاخر الحسن (٢/٩٩٤) لدى ترجمة ابنه: «أبو عبد الله سليمان بن فتح بن مفتاح الصّليحيّ بالولاء».

(٥) في (ج، د): «الذر».

(٦) قوله: «وكان متولياً ... وصبر» سقط في (أ).

قبله والياً عليهما، فلم يزل على ذلك حتّى غدره رجلانِ من أصحابه فقتلاه بين البابين[(١)] في حصن تَعِزّ سنة أربع عشرة وخمس مئة.

وكان قد قدم قبل ذلك رجلٌ من مصر -يُقال له: عليّ بن إبراهيم بن نجيب الدّولة ويُلقّب بالموفَّق- قدم داعياً ومعه عشرون فارساً سنة عشر وخمس مئة[(٢)]، وكان نبيهاً عاقلاً حسن التّدبير، كثير المحفوظات مستبصراً في مذهب الشِّيعة، قيِّماً بتلاوة القرآن العزيز على عدّة روايات، وكان على خزانة الكتب الأفضليّة بمصر، فتركته السَّيِّدة على بابها حافظاً لها في مدينة جِبْلَة فغزا أهلَ الأطرافِ، وقويت شوكته، واستخدم أربع مئة فارس من هَمْدان وغيرهم، فاشتدّ بهم جانبه وأمنتِ البلاد ورجعتِ الأسعار[(٣)].

ولـمّا مات الأفضل بن أمير الجيوش سنة خمس عشرة وخمس مئة، وكان الأفضل وزير الخليفة في الدِّيار المصريّة، فلمّا توفِّي في التّاريخ المذكور قام بأمر الوزارة بعده ابنه المأمون ابن الأفضل قياماً تامًّا[(٤)]، وكتب إلى ابن نجيب الدّولة كتاباً بالتّفويض له في الجزيرة اليمنيّة، وشدّ أزره وبسط يَدَهُ ولسانه، وسيّر إليه أربع مئة فارس أَرْمَني[(٥)] وستّ مئة أسود.

وكانت خولان قد بسطوا أيديهم على الرَّعايا والبلاد احتقاراً بالسَّيِّدة لعدم القائم بأمرها فطردهم ابن نجيب الدّولة عن ذي جِبْلَة ونواحيها، وأوقع بمن لقيه منهم العقاب الشّديد حتّى لم يبقَ منهم إلّا من كان منتسباً إلى السَّيِّدة داخلاً في جملة الرّعيّة.

فلمّا رأت منه ذلك أمرته أن يسكن الجَنَد لوطأتها وانكشاف جوِّها فسكنها، وهي

(١) في (ج، د): «بين الناس».

(٢) قوله: «سنة عشر وخمس مئة» ليس في (ج).

(٣) في (الأم، ب): «البلاد الأسفا» وفي (د): «البلاد ورجعت الأسفا».

(٤) في (ج، د، هـ): «قياماً كلياً».

(٥) في (أ، هـ): «قوس أرمن» وفي (ب): «فرس أرمني» وفي (ج، د، هـ): «فرس» لا غير.

وَطِيَّة للحافر متوسّطة في الأعمال [٣٢ب]، فصار الأمر به على[1] سلاطين الوقت.

وفي سنة ثماني عشرة وخمس مئة: غزا ابن نجيب الدّولة زَبِيْد فقاتل أهلها على باب القُرتب، فرُمي حصانُهُ في مَنْخِرِهِ فشَبَّ[2] به الحصان فصرعَهُ، وقاتل عنه فرسانه حتى أَرْدَفَهُ أحدهم، وتمَّ حصانه شارداً إلى الجَنَد، وكانتِ الوقعة يوم الجمعة، فأصبح الفَرس يوم السّبت في مدينة الجَنَد، فأمسى[3] الخبرُ ليلة الأحد بذي جِبْلَة: بأن ابن نجيب الدّولة قُتل بزَبِيْد، فلمّا كان بعد أربعة أيّام وصل ابن نجيب الدّولة إلى الجَنَد ليس به بأسٌ، وذلك في [ذي][4] الحِجّة منَ السَّنة المذكورة.

وفي سنة تسع عشرة وخمس مئة: ساءت سيرة ابن نجيب الدّولة على السَّيِّدة فاستخفَّ بها وانتقص بها[5] وأظهر انتقاص رأيها ونسبها إلى السَّفَهِ والخَرَف؛ وقال: قد استحقّت عندي أن يُحْجَر عليها وأظهر خلافها.

فجهّزت له جيشاً فحاصروه، وأَغْرَتْ به ملوك اليمن، وكانوا تحت طاعتها لا يخالفها منهم أحدٌ فيما تأمره به من حرب أو صلح، فوصل إليها سلاطين دولتها: سليمان وعمران[6] ابنا الزَّرِّ أصحاب خَدِد وبهجة، وسبأ بن أبي السُّعود وأبو الغارات وأسعد بن أبي الفتوح والمنصور بن المُفَضَّل، واستأذنوها في حصار ابن نجيب الدّولة في الجَنَد، فأذنت لهم -وكانتِ الجَنَد مُسَوَّرَةً- ومعه فيها أربع مئة فارس من هَمْدان وغيرهم، فيهم فُرْسان يَعدُّ كلُّ واحدٍ منهم نفسَهُ لمئة فارس.

---

(١) في (أ): «فضاق الأمر به على» وفي (ج، د، هـ): «فضاق الأمر على».

(٢) يقال شَبَّ الفرس: إذا رفع يديه معاً.

(٣) في (د): «فاضحى».

(٤) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (أ، ب).

(٥) في (ج، د، هـ): «وانتقصها».

(٦) في (الأم، ب): «وعزّان»، وما أثبت وهو الصّواب عن (أ، ج، د، هـ).

فجاءته السّلاطين في نحو ثلاثة آلاف فارس وثلاثين ألف راجل، فحصروه حتّى جهد، وكانت فرسانه تقاتلهم على باب المدينة أشدَّ قتال، فلمّا اشتدّ عليه الحصر بعثتِ الحُرَّة إلى وجوه القبائل منهم بعشرة آلاف دينار مصريّة، وقالت للرُّسُل: أشيعوا في النّاس أن هذا من ابن نجيب الدّولة. فطلبتِ العساكر من سلاطينها أن ينفقوا عليهم وإلّا ارتحلوا، فغالطوهم ولم يعطوهم شيئاً، فارتحلوا وتفرَّق النّاس.

وقيل لابن نجيب الدّولة: هذا من تدبير الّتي قُلتَ إنّها قد خَرِفَت، فركب إلى ذي جِبْلَة واعتذر ممّا كان منه، وكان ذلك في المحرَّم من سنة عشرين وخمس مئة، والله أعلم.

ثمّ قدم رسولٌ منَ الدِّيار المصريّة يُسمَّى الأمير الكذّاب، فلمّا وصل واجتمع بابن نجيب الدّولة في ذي جِبْلَة في مجلسٍ حافل، لم[1] يحتفل به ابن نجيب الدّولة، وربّما أَغْلَظَ له في القول، وأراد أن يغضّ منه؛ فقال له: أنتَ والي الشرطة بالقاهرة؟ فقال: بل أنا ألطم خيار مَنْ فيها عشرة آلاف فِعْل[2].

فالتصق به أعداء ابن نجيب الدّولة وأكثروا بِرّه وحملوا إليه الهدايا والتُّحَف فضمن لهم هلاكه، وقال: اكتبوا معي أنّه دعاكم إلى نِزار[3] وراودكم على البَيعة فامتنعتم، واضربوا لي سِكَّةً نِزاريّة، فأنا أوصلها إلى الخليفة مولانا الآمر [١٣٣أ] بأحكام الله. ففعلوا له ذلك، فأوصل الكتب والسِّكَّة إلى الخليفة الآمر بأحكام الله[4]، فبعث الآمر بأحكام الله ابن الخيّاط إلى اليمن، وأمره أن يقبض على ابن نجيب الدّولة، وأَرسلَ معه مِن مصر مئة فارس منَ الحُجَريّة.

فلمّا قدم ابن الخيّاط ومن معه على الحُرَّة طلب منها ابن نجيب الدّولة، فامتنعت من

---

(١) في جميع النّسخ «فلم».

(٢) في (أ): «بغل» وفي (ج): «فقل» وفي (د): «قفل» وفي (هـ): «قيل».

(٣) في (ج، د، هـ): «الإضرار».

(٤) قوله: «ففعلوا ... بأحكام الله» سقط في (ج).

تسليمه إليه، وقالت له: أنت حامل كتابٍ فخذ جوابَهُ وإلّا اقعد حتّى أكتب إلى مولانا ويعود جوابُهُ بما يرى. فخوَّفها وزراؤها بسوء السُّمْعة بالنِّزاريّة، ولم يزالوا بها حتّى استوثقتْ لابن نجيب الدّولة من ابن الخيّاط بأربعين يميناً، وكتبت إلى الخليفة الآمر بأحكام الله وسيّرت رسولاً -هو كاتبها محمّد ابن الأَزْديّ[1]- وسيَّرت هديَّةً حسنة، وفي الهديّة زِبْديَّة، قيمةُ الجوهر الّذي فيها أربعون ألف دينار، وشفعت فيه وسلَّمته إليهم.

فلمّا فارقوا (ذي جِبْلَة) بليلةٍ جعلوا في رجله لبنة من حديد وزنها مئة رطل، وشتموه وأهانوه، وبات في الدِّهْليز عُرْياناً في الشّتاء وبادروا به إلى عَدَن وسفّروه إلى مصر في جلبة سَواكِنيّة أوّل يوم من شهر رمضان، وأخذوا رسولها محمّد ابن الأَزْديّ بعده بخمسة عشر يوماً، وتقدّموا إلى رُبّان المركب أن يغرقه، فغرق المركب بما فيه على باب المَنْدَب، ومات ابن الأزديّ غريقاً فجزعتِ الحُرَّة على ذلك جَزَعاً شديداً حيث لا ينفعها ذلك.

وقال الجَنَديّ[2]: ثمّ إنّ الحُرَّة أقامتِ الدّاعي إبراهيم بن الحسن الحامديّ فتوفّي عُقَيب ذلك، ولم تطلْ مدّته، وفي أثناء مدّته وصل العلم بوفاة الخليفة بمصر الآمر بأحكام الله وقيام الإمام الحافظ بعده، فأضافتِ الحُرَّة دعوته إلى آل زُرَيع بن العبّاس اليامي فولّتها منهم سبأ بن أبي السُّعود بن زُرَيع، ولذلك لُقِّب بالدّاعي، ثمّ وليها عقبه كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وتوفِّيتِ الحُرَّة السَّيِّدة بذي جِبْلَة وكانت وفاتها في سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، وهي بنت ثمانٍ وثمانين سنة، وانتقل جميع ما كان تحت يدِها منَ الحصون والذّخائر والأموال إلى منصور بن المُفَضّل بن أبي البركات بن الوليد الحِميريّ، فلمّا كَبُر وضَعُف عن كثيرٍ منَ الحركات وأحبَّ الدَّعَة والسُّكون ابتاع الدّاعي محمّد بن سبأ بن أبي السُّعود

---

(١) في (ج، هـ): «بن أبي الأزدي».

(٢) السّلوك: ٢/٥٠٠.

منه الحصون والبلاد سنة ستٍّ وأربعين وخمس مئة بمئة ألف دينار.

قال عُمارة(١): وهي ثمانية وعشرون(٢) مَعْقِلاً ما بين حصن ومدينة: مدينة ذي جِبْلَة واحدة، ومدينة إبّ -ومن الحصون: التَّعْكَر وحَبّ -واحدةٌ منها.

ونزل المنصور بن المُفَضَّل إلى حصنه تَعِزّ وصَبِر، وطلّق امرأته الصُّليحيّة -وهي أروى بنت عليّ بن عبد الله بن محمّد الصُّليحيّ- وهو أول منِ اتَّخذ ثَعَبات [٣٣ب] مُتَنَزَّهاً(٣)، فكان ينزل منَ الحصن فيقف بها الأيّام، ولم يزل كذلك إلى أن توفّي لِبِضْعٍ وأربعين وخمس مئة، فخلفه ابنٌ له اسمه: أحمد بن منصور بن المُفَضَّل بن أبي البركات، فقام مقام أبيه إلى سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مئة.

ثمّ طلع مهديّ بن عليّ بن مهديّ من تِهامة فابتاع منه تَعِزّ وصَبِر، وانتقل هو إلى الجَنَد، فسكن بها إلى أن توفّي سنة ثلاث وستّين(٤) وخمس مئة، والله أعلم، فهذا ما كان من أخبار الدّولة الصُّليحيّة وما يتعلّق بها، وبالله التَّوفيق.

---

(١) المفيد: (محمود: ١٠٩، الأكوع: ١٦٠).

(٢) في (ج، د، هـ): «ثمانية عشر».

(٣) في (الأم): «متنزهاً».

(٤) في (ج): «ثلاث وخمسين» وهو خطأ.

الفصل التّاسع
في ذِكْر ملوك صنعاء بعد الصُّليحيّين

قال علماء السِّيَر والأخبار: لمّا مات الدّاعي سبأ بن أحمد الصُّليحيّ في تاريخه المذكور -وهو سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة- خرجت صنعاء وأعمالُها من مملكة الصُّليحيّين وارتفعت أيديهم عنها، ولم يبقَ لأحدٍ منهم فيها ذكر، فاستولى على صنعاء وأعمالها يومئذٍ السّلطان الأجلُّ حاتمُ بن الغُشيم[1] المُغلِّسيّ الهَمْدانيّ، وكان ناهضاً كافياً معدوداً مِن كَمَلَة الرِّجال، وكان له من الولد ثلاثةُ أولاد: محمّد وعبد الله ومَعْن.

فأمّا محمّد بن حاتم فكان سيفاً مُصْلَتاً في حماية أبيه، لم يشاركه أحدٌ في شجاعته وجودته، وله الوقعات المشهورة والفتكات العجيبة؛ ومن ذلك أنّه سمع صوت الطُّبُول وهم يضربون النّوبة آخر النّهار، فارتاح لذلك، ثمّ اهتزَّ، ثمَّ أفرغ عليه لأْمَته، وركب جواده، واعتقل رمحَهُ، ونادى في هَمْدان بالرّكوب، فركبوا، فخرج بهم حتّى بلغ الموضع الّذي يُسمّى مَصَبَّ الدُّروع، فقالوا له: أين تُريد وما عزمُك؟ قال: أريد أن أغزو نَجْران. فقالوا له: إن بيننا وبين نَجْران عدّة أيّام وليالٍ، ونحن وأنت كما ترى لا خيام، ولا زاد، ولا رَواحل نصون بها خيلنا. قال: ما لكم بُدّ من ذلك. فقالوا له: اتركنا نعود اللّيلة إلى صنعاء نتجهّز ونخرج إليك في غدٍ، إن شاء الله تعالى. فقال: لا بأس، صُبّوا دروعكم هٰهنا، وادخلوا. فصَبُّوا دروعَهم في ذلك الموضع، فسمّي ذلك الموضع مَصَبّ الدّروع من يومئذٍ إلى الآن، ثمّ وافوه منَ الغد، فغزا نَجْران، فاستباحها وعاد.

---

(١) كتب فوقه بـ(الأمّ): «حاتم بن القشيم».

وكانت له خطرات، وفيه اختلاطُ عقل، فكان إذا تزوَّج امرأةً وأحبَّها قتلها، فتحاماه النّاس ولم يزوّجه أحد.

ثمّ إنّه خرج يوماً يطوف في صنعاء فأبصر اليهود قد أوقدوا قُبَّةً(١) عظيمة للفَخَّار، والنّار فيها عالية تلتهب، وكانت له جارية يحبّها حبًّا شديداً، فجاء بها وعليها ما شاء الله من حُلِيّ وحُلَل، فطرحها في تلك القُبَّة فاحترقت، ثمّ ندم عليها ندماً عظيماً، وجاء ليطرح نفسه بعدها فلَزِمَهُ الحاضرون ورجعوا به ملزوماً إلى منزله. ثمّ خطب امرأة من بني الصُّليحيّ أهل قيظان، فأبى أهلها تزويجَهُ إلّا بضمانة أبيه وكفالته: أنّه لا يقتلها. فلم [٣٤أ] يزل بأبيه حتّى ضمن عليه، وتكفّل بذلك في محفلٍ عظيم من رؤساء العرب، وقال له: إن قتلتَها قتلتُك. فتزوّج بها وأقامت عنده ما شاء الله ثمّ قتلها، ولحق بحصن بَراش صنعاء خوفاً من أبيه، فلم يزل أبوه يُخادعه ويراسله حتّى نزل إليه فالتقيا عند إكام الزَّبيب(٢) شرقيَّ صنعاء -وقيل: التقيا تحت المَذْرَج(٣)- وكان أبوه قد أمر عبيده بلَزْمِه إذا واجهه، فلمّا واجهه أبوه في الموضع المذكور أشار إلى العبيد بلَزْمِه فلَزِموه، فوثب عليه أبوه فقتله واحتزَّ رأسَه ودخل به صنعاء على رمح. وكانت له بنت في صنعاء قد فقدته واشتاقتِ إليه، فلمّا علمت بخروج جدِّها إلى لقاء أبيها فرحت وانتظرت وصوله، ففوجئت برأسه، فماتت لوقتها، وقيل: جُنّت، والله أعلم.

وكان السّلطان حاتم قد جُمِّلَ بالأشعار ونُكِّفَ على ما فعله بولده؛ فمن ذلك ما قاله بنو الصُّليحيّ: (من الطّويل)

فَقُلْ لِلْهُمامِ الأَرْيَحِيِّ مُجاهِراً ... لَهُ بِالّذي يَهْوَى وَخَلِّ الجَماجِما(٤):

---

(١) في (ج، د، هـ): «ناراً».

(٢) قوله: «إكام الزبيب» يحتمل أيضاً: «آكام الزبيب».

(٣) في جميع النّسخ بالدّال المهملة، وما أثبت عن صفة جزيرة العرب (٦٩، ١٢٥).

(٤) في (ج، د): «فقل للإمام ...». والجماجِم: من قولهم جَمْجَم في صدره شيئاً جَمْجَمَةً: أخفاه ولم يُبْدِهِ.

أَتَأْبَى دَنِيَّ الفِعْلِ مُذْ أَنْتَ يافِعٌ ... وتَكْسِبُ ما عِشْتَ الوَفا واللَّوازِما
فَأَصْبَحَ ما قَدَّسْتَهُ ذَهَبَتْ بِهِ ... زَلازِلُ هَدَّمْنَ الصَّفا والدَّعائِما[1]

فأجابهم بعد أن قتل ابنَهُ وحزن عليه حزناً عظيماً بأبيات يقول فيها: (من الطويل)

وأَرْتَعْتُ رَأْسَ الأَرْيَحِيِّ مُحَمَّدٍ، ... مِنَ البِيْضِ، مَشْحوذَ الغِرارَيْنِ صارِما
وقُلْتُ لَهُ: هذا قَصاصٌ بِما جَنَتْ ... يَداكَ وكانَ اللهُ لِرُوْحِكَ راحِما
وقَدْ كُنتُ إنْ جَشَّمْتُهُ لِمُلِمَّةٍ ... رَأَيْتُ فَتًى لِلْمُعْضِلِ الخَطْبِ جاشِما
وإِنْ حَضَرَ اليَومَ العَبُوسَ رَأَيْتُهُ ... إذا طاشَتِ الأَحْلامُ أَرْوَعَ باسِما

ثمّ توفّي حاتم بن القُشيم[2] في سنة اثنتين[3] وخمس مئة، فولي الأمرَ بعده ولدُهُ عبد الله بن حاتم، وكان يُعْرف بالشابّ العادل فكانت ولايته سنتين، وقُتِل بالسُّمّ، فولي الأمر بعده أخوه مَعن بن حاتم فحصل في دولته تشويشٌ وتخبُّطٌ على هَمْدان أنكرته كبارُها، ولاسيّما القاضي أحمد بن عمران بن الفضل، وكان يومئذٍ عالمَ هَمْدان والمُسْتَضاء برأيه والمرجوع إلى اختياره. فجمع رؤساء هَمْدان إلى الموضع المُسمَّى مَصَبّ الدُّروع، وخَلَعَ مَعْناً عنِ الأمر، وساعدته قبائلُ هَمْدان على ذلك، وذلك في شهر صفر من سنة عشرٍ وخمس مئة.

وقدَّم عليهم السّلطانين الأجلّين هشاماً وحماساً ابني القُبَيب بن زُنَيخ فقبلوا ذلك، واستوسَقَت هَمْدان[4] منهما بحُسْن السِّيْرة والعدل في الرَّعيّة، فاجتمعت قبائل هَمْدان ودخلوا بهما صنعاء، وحَصَروا السّلطان مَعْن بن حاتم في الدَّرْب، وخرج على يدِ القاضي

---

(١) في (الأصل، أ، ب، هـ): «.. ما قد سنه ... ... البعا والدّعائما»، والمعنى غير متّجه وما أثبت عن (ج، د).
(٢) في جميع النّسخ: «القشيم»، وإنّما هو «القُشيم» وقد مرّ مراراً وسيأتي.
(٣) في (أ، ج، د): «اثنتين وخمسين».
(٤) في (الأم): «واستوسقوا» وفي بقيّة النّسخ: «واستوثقوا» وكلاهما بمعنى واحد، وكثيراً ما يستخدم هذه اللُّغة.

أحمد بن عمران، وكان استقراره بعد ذلك [٣٤ب] في حصن بَراش، واستقام الأمر في بني القُبَيب، وكان مَنُوطاً بأكبر الولدين وهو هشام بن القُبيب، فحَسُنَ أمرُهُ واستقامت طريقته إلى أن توفِّي.

فانفرد بالأمر بعده أخوه الحماس بن القُبَيب إلى أن توفِّي أيضاً، فولي الأمر بعده ولده السّلطان حاتم بن الحماس بن القُبَيب[١] وذلك في السّابع عشر من شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمس مئة. وكان أعظمهم رياسةً، وأقواهم شوكةً، وغزا بلاد حَبٍّ[٢] وقتل منهم مقتلةً عظيمة في هِرّان، وساس الأمرَ إلى أن حضرته الوفاةُ فجمع إخوته، وهم: أبو الغارات وعامر ومحمّد وأبو الفتوح، وحَضَّهم على الأُلْفَة، وأمرهم بالتّساعد وأن يجعلوا رئيسهم ومقدَّمهم أبا الغارات، وأن يحلفوا له. فلم يفعلوا، وقالوا: لا نحلف ولا نقدّم علينا إلّا محمّداً -وكان أصغرهم- فلمّا رأى ما هم فيه بكى بكاءً شديداً، فقالوا: ما يُبْكِيك؟ فأنشد مُتَمَثِّلاً: (من الطّويل)

فَما المَوْتُ أَبْكَاني ولا القَبْرُ راعَني ... ولا مِنْ حِذارِ المَوْتِ، يا صاحِ، أَجْزَعُ

ولكِنَّ أَقْواماً أَخافُ عَلَيْهِمُ ... وأَخْشَى بِأَنْ يُعْطُوا الّذي كُنْتُ أَمْنَعُ

وتُصْبِحَ آراءُ الرِّجالِ عَلَيْهِمُ ... تَجُوزُ وإِصْلاحُ الدَّنِيَّةِ يُوضَعُ

ومات من ساعته، فاختلفت إخوتُهُ وتفرَّقت آراؤهم من بعده، حتّى إنّ أهل صنعاء اعتزلوهم.

فلمّا كانت سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة: اجتمعت هَمْدان كافّة وقصدتِ السّلطان الأجلَّ حميد الدّولة حاتم بن أحمد بن عمران بن[٣] المُفَضَّل اليامِيّ كريم هَمْدان، فحملته

---

(١) قوله: «إلى أن توفِّي ... القُبيب» سقط في (ج، د، ه).

(٢) في (ج، د، ه): «جنب».

(٣) قوله: «عمران بن» ليس في (ج).

على القيام بالأمر والاضْطِلاع[1] به، فقام به أتمَّ قيام، ودخل صنعاء مُوَكَّباً معه سبع مئة فارس من هَمْدان وهو القائل: (من الطّويل)

يَقُولُونَ لي قَدْ حُزْتَ مَمْلَكَةَ الدَّرْبِ ... فَأَدْمِنْ عَلَى اللَّذّاتِ والأَكْلِ والشُّرْبِ

ولا تَهْجُرِ الصَّهْباءَ فَهْيَ لَذِيذَةٌ ... مُسَهِّلَةٌ ما كانَ مِنْ خُلُقٍ صَعْبِ

فَقُلْتُ: اذْهَبُوا عَنِّي فَلَسْتُ بِبارِحٍ ... عَلَى مَذْهَبِي، حَسْبِي بِهِ مَذْهَباً حَسْبِي

صَبا القَوْمُ فانْصَبُّوا إلى أُمِّ دَفْرِهِمْ ... ولَسْتُ بِمُنْصَبٍّ إِلَيْها ولا صَبِّ

وكان له منَ المفاخر ما لم يكن لأحدٍ قبلَهُ مع الفصاحة والرَّجاحة، ولم يجتمع عِتاقُ الخيل وجِيادُها مثلما اجتمعت معه؛ وفي ذلك يقول[2] ابن أخيه نصر بن محمّد بن أحمد بن[3] عمران من قصيدة: (من الكامل)

أُوْلِي الصَّرِيْحِ وناصِحَيْنِ وسابِقٍ ... والبَحْرِ والخَطّارِ والهَطّالِ[4]

والجَوْنِ والذَّيْبَيْنِ كُلِّ مُسَوَّمٍ ... أُخُذِ الجُنُوبِ لَواحِقِ الآطالِ[5]

نُجْلِ العُيُونِ بِناجِلِيها سُبَّقٍ ... تُعْزَى إلى الفَيّامِ والذَّبّالِ[١٣٥]

والرّازِقِيِّ وسابِقَيْنِ وفائِقٍ ... والحَضْرَمِيِّ ولاحِقٍ ونبالِ[6]

كُلُّ ابْنِ سابِقَةٍ يُناطُ لِجامُها ... في شاهِقٍ أو شامِخٍ مُخْتالِ[7]

تُغْدِي بِأَطْرافِ الكَرامَةِ دائماً ... ويَظَلُّ في الأَطْلالِ غَيْرَ مُذالِ

---

(١) في (الأمّ، ج، د): «والاصطلاح» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٢) في (هـ): «يقول شعراً» ثم أورد الشعر.

(٣) قوله: «أحمد بن» ليس في (أ، ب).

(٤) قوله: «وناصفحين وسابق» ليست واضحة في (الأمّ) وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٥) قوله: «والديبين» غير معجمة في (الأمّ) وغير واضحة في بقيّة النّسخ.

(٦) في (ج): «والرازقين ...».

(٧) في (ج، د، هـ): «في شامخ أو شاهق».

وكان حدّ ملكه من نَقِيل الغابرة إلى اليمن وإلى القِبْلة بركة حوف[١] المعروفة بالبحر[٢]، وكانت صَعْدَة بيدِ الأشراف الهَدَويِّين.

وفي أيّامه ظهر الإمام المتوكِّل على الله أحمد بن سليمان، فاستولى على صَعْدَة ونَجْران والجَوف والظّاهر، ثمّ بعد مدّة طويلة اجتمع إليه العرب من كلّ مكان وهو ساكن بالجوف، فخرج بهم لحرب السّلطان حاتم بن أحمد، ولم يزل السّلطان حاتم بن أحمد في نُمُوٍّ دولةٍ ونفاذِ صولةٍ حتّى قام المتوكِّل على الله أحمد بن سليمان لحربه، وذلك في سنة خمس وأربعين وخمس مئة: فجاءته القبائل كافّة، وطلع بأهله واستقرّ بحصن بيت بَوْس أيّاماً وأطاعه بنو شهاب وكافّة أهل حَضُور، ثمّ نهض إلى بلاد جَنْب، وجمع قبائل مَذْحِج وخولان وغيرهم حتّى اجتمع معه جملة منَ الخيل والرَّجْل، وسار نحو السّلطان حاتم بن أحمد إلى صنعاء ووصل منه رسول إلى صنعاء خفيةً يشتري له ورقاً وصابوناً وحَوائج، فعلم به السّلطان حاتم فأمر به واستخبره عنِ الإمام وأعطاهُ كتاباً وقال: احملْ لنا هذه الورقة أوصلها إليه، وكان فيها مكتوب: (من الطّويل)

أَبَى الوَرَقُ الطَّلْحيُّ تَأْخُذَ أَرْضَنا ... ولَمْ تَشْتَجِرْ تَحْتَ العَجاجِ رِماحُ[٣]

وتَمْلِكَ صَنْعا، وَهْيَ كُرْسِيُّ مُلْكِنا، ... ونَحْنُ بِأَطْرافِ البِلادِ شِحاحُ

فلمّا وصلت إلى الإمام، قال: نعم والله لنأخذنَّها إن شاء الله تعالى، ثمّ نهض الإمام على الفور بعساكره من ذَمار إلى موضع في بلاد سَنْحان يُقال له: الشَّرَرة، وكان عسكره ثمانين ألفاً فيها ألف وخمس مئة فارس، والباقي رَجّالة، وفي ذلك يقول ولدُهُ الدّاعي: (من الطّويل)

ثَمانِيْنَ أَلْفاً كانَ عَسْكَرُ أَحْمَدٍ ... إِلَيْها فَأَمْسَى مُلْكُهُ قَبْضَ خِنْصِرِ[٤]

---

(١) في (أ): «حوث» وفي (ج، د، هـ): «الجوف».

(٢) في (أ): «الشجر».

(٣) تشتجر: تتداخل وتختلف، ونصب الفعل «تأخذ» بـ(أن) المحذوفة؛ أي أن تأخذ.

(٤) في (ج، د، هـ): «فأمست ...».

وكان المصافّ في هذا الموضع المعروف بالشَّرَرة فانكسرت هَمْدان وقتل منهم نحوٌ من خمس مئة أكثرهم من سَنْحان، فانهزم السّلطان حاتم بن أحمد إلى صنعاء، وتبعَهُ عسكر الإمام قاصدين صنعاء، فدخل السّلطان حاتم بن أحمد ومن معه من أصحاب الإمام، وخالف أهل صنعاء مع الإمام، وأبلت[1] هَمْدان بلاءً حسناً، ولم تدع مُمكناً منَ الشّرّ[2]، فلمّا رأى الشّيخ زيد بن عمرو اليعبُريّ ما نزل بهَمْدان خاطب الإمام فيهم فأذمّ[3] عليهم الإمام، وخرج السّلطان حاتم بن أحمد إلى الإمام وهو في مسجد الجامع، فلمّا استقبل [٣٥ب] الإمام قال له: قد عفونا عنك يا سلطان العرب، وأنصفه وأكرمه.

ولما خرج السّلطان حاتم بن أحمد منَ الدَّرْب ورأى اجتماع النّاس على حربه مع الإمام، أنشد: (من الطّويل)

غَلَبْنا بَنِي حَوّاءَ بَأْساً ونَجْدَةً ... ولكِنَّنا لَمْ نَسْتَطِعْ غَلَبَ الدَّهْرِ

فلا لَوْمَ فِيما لا يُطاقُ وإِنَّما ... يُلامُ الفَتَى فِيما يُطاقُ مِنَ الأَمْرِ

ثمّ خرج السّلطان حاتم بن أحمد إلى المَنْظَر ووقف فيه أيّاماً وتفرَّقت هَمْدان، ووقع بين السّلطان حاتم بن أحمد وبين الإمام أكاليم حَمَلَها النّاس فيما بينهم، فالتقيا إلى عَرِم السَّدّ وجرى بينهما كلامٌ فافترقوا على غير صلح، ونهض السّلطان حاتم بن أحمد إلى حصن الظُّفُر ووقف فيه إلى أن تفرَّقت جموع الأشراف، ثمّ جمع هَمْدان وقصد بهم صنعاء.

فلمّا علم الإمام[4] خرج وحطَّ في موضع تحت بَراش[5]، يُقال له: شعب الجنّ، فتحصَّن فيه وأمر مستنجداً بجَنْب وبالعرب، فسَبَقَهُ السّلطان حاتم بن أحمد ووقع في

---

(١) في (الأم) وحده: «فأَبْلَيتْ».

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «من الصبر».

(٣) فأذمّ عليهم: أعطاهم الذّمّة وأجارهم.

(٤) في (الأم): «بالإمام» وهو خطأ.

(٥) في (ج): «فراس».

المحطّة الّتي للإمام فقتل من أصحاب الإمام طائفة؛ وفي ذلك اليوم تبع رجلٌ من هَمْدان رجلين من أصحاب الإمام قد رَكِبا ناقةً وهَرَبا فطعنهما طعنةً واحدة بالرّمح فنظمَهما برمح، فسمِّي النَّظَّامَ من ذلك اليوم.

وعاد السّلطان حاتم بن أحمد إلى صنعاء، واستمرَّ له الأمر في البلاد، ثمّ عاد الإمام ثانيةً[١] إلى بلاد جَنْب، فأراد أن يجرَّهم إلى صنعاء، وكان بين جَنْب قُتولٌ كثيرة، فأراد الإمام أن يُصلح بينهم ويجمع كلمتهم، فلمّا علم السّلطان حاتمُ بن أحمد بذلك ركب ومعه من عسكره أفراسٌ من هَمْدان لا ثقلَ معهم ولا رَجّالة، فوصلوا قريباً من ذَمار وقدِ اجتمعت[٢] قبائل جَنْب بأسرها لملقى الإمام أحمد بن سليمان ومن وافقَهُ إلى العَوْد إلى صنعاء.

فلمّا أقبل السّلطان حاتم بن أحمد والّذين معه أنكرتهم جَنْب، وقالوا: إنّا نرى أفراساً وهي لا شكَّ هَمْدانيّة، فعرفوا السّلطان حاتم بن أحمد فرحَّبوا به، فلمّا وصلهم دخل منفرداً وسط الحَلْقة[٣] وهو على حصانه مُعْتَقِلاً رمحَهُ، فقال: حيّاكم الله يا وجوه العرب، لا يعيب[٤] عليَّ من خلفي، فما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفِهِ ولا وجهين في رأسه. ثمّ قال: وصلناكم يا وجوه العرب لأمرٍ لكم فيه شرفٌ ولنا فيه عِزٌّ إلى حين.

قال المصنِّف: هذا كلامٌ مختصر بليغٌ، ومعناه إنَّ لكم شرفَ وُصولنا إليكم، ولنا فيه عِزٌّ بكم بسَلامة بلادنا من العدوّ.

فعرفت جَنْب مقصودَهُ، ورحّبوا به، فقال: لـمّا علمتُ أنّكم في طلب إصلاح وأَخْذِ ذِمَم بينكم وهَدْم قُتُول من عشائركم، رأيتُ أن أشملكم وأقطع عنكم ما تُحاذرون، وأتحمَّل من مالي دياتِ قَتْلاكم. فحمدتْهُ على ذلك ومن حضرهم من قبائل العرب، ثمّ

---

(١) في (ج، د): «نائبه».

(٢) قوله: «أفراس من ... اجتمعت» سقط (ج، د).

(٣) في (الأم): «فلما وصلهم رحبوا به ودخل ...» بتكرار (رحبوا به)، وما أثبت عن (أ).

(٤) في (أ): «يعتب» وكلاهما بمعنى.

افترق الجمع وراح معهم إلى ذَمار وكتب إلى أهله بصنعاء[١]: (من الكامل)

مَمْلُوكُ بَعْضِهِمِ ووالِدُ بَعْضِهِمْ وشَقِيْقُ بَعْضِهِمِ وهذا جامِعُ[١٣٦]

يُنْبِهُمُ حِمْلي دِياتٍ عَتِيْدَةً: أَنَّ المَكارِمَ في الرِّقابِ وَدائِعُ[٢]

فَلْيُسْرِعُوا في فَوْرِهِمْ تَصْدِيْرَها مُتَعَمِّدِيْنَ نَفاذَ ما أَنَا صانِعُ

ونفّذ بالكتاب رسولاً على الفور، فما لَبِثَ أن عاد الرّسول بالمال، وكانت دياتٌ جَمَّةٌ فدفعها لِجَنْب وفرَّق جموعَ الأشراف، ثمّ عاد إلى صنعاء، وكان السّلطان حاتم بن أحمد شاعراً فصيحاً بليغاً، حَسَنَ الشِّعْر جيِّد السَّبْك، وقد أوردتُ من شعره ما يُستدلُّ به على باقيه، فمن ذلك قوله: (من الطّويل)

أَرِقْتُ وطالَ اللَّيْلُ والعَقْلُ نائِمُهْ وقَدْ أَفَلَتْ أَشْراطُهُ ونَعائِمُهْ

وأَوْرَى زِنادُ الهَمِّ في القَلْبِ جِذْوَةً إذا جاشَ مِنْ تَيّارِهِ مُتَلاطِمُهْ

يُطَفِّئُها العَزْمُ الّذي عَزَمَتْ بِهِ إذا لَمْ يُطَفِّئْها مِنَ الدَّمْعِ ساجِمُهْ[٣]

وما ذاكَ مِنْ شَوْقٍ ولا نَأْيِ مُعْمَدٍ ولا فَقْدِ رَسْمٍ دارِساتٍ مَعالِمُهْ[٤]

ولكِنْ إذا خانَ الصَّدِيْقُ صَدِيْقَهُ وصارَمَ بِالأَوْهامِ مَنْ لا يُصارِمُهْ

ونَكَّبَ عَنّا مَنْ نُرِيْدُ وِصالَهُ وسَالَمَنا مَنْ لا نُرِيْدُ نُسالِمُهْ

تَعَذَّرَ غُمْضُ العَيْنِ وانْتَزَحَ الكَرَى وباحَ مِنَ الأَسْرارِ ما أَنَا كاتِمُهْ[٥]

---

(١) في (أ): «بصنعاء هذه الأبيات» وفي (د): «بصنعاء أبياتاً يقول فيهن».

(٢) في (ج، د): «المتهم». وجزم الفعل في قوله: «ينبئهم» من دون جازم للضّرورة الشّعريّة.

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «... عُرفت به».

(٤) في (هـ): «ولا ناي معهد ...». والمُعْمَد: المريض؛ يقال عَمَده المرض وأعمده: جعله عميداً؛ ومنه اشتق القلب العميد؛ اللسان: (ع م د).

(٥) في (هـ): «وانتزع الكرى».

غَدا مائِلاً عَنّا خَلِيلٌ نَوَدُّهُ ... عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ، بَلْ عَلَيْنا جَرائِمُهْ(١)
ولاءَمَ قَوْماً غَيْرَنا مُتَكَتِّماً ... وهاجَرَنا بِاللَّوْمِ فِيمَنْ نُلائِمُهْ(٢)
ونَجَّمَ فِينا بَلْ تَنَجَّمَ عازِماً ... فَسَلَّمَنا الباري وضاعَتْ عَزائِمُهْ(٣)
فَسامَحْتُهُ كي يَرْعَوي فارْعَوَى سِوَى ... مَقالَتِهِ لا أَسْتَطِيعُ أُخاصِمُهْ
ولو أَنَّني حاكَمْتُهُ لَحَجَجْتُهُ ... ولكِنَّني مِنْ حِشْمَةٍ لا أُحاكِمُهْ
فَيا صُحْبَتي لِيْنُوا لَهُ وارْفُقُوا بِهِ ... لِيَنْسَلَّ عَنْهُ حِقْدُهُ وسَخائِمُهْ
أَقِلُّوا عَلَيْهِ العَتْبَ يَصْفُ وِدادُهُ ... وما كانَ في الحَوْباءِ فاللهُ عالِمُهْ(٤)
ولا تَيْأَسُوا عَنْهُ ولو أَنَّ عَوْدَهُ ... عَسَى فَهْوَ صَدْقُ العَوْدِ والوِدُّ سالِمُهْ(٥)
سَعَى جاهِداً في جِذْمَتي غَيْرَ هائِبٍ ... مَلاماً ولَمْ تَرْدَعْهُ عَنْها لَوائِمُهْ(٦)
فَلَمّا بَلَغْنا غايَةً لَيْسَ بَعْدَها ... مَرامٌ رَأَيْتُ الوُدَّ مالَتْ دَعائِمُهْ
وعادَ إلى ضِدِّ الّذي كانَ فاعِلاً ... وعاوَدَهُ وَسْواسُهُ وهَماهِمُهْ(٧)
ودُمْتُ عَلَى وُدِّي لَهُ حِيْنَ لَمْ يَدُمْ ... وخَيْرُ وُدادِ المَرْءِ لِلْمَرْءِ دائِمُهْ
وضاعَتْ عَلَى قُرْبِ العُهُودِ عُهُودُهُ ... وما نَفَعَتْ أَيْمانُهُ ولَوازِمُهْ(٨)
أُعاتِبُهُ حِيْناً وحِيْناً أَصُونُهُ ... فَطَوْراً أُبادِيهِ وطَوْراً أُكاتِمُهْ[٣٦/ب]

---

(١) في (هـ): «خليل بوده».
(٢) في (أ، ج، د، هـ): «وجاهرنا ...».
(٣) في (د): «تشجم غارماً».
(٤) في (الأم، أ، ب، ج، هـ): « ... يصفو». (د): «العتب ليصفو».
(٥) في (أ): «تيأسوا منه» وفي (ج): «... أنَّ دعوة».
(٦) في (هـ): « مجداً ولم ...». الجِذم: الأصل. والجِذْمة: القطعة من الحبل وغيره.
(٧) في (الأم): «ووهاهمه» وما أثبت عن بقيّة النّسخ؛ والهماهم: الخواطر.
(٨) في (ج): «وضاقت ...».

وأَرْجُو رُجُوعاً مِنْهُ وَهْوَ مُصَمِّمٌ … عَلَى غَيِّهِ حَتَّى كَأَنِّيَ ظالِمُهْ
وما لامَني إِلَّا مَلُومٌ مُفَنَّدٌ … ولا لامَهُ إِلَّا عَلَى النَّكْثِ لائِمُهْ
وما أَنَا مِنْ إِخْلاصِهِ الوُدَّ آيِساً … وإِنْ لَجَّ في إِغْرائِهِ مَنْ يُنادِمُهْ
دَلِيْلُ صَفاءِ الوُدِّ في المَرْءِ بِشْرُهُ … وشَرُّ خَلِيْلٍ عابِسُ الوَجْهِ واجِمُهْ
ولِلْوُدِّ ما بَيْنَ الأَخِلَّاءِ شاهِدٌ … أَحادِيْثُهُمْ عِنْدَ المَغِيْبِ تَراجِمُهْ
أَبا مُنْذِرٍ إِنْ كانَ عِنْدي عَتِيبَةٌ … خَرَجْتَ فَأَعْلِمْني بِما أَنْتَ عالِمُهْ[1]
ولا تَذْرِ قَوْلاً كالرِّياحِ مُبَدَّداً … وكُفَّ جِماحَ الشِّعْرِ إِذْ أَنَا لازِمُهْ
وإِنْ تَكُ ذا عُجْبٍ بِما قَدْ نَظَمْتَهُ … فَلَسْتُ بِذي عُجْبٍ بِما أَنَا ناظِمُهْ[2]
دَعِ المَنَّ إِمّا كُنْتَ أَسْدَيْتَ صالِحاً … فَمَنُّ الفَتَى، ما كانَ أَسْداهُ، لائِمُهْ
وتِمَّ عَلَى ما قَدْ تَقَدَّمَ بَيْنَنا … فَأَفْضَلُ فِعْلِ العالَمِيْنَ خَواتِمُهْ[3]
ورُمْ صالِحاً في كُلِّ سَعْيٍ سَعَيْتَهُ … يُبَوِّئْكَ الرَّحْمنُ ما أَنْتَ رائِمُهْ[4]
وأَقْدَرَ سامٍ مُجْفَرِ الجَنْبِ طامِحٍ … تُعَيِّنُهُ نَهْداً، واضِحُ الوَجْهِ ساهِمُهْ[5]
صَبِيْحٌ مُحَيّاهُ طَوِيْلٌ عِنانُهُ … لَيانٌ مَثانِيهِ، حِدادٌ مَناجِمُهْ[6]

---

(١) في (هـ): «وخبَّ فاعلمني ...».
(٢) في (ج، د، هـ): « وإن كنت».
(٣) في (د): «ما تقدم بيننا».
(٤) في (ج، د): «ليبوئك ...» وفي (هـ): «... في كل فعل ... ليبريك ...».
(٥) في (الأمّ): «... محقر ...» محرَّفاً، وفي (أ): «بعينيه نهراً» وفي (ج، د): «بعينيه يُهدى». والأقدر: القصير. والمُجْفَر: الغليظ الألوح، كثير العَصَب. والنَّهد: الضّخم القويّ. والسّاهم: المتَغيّر لعارِض.
(٦) في (الأمّ، أ، ب):«طويل عتانه» وما أُثبت عن (ج، د، هـ) وفي (هـ):«جراد مناجمه». والنَّحيم: صوتٌ من صدر الفرس.

قِصارٌ سواسيه طِوالٌ ضُلُوعُهُ ... عِراضٌ حَوافِيهِ لِطافٌ شَكائِمُهْ(١)

شَدِيْدُ صِفاقِ البَطْنِ، أَعْيَطُ شَوْذَبٌ ... صِلابٌ عَلَى طُوْلِ المُغارِ قَوائِمُهْ(٢)

سَلِيْمُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا ... شَدِيْدُ القُصَيْرَى سالِماتٌ مَقادِمُهْ

وَفِيٌّ بِما سارَرْتَهُ وعَهِدْتَهُ ... إِلَيْهِ إذا أَوْدَتْ بِخِلٍّ نَمائِمُهْ

غَنِيْتُ بِهِ عَنْ صاحِبٍ مُتَلَوِّنٍ ... كَحِرْباءِ صَيْفٍ لَوَّحَتْهُ سَمائِمُهْ

فَدُوْنَكَها كالْبَدْرِ لَيْلَةَ تِمِّهِ ... وكالعَنْبَرِ الشِّحْرِيِّ فاحَتْ لَطائِمُهْ

يُهَذِّبُها فِكْراً تَحَصَّرَ بَعْدَما ... بَدا فَهْوَ صَمْصامُ الكَلامِ وصارِمُهْ

خَبِيْرٌ بِأَبْكارِ المَعاني وعُوْنِها ... وبِالشِّعْرِ مُذْ نِيْطَتْ عَلَيْهِ تَمائِمُهْ

وقال في طرد الذِّئب، كتبها إلى إخوته: (من الطّويل)

كَتَمْتُ عَنِ الإِخْوانِ ما بي فَلَمْ أَجِدْ ... لِما بِيَ نَفْعاً غَيْرَ أَنْ أَتَكَتَّما

ظَلِلْتُ عَلَى ظَهْرِ المُعَلَّى كَأَنَّني ... عَلَى أَجْدَلٍ يَنْقَضُّ مِنْ أُفُقِ السَّما(٣)

أُطارِدُ سِرْحاناً يَرَى الضَّنْكَ مَسْلَكاً ... قَوِيًّا ويَسْتَقْوِي الخِيارَ مُصَمَّما

أُيَمِّمُهُ سَهْلَ البِقاعِ فَيَثْنِي ... ويَكْرَهُ غَيْرَ الوَعْرِ أَنْ يَتَيَمَّما

وأَعْطِفُهُ ذاتَ الشِّمالِ لِحَتْفِهِ ... فَيَنْصاعُ في ذاتِ اليَمِيْنِ لِيَسْلَما[١٣٧]

فما زالَ هذا دَأْبَنا طُوْلَ يَوْمِنا ... إلى أَنْ رَقَى لِهْباً مِنَ القُصْبِ واحْتَمَى(٤)

---

(١) في (ج، د): «قصار سراسيه» وفي (أ، ج، د، هـ): «عراض حواميه»؛ والحوامي: ميامن الحافر ومياسره؛ وقال الأصمعي في الحوافر الحوامي: وهو حروفها عن يمين وشمال؛ اللسان: (ح م ي).

(٢) في (الأمّ، أ، ب): «أغبط سودت»؛ وما أثبت عن (ج، د، هـ) وما يقتضيه المعنى.

(٣) في (الأمّ): «المعاني» وهو خطأ؛ لأنه يريد فرسه وسيأتي ذكره في البيت الثامن.

(٤) في(أ): «القضب» وفي (ج، د، هـ): «المضب». والقُصْبِ: الظهر. واللِّهْب، بالكسر: المَهْواة ما بين كلّ جبلين.

قرحتُ كَمِثْلِ الصَّقرِ أَخطأَ صَيْدَهُ أُكَتِّمُ غَيظاً مِنهُ لَنْ يَتكتَّما(١)
وراحَ المُعَلَّى مُخفزاً مُتَمَطِّراً بِهِ مَرَحٌ يَهْتَزُّ في السَّيْرِ صَلْدَما
فَلَمْ تَرَ عَيْني كالمُعَلَّى مُطَهَّماً يُطارِدُ سِرحاناً ويَحْمِلُ ضَيْغَما(٢)
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عَلِيّاً وصِنْوَهُ بِأَنِّي أَلِيمٌ، فاثأرا وتَلَزَّما(٣)
فَيُسْرايَ مِنْ جَذْبِ العِنانِ تَخُونُني ويُمْنايَ مِنْ جَزْيِ الأَصَمِّ المُقَوَّما
وإِلَّا ثَنَيْتُ العَزْمَ نَحْوَ مُحَمَّدٍ وعَمْرٍو وجَيْرُوشٍ أُولِي الرَّأْيِ والحِمَى(٤)
ونادَيْتُ مِنْ قُرْبٍ سَرِيعاً وصَعْتَراً وزِدْتُهُمُ مِنّا عَلِيّاً وشَيْظَما(٥)
فَإِنْ أَبْلَغُونِي ما أُرِيدُ وشَمَّرُوا وإِلَّا رَكِبْتُ الرَّازِقِيَّ المُطَهَّما
فَحِينَئِذٍ لا يَعْصِمُ الذِّئْبَ عاصِمٌ ولو أَنَّهُ يَرْقَى إلى الجَوِّ سُلَّما

قال المصنِّف: الرّازقيّ مُهْرٌ أحمرُ اللّون مُصْمَتٌ أَقْرَح، جُلِبَ من نَجْد مع خيل كثيرة، فاشْتُرِيَتْ تلك الخيل كلُّها، ولم يُشْتَرَ الرّازقيّ، وكان أَعْجَفَ، وكان أهلُ تلك الخيل قد ضربوا بيوتاً منَ الشَّعْر في قرية المَنْظَر، فأشرف السّلطان حاتم بن أحمد يوماً منَ الأيّام على البيوت الشَّعْر، فرأى فيها المُهْر المذكور وقد أَفَرَّتْهُ الكلابُ وألجأتْهُ إلى البيوت الشَّعْر(٦) المضروبة، فوَثَبَ المُهْرُ بَيْتَيْنِ منَ البيوت الشَّعْر وثبةً واحدة، فقال السّلطان حاتم: أين نحن من هذا المُهْر! فاشتراه من يومه ذلك وأكرمَهُ وتولّى تأديبه بنفسه وسمّاه الرّازقيّ.

---

(١) في (د، هـ): «يتكلما».
(٢) في (د): «كالمصلي».
(٣) في (الأم): «مبلغاً» وفي (ب، ج، د): «فأثار».
(٤) في (أ، ج، د، هـ): «أولوا الرمي».
(٥) في (ج): «وصغرا» وفي (د): «شريفاً وصعرا» وفي (هـ): «علنا وصعرا».
(٦) قوله: «فرأى فيها ... الشعر» سقط في (ج، د).

فكان السّلطان يصلّي الظّهر في المَنظَر ثمّ يركبُهُ ويركُضُهُ فيصلّي العصر في شِبام حِمْير تحت حصن كوكبان، قد فعل ذلك غير مرّة، وما كان يطيب ركضُهُ ويلين إلّا في قاع العبرين(١) تحت المنقب. وكان إذا ركبَهُ قريباً منَ المَنْظَر ركَضه حوالي عُرَّة ذَهْبان، وأداره عليها خمسة أشواط، وهي أَكَمَة كبيرة مائلة في الأرض متّسعة، ثمّ يرجع يُلعِبُهُ، وقد لاَنَ وهو القائل فيه: (من الخفيف)

لَيسَ لِلرّازِقيِّ فِيما عَلِمْنا الـ   آنَ ذَنْبٌ نَعُدُّهُ في الذُّنُوبِ
غَيْرُ صَبْرٍ وحِدَّةٍ ووَقارٍ   ونَشاطٍ مَعَ الوَقارِ وطِيبِ
أَفتَضْحَى في الهَبْدِ تَحُثُّ البَغايا   ما لِذاتِ الغُيُوبِ غَيْرُ العُيُوبِ(٢)

ومن شعر السّلطان حاتم بن أحمد قوله: (من الطّويل)

تَراهُمْ يَرِيعُونَ المَجالَ سَجِيَّةً   وكُلُّهُمْ بِالحَقِّ لِلْحَقِّ عارِفُ(٣)
فهذا لِمَنْ لَمْ يَدْنُ مِنْهُ مُؤالِفُ   وهذا لِمَنْ لَمْ يَنأَ عَنْهُ مُخالِفُ(٤) [٣٧ب]

وقال أيضاً: (منَ الطّويل)

ولي قائِدٌ نَحْوَ المَنايا وسائِقٌ   يَسُوقُ إِلَيْها أو إِلَيَّ يَسُوقُها(٥)
وهُنَّ المَنايا أَيَّ وادٍ سَلَكْنَهُ   طَرِيقي عَلَيْها أو عَلَيَّ طَرِيقُها

وتوفّي السّلطان حاتم بن أحمد يوم الجمعة العاشر من شهر رمضان سنة ستّ

---

(١) في (الأمّ، ب): «قارع العبرين» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٢) في جميع النّسخ: «.. في الهند ...» ولم يتّجه لي معناه. وقوله: «أفتضحى» لعلّه من قولهم: تضحّتِ الإبل؛ أي أخذت في الرّعي من أوّل النّهار؛ اللّسان: (ض ح ي). والهَبْد: الحَنظل. والبغايا: الطّلائع، ويقال للفرس مجازاً: إنّه لذو بغيٍ في عدوه؛ أي ذو مرح، وفرس باغٍ؛ الأساس: (ب غ ي). والغُيُوب: لعله جمع الغَيْب، وهو الشّحم.

(٣) في (ج): «... المال صحيةً» وفي (د): «... المال سجية» وفي (هـ): «... المآل صحبة».

(٤) في (ج، د): «... تدن ... ... لم تنأ ...».

(٥) في (ج): «لي طريق ... ... إليها وإليّ ...» مخروماً مختل الوزن.

وخمسين وخمس مئة، وكانت وفاتُهُ بدَرْب صنعاء، ولمّا رأى الشّيخُ الأديب عبد الله بن عليّ جَنازة السّلطان حاتم بين أعناق الرّجال من هَمْدان وقد حملوه من دَرْب صنعاء إلى المَنْظَر، قال[١]: (من البسيط)

حَقًّا أَحاتِمُ ما تَنفَكُّ مُنْصَلِتاً ... حَيًّا ومَيْتاً أَمامَ الجَحْفَلِ اللَّجِبِ

ما إِنْ رَأَيْنا -وهذي عادَةٌ خُرِقَتْ- ... طَوْداً يَسِيْرُ عَلَى الأَعْناقِ في خَشَبِ[٢]

ولمّا توفّي السّلطان حاتم بن أحمد في التّاريخ المذكور تولّى أمرَ صنعاء بعده ولدُهُ السّلطان الوحيد علي بن السّلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن المُفَضَّل يوم وفاة أبيه فبايعه إخوتُهُ أوّلاً، ثمّ بايعت هَمْدان أرسالاً عُقَيب ذلك، ثمّ خرج بعد ذلك إلى حصنه في ظهر المُسمّى ودا[٣]، فأقام فيه أيّاماً.

ثمّ إنّ هَمْدان خالفت عليه، وحلفوا لرجلٍ من آل البيت[٤] يُقالُ له: محمّد بن هماش[٥] وكانت له دارٌ في ناحية القطيع بصنعاء، فاجتمع المخالفون من هَمْدان إلى دار محمّد بن هماش، وبلغ العلمُ إلى السّلطان عليّ بن حاتم[٦] فجمع القبائل ودخل صنعاء مُوكِباً في مئة فارس، ومنَ الرَّجْل خلقٌ كثير، وقدِ اجتمع من هَمْدان نحوٌ من سبع مئة فارس عند باب الشُّعُوب[٧].

فلمّا وصل السّلطان علي بن حاتم تفرّقوا وقصدوا مواضعهم، وقاتله طائفة منهم

---

(١) قوله: «قال» ليس في (ج).

(٢) في (ج): «عادة عرفت ... في خبب» وفي (أ، د، هـ): «خبب».

(٣) كتب فوق «ودا» في (د): «دورم» ثم فسر بالحاشية «دورم: قلعة مشهورة وهي الّتي سماها المطهّرُ، رحمه الله، طيبةَ».

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «القبيب».

(٥) في (أ): «هماس» وفي (ج): «حامس» وفي (د، هـ): «حماس».

(٦) في (ج): «محمد بن علي» و(هـ): «محمد بن حاتم».

(٧) في (ب، ج): «باب شعوب».

قتالاً عظيماً، فدخل السّلطان عليّ بن حاتم الذَّرْب، وخرج أخوه عمران بن حاتم وكان صبيًّا، فقاتل في شوارع صنعاء، فأصابَهُ سهمٌ - وقيل: حَجَر - فحُمِلَ إلى الذَّرْب فمات من ساعته، فاضطربت هَمْدان من موتِهِ اضطراباً عظيماً خوفاً من عليّ بن حاتم، فأمر السّلطان عليّ بن حاتم بالصّائح فصاح: إنَّ السّلطان عليّ بن حاتم قد وَهَبَ لهَمْدان دَمَ أخيه عمران، وهذا سيفُهُ ذمّةً ورفاقةً[1] لمَن أحبَّ[2] أن يحضر دفنَهُ فليخرج، فاجتمعت هَمْدان وخرجوا بصاحبهم عمران بن حاتم، وقبرُهُ[3] في مقابر هَمْدان.

واستمرَّتِ الأمور على أحسن نظام، وكان حصن ذَمَرْمَر لقومٍ من هَمْدان يُقال لهم: مَواجد[4] فأخذَهُ السّلطان عليّ بن حاتم وعمره وحصَّنه، وكذلك كوكبان والعَروس كانا[5] لبني الزَّواحيّ فأخذهما وعمرهما وحصَّنهما[6]، وكان بَراش والظُّفَر والفِدَة لوالده حاتم بن أحمد، ثمّ أخذ بُكُر[7] وعَمَرَهُ وحصَّنه، وهذه حصونُ البلاد في ذلك الوقت.

ثمّ مَلَكَ الظّاهرَين [٣٨أ] الأعلى والأسفل والجوف وصَعْدَة والمَغارب كلّها، وكان بنو شهاب تارةً يطيعونَهُ وتارةً يعصونَهُ، وكان مسالماً للسّلطان عمران بن الذّيب السّلميّ الكنديّ في حصونه وجهاته كلِّها، وكانت ولايتُهُ في حَضُور والمَغارب كلّها، وحجرة حَراز، وكان جواداً عادلاً كريماً، كان يُقْطِعُ الرَّجلَ من هَمْدان البلدَ والبلدين، وكان له في كلِّ مِخْلاف والٍ عليه حفظُ ما فيه، فلا يُشارّ[8] فيه بظلمٍ ولا تعسّف، ولا يترك لأحدٍ من

---

(١) كذا: «رفاقة».

(٢) كتب في (الأمّ): «لمن أراد» ثمّ ضبّب على كلمة: «أراد» وكتب عليها: «أحب».

(٣) في (ج، د، هـ): «وقبروه».

(٤) مَواجد: بفتح أوّله؛ انظر الإكليل: (طبعة محبّ الدين الخطيب: ١٠/٧٨).

(٥) في جميع النّسخ: «كان».

(٦) قوله: «وكذلك ... وحصنها» سقط في (ج).

(٧) في (الأمّ، أ): «بكره» وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وقد تقدّم على الصّواب وسيأتي.

(٨) في جميع النّسخ: «يسار» بإهمال السّين. ويُشارّ: يُعادي؛ يقال: فلانٌ يُشارّ فلاناً ويُهاره ويُزاره: أي يُعاديه. والمُشارّة: المخاصمة؛ التّاج: (ش ر ر).

هَمْدان سبيلاً إلى معرّة لأحدٍ منَ الرَّعيّة.

فإذا حضر الزَّرْع في الأقطاع حضر المُقْطِع وحَضَرَ نائب السّلطان عليّ بن حاتم، ثمّ يُقاسمون الرَّعيّة على الخُمس من أموالهم من غير زيادة ولا نقصان، فيأخذ نائب السّلطان نصف المبلغ ويأخذ المُقْطِع النِّصف الثّاني، فإذا استوفَيَا ذلك لم يكن لأحدهما بعد ذلك تعرّضٌ إلى الرَّعيّة بحالٍ من الأحوال.

وكان في الظّاهِرَين الأعلى والأسفل والٍ للسّلطان عليّ بن حاتم يُقال له: شَيْظَم(١)؛ فالظّاهران الأعلى والأسفل إلى [الآن](٢) يُسمَّيَان ظاهِرَي(٣) شَيْظَم.

ووصلَهُ الأمير الأجل المُطَهَّر بن أحمد بن سليمان ومعه جماعةٌ منَ الأشراف مستنجدين به ومستنصرين على أهل صَعْدَة، فأجابهم السّلطان عليّ بن حاتم إلى ما طلبوا، وخَرَجَ معهم من بني عمِّهِ وسائر هَمْدان عسكراً معقوداً، وذلك في سنة سبع وخمسين وخمس مئة.

وكان قد أَشْعر هَمْدان وغيرَها: أن مَن تخلَّف منهم عن إجابته أخرب موضعه، فكان ممّن تخلَّف السّلاطينُ القُبَيبيّون، فنقض(٤) ما بينه وبينهم منَ الصّلح وأخرجهم من صنعاء فحلّوا عَضُدان عند قومٍ منَ الرَّعيّة، وسارتِ العساكر إلى صَعْدَة فنصروهم وعادوا سالمين.

ثم إنّ آل القُبَيْب - بعد أن أخرجهم السّلطان عليّ بن حاتم من صنعاء -توسّلوا بكِبار هَمْدان وغيرهم، ووصلوا إلى صنعاء وطلبوا من السّلطان عليّ بن حاتم العفو عنهم فعفا عنهم وأمّنهم.

---

(١) شَيْظَم: بالظّاء المعجمة أخت الطّاء المهملة؛ انظر التّاج: (ش ظ م).

(٢) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (أ).

(٣) في (الأم): «ظاهرا».

(٤) في (الأم): «فقبض» ونص في الحاشية أن صوابه: «فنقض» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

فلمّا كان إحدى وستّين[1] وخمس مئة: خالف عليه السّلطان حاتم بن إبراهيم الحامديّ، وقام في شِبام حَراز[2] وتابعه قومٌ كثيرٌ من هَمْدان، ونقلوه من حَرْاز إلى رَيْعان[3] ولُؤْلُؤة ليكون قريباً من حرب السّلطان عليّ بن حاتم، فأقامتِ الحرب بينهم مدّةً، ثمّ هزمهم السّلطان عليّ بن حاتم وطَرَدَهم، فهربوا إلى كوكبان -وكان كوكبان في ذلك اليوم لبني الزَّواحيّ- فخرج السّلطان عليّ بن حاتم في إثرهم وأخرب مدينة شِبام حِمْير وما حولها من البلاد.

ثمّ لم تزلِ الحرب عليهم حتّى أخرجهم من كوكبان وتسلَّمَ الحصن يومئذٍ من أبي النّور بن [٣٨ب] عليّ الزَّواحيّ، واستولى عليه، وذلك في سنة أربع وستّين وخمس مئة، فكانت مدّة الحصار على كوكبان منَ السّلطان عليّ بن حاتم ثلاث سنين.

وكان السّلاطين بنو سلمة بن الحسن بن محمّد بن حاجب الكِنْديّ قدِ استولوا على حصن بيت بَوْس بعد انقضاء الدّولة الصُّليحيّة، وهو من مآثرهم ومعاقلهم الّتي ملكتْها هَمْدان بعد بني الصُّليحيّ.

فلم تزلِ الحرب بين بني سلمة وبين السّلطان عليّ بن حاتم، وكان بنو سلمة يجرّون الأشراف لحربه إلى أن تسلَّمَهُ منهم في سنة خمس وستّين وخمس مئة.

وفي آخر سنة خمس وستّين وخمس مئة: حصل الحرب بين الإمام المتوكّل على الله أحمد بن سليمان وبين الأشراف القاسميّين في الظّاهر من بلد وادعة[4]، فخرج الإمام يوماً منَ الأيّام في لقاء جماعةٍ من أهل البلاد، وكان في قِلّةٍ منَ العسكر، فخرج عليه الأشراف القاسميّون فلَزِموه وأسروه وأخذوا ما كان معه من سلاح ومركوب، وتقدّموا به إلى[5] مَصْنَعة

---

(١) في (ج): «إحدى وخمسين»

(٢) في (أ): «شبام وحراز».

(٣) في (ج، د): «ذيفان»، وإنّما هو «ريعان»؛ انظر صفة جزيرة العرب: ١٠٦.

(٤) في (الأمّ، ب): «وداعة»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ؛ وثمّة موضع يسمّى: «وداعة»؛ انظر معجم البلدان: ٥/٢٦٥.

(٥) في (الأمّ، ب): «سلاح ومن كعب وتقدموا إليه» والمعنى غير دقيق.

أَثافِت[١]، فوصل أولادُهُ إلى السّلطان عليّ بن حاتم مستنجدين به وطالبين فكاكَهُ، فكتب إلى الشّرفاء القاسميِّين في إطلاقه، فأطلقوه.

فوصل الإمام إلى حُوث[٢]، فأقام بها إلى آخر شهر صفر من سنة ستٍّ وستّين[٣] وخمس مئة، ثمّ تقدَّم إلى السّلطان عليّ بن حاتم، وكان يومئذٍ في كوكبان فشكر له على ما أَوْلاهُ منَ الجميل، وطلب منه النّصرة على الأشراف القاسميِّين، فخرج السّلطان عليّ بن حاتم معه إلى الظّاهر في جيشٍ عظيم، وكان خروجُهُ معه يوم السّبت السّادس عشر من شهر ربيعٍ الآخر من سنة ستٍّ وستّين وخمس مئة، فلمّا وصلهم السّلطان عليّ بن حاتم إلى مَصْنَعة أَثافِت حاربهم عليها، فامتنعوا عنه بالمَصْنَعة، فخَرَّبَ قُرَى بني عَبْس[٤] وأعنابهم ودورهم وسائر حصونهم.

ووصل الشّيخ حسن بن يُعْفِر وسائر وداعة[٥] فصفح عنهم وأَمَّنَهم، وعاد الإمام أحمد بن سليمان إلى الشّام[٦]، وعاد السّلطان عليّ بن حاتم إلى صنعاء.

وتوفِّي الإمام بحَيْدان من بلد خولان عُقَيب رجوعه من مَصْنَعة أَثافِت، وذلك في السّنة المذكورة سنة ستٍّ وستّين وخمس مئة، وقد تقدَّم تاريخُ وفاته فيما تقدّم منَ الكتاب.

وفي سنة سبع وستِّين: وصل[٧] المشايخ بنو الكم[٨] ابن محمّد إلى السّلطان عليّ بن حاتم وسلَّموا له مَصْنَعة أَثافِت، وذلك في شهر الحِجَّة منَ السَّنة المذكورة.

---

(١) في (ب): «أيافث» وفي (ج، هـ): «ثافت» وفي (د): «ثاقب».

(٢) بعده في (ج): «قرية بالقرب من عمران».

(٣) في (هـ): «ست وخمسين».

(٤) في (أ، ج، د): «قيس» و(ب، هـ): «عنس».

(٥) في (الأم، ب): «وادعة»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ؛ على أنّ ثمّة موضعاً يسمّى: «وداعة» انظر معجم البلدان: ٥/٢٦٥.

(٦) في (ج، د، هـ): «شبام».

(٧) في (الأم، ب): «وصلوا».

(٨) في (أ): «المكم» وفي (ج): «بنو لكم».

ثمّ أقام بعد ذلك نحواً من ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر، وخالف عليه الشّيخ الحسن بن يُعْفِر ومَنْ معه من كافّة وادعة، فاجتمعوا في موضع يُسمّى المدحك[1]، فجهّز لهم السّلطان عليّ بن حاتم أخاه بشر بن حاتم [١٣٩] في جيشٍ جَرّار وقصدهم إلى الموضع المذكور وفيه جموعهم، فأخذه عليهم قَسْراً بالسَّيْف، وقتل منهم جماعةً وأسر آخرين وخَرَّبَ الموضع المذكور، وذلك في شهر ربيعٍ الآخر من سنة ثمانٍ وستّين وخمس مئة، ودان أهلُ الظّاهرين بعد ذلك عن آخرهم.

ثمّ قامت دولة الغُزّ، ووصل السّلطان الملك المُعَظَّم تُوران شاه بن أيّوب في سنة تسعٍ وستّين وخمس مئة، فاستولى على اليمن بأسره، وسأذكر ما كان منه ومن السّلطان عليّ بن حاتم في [الباب][2] الثّاني بعد هذا، وهو الباب الخامس، إن شاء الله تعالى وبالله التّوفيق.

---

(١) في (الأمّ، ب): «المدحب» وفي (ج): «الدحك» وفي (د): «المدحح» وما أثبت وهو الصّواب عن (أ، هـ)؛ انظر صفة جزيرة العرب: ١١٢.

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

الفصل العاشر
في أخبار الدّولة الزُّرَيعيّة واستيلاء الزُّرَيعيِّين على عَدَن

قال عليّ بن الحسن[(١)] الخَزْرَجيّ وفّقَهُ الله للعمل بما يُرضيه: كان السّبب في تملُّكِ آل زُرَيع عَدَن وما ناهَجَها منَ البلاد أنّ الدّاعي عليّ بن محمّد الصُّليحيّ لمّا استولى على اليمن وافتتح مدينة عَدَن، وكان[(٢)] فيها يومئذٍ بنو مَعْن قد تغلّبوا عليها وعلى لَحْج وأَبْيَن والشِّحْر وحضرموت وأبقاها تحت أيديهم وجعلهم نُوّابَها من قِبَلِهِ.

فلمّا تزوَّج المُكَرَّم بن عليّ بن محمّد الصُّليحيّ بالحُرَّة السَّيِّدة جعل الصُّليحيّ صَداقها عَدَن وما ناهَجَها، فكان بنو مَعْن يرفعون خَراجها إلى السَّيِّدة في أيّام الصُّليحيّ، فلمّا قُتِل الدّاعي عليّ بن محمّد الصُّليحيّ في التّاريخ المذكور أوّلاً تغلَّبَ بنو مَعْن على ما تحت أيديهم منَ البلاد، فقصدهم المُكَرَّم إلى عَدَن وأخرجهم منها وولّاها العبّاسَ ومسعوداً ابنَي المُكَرَّم[(٣)] الهَمْدانيّ، وكانت لهما سابقةٌ محمودةٌ وبلاءٌ حسنٌ في قيام الدّولة المستنصريّة مع الدّاعي عليّ بن محمّد الصُّليحيّ، ثمّ مع ولده المُكَرَّم يوم نزوله إلى زَبِيْد وأَخْذ أُمِّهُ أسماء بنت شهاب مِن أسر الأَحْول سعيد بن نَجاح، فجعل للعبّاس حصن التَّعْكَر بعَدَن وباب البَرّ وما يدخل منه، وجعل للمسعود حصن الخضراء وباب البحر وما يدخل منه، وإليه أمر المدينة، واستحلفهما للحُرَّة السَّيِّدة، فلم يزل ارتفاع عَدَن يُحمل إلى السَّيِّدة في كلّ سنة مئة ألف دينار، وقد يزيد وقد ينقص، إلى أن توفِّي العبّاس بن المُكَرَّم فخلف ابنهُ

---

(١) في (الأم): «الحسين».

(٢) في (الأم): «فكان».

(٣) قوله: «إلى عدن ... المُكَرَّم» سقط في (أ).

زُرَيْع بن العبّاس على التَّعْكَر وباب البَرّ وبقي مسعود على ما تحت يده، وكلّ واحد منهما يحمل ما عليه.

ومَلَكَ زُرَيْع بن العبّاس الدُّمْلُؤة يوم الثّلاثاء لستّ عشرةَ ليلةً خَلَتْ من رمضان سنة ثمانين وأربع مئة، فلمّا بعثتِ السَّيِّدة المُفَضّل بن أبي البركات إلى زَبِيْد كتبت(١) إلى زُرَيْع بن العبّاس والي عمِّهِ مسعود بن المُكَرَّم أن يلقياهُ إلى زَبِيْد فلقياهُ وقاتلا معه فقُتِلا معاً على باب زَبِيْد، وانتقل أمر عَدَن إلى ولديهما: أبي السُّعود بن زُرَيْع وأبي الغارات بن مسعود، فتغلَّبا على الحُرَّة أيضاً، فبعثت [٣٩ب] إليهم المُفَضَّل بن أبي البركات في جيشٍ عظيم فقاتلهما ثمّ اتَّفَقَ الأمر على النّصف من ذلك، فكانا يَحْمِلان إليها في كلّ سنةٍ خمسين ألفاً.

فلمّا مات المُفَضَّل بن أبي البركات تغلَّبوا على الحُرَّة أيضاً، فبعثت عليهم(٢) ابن عمّ المُفَضَّل أسعد بن أبي الفتوح فقاتلهما ثمّ اتَّفَقا على الرُّبْع منَ الارتفاع، فكانوا يحملون إليها في كلّ سنة خمسةً وعشرين ألف دينار، ثمّ تغلَّبوا على الرُّبْع المذكور أوّلاً، ولم يزل كلُّ واحد منهما موالياً لابن عمِّه حتّى توفِّي أبو السُّعود وولي جهتَهُ ولدُهُ سبأ بن أبي السُّعود، ثمّ توفِّي أبو الغارات وولي جهتَهُ ولدُهُ محمّد بن أبي الغارات، ثمّ توفِّي محمّد بن أبي الغارات، فولي جهتَهُ أخوه عليّ بن أبي الغارات(٣) وهو صاحب حصن الخضراء والمستولي على البحر والمدينة.

وكان للدّاعي سبأ(٤) حصنُ التَّعْكَر وباب البَرّ وما يدخل منه، وكان له منَ البَرّ الدُّمْلُؤة وسامِع ومَطْران ويُمَيْن وذُبْحان وبعض المَعافِر وبعض الجَنَد، وكانت أعمالُهُ واسعةً كثيرةً، وكان له منَ الأولاد: عليٌّ الأَغَرّ ومحمّدٌ الدّاعي والمُفَضَّل وزياد وروح.

---

(١) في (ج): «بكتب».

(٢) قوله: «المُفَضَّل بن أبي البركات ... فبعثت عليهم» سقط في (ج، د).

(٣) قوله: «ثم توفِّي محمد ... أبي الغارات» سقط في (هـ).

(٤) في (ج): «سبأ بن أحمد»

وكان سببُ استيلاء الدّاعي سبأ بن أبي السُّعود وزوالُ بني أبي الغارات عنها أنّ نُوّابَ عليّ بن أبي الغارات انبسطت أيديهم على نُوّاب الدّاعي سبأ وانبسطوا في قسمة الارتفاع وامتدّت أيديهم إلى النّاس وعاثوا وأفسدوا، ولم يَنْهَهم مولاهم عليّ بن أبي الغارات عن ذلك، والظُّلم شُؤْمٌ، ولم يزالوا يتكلّمون بما يوجب الغَيْظ ويُثِير الحفيظة، والدّاعي سبأ في أثناء ذلك مهتمٌّ بجمع الأموال والغَلّات سِرًّا، فكان كلّ من يَلُوذ بالدّاعي يُضام ويُهْتَضَم، والصّولة لنُوّاب عليّ بن أبي الغارات، وكان الدّاعي سبأ في ذلك الوقت مُحتَمِلاً حتّى كاد احتمالُهُ أن يُخرِجَ الأمرَ عن يده.

ثمّ عَزَمَ سبأ على مشاجرة القوم لِمَا بلغه أنّ ابن عمِّهِ عليّ بن أبي الغارات ينتقصُهُ ويهمّ برفع يدِهِ عن عَدَن، فخرج الدّاعي إلى الدُّمْلُؤة، وقدم قائده الشّيخ بلال بن جرير فولّاه وأَمَرَهُ أن يُفاتح القوم ويُحرِّك القتال بعَدَن ففعل ذلك بلالٌ، وكان شَهْماً، ولم يلبث سبأ أن جمع جموعاً من هَمْدان وجَنْب بن سعد وخولان وحِمْير ومَذْحِج وهَبَطَ منَ الدُّمْلُؤة فنازل القوم بوادي لَحْج[1]، وكانتِ القرية (بنا أَبَّهْ)[2] له فنزلها وكان الرَّعارِع لابن عمِّه فنزل كلُّ واحدٍ في قريته، ثمّ اقتتلوا أشدّ القتال.

وحكى الدّاعي محمّد بن سبأ قال: كنت يوماً في طلائع الدّاعي سبأ بن أبي السُّعود فواجهنا عليّ بن أبي الغارات وعمُّهُ منيعَ بن مسعود بن المُكَرَّم، ولم تَحْمِلِ الخيل يومئذٍ أَفْرَسَ منهما ولا أَشْجَع، فقال [لي][3] منيعُ بن مسعود بن المُكَرَّم: يا صبي قل لأبيك يثبت فلا بُدَّ العَشِيَّةَ من تَقْبِيل الخُشَيْمات اللّواتي في مضربه.

---

(١) في (الأم، أ، ب): «وادي لحج».

(٢) ورد في السّلوك (١/ ٣٧٥): «ومن لحج ثمّ من قرية بنا أَبَّهْ العليا، واستثقل ذلك فسمّيت: بـ(مَنْيَبَّهْ): بفتح الميم وسكون النّون وفتح الياء المثنّاة من تحت وفتح الباء الموحّدة مع تشديدها ثم هاء ساكنة؛ سمّيت بالاسم الأوّل، لأنّ أوّل بانيها رجل من قريظة يقال له: أَبَّهْ، بفتح الهمزة وفتح الباء الموحدّة مع التشديد وسكون الهاء».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

فأخبرتُ بذلك والدي فركب بنفسه، وقال لمن [١٤٠أ] حضره من بني عمِّهِ: إنّ العرب المُسْتأجرة لا تصبرُ على حَرِّ الطِّعان، ولا يمسك الثّورَ إلا قيدُهُ، فالقوا بني عمّكم بأنفسكم، وإلّا فهي الهزيمةُ والعار.

قال: ثمّ التقى القومُ فحمل منّا فارسٌ على منيع بن مسعود فطعنَهُ طعنةً شَرَمَ بها شَفَتَهُ العُليا وأَرْنَبَةَ أَنْفِهِ، وكَثُرَ الطِّعان[١] بين الفريقين والجِلاد بالسُّيُوف، وعُقِر كثيرٌ من الخيل - والعرب المحشودة نَظّارة - ثمّ حملت هَمْدان ففرّقت بين الفريقين وتَحاجَز القوم، وأقبل وادي لَحْج دافعاً بالسَّيْل فوقفوا جميعاً على عَدْوَتَي[٢] الوادي يَتَحادثون، فقال الدّاعي سبأ لمنيع بن مسعود: كيف رأيتَ تَقْبِيل الخُشَيْبات يا أبا المُدافع؟ فقال: وجدتُهُ كما قال المتنبّي[٣]: (منَ البسيط)

والطَّعْنُ عندَ مُحِبِّيْهِنَّ كَالقُبَلِ

فلم يزل النّاس يستحسنون هذا الجواب لمُوافقة شاهد الحال.

قال عُمارة[٤]: وأقامت فتنة الزّعارِع سنتين.

وكان عليّ بن أبي الغارات في أوّل الأمر ينفق الأموال جِزافاً، والدّاعي سبأ ممسكٌ، فلمّا تضعضعت حال عليّ بن أبي الغارات بذل الدّاعي سبأ ما لم يخطر ببال أحدٍ أنّه يبذِله.

وحكى ولدُهُ محمّد بن سبأ قال: دخل يوماً رجلٌ من هَمْدان على الدّاعي سبأ، وهو في الخيمة، فقال له: تعلمْ يا أبا حِمْير أنَّ الحرب نارٌ حطبُها الرِّجال والخيل، وأنا أريد منك أن تدفع لي دِيَتي وهي ألفُ دينار. ففعل الدّاعي ذلك. ثمّ قال له: ودِية ولدي فلان وأخيه فأعطاه ألفَي دينار عنهما. فقال له: دفع الله عنك، يا أبا حِمْيَر، وبقي ثمن الخيل إن عُقِرَت.

---

(١) في (أ): «وكثر المطريقان» في (ج): «وكثر المطر» وفي (د): «وكثر المطرفيات».

(٢) في (ج، د): «عروتي».

(٣) عَجُز بيت للمتنبّي؛ انظر شرح ديوانه (٣/ ٧١) وصدره فيه: «أعلى الممالكِ ما يُبْنى على الأَسَلِ».

(٤) المفيد: (محمود: ١٠٤، وفيه: «... سنين»، الأكوع: ١٥٤).

فقال له الدّاعي: قد لا تُعْقَر. فقال الهَمْدانيّ: قدِّم لنا أثمانها كما قدَّمت الدِّية. فأعطاه الدّاعي كيساً فيه خمس مئة دينار، فلمّا قبض المال قال: بقيت خصلةٌ ما أظنّ كرمَكَ، يا أبا حِمْيَر يردُّني عنها؟ قال: وما هي؟ قال: عزمتُ أن أتزوَّج فلانة بنت فلان وأنتَ تعرف شرف قومها، وليس معي من المال ما أقابلهم به. فدفع إليه الدّاعي مئة دينار. فقال: أنعمت وتفضلّت، ألا إنّه قبيحٌ بمثلي أن أتزوَّج وأنا شيخٌ أشْيَب وولدي فلان وفلان بلا أزواج. فدفع لكلٍّ واحد منهما مئة دينار. ثمّ قام الهَمْدانيّ، فلمّا بلغ باب الخيمة رجع فقال: والله لا سألتك حاجةً بعد هذه الحاجة الّتي رجعت من أجلها. قال: وما هي؟ قال: إن لي بنتاً لا زوج لها، وقبيح منّا أن نتزوّج أنا وإخوتُها وتبقى هي أرملة. قال له الدّاعي: فيكون ماذا؟ قال: تدفع لي مالاً أزوّجها به. فدفع له مئةً أخرى، ثمّ تمثَّل [الدّاعي][1] بقول الرّاجز: (من مشطور الرَّجَز)

اسْتُنْتِفَتْ لِحيَةُ زَيْدٍ فانْتِفِ[2]

وقال بلال بن جرير المُحَمَّديّ: أنفق الدّاعي سبأ بن أبي السُّعود على حرب ابن أبي الغارات[3] ثلاث مئة ألف دينار، ثمّ أفلس فاقترض منَ التُّجّار الّذين يتوالونه مالاً جزيلاً؛ مات وفي ذِمّته ثلاثون ألف دينار فقضاها عنه ولدُهُ الأغرّ عليّ بن سبأ فأقامتِ الحرب بينهما حتّى كلَّ الفريقان، ثمّ إنّ علي بن أبي الغارات [٤٠ب] انهزم إلى ناحية صُهَيب وتَحَصَّن هو وبنو عمّه بحصنَي مُنِيف والجَيْلة[4].

وكان من أعجب الاتّفاق أنّ بلال بن جرير المُحَمَّديّ افتتح الخضراء بعَدَن، وأنزل

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د).

(٢) في (ج): «فلتنفت».

(٣) في (ج، د): «العلاء».

(٤) قوله: «الجَيْلة» غير معجمة في (الأمّ)، وما أثبت عن (معجم البلدان: ٢/٢٠٢) وفيه: «جَيْلَة: بالفتح: من حصون أبْيَن باليمن».

بهجةَ أُمَّ عليّ بن أبي الغارات في اليوم الّذي افتتح الدّاعي سبأ الزّعارع فأرسل كلّ واحدٍ منهما بشيراً إلى الآخر بما فتح الله عليه، وبين الموضعين مسافة يوم، فالتقى الرّسولان بالبُشْرَى في أثناء الطّريق، وهذا من عجيب الاتّفاق.

قال بلال بن جرير: ووجدنا في الخضراء عند أُمّ [عليّ][1] بن أبي الغارات من الذّخائر والتُّحَف ما لم أقدر على مثله، وأمرُ عَدَن كلّها بيدي في مدّة مُتطاولة.

ولمّا نزلتِ الحُرَّة بهجةُ أُمُّ عليّ بن أبي الغارات منَ الخضراء إلى مدينة عَدَن أقامت بها حتّى توفّيت.

قال الجَنَديّ[2]: والمسجد الّذي يعرف بمسجد الحُرَّة على قربٍ من جانب عَدَن، أظنُّهُ ينسب إليها، والله أعلم.

ولمّا انقضتِ الحرب دخل الدّاعي سبأ بن أبي السُّعود عَدَن فأقام بها سبعة[3] أشهر، ثمّ توفّي فدُفِن في سَفْح التَّعْكَر بعَدَن، وكانت وفاتهُ سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة، وهي السّنة الّتي توفّيت فيها الحُرَّة السَّيِّدة بنت أحمد في ذي جِبْلَة، وقيل: سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمس مئة.

قال الجَنَديّ[4]: قال: وبعد سنة سبع مئة أظهر المطر[5] حَفِيراً في أصل التَّعْكَر بعَدَن فتوَهَّم النّاس أنّه مالٌ، فأعلموا والي المدينة، فطلع الوالي إلى هنالك ومعه عدّةٌ منَ النّاس فاستخرجوا من ذلك الحَفِير صندوقاً كبيراً مَسْموراً، فأمر الوالي بفَتْحِهِ، [ففُتِحَ][6] فوجدوا رجلاً ملفوفاً بأثوابٍ إذا أُمسكتْ صارت رماداً، فأعادوه على حاله في

(١) بما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) السّلوك: ٢/٥٠٢.

(٣) في (ب): «تسعة».

(٤) السّلوك: ٢/٥٠٢.

(٥) في (ج): «المُظَفَّر»، وهو خطأ.

(٦) بما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

حفرته. قالوا: ولعلّه الدّاعي سبأ بن أبي السُّعود، والله أعلم.

ولما توفِّي الدّاعي سبأ بن أبي السُّعود وتَولَّى مكانه ولدُهُ المعروف بالأَغَرّ، فلم يقم إلّا قليلاً حتّى توفِّي بمرض السُّلّ، وكانت وفاته بالدُّمْلُوَة سنة أربع وثلاثين وخمس مئة، وكان له أربعة أولاد وهم: جابرٌ وعبّاسٌ ومنصورٌ ولم أقف على اسم الرّابع منهم، وكانوا صغاراً، فجعل كَفالتهم إلى أنيس الأَغَرِّي وهو أستاذٌ حبشيّ وإلى كاتبِهِ ووزيره يحيى بن عليّ العامل(١)، وكانوا جميعاً بالدُّمْلُوَة، وأوصى بالأمر إلى ولده جابر(٢) بن عليّ، وكان الشّيخ بلال بن جرير(٣) نائبَهُ على عَدَن وهو مقيمٌ بها، وكان يكره الأَغَرّ، والأَغَرّ أيضاً يكرُهُهُ.

وكان محمّد بن سبأ بن أبي السُّعود يومئذٍ هارباً من أخيه عليّ بن سبأ(٤) بن أبي السُّعود مستجيراً بالأمير منصور بن المُفَضَّل بن أبي البركات(٥).

فلمّا علم الشّيخ بلال بن جرير بوفاة مولاه الأَغَرّ عليّ بن سبأ بن أبي السُّعود - وكان كلُّ واحد منهما يكره الآخر كراهيةً شديدة - كتب بلال بن جرير إلى مولاه محمّد بن سبأ(٦)، وهو عند المنصور بن(٧) المُفَضَّل - كما ذكرنا - وسيَّر بالكتابِ رجلين(٨) وهو يأمره بالمبادرة إلى عَدَن، ويَعِدُهُ بالقيام معه بالرُّوح والمال.

فلمّا بلغه الكتاب خرج مع الهَمْدانيّين من عند [٤١أ] منصور بن المُفَضَّل(٩) إلى عَدَن،

(١) في (هـ): «يحيى بن العامل».

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «حاتم».

(٣) في (ج): «جابر».

(٤) في (ج): «سباط».

(٥) في (ج، د، هـ): «منصور بن أبي البركات».

(٦) قوله: «وكان كل ... سبأ» سقط في (ج، د).

(٧) قوله: «المنصور بن» ليس في (ج، د، هـ).

(٨) في (أ، ج، د، هـ): «رجالاً من هَمْدان» وهو في (الأمّ) مطموس وما أثبت عن (ب) لكثرة موافقتها (للأصل).

(٩) في (ج): «بن أبي الفضل» وفي (د): «بن أبي المضل».

فلمّا صار على قرب من عَدَن لقيه الشّيخ بلال بن جرير لقاءً حسناً، وتَرَجَّلَ بين يديه، وسار معه إلى المَنْظَر فأقعده فيه، ثمّ نزل فقعد للنّاس، واستحلف له العسكر جميعاً.

فلمّا كان بعد أيّام أمره أن يتقدَّمَ إلى الدُّمْلُوْة ويحاصر أنيساً ويحيى العامل، ففعل ذلك واستولى على البلاد بأسرها، وأطاعه من كان تحت طاعة أبيه من أهل السَّهْل والجَبَل ببركة بلال ويُمْنِهِ، وزَوَّجَهُ بلالٌ(١) بابنته، وصرف في جِهازِهِ أموالاً جليلات(٢).

وفي أثناء ذلك قدم من مصر الرّشيد أحمد بن عليّ بن الزُّبَيْر برسالةٍ منَ الخليفة بمصر إلى الأمير عليّ بن الدّاعي سبأ بن أبي السُّعود بتقليد الدَّعوة [له](٣)، فوجد عليّاً قد مات، فقلَّدَ الدَّعوة أخاه محمّد بن الدّاعي سبأ بن أبي السُّعود بن زُرَيع بن العبّاس بن مُكَرَّم الهَمْدانيّ(٤)، ونعته بالمُعَظَّم، ووصفَهُ بالمُتَوَّج المكِين، ونَعَتَ وزيرَهُ الشّيخ بلال بن جرير بالشّيخ السّعيد المُوفَّق الرّشيد(٥).

وكان الدّاعي محمّد بن سبأ ملكاً كريماً عادلاً جواداً، وبلغ من جوده أنّه أشاع لكلّ مَنْ قصده أن يكتب حاجتَهُ ويرفعها، فكلُّ رُقْعَةٍ تصل إليه بشيءٍ منَ المال أو الثّياب فإنّه يطلق علامته(٦) عليها كائناً ما كان.

ومدحَهُ جماعةٌ من أعيان الشُّعراء منهم: القاضي الأجلُّ يحيى بن عبد السّلام بن أبي يحيى، وكان(٧) بنو أبي يحيى قضاةَ صنعاء ورؤساءَها وساداتِها وكبراءَها، وكان القاضي يحيى بن عبد السّلام أشعرَ شُعراء عصره؛ ومن شعره في الدّاعي محمّد بن سبأ قوله وقد

---

(١) قوله: «بلال» ليس في (ج).

(٢) ثمة حاشية في (الأم) بها: «ط جليلة» وهي كذلك في (ج، د، هـ).

(٣) بما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

(٤) في (ج): «سبأ بن زريع ونعته» وقوله: «بن العباس ... الهَمْداني» ليس في بقيّة النّسخ.

(٥) في (ج، د، هـ): «السديد».

(٦) قوله: «ويرفعها ... علامته» سقط في (هـ).

(٧) في (الأم): «وكانوا».

عزم إلى ذي جِبْلَة: (من الكامل)

النَّصْرُ مِنْ قُرَناءِ عَزْمِكَ فاعْزِمِ ... والدَّهْرُ مِنْ أُسَراءِ حُكْمِكَ فاحْكُمِ

ومن مُدّاحِهِ الشّريف يحيى بن محمّد بن عليّ الجَيْشي[1]؛ ومن شعره فيه قولُهُ: (من الوافر)

جَلالُكَ أَلْبسَ العِيْدَ الجَلالا ... ومَجْدُكَ فِيْهِ مَجْدُ العِيْدِ طالا[2]

وعِزُّكَ أَكْسَبَ الأَعْيادَ عِزًّا ... تَتِيْهُ بِهِ فَصارَ لَها جَمالا[3]

ومن مُدّاحِهِ الشّيخ الأديب سالم بن عِمْران التَّغْلبيّ[4]؛ ومن شعره فيه قولُهُ: (من الكامل)

هَلْ لِلْفَضائِلِ عَنْ مَدِيْحِكَ مَعْزِلُ ... أَمْ هَلْ لَها مِنْ دُوْنِ بابِكَ مَوْئِلُ؟[5]

شَغَلَتْ صِفاتُكَ أَلْسُنَ الشُّعَراءِ عَنْ ... أَنْ يَنْسِبُوا مَعَها وأَنْ يَتَغَزَّلُوا

ومن مُدّاحِهِ أحمد بن سالم بن ظفر الهَمْدانيّ، ومن شعره فيه قولُهُ: (من الطّويل)

زَمانُكَ أَحْيا مَيِّتاتِ الخَواطِرِ ... وعَصْرُكَ أَبْدَى دائِراتِ الدَّوائِرِ

شَأَوْتَ الكِرامَ السّابِقِيْنَ إلى العُلَى ... فَأَصْبَحْتَ فِيْهِمْ أَوَّلاً غَيْرَ آخِرِ[6] [٤١ب]

ومن مُدّاحِهِ أيضاً دجانة بن محمّد الصّنعانيّ، ومن شعره فيه قولُهُ: (من الكامل)

قَسَماً بِمَجْدِكَ إِنَّهُ لَمَشِيْدُ ... حَقًّا وإِنَّكَ في الزَّمانِ وَحِيْدُ

فَاقْعُدْ بِدَسْتِ المُلْكِ غَيْرَ مُنازَعٍ ... والْبَسْ رِداءَ المَجْدِ فَهْوَ جَدِيْدُ

---

(١) في (أ، ج، د، هـ): «الحسني» وفي (ب): «الحسيني».

(٢) في (ج): «ألبس العز».

(٣) في (ب، هـ): «وعزك ألبس» والبيتان مع السطر الذي يتلوهما سقط في (أ).

(٤) في (د): «التغلبي».

(٥) في (ب): «معدل».

(٦) في (هـ): «سبقت الكرام».

وافخَرْ عَلَى أَهْلِ الزَّمانِ فَإِنَّهُمْ خَوَلٌ وإِنَّكَ فِيهِمُ لَعَمِيدُ

ومن مُدّاحِهِ أيضاً الشّيخ الأديب أحمد بن عليّ المَعافِريّ[1] ومن شعره قولُهُ:

(من الكامل)

شَهِدَتْ بِفَضْلِكَ يَعْرُبُ العَرْباءُ وعَنَتْ لَكَ الأَشْباهُ والنُّظَراءُ[2]

وتَرَفَّعَتْ هِمَمٌ نَراها فِيكَ أَنْ يَأْتِي عَلَى أَوْصافِها الشُّعَراءُ[3]

ومن مُدّاحِهِ الأديب أحمد بن محمّد الخبّاز[4] ومن شعره فيه قولُهُ: (من الطويل)

هِيَ الدّولة الغَرّاءُ والعِزُّ والنَّصْرُ وطِيبُ الثَّنا والفَضْلُ والمَجْدُ والفَخْرُ

لِمَنْ قَوْلُهُ فَصْلٌ وباطِنُهُ حِجًى وظاهِرُهُ يُسْرٌ ونائِلُهُ غَمْرُ[5]

ومنهم الأديب الأوحد وزير الدّولة الهَمْدانيّة عبدُ الله بن عليّ بن أحمد الصَّنعانيّ؛ ومن شعره قولُهُ: (من الكامل)

لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَقُولُ فِيْكَ المادِحُ أَمْ كَيْفَ تُنْصِفُكَ الثَّناءَ مَدائِحُ

تَأْبَى امْتِناعاً أَنْ يَنالَكَ واصِفٌ أَبَداً كما امْتَنَعَ السِّماكُ الرّامِحُ

قال عُمارة[6]: وكان الدّاعي محمّد بن سبأ من كرام الملوك، ومكارمه أكثرُ من أن تُحْصَر، وأَشْهر من أن تُذْكر.

وفي أيّامه توفّي الشّيخ السّعيد بلال بن جرير المحمّديّ، وكانت وفاته سنة سبع وأربعين[7]، والله أعلم.

---

(١) في (أ، هـ): «أحمد بن محمد الخباز».

(٢) في (ج، د): «العرب العرباء». وعَنَتْ: خضعت.

(٣) قوله: «ومن مُداحه أيضاً ... الشعراء» سقط في (هـ).

(٤) في (أ): «ومنهم الأديب ... الصنعاني».

(٥) في (ج، د، هـ): «وظاهره بشر».

(٦) قوله: «عمارة» ليس في (أ)، وانظر في المفيد: (محمود: ١١٠، الأكوع: ١٦١).

(٧) في (أ، ج، د): «خمس وأربعين وخمس مئة، وقيل: في سنة سبع وأربعين وخمس مئة».

ولما توفي الشّيخ السّعيد بلال بن جرير(١) في التّاريخ المذكور استخلف الدّاعي ولدَهُ مُدافِع بن بلال، ثمّ أخاه أبا الفَرَج ياسر بن بلال، فأقام معه بقيّة أيّامه، ثمّ كان معه ولده عمران بن محمّد بن سبأ؛ وكان ياسر بن بلال رجلاً عظيم القدر، ومشهور الذِّكْر، منَ الأَجْواد الأَنْجاد يُثِيب المادحين، ولا يُخَيِّب القاصدين.

ورَدَ عليه عدّةٌ من فضلاء الدّيار المصريّة، فيهم الرّشيد ابن الزّبير، وكان عالماً فاضلاً، والأعزّ(٢) أبو الفتوح بن قَلاقِس اللَّخْميّ الشّاعر المشهور، وامتدحه بقصيدةٍ أوّلها: (من مجزوء الكامل)

سافِرْ إذا حاوَلْتَ أَمْرَا سارَ الهِلالُ فَعادَ بَدْرَا(٣)

وهي مشهورةٌ في ديوانِهِ، فأجازَهُ عليها بألف دينار، ثمّ عاد أبو الفتوح إلى الدّيار المصريّة، فلمّا صار بالقرب من جزيرة دَهْلَك عَصَفَتْ بهم الرّيح، فغرق المركب بما فيه وسَلِمَ بعضُ أهلِهِ، وسلم أبو الفتوح المذكور من جُمْلة مَنْ سلم، فعاد إلى عَدَن فقيراً[٤٢أ] وامتدحَهُ بقصيدةٍ أخرى يقول فيها: (من الطّويل)

وَرَدْنا وقَدْ نادَى السَّماحُ بِنا: رِدُوا، وعُدْنا إلى مَغْناكَ والعَوْدُ أَحْمَدُ(٤)

فعوَّضَهُ عن كثيرٍ ممّا فات له.

قال عُمارة(٥): ولم يكن ياسر بن بلال دون أبيه في حَزْمٍ ولا عَزْم.

ولما كان سنة سبع وأربعين وخمس مئة ابتاعَ الدّاعي محمّد بن سبأ بن أبي السُّعود من السّلطان منصور بن المُفَضَّل بن أبي البركات جميع ما تحت يدِه منَ المَعاقل والحصون

---

(١) قوله: «المحمدي ... بن جرير» سقط في (هـ).

(٢) في (الأم): «الأغر» وهو وَهم.

(٣) في (هـ): «فصار بدرا».

(٤) في (د): «السماح ببادر». والسَّماح والسَّماحة: الجود.

(٥) المفيد: (محمود: ١١٩، الأكوع: ١٦٣.

والمُدُن بمئة ألف دينار؛ فيما قاله الجَنَديّ(١).

وقال عُمارة(٢): كان ذلك في سنة أربع وأربعين، والله أعلم.

وطلع الدّاعي حصن التَّعْكَر المُطِلّ على جِبْلَة يتفرَّجُ فيه، ثمّ طلع حصن حَبّ، وبذل أموالاً جليلة في طريق البِرِّ والمعروف وإجازة الشّعراء.

وتوفّي الدّاعي محمّد بن سبأ سنة ثمانٍ وأربعين وخمس مئة - وقيل: سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين - وكانت وفاته بالدُّمْلُوَة.

وقال محمّد بن مصباح: سمعتُ الطّواشي نظام الدّين مختَصّ يقول: نَبَشَ الزُّنُوج(٣) بالمنصورة - في أيّام الملك المنصور عمر بن عليّ بن رسول - قُبُوراً هنالك فأخرجوا من قبرٍ منها تابوتاً مِنَ أَبِنُوس، ففتحوه عن رجلٍ أصفرَ(٤) اللُّون سالماً مِنَ التّفصيل والتّغيير في خِنْصِرِهِ خاتمٌ من ذهبٍ صغيرٌ. فقلت: أروني إيّاه فطرحوه وأخذوا الخاتم والتّابوت، فأمرت من يشتري له ثوبين مليحين كفّنته فيهما، وأمرت من حفر له قبراً، ودفنته فيه.

فقال له بعضُ أهل الخبرة: إنّه محمّد بن سبأ، والله وأعلم.

ولمّا توفّي الدّاعي محمّد بن سبأ قام(٥) بالأمر بعده ابنُهُ عمران بن محمّد بن سبأ بن أبي السُّعود بن زُرَيْع بن العبّاس بن المُكَرَّم(٦)، فاقتفى طريقة أبيه مع زيادةٍ لائقة، وأخلاقٍ رائقة، وكان كريماً جواداً مِتْلافاً، مدحه القاضي يحيى بقصيدة أوّلها: (من الكامل)

أَيَلُومُ طَيْفَهُمُ عَلَى هِجْرانِهِ صَبٌّ تَجافَى النَّومُ عَنْ أَجْفانِهِ(٧)

---

(١) السّلوك: ٢/٥٠٠.

(٢) المفيد: (محمود: ١٠٤، الأكوع: ١٦٠، وفي المطبوعتين: «... سبع وأربعين».

(٣) في (أ): «الرياح».

(٤) في (ج، هـ): «أشقر».

(٥) في (الأم): «فأقام» وهو خطأ.

(٦) في (الأم، ب، هـ): «... بن أبي الكرم» وفي (ج، د): «... بن أبي العباس بن أبي الكرم»، وما أثبت وهو الصّواب عن (أ) وقد مرّ على الصّواب؛ وانظر الأعلام: ٣/٤٤، ٧٦.

(٧) في (ج، د): «أيلوم طرفهم».

سَلَبُوا كَراهُ عَنْهُ بُخْلاً مِنْهُمُ بِالطَّيْفِ أَنْ يَغْشاهُ في غِشْيانِهِ

حتّى انتهى إلى قوله:

كَرَمُ المُكَرَّمِ يُذْهِلُ المُشْتاقَ عَنْ أَشْواقِهِ والصَّبَّ عَنْ أَوْطانِهِ

كَرَمٌ إذا خُبِّرْتَهُ وخَبِرْتَهُ حَقَّرْتَ قَدْرَ سَماعِهِ لِعِيانِهِ

لَيْس البِحارُ ولا السَّحائِبُ تَدَّعي لِسَماحِهِنَّ الجَرْيَ في مَيْدانِهِ

يَمَّمْتُهُ والدَّهْرُ قَدْ بَلَغَتْ إلى أَقْصَى المَدَى مِنِّي مَدَى حَدثانِهِ(١)

فَأَجازَني مِنْ جَوْهَرٍ مَنْ لا يَرَى أَنَّ النُّجُومَ أَعَزُّ مِنْ جِيْرانِهِ(٢)

لا يَطْمَعُ المِخْلافُ فِيَّ وأَهْلُهُ لا كُنْتُ بَعْدَ اليَوْمِ مِنْ سُكّانِهِ

قَدْ عاوَدَتْ شِعْري الأُلُوفُ جَوائِزاً يا مَنْ يَرَوْنَ البَخْسَ مِنْ أَثْمانِهِ[٤٢ب]

وكان قد أجازه على قصيدةٍ قبل هذه بألف دينار، ثمّ أجاز أيضاً على هذه القصيدة أيضاً بألف أخرى.

ومن جملة ما شاع من كرمه أنّ الأديب أبا بكر بن أحمد العَنَديّ(٣) مدحَهُ بقصيدةٍ اقترحها عليه الدّاعي عمران بن محمّد، فوصف فيها مجلسه وما يجري عليه من الآلات، أوّلها: (من الكامل)

فَلَكٌ مَقامُكَ والنُّجُومُ كَواكِبٌ بِسُعُودِهِ التَّثْلِيْثُ والتَّسْدِيْسُ(٤)

---

(١) في (ج): «جريانه».

(٢) في (ا، ج، د، هـ): «فأجارني من جوره».

(٣) ورد في (الأمّ) من دون إعجام، وقد ترجم عمارة في مفيده (ط الأكوع: ٢٧٩) ترجمةً وافياً، وعنه أخذ الجنديّ في السّلوك (١/٤٢٧)، وذكر الجنديّ أنّه ينسب إلى الأعنود؛ فقال: «...، ومنهم أبو العتيق أبو بكر بن أحمد العنديّ نسباً، الأبيني بلداً من قوم يسمون الأعنود»، وقد اضطرب الاسم على الزّركليّ فناقشه بإطناب؛ انظر الأعلام: ١/٢١٦.

(٤) في (ج، هـ): «والنجوم كؤوس» وفي (د): «ذلك مقامك ... كؤوس».

والبَدْرُ وَجْهُكَ طالِعاً في دَسْتِهِ   لا البَدْرُ أَجْلَى، وَجْهُهُ الحِنْدِيْسُ(١)

وفيها يقول:

يا داعيَ الدِّيْنِ الّذي أَنِسَ العُلَى   في جَنْبِ مَعْنًى مِنْهُ فَهْوَ أَنِيْسُ(٢)

يا أَوْحَدَ العَرَبِ الّذي قَسَمُوا بِها   يَوْمَ التَّفاخُرِ مَجْدُهُ القُدْمُوسُ(٣)

يا مَنْ تَطابَقَ فِعْلُهُ ومَقالُهُ   فَسَما بِهِ التَّطْبِيْقُ والتَّجْنِيْسُ(٤)

حَقٌّ الكَواكِبِ أَنْ تَكُونَ مَدائِحاً   لَكَ والبُرُوجُ صَحائِفٌ وطُرُوسُ(٥)

وهي قصيدةٌ أجاد فيها كلَّ الإجادة.

فسلَّم إليه الدّاعي ولدَهُ أبا السُّعود بن عمران، وقال: وقد أجزتُكَ بهذا، فأقعدَهُ على يمينه، فلم يلبث إلى أن وصل إليه أستاذ الدّار يستأذنُهُ في دخول الولد إلى أهل الدّار، فأذن له في ذلك، فالتفت الدّاعي عمران إلى الأديب وقال له: إذا رغبّوك في بيعه فاستنصف في الثّمن. فلم يلبث إلّا قليلاً حتّى خرج الولد وخادم وفي يدِهِ قدحٌ من فضّة فيه ألف دينار وسبع مئة دينار وخِلْعَة. فقال له الدّاعي: كم سلّموا لك؟ فأعلمه بالمبلغ. فأطلق له مَكْس(٦) مركبٍ بألفَي دينار. ومدحه أبو بكر المذكور بعدّةٍ منَ القصائد الحِسان، منها القصيدة الكافيّة المشهورة(٧): (من الكامل)

حَيّاكِ يا عَدَنُ الحَيَا حَيّاكِ   وجَرَى رِضابُ لَماهُ فَوْقَ لَماكِ

---

(١) في (الأم، ب، هـ): «... وجهك الحنديس» وهو خطأ، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٢) في (أ): «... الذي يسمو لها».

(٣) في (أ): «... الذي يسمو لها» وفي (ج، د، هـ): «يا واحد العرب الذي يسمو بها».

(٤) في (ج): «فلسانه التطبيق ...» وفي (د): «فليأته التطبيق ...» وفي (هـ): «فلنا به التطبيق ...».

(٥) في (أ): «... صفائح ...».

(٦) في (ج، د): «مسك»، محرّفا، والمَكْس: الجِباية.

(٧) قوله: «بعدة من ... المشهورة» سقط في (أ).

وافترّ ثغرُ الرّوْضِ فِيْكِ مُضاحِكاً بالبِشْرِ رَوْنَق ثَغرِكِ الضَّحّاكِ[(١)]
ووَشَتْ حَدائِقُهُ عَلَيْكِ مَطارِفاً فَاخْتالَ في حَبِراتِها عِطْفاكِ[(٢)]
فَلَقَدْ خُصِصْتِ بِفَضْلِ فَضْلٍ أَصْبَحَتْ فِيْهِ القُلُوبُ وهُنَّ مِنْ أَسْراكِ

وفيها يقول:

وعلامَ أَسْتَسْقي الحَيَا لَكِ بَعْدَما ضَمِنَ المُكَرَّمُ بِالنَّدَى سُقْياكِ
وهَمَتْ مَكارِمُهُ عَلَيْكِ فَصافَحَتْ عَنْ كَفِّهِ مَعَنَى الغنى مَغْناكِ
وتَأَرَّجَتْ رَيّاكِ مِسْكاً عِنْدَما عَبِقَتْ بِرَيَّا ذِكْرِهِ رَيّاكِ[(٣)]
فَلْيَهْنِكِ الفَخْرُ الّذي أَحْرَزْتِهِ بِعُلاهُ حَسْبُكِ مَفْخَراً وكَفاكِ
شَرُفَتْ رُباكِ بِهِ فَقَدْ وَدَّتْ لَهُ زُهْرُ الكَواكِبِ أَنَّهُنَّ رُباكِ[(٤)] [١٤٣أ]
مُتَبَوِّئاً سامي حُصُونِكِ طالِعاً فِيْها طُلُوعَ البَدْرِ في الأَفْلاكِ[(٥)]
[فكَأَنَّ بَحْرَكَ جُودُهُ مُتَدَفِّقٌ لو لَمْ تَخُضْهُ سَفائِنُ الأَفْلاكِ][(٦)]
فَالجُوْدُ مُبْتَسِمُ الثُّغُورِ بِبَذْلِهِ أَبَداً، وبَيْتُ المالِ مِنْهُ شاكي
مِنْ دَوْحَةِ الشَّرَفِ الزُّرَيْعِيِّ الّتي رَسَخَتْ بِأَصْلٍ في المَفاخِرِ زاكي

وهي قصيدةٌ طويلةٌ مشهورةٌ منَ القصائد الطَّنّانات المشهورات، ومن مدائحِهِ فيه قولُهُ: (من الكامل)

---

(١) في (هـ): «... الروض فيه مضاحكاً».
(٢) في (ج): «ووشت مطارفه».
(٣) عجز البيت سقط في (هـ).
(٤) في (ج، د، هـ): «... أنها رباك».
(٥) في (ج، د، هـ): «حضرتك».
(٦) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (أ) وهو في (ج، د) باختلاف، ففيها: «فكان ... متدفقاً .... سقا من ...».

ذِكْرُ العُذَيْبِ ومائلاتِ قِبابِهِ وَقَفَ الفُؤادَ على أَلِيْمِ عَذابِهِ(١)

ومَهَبُّ أَنْفاسِ الصَّبا مِنْ جُوْدِهِ فِيْهِ شِفاءُ الصَّبِّ مِنْ أوصابِهِ

فَدَعِ النَّسِيْمَ يَبُثُّ مِنْ أَنْبائِهِ خَبَراً على الزَّفَراتِ رَجْعُ جَوابِهِ

وفيها يقول:

للهِ أَيّامُ العُذَيْبِ وإِنْ ثَنَتْ قَلْبَ المُعَنَّى المُسْتَهامِ لِما بِهِ(٢)

وسَقَى نَدَى كَفِّ المُكَرَّمِ مُلْتَقَى عُقْداتِ أَجْرَعِهِ وشُمِّ هِضابِهِ(٣)

مَلِكٌ لَوِ اسْتَسْقَى الزَّمانُ بِجُوْدِهِ أَغْناهُ عَنْ سُقْيا مُلِثِّ سَحابِهِ

مَلِكٌ أَفاضَ على الزَّمانِ بَهاءَهُ فَأَعادَهُ في عُنْفُوانِ شَبابِهِ

مَلِكٌ يَشِيفُ عَلَيْهِ نُوْرُ كَمالِهِ فَيَكادُ يُلْحَظُ مِنْ وَراءِ حِجابِهِ(٤)

داني مَنالِ الجُوْدِ مِنْ زُوّارِهِ مَجْلٌ يُزِيْلُ المَحْلَ عَنْ طُلّابِهِ(٥)

في كُلِّ أَرْضٍ مِنْ غَرائِبِ ذِكْرِهِ سَفَرٌ تَقَلْقَلُ ناجِياتُ رِكابِهِ

فَكَأَنَّ مُجْتَمَعَ الفَضائِلِ والغِنَى ما بَيْنَ نائِلِهِ وبَيْنَ خِطابِهِ

فَكَفَى بِقَحْطانِ بْنِ هُوْدٍ مَفْخَراً أَنْ أَصْبَحَتْ تُعْزَى إلى أَنْسابِهِ

أَعْلَى مآثِرَها وشَيَّدَ فَخْرَها دُوْنَ المُلُوكِ بِطَعْنِهِ وضِرابِهِ

---

(١) في (ج): «... أليم عقابه».

(٢) في (هـ): «... وإن بلت ... بها به».

(٣) **العُقْدات**: واحدتها العُقْدة، وهي مِنَ المَرعى: الجَنْبَة ما كان فيها من مرعى عام أوّل؛ اللّسان: (رع ي). **والأَجْرَع**: واحد الأجارع، وهو الأرض ذات الحُزُونة؛ اللّسان: (ج ر ع).

(٤) في (د): «فكاد يلحظ ...».

(٥) قوله: «مجل» جاء في (الأمّ) من دون إعجام، وفي (ج، د، هـ): «داني مثال ... ونائ محل المجد ...». **والمَجْل**: غُدْران الماء والبِرَك، **والماجل** كالصُّهريج: الماء الكثير المجتمع؛ العين واللّسان: (م ج ل).

وبَنَى لَهَا بَيْتاً قَواضِبُ بَيْضِهِ عُمُدٌ لَهُ والسُّمْرُ مِنْ أَطْنابِهِ
يَزْدادُ حُسْنُ المَدْحِ فِيْهِ وإِنَّما يَبْدُو جَمالُ الشَّيْءِ مِنْ أَرْبابِهِ

وهي أطولُ ممّا ذكرتُ[1]، ومن شعره فيه أيضاً قولُهُ: (من البسيط)

عادَ الهَوَى في فُؤادي مِثْلَما بَدَأا لَمّا تَعَرَّفْتُ مِنْ أَهْلِ الحِمَى نَبَأا[2]
أَمْلَى على القَلْبِ ضَحّاكاً ومُبْتَسِماً عَنْهُمْ أَحادِيْثَ شَوْقٍ تُطْرِبُ المَلأا[3]
فَبِتُّ أَرْوِي رُبَى خَدَّيَّ مِنْ دِيَمٍ تَزْدادُ غُلَّةُ أَحْشائي بِها ظَمَأا[4]
وما تَقَنَّصَني مِنْهُمْ سِوَى رَشَإٍ أَفْدي بِمُهْجَةِ نَفْسِي ذلكَ الرَّشَأا
مِلْءَ النَّواظِرِ حُسْناً حِيْنَ تَلْحَظُهُ وأَمْلَكُ الحُسْنِ لِلأَلْحاظِ ما مَلأا[٤٣ب]
ما اهْتَزَّ عِطْفُ الصَّبا مِنْ عِطْفِ قامَتِهِ إِلَّا وأَزْرَى بِغُصْنِ البانِ أو هَزَأا
نَشْوانُ تَحْسِبُ صِرْفَ الرّاحِ رِيْقَتَهُ ومَدْحُ داعي الهُدَى أَعْطاهُ فَانْتَشَأا
عِمْرانُ أَكْرَمُ مَنْ جاءَ الزَّمانُ بِهِ فَرْداً وأَشْرَفُ مَنْ في حُجْرِهِ نَشَأا[5]
كَأَنَّ قَحْطانَ قِدْماً كانَ أَوْدَعَ في ضَمائِرِ الفَضْلِ سِرًّا مِنْهُ أو خَبَأا
مَنْ أَوْطَأَتْهُ على كَيْوانَ هِمَّتُهُ لو كانَ يَرْضَى على كَيْوانَ أَنْ يَطَأا[6]
وازْدادَ فَخْراً على ما سادَ والِدُهُ مُحَمَّدٌ وسَبَا في مَجْدِهِ سَبَأا[7]

---

(١) قوله: «وهي أطول مما ذكرت» ليس في (أ).
(٢) قوله: «فؤادي» سقط في (د).
(٣) قوله: «ضحاكاً» سقط في (ج، د، هـ)، وفي (ج، د): «... يعجب الملأ» وفي (هـ): «... تغمر الملأ».
(٤) الغُلّة: شدّة العطش وحرارته.
(٥) عجز البيت مضطرب في (د) وسقط في (هـ).
(٦) كيوان: زُحَل.
(٧) في (ج، د، هـ): «... ما شاد ...».

تناوَلَ الغَرَضَ الأَقْصَى فَأَدْرَكَهُ ... واجْتازَ غاياتِ أَمْلاكِ الوَرَى وشَأَا(١)

أَغَرُّ أَبْلَجُ لو يَسْري بِغُرَّتِهِ ... في فَحْمَةِ اللَّيْلِ بَدْرُ التِّمِّ ما انْطَفَا(٢)

يَزْهُو بِهِ الدَّسْتُ يَوْمَ السِّلْمِ مُبْتَسِماً ... وفي الوَغَى سابِحٌ سامي التَّلِيلِ وَأَى(٣)

كاللَّيْثِ لَيْسَ بِمُخْتارٍ فَرِيْسَتَهُ ... سِيَّانَ ظَبْيُ كِناسٍ عِنْدَهُ ولَأَى(٤)

وهي أيضاً طويلةٌ، ومن شعره فيه أيضاً قولُهُ: (من الكامل)

وافَى الرَّبِيْعُ يَزُفُّ في أَلْوانِهِ ... ما بَيْنَ وَشْيِ رِياضِهِ وجِنانِهِ

وسَرَى يُجَرِّرُ في مَطارِفِ زَهْرِهِ ... أَذْيالَ مُخْضَلِّ النَّدَى رَيَّانِهِ

مُتَوَشِّحاً بِالخُضْرِ مِنْ أَوْراقِهِ ... مُتَرَنِّحاً بِالهِيْفِ مِنْ أَغْصانِهِ(٥)

مُسْتَوْطِناً بِالعَصْبِ مِنْ حِبَراتِهِ ... عَدَناً وإِنْ جَلَّتْ عَنِ اسْتِيْطانِهِ(٦)

أَبْدَى الغَرائِبَ مِنْ بَدائِعِ حُسْنِهِ ... غَرْسٌ تَبَسَّمَ عَنْهُ قَبْلَ أَوانِهِ(٧)

غَرْسٌ تَناهَى في الثَّناءِ مُجاوِزاً ... أَقْصَى مَداهُ ومُنْتَهى إِمْكانِهِ

مَدَّ النَّعِيْمُ عَلَيْهِ فَضْلَ رِدائِهِ ... مُتَكَنِّفاً واليُمْنُ ظِلُّ أَمانِهِ(٨)

واخْتالَتِ الدُّنْيا بِهِ فَكَأَنَّما ... عادَ الشَّبابُ بِهِ إِلى رَيْعانِهِ

---

(١) في (الأمّ، أ، ب): «واختار غايات ...» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٢) في (ج، د، هـ): «أو في اليم ...».

(٣) في (ج، د): «الوغى شامخ». والوَأَى: الحمار الوحشيّ، والأنثى وآةٌ، تشبّه به الفرس وغيره.

(٤) الكِناس والمكْنِس: موئل الوحش من الظّباء والبقر تستكنّ فيه من الحرّ. واللَّأَى: البقرة.

(٥) في (هـ): «متوجاً بالهيف ...».

(٦) في (ج): «مستوطناً بالقضب من حيرانه».

(٧) في (هـ): «اعرض تبسم ...».

(٨) في (الأمّ، ب): «مكفنا» وما أثبت عن (هـ)، و(ج، د): «متكفناً واليُمن».

فَكَأَنَّها عَدَنٌ بِهِ عَدْنٌ خَلا ... رِضْوانَ فِيْها النُّورُ مِنْ رِضْوانِهِ
بَهَرَتْ مَحاسِنُهُ العُقُولَ وصَيَّرَتْ ... أَوصافَها وَقْفاً على اسْتِحْسانِهِ
وتَأَرَّجَتْ مِسْكاً لَطائِمُ جُوْدِهِ ... فَكَأَنَّما دارِيْنَ في أَرْدانِهِ
عَمَّ البَسِيْطَةَ وَصْفُهُ فَكَأَنَّما ... قامَ السَّماعُ بِها مَقامَ عِيانِهِ
وكَأَنَّما إِشْراقُ سُلْطانِ الضُّحَى ... مُتَوَقِّدُ الإِشْراقِ مِنْ سُلْطانِهِ
وسَما بِمَفْخَرِهِ الزَّمانُ تَعاظُماً ... لَمّا اسْتَحَطَّ بِهِ عَظِيْمُ زَمانِهِ
وقَضَى تَقارُنُ نَيِّرَيْهِ بِأَنَّ ذا ... الفَخْرِيَّ صاحِبُ وَقْتِهِ وقِرانِهِ
داعي دُعاةِ هُداهُ سَيْفُ إِمامِهِ ... دُوْنَ المُلُوكِ بِنَصْرِهِ عِمْرانِهِ[١٤٤]
مَلِكٌ تَفَرَّعَ في المَعالي مَنْزِلاً ... ثَبَتَتْ قَواعِدُهُ على كَيْوانِهِ[١]
مُتَجاوِزاً أَقْصَى العُلُوِّ وإِنْ غدا ... في دَسْتِ دارِ العِزِّ مِنْ إِيْوانِهِ
مُتَهَلِّلَ الإِشْراقِ مُنْهَلَّ النَّدَى ... مِنْ سُحْبِ راحَتِهِ وفَيْضِ بَنانِهِ[٢]
وإِذا تَصَرَّفَ كاتِباً أَو خاطِباً ... فَالدَّرْسُ دَرْسُ بَنانِهِ وبَيانِهِ[٣]

وهي أكبر ممّا ذكرتُ.

ومدائحُهُ فيه كثيرةٌ جدًّا، وكان الدّاعي عمران في غايةٍ منَ الجود والكرم، وما أحسن قول عُمارة فيه؛ إذ قال[٤]: لله دَرُّ الدّاعي عمران بن محمّد بن سبأ، ما أَغْزَرَ دِيْمَةَ جُوْدِهِ وأَكْرَمَ نَبْعَةَ عُوْدِهِ[٥].

---

(١) في (ج، د، هـ): «بنيت قواعده ...».
(٢) في (ج): «... منهل الورى» وفي (د): «متهلل الأشواق ...».
(٣) في (ج، د، هـ): «فالدر بين بيانه وبنانه».
(٤) المفيد: (الأكوع: ٢٨٧)، وأخلّ به مطبوع محمود ولكنّه نقله عن حواشي المستشرق كاي عن الخزرجي: ٣٠١.
(٥) في (ج): «وأكرم سعة» وفي (د): «أغور ديمة ...».

قال عُمارة[١]: ولا يكذب مَن قال: إنّ الجُود والوفاء مِلّةٌ[٢] عمرانُ خاتمُها بل خاتمُها.

وتوفّي الدّاعي عمران بن [محمّد بن][٣] سبأ في سنة خمسين[٤] وخمس مئة.

قال الجَنَديّ[٥]: ونقلَهُ الأديب أبو بكر بن محمّد العَنَديّ إلى مكّة المشرّفة، ودفنه في مقابرها.

ومن مآثره الباقية في عَدَن: المِنْبر المنصوب في جامعها، واسمُهُ مكتوبٌ عليه؛ وهو مِنْبرٌ له حلاوةٌ في النّفس وجَلاوةٌ في العين. وتوفّي عن ثلاثةٍ منَ الولد، وهم: منصور بن عمران ومحمّد بن عمران وأبو السُّعود بن عمران وما منهم مَن أدرك الحُلُم قبل وفاة أبيه، فجعل كَفالتهم إلى الأستاذ أبي الدُّرّ جوهر المعظّميّ[٦]، فكانوا عنده في حصن الدُّمْلُوَة.

وكان القائمَ بعَدَن والمدبِّرَ لأمور البلاد ياسر بن بلال بن جرير وليس هو دون أبيه في حَزْمٍ ولا عَزْم، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن قدم السّلطان الملك المُعظّم تُوران شاه بن أيّوب منَ الدِّيار المِصريّة في سنة تسعٍ وستّين وخمس مئة، فاستولى على عَدَن وغيرها منَ اليمن، ولم يبقَ تحت أيديْ بني عمران بن محمّد بن سبأ إلّا الدُّمْلُوَة.

ولـمّا استولى شمسُ الدّولة تُوران شاه بن أيّوب على عَدَن هَرَبَ ياسر بن بلال إلى حصن الدُّمْلُوَة فأقام عند مواليه وعند الأستاذ جوهر المعظّميّ.

فلم تزل الدُّمْلُوَة تحت أيديهم إلى أن باعها الأستاذ أبو الدُّرّ جوهر على سيف الإسلام طُغْتِكِيْن بن أيّوب؛ وسأذكر ذلك في موضعه منَ الكتاب.

---

(١) المفيد: الأكوع: ٢٨٧، وأخلّ به مطبوع محمود.

(٢) قوله: «والوفاء ملة» سقط من (ج، د، هـ).

(٣) ما بين معكوفتين سقطٌ في (الأمّ)، وقد تقدّم على الصّواب.

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «سنة ستين».

(٥) السّلوك: ٢/٥٠٤.

(٦) في (د): «المعطي».

وأمّا ياسر بن بلال: فإنّه أقام في الدُّمْلُوَة أيّاماً ثمّ خرج منها في أيّام شمس الدّولة مُتنكّراً، فدخل عُدَيْنة ومعه مملوكُهُ مفتاح المُلَقّب بالسّداسيّ، فنمَّ عليه إنسانٌ، فقبض عليه وعلى مملوكه مفتاح، وأُعْلِم بهما شمس الدّولة تُوران شاه بن أيّوب، فأمر بقتلهما فقُتِلا معاً، وكان قتلهما في سنة إحدى وسبعين وخمس مئة، وكان ياسر بن بلال آخر وزرائهم.

قال عُمارة[1]: وكان بنو المُكَرَّم - يعني مسعود بن مُكَرَّم الهَمْدانيّ والعبّاس بن مُكَرَّم الهَمْدانيّ، اللّذَينِ ولّاهما أحمد المُكَرَّم بن عليّ الصُّليحيّ عَدَن بعد بني مَعْن [٤٤ب]- يُعرفون ببني الذّيب وهم - بعد بني الصُّليحيّ[2] - أكثرَ العرب في اليمن، والله أعلم.

فهذه أخبارُ ملوك صنعاء وعَدَن مُحَقَّقَة على حُكْم الاختصار، والله أعلم.

---

(١) المفيد: (محمود: ١٠١، الأكوع: ١٥١)، وفي المطبوعتين: «بنو الكرم».

(٢) قوله: «عدن بعد ... بني الصُّليحيّ» سقط في (أ).

البَابُ الخَامِسُ
فِي ذِكْرِ زَبِيدَ وَأُمَرَائِهَا وَمُلُوكِهَا وَوُزَرَائِهَا

وهو خاتمة الأبواب، وبتمامه يتمُّ الكتاب، وفيه اثنا عشر فصلاً

الفصل الأوّل
في ذِكْر اخْتِطاط زَبِيْد وتَمَلُّك بني زياد

قال عليّ بن الحسن[(١)]، قابلَهُ الله بالقَبول: حكى أبو الحسن عُمارة بن أبي الحسن في كتابه (المفيد) المُصَنَّف في أخبار زَبِيْد، عنِ الشّيخ الإمام العالم النَّسّابة أبي الحسن أحمد بن [محمّد بن][(٢)] إبراهيم القُرْتُبيّ الأَشْعريّ، والفقيه أبي منصور نِزار بن عبد الملك المكّيّ - وما منهما إلّا عالمٌ بأيّام النّاس وأخبارهم وأنسابهم وأشعارهم - قال: وقرأت في كتاب (المفيد الكبير) تأليف الملك المكِين نصير الدّين أبي الطّامي جَيّاش بن نَجاح قال[(٣)]: لمّا كان في سنة تسعٍ وتسعين ومئة أُتِيَ إلى المأمون أمير المؤمنين عبد الله بن هارون الرّشيد بقومٍ مِن بني أُمَيَّة بن [عبد][(٤)] شمس فانتسب أحدُهم إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وانتسب آخر إلى سليمان بن هشام[(٥)] بن عبد الملك بن مَرْوان، وانتسب آخر إلى تَغْلِب بن وائل، وزعم أنّ اسمه محمّد بن هارون، قالوا: فبكى المأمون، وقال: وأنّى لي بمحمّد بن هارون - يعني أخاه الأمين- وكان الأمين قد قُتِل في سنة ثمانٍ وتسعين ومئة، وقد تقدَّم ذِكر ذلك في موضعه منَ الكتاب.

ثمّ قال المأمون: أمّا الأُمَويّان فيُقْتلان، وأمّا التَّغْلِبيّ فيُعفى عنه رعايةً لاسمه واسم أبيه، فقال له ابن زياد: والله يا أمير المؤمنين ما نزعنا يداً عن طاعة، وإن كنت تقتلنا على

---

(١) في (الأم): «الحسين» وهو خطأ.
(٢) ما حُفّ بمعكوفتين أخلت به جميع النّسخ؛ انظر الأعلام: ١/٢١٧، ومصادره.
(٣) المفيد: (محمود: ٤٤، الأكوع: ٤٧).
(٤) ما حُفّ بمعكوفتين (أ، ج، د، هـ) وهو الصّواب.
(٥) قوله: «هشام بن» سقط في (ج).

جِنايـاتٍ مِـن بنـي أُمَيَّـة فـيكم، فـإن الله يقولـه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام:١٦٤] فاستحسن المـأمونُ كلامَهُ ثمّ عَفا عنهم(١)، وأضافهم إلى الحسن بن سهل [وقيل: إلى الفضل بن سهل](٢) ذي الرّئاستين.

فلمّا كان في المحرَّم أوّل شهور سنة اثنتين ومئتين وَرَدَ على المأمون كتابُ عامل اليمن بخروج الأشاعر وعَكّ عنِ الطّاعة وهم أجلُّ عَرَبِ تِهامة، فأثنى ابنُ سهل عند المأمون على محمّد بن زياد وعلى المَرْوانيّ والتَّغْلِبيّ، وأَنّهم مِن أعيان الكفاءة، وأشار بتَسْيِيرهم إلى اليمن: ابن زياد أميراً وابن هشام وزيراً، والتَّغْلِبيّ حاكماً ومُفْتياً. فخرجوا في الجيش الّذي جهَّزَهُ المـأمون إلى العراق لحرب إبراهيم بن المهديّ، فحَجّ ابنُ زياد ومَن معه في سنة ثلاث ومئتين، وسار إلى اليمن بعد انقضاء الحَجّ، ففتح تِهامة بعد حروب شديدة جرَتْ بينه وبين عَرَبِ تِهامة المذكورين.

واخْتَطَّ مدينة زَبِيْد، و[كان](٣) اخْتِطاطُها في شعبان، وقيل: يوم الإثنين الرّابع منه، سنة أربع ومئتين، وذلك بعد موت الشّافعي رحمه الله بثلاثة أيّام.

وهي مدينة مُدَوَّرة الشّكل، عجيبة[١٤٥أ] الوَضْع، على النّصف فيما بين البحر والجبل، ومن جنوبيِّها واديها المُسمَّى زَبِيْد المبارك المشهور المخصوص بالبركة لدعاء رسول الله ﷺ فيه بالبركة، فبركتُهُ ظاهرةٌ مشهورة، ليس في اليمن وادٍ أَبْرَكَ منه.

ومِن شماليِّها الوادي رِمَع، وقد شملته البركة بدعاء رسول الله ﷺ بالبركة أيضاً، فهي مدينةٌ بين وادِيَين مُبارَكين.

ومِن شرقيِّها على مسافة نصف يوم الجبالُ الشّامخة والحصونُ الرّاسخة والمعاقل المَنِيعة والمساكن الرَّفيعة.

---

(١) قوله: «ثم عفا عنهم» سقط في (أ).

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

ومن غربيِّها على مسافة نصف يوم البحرُ الزّاخر والسُّفُن المَواخر، والنَّخيل الباسقة، والقصور الرّائقة، فجعلها ابنُ زياد دار ملكِهِ ومستقرَّ إقامته.

فلمّا كان سنة خمس ومئتين: حَجَّ منَ اليمن جعفرٌ مولى ابن زياد بمالٍ كثير وهدايا، وتقدّم إلى العراق فصادَفَ المأمون بها، فأوصل ما عنده منَ الأموال والهدايا والتُّحَف والألطاف؛ فَسُرَّ المأمون بذلك، وسيَّرَهُ المأمون إلى اليمن في سنة ستٍّ ومئتين، وسيَّر معه ألف[1] فارس، فيهم مِن مُسَوِّدة خُراسان سبع مئة.

فعَظُمَ أمرُ ابن زياد، وملك إقليمَ اليمن بأَسْرِهِ: الجبال والتِّهائم، واشترط على عَرَبَ تهامة ألّا يركبوا الخيل، فمَلَكَ ابنُ زياد حضرموت[2] بأسرها والشِّحْر ومِرْباط وأَبْيَن وعَدَن والتِّهائم مِن عَدَن إلى حَلْي بن يعقوب، وبين حَلْي ومكَّة حَرَسَها الله تعالى ثمانية أيام، وملك منَ الجبال الجَنَد وأعمالَها ومِخْلاف جعفر ومِخْلاف المَعافِر وصنعاء وأعمالها، ونَجْران وبَيْحان، والحِجاز بأسره، وقَلَّدَ مولاه جعفراً الجبال.

قال عُمارة[3]: وإليه ينسب مِخْلاف جعفر، وهو الّذي اخْتَطَّ مدينة المُذَيْخِرة بجبل الثُّومان.

قال الجَنَديّ[4]: وهذا غيرُ مُسلَّمٍ له، بلِ الّذي اخْتَطَّ مدينةَ المُذَيْخِرة السّلطان جعفرُ بن إبراهيم بن ذي المثلة[5] المَناخيّ، والمَناخيّون ملوك رَيْمَة وقَياض[6]، وإلى السّلطان جعفر

---

(١) في (ج، هـ): «ألفي فارس» وفي (هـ): «ألفا فارس».

(٢) قوله: «بأسره الجبال ... حضرموت» سقط في (ج).

(٣) المفيد: الأكوع: ٥٤، وأخلّت به مطبوعة محمود، ولكنّه نقله عن حواشي المستشرق كاي عن تاريخ ابن خلدون: ١٨٦.

(٤) السّلوك: ٤٧٨/٢.

(٥) في (ج، د، هـ): «ذي المنار»، وإنّما هو المثلة؛ انظر الإكليل: ١٠٩/٢؛ وفي جمهرة أنساب العرب (٤٣٧): «جعفر بن محمد بن إبراهيم ذي المثلة بن عبد الله بن زُرعة ... بن ذي مناخ بن عبد شمس».

(٦) في (ج، د، هـ): «رفصة وفياض».

يُنسب بِمِخْلاف جعفر لا إلى أحدٍ غيرِه.

ولمّا ملك ابن زياد اليمن واصل الخطبة لبني العبّاس وحمل الأموال العظيمة والهدايا النفيسة، ولم يزل مالكاً لليمن بأسره إلى أن توفّي سنة خمس[١] وأربعين ومئتين.

فلمّا توفّي محمّد بن زياد في التّاريخ المذكور: قام بالأمر بعده ولدُهُ إبراهيم بن محمّد بن زياد، فقام بالأمر أَتَمَّ قيام، ولم يزل مالكاً لليمن سائراً سيرةً حسنة إلى أن توفّي أيضاً، وكانت وفاتُهُ في سنة تسعٍ وثمانين ومئتين.

فلمّا توفّي إبراهيم بن محمّد بن زياد[٥٤ب] في التّاريخ المذكور قام بالأمر بعده ولدُهُ زياد بن إبراهيم بن محمّد بن زياد فلم تَطُلْ مدّتُهُ، ولم أقف على تاريخ وفاته فأذكرها[٢].

فلمّا توفّي قام بالأمر بعده أخوه إسحاقُ بن إبراهيم بن محمّد بن زياد، وهو المُلَقَّب أبو الجيش، فطالت مدّتُهُ في الملك وبلغ فيه نحواً من ثمانين سنة، فَتَشَعَّثَتْ عليه أطرافُ البلاد، وتغلَّبَ عليه كثيرٌ ممّن كان تحت يدِهِ.

فممّن أظهر له ما يَكرهُ صاحبُ صنعاء وهو أسعد بن أبي يُعْفِر إبراهيم بن محمّد بن يُعْفِر بن عبد الرّحيم الحِوالِيّ، ولكنّه كان يخطب لأبي الجيش بن زياد، ويضرب الدّراهم على اسمه، ولم يكنْ يحمل إلى أبي الجيش هديّةً ولا ضريبةً ولا مِيْرة.

وكان مبلغ ارتفاع أموال أسعد بن أبي يُعْفِر لا يزيد على أربع مئة ألف دينار في السّنة، يصرف معظمها في سبيل المروءة لوافِدِيْهِ وقاصِدِيْهِ.

وثار بصَعْدَة الإمامُ الهادي يحيى بن الحسين الرَّسِّيّ وتَغَلَّب عليها.

وامتنع من ملوك تِهامة على أبي الجيش الأميرُ سليمان[٣] بن طرف صاحب عَثَّر، وبلادُه مسيرة سبعة أيّام في عرض يومين - وهي منَ الشَّرْجة إلى حَلْي- ومبلغ ارتفاعه في

(١) قوله: «خمس» سقط (د).

(٢) كذا بجميع النّسخ: «فأذكرها».

(٣) في (هـ): «سلطان بن».

السّنة خمس مئة ألف دينار عُثَّرِيَّة، وكان مع امتناعه عنِ الوصول إلى ابن زياد يخطب له ويضرب السِّكَّة باسمه، ويحمل إليه مبلغاً من المال.

وكذلك الحُرامي صاحب حَلْي يحمل مبلغاً منَ المال إلى ابن زياد في كلّ سنة، ويخطب له، ويضرب السِّكَّة على اسمه، ولا يصل إليه.

ولمّا طعن ابنُ زياد في السِّنِّ امتنع[1] منه منِ امتنع، وبقي في يدِهِ منَ البلاد مِن عَدَن إلى الشَّرْجة - أعني شَرْجَة حَرَض- وذلك نحو من عشرين مرحلة طولاً، ومن غَلافِقَة إلى أعمال صنعاء عرضاً، وذلك نحو خمس مراحل.

وروى عُمارة في كتابه (المفيد) قال[2]: رأيت مبلغَ ارتفاع أعمال ابن زياد بعد تقاصرها، وذلك في سنة ستٍّ وستِّين وثلاث مئة، مِنَ الدّنانير ألف ألف دينار عُثَّرِيّة خارجاً عن ضرائبه على مراكب الهند مِنَ الأَعْواد المختلفة والمِسْك والكافور والسُّنْبُل وما أَشْبَهَ ذلك، وخارجاً عن ضرائب العَنْبَر في السّواحل: من باب المَنْدَب إلى الشِّحْر[3]، وخارجاً عن ضرائبه على معادن اللُّؤْلُؤ، وعن ضرائبه على جزيرة دَهْلَك وهي خمس مئة وَصِيف وخمس مئة وَصِيفة مِنَ النّوبة والحَبَش.

وكانت وفاة الأمير أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمّد بن زياد في سنة إحدى وتسعين[4] وثلاث مئة، وخلّف ولداً اسمه عبد الله - وقيل: زياد، وقيل: إبراهيم - فتولّت كَفالتَهُ أختُهُ بنتٌ لأبي الجيش اسمها هند، وعبدٌ لأبي الجيش حبشيّ اسمه رشيد.

فلم تَطُلْ مدّة رشيد وهلك عن قريب، وكان له مولَّدٌ من مولَّدي النّوبة، اسمه حسين بن سَلامة -وهي أُمُّهُ- وكان حازماً عفيفاً شَهماً، حَسَنَ السِّيرة[٤٦أ]، وكان قد

---

(١) في (الأم): «وامتنع».
(٢) المفيد: (محمود: ٤٩، الأكوع: ٦٠).
(٣) قوله: «وخارجاً عن ضرائب ... الشحر» سقط في (أ).
(٤) في (ج): «إحدى وسبعين».

رأس في حياة سيِّدِهِ رشيد واستولى على أموره كلِّها، فلما مات سيِّدُهُ قام مقامَهُ وذَبَّ عن ملك مواليه، ووَزَرَ لولد أبي الجيش ولأخته هند بنت أبي الجيش، وكانتِ الدّولة قد تَضَعْضَعَتْ وتغلَّب وُلاةُ الأطراف والحصون على ما تحت أيديهم.

فلم يزل الحسين بن سَلامة يغزو المُتَغَلِّبين مِن ولاة الأطراف وأصحاب الحصون حتّى دانوا له، وحملوا الإتاوة ودخلوا تحت الطّاعة، واسْتَوْسَق(١) له الأمر، ولم يبقَ عليه مدينةٌ ولا حصن في اليمن إلّا استولى عليه، واستناب فيه مَنْ يَرْضاهُ، وعادت مملكة ابن زياد الأولى.

وهو الّذي اخْتَطَّ مدينة الكَدْراء على وادي سَهام، ومدينة المَعْقِر على وادي ذُؤال وتَزَيّا بالعَدْل، وكان حَسَنَ السِّيرة محسناً إلى الرَّعيَّة، كثير البِرّ والصّدقات، وفِعْل الخير، واعتمد سيرة عمر بن(٢) عبد العزيز في السُّلُوك، وهو الّذي بنى الجوامع الكبار والمَنائر الطِّوال في المُدُن، وحفر الآبار الرَّوِيّة، والقُلُب العاديّة، وعمل المَصانع، وبنى الأميال والفَراسخ والبُرُد في الطُّرُقات، ومبتدأ عِمارته من حضرموت إلى مكّة وذلك نحوٌ من ستّين مرحلةً في كلِّ مرحلة جامعٌ ومِئْذَنَةٌ وبئر، وجَدَّدَ عِمارة الجامع بعَدَن، وهو من عِمارة عمر بن عبد العزيز، وعَمَر مسجد الجَنَد المشهور.

قال عُمارة(٣): وهو مثل جامع أحمد بن طُولُون بمِصْر، وكان [مسجداً](٤) لطيفاً أوّل مَنْ بناه معاذُ بن جبل الأَنْصاريّ ﷺ صاحب رسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن، وأهل الجَنَد وما حولها مِنَ القرى يَرْوون في فضل هذا المسجد أخباراً كثيرةً عن رسول الله ﷺ: أنّ زيارتَهُ في أوّل جمعة من رجب تعدِلُ بعُمْرَة، أو قالوا: حجّة.

---

(١) في (د): «استوثق» وكلاهما بمعنى واحد.

(٢) في (ج): «عمر بن هند بن عبد العزيز».

(٣) المفيد: (محمود: ٥٠، الأكوع: ٧١).

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

فائدة:

روى أبو سعيد الفضل بن محمّد بن إبراهيم بن المُفَضَّل بن سعيد بن الفقيه عامر بن شَراحِيل[1] الشَّعبيّ، قال: حدّثنا صامت بن معاذ الجَنَديّ، حدّثنا المُثَنَّى بن الصّباح، عن عمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جدِّه: أنّ النَّبيّ ﷺ قال: «تُشَدُّ الرِّحال إلى[2] أربعة مساجد: المسجد الحَرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى، ومسجد الجَنَد»[3].

فائدة:

قال الحافظ ابن مسيرة[4]: ليس في رُواتِهِ[5] كَذّاب ولا مَتْروك، وكان بعض الفقهاء يقول: لا ينبغي ردّ هذا الخبر.

قال عُمارة[6]: ولحسين بن سَلامة من طريق مكّة العُلْيا عدّة مآثر، منها: جامع الجُوَّة، ثمّ مسجد الجَنَد المذكور أيضاً، ثمّ ذي أَشْرِق[7]، ثمّ إبّ[8]، ثمّ النَّقِيْل، ثمّ ذَمار، ثمّ ما بين ذَمار وصنعاء مسافة خمسة أيّام في كلِّ مرحلة منها بناءٌ، ثمّ جامع صنعاء -وهو جامعٌ عظيم- ثمّ من صنعاء إلى صَعْدَة عشرة أيّام في كلّ مرحلة من ذلك جامعٌ، ثمّ من صَعْدَة إلى الطّائف في كلّ [٤٦ب] مرحلةٍ من ذلك جامعٌ، ثمّ عقبة الطّائف و[هي][9] مسيرة يومٍ

---

(١) في جميع النّسخ: «شرحبيل» مصحّفاً، والصّواب «شراحيل»؛ انظر الإكليل: ٢/٢٩٧، والأعلام: ٣/٢٥١.

(٢) في (ب): «لا تشد الرحال إلا إلى ...».

(٣) صحيح البخاري: ١/٣٩٨، ورقمه: ١١٣٢، وصحيح مسلم: ٢/١٠١٤، ورقمه: ١٣٩٧، من دون قوله: «ومسجد الجند».

(٤) في (أ، هـ): «ابن أبي مسيرة» وفي (ج) غير واضح الرسم، وفي (د): «بن أبي يسرة».

(٥) قوله: «رواته» سقط في (ج)، وفي (د): «روايته».

(٦) المفيد: (محمود: ٥٠-٥١، الأكوع: ٧٠).

(٧) قوله: «ثم ذي أشرق» سقط في (ب).

(٨) في (الأم، أ): «ثم ان».

(٩) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ) وفي (ب): «وهو».

للطّالع مِن مكّة ونصف يوم للهابط إلى مكّة، عمرها حسين بن سلامة عِمارةً مُتقنةً، يمشي في عرضها ثلاثة أجْمال[١] بأحمالها، فهذه الطّريق العُلْيا.

وأمّا طريق تِهامة فإنّها تفترق طريقين: ساحليّة ووُسْطى، وهي الحازّة[٢] السّلطانيّة وفي كلّ مرحلةٍ منَ الطّريقين الوسطى والسّاحليّة جامعٌ وبئر، فمنَ السّاحليّة: المَخْنَق -وهي على ليلةٍ من عَدَن- له فيها بئرٌ طولها ثلاثون[٣] باعاً، وجامع المَشْهد، ثمّ العارَة[٤]، ثمّ عَبْرَة[٥]، ثمّ السُّقْيا جامعٌ وبئر طولها أربعون باعاً، ثم باب المَنْدَب، ثمّ المُخا[٦]، ثمّ السُّحاريّ، ثمّ الخَوِهَة، ثمّ الأَهْواب، ثم غَلافِقَة، ثمّ نَبْعَة[٧]، ثمّ الحِرْدَة، ثمّ الزرعة، ثمّ الشَّرْجَة، ثمّ المفحر[٨]، ثمّ القيديرية[٩]، [ثمّ عَثَّر][١٠]، ثمّ بَيْض[١١]، ثمّ الدّومة، ثمّ حَمِضَة، ثمّ ذَهْبان، ثمّ حَلْي، ثمّ السِّرَّين، ثمّ جُدَّة، فهذه سائر السّواحل.

وأمّا الطّريق الوسطى: فذاتِ الحبيب[١٢]، ثمّ مَوْزَع، ثمّ الحدون، ثمّ حَيْس، ثمّ زَبِيْد، ثمّ فَشال، ثمّ الضِّجاع[١٣] -بكسر الضّاد المعجمة- ثمّ القَحْمَة، ثمّ الكَدْراء، ثمّ المَهْجَم،

---

(١) في (د): «جمال».

(٢) في (أ): «الحان» وفي (ج): «الحادة» وفي (د، هـ): «الجادة».

(٣) في (ج): «أربعون».

(٤) في (هـ): «الغارة».

(٥) في (الأمّ، ب): «عبرة» وبهامش (الأمّ): «ط عميرة»، وما أثبت عن (ج، د، هـ)؛ انظر: صفة جزيرة العرب: ١٨٨.

(٦) المُخا: بضمّ الميم ثمّ خاء معجمة بعدها ألف؛ انظر صفة جزيرة العرب: ٧٤، ١١٩، وذُكرت فيه الصفحة (٨٧) بفتح الميم أيضاً على أنها قرية عظيمة، وفي معجم البلدان: ٥/٦٧: بفتح الميم.

(٧) في (ج، د): «منعة» وفي (هـ): «المنعة».

(٨) في (ج، د): «المقحر».

(٩) في (ج): «القيدرية».

(١٠) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(١١) في (ج): «ابن أبيض» وفي (د): «ابن بيض».

(١٢) في (أ): «الخبيب» وفي (هـ): «الخبيت».

(١٣) في (أ، ج، د، هـ): «الضحاك».

ثمّ مَوْر، ثمّ الواديان، ثمّ جَيْزان، ثمّ السّاعد، ثمّ تَعْشَر، ثمّ المبني، ثم رُباح[1]، ثمّ الهُجَيْرة[2]، ثمّ تلقى طريق بالسّاحلية ويفترقان منَ السَّرَّين، وبينهما وبين مكّة خمسة أيّام، فأوّل ما تلقى من عِمارته بئر الرّياضة، ثمّ سجة الغُراب، ثمّ الخَبْت[3]، ثمّ يردُ النّاس وادي يَلَمْلَم، وهو مِيْقات أهل اليمن وبه بئرٌ من عِمارته، ثمّ بئر آدام[4] -وهي بئر رَوِيَّة طولها عشرة أبواع وعرضها خمسة أبواع- ثمّ تفترق الطّريق، فمَن أراد مكّة ورد مِن عِمارته بئر البيضاء ثمّ القَرِين، ثمّ مكّة، ومن أراد عَرَفات وَرَدَ من عِمارته بئرَ الوادي الرَّحْمة[5]، ثمّ نَعْمان، ثمّ عَرَفات، وله مسجدٌ على جبل الرَّحْمة بعَرَفات.

وكان حَسَنَ السِّيرة، صالح السَّرِيرة.

ويُروى: أنّه خرج من مدينة زَبِيْد يُرِيد الكَدْراء فتَظَلَّمَ إليه إنسانٌ من أهل مَوْر، وزعم أنّه سُرِقَتْ له عَيْبَةٌ فيها ألف دينار [في وادي مَوْر][6] -أو قال: ألفا دينار- فأجلسه مع خَواصِّهِ، وقام إلى الصّلاة فأطالها، ثمّ نام في المِحْراب ساعةً، ثمّ انتبه.

قال الرّاويّ: فسمعته يقول لرجلٍ مِن قوّادِهِ: امْضِ مع هذا إلى القرية الفلانيّة على السّاحل فخُذْ ماله من فلان بن فلان من غير أن تؤذيَهُ، فإنّ رسول الله ﷺ شفع إليَّ فيه في النّوم، وأخبرني أنّه ينتسب إليه، وهو ﷺ الّذي عرّفني صورةَ الحال.

وأخبار الحسين بن سلامة في اليمن مجلّدات - بل مخلّدات[7] - وكلّ ملكُهُ نحوٌ من ثلاثين سنة.

---

(١) في جميع النسخ خلا (أ) من دون إعجام، والضّبط عن المستبصر: ٢٤٣.

(٢) في (أ، ج، د): «الهجرة».

(٣) قوله: «ثم الخبت» سقط في (ب) وفي (أ): «ثم الحبث».

(٤) في (د): «بئر البيضاء».

(٥) في (د): «بئر وادي الرحمة».

(٦) العَيْبة: كالبَدْرة، وتُجمع على عِيَب. وما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ)

(٧) في (أ): «مجلداً بل مجلدات» وفي (ج): «مجلدان بل مجلدات» وفي (د): «مخلدات بل مخلدات».

وتوفِّي سنة اثنتين وأربع مئة، وقيل: سنة ثلاث وأربع مئة، قاله الجَنَديّ(١)، والله أعلم.

وهو أوّل من أدار سُوراً على مدينة زَبِيْد، حُكي ذلك في كتاب (المستبصر) نصًّا(٢)، وفي غيره مفهوماً، ثمّ أدار عليها سُوراً آخر الوزيرُ أبو منصور مَنّ الله الفاتكي في سنة بِضْعٍ وعشرين وخمس مئة - وسيأتي ذِكْرُهُ في موضعه منَ الكتاب - ثمّ بُنيَ السُّور الثّالث[١٤٧أ] في أيّام بني المهديّ، ثمّ بَنَى السُّورَ الرّابع سيفُ الإسلام طُغْتِكِيْن بن أيّوب.

ولها أربعة أبواب: باب المشرق وهو المُسمَّى بباب الشَّبارِق ينفذ إلى الشَّبارِق، وهي قرية مِن قُرَى وادي زَبِيْد، ثمّ إلى حصن قَوارِير وغيره.

وباب إلى المغرب وهو الّذي يُسمَّى الآن باب النَّخيل(٣)، وكان من قبل يُسمَّى باب غَلافِقَة وإلى الأَهْواب وغَلافِقَة على ساحل البحر، كانت بَنْدَر مدينة زَبِيْد، وهي قرية عظيمة مشهورة قد خَرِبَتِ الآن، وانتقل البَنْدَر إلى قرية الأَهْواب. والبَنْدَر اليوم يُسمَّى البُقْعَة.

وباب إلى الجهة الشَّماليّة وهو المُسمَّى باب سَهام ينفذ إلى وادي رِمَع، ثمّ إلى وادي سَهام، وهو وجه المدينة وعمرتها(٤).

وباب إلى الجهة الجنوبيّة، وهو المُسمَّى باب القُرْتُب ينفذ إلى وادي زَبِيْد، ثمّ إلى قرية القُرْتُب، وهي قرية من قرى الوادي زَبِيْد مشهورة هنالك، وكلّ بناء السُّور المذكور باللَّبِْن والطِّيْن؛ وأبوابه وشَرانِيْفُهُ بالآجُرّ في الهواء نحوٌ من عشرة أذرع.

وقال في كتاب (المستبصر) - قال ابن المجاور -(٥): عددتُ أبراج مدينة زَبِيْد

(١) السلوك: ٢/٤٨٣.

(٢) المستبصر: ٧٣.

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «باب النخل».

(٤) في (ج، د، هـ): «وغرتها».

(٥) المستبصر: ٧٤، وفيه: «... وتسعة أبراج ...».

فوجدتُها مئةَ برجٍ وسبعةَ أبراج، بين كلِّ برج وبرج ثمانون ذراعاً.

قال: ويدخل في [كلّ][١] برجٍ عشرون ذراعاً، فيكون دَوْرُ البلد عشرةَ آلاف ذراعٍ وتسعَ مئة ذراع، والله أعلم.

قال عليّ بن الحسن[٢] الخَزْرَجيّ، قابلَهُ الله بجوده وكرمه ومزيده: إنّ هذا الّذي ذكره ابن المُجاور غيرُ صحيح - فإنَّ مساحتَها، على ما ذَكَرَ، تسعُ مئة معادٍ وخمسةٌ وأربعون مَعاداً ونحوٌ من ثلث مَعاد، والله أعلم - لأنّها مُسِحَت في أيّام السّلطان الملك المجاهد في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة فجاءت ستَّ مئة مَعادٍ وثلاثين[٣] مَعاداً ونصف مَعادٍ وثُمْن معاد، سمعتُ ذلك ممّن أثقُ بِهِ.

قال المصنف أيّدَهُ الله: ثمّ مُسِحَت زَبِيْد في الدّولة الأفضليّة وذلك في سنة سبع وستّين وسبع مئة، وكان السّلطان الملك الأفضل رحمه الله يومئذٍ يُعمر دار الدِّيْباج في ثَعَبات، وكان السّلطان رحمه الله كثير المُباشرة للعِمارة، وكنت يومئذٍ أشتغل في الدّار المذكور من جملة المُزَخْرِفين، فباشر السّلطان الأفضل رحمه الله العِمارة في يوم منَ الأيّام، ووقف في المجلس الّذي كنّا فيه نشتغل يومئذٍ، فذكر بعض الحاضرين من جلسائه يومئذٍ عُلُوَّ هِمَّة الملك المجاهد رحمه الله، وما أبقى منَ المآثر، وأنّه الّذي مدن ثَعَبات واتّخذها مسكناً، وبنى فيها جامعاً وأدار عليها سُوراً، وجعل لها أبواباً وأَبْراجاً وحُرّاساً، وجَعَلَ على الأبواب بوّابِين وحُرّاساً كمدينة زَبِيْد. [وأَفْرَطَ المتحدِّثُ بذلك حتّى قال: وهي أكبر من مدينة زَبِيْد][٤] فناقَضَهُ بعض الحاضرين حينئذٍ، فقال: زَبِيْد أكبرُ وأوسع، ولا مناسبة بينهما، فأمر السّلطان الملك الأفضل رحمه الله حينئذٍ مَنْ مَسَحَ ثَعَبات في يومه ذلك، وأرسل إلى والي زَبِيْد

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين يتطلّبه السّياق.

(٢) في (الأم): «الحسين» وهو خطأ.

(٣) في (ج): «وست وثلاثين ...».

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

لفَوْرِهِ يأمره بمِساحة مدينة[٤٧ب] زَبِيْد فمُسِحَت، وكان الّذي تولّى مِساحتها يومئذٍ الفقيهُ محمّد بن عبد الرّحمن بن السَّرّاج المعروف بابن يَزِيْدة[١]، والفقيهُ جمال الدّين محمّد بن أبي بكر الغراس، وكانا يومئذٍ أَبْرَعَ أهل زَبِيْد في هذا الفنّ، فجاءت مِساحة زَبِيْد يومئذٍ ستَّ مئة مَعادٍ وأربعة وعشرين مَعاداً ونصفاً، وذلك من غير اختبار[٢]؛ وهذا كُلُّهُ أَقْرَبُ إلى الصّواب ممّا قاله ابنُ المجاور، والله أعلم.

وقال في كتاب (المستبصر)[٣]: أدار سيفُ الإسلام حول السُّور سُوراً آخر، فأمر الجُنْد أن يسكنوا فيما بين السُّورين بدُوْرِهم[٤] وأولادهم، فلمّا فرغ منَ السُّور الأوّل توفّي قبل أن يشرع في السُّور الثّاني، والله أعلم.

ولمّا مات الحسين بن سلامة في التّاريخ المذكور ومات القائم من بني زياد انتقل الأمر بعد ذلك إلى طفلٍ من بني زياد.

قال عُمارة[٥]: وأظنُّ اسمه عبد الله، وكفلتْهُ عَمّةٌ له وعبدٌ أستاذٌ حبشيّ اسمه مُرْجان، وهو من عَبِيد حسين بن سلامة، فاستقرَّتِ الوِزارة لمُرْجان، وكان لمُرْجان عَبْدان منَ الحبشة فَحْلانِ رَبّاهما في الصِّغَر وولّاهما الأمور في الكِبَر؛ يُسمَّى أحدهما نفيساً وهو الّذي يتولّى التّدبير بالحَضْرة، والعبد الثّاني يُسمّى نجاحاً وكان يتولّى أعمال الكَدْراء والمَهْجَم ومَوْر وبَيْش، وهذه الأعمال الأربعة جُلُّ الأعمال الشّاميّة عن[٦] زَبِيْد.

فوقع التّنافس بين نفيس ونجاح عَبْدَي مُرْجان على وِزارة الحَضْرَة، وكان نفيس

---

(١) في (أ): «بابن يزيد» وفي (ج، د، ه): «بأبي يزيد».

(٢) الكلمة في (الأمّ) غير معجمة الحرف ما قبل الألف، وفي (أ، ب): «اختبار» وفي (ج، د): «اختيار».

(٣) المستبصر: ٧٤.

(٤) في (ج): «بدوابهم» وفي (د): «بدابهم»، وفي المستبصر: «بدوابهم وأموالهم».

(٥) المفيد: (محمود: ٥٤، الأكوع: ٧٨).

(٦) في (أ): «الشمالية عن» وفي (ج، د، ه): «الشامية غير».

ظَلُوماً غَشُوماً [مرهوباً][(١)]، وكان نجاح رؤوفاً رحيماً، عادلاً في الرَّعايا، محبوباً إليهم، وكان مُرْجان مولاهما يُفَضِّل نفيساً على نجاح، وكان ابنُ زياد وعمَّتُهُ يُفَضِّلان نجاحاً على نفيس، فعلم نفيسٌ أنّ ابنَ زياد وعمّته يُكاتبان نجاحاً ويُفَضِّلانِهِ عليه، فشكا من فِعْلِهما إلى سيِّدِهِ مُرْجان، فقَبَضَ عليهما ودفعهما إلى نفيس [فأخذهما نفيس][(٢)] وبنى عليهما جداراً، وهما قائمان يُناشدانِهِ الله عزَّ وجلَّ حتَّى خَتَمَهُ عليهما، فكان آخر العهد بهما، وذلك في سنة سبع وأربع مئة.

وكان نجاحٌ يومئذٍ غائباً بالأعمال الشَّماليّة[(٣)] عن زَبِيْد، فكان هذا الولد من بني زياد وعمّته آخرَ مَنْ وَلِي من بني زياد، وكان مدّتهم في اليمن مئتي سنة وثلاثَ سنين، وذلك من[(٤)] سنة أربع ومئتين - وهو تاريخ اخْتِطاط مدينة زَبِيْد - إلى سنة سبعٍ وأربع مئة، والله أعلم.

وقد كان بنو زياد لـمّا علموا باختلاف[(٥)] الدّولة العبّاسيّة: مِن قَتْل المتوكِّل وخَلْع المستعين، تَغَلَّبوا على ارتفاع اليمن، وركبوا بالمِظَلَّة، وساسوا قلوَب الرَّعايا ببقاء الخطبة لبني العبّاس، ولم يزالوا[(٦)] [١٤٨أ] [على ذلك إلى التّاريخ المذكور، والله أعلم.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د).

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) في (ج، د، هـ): «الشامية».

(٤) في (الأمّ): «وذلك من» وهو خطأ.

(٥) في (ج، د، هـ): «باختلال».

(٦) ثمّة سقط بـ(الأمّ) بقدر ورقة تامة وقد رمّ عن (ب) لموافقتها (الأمّ) إلا قليلاً.

الفصل الثّاني
في ذِكْر ملوك الحَبَشة باليمن من آل نَجاح

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ، قابله الله بالقَبول: ولمّا قَتَلَ مولاهُ[(١)] نفيسٌ -كما ذكرنا- تملَّكَ وركب بالمِظَلَّة وضرب السِّكّة على اسمه، فنما الخبر إلى نَجاح بما فعل نفيسٌ، فاستنفر الأحمرَ والأسودَ منَ النّاس، وتجرَّدَ لحرب نفيسٍ وقتالِهِ، وقصده إلى زَبِيْد في جموعٍ عظيمة، وجمع نفيسٌ أيضاً جموعاً أُخر، وحصلت بينهما عدّة وقائع، منها: يوم رِمَع ويوم فَشال، وهما على نجاح، ومنها: يوم العُقْدة وهو على نفيس، ومنها: يوم العِرْق وفيه قُتِلَ نفيس على باب زَبِيْد، وقُتِلَ منَ الفريقين نحوٌ من خمسة آلاف، وفتح نجاح زَبِيْد، وذلك في شهر ذي القِعْدة من سنة اثنتَي عشرة وأربع مئة.

فلما افتتح نجاح زَبِيْد[(٢)] قبِضَ على سيِّدِهِ مُرْجان، وقال له: ما فعلت بمواليك[(٣)] وموالينا؟ قال: هما في هذا المكان فأخرجهما نجاح [وجهَّزهما][(٤)] وصلَّى عليهما، وبنى عليهما في العِرْق، وجعل مُرْجانَ موضعَهما فبنى عليه حيًّا، وأمر مَن أحضر جثّة نفيس فجُعِلت عند مُرْجان، وبنى عليهما ذلك الجدار حتّى خَتَمَهُ.

واستولى على البلاد منَ التّاريخ المذكور، وركب بالمِظَلّة، وضُرِبتِ الدّراهم باسمه، وكاتب أهل العراق وبذل الطّاعة لهم، ونُعِت بالمؤيّد[(٥)] نصير الدّين، وفُوِّض إليه النّظر

---

(١) أي مولى نجاح، كما سلف ذكره.

(٢) قوله: «وذلك في شهر ... نجاح زبيد» سقط (أ).

(٣) كرر في (الأمّ ب) كلمة: «بمواليك».

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين سقط عن (ج، د، هـ).

(٥) في (الأمّ ب): «وبعث بالمريد»، وما أثبت عن (ج، هـ) وفي (أ): «وبعث بالمؤيد» مصحّفاً، وفي (د): «ولقب».

العامّ في الجزيرة اليمنيّة، وتقليد القضاء لمن يَراه أهلاً لذلك.

ولم يزل نجاح مالكاً لتِهامة وقاهراً لأكثر أهل الجبل(١)، وخُوطِب وكُوتِب بمولانا وبالمَلِك، وكان حَبَشيًّا مَلْقوطاً من جنسٍ يُقال لهم: الجُزَل - والنِّسبة إليهم جُزَليّ - فضَبط تِهامة ضبطاً كليًّا، وهابَتْهُ الملوك وهادنَتْه(٢)، وتغلَّب(٣) ولاةُ الجبالِ وأهل الحصون على ما تحت أيديهم من ذلك، فتغلَّبت هَمْدان على صنعاء كما ذكرنا أوّلاً، وتغلَّب بنو مَعْن على عَدَن ولَحْج وأَبْيَن والشِّحْر وحضرموت؛ وليسوا مِن ولد مَعْن بن زائدة الشَّيْباني.

وتَغَلَّبَ بنو الكِرَنْديّ، وهم قومٌ من حِمْير، على السَّمَدان وهو حصن عظيم الخَطَر، وعلى حصن السَّواء(٤) وحصن الدُّمْلُؤة وحصن صَبِر وحصن ذَخِر، وحصن التَّعْكَر، وهو الحاكم على الجَنَد ومِخْلاف جعفر، ومِخْلاف عَنَّة(٥)، ومِخْلاف المَعافِر.

قال عُمارة(٦): ولبني الكِرَنْديّ سلطنةٌ ظاهرةٌ ودولةٌ قاهرة(٧)، وتغلَّبَ أبو عبد الله الحسين بن النَّبَعيّ(٨) على حصن حَبّ، وهو نظير التَّعْكَر وخَدِد، وعلى عَزّان وخَدِد وبيت عِزّ، وحصن الشَّعِر، وحصن [أنور] والنَّقِيل(٩)، والسَّحُول والشَّوافي.

---

(١) في (أ): «الجبال».

(٢) في بقيّة النّسخ: «وهادته».

(٣) في (ج): «وتغلب عليه ...».

(٤) في (الأمّ، ب): «الشوا» بالشين المعجمة، وما أثبت عن بقيّة النّسخ؛ وانظر معجم البلدان: ٣/ ٢٧٠.

(٥) عَنَّة: بفتح العين المهملة والنّون المشدّدة وآخره هاء تأنيث، كذا ضبطه الشَّرْجي ضبط عبارة في طبقات الخواص: ٣٦٥، على أنّ ياقوتاً الحَمَويّ ضبطه بضمّ أوّله؛ معجم البلدان: ٤/ ١٦٣.

(٦) المفيد: (محمود: ٥٧، الأكوع: ٨١).

(٧) في (الأمّ ب): «ودولة القاهرة»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٨) في المستبصر: (٧٣): «التبعي».

(٩) في (الأمّ ب): «أبو النقيل» وما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (هـ) ففيها: «أنود»، وإنّما هو «أنور» آخره راء مهملة؛ انظر معجم البلدان: ١/ ٢٧٣.

وتغلَّب بنو وائل بن عيسى على وُحاظَة [وحصونها][(١)]: بَرَيْش[(٢)] ودَهْران[(٣)] ويَفُوز وشعب وعَزّان والخضراء.

وبنو وائل هؤلاء [من][(٤)] ذي الكَلاع ولهم دولةٌ متأصّلة، وفيهم[(٥)] حَماقة [٤٨ب/عن ب ٣٩ب] يرون أنّهم أشرف بني آدم على الإطلاق.

ومن بني وائل هؤلاء: أسعد بن وائل صاحب الكرم العريض والثّناءُ المستفيض، وكان رجلاً [صالحاً][(٦)]، يُؤْثر مذهبَ السُّنّة على غيره، ويُؤْثر[(٧)] القُرّاء والعُبّاد، ويؤثر عِمارة المسجد، ويُعَظِّم السَّلَف، ويَقْتدي بأخبارهم، وكان سليماً منَ البِدْعة.

وتوفّي مقتولاً سنة خمسَ عشرةَ وخمس مئة، وقبرُهُ في جامع الجَعاميّ.

وتغلَّب على حصن أَشْيَح - وهو مقرُّ مُلْك الدّاعي [سبأ][(٨)] بن أحمد الصُّليحيّ - وعلى حصن ظُفَّر وعلى مَخاليف صَعْدَة وحصونها= قومٌ من أهل هَمْدان، ثمّ من بَكِيل.

وتغلَّبَ عليّ بن محمّد الصُّليحيّ صاحب الدّعوة على مَسار، وليس في اليمن حصنٌ يماثلُهُ إلّا التَّعْكَر، وحَبَّ والسَّمَدان.

وفي أيّام نَجاح [ثار الصُّليحيّ][(٩)] في حصن مَسار، وتغلَّب عليُّ بن محمّد الصُّليحيّ على صنعاء وأعمالها، وقد تقدَّم تاريخ قيامِهِ وانتشار دعوته في الباب السّابق قبل هذا.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

(٢) في (ج): «بريس»، وإنّما هو بالشّين المعجمة آخره؛ صفة جزيرة العرب: ١٠٦، ١٠٧، ومعجم البلدان: ١/٤٠٦.

(٣) في جميع النّسخ: «زهران»، والصّواب «دَهْران»؛ انظر معجم البلدان: ٢/٤٩١، والسّلوك: ٤/٤٨٤، والأنساب للسّمعاني: ٥/٤٢٢.

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

(٥) في (الأمّ ب): «ولهم منا وفيهم» وفي (أ): «ولهم منا ملة وفيهم».

(٦) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

(٧) في بقيّة النّسخ: «ويصحب القُراء ...».

(٨) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقية النّسخ.

(٩) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

ولم يزل خائفاً من نَجاح لعجزِهِ عن مقاومته، ثمّ إنّ الصُّليحيّ أهدى إلى نَجاح جاريةً حسناء وحمّلها سُمّاً وأمرها أن تضعَهُ له في طعامه، ففعلت فتوفّي نَجاح بالكَدْراء في سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة.

وكان له منَ الولد: سعيدٌ وجَيّاشٌ ومعاركٌ والذّخيرةُ ومنصور.

فلمّا توفّي نجاح في التّاريخ المذكور: قام أولاده بعده سنين[١] والأمر لمولًى لهم يُقال له: كَهْلان، وهم في حدّ عدم الكمال، وبعضهم دون البُلُوغ، ولم يلبث الصُّليحيّ أن قصدهم إلى زَبِيْد واستولى على تِهامة[٢] والجبال في سنة خمسٍ وخمسين وأربع مئة، فهرب بنو نَجاح إلى جزيرة دَهْلَك.

فأمّا معارك الأكبر فقتَلَ نفسه غُبْناً، وكان سعيدٌ الأَحْول وجَيّاش رَجُلَي البيت، وما منهما إلّا مَنْ تأدّب وعاشر، ثمّ إنّ جَيّاشاً تَنكَّرَ ودخل زَبِيْد واستخرج وديعةً له عند بعض أصدقائه، وعاد إلى دَهْلَك.

وأمّا سعيدٌ الأحول فكان أكبرَ من جَيّاش فإنّه خرج من دَهْلَك إلى زَبِيْد[٣] معارضاً لأخيه جَيّاش حين نهاه عنِ الغَدْر بصاحب دَهْلَك، وكان قد هَمَّ بذلك.

فلمّا وصل سعيدٌ استتر عند بعض أصدقائه من أهل زَبِيْد[٤]، ثمّ كتب إلى أخيه جَيّاش يأمره بالوصول إليه ويُعْلمه بانقضاء دولة الصُّليحيّ وإقْبال دولتهم.

فلمّا قدم جَيّاش زَبِيْد ظهر سعيدٌ الأحول من زَبِيْد في سبعين رجلاً لا فَرَس مع أحدٍ منهم ولا سِلاح، إلّا مَسامير من حديد قد ركّبوها في جَرِيد النَّخل، فوجدوا جُنْديًّا على فَرَس فقتلوه وأخذوا فرسه، وكان قد شاع على ألسنة المُنَجّمين وأهل المَلاحم: أنّ سعيداً

---

(١) في (ج، د، هـ): «ستتين».

(٢) في (ج، د، هـ): «التهائم».

(٣) قوله: «إلى زبيد» ليس في (ج، د).

(٤) قوله: «وكان قد هم ... أهل زبيد» ليس في (ج، د).

الأحول بن نَجاح يقتل عليّ بن محمد الصُّليحيّ، فبلغ العِلْمُ إلى الصُّليحيّ بذلك][1]
[١٤٩/أ/عن ب ١٤٠ أ] فاستشعرَهُ، وترقَّت هِمَّةَ سعيدِ الأحول في ذلك وتَهَيَّأ لأسبابه، وكانت أعلام الصُّليحيّ عنده في كلّ وقت وحين.

ثمّ إنّ الصُّليحيّ عزم على الحَجّ واستخلف على المُلْكِ ابنهُ المُكرَّم وتوجَّهَ إلى مكّة في ألفَي فارس من العسكر وخمسين ملكاً من ملوك اليمن ومئة وستّين رجلاً من آل الصُّليحيّ، فلمّا علم به سعيدٌ خرج في إثره، وكان خروجُهُ يوم التّاسع من ذي القِعْدة من سنة تسعٍ وخمسين وأربع مئة.

وقال الجَنَديّ[2]: من سنة ثلاثٍ وسبعين[3] وأربع مئة.

قال جَيّاش: وسِرنا في طريق السّاحل خوفاً منَ العسكر، فكتب أسعد بن شهاب من زَبِيْد إلى الصُّليحيّ يعلمه بخروجنا وعددنا، فلمّا بلغه العلم سيّر من ركبانه خمسة آلاف حربة منَ الحبشة، وأكثرهم مماليكنا [وبنو مماليكنا][4] وبنو عمّنا.

وقال: خذوا رأس الأحول ورأس أخيه، فخالفناهم في الطّريق، ولم نزل نجدّ السّير ليلاً ونهاراً إلى أن دخلنا طرف المخيَّم والنّاس يعتقدون[5] أنّا من جملة العسكر وحواشيه، ولم يَشْعُر بأمرنا إلّا عبدُ الله بن محمّد الصُّليحيّ، فإنّه ركب فرسه وقال لأخيه: يا مولانا اركب، فهذا والله الأحول ابن نَجاح والعدد الّذي جاءنا به كتاب أسعد بن شهاب البارحة من زَبِيْد، فركب عبد الله، وكان عليّ بن محمّد قد دخل موضع الخَلاء.

قال جَيّاش: فكنت أوّلَ مَنْ طعنَهُ وشَرِكَني فيه عبدُ الملك بن نَجاح بطعنةٍ أخرى

---

(١) ما حُفَّ بمعكوفتين وهو قدر ورقة كاملة أثبت عن (ب) كما نُبه على ذلك أول السقط.

(٢) السّلوك: ٢/٤٨٧.

(٣) في (ج، هـ): «ثلاث وخمسين».

(٤) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (ج، د).

(٥) في (ج، د، هـ): «يظنون».

وحَزَزْتُ رأسه بيدي وركبت فرسَهُ المُسَمّى بالذَّبّال، وحمل فينا عبد الله بن محمّد أخوه وكان فارس العرب، فقتل منّا رجالاً، ثمّ اعتنقه رجلٌ منّا فسقط إلى الأرض ونادى صاحبنا: اقتلوني أنا والرّجل فَشَكَّهما الملكُ سعيدٌ بحربته وحزَّ رأس عبد الله وهو يظنُّهُ عليّ بن محمّد، ثمّ ركب سعيد فرس عبد الله بن محمّد ووقف والرّأسان أمامه على باب المنزل[1] الّذي فيه السَّيِّدة أسماء بنت شهاب زوجة عليّ بن محمّد الصُّليحيّ، وقال لها: اخرجي وصَبِّحي على السُّلطانين، فقالت: لا صَبَّحَكَ الله يا أحول بخير؛ ثمّ أنشدت ووجُهها مكشوفٌ قولَ امرئ القيس[2]: (من الطّويل)

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفاخِرٍ ضَعِيفٍ ولَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ[3]

وكان قتلُهُ يوم الثّاني[4] من ذي القِعْدة.

قال جَيّاش: وعَزَّت نفسُ الملك سعيد من حينئذٍ، وشَمَخَ بأنفه حتّى عليّ، وأنا ابن أبيه وأُمِّه، وذلك أنّي أشرت عليه أن يُحْسن إلى السَّيِّدة أسماء بنت شهاب، ويعفو عمَّن قَدَرَ عليه من بني الصُّليحيّ وغيرهم من أبناء الملوك، وأن يكتب إلى ولدها المُكَرَّم: أنّا أدركنا ثأرنا واسترجعنا ملكنا، وقد أحسنّا إليك، وحلمنا عليك بصِيانة والدِتِكَ والعفو عن بني عَمِّك. وقلت له: والله، يا مولانا، لئن فعلتَ ذلك لا نازعَتْك قحطان في مُلْك تِهامة، ولئن كَرِهْتَ ذلك لتهِجَنَّ حفائظَها ولتَطْلُبَنّ بثأرِها، فإنّهم أهل نفوس أبيَّة، وهِمَم عربيّة، فأجابني بقول الشّاعر[5]: (من البسيط)

لا تَقْطَعَنْ ذَنَبَ الأَفْعَى وتَتْرُكَها إنْ كُنْتَ شَهْماً فَأَتْبِعْ رَأْسَها الذَّنَبا[6] [٤٩ب]

---

(١) في (ج، د، هـ): «المجلس».

(٢) ديوانه: ١/ ٣٧١.

(٣) في (الأم): «فإليك لم .... .. ولا يغلبك ...» و(ج، هـ): «... علينا كفاخر»؛ وفي الديوان: «... كعاجز».

(٤) في (ج، د): «الثاني عشر ...» وقوله: «وكان .... القِعْدة» ليس في (ب).

(٥) البيت لرجلٍ من لَخم؛ انظر الحماسة البصرية: ١/ ٢٧٨.

(٦) في (د): «لا تقطعن من ...»، وفي الحماسة: «... وترسلها».

فقتَلَ مَن ظَفِرَ به منهم.

وقال الجَنَديّ[1]: واستبقى ممّن ظفر به منهم ثلاثة نفرٍ: وائل بن عيسى صاحب أُحاظَة، وعليّ بن مَعن صاحب عَدَن، وابن الكِرَنْديّ صاحب المَعافِر، ثمّ ارتحل إلى زَبِيْد بعد ثلاثة أيام منَ الوقعة، وقد حاز مُلْكاً عظيماً ومَغْنَماً جَسِيماً، وغنم في ذلك اليوم ألفَي فرس بُعددِها، وثلاثةَ آلاف جَمَل، وما يتبع ذلك.

ودخل مدينة زَبِيْد يوم السّادس عشر منَ القِعْدة منَ السَّنة المذكورة، ورأس الصُّليحيّ وأخيه أمام هودج أسماء، فأنزلها بدار شُخار، ونَصَبَ الرّأسين قُبالة طاقتها، وهَرَبَ أسعد بن شهاب من زَبِيْد إلى المُكَرَّم بصنعاء، وامتلأت صدور العرب هَيْبَةً لسعيد بن نَجاح، وكاد أمر المُكَرَّم أن يتضعضع واسْتَوْسَق الأمر بتِهامة لسعيدٍ الأحول[2]، وبعث بالأموال إلى الحَبَشة، فاشترى عشرين ألف عبد.

وانقطعتِ الأخبار بين المُكَرَّم وأُمِّهِ أسماء، ولم يجد أحدُهما رسولاً إلى الآخر حتّى إنّها احتالت في إيصال كتابٍ إليه بأن جعلته في رغيف، وجعلت في الرّغيف ذهباً ودَسَّتْهُ إلى فقير، وعرَّفَتْهُ أن يوصله إلى ولدها المُكَرَّم بن عليّ، وهي تَحُضُّهُ فيه وتُحَرِّضُهُ على قتال الأحول، فكان من أمره ما قد ذكرناه من تقدّم الفقير بالكتاب إلى المُكَرَّم وإيصاله إليه، ووصول المُكَرَّم في ثلاثة آلاف فارس إلى باب زَبِيْد وقتله للحُبُوش على باب الشَّبارِق من زَبِيْد، وهم يومئذٍ نَيِّفٌ وعشرون ألفاً.

وفي تاريخ الجَنَديّ[3]: أنّهم خمسة وعشرون ألفاً أَتَى القتل على أكثرهم.

وهرب سعيدٌ الأَحْول إلى دَهْلَك، واستولى المُكَرَّم على زَبِيْد وتولية أسعد بن شهاب

---

(١) السّلوك: ٢/٤٨٨.

(٢) قوله: «وكان أمر ... الأحول» سقط في (ج، د، هـ).

(٣) السّلوك: ٢/٤٨٨.

على زَبِيْد ورجوع المُكَرَّم إلى صنعاء ظافراً منصوراً، وقد تقدَّم ذكرُ ذلك مُفصَّلاً في أخبار الصُّليحيّين.

ثمّ وصل سعيدٌ الأحول من دَهْلَك إلى زَبِيْد في سنة تسع وسبعين[1] وأربع مئة، فأخرج وُلاةَ المُكَرَّم ولم يزل مالكها إلى أن دَبَّرَتِ الحُرَّة السَّيِّدة على قَتْلِهِ في سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وقد تقدَّم ذكر ذلك.

ولمّا قُتِلَ سعيدٌ الأحول في التّاريخ المذكور هرب جَيّاش بن نَجاح إلى الهند، وهرب معه الوزير خلف بن أبي الطاهر الأُمَويّ.

قال جَيّاش: فأقمنا في الهند تسعةَ أشهر، واشتريتُ جاريةً هنالك، فعلقت منّي بولدٍ في مدّة إقامتي في الهند، ثمّ رجعت إلى اليمن في آخر السّنة المذكورة والجارية الهنديّة في خمسة أشهر مِنْ حَمْلها. فلمّا وصلنا عَدَن قدَّمتُ الوزيرَ خلفَ بن أبي الطّاهر إلى زَبِيْد على طريق السّاحل، وأمرتُهُ أن يُشِيع أنّي مِتُّ في الهند، وأن يستأمن لنفسه ويكشف لي عن حقيقة سعيدٍ الأحول وعمَّن بقي من بني عمِّنا مِنَ الحبشة، وصعِدتُ إلى ذي جِبْلَة فكشفت عن أحوال المُكَرَّم وما هو عليه، ثمّ انحدرت مِنَ الجبال إلى زَبِيْد، فاجتمعت بالوزير خلف بن أبي الطّاهر فأخبرني بأحوالٍ طابت بها نفسي من أوليائنا وبني عمّنا وعبيدنا، وأنّهم في البلاد كثيرٌ، وإنّما يعدمون رأساً يثورون معه.

قال جَيّاش: وجريت على [١٥٠] عادة أهل الهند في تطويل أظفاري وشعري، وسترت على إحدى عينيّ بخِرْقةٍ سوداء، وكنت قريباً مِنَ الدّار السّلطانيّة، فإذا افترق النّاس مِنَ الصَّباح قصدتُ مصطة[2] عليّ بن القُمّ، وكان وزير الوالي من قبل المُكَرَّم، فسمعته يوماً وهو يقول: والله لو وجدت كلباً من آل نَجاح لملّكته زَبِيْد، وكان قد حدث بينه وبين

(١) قوله: «سبعين» ليس في (ج).

(٢) قول: «مصطة» كذا في جميع النّسخ، ولم أقف على معناها، ولعلّه أراد (المِصْطَبَّة)، وهي: مجتمع النّاس، وهي شبه الدّكان يُجلس عليها؛ اللّسان: (ص ط ب).

الوالي أسعد بن شهاب شَرٌّ.

ثمّ خرج ولده الحسين بن عليّ بن القُمّ وهو الشّاعر المشهور، وكان يومئذٍ رأس طبقة أهل زَبِيْد في الشِّطْرَنْج، فقال لي: يا هنديّ تحسن تلعب بالشِّطْرَنْج؟ فقلت له: نعم. فتلاعبنا فغلبتُهُ، فكاد أن يسطو عليّ.

ثمّ دخل على أبيه وهو مغتاظٌ، فقال له: غُلِبْتُ في الشِّطْرَنْج! فقال له والده: ما أعلمُ أحداً يغلِبك إلّا جَيّاش بن نَجاح، وقد مات في الهند. ثمّ خرج إليّ والدُهُ وكان طبقةً عالية، فلعبت معه، فكرهت أن أغلبَهُ، فخرج الدَّسْتُ مانعاً، فاغْتَبَطَ بي وخلطني بنفسه، وكان في كلِّ يوم وليلة يقول: عَجَّلَ الله بكم علينا يا آل نَجاح. وأنا في أثناء ذلك أكاتب الحبشة المُتَفَرِّقين وآمرهم بالاستعداد، حتّى اجتمع في حول المدينة نحوٌ من خمسة آلاف حربة بعضها في المدينة وبعضها في الحازّة. فقلت للوزير خلف[1] بن أبي الطّاهر: إنّ لي عند عمر بن شحيم[2] وَدِيعةً فخُذْ منه عشرة آلاف دينار وفَرِّقْها على الرِّجال الّذين قد اجتمعوا معنا، ثمّ إنّي رأيت ليلةً في النّوم القائد أبا عبد الله الحسين بن سلامة وهو يقول لي: سيعود إليك الأمر الّذي تحاولُهُ ليلةَ وُلادة هذه الجارية الهنديّة. ثمّ التفت إلى رجلٍ كان إلى جانبه، فقال له: أليس كذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ويبقى الأمر في عَقِب هذا المولود بُرْهَةً منَ الدّهر.

فلمّا أراد الله رجوع الأمر إليّ لعبت أنا والحسين ابن القُمّ، وليس معنا إلّا أبوه على سريرٍ وهو يُعلِّم ولده، فتراخَيْتُ له حتّى غلبني قصداً في التَّقَرُّب إلى قلب أبيه، فطاش الحسين بن عليّ منَ الفرح لما غلبني، وسفَّهَ عليّ بلسانه، فاحتملتُهُ لأبيه[3]، فمدَّ يَدَهُ إلى الخِرْقَة الّتي كانت على عيني فأَخْفَظَني، فقام أبوه فقبّح عليه فعله، وقمتُ مُغْتاظاً فعثرتُ،

---

(١) في (الأمّ، ب): «ابن خلف» وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وقد تقدّم على الصّواب وسيأتي أيضاً.

(٢) في (ج، د): «عند عم ابن سحيم».

(٣) قوله: «فطاش ... فاحتملته لأبيه» سقط في (ج، د).

فقلت: أنا جَيّاش بن نجاح -على جاري عادتي- ولم يسمعني إلّا الشّيخ عليّ بن القُمّ، فوثب مسرعاً خلفي حافياً يجرُّ رداءَهُ حتّى أدركني، فأمسكني [وأخرج المُصْحَف](١) فحلف لي بما طابت به نفسي، وحلفت له، وليس معنا أحد.

ثمّ أمر بإخلاء دار الأغرّ ابن الصُّليحيّ، وفُرِشت وعُلِّقت سُتُورها، ونُقِلتِ الجارية الهنديّة إليها، وحُمل إليها وَصائف ووُصْفان وماعون وأثاث، وعاقني عنده إلى أن أمسى اللّيل، ثمّ أذن لي في الانصراف، فجِئْت إلى الجارية وقد وَضَعَتْ، فيما بين المغرب والعشاء، ولدي فاتكاً.

ثمّ أتاني الشّيخ عليّ بن القُمّ ليلاً. وقال: خبرُنا لا يخفى على أسعد بن شهاب، فقلت: فإن معي في المدينة نحواً من خمسة آلاف حربة، فقال: قد ملكت البلاد بلا شَكّ، فقُمْ فأظهر ما تريد. فقلت: إنّي أكره قتل أسعد بن شهاب؛ لأنّه طالما قدر على أهلنا وذَرارينا، فعفا عنهم، وأحسن إليهم. قال: فافعل ما تريد.

فعند ذلك أمر جَيّاش بضرب الطُّبُول والأَبْواق، وثارت معه [٥٠ب] عامّة أهل المدينة وخمسة آلافٍ منَ الحَبَشة، فأسروا أسعد بن شهاب، فقال: ما يومنا منكم آل نَجاح أن تُؤاخذوا، والأيّام سِجال، ومثلي لا يسأل العفو. فقال له جَيّاش: ومثلُكَ، يا أبا حسّان، لا يُقتل. ثمّ أحسن جَيّاش إلى أسعد بن شهاب وإلى أولاده وأولادهم خيراً، وسيّرَهُ بجميع ما ملك من أهل ومالٍ.

قال جَيّاش: وتسلّمت دار الإمارة صبيحة اللّيلة الّتي وُضِعَ فيها ولدي فاتك، وصَحّ ما كان الحسين بن سلامة أخبرني به في النّوم من رجوع الأمر إليّ عند ولادة الحامل الّتي كانت عندي.

ثمّ لم يَمْضِ شهرٌ حتّى كنت أركب في عشرين ألف حربة من عبيدنا وبني عمّنا،

---

(١) بما خُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، ه).

فسبحان المعزّ بعد الذِّلَّة، المُكْثِر بعد القِلَّة.

ولم يكن [منَ][1] المُكَرَّم بن عليّ في ذلك نِكايةٌ أكثر من غارات على أعمال زَبِيْد، ولم يزل جَيّاشٌ مالكاً لِتِهامة من سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة إلى سنة ثمانٍ وتسعين وأربع مئة، ثمّ توفّي في شهر ذي الحِجَّة منها، وتَرَكَ منَ الأولاد: فاتك ابن الهنديّة ومنصوراً وإبراهيم وعبد الواحد والذّخيرة ومعاركاً.

وقيل: كانت وفاةُ جَيّاش في شهر رمضان من سنة خمس مئة، والله أعلم، وكان يُلَقَّب بالعادل، ويُكْنَى أبا الطّامي، وكان مُتَّصِفاً بالعلم، وله شعرٌ لائق[2].

قال عُمارة[3]: رأيت ديوان شعره مجلّداً ضخماً، وله ترسُّلٌ متوسّط بعيدٌ منَ الكُلْفة، رأيت منه عدّةَ مجلّدات، وهو الّذي صنَّف كتاب (المفيد في أخبار زَبِيْد) وهو كتاب مُتَّسِعُ الإفادة، وقد قَلَّتْ نسخُهُ في البلاد، وربّما عُدمت في أكثر الجهات.

قال الجَنَديّ[4]: في رسالته الّتي كتبها إلى مُعَلِّم ولدِهِ ما يدلُّ على كماله، وهي: الأمانةُ دِيانةٌ تَحْرُم فيها الخِيانة، والمرءُ مُرْتَهَنٌ لَمعادِهِ، فإن راعى فمَرْعِيٌّ، وإن أضاع فمَجْزِيٌّ، فكن - أيّدكَ الله - عند ظَنّي بك، والحازم يُوصي بالمال مَنْ قِبله، وأنا أُوْصِيك بمِن اكتسبتُ المال له، واسْتَصْفَيْتُكَ فاصْفِ ذِهْنَك لوصايتي، واستكفيتُكَ فيما آثرتُكَ به من كِفايتي، فخُذْهُ بالتَّعْبِيس والابتسام، وعلِّمْهُ وَقارَ القُعُود وعَدْلَ القيام، ولا تُسْئِمْهُ بطول المُكْث بين يديك، ولا تُرَخِّصْ له في الإِبْطاء إنِ استأذنك، ورُضْهُ بالصَّلوات في أوقاتها ليَمْرُنَ على أداء مفترضاتها، وعَلِّمْهُ إِسْباغ الوضوء مِنَ ابتدائه إلى انتهائه، وإذا أراد الكِتْبَة فسَوِّس[5] قلمَهُ وصَوِّرْ له، وضع الخَطّ بمثال التَّصوير في مواضعه، وعَلِّمْهُ الفَرْق بين الواوات والقافات،

---

(١) ما حُفَّ بمعكوفتين يتطلّبه السّياق.

(٢) في (ج، د، هـ): «رائق».

(٣) المفيد: الأكوع: ٢٣٧، وأخلّ به مطبوعة محمود.

(٤) السلوك: ٢/٤٨٨.

(٥) في (ج): «فشق» وفي (د، هـ): «فسوي».

وعَلِّمْهُ تَبيُّنَ سِنَنِهِ المختلفات ليسلمن له قَبُول الصَّنْعة منَ الآفات(١)، ولا تقبل مِنْ دَواته إلّا الإصلاح، ولا من أقلامه غيرَ العُقَد الصّحاح، وعَلِّمْهُ كتاب الله، فإنّه الحَبْل المتين، ولا تُرَخِّص له في نسيانه، فإنّه الخُسْران المبين، وعَلِّمْهُ قراءة أبي عمرو، فإنّها أشهر القراءات في البَدْو والحَضَر، واختَرْ له مذهب الشّافعيّ محمّد بن إدريس رحمة الله عليه، فإذا بلَّغني الله فيه المأمول جزيتُكَ الحسنى بمشيئة الله، والله يُبْلِغُنا وإيّاك، ويُسْعد عُقبانا وعُقْباك، والسّلام الجزيل على المُؤَدِّب الجليل، ورحمة الله وبركاته.

و[من](٢) شعره: (من الطّويل)

إذا كانَ حِلْمُ المَرْءِ عَوْنَ عَدُوِّهِ ... عَلَيْهِ فَإِنَّ الجَهْلَ أَوْلَى وأَرْوَحُ(٣) [٥١أ]
وفي الصَّفْحِ ضَعْفٌ والعُقُوبَةِ قُوَّةٌ ... إذا كُنْتَ تَعْفُو عَنْ قَلِيْلٍ وتَصْفَحُ(٤)

وممّا أجاد فيه قوله أيضاً: (من الطّويل)

كَثِيْبُ نَقاً مِنْ فَوْقِهِ خُوْطُ بانَةٍ ... بِأَعْلاهُ بَدْرٌ فَوْقَهُ لَيْلُ ساهِرِ(٥)

وأمّا (مفيدُهُ) فعزيزُ الوجود.

ولم يزل جَيّاش مؤمنَ القول والفعل إلى أن قَتَلَ الحسن(٦) بن أبي عُقامة، فنفَرَ النّاس عنه، وحَذِروا منه.

وكان السّبب في قتله أنّ جَيّاشاً خطب امرأةً منَ الفَرْسانيّين أهل مَوْزَع لِما بلغه من حسنها وجمالها، فنَدَبَ الحسنَ بن أبي عُقامة لِخِطْبتها، فتقدَّم إلى أهلها وأعلمهم بالرّسالة، فأجابه بعضهم إلى ذلك وكَرِهَ آخرون، ثمّ إنّ بعضهم استشاره في ذلك، فأشار عليهم

---

(١) قوله: «وعلمه تبين ... الآفات» سقط في (ج، د).
(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ)، والضّمير في قوله: «ومن شعره» عائد على جيّاش.
(٣) في (هـ): «أولى وأرجح».
(٤) في (د، هـ): «... عن كفور ...».
(٥) النّقا، مقصور: الكثيب من الرّمل، والنّقا من الرّمل: القطعة تنقاد محدودبة. والبانة: شجرة.
(٦) في (ج، د): «الحسين».

بالتّرْك خوفاً منَ السُّبَّة عليهم؛ لأنّهم جميعاً يرجِعون جميعاً في النَّسب إلى تغلِب، فأصرّوا على الامتناع، فرجع الحسن إلى جَيّاش فأخبره بامتناعهم، فلم يزل جَيّاش يستميلهم بالمال حتّى أجابوه وزوَّجوه بها.

فلمّا زُفَّتِ المرأة إلى جَيّاش، وأقامت عنده فسألها يوماً عن سببِ الامتناع من قومها، فأعلمته بمقالة القاضي لهم، فتغيَّرَ باطنُهُ عليه[1]، ثمّ قتلَهَ ظُلْماً وعُدْواناً، وفي قتله يقول ابن القمّ: (من مشطور الرَّجَز)

أَخْطَأْتَ يا جَيّاشُ في قَتْلِ الحَسَنْ
فَقَأْتَ، واللهِ، بِهِ عَيْنَ الزَّمَنْ
ولَمْ يَكُنْ مُنْطَوِياً على دَخَنْ
مُبَرَّؤٌ مِنَ الفُسُوقِ والدَّرَنْ
كانَ جَزاهُ حِيْنَ وَلّاكَ اليَمَنْ
قَتْلَكَهُ ودَفْنَهُ بِلا كَفَنْ

وإنّما استُعْظِمَ ذلك من جَيّاش لأنّه كان موصوفاً بالعَدْل والحِلْم، مُعَظِّماً للعلماء مُبَجِّلاً لهم، لاسيّما الحسن بن أبي عُقامة الّذي قتله؛ لفضله وعلمه، ولأنّه كان أحد الأسباب لجَيّاش في أخذ المُلْك بتِهامة، والله أعلم.

ولما توفِّي جَيّاش في التّاريخ المذكور وولي الملك بعده بتِهامة ولدُهُ فاتك بن جَيّاش - وهو ولد الهنديّة- خالف عليه أخوه إبراهيم بن جَيّاش، وكان فارساً شجاعاً، جواداً، متأدِّباً فاضلاً، وخالف عليه أيضاً أخوه عبد الواحد بن جَيّاش وكان العسكر تُحِبُّه، فحصل بين بني نَجاح عدّة وقائع، وافترقت بينهم عبيد أبيهم وآلتِ الحال إلى أن ظَفِرَ فاتك بن جَيّاش بأخيه عبد الواحد فعفا عنه وأكرمَهُ وأغناهُ وأرضاهُ.

(١) في (ج): «القاضي فيه فتمالى عليه».

وأمّا إبراهيم بن جَيّاش فنزل بأسعد بن وائل بن عيسى الوُحاظي ففعل معه من الإكرام ما لم يسبقْهُ إليه أحد، وكانت عَبيد فاتك بن جَيّاش قد عَظُم شأنها، واشتدّت شَوْكتها.

وتوفّي فاتك بن جَيّاش سنة ثلاث(١) وخمس مئة، وترك ولدَهُ منصور بن فاتك بن جَيّاش دُوَين الحُلُم، فمَلَكَهُ عَبِيد أبيه، وحشد إبراهيم بن جَيّاش بعد موت أخيه فاتك بن جَيّاش وهبط إلى تِهامة، فالتقى هو وعَبيد أخيه فاتك وكان وقعتهم بالهُوَيْب(٢) من وادي زَبِيْد، فلمّا خرج عَبِيد فاتك من زَبِيْد إلى الهُوَيْب لقتال إبراهيم بن جَيّاش، وخلَتْ زَبِيْد منهم ثار عبد الواحد بن جَيّاش في زَبِيْد فمَلَكها، وحاز دار الإمارة، وخرج الأُسْتاذون والوُصْفان بمولاهم منصور بن فاتك، فأَدْلَوهُ من سُور البلد خوفاً عليه من عبد الواحد بن جَيّاش حين ملك زَبِيْد.

فلمّا رأى إبراهيم بن جَيّاش أنّ أخاه عبد الواحد قد سبَقَهُ على الأمر، وأنّه قد ملك زَبِيْد -وكانتِ العساكر[٥١ب] تُحِبُّهُ- أَيِسَ منَ المُلْك، وتوجَّهَ إلى الحسين بن أبي الحفاظ الحَجوريّ وهو يومئذٍ بالجُرَيْب(٣)، وبنو أبي الحِفاظ(٤) من بني حارث بن شراحيل(٥) بطن من هَمْدان.

ولمّا خرج منصور بن فاتك بن جَيّاش من زَبِيْد خوفاً من عمِّهِ عبد الواحد بن جَيّاش سار في عبيده وعبيد أبيه حتّى نزلوا بالمُفَضَّل بن أبي البركات الحِمْيريّ صاحب التَّعْكَر وبالسَّيِّدة الملكة الحُرَّة بنت أحمد الصُّليحيّة، فأكرما مَثْواهما، والتزم عَبيد فاتك للمُفَضَّل

---

(١) في (ج): «ثلاث وخمسين ....».

(٢) الهُوَيب: على صيغة التّصغير؛ انظر التّاج: (هـ ي ب).

(٣) في جميع النّسخ ما عدا (أ): «الحريث»، وإنّما هي «الجُرَيب»؛ انظر صفة جزيرة العرب: ١١٣، ومعجم البلدان: ٢/١٣١.

(٤) في (أ): «وبنو أبو الحافظي».

(٥) في (الأمّ، أ، ب، هـ): «شراحيل» وما أثبت عن (ج، د)، ولم أقف على ذكر لهذا البطن من هَمْدان.

برفع(١) البلاد على أن ينصرهم على عبد الواحد، فسار معهم المُفَضَّل ناصراً لهم على عبد الواحد بن جَيّاش فأخرجه من زَبِيْد وملكها لهم، وذلك في سنة أربع وخمس مئة.

ثمّ هَمَّ المُفَضَّل أن يغدِر بآل فاتك ويَمْلِك البلاد عليهم، فبينا هو يُؤامِر نفسه في ذلك إذ بلغه أنّ حصن التَّعْكَر قد ملكه جماعةٌ منَ الفقهاء واستولوا عليه، فخرج المُفَضَّل من زَبِيْد لا يلوي على شيءٍ يريد التَّعْكَر، وكان من أمره ما تقدَّم ذِكْرُهُ في الباب السّابق مِنْ قتله نفسَهُ بالسُّمِّ لمّا رأى حَظاياه بين الرِّجال في مصبغات الثِّياب، وهنَّ يُغَنِّين بالطّارات في أيديهن.

واستقرَّ المُلْك لمنصور بن فاتك بن جَيّاش ولعَبيد أبيه منَ التّاريخ المذكور. فمِنْ أولاد فاتكٍ الأُمراءُ ومِنْ عبيدِهِ الوزراءُ، إلى أن توفِّي منصور بن فاتك بن جَيّاش، ولم أقفْ على تاريخ وفاته.

ولمّا توفِّي منصور بن فاتك بن جَيّاش - كما ذَكَرنا - ولي الأمرَ بعده ولدُهُ فاتك بن منصور، وهو ولد(٢) الحُرَّة الصّالحة عَلَم، فأقام في ملكِهِ مِنْ غير منازعةٍ ولا تغييرٍ إلى أن توفِّي، رحمة الله عليه.

وكانت وفاتُهُ في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، ولم يكن له عَقْب.

فاتَّفق رأي الجماعة على إقامة ابن عمِّه فاتك بن محمّد بن فاتك بن جَيّاش، فأقاموه وهو ضعيفُ العَزْم قليلُ النَّظَر في السّياسة، غافلاً عنِ النَّظر في إصلاح المملكة، منهمكاً في اللَّهْو واللَّعِب والشّراب والفساد والفِسْق، وتفريق الأموال في غير مواضعها.

فلم يزل هذا دأبهُ إلى أن قتله عَبيدُهُ في سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة، وعنه زالتِ الدّولة إلى عليّ بن مهديّ القائم باليمن في شهر رجب من سنة أربع وخمسين وخمس مئة، وسأذكر قيامَهُ في موضعه مِنَ الكتاب، إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (أ، ج، د، هـ): «بربع».
(٢) في (ج، د، هـ): «والد».

قال عليّ بن الحسن الخزرجيّ: ولم يكن لوُلاةِ فاتك بن جَيّاش مِنَ الأمر سوى النَّواميس الظّاهرة مِنَ الخُطْبة لهم بعد بني العبّاس، والسِّكَّة والرُّكوب بالمِظَلَّة في أيّام الموسم، وعقْد الآراء في مجالسهم.

وأمّا الأمرُ والنّهي والتَّدبير وإقامة الحدود وإجازة الوفود فلعبيدهم الوزراء، وهم: عَبِيد فاتك بن جَيّاش وعَبِيد ابنه[1] منصور بن فاتك، وهم وإن كانوا حَبَشَة فلم تكنِ العربُ تَفُوقهم في الحسبِ إلّا بالنّسب، وإلّا فَلَهُمُ الكرم الباهر والعِزّ الظّاهر، والجمع بين الوقائع المشهورة والصّنائع المذكورة؛ وسنذكر أخبار الوزراء في الفصل التّالي بعد هذا إن شاء الله تعالى، وبه التّوفيق.

(١) في جميع النّسخ: «أبيه» وهو خطأ، وسياق الخبر يقتضي أن يكون «ابنه» كما أُثبت.

الفصل الثّالث
في ذِكْر وزراء آل نَجاح

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ، قابلَهُ الله بالقَبول: كان أوّل مَنْ ولي [١٥٢أ] الوِزارة من آل نَجاح: قَسِيم المُلْك أبو سعيد خلف بن أبي طاهر الأُمَويّ المَرْوانيّ، وكان من أفراد الدَّهْر نُبْلاً وفَضْلاً، وصَحِبَ جَيّاشاً حين زال ملكُهُ، ودخل معه الهند وعاهده أن الأمر إذا عاد إليه قاسَمَهُ في المُلْك، فلمّا عاد الملك إلى جَيّاش - كما ذكرنا أولاً - استوزَرَهُ وسمّاه قَسِيم المُلْك، ولم يزدْهُ على هذا الاسم حِباء، ولَولاه ما تَمَّ لجَيّاش ما تَمّ، ثمّ حصلتِ الوَحْشَة بينه وبين جَيّاش، فهرب منه فكتب إليه جَيّاش يستعطِفُهُ ويستخْبِرُهُ عن أحواله، فأجابه: (من الطّويل)

إذا لَمْ تكُنْ أَرْضِي لِنَفْسِي مُعِزَّةً ... فَلَسْتُ، وإنْ نادَتْ إِلَيّ، أُجِيبُها
ولو أَنّها أَضْحَتْ كَرَوْضَةِ جَنَّةٍ ... مَعَ الطِّيْبِ لَمْ يَحْسُنْ مَعَ الذُّلِّ طِيبُها[١]
وسِرْتُ إلى أَرْضٍ سِواها تُعِزُّني ... وإنْ كانَ لا يَعْوِي مِنَ الجَدْبِ ذِيبُها

فلمّا مات جَيّاش بن نَجاح في سنة ثمانٍ وتسعين -وقيل: في سنة خمس مئة- ولي الملك بعده ولدُهُ فاتك بن جَيّاش[٢] فلم تَطُلْ مدّتُهُ في الملك، فكانت وفاتُهُ سنة ثلاث وخمس مئة، ولم يكن في ولدِهِ مَنْ بلغ الحُلُم، فأقام عَبيدُهُ بأمر المملكة، وملّكوا ولدَهُ منصورَ بن فاتك بن جَيّاش، وضَبَطوا مملكته وساسوا دولته.

---

(١) في (هـ): «من الطيب ... من الذل».
(٢) في (أ): «فاتك بن نجاح».

وجعلوا له وزيراً منهم، وهو أنيس الفاتكيّ، وكان جبّاراً غَشُوماً مهيباً خَوّافاً[1] شجاعاً مشهوراً، وله في العرب عدّة وقعات؛ تَحاموا تِهامة من أجله، وهو من بطنٍ من الحبشة يُقال لهم: الجُزَل، ومن هذا البطن المُلوك بنو نَجاح.

ثمّ طغى هذا أنيسٌ وبنى داراً واسعة فيها حُجُرٌ كِبار، أرضية واسعةٌ عَرْضُ كلّ قاعة[2] منها ثلاثون ذراعاً، وفيها قصورٌ واسعة؛ وعمل لنفسه مِظَلَّة للرُّكوب، وضَرَبَ سِكَّة باسمه، وهمَّ أن يفتك بمولاه منصور بن فاتك، فاشْتُهِرَ الأمر من ندمائه[3] لعَبيد فاتك، وفطن لذلك مولاه منصور بن فاتك، وقد بلغ مبالغَ الرِّجال، فدبَّروا عليه الرّأي حتّى عمل منصور بن فاتك وَلِيمةً في قصر الإمارة، واستدعى إليه وجوه دولته، واستدعى الوزير أنيساً إليه، فلمّا حصل عنده أمر به فقُتِل، وقطع رأسه للفور، فاستصفى منصور بن فاتك أمواله وحريمه، فممّن صار إليه بالابْتِياع من وِرْثَة أنيس جارية مُغَنّية يُقال لها: عَلَم، فاستولدها منصور بن فاتك ولداً وهو فاتك بن منصور بن فاتك بن جَيّاش، وهو الّذي ورثَ الملكَ بعد أبيه.

وكانتِ الحُرَّة عَلَم مِنْ ذَوات العقول والأَدْيان، وجُعلَ فيها منَ الخير والسّداد والتّوفيق والبَرَكة للمسلمين ما يجاوز حدَّ الوصف، وكانت كثيرةَ الحَجّ والصّدقة، تحجّ بأهل اليمن بَرًّا وبحراً في خَفارتها منَ الأخطار والمُكُوس.

وجَعل إليها سيّدُها منصورُ بن فاتك بن جَيّاش تدبيرَ مملكته، فكان لا يقطع أمراً دونها، وكانت تُجِلُّ الفقهاء والعُبّاد وتحترمهم، وهي الّتي سامحت عليّ بن مهديّ حين بلغها اجتهادُهُ في العبادة، وربّما بلَّغها بنفسه وتعرّض لها وأَنْجَح[4] وسألها أن تسامحَهُ وأهلَهُ فيما

---

(١) قوله: «خوافا» كذا في جميع النّسخ، ولعلّه أراد: «خوانا».

(٢) في (ج): «قائمة».

(٣) في (ج، د، هـ): «من شأنه».

(٤) في (الأمّ): «وأنحح»، ولا معنى له، وفي (أ، ب): «والحح» وفي (ج): «والح» وليس في (د، هـ).

تحت أيديهم منَ الأراضي، فأجابتهم إلى ذلك حتّى كسبوا [٥٢ب] الخيل والأموال، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وكانت وفاتُها في سنة خمسٍ وأربعين وخمس مئة.

وكان قَتْلُ أنيسٍ في سنة سبعَ عشرةَ وخمس مئة، وهو أوّل وزير في الحبشة طَغَى وبَغَى وتجبَّر، وأوّل وزيرٍ قَتَلَ جَهْراً.

ثمّ استوزر منصور بن فاتك بعدهُ الشّيخ أبا منصور مَنّ الله الفاتكيّ، وكان مِنْ كرام الوزراء وأعيانهم في الشَّجاعة والكرم، وعُلُوِّ الهِمّة، وإجازة الشّعراء، وهو الّذي كسر ابن نجيب الدّولة على باب زَبِيْد وقتل مِنْ أصحابه مئةً مِنَ العرب وثلاثَ مئة أَرْمَنيّ رماة، وخمس مئة أَسْود، وذلك في آخر سنة ثماني عشرة وخمس مئة.

وله وقعةٌ أخرى مع أسعد بن أبي الفتوح قَتَلَ فيها مِنَ العرب ما يَنِيْفُ[1] على ألف رجل، وهو الّذي تصدَّق على فقهاء الشّافعيّة والحنفيَّة بما أغناهم مِنَ الأراضي والرِّباع[2] والمَرافق، وكان يُثِيب على المدح ثواباً جزيلاً؛ حتّى قال الفقيه أبو عبد الله محمّد بن عليّ السّهاميّ[3]، رحمة الله عليه - وكان يُؤَدِّب أولاد المذكور - قال: أذكر أنّي جلَّدتُ ممّا مُدح به الوزير عشرةَ أجزاء كبار من شعر المُجِيدين مِنَ الشّعراء، وهو الّذي أخرج ابن مسعود الجُزَلي ومُفْلِحاً الفاتكي - وكانا كَبْشَي الكتيبة وصاحبَي الحَلّ والعَقْد بزَبِيْد - فشَرَّدهما خوفُهُ إلى الجبال وبخروجهما دانت له الدّنيا، وعَلَتْ كلمته، وهو الّذي سَوَّر مدينة زَبِيْد بعدَ الحسين بن سلامة، وقد تقدَّم ذكر الحسين بن سلامة فيما مضى منَ الكتاب.

---

(١) يَنِيف: يزيد، يقال: ناف وأناف: إذا أشرف، ومن ناف يُقال هذه مئةٌ ونَيِّف بتشديد الياء: أي زيادة وهي كلام العرب، وعَوامُّ النّاس يخفّفون فيقولون: ونَيْف، وهو لحن عند الفصحاء؛ اللّسان: (ن و ف).

(٢) الرّباع: المنازل، وتحتمل أن تكون «الرِّياع»: واحدها الرِّيع، بالكسر: وهو المكان المرتفع من الأرض.

(٣) في (الأمّ، ب): «الشاشمي» محرّفاً، صوابه عن (أ، د، هـ)، وفي (ج): «الهامي»؛ انظر ترجمته في السّلوك: ١/٣٢٧، والعطايا السّنيّة: ٥٤٥، والعقد الفاخر الحسن: ٤/١٩٧٢.

وكانت وِزارتُهُ في سنة تسعَ عشرةَ وخمس مئة بعد قتل منصور بن فاتك أنيساً، فشَمَخَ أنفُهُ على الوزارة، وسَمَت نفسه إلى الملك، فلم يقدم شيئاً على قتل سيِّدِهِ منصور بن فاتك إلّا بالسُّمّ، وجعل الملك لولده فاتك بن منصور بن فاتك بن جَيّاش، وهو ولد الحُرَّة الصّالحة عَلَم، وكان يومئذٍ طفلاً صغيراً، ليس له أمرٌ ولا نَهْيٌ، فتولّى الوزير مَنّ الله كَفالتَهُ وتدبير مملكته والقيام بدولته، ولم يكن في الوقت من يُساميه ولا يُساويه، فامتدَّت يدُهُ وطالت عينُهُ، وعَبِث بالنّساء من بنات الملوك وغيرهنّ.

قال عُمارة(1): ومات منصور بن فاتك وأبوه فاتك بن جَيّاش وغيرُهما من آل نَجاح عن أكثر مِن ألف سَرِيَّة، فما سَلِمَ منهم أحدٌ مِنَ الوزير إلّا عشر نساء مِن حَظايا منصور بن فاتك، منهنّ: الحُرَّة الصّالحة عَلَم - أُمّ فاتك بن منصور - فإنّها اعتزلتِ القصر وسكنت خارج المدينة وبنت لها داراً لا يَتَطَرّق الوزيرُ إليها بعُذْر ولا سبب، هذا والمَلِكُ يومئذٍ ولدُها إلّا أنّه طفلٌ صغير، فجعلت كَفالته إلى عبيد أبيه الأستاذين.

ومنهنّ الحُرَّة أُمّ أبي الجيش، وهي مولَّدة وكانت لها بنت مِنْ منصور بن فاتك، فلهذا قيل لها: الحُرَّة بسبب هذه البنت، وكانت فائقةً في الحُسْن والغِناء، وتزوَّج بنتها السُّلطانُ عبد الله بن أسعد بن وائل الوُحاظي الّتي رُزِقَتْها من منصور بن فاتك.

ومنهنّ الحُرّة رياض، ومنهنّ الحُرّة أُمّ ابنها(2)، ومنهنّ حنان الكبرى، ومنهن تَمْنى، وما أدراك ما تَمْنى جمالاً(3)! ولم يكن للحُرَّة عَلَم أُمّ فاتك بن منصور [ضَرَّة](4) سواها.

ولـمّا أراد الله هلاك الوزير مَنّ الله(5) حاولَ بنتَ معارك بن جَيّاش وراودَها، وكانت

---

(١) المفيد: (محمود: ١٢٧، الأكوع: ١٨٠).

(٢) في (ج، د): «أم البهاء».

(٣) في (ج): «جمالاً وإجمالاً».

(٤) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (أ، د، هـ).

(٥) بعده في هامش (الأم): «تطرقت نفسه إلى بنات مواليه الأبكار ومن جملتهن الرباب بنت معارك بن جَيّاش، فإنه راودها. صح خ. من تاريخ المفيد لعمارة اليمني» على أن المطبوع من كتاب عمارة (الأكوع) خلوٌ من ذلك.

موصوفةً بالحسن [١٥٣أ] والجمال، فافتدت نفسها منه بأربعين بِكْراً مِنْ جواريها، فأبى عليها، فكشفت أمرها إلى عمِّها فاتك بن جَيّاش وعَبِيد ابن عمِّها منصور بن فاتك، فلم يُغْنوا في أمرها شيئاً، ولم يقدر أحدٌ على دفعِهِ فيما يريد، وكان مَهيباً.

فقالتِ الحُرَّة أُمّ أبي الجيش: أنا أكفيكم أمرَهُ وأَحْتال لكم في قتله، وإن لم نقتله نَفَضَحنا في أنفسنا وأولادنا، ثمّ استخرجت بنت معارك بن جَيّاش من قصر الإمارة إلى عندها، ثمّ أرسلت إلى الوزير مَنّ الله تقول له: إنّك أسأت السُّمْعة عليك وعلينا فيما تقدَّم، ولو أنّك أعلمتني خدمتك أتمَّ خِدْمة، ولم يعلم بأمرك أحدٌ.

ففرح بذلك وتواترتِ الرّسائل بينها وبينه حتّى قال لها: إنّي عازم على زيارتك هذه اللَّيلة مُتَنكِّراً، فقالت لرسولِهِ: إنّ الله قد أجلّ قدر الوزير عن ذلك، بل أنا أزورُهُ في داره، فلمّا كان بعد العشاء الآخرة خرجت إليه فأمست عنده ومكَّنته من نفسها، فلمّا فرغ [منها][1] مَسَحَتْ مذاكيره بخِرْقَةٍ فيها سُمٌّ قاتل، وخرجت مسرعةً إلى منزلها، فمات من اللّيلة[2] فدفنَهُ ولدُهُ منصور في إِصْطَبْلِهِ وسَوَّى به الأرض، وغيَّبَ قبره، فلم يُعرف له قبر.

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ: وسمعتُ غيرَ واحد منَ النّاس يحكي: أنّ قبره في المسجد الّذي هو في النّاحية المعروفة بالحدِّ من مدينة زَبِيْد المعروف في وقتنا هذا بمسجد ابن الرّدّاد، وكان يُعْرف قبل ذلك بمسجد ابن مَنّ الله عند كافّة النّاس، لا يُعْرف بغير ذلك، فلمّا تشعَّث المسجدُ سَعَى في عِمارته الشّيخ الصّالح أبو العبّاس أحمد بن أبي بكر الرّدّاد عُرِف به ونُسِب إليه، وإنّما هو مسجد ابن مَنّ الله.

وأخبرني الشّيخ الصّالح شهاب الدّين أحمد بن أبي بكر الرَّدّاد قال: سمعت [أبي يقول][3]: إنّ في المسجد المذكور قبراً في النّاحية الشّرقيّة منه فيما بين المقدّم والمؤخّر، وإنّه

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ)

(٢) في (ج): «من ساعته».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

قبر الوزير مَنّ الله الفاتكيّ.

وكانت وفاتُهُ ليلة السّبت الخامس من شهر جُمادَى الأولى من سنة أربع وعشرين وخمس مئة، وكان له ولدٌ مِنَ الأخيار، وأظنُّهُ الّذي بنى المسجد [المذكور](١)، والله أعلم.

قال عُمارة(٢): ولم يكن في الوزير مَنّ الله الفاتكي خِصْلةٌ يُذَمُّ بها غير فِسْقِهِ بالنّساء.

ولمّا توفّي الوزير المذكور في التّاريخ المذكور جعلتِ الحُرَّةُ عَلَم أمر الوزارة إلى القائد زُرَيق الفاتكي، وكان شجاعاً كريماً.

قال محمّد بن عبد الله اليافِعيّ(٣) -وكان كاتبَ زُرَيقٍ-: رأيتُ القائدَ زُرَيقاً يوم الخَشْعَة، وكان يوماً مشهوراً بينه وبين القائد أبي محمّد(٤) مفلح الفاتكيّ، وقد اشْتَجَرت فيه(٥) تسعةُ أرماحٍ، وهو مضاعفٌ بين درعين، فحصد أكثرها بسيفه، واندقَّ منها [فيه](٦) رمحان وهو ثابت في سَرْجِهِ ومفلحٌ يُنادي: اعقروا به الفَرَس ليسقط إلى الأرض، فحمل على مفلحٍ فضربَهُ ضربةً وقعت على مقعد الرِّدْف مِنَ الفرس فقسمتِ الفرس نصفين، وسقط مفلحٌ إلى الأرض، فلولا بنو شعل(٧) ردَّتْ عليه لمَا قام من سقطته.

وأمّا كرمه فكان أكثرُهُ على الشّعراء، ولم يكن في زمانه من يقدر على ما يقدر عليه منَ الأكل، حتّى كان يُضْرَبُ به المثل في الأكل[٥٣ب]، ولم يكن له نفاذٌ في سياسة العسكر ولا خبرة بإقامة نواميس السَّلْطَنَة، فلم يلبث في الوزارة إلّا مدّةً يسيرةً حتّى استقال منها، واستدعى لها الوزير أبا منصور(٨) مفلحاً الفاتكيّ، وكان غائباً في الجبل.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٢) أخلّت به مطبوعتنا المفيد، أو أنّ الخزرجيّ تصرّف في النّقل تصرّفاً مغيّرًا.

(٣) في (ج، د، هـ): «الشافعي».

(٤) كذا: «أبي محمد» وإنّما هو أبو منصور كما سيأتي غير مرّة.

(٥) في (ج، د): «استخرجت من».

(٦) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٧) في (ج، د، هـ): «مشعل».

(٨) في (أ): «الوزير المنصور».

فلمّا وصل تولَّى الوزارة وكان للوزير زُرَيق مِنَ الولد ثلاثون ولداً ذكوراً وإناثاً، فلمّا توفِّي تَناسخت فريضتهُ وفريضة مَنْ مات مِنْ أولاده وأولادهم قبل القِسْمَة، فانتشرت واتّسعت حتّى عجز كثيرٌ مِنَ العلماء عن قسمتها.

وكان الوزير مفلح [والقائد إقبال][1] والقائد مسعود الفاتكيّون قد أراد كلُّ واحدٍ منهم أن يَبْتاع من ورثة الوزير زُرَيق أراضي ورِياعاً[2]، فلم يقدروا على ذلك لعدم القدرة على سِهام كلّ وارثٍ منهم، وتناسَخَت فريضتُهم على إحدى وخمسين بطناً.

قال عُمارة[3]: فقدم رجلٌ من أهل حضرموت - يُقال له أحمد بن محمّد الحاسب- فقسم فريضتَهم وصحَّحها في بعض يومٍ واحد، وقد اجتمع عليها عدّةٌ من العلماء أيّاماً متطاولة، فما أغنوا فيها شيئاً.

ولمّا ولي الوزارةَ القائدُ أبو منصور مفلحُ الفاتكيّ -كما ذكرنا- وكان حازماً شجاعاً كريماً عفيفاً، وكان سحرتيًّا يُكْنى بأبي منصور -ابن له- وكان من أعيان الرِّجال وأهل الفضل والأدب والصَّباحة والسَّماحة والشَّجاعة والرِّياسة، كان النّاس يقولون: لو كان له نسبٌ في قريش كَمُلَتْ فيه شروط الخلافة.

وكان عَبيد فاتك - وهم صغارٌ - يَنْبِزون مفلحاً بالبَغْل، فكان يُقال له: مفلحُ البَغْل، وكان لا يغضب من ذلك.

ويُرْوَى عن كاتبه حِمْيَر بن أسعد قال: إنّما كان يُسمَّى البَغْل[4]؛ لأنّه كان يُدْلي آلةً مثل آلة البَغْل، وكان عفيفاً لم تُعْلَم له صَبْوةٌ في صغره ولا كِبره.

قال حِمْير بن أسعد: ولقد أذكرُ يوماً أنّه دعاني وهو وزيرٌ فقال: قد تَنَكَّدَ عليَّ العيش

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د).

(٢) الرِّياع: واحدها الرِّيع، بالكسر: وهو المكان المرتفع من الأرض. وتحتمل أن تكون «الرِّباع»: أي المنازل.

(٣) المفيد: (محمود: ١٣٠، الأكوع: ١٨١).

(٤) قوله: «وكان لا يغضب ... يسمى البغل» سقط في (هـ).

بسبب ما أسمعُهُ كلَّ حينٍ مِنْ غناء وردة جارية الأمير عثمان الغُزِّيّ وما يُوصف من جمالها، ولقد انْسَدَّت عليَّ أبوابُ الحِيَل في حصولها عندي. قال: فقلت له إن كنت تريدها سِفاحاً بَذَلْتُ وُسْعي في خدمة الوزير. فقال: والله ما عصيتُ الله بفرجي قطُّ منذ خُلِقْتُ إلى الآن[1]؟ فقلت: فبكم يشتريها الوزيرُ؟ قال: بكلِّ ما يقترح مولاها، وكان مولاها أميراً جليلاً كبيراً، وكان يومئذٍ مقدَّم العسكر الغُزِّ الّذين استدعاهم الملك جَيّاش بن نَجاح لمحاربة سبأ بن أحمد الصُّليحيّ، وهم أربع مئة فارسٍ رُماة، وبهم امتنعت دولة الحَبَشة مِنَ العرب.

وكان جَيّاش قد استدعى منهم ثلاثة آلاف فارس[2]، فلمّا فُصِلُوا[3] عن مكّة يريدون زَبِيْد نَدِمَ جَيّاشُ على وصولهم، وعلم أنّهم يخرجونه مِنَ البلاد ويستولون على المُلْك، فأمر على عمّاله فيما بين مكّة وزَبِيْد أن يطرحوا لهم السُمَّ فيما يأكلون ويشربون فمات أكثرهم، وخلص منهم إلى زَبِيْد ألف فارس أو دونها[4]، فجهَّز منهم خمس مئة فارس إلى الجبال، فلمّا حصلوا في بون[5] صنعاء دَسَّ عليهم من قتلهم بالسُّمّ أيضاً، وفرَّق كلمتهم، فبقي عنده بزَبِيْد أربع مئة وخمسون [١٥٤أ] فارساً، فأقطعهم ذُؤال وهو وادٍ شماليّ رِمَع؛ ورِمَع وادٍ شماليّ زَبِيْد.

فلم يزل الغُزُّ يستغلّون خراج هذا الوادي من سنة ٢[6] وثمانين وأربع مئة إلى سنة أربع وعشرين وخمس مئة، فأَثْرَتِ الغُزُّ وحَسُنَت حالتهم، وكانت رياستهم تنتهي إلى ثلاثة نفر، وهم: سولي وطيطاس وعثمان هذا المذكور، ثم مات سولي وطيطاس وعدّة من أصحابهم، ولم يَبْقَ من مقدَّميهم إلّا عثمان المذكور، وبقي من أصحابهم نحوٌ من مئة فارس.

---

(١) قوله: «إلى الآن» كذا في جميع النّسخ!

(٢) في (أ): «فرس» وفي (ب): «قواس» وفي (ج، د، هـ): «قوس».

(٣) في (هـ): «قفلوا».

(٤) في (الأم): «أو دنها» بإسقاط الواو، وهو خطأ.

(٥) في (ج، د): «نوب».

(٦) كذا كتب مكان الفراغ الرّقم: «٢» وكأنّه أضيف على النّص. وفي (هـ): «سنة ست ...».

وأمّا أولادهم المولُودون[١] بزَبِيْد فلم يفلحوا ولا أتى منهم بأسٌ يُتَّقى ولا معروف يُرْتجى.

قال حِمْير بن أسعد: ففكَّرت في حيلةٍ أَتَوَصَّلُ[٢] بها إلى غرض الوزير مفلح إلى وردة[٣]، فلم أجد إلّا أنّي قلت للوزير: أرى أن تأمر بنقض قسمة الأعمال القديمة، فإنّ الرِّجال الّتي كانت تنفع قد ماتت، وصارتِ الإقطاعات في أيديْ أولادهم الّذين لا ينفعون شيئاً، وتتصلَّب في ذلك، وتأمر النّاس بالحُشُود[٤] مِنَ الأعمال إلى زَبِيْد وتنقل كلَّ قوم إلى عملٍ آخر غير عملهم الأوّل.

قال حِمْير: فلمّا فعل ذلك الوزير ضاق عثمان ضيقاً شديداً وضاق الأمر على كثيرٍ من أكابر الدّولة، ولا كضيقه على عثمان، فإنّ إقطاعاتِ الغُزّ الّذين كانوا معه وماتوا صارت إليه.

فلمّا كاد عثمان أن يخرج من زَبِيْد فيمن معه من قومه، ويَشُقّ العصا دخلتُ عليه وشربت معه، وغنَّت لي جاريتُهُ وردة وغيرُها ممّن كان عنده، ولم يكن أحدٌ من أهل تِهامة يحتجب عن حِمْير بن أسعد لا مُغَنّيَة ولا أُمّ ولد؛ لأنّ أكثر سَراريهم ومغانيهم من تخريجه وتربية داره وتعليمه الغناء والطَّبيخ وخِياطة الثِّياب وعمل الطِّيْب.

ونادم جماعةً من ملوك الجبال، ثمّ نزل تِهامة فاختصّ بصحبة وزرائها وكُبَرائها[٥]،

---

(١) في (ج): «المولدون».

(٢) في (الأمّ، ب): «التوصل».

(٣) قوله: «مفلح إلى وردة» ليس في بقيّة النّسخ.

(٤) في (ج، د، هـ): «بالحشور».

(٥) ورد في هامش (الأمّ): «حتى صار كاتباً للوزير مفلح الفاتكي، ومن عند هذا حمير يُبتاع السُّم الذي تقتل به الملوك؛ لأن له أخوة وأعماماً في بلاد بكيل الهان من بلاد آنس، وهذا السُّم شجرٌ ينبتُ في بقعة من الأرض ليست هناك إلا لهم، وهم يحتفظون بها، وكل من مات بالسُّم من ملوك بني نجاح ووزرائهم فمن عند هذا حمير بن أسعد، حتى كانوا إذا نادموه قالوا: يا أبا سبأ أناكل ونشرب ونحن في حسبك؟ فيضحك. صح صح».

وكان حُلو المحاضرة، كثير المحفوظات، حسن البادرة، كثير البَذْل في ذات الله، وكان يترسَّل بين الملوك مِنَ الحبشة، ثمّ سكن الكَذْراء عند القائد إسحاق بن مَرْوان[١] السّحرتيّ فأكرمه وخلطه بنفسه، وتوفِّي بالكَذْراء سنة ثلاثٍ وخمسين وخمس مئة، وقد جاوز التِّسْعين[٢].

قال حِمْير بن أسعد: فلمّا دخلت على عثمان داره، وغنَّى لي جواريه وشربتُ عنده وأخذتِ النّشوة منه مأخذها، قال لي: كنت حريصاً على لقائك طَمَعاً في إصلاح أحوالنا مع هذا العبد الطّاغي، وتركنا على إقطاعنا وأملاكنا الّتي لم نستفدها في أيّامه ولا من إنعامه.

فقلت له: إنّه مع ما فيه منَ الإعجاب والتَّكبُّر حسن الباطن، قريب الرّجوع، وأنا أجتهد إن شاء الله في غدٍ إذا عاد منَ الصّباح على مولانا أن يصل ضيفاً لك، وأنا أعلم أنّه إذا أكل طعامك وشرب شرابك وغنَّى له جواريك، استحيى منك وخجل وعاد عمّا في نفسه.

فكاد عثمان أن يطير فرحاً ولم يصدّق أنّ الوزير يزوره، وأشرت على عثمان أن يتطفَّل في اللّيل على الوزير ويركب إلى داره ويقول: ضيفٌ، يشتهي أن يتشرَّف بالسّماع والشَّراب.

قال: فلمّا أمسينا [٥٤ب] ووصل عثمان إلينا أشرتُ على الوزير أن يخرج المغاني والوَصائف السّاقيات علينا، ففعل ذلك ووعده الوزير أن يكون ضيفَهُ في غدٍ، فحمل إليَّ عثمان في تلك اللّيلة مالاً جزيلاً.

ولمّا عُدنا منَ الرّكوب إلى دار السّلطان سِرنا إلى دار عثمان فوجدنا أَسْمِطَةً واسعة عددتُ في واحد منها ثلاثين خَروفاً مشويَّةً وثلاثين جاماً منَ الحلوى.

وأمّا السِّماط الّذي جلس عليه الوزير فكان في طول قاعة البستان الّذي لعثمان، وهو خمسون ذراعاً، فلمّا رأى الوزير ذلك امْتَعَضَ حَسَداً لعثمان على همَّته وسرعة ما تأتّى له من

---

(١) في (هـ): «القائد ابن مرزوق السحرتي».

(٢) قوله: «وقد جاوز التسعين» ليس في بقيّة النّسخ.

تلك الأَسْمِطة، وكانت أربعةً، ثـمّ فَرَّقَ على حواشي الوزير خمس مئة خروف، وأنهب العسكر تلك الأَسْمِطة، وفرَّق على حواشي الوزير ثلاثةَ أَبْهِرَةَ[1] سُكَّر، وهي تسعة قناطير، ثمّ انتقلنا إلى مجلس الشَّراب وكنّا سبعةً أنا ثامنهم، وكنت السّاقي فأسكرت الخمسة الّذين حضروا، فلمّا سكروا انصرفوا.

فقلت لعثمان إنّك بهيمةٌ لا عَقْل لك، أترى الوزير إنّما زارك لأجل أَكْلَةٍ أو شَرْبة، فما أقصرَ همَّتَكَ وأعمى بصيرتَك! فقال: فدبِّر لي. فقلت له: اعرض عليّ ما عندك فذكر الخيل والعُدَد والمال والأَلْطاف والذّخائر، فأظهرتُ له في كلِّ شيءٍ نقصاً وقبَّحتُهُ عليه. قال: فما ترى؟ فقلت: انظر هديّة لا تُخبَأ في الخزائن، ولا تغيب عن عينِه، فإنّ المقصود أن يذكرك بهديّتك كلّما نظر إليها؟ قال: ما عندي سوى وردة وهي روحي، فإن كانت تصلح له نزلتُ عنها، ولو أنّي أموت، قال: إن قبلها فهي ممّا يصلح.

قال: فتحدّث معه فيها، فإن قبلها فلك عندي ألف دينار، ثمّ أمر بإحضارها عاشرة عشر فقبَّلنَ يدَ الوزير، ثمّ اندفعن يُغنّين بين يديه مكشوفاتِ الوجوه، فأوصيتُ الوزير أن يُعْرِض عن وردة، ويستحسن غيرها ففعل؛ فكان ذلك ممّا قوّى عزيمة مولاها في قَبولها منه.

فلمّا سكر عثمان ونام، وسكرتِ النّسوة غير وردة، فإنّي كنت أريد صحوها، فقمت إلى المستراح واستدعيت وردة وأعلمتها القصّة، فقالت: لا أرغب إلّا في مولاي الوزير. فاستدعيتُ الوزير إلى مجلسٍ ودخلت أنا ووردة إليه فوعدها ومنّاها، وهَمَمْتُ بالخروج عنهما، فأمسكني، وقال: والله لا يكون هذا أبداً. ثمّ عدنا جميعاً إلى المجلس، ووالله ما ملأ عينهُ منها، ولا مكّنها من تقبيل يدِهِ عند السّلام، فلمّا صحا مولاها استأذنّاه في الخروج، وكان ذلك عند العشاء الآخرة فلم نخرج إلّا ووردة بين أيدينا.

---

(1) الأَبْهِرة: واحدها البُهار، وهو حمل زنته ما ذُكِر أعلاه، وقيل ثلاث مئة رطل، اللّسان: (ب هـ ر).

فلمّا أصبح الصّباح عدت إلى عثمان فأعدت إليه الألف الدّينار الّذي كان دفعه إليّ، وسألته في ضيعة مِنْ ذُؤال فوقّع لي بها.

وأمّا الوزير فأحضرني ليلةً وخَلَعَ عليَّ، وقال: إنّ ابنتك وردة أقسمت عليَّ لا دنوتُ منها حتّى ترضي حِمْيَراً، فما الّذي يرضيك؟ قلت: ضَيْعة العُباديّ بما فيها من زُرُوع وما فيها من أبْقار[1]، فوقّع لي بها، وهي الضَّيعة الّتي لا ضيعةَ على [١٥٥أ] من مَلَكَها.

وكان الوزير مفلحٌ كريماً جواداً، وفي أيّامه قدم أبو المعالي بن الحُباب[2] منَ الدِّيار المِصْريّة، فابتاع وَصِيفاً حَبَشيًّا برَسْم الخِدْمة، فهرب الوَصِيف وتعلّق ببعض غلمان الوزير مفلح، فكتب أبو المعالي إلى الوزير بسبب غُلامِهِ ببيتين منَ الشِّعْر وهما: (من الطّويل)

وأَنْتَ سَحابٌ طبّقَ الأَرْضَ صَوْبُهُ وعاقَتْهُ عَنْ سُقْيايَ إِحْدَى العَوائِقِ
فَإِنْ لَمْ تَجُدْ لي هاطِلاتُ غَمامِهِ فلا تَدْنُ مِنِّي مُحْرِقاتُ الصَّواعِقِ[3]

فلمّا وقف منصور بن مفلح على البيتين تنبَّهَ على فضل أبي المعالي، فاستدعى الغلام فردَّه خامس خمسةٍ من جِنْسِهِ، ثمّ استدعى أبا المعالي المذكور، وأمره بمدح الوزير بقصيدةٍ ففعل، ثمّ أحضره إليه حين أنشده القصيدة، فوصلَهُ بخمس مئة دينار ووصلَهُ منصور بن مفلح بثلاث مئة دينار من عنده ثواباً على قصيدة أخرى مدحَهُ بها، وحملَهُ إلى مكّة حرسها الله تعالى.

ولم يزلِ الوزير مفلح قائماً بأمر الوزارة حتّى نشأ رجالٌ من عبيد الحُرَّة الملكة عَلَم أُمّ فاتك بن منصور، وهم: صوابٌ وعين وريحان وعنبر وريحان الأكبر، فكانوا أَزِمَّةَ الدّولة وأعيان الأكابر، ونشأ أيضاً من عبيدها منَ الفُحُول: إقبال وبرهان وسرور [ونارة][4]، وكان

---

(١) في (ب): «أنفار».

(٢) في (د): «المختار».

(٣) في (د، هـ): «فإن لم تجدني ...». وقوله: «تجد» ضُبِط في (الأمّ) بضمّ أوّله وكسر ثانيه.

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب) والاسم في بعضها غير معجم.

سرورٌ أميرَ الفريقين، فكان هؤلاء الجماعة هم الّذين يتكلّمون على لسان السّلطان.

وصار الوزير أمير السّلطنة أجنبيًّا معهم، فعظم بهم جَناب الحُرَّة واستمالوا كثيراً منَ الفارس والرّاجل، ثمّ حصلت وَحْشَة بين القائد سرور والوزير مفلح، فاحتال سرور على إخراج الوزير من زَبِيْد فلم يجد حِيْلَةً أحسن من مخاطبته على حَجّ الحُرَّة أُمّ فاتك وتجهيزها بثلاثين ألف دينار.

فلمّا خاطبوه بذلك امتنع، وقال: صَرْفُ المال في محاربة أعداء الدّولة أولى من هذه الخُرافات، ولمولاتنا بالمِغْزَل(١) ولَزْمها(٢) كِسْر بيتها شُغْلٌ شاغِلٌ عنِ الحَجِّ، ولم يزالوا يخاطبونه في ذلك إلى أن قال لهم: إنّ مولاتنا إلى غير الحَجّ مُحْتاجة، فانظروا فيه فإنّه يُسَلّيها عن هذا. قالوا: وما هو؟ قال: شيءٌ في طول هذا، وقبض كفّه ومَدَّ ذراعه. فحَدَثَ في النُّفوس من هذه الكلمة شيءٌ لم يستدركْهُ الوزير إلّا بإذنٍ لها في الحَجّ وتجهيزها بثلاثين ألف دينار، وتسيير ولده(٣) منصور معها إلى مكّة.

ثمّ كان من تدبير سرور على الوزير مفلح مسيرُهُ إلى عَدَن لمحاربة سبأ بن أبي السُّعود وعليّ [بن](٤) أبي الغارات الزُّرَيعيِّين، فلمّا خرج مفلح من زَبِيْد على ليلةٍ ثار محمّد بن فاتك بن جَيّاش في زَبِيْد على الحُرَّة وولدها فقضى ذلك برجوع مفلح إلى زَبِيْد.

ثمّ دبّر [سرورٌ](٥) - على خروج مفلحٍ - إلى عَرَبَ الزَّعْلاء والعَمْرانيّ؛ اتّفقا على أعمال المَهْجَم، وفيها يومئذٍ القائد مسعود(٦) الكِرَنْديّ، فقضى ذلك بخروج مفلح إلى المَهْجَم،

---

(١) في (د): «بالعزل».

(٢) في (أ، هـ): «لزومها» وكِسْر البيت وكَسْره: جانبه، وقيل الشّقّة السُّفْلى من الخباء.

(٣) في (ب): «ويسير ولده»، وفي بقيّة النّسخ الأصول: «ولدها» ولا يستقيم بذلك سياق الخبر، وإنّما المراد منصور بن مفلح، أمّا ولدها فهو فاتك بن منصور، وعلى الأرجح أنّ الّذي أريد له أن يرافقها هو ابن مفلح لا ابنها؛ لأنّه أريد لأبيه إنفاق المال وإنفاذ الابن.

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٦) في (ج، د، هـ): «سرور».

وهي من زَبِيْد على ثلاثة أيّام منَ النّاحية الشّماليّة.

فلمّا صار مفلحٌ من زَبِيْد على مسيرة يومٍ تَسَلّلَ النّاس [٥٥ب] عنه، ورجعوا إلى زَبِيْد وبقي في خاصّته، فتوجّهَ إلى جبال بُرَع، وملك حصن الكِرْش وراوح تِهامة وغاداها بالغارات، وعبيد فاتك تقابلُهُ(١) بالمراكزة، ثمّ انتقل منَ الحصن وبقي فيه حريمُهُ، وسار إلى عرب المَهْجَم وهم بنو مشعل وبنو عمران والزَّعلاء، وهم يومئذٍ الفُرْسان الأنْجاد، فأسكنوه حصناً لهم يُقال له: دَيْسان على نصف يومٍ أو دونه منَ المَهْجَم.

ثمّ كتب [إلى](٢) الأمير الشّريف غانم بن يحيى السُّليمانيّ الحَسَنيّ، وهو يومئذٍ صاحب مِخْلاف [سليمان](٣) بن طرف، واشترط الوزير مفلح للشّريف ولبني عمّه إسقاط الإِتاوة المستقرّة عليهم لصاحب زَبِيْد في كلّ سنة، ومبلغها ستّون ألف دينار.

وشرط لهم مفلح أنّه يضيف إليهم أعمال الوادِيَين، وهي أعمالٌ متّسعة، فسار الشّريف في ألف فارس وعشرة آلاف راجل ناصراً لمفلح على أهل زَبِيْد، فلقيهم القائد سرورٌ فكَسَرَ مفلحاً والأشراف الّذين معه، وكسر العرب على المَهْجَم.

فلمّا كسرهم قلّده فاتك بن منصور المَهْجَم وما يليها من الأعمال الشّماليّة، وهي(٤): مَوْر والوادِيان، فاستقرّ سرورٌ بالمَهْجَم، وعاد مُفْلح إلى حصن الكِرْش فمات به سنة تسعٍ وعشرين وخمس مئة، فخلَفَهُ ابنُهُ منصور بن مفلح، وقام بحرب القائد سرور مدّةً، والقائم بالوزارة يومئذٍ إقبالٌ الفاتكيّ.

فلمّا طال الأمر على منصور بن مفلح خذلَهُ أصحابُهُ وتسلّلوا عنه وسَئِمَ النّاس عَضَّ الحديد، وفِراق الأوطان، فاستأمن منصور بن مفلح على يدِ القائد سرور، ودخل معهُ

---

(١) في (د): «تقاتله».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د).

(٤) في (الأمّ، ج، د، هـ): «وهو» وما أثبت عن (أ، ب).

زَبِيْد، والوزير يومئذٍ إقبالُ الفاتكيّ، فخَلَعَ على منصورٍ وأنزلَهُ دارَ أبيه، فلمّا كان منَ الغدِ قبض عليه وقتله ليلاً بيد الوزير إقبال، فغضب الملك فاتك بن منصور والقائد سرور، وهَمَّ الملك فاتك بن منصور بالوزير إقبال، ثمّ أبقاهُ على دَخَنٍ[1]، وهَمَّ الوزير إقبال بالملك[2]، فلم يزل يتلطّف به حتّى سقاه سُمّاً فمات.

وكانت وفاة السّلطان فاتك بن منصور بن فاتك بن جَيّاش في شعبان من سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، ولم يَقُم للوزير إقبال بعد قتل سيِّدِهِ فاتك بن منصور حالٌ تُرْتَضى، وكان قد نشأ رجال وأستاذون في دار السّلطان فاتك بن منصور وأُمِّهِ الحُرَّة عَلَم، فلمّا تحقّقوا أنّ الوزير إقبالاً هو الّذي قتل سيِّدَهُ وسيِّدَهم جعلوا الوِزارة والتّدبير بيدِ القاضي أبي محمّد سرور، فهو في الذِّكر خِتامُهم، وفي الفِكْرِ إمامُهم.

قال عُمارة في كتابه (المفيد)[3]: وأمّا القائد أبو محمّد سرور الفاتكيّ[4] فجنسُهُ من الحبشة أَمْحَرة، وكلّ ما أوردتُهُ عنه فهو نقطةٌ من بحرِ فضلِهِ ونبلِهِ.

فمن مبادئ أمره: أنّ منصور بن فاتك لمّا قَتَلَ الوزير أنيساً وابتاع مِن ورثته الحُرَّة عَلَم، واستولَدَها فاتكَ بن منصور= ابتاعت لولدها منَ الحَبَشة وُصْفاناً صغاراً، كان سرورٌ هذا أحدَهم، فتربّى في حِجْرِها تربيةً خاصّة[5]، فلم يلبث أن ترعرع وبَرَعَ، فولّته زِمامَ[6] المماليك وجعلت [١٥٦أ] إليه الرّياسة على كلِّ مَن في القصر من صغيرٍ وكبيرٍ، فساد وسدَّدَ ولَيَّنَ وشَدَّد، ثمّ ولي العِرافة على طائفةٍ منَ الجُنْد فملكهم بالإحسان والصَّفح

(١) الدَّخَن: الكُرْه والحِقْد.

(٢) قوله: «فاتك بن منصور والقائد ... إقبال بالملك» سقط في (هـ).

(٣) المفيد: (محمود: ١٤٢، الأكوع: ١٩٢).

(٤) قوله: «فهو في الذكر ... سرور الفاتكي» سقط في (هـ).

(٥) قوله: «فتربى ... خاصة» سقط في (ج، د، هـ).

(٦) الزِّمام: هو الذي إليه أمر الأجناد والتّحدّث فيهم، وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم؛ انظر صبح الأعشى: ٣/٤٨٣..

عنهم، ثمّ ترقَّت به الحال إلى أن ولي الخَطابة بين السّلطان والوزراء الأكابر، واسْتُغني به عنِ الأَزِمَّة.

وكان الزِّمام النّاظر يومئذٍ هو الشّيخ صواب، وكان يميل إلى الدِّين والتَّخلِّي للعبادة، فإذا عُوتِب على ذلك قال: إنّ القائد أبا محمّدٍ سرور هو صاحب الأمر والنَّهي عليَّ وعليكم وعلى مولانا، وليس شيءٌ يخرج عن أمره، وهو [أهلٌ](١) أن يَتَقَلَّدَ أمورَ النّاس في الثّواب والعِقاب والحَلّ والعَقْد.

ولم يزل القائد أبو محمّدٍ سرور تترقَّى به الأحوال حتّى أخرج الوزير مفلحاً من زَبِيْد كما ذكرنا آنفاً، وسببُهُ الوَحْشة الّتي جرت بينهما حتّى مات مفلحٌ في الجبال بعد عدّة وقائع يموت في كلّ وقعةٍ بينهما العَدْد الكثير منَ الفريقين؛ حتّى كانتِ العاقبة لسرور، ثمّ ترقَّت به الحال إلى أن أخرج إقبالاً منَ الوزارة وصار مكانَهُ لأُمُورٍ يطول شَرْحها، وكان شُجاعاً مِقْداماً، لا تهولُهُ الرِّجال.

قال عبد المحسن بن إسماعيل - وكان كاتِبَ القائد أبي محمّدٍ سرور -: أَذْكُرُ وقد صار الشّريف غانم بن يحيى السُّليمانيّ في نُصْرة الوزير مفلح على سرور، وكان مع الشّريف غانم ألفُ فارسٍ وعشرة آلاف راجل، وانضمَّ إليهم الوزير ومن معه منَ العساكر، وانْضاف إليهما منَ العرب بنو مشعل، وهم أَحْلاس الخَيْل(٢) وفُرْسان اللّيل، وبنو عِمران وبنو زعل وبنو حرام والحلميّون(٣) في جموعٍ كثيرة وزحفوا إلينا ونحن في عددٍ يسير، وكان القائد سرور قد كتب إلى زَبِيْد مستنفِراً النّاس، وكانتِ الوقعة بالمَهْجَم وبينها وبين زَبِيْد ثلاثة أيّام، فقلت للقائد سرور: إنّ هذا تَهَوُّرٌ، وإنّما نحن في هؤلاء كقطرةٍ في اليَمِّ أو لُقْمَةٍ في الفَمِ.

---

(١) ما حُفَّ بمعكوفتين عن [أ، ج، د، هـ].

(٢) الأَحْلاس: جمع الحِلْس، وهو كلّ شيءٍ يوضع تحت السَّرج، وقوله: «أحلاس الخيل» كناية عن ملازمتهم ظهور الخيل، وعدم مفارقتهم إيّاها كالأحلاس على ظهورها.

(٣) في (ج، د، هـ): «الحكميون».

فقال: أمسك عليك، فوالله إنّ الموت عندي أهونُ منَ الهزيمة، ثمّ التقى القوم فكانتِ الهزيمة على الوزير مفلح والشّريف غانم ومَنْ معهما، وتَضاعَفَ خَطَرُ القائد أبي محمّد سرور في نفس المُؤالِف والمُخالِف.

وكان قبل ذلك قد خرج الوزير مفلح والقائد سرور إلى عَدَن لقتال الدّاعي سبأ بن أبي السُّعود، فلمّا صارا على نصف مرحلةٍ من زَبِيْد ثار محمّد بن فاتك بن جَيّاش بن نجاح على الحُرَّة وعلى ولدها فاتك بن منصور بن فاتك بن جَيّاش في زَبِيْد حين خَلَت مِنَ العسكر، فحاز محمّد بن فاتك دار الإمارة ليلاً ووقف القُرّاء بين يديه، وفاضتِ البلدُ عليه بالتّهنئة.

واسْتَوْزَر حينئذٍ منصور بن مَنّ الله الفاتكي، فاستعصمتِ الحُرَّة هي وولدها بعُلُوِّ الدّار، فلمّا اتّصل العِلْم بالقائد سرور وكان في ساقة العسكر السّائرين إلى عَدَن انثنى راجعاً، ودخل المدينة ونادى مولاه من خلف الدّار، وقال: ارْمُوا إليّ الحبال، فأنا سرورٌ. فرفعه الأستاذون والنّساء بالحِبال حتّى وصل إلى مولاته ومولاه فسلَّم عليهما، وسَكَّنَ [٥٦ب] رَوْعَهما، وقال: هذه العساكر خلفي مُتَواصلة، ثمّ أخذ مئةً وخمسين أستاذاً فألبسهم زِيَّ الرِّجال منَ الدُّروع والسِّلاح وفتح الطِّيْقان[1]، وصاح الجميع صَيْحَةً واحدة.

هذا ومحمّد بن فاتك بن جَيّاش على سرير تحت طِيْقان الدّار، ثمّ رماه بحَجَرٍ فلم تُخْطِئ وجه محمّد بن فاتك، فهشمت أنفَهُ عند تلك الصَّيْحة العظيمة، فانهزم محمّد بن فاتك هو ووزيره ومن معهم في تلك السّاعة، وخرجوا من باب البلد [ليلاً][2]، ولم يصل العسكر إلّا في الظّهر من صبيحة تلك اللّيلة.

فهذه بعض المقدّمات الموجبات لتقدُّم سرور على جميع أهل الدّولة، وكان كريماً

---

(١) في (الأم، ب، هـ): «الطيقات»، وما أثبت عن (أ، ج، د)، وإنّما يجمع الطّاق على الطاقات والطيقان، والطاقة على الطاقات؛ والطّاق والطّاقة: ما عطف من البناء؛ اللّسان: (ط و ق).

(٢) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

جواداً؛ ولي المَهْجَم وهي كرسيُّ مُلْكٍ كبير، فكان يُقِيم في زَبِيْد من هلال ذي القِعْدة إلى آخر يومٍ من شعبان، ثمّ يخرج[١] من زَبِيْد فيصوم في المَهْجَم شهر رمضان، ويُصْلِح أحوال تلك البلاد، وتَتَّسعُ نفقاتُهُ وصِلاتُهُ في شهر رمضان اتِّساعاً يخرج عن حدِّ الوصف.

وقال الشّيخ عُبَيْد بن بحر وزير القائد سرور[٢]: وكانت وَظِيْفَةُ[٣] مطبخه في شهر رمضان كلَّ يوم ألف دينار. قال: وكنت أشاهد مدّة سنين إذا جاء منَ المَهْجَم يريد زَبِيْد وذلك في آخر شوّال، فإذا صار على قربٍ منَ المدينة اشتغل النّاس بالرَّواح إلى لقائه على اختلاف طبقاتهم، ويقفون له على تَلٍّ عالٍ هنالك؛ فأوّل طائفةٍ تُسَلِّم عليه الفقهاءُ الشّافعيّة والحَنَفيّة والمالكيّة، وكان حين يراهم يترجَّلُ لهم ويُسَلِّمُ عليهم راجلاً، ولا يترجَّل لغيرهم، ثم يجيءُ بعدهم التُّجّار، فإذا انصرفوا جاءت العسكريّة أفواجاً أفواجاً، فإذا دخل المدينة وقضى حقّ السَّلام على السّلطان مضى للفور إلى دار مولاتِهِ الحُرَّة الصّالحة عَلَم.

فإذا دخل عليها انفضَّ مَنْ كان عندها فلا يبقى عندها صغيرٌ ولا كبير إلّا جاريتها غَزال - وهي أخت زوجته- وجاريَتا مولاها منصور، وكان هؤلاء النّسوة يمشون على مِنْوال الحُرَّة ويَتَشَبَّهن بها في أفعالها وأقوالها[٤]، فإذا وصل إلى مولاته الحُرَّة نزلت عن سريرها إلى الأرض إكراماً له وتَبْجِيلاً لقدره، وتقول له: أنت -أبا محمّد- وزيرنا، بل مولانا، بل رجلنا الّذي لا يحلّ لنا أن نخرج عن طاعته في شيء. فيصيح بالبكاء بين يديها ويُعَفِّر خدَّهُ بالأرض إلى أن تتولَّى بيدها رفعَهُ عنِ الأرض، ثمّ تستأخر[٥] النّسوة الثّلاث إلى طرف المجلس، بحيث لا يسمعن ما يقول، فيفضي حينئذٍ إليها بما يريد أن يفعله من

(١) في (الأم، ب): «خرج».

(٢) المفيد: ١٤٦.

(٣) في (ج، د): «وصيفه».

(٤) قوله: «فإذا دخل عليها ... أفعالها وأقوالها» سقط في (ج، د، هـ).

(٥) في جميع النّسخ: «يستأخرون» كذا؟

التَّدبير في تلك السّنة من ولايةٍ وعَزْلٍ وإِنْعام وقَتْل.

ثمّ لا يزال واقفاً بين يديها والثّلاث النّسوة واقفات حتّى تقوم إلى صلاة الظّهر، ثمّ يخرج إلى مسجد وهو على باب داره فيجدُهُ لا يتّسع من كَثْرَةِ النّاس الّذين لا يستطيعون الخروج إلى لقائه، فيُسَلِّم عليهم ثمّ يصلّي الظّهر ويدخل بيته.

قال عُمارة في (مُفِيدِهِ)[1]: رأيت بخطِّ كاتبِهِ جَرِيْدَةَ[2] الصَّدَقات المُعْتادة الّتي كان يدفعها عند وصولِهِ إلى زَبِيْد للفقهاء والقضاة والمتَصدِّرين في الحديث والنَّحو واللُّغة وعِلْم الكلام والفُرُوع= اثني عشر ألفَ دينارٍ كلَّ سنة خارجاً عن صِلَةِ العسكريّة مع كَثْرَتهم.

وحكى عُبَيْد بن بحر وغيرُه[3]: أنّ الهدايا الّتي كان يفعلها في كلّ سنةٍ برَسْم [١٥٧أ] حواشي السَّلْطَنة منَ الجِهات[4] والأزِمَّة ووُصْفَان الخاصّ عشرون ألف دينار هديّةً وصِلَةً خارجاً عن أرزاقهم المستقرّة.

وحَكَى غيرهم: أنّ المحمول من أعماله إلى بيت مولاه في كلِّ سنة ستّون ألف دينار، وأنّ المحمول إلى بيت مال مولاتِهِ الحُرَّة عَلَم وحواشيها وترائِبها ومن يَلُوذ بها على وجه الهديّة اثنا عشر ألف دينار.

وكان يخرج إلى مسجده بعد نصف اللَّيل أو ثلثه، ويقول: إنّما أخرج في هذا الوقت لعلّي أجدُ أحداً من أهل البيوتات وأرباب التَّسَتُّر الّذين لا يقدرون على الوصول إليَّ بالنّهار؛ إمّا لكثرة النّاس أو[5] لفَرْط الحَياء. ثمّ إذا صلَّى الصُّبح ركب إمّا إلى فقيرٍ[6] يزوره أو إلى مريض

---

(١) المفيد: (محمود: ١٤٦، الأكوع: ١٩٥).

(٢) في (الأم، ب): «من يده» وهو تحريف.

(٣) المفيد: (محمود: ١٤٦، الأكوع: ١٩٥).

(٤) في (هـ): «الجهاز».

(٥) كذا: «أو» وستتكرّر، وحقّها: «وإمّا».

(٦) في (هـ): «إلى قبر».

يَعُودُهُ، أو ميت يحضر دفنه، أو وليمة أو عَقْد نِكاح يحضره، ثمّ لا يَخُصّ بذلك أحداً دون أحدٍ، بل يفعلهُ لكلّ من يعرفهُ ومن لا يعرفهُ وكلّ مَنْ دعاه أجابه صغيراً كان أو كبيراً.

وكان المُتظَلِّمُ مِنَ الرَّعيّة يجْفُو عليه ويُفْحِش له في القول وهو آمنٌ من غِرَّتِهِ وغضبِهِ وَسَورتِه، وكان إذا دُعِي إلى مجلس الشَّرْع حَضَرَ ولا يُوكِّل -كما يفعله بعضُ الجبابرة بل مَن دُونهم مِن أهل عصرنا- ثمّ كان إذا حضر قعد بين يديْ الحاكم تواضعاً ودخولاً تحت أوامر الشّرع الشّريف ليقتدي به غيرُهُ.

وكان محبًّا للعلماء والفضلاء، وكان إذا رجع بعد الرّكوب للزيارة والعِيادة - كما ذكرنا - يصل إلى دار السّلطان فيدخل ويسلِّم، ثمّ يقف بباب السّلطان فيقضي حوائج النّاس على أَكْمَل الأحوال، فإذا كان وقت الغد[اء][(١)] ركب إلى بيته فَقَالَ[(٢)] فيه إلى وقت الزّوال.

ثمّ يخرج إلى المسجد في أوّل زَوال الظِّلّ فلا يشتغل بعد الفريضة بشيءٍ سوى المُسْنَدات الصّحيحة عن رسول الله ﷺ إلى صلاة العصر، فإذا صلَّى العصر دخل بيتَهُ فيقعدُ فيه إلى الغروب، فإذا حان وقت الغروب خرج قبل غُرُوب الشّمس إلى المسجد، فإذا صلَّى تَناظر الفقهاء بين يديه إلى وقت صلاة العشاء فيصلّيه، وربّما بَطَلَتِ المُناظرة في بعض اللّيالي، فيركب حماراً ويأخذ وَصِيفاً بين يديه[(٣)] حتّى يجتمعَ بالحُرَّة الملكة عَلَم للمَشُورة في بعض المَهامّ.

ولم يزلْ هذا حاله من سنة تسعٍ وعشرين وخمس مئة إلى أن قُتِلَ في مسجده بزَبِيْد في الرّكعة الثّانية[(٤)] من صلاة العصر يوم الجمعة الثّاني عشر[(٥)] من شهر رجب من سنة إحدى

---

(١) في (الأم): «الغد».

(٢) قال: من القَيلولة.

(٣) قوله: «إلى وقت صلاة العشاء ... بين يديه» سقط في (هـ).

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «الثالثة».

(٥) في (الأم): «الثانية عشر» وهو خطأ.

وخمسين وخمس مئة، وكان الّذي قتله رجلٌ يُقال له: مجرم، من أصحاب عليّ بن مهديّ، ثمّ قُتل قاتلُهُ في تلك العشيّة بعد أن قَتَلَ جماعةً منَ النّاس.

قال الجَنَديّ(١): ومسجده في زَبِيْد يُعْرف إلى الآن بمسجد سرور وهو غربيّ المِرْباع، قال: ولا يُعْرف من هو سرورٌ إلّا آحاد النّاس، وأمّا عامّة أهل زَبِيْد [٥٧ب] فيَعْرفون أنّهُ منِ المساجد المنسوبة إلى الحَبَشة.

قال عُمارة(٢): ولم تَقُمِ الدّولة بعده إلّا قليلاً حتّى أزالها ابن مهديّ وملك زَبِيْد وأعمالها، وذلك أنّهُ لما قُتِلَ القائد سرور في التّاريخ المذكور تَنافس القوّاد وأعيان الدّولة على موضعه واشتغلوا عن تدبير المملكة وتحصين البلاد.

وكان ابن مهديّ قد طلع عن بلاده العَنْبَرَة(٣) إلى الجبل، وذلك بعد أن ماتتِ الحُرَّة عَلَم، وكانت وفاتها في سنة خمس وأربعين وخمس مئة، فتحصَّن ابن مهديّ بحصن يُقال له: الشَّرَف(٤)، وهو أحد حصون وُصاب المُطِلَّة على وادي زَبِيْد من بلاد اليمن.

فلم يزل يُكرِّر الغزو ويضعف البلاد وأَخْرَب القرى الّتي حَوْل المدينة حتّى أَخْلاها عن أهلها، ولم يبقَ إلّا المدينة فأخذها وذلك بعد أن لاذَ الحَبَشة بالإمام أحمد بن سليمان صاحب المشرق، وسألوه أن ينصرهم على ابن مهديّ، فقال: لا أفعل حتّى تقتلوا مولاكم فاتك بن محمّد بن فاتك بن جَيّاش(٥). وكان فاسقاً في نفسه، وبلغ من فِسْقِهِ أنّه كان يجعل في بطنه بَرِيماً(٦) كالنِّساء، فقتله عَبيده في سنة ثلاث وخمسين(٧) وخمس مئة.

---

(١) السّلوك: ٢/٥١٣.

(٢) المفيد: (محمود: ١٤٨، ١٥٢، الأكوع: ١٩٦).

(٣) في (د): «القنبرة»، وإنّما هي «العَنْبَرَة»؛ انظر معجم البلدان: ٤/١٦١.

(٤) في (الأم): «الشريف»، وما أثبت وهو الصّواب عن (أ، ب، ج، د، هـ).

(٥) في (الأم، أ، ب): «فاتك بن محمّد بن منصور بن فاتك بن جَيّاش» وهو خطأ، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٦) البَرِيم: حبلٌ مُزيّن تشدُّهُ المرأة على وسطها وعَضُدِها.

(٧) في (هـ): «في سنة خمس وستين وست وخمسين وخمس مئة».

ثمّ وصل الإمام أحمد بن سليمان إلى زَبِيْد بعد قتل فاتك لينصر أهل زَبِيْد فعجز عن نصرهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فلمّا تيقّن ابنُ مهديّ ضعف الحَبَشة عن مقاومته تقرَّبَ إلى زَبِيْد فحاصرهم حصاراً شديداً وضيّق على أهل زَبِيْد حتّى قِيل: إنّهم أكلوا الميتة في مدّة حصاره.

ورُوِي: أنّه زاحَفَهم سبعين زحفاً حتّى افتتح المدينة قهراً في التّاريخ[1] الّذي سيأتي ذكرُهُ إن شاء الله تعالى، وبالله التّوفيق.

(١) في (الأمّ، ب): «التاريخ المذكور».

الفصل الرّابع
في ذِكْر قيام السَّيِّد عليّ بن مهديّ القائم باليمن وزَوال مُلْك الحَبَشة وانْقِضاء دولتهم

قال علي بن الحسن الخَزْرَجيّ، عاملَهُ الله بإحسانِهِ: كان زَوالُ ملك الحَبَشة وانْقِضاء دولتهم على يدِ السَّيِّد أبي الحسن عليّ بن [مهديّ بن] محمّد بن عليّ بن داود بن محمّد بن عبد الله بن [ميمون] بن أحمد بن أبي الجُماهر(١) بن عبد الله بن الأَغْلب(٢) بن أبي الفوارس بن ميمون الحِمْيريّ الرُّعَينيّ(٣).

وكان يسكن هو وأبوه العَنْبَرَة من وادي زَبِيْد في أسفل الوادي - [قرية](٤) قريبة من البحر - وكان أبوه رجلاً صالحاً سليمَ الصَّدر، ونشأ ولدُهُ على هذا على طريقة أبيه في العُزْلة والتَّمسُّك بالعبادة.

ولم يزلْ من سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة كلّما دخلت أَشْهر الحَجّ يخرج حاجًّا على نَجيبٍ(٥) له إلى سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مئة، فكان يلقى علماء العراق ووُعّاظهم فيباحثهم في علومهم ويتضّلع مِن(٦) معارفهم، فأظهر الوَعْظ وإطلاق التّحذير من صُحْبة[١٥٨أ]

(١) في جميع النّسخ: «... محمد بن أحمد بن عبد الجماهر»، وما أثبت عن مصادر ترجمته أدناه.
(٢) في (ج، د): «عبد الله الأغلب» وفي (هـ): «الفوارس ميمون».
(٣) انظر ترجمته في: السّلوك: ٥١٨/٢، وبهجة الزّمن: ١٢٣، والعقد الفاخر الحسن: ١٢٩٧/٣ والعقود اللّؤلؤيّة: ١٥٥/١، وقرّة العيون: ٣١١، وتاريخ ثغر عدن: ١٥٩، والأعلام: ١٧١/٤..
(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د).
(٥) النَّجِيب، من الإبل: العتيق كريم الأصل.
(٦) في (أ): «يتطلع على»، وفي بقيّة النّسخ بما في ذلك (الأمّ): «يطّلع».

الملوك وحواشيهم.

وكان رجلاً طويلاً أخضر اللّون، فصيحاً صَبِيحاً ملوّح الخدّين[١]، طويل القامة مَخْرُوط الجسم، حَسَن الصّوت، طيِّب النَّغْمة، حِلْو الإيراد، غزير المحفوظات، بين عَيْنَيْهِ سَجْدةٌ، قائماً بالوعظ والتّفسير وطريقة التَّصوُّف أتمَّ قيام، وظهر أمره في سواحل الوادي زَبِيْد، وكان يتحدّث في أحوال المُسْتَقْبَلات فيصدق؛ وكان ذلك من أقوى عُدَدِهِ في استمالة قلوب الرِّجال.

ولمّا ظهر أمرُهُ في سواحل الوادي زَبِيْد: وهي العَنْبَرَة وواسِط والقَضِيب والأَهْواب، وكان له بها ذِكْرٌ وشهرة بالصّلاح والعبادة والمُكاشفة والوعظ، وكان يتنقل في هذه الأماكن ويُكْثِر الوعظ، ولا يَقبلُ هديّةً ولا صدقة، وكان رقيقَ القلب، سريعَ الدَّمعة غزيرها لا تَرْقَأ عَبْرَتُهُ مرّ[٢] الأوقات.

وكان أوّل ظهوره في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، ولم يزلْ على ما هو عليه من العبادة والعُزْلة والوعظ، وتَنْفِير النّاس عنِ الملوك وحواشيهم وأتباعهم، فثبت له بذلك عند الحُرَّة الملكة عَلَم أُمّ فاتك بن منصور مكانةً، فأطلقت له خَراج أرضه وأراضي من يلوذ به من قريب أو صاحب. وذلك في سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مئة، فلم يمضِ لهم هُنَيْهة حتّى أَثْروا واتّسعت بهم الحال وركبوا الخيل، فكانوا كما قال أبو الطَّيِّب المُتنبِّي[٣]: (من الكامل)

فَكَأَنّما نُتِجَتْ قِياماً تَحْتَهُمْ وكَأَنّما وُلِدُوا على صَهَواتِها[٤]

ثمّ أتاهُ قومٌ من أهل الجبال فحالفوه على النُّصرة له، وكانت بيعته بالقَضِيب من وادي زَبِيْد، فخرج من تِهامة إليهم سنة ثمانٍ وثلاثين وخمس مئة، فاجتمع معه من الرِّجال

(١) ملوّح الخدّين: مُغَيَّر لونها إلى ما يُستملح.

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «على مر». وتَرْقَأ: تَجِفّ. والعَبْرَة: الدّمعة.

(٣) شرح الديوان: ٢/٣١١.

(٤) في (ج، د، هـ): «وكأنهم ولدوا».

نحوٌ من أربعين ألفاً، فقصد بهم الكَدْراء فلقيهم القائد إسحاق بن مرزوق السّحرتيّ بمن معه من أصحابه فهزموا ابن مهديّ وأصحابه فقتلوا منهم طائفةً وعَفَوا عن أكثرهم، فعاد ابن مهديّ إلى الجبال، فأقام بها إلى سنة إحدى وأربعين، ثمّ كاتب الحُرَّة عَلَم وسألها ذمّةً له ولمن يلوذ به، ففعلتِ الحُرَّة له ذلك على كُرهٍ من أهل دولتها وفقهاء عصرها؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فعاد إلى وطنه وأقام يشتغل أملاكَهُ عدّة سنين وهي مطلَقَةُ الخَراج، حتّى اجتمع عنده مالٌ جزيل، وكان يقول في وعظه: أيّها النّاس أَزِفَ الأمر ودنا الوقت، كأنكم بما أقولُ لكم وقد شاهدتمُوهُ عِياناً.

فلما ماتتِ الحُرَّة في سنة خمسٍ وأربعين وخمس مئة - كما ذكرنا أوّلاً - بايعه أصحابُهُ في سنة ستٍّ وأربعين وكانت بيعتُهُ الثّانية بالقَضِيب أيضاً، فبايعوه على الجهاد بين يديه لأهل المنكر - وهم الحبشة، ومن عاضدهم منَ العرب وأكثرُهُم الأشاعر - وأمرهم بقَتْل مَن خالفه، وإن كان من قومه أو قومِهم.

ولما انتظمتِ البيعة له قام [٥٨ب] فيهم خطيباً فقال في أثناء خطبتِهِ:

والله ما جعل اللهُ فناءَ الحَبَشة إلّا بي وبكم، وعمّا قليل - إن شاء الله - سوف تعلمون، واللهِ العظيم ربّ موسى وهارون إنّي [عليهم][1] ريحُ عادٍ وصيحة ثَمود، وإنّي أحدِّثكم فلا أكذِبُكم وأعدِكم فلا أخلفكم، ولئن كنتم أصبحتم قليلاً لَتكثُرُنّ أو وُضعاء لَتشْرُفُنّ، وأذِلّاء لَتُعزُّنّ حتّى تصيروا مثلاً في العَرَب والعَجَم ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[النجم: ٣١]، فالأَناةَ الأَناة، فوحقِّ الله العظيم على كلِّ مؤمن موحِّدٍ لأُخدِمَنَّكم بناتِ الحَبَشة وأخواتِهم[2] ولأُخَوِّلَنَّكم أموالهم وأولادهم، ثمّ قرأ قوله تعالى:

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د).

(٢) في (أ، د): «وإخوانهم».

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[التوبة:٥٥].

ثمّ ارتفع إلى الجبال فأصبح في موضعٍ يُقال له: الدّاشِر[١] من بلاد خَولان، ثمّ ارتفع إلى حصنٍ يُقال له الشَّرَف، وهو لبطنٍ من خولان يُقال [لهم][٢]: خَيْوان[٣]، فسمّاهم الأنصار، وسَمّى مَن صعِد معه من تِهامة المهاجرين، ثمّ ساء ظَنُّهُ بكلّ أحدٍ ممّن هو في صحبتِهِ خوفاً منهم[٤] على نفسه، فاحتجب منهم.

فأقام في الأنصار رجلاً مِنْ خولان يُقال له: سبأ بن محمّد ولقَّبَهُ شيخ الإسلام، وأقام في المهاجرين رجلاً منَ العِمْرانيّين يُسمَّى: التّوبتي[٥] ولقَّبَهُ أيضًا شيخ الإسلام، وجعلهما نَقيبَيْن على الطّائفتين، فلا يُخاطبُهُ ولا يصل إليه أحدٌ سواهما، وربّما احتجب فلا يرونه وهم يتصرّفون في الغزو، ولم يزل يُغادي الغاراتِ على تِهامة ويُراوحها حتّى أُخْرِبتِ الحَوازّ المُصاقِبة[٦] للجبال؛ والحَبَشة يومئذٍ تبعث الأَبْدال على المراكز فلا يُغْنون شيئاً لوجوه كثيرةٍ منها: أنّ الحصن، الّذي يُقال له: حصن الشَّرَف، حصنٌ منيعٌ بنفسه، وبكَثْرَة خولان، وأنّ الإنسان إذا أراد أن يصل إلى حصن الشَّرَف مشى في وادٍ ضَيّقٍ بين جبلين مسافة يومٍ كامل أو بعض يوم، فإذا وصل إلى أصل الجبل الّذي فيه الحصن احتاج في طلوع النَّقِيْل إلى نصف يومٍ حتّى يقطع العَقَبَة.

ومنها: أنّ الوادي يتّصلُ مسيلُهُ من تِهامة بشِعابٍ عظيمةٍ إذا كَمَنَتْ فيها الجُيُوش

---

(١) في (الأمّ، ب): «الناشر»، وفي (هـ): «الداشي»، وما أثبت عن (أ، ج، د): «الداشر»، وهو في معجم البلدان: (٤٣٢/٢): «الداسر» بإهمال السّين؛ وانظر تعليق القاضي إسماعيل الأكوع عليه في البلدان اليمانية عند ياقوت: ١١٥ .

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٣) في (ج، د): «بنو خيوان».

(٤) قوله: «خوفاً منهم» سقط في (ج، د، هـ).

(٥) في (أ): «التويتي» وفي (ج، د): «الثويبي».

(٦) في (الأمّ، ج، د): «المصافية» وفي (أ): «المصافنة».

العظيمة والعساكر الجرّارة شهراً لم يَعْلَم بهم أحد.

فكانت عساكر ابن مهديّ إذا غارت على بعض أعمال تِهامة ونَهَبَتْ وأَخْرَبَتْ وأدركها الفجر قبل أن تصل جبلَ الحصن كَمَنَتْ في بعض تلك الشِّعاب فلا يُوصل إليها ولا يُقدر عليها.

ولم يزل ذلك مِنْ فعلِهِ مع أهل البوادي حتّى أخرب جميع البوادي وبَطَلَ الحَرْثُ والعِمارة في مدَّتِهِ، وانقطعتِ القوافل وبَطَلَتِ الأسفار، وكان يأمر أصحابه أن يسوقوا ما وجدوه مِنَ الدّوابّ والمواشي ومنَ الرَّقيق أو غيره [٥٩أ] فما عجز عنِ المسير عَقَرُوهُ، ففعلوا من ذلك ما أَرْغَبَ وأَرْهَبَ.

قال عُمارة في (مُفِيدِهِ)[١]: ولقيت ابن مهديّ عندَ الدّاعي محمّد بن سبأ صاحب عَدَن بمدينة جِبْلَة سنة تسعٍ وأربعين وخمس مئة، وقد قصد الدّاعي مستنجداً على أهل زَبِيْد فلم يجبْهُ الدّاعي وعرض عليَّ صحبته، وعقد لي أن يقدّمني على جميع أصحابه.

قال علي بن الحسن الخَزْرَجيّ، عاملَهُ بجوده وكرمه ومزيدِهِ: وفي هذه المذكورة -أعني سنة تسع وأربعين وخمس مئة- كانت قضيّة[٢] أهل قرية المغلَّف[٣] فيما رواه الإمام أبو الحسين علي بن أبي بكر بن فضيل قال: وهي قرية فيما بين الكَدْراء والمَهْجَم في أرض تِهامة قريبة من قرية الجَنَّة، أرسل الله عليهم سحابةً سوداء من قبل اليمن فيها رجف شديد وبَرْق وشُعَل نارٍ تلتهب.

فلمّا رأوا ذلك زالت عُقُولهم من هَوْل ما رأوا فالتجأ بعضهم إلى المساجد فغشيَهم الأمر، واحتملتِ الرِّيح أكثرَ القرية من تحت الثَّرى بمساكنهم، وما فيها منَ النّاس والدّوابّ والنّساء والأطفال فألقتهم الرِّيح في مكانٍ بعيدٍ عن قريتهم بقدر خمسة أميال،

---

(١) المفيد: (عمود: ١٥١، الأكوع: ١٩٩).

(٢) في (أ، د، هـ): «قصة».

(٣) في (الأم، أ، د، هـ): «المعلف» وما أثبت عن (ب، ج)؛ انظر المستبصر: ٩٠.

فوُجِدُوا حيثُ ألقتهم الرِّيح صَرْعَى وبقي بعضُهم له أنينٌ وهم صُمٌّ وعُمْيٌ وخُرْسٌ حتى ماتوا، وقيل: حملتهم الرِّيح فألقتهم في البحر.

وفي كتاب (المستبصر) قال[١]: «هما قريتان من أعمال الجَنَّة تُسمَّى إحداهما: المغلّف وتُسمَّى الأخرى: الأُسَيْخِلَة[٢] قال: فبينما القوم في مصالح أمورهم، الرِّجال تحرث، والنِّساء تَغْزِل، والحَمِير تَتَناهق، [والكِلاب تَتَنابح، إذِ ارتفعوا عنِ الأرض بكلابهم ورجالهم ونسائهم][٣]، فغابوا عن أعين الخَلْق فلم يدرِ أحدٌ ما فعل الله بهم، ولا [ما][٤] كان من أمرهم».

قال: وكان ذلك في سنة أربع وستّين[٥] وخمس مئة، والله أعلم.

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ: وفي سنة تسعٍ وأربعين وخمس مئة سقطت من السّماء حَجَرَةٌ فوقعت في الصَّلاحِفَة، وهو موضعٌ قريبٌ من مدينة ذي جِبْلَة.

ووقعت رجفةٌ شديدةٌ وتزلزلت منها الأرض بأهلها، وذلك يوم الجمعة السّادس من شهر ربيعٍ الأوّل منَ السَّنة المذكورة.

وانشقّتِ السّماءُ وسط النّهار، وظهر نجمٌ وبعده دُخَانٌ في المِخْلاف الأخضر، وحصلت بعد ذلك زلزلةٌ شديدة في اليمن من صنعاء إلى عَدَن هَلَكَ فيها عددٌ كثيرٌ منَ النّاس وانهدم كثيرٌ منَ الحصون والقُرَى والمساكن، من ذلك حصن حَبَّ انهدم بعضه وهلك فيه ثمانيةُ أنفس، وانهدم من حصن عَزّان[٦] بعضه؛ ومن القرى قريتا حَقْلَة العُلْيا

---

(١) المستبصر: ٩٠، بتصرّف يسير.

(٢) في جميع النّسخ: «الإسخلة» وفي (هـ): «المسحلة»، وما أثبت عن المستبصر: ٩٠.

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن المستبصر.

(٥) في (ج): «تسع وأربعين».

(٦) في (الأمّ، ب، هـ): «عران».

والسُّفْلى انهدمتا جميعاً ومساجدهما، وهلك فيها نَفَرٌ [كثير](١)، وانهدمت قرية ضلاعة وهلك فيها أربعة عشر إنساناً، وانهدم برَيْمان(٢) منزل مسلم بن حسين وهلك فيه خمسة نفر، وانهدم(٣) [٥٩ب] منزل عيسى بن أحمد برَيْمان أيضاً على ثلاثة نفر، ومنزل أخيه عليّ بن أحمد على ثلاثة أيضاً، وانهدم منزل يُعْفِر وهلك فيه خمسة وغارت مِياهُهُ، وانهدم قصر محمّد بن مسلم وهلك فيه هو(٤)، وانهدم دار عبد السّميع(٥) وهلك فيه اثنان، وانهدم في بَعْدان إلى رأس وادي مرارة(٦) عدّة مساكن ومنازل، ولم يهلِك فيها أحد، وانهدم في السَّحول دار ابن الغرب وهلك فيه سبعة، وانهدمت قرية العقاير(٧) وهلك فيها ثمانية، وانهدمت قرية المحصن وهلك فيها تسعة، وانهدمت قرية ذي الملكي(٨) وهلك فيها أربعة عشر(٩)، وانهدم منزل ذي قَيْفان على أربعة، وانهدمت أَكَمَة الرُّبَيْضَة(١٠) وهلك فيها [خمسة عشر](١١)، [وانهدم منزل يُعمر عليه وهلك فيه سبعة](١٢)، وانهدمت بعض دار ابن عبّاس(١٣) وهلك فيها خمسة، وانهدم قصر بني معمر(١٤) بالمَحَلَّة وهلك فيه خمسة وخمسون إنساناً، وانهدم

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د).

(٢) في (الأم، ب، هـ): «برتمان»، وما أثبت وهو عن (أ، ج، د) وسيأتي بُعيده على الصّواب.

(٣) قوله: «برتمان ... وانهدم» سقط في (هـ).

(٤) قوله: «وغارت ... فيه هو» سقط في (أ).

(٥) في (ج، د، هـ): «ابن عبد السميع».

(٦) في (د): «مرار».

(٧) في (أ، ج): «العقار».

(٨) في (هـ): «المليكي».

(٩) قوله: «وانهدمت قرية المحصن ... أربعة عشر» سقط في (أ) وفي (ب): «... أربعة» فحسب.

(١٠) في (د): «الوبيضة».

(١١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

(١٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (د) ونحوه في (ج، هـ) وفيهما: «... معمر عليه ...».

(١٣) في (ج، د): «دار عباس».

(١٤) في (أ): «المعمر».

قصرهم الأعلى وهلك فيه سبعة، وانهدم بعض المَحَلَّة وهلك فيه ثلاثة عشر، وانهدمت أَكَمَةُ الجدة تحت مُغْرَى[(١)] وهلك فيها سبعة وستّون، وانهدم حصن شَواحِط وهلك فيه سبعة وثلاثون، وانهدم حصن ذي الحرسة[(٢)] وهلك فيه نيّفٌ[(٣)] وأربعون، وانهدمت أكمة سُمَارة وهلك فيها أحد عشر، وانهدم في الشّوافي حصن الظُّفّر وهلك فيه ثمانية نفر، وانهدم حصن المَجْمَعَة وهلك فيه[(٤)] خمسة وثلاثون، وانهدم مِعْقاب الأمير وبيته وهلك فيه ثمانية عشر، وانهدم المسجد على أربعة، وانهدمت رُحاب وهلك فيها ستّةٌ وعشرون، وانهدم المَنْقَل بالسُّماري وهلك فيه ثلاثةُ نفر، وانهدم منزل الماخر بعَلاس وهلك فيه سبعة، وانهدمت أكمة الصّحافي وهلك فيها سبعة، وانهدم دار ابن مصباح بعَلاس وهلك فيها ثمانية عشر من أهله وثمانية عشر من غير أهله، وانهدم قصرٌ بحَيْران بخَدِد، وانهدم دار على أكمة بالمُشَيْرِق[(٥)] وهلك أهلُهُ فيه أربعةَ عشرَ، وانهدم قصر ابن صابر وهلك فيه خمسة عشر، وانهدم في أُحاضة[(٦)] حصن الخضراء وهلك فيه خمسة وسبعون، وانهدم حصن يَفُوز وهلك فيه ستّة نفر، وانهدم حصن[(٧)] شُعَيْب وهلك فيه ثلاثون، وانهدم منزلان بالرّسغة[(٨)] وهلك فيهما[(٩)] اثنان، وانهدم بعض حصن قُوَيْس[(١٠)]، وانهدمت قرية الثّغادي[(١١)] ولم

---

(١) في جميع النّسخ: «معرى» بإهمال حروفها؛ والأرجح بإعجام العين؛ انظر صفة جزيرة العرب: ١٠٤، ١٠٥.

(٢) في (ج، د): «الحربية».

(٣) في (أ): «ست وأربعون» وقوله: «نيف» سقط في (ج، د، هـ).

(٤) قوله: «في الشوافي ... وانهدم» سقط في (أ) وقوله: «فيها أحد عشر ... وهلك» سقط في (د).

(٥) في (أ): «بالمشرق» وفي (ج): «بالمسبوق» وفي (د، هـ): «بالسوق»، وإنّما هو «المُشَيرِق» تصغير المشرق؛ انظر السّلوك: ٢٣١/١.

(٦) قوله: «أحاضة» بالضّاد أخت الصّاد، كذا؟ وإنما المعروف: أُحاظة ووُحاظة.

(٧) في (د): «بعض حصن».

(٨) في (ج): «بالرسيقة» وفي (د): «بالرسيغة» وفي (هـ): «بالسريعة».

(٩) في (الأم): «فيها».

(١٠) في (أ، ب): «بويس» وفي (ج، د، هـ): «يريس».

(١١) في (ج): «التعاري» و(د): «الثغاري».

[يهلك](١) بها أحد، وانهدم دار بالأرماد تحت حصن الجدة وهلك فيه خمسة، وانهدم من عَنَّة حصن حياز(٢) والبقعة والمَقْرَعَة تزلزلت وانهدم بعضها ولم يهلك فيها أحد[٦٠أ]، وانهدم حصن مَسار وهلك فيه اثنان وعشرون رجلاً، وانهدمت أكمة الماء وهلك فيها ثمانية عشر، وانهدمت أَكَمَة منفدة وهلك فيها اثنان وعشرون(٣) وبقي منهم واحد، وانهدمت سموع دورها ومساجدها وهلك فيها ثلاثة وعشرون، وانهدم بعض قرية وزالي وهلك فيها ثلاثة، وانهدمت مدينة إبّ وهلك فيها ثلاث مئة -وقيل: ثلاث مئة وسبعون- وانهدم منزل الرُّدَينيّ تحت إِبّ وهلك فيه ثمانية، وانهدم منزل المطهرة(٤) وهلك فيه اثنان وثلاثون، وانهدم منزل الكرية وهلك فيه تسعة عشر، وانهدم منزل الخفيف وهلك فيه اثنا عشر، وانهدم بعض الرّضمة وهلك فيها ثمانية، وانهدم منازل(٥) مؤاثر وهلك فيه اثنا عشر(٦)، وانهدمت قرية ذي حُوال(٧) وهلك فيها سبعون، وانهدم أكثر أُنامِر وهلك فيها ثلاثة، وتزلزلت مدينة ذي جِبْلَة فتشعّث بعض قصورها ودورها وهلك فيها اثنان، وانهدم منزل النّبْعيّ(٨) وهلك فيه ثمانية، وانهدم على مراد داره وهلك فيه أربعة، وانهدمت [أكمة](٩) الحمراء على أهلها وهلك فيها اثنا عشر، وانهدم منزل مفلح بالمندم وهلك فيه ستّة، وانهدمت قرية السّمراء وهلك فيها ثلاثون، وانهدم في نَعِيْمَة منزل ابن عبد السّلام وهلك

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) في (د): «اخباز».

(٣) قوله: «وانهدمت أكمة ... اثنان وعشرون» سقط في (ج، د، هـ).

(٤) في (أ، د، هـ): «الظهرة» وفي (ج): «الظهر».

(٥) في (أ، ب): «منزل».

(٦) قوله: «وانهدم بعض الرضمة .. اثنا عشر» سقط في (ج، د، هـ).

(٧) ذو حُوال: كذا ضُبط بضم الحاء المهملة بالسّلوك: ١٦٨/١.

(٨) في (ج، د): «التبعي» وهو كذلك في المستبصر: ٧٣.

(٩) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

فيه خمسة، وانهدمت حصون المِسْواد[١] وهلك فيها ثلاثة نفر، وانهدم في قَتاب دار على صاحبه، وانهدمت قرية المقطح[٢] جميعها وهلك فيها عشرة، وانهدم بعض قرية عتاب وقصر النَّبْعيّ ولم يهلك فيه أحد، وانهدم بالثّواني[٣] دار ياسين عليه وهلك فيه اثنا عشر، وانهدمت دور ومنازل كثيرة وتشعّث من القرى والدّور شيءٌ كثير، [والمساكن ما لا يحصى عدده إلّا الله، وهلك من المواشي والأنعام شيءٌ كثير][٤].

وكان قد حصل قبل ذلك زلزلةٌ شديدة في يوم السّبت الخامس والعشرين من شهر ربيعٍ الأوّل من سنة أربعين وخمس مئة فسقط كثيرٌ منَ الدّور والقصور والحصون ومادتِ الأرض بأهلها مَيْداً شديداً، ولم يَهْلِك منها أحدٌ منَ النّاس، والله أعلم.

قال عليّ بن الحسن، قابله الله بما هو أهلُهُ: ولـمّا رجع عليّ بن مهديّ من مدينة ذي جِبْلَة من عند الدّاعي محمّد بن سبأ إلى حصن الشَّرَف وذلك في سنة تسع وأربعين وخمس مئة[٥] دبّر على قَتْل القائد سرور الفاتكيّ، فلم يزل يرصدُهُ حتّى قُتل في التّاريخ المذكور وهو سنة إحدى وخمسين، فاشتغل رؤساء الحَبَشة بالتّنافس والتّحاسد على مرتبته، وكانتِ الحُرَّة عَلَم قد توفِّيت في سنة خمسٍ وأربعين كما ذكرنا أوّلاً.

فانفتح على أهل [٦٠ب] الدّولة بعد القائد سرور باب الشّرّ المسدود، وانحل عقدُها المشدود، ففارق ابن مهديّ حصن الشَّرَف وهبط إلى الدّاشِر وبينه وبين مدينة زَبِيْد أقلّ من نصف يوم، فتقربتِ الرَّعايا إليه وعرب البلاد، وهم الّذين كانوا رعايا الحَبَشة، فكان الرّجل من أصحاب ابن مهديّ يلقى أخاه أو قريبه أو معروفه ممّن هو مع الحَبَشة إمّا

---

(١) في (ج، هـ): «ابن المسواد» وفي (د): «ابن مسواد».

(٢) في (أ): «المقطع» وفي (ج، د، هـ): «المنطح».

(٣) في (أ، د): «بالثوابي» وفي (ج): «بالتوابي».

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٥) في (ب): «وأربع مئة».

مزارع أو راعي ماشية أو حارس ضيعة[١] فيفسده، ولم يزل الأمر على ذلك.

ثمّ إنّ ابن مهديّ زحف بجموعه إلى باب المدينة في جيوشٍ لا تُحْصَى كثرةً، وحدّث غير واحد من أهل زَبِيْد ممّن أدرك الحصار بزَبِيْد قالوا: لم تصبر أُمّةٌ على الحصار والقتال ما صَبَرَ عليه أهل زَبِيْد، وذلك أنّهم قاتلوا ابن مهديّ اثنين وسبعين زحفاً يُقْتَلُ في كلّ زَحْف من عسكره مثلما يَقْتُلُ منهم، وصبروا على الضّرّاء والجوع، حتى أكلوا الميتة من شدّة الجهد والبلاء.

ثمّ إنّهم استنجدوا بالإمام أحمد بن سليمان الهَدَويّ صاحب صَعْدَة، فأنجدهم طمعاً في ملك زَبِيْد، وكانوا شرطوا له أن يملّكوه عليهم، فقال لهم الإمام أحمد بن سليمان: إذا قتلتم مولاكم فاتك نَصَرتكم على عدوّكم، فوثب عَبِيد فاتك[٢] بن منصور بن فاتك بن جَيّاش عليه؛ فقتلوه في [أحد] شهور[٣] سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة.

ثمّ عجز الشَّريف عن نصرهم، واشتدَّ الحصار وطال الأمر حتّى دُخِلتِ المدينة قَهْراً في يوم الجمعة الرّابع عشر من شهر رجب من سنة أربع وخمسين، فأقام فيها بقيّة شهر رجب وشعبان وشهر رمضان، وتوفّي يوم السّادس من شوّال منَ السَّنة المذكورة سنة أربع وخمسين وخمس مئة، فكانت مدّة ولايته في زَبِيْد شهرين وأحد وعشرين يوماً، والله أعلم.

ودفن في الموضع المعروف بالمشهد بزَبِيْد، وكان قد عيّنه لولده وأمره أن يجعله جامعاً يُصَلّى فيه الجمعة نظيراً لما فعلته الحُرَّة بذي جِبْلَة، ففعل ابنه جميع ما أوصاه به أبوه من ذلك، وكان المسجد مسجداً كبيراً يُصَلّى فيه الجمعة، وهو قُبالة المدرسة المعروفة في وقتنا هذا بمدرسة المِيْلَيْن، وقد خَرِب بعد ذلك، وجُعِل إِصْطَبْلاً لبعض ملوك الغُزّ.

---

(١) كذا العبارة؟ والصواب: «إمّا مزارع وإمّا راعي ...».

(٢) في (الأم، أ): «عبيد ابن فاتك» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٣) في (الأم): «في شهور»، وفي (ج): « في آخر شهور» وما أثبت عن (أ، ب، د، ه).

قال عليّ بن الحسن الخزرجيّ: وأخبرني والدي، رحمة الله عليه، قال: أدركته وقد خَرِبَ بعضُهُ وبعضه قائم العِمارة يُجعل فيه الفَرْشخانة والمَحامِل الّتي للسّلطان، وكانوا يسمّونه: مِعْقاب عاتكة.

ثمّ إن السّلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل أراد أن يجعل موضعَهُ مدرسةً، وشَرَعَ البُناة في تأسيسه، وشاهدتهم - في مدّة استمرار القاضي سراج الدّين عبد اللّطيف بن محمّد [بن عليّ] بن سالم [٦١أ] مشدًّا[1] - بزَبِيْد يبنون في أسواسه[2] بالآجُرِّ والطِّيْن.

وقد قسّمه المِعْمار عليّ بن زيد مُقدّماً ومؤخّراً، والسّلطان رحمه الله في أشدّ ما يكون من الاهتمام بذلك، ثمّ انثنى عَزْمُ السّلطان عن ذلك الأمر، ثمّ بعد ذلك جَعَلَهُ مُناخاً للجِمال، فهو اليوم مُناخٌ لجِمال السّلطان الملك النّاصر من مدّة سنين، و﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[الروم: ٤].

ولمّا توفّي عليّ بن مهديّ في تاريخه المذكور قام بالأمر بعده ولدُهُ مهديّ بن عليّ بن مهديّ، فغزا البلاد ودَوّخَ الملوك، وصالحه الدّاعي عِمْران بن محمّد بن سبأ عن مدينة عَدَن والدُّمْلُوَة بمالٍ معلوم، هذه رواية الجَنَديّ[3].

وقال صاحب (العقد الثّمين): لمّا توفّي عليّ بن مهديّ في التّاريخ المذكور بمدينة زَبِيْد دُفِن بها، وعَمِلَ أولاده على قبره مشهداً وصاروا يحجّون إليه، ثمّ وَلي الأمرَ بعدَهُ ولدُهُ عبد النّبيّ وأخوه مهديّ ابنا عليّ بن مهديّ، فكان عبد النّبيّ مُتَوَلِّياً أمور المملكة وتدبيرها، وأخوه المهديّ مُتَوَلِّياً أمور الجيوش والسّرايا. فاستباح بلاداً كثيرة، وقتل

---

(١) في (الأم، ب): «منشداً»، وفي (ج): «مشيداً»، وما أثبت عن (أ، د، هـ). وما حُفّ بمعكوفتين قبله سقطٌ في جميع النّسخ؛ انظر العقد الفاخر الحسن: ١١٨١/٣، والعقد الثمين: ٤٨٩/٥.

(٢) قوله: «أسواسه» كذا في جميع النّسخ؟ وإنّما المعروف في جمع الأُسّ والأساس: آساس وإساس وأُسُس.

(٣) السّلوك: ٥١٨/٢.

ثلاثٍ عظيمة، وأغار إلى لَحْج غارتين، إحداهما في شعبان من سنة ستٍّ وخمسين والثّانية في رمضان من سنة سبع[١] وخمسين وخمس مئة، فقتل من أهل لَحْج في الغارتين عدداً كثيراً، وسَبى الحريم، ونهب أموالاً جَمَّة؛ وقيل في ذلك أشعارٌ كثيرة، منها قول الهُبَيني[٢] الشّاعر: (من المنسرح)

أَتَشْرَبُ الخَمْرُ في رُبَى عَدَنٍ والبِيْضُ والسُّمْرُ في الخَصِيْبِ ظِما؟
كَلَّا ومَهْدِيٌّ فارِسٌ بَطَلٌ وصَدْرُ حَيْزُومٍ يَمْلَأُ الحُزُما

وقال آخر: (من الطّويل)

لِمَنْ عَسْكَرٌ كاللَّيْلِ يَغْدُو بِدُهْمَةٍ ويَزْهُو بِمَيْمُونِ الزَّمانِ وشَهْمِهِ[٣]
بِأَبْلَجَ إِمّا جادَلُوا فَمُحَمَّدٌ بَياناً وإِمّا جالَدُوا فابْنُ عَمِّهِ[٤]

قال: ثمّ غارا في شوّال منَ السَّنة المذكورة فحَصَرَا أهل مدينة الجَنَد أربعة عشر يوماً، ثمّ دخلها يوم الإثنين غرّة ذي القِعْدة من سنة ثمانٍ وخمسين وخمس مئة، فقَتَلَ أكثرَ مَنْ وجد فيها من صغيرٍ وكبيرٍ ورماهم في البئر الّتي في المسجد، وحَرَّقَ أكثر دورها وحَرَّقَ المسجد على مَنْ فيه منَ الصِّغار[٥] والعَجائز والعَواكِف، وما كان من أموال النّاس والسُّرُج والوَدائع، وحَرَّق الكتبَ والمَصاحف الّتي كانت في المسجد، وقتل أهل القرية[٦] والذَّنَبَتَين، وقد كان أهل الذَّنَبَتَين هربوا إلى قِبليّها واختفوا بأكمة ذي عُراكِض فنبَّهَ عليهم صوت حمار لهم نهق، فطلع إليهم وقتل منهم مقتلةً عظيمةً.

---

(١) في (أ): «ست» وفي (ج، د، هـ): «ثمان».
(٢) في (ج، د): «الهنيني» وفي (هـ): «الهندي».
(٣) في (ب): «يغدو لهمة» وفي (د): «بالليل» وفي (ب، ج، د): «وسهمه» وهي كذلك في (الأم) فوق كلمة «وشهمه». والدُّهْمَة: السّواد.
(٤) في (ج، د، هـ): «وإما خالد فابن عمه».
(٥) في بقيّة النّسخ: «الضعفاء».
(٦) في (ج، د، هـ): «المغربة».

قال الجَندي[١]: ثمّ عاد إلى مدينة زَبِيْد وقد أصابته طائرةٌ تَفَطَّرَ جسمُهُ منها بعد أن ظهر به شِبهُ إِحْراق النّار، فلم ينزل [٦١ب] إلّا في مِحَفَّة[٢]، وقد فُرِشَتْ له بالقُطْن المَنْدُوف[٣].

فلمّا صار في زَبِيْد توفِّي في مستهلّ ذي الحِجَّة منَ السَّنة المذكورة.

وقال صاحب (العقد): لمّا رجع مهديّ إلى زَبِيْد أقام بها أيّاماً، ثمّ مرض في المحرّم أوّل سنة تسعٍ وخمسين، ولم يزل إلى أن توفِّي يوم الأحد الثّامن عشر منَ الشّهر المذكور، وقُبِر في المشهد مع والده، فاستقلّ بالأمر بعده أخوه عبد النَّبيّ، وأمر أصحابه بالخروج إلى وادي أَبْيَن[٤]، فخرجوا إليه وحَرَّقُوا القرية المعروفة بالطَّرِيَّة[٥]، وأحرقوا أَبْيَن[٦] يوم السّبت الخامس عشر من شهر صفر من سنة تسعٍ وخمسين وخمس مئة.

ثمّ وقع في تِهامة حَطْمَةٌ[٧] عظيمة في سنة ستّين وخمس مئة، فلم يتحرّك عبد النَّبيّ إلى جهةٍ منَ الجهات.

فلمّا وقع المطر وأخصب البلاد أغار على شاميّ تِهامة على الشُّرفاء بني سليمان فبلغهم النَّذير، فاهتزموا فلحق منهم طائفةً فقتلهم.

وفي جملة مَن قتلَهُ منهم الأمير الأجلّ الكبير الشَّريف وَهّاس بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهّاس السُّليمانيّ، وأخذ أموالهم وسَبَى حريمهم.

---

(١) السّلوك: ٢/٥١٩.

(٢) المِحَفَّة: رَحْلٌ يُحَفُّ بثوب ثمّ يُرْكب فيه.

(٣) المَنْدوف: المطروق بالمِنْدَف، منَ النَّدف وهو الطَّرْق والضَّرْب.

(٤) في (الأمّ): «وإلى وادي أبين» وفي (ج، د، هـ): «إلى ذي أبين».

(٥) في (ج، د، هـ): «بالضرية»، وإنّما هي بالطاء المهملة؛ انظر صفة جزيرة العرب: ٩٧، والمستبصر: ٢٤٨.

(٦) قوله: «فخرجوا إليه ... وأحرقوا أبين» سقط في (أ).

(٧) الحَطْمَة: السّنة الشّديدة.

وفي ذلك يقول عبد النَّبيّ بن عليّ بن مهديّ في قصيدته المشهورة الّتي أوّلها: (من مشطور الرَّجز المُسَمَّط)

لِمَنْ طُلُولٌ بِالحِمَى
كَأَنْ كُسِيْنَ مَعْلَمَا[1]
تَلْقَى بِهَا المُصَلَّمَا[2]
والأَحْقَبَ المُكَدَّما[3]

ثمّ قال بعد ذلك: (من مشطور الرَّجز المُسَمَّط)

لَوَتْ بِوَهَّاسٍ ضُحَى
فَابْتَدَرَتْهُ مَرَحا
فَظَلَّ مِنْ تَحْتِ الرَّحَى
مُضَرَّجاً مُرَغَّما

ثمّ خرج أخوه أحمد بن عليّ بن مهديّ من زَبِيْد لعِمارة الجَنَد، وكان خروجه في يوم الثّلاثاء غرّة شهر ربيعٍ الأوّل من سنة إحدى وستّين وخمس مئة.

وخرج في عسكرٍ جَرّار وابتدأ في عِمارتها يوم السّبت الخامس منَ الشّهر المذكور، وأقام يعمرها إلى آخر الشّهر المذكور، ثمّ أغار على الجُؤَة، وكان بها عسكر الدّاعي عِمران بن محمّد بن سبأ، فوقع بين العسكرين قتالٌ شديد، فقُتِل من كلِّ طائفةٍ طائفةٌ، وانهزم عسكر الدّاعي عِمران بن محمّد بن سبأ[4] ودخل عسكر ابن مهديّ الجُؤَة وحَرَّقها،

---

(١) المَعْلَم: ما جُعِل علامةً وعَلَماً للطّرق والحدود؛ اللّسان: (ع ل م).

(٢) المُصَلَّم: الصّغير الأذن، سمّي به الظَّليم لصغر أذنه وقصرها.

(٣) في (الأم): «المكَرّما» محرَّفاً. والأحقب: الحمار الوحشيّ الّذي في بطنه بياض. والمكَدّم: المُعَضَّض.

(٤) قوله: «فوقع بين ... محمد بن سبأ».

وقد كانت تقدّمت له غارةٌ على الجَوْة أيضاً في بعض الأعياد، وظَفِرَ بأهلها يومئذٍ، فقال في ذلك الشّاعر الهَبيني(١): (منَ الكامل)

بَكَرَتْ تُقِلُّ مِنَ الكُماةِ ضَراغِماً وسَرَتْ تَهُزُّ ذَوابِلاً وصَوارِما
عَلَوِيّةٌ مَهْدِيّةٌ قُلِّدْتَها مِنْ آلِ مَهْديٍّ هُماماً حازِما(٢)
وكذاكَ لَيسَ تَروقُ أَبْنِيَةُ العُلَى إلّا إذا كُنْتُمْ لَهُنَّ دَعائِما
صَبَّحْتَ أَكْنافَ الجُواةِ بِغارةٍ شَعْواءَ طَبَّقَتِ الحُماةَ جَماجِما(٣)
في يَوْمِ عِيْدٍ صَبَّحُوا لِوَلائِمٍ فِيْها فَأَضْحَوا لِلْحِمامِ وَلائِما(٤) [٦٢أ]
وحَرَمْتَهُمْ فِيْهِ مَطاعِمَ عِيْدِهِمْ وتَرَكْتَهُمْ لِلْمُرْهَفاتِ مَطاعِما

ثمّ طلع عبد النّبيّ إلى الجَنَد في جُمادَى الآخرة من هذه السَّنة فأخذ شِرْياف(٥) وتالبة(٦) وتَعِزّ وصَبِر في رجب من هذه السَّنة(٧)، ثمّ عاد إلى زَبِيْد، ثمّ خرج إلى مِخْلاف جعفر في أوّل ذي القِعْدة وحَصَرَ حصن المَجْمَعَة، فأخذها يوم الإثنين الثّاني من شهر ربيعٍ الأوّل من سنة اثنتين وستّين وخمس مئة، وفي ذلك يقول الشّاعر: (منَ المديد)

قُلْ لِذاتِ الأَشْنَبِ الرَّتِلِ تَحْتَ ذاكَ الفاحِمِ الرَّجِلِ(٨)

---

(١) في (ج، د): «الهنيني» وفي (هـ): «الهندي».

(٢) عجز البيت الأول وصدر البيت الثاني سقط في (ج، د، هـ).

(٣) **الجُواة**: يريد الجَوْة، وقد تقدّم ما يدلّ على ذلك قبل الشّعر.

(٤) قوله: «عيد» ليس في (هـ)، وفي (الأمّ، ب): «فيها فأصبح ...» وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ).

(٥) في (الأمّ، أ، ب، هـ): «شراف»، وما أثبت وهو الصّواب عن (ج) وسيأتي مراتٍ عدة، و(ج) أيضاً: «... وتالية» وفي (د): «شرياق»؛ **وشِرْياف**: بكسر الشّين المعجمة أوّله، وسكون الرّاء ثانيه؛ ارتفاع الدّولة المؤيّديّة: ٥٠.

(٦) في (ج): «شرياف وتالية» وفي (د): «شرياق».

(٧) قوله: «فأخذ شراف ... من هذه السنة» سقط في (أ، هـ).

(٨) **الأشْنَب**: يريد الثّغر الأشنب، والشَّنَب: رقّةٌ وبَرْدٌ وعذوبةٌ في الأسنان. **والرّتِل** من الرَّتَل: وهو بياض الأسنان وكثرة مائها. **والرَّجِل**: الشّعر يكون بين السُّبوطة والجُعودة.

وفيها يقول:

إنَّ في غَرْبِيِّ مَجْمَعَةٍ لَفَخاراً غَيْرَ مُتَّصِلِ[١]
ومَلِيكاً كُلَّما سَأَلُوا سالَ سَيْلَ العارِضِ الهَطِلِ

ثمّ أخذ مدينة إبّ يوم الخميس الخامس من شهر ربيعٍ الأوّل منَ السّنة المذكورة، وأخذ الشّماحيّ يوم الأحد الثّامن منَ الشّهر المذكور، واستولى على البلاد، وبثّ السّرايا والجنود في كلّ وجهٍ ومكان، وسار إلى عَدَن فحاصر أهلها.

فوصل السّلطان حاتم بن عليّ بن الدّاعي سبأ بن أبي السُّعود الزُّرَيعيّ يوم الإثنين السّادس من ذي القِعْدة من سنة ثمانٍ وستّين وخمس مئة إلى صنعاء مستنصراً، فخرج إلى لقائه السّلطان الحميد عليّ بن حاتم بن أحمد بن عِمران اليامي، وقابله بالإتْحاف والإسْعاف إلى ما طلب منَ النُّصْرة.

ثمّ نهض السّلطان حاتم بن [عليّ][٢] الزُّرَيعيّ إلى بلاد جَنْب بعد أنِ استوثق منَ السّلطان عليّ بن حاتم على أنّه يُنْهِض معه (جَنْب ومَذْحِج)، فوصل السّلطان حاتم بن علي الزُّرَيعيّ إلى ذَمار وقصد السّلطان عبد الله بن يحيى والشّيخ زيد بن عمرو واستنصرهما جميعاً، فأجاباه إلى ما طلب.

فكتب إلى السّلطان عليّ بن حاتم يُخبِرُهُ بما قد أجمع القوم عليه من نُصْرته، فخرج السّلطان عليّ بن حاتم من صنعاء بمن معه من هَمْدان وسَنْحان وبني شِهاب ونَهْد وغيرهم.

وكان خروجُهُ من صنعاء يوم السّبت الثّالث عشر من شهر صفر من سنة تسعٍ وستّين، فوصل ذَمار وأقام بها ثلاثة أيّام، ثمّ سار من ذَمار[٣] قبل خروج السّلطان

(١) في (د): «غير منتقل».
(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).
(٣) قوله: «وأقام بها ... من ذمار» سقط في (هـ).

عبد الله بن يحيى والشّيخ زيد بن عمرو وتقدَّم إلى صَيَد وأقام هناك إلى أن وصله الشّيخ زيد بن عمرو[1] والسّلطان عبد الله بن يحيى ومن معهما، ثمّ تقدّم السّلطان عليّ بن حاتم في عسكره حتّى حطّ في السَّحُول في موضعٍ يُقال له: التُّباشِع، وأقام هنالك إلى أن وصله السّلطان عبد الله بن يحيى والشّيخ زيد بن عمرو، واجتمع الكلّ منَ القبائل هنالك.

ولم يزالوا إلى يوم السّابع والعشرين، ونهضوا مجتمعين فحطّوا في عَقَبة إبّ، ما بين إبّ والمعاين، وكان ابن مهديّ قد قسم عسكره أثلاثاً، فجعل ثلثهم في قرية جِبْلَة، [٦٢ب] والثّلث الثّاني في أكمة الحُبالي، وجعل الثّلث الثّالث ما بين حصن المِسْواد وحول لألأ.

فلمّا كان يوم الأربعاء الثّاني من شهر ربيعٍ الأوّل: نهض السّلطان عليّ بن حاتم ومن معه من سائر القبائل وقصدوا أصحاب الحُبالي، وكانوا أجودَ عسكر ابن مهديّ، فلمّا التقى القوم انهَزَم أصحاب ابن مهديّ وقُتِل منهم عددٌ كثير، وأُسر منَ العَبِيد الحرابة نحوٌ منَ المئة، وغنموا نحواً من ستّين فَرَساً وما كان معهم من سلاح وغيره.

وأمسى السّلطان عليّ بن حاتم ومن معه في الحُبالي، وأصبح يوم الخميس فقصد مدينة ذي جِبْلَة، فلم يجد بها أحداً من عسكر ابن مهديّ، وكانوا قد هربوا منَ اللّيل، وانحاز بعضهم إلى دار الحُرَّة أروى بنت عليّ بن عبد الله بن محمّد الصُّليحيّ، فدخل السّلطان علي بن حاتم مدينة ذي جِبْلَة واستولى عليها وأجار الحُرَّة وجميع مَنْ معها من عسكر ابن مهديّ وغيرهم، وما معهم من أموالٍ وخُيُول وسلاح.

فأقام السّلطان عليّ بن حاتم ومن معه منَ القبائل بذي جِبْلَة إلى يوم الأحد السّادس من شهر ربيعٍ الأوّل، ونهضوا مجتمعين سائرين على تُؤدَةٍ حتّى وصلوا الجَنَد يوم الإثنين السّابع منَ الشّهر المذكور، فوجدوها خاليةً منَ العساكر والرّعايا، فدخلها بعض العسكر، وأقام السّلطان عليّ بن حاتم خارج المدينة إلى يوم الأربعاء السّادس عشر منَ الشّهر المذكور.

---

(١) قوله: «وتقدم إلى صيد ... زيد بن عمرو» سقط في (ج، د، هـ).

وبلغه أنّ ابن مهديّ في حصن تَعِزّ وقد اجتمع إليه أصحابُهُ، فنهض السّلطان عليّ بن حاتم ومن معه من جميع القبائل حتّى وصلوا تَعِزّ فوجدوا عسكر ابن مهديّ مجتمعين في ذي عُدَيْنة فوقع القتل الشّديد بين الفريقين، فكانتِ الدائرة على أصحاب ابن مهديّ فقُتِل منهم مقتلةٌ عظيمة، وعُقِرَ من خيلهم شيءٌ كثيرٌ، وأُخِذ منها نحوٌ من مئة فَرَس، ونُهِب من سلاحهم وعددهم شيءٌ كثير، ونُهِبَت عُدَيْنة يومئذٍ نَهْباً عظيماً.

وكان عبد النَّبيّ ابن مهديّ في أعلى حصن تَعِزّ على سطحٍ من سطوح الحصن فرَأَىٰ كتيبةً تَبْرق، فقال: إنْ صدقني ظَنِّي إنّ هذا عليّ بن حاتم. فقيل له: نعم، هذه الكتيبة الزّجوانة(١) كتيبة هَمْدان. فأنشد مُتَمَثِّلاً عند ذلك بقول أسعد الكامل: (من الكامل)

واعْلَمْ بُنَيَّ بِأَنَّ كُلَّ قَبِيْلَةٍ سَتَذِلُّ إِنْ نَهَضَتْ لَهَا قَحْطانُ

ثمّ رجع السّلطان عليّ بن حاتم إلى الجَنَد في أصحابه.

فلمّا كان يوم الخميس السابعَ عشر منَ الشّهر المذكور: أمر السّلطان عليّ بن حاتم بخَراب دار(٢) المملكة في الجَنَد [٦٣أ]، وهو ما كان بناهُ الدّاعي المُتَوّج المكِين محمّد بن سبأ بن أبي السُّعود، واستأصل في خَرابها.

ثمّ وصلتِ البُرُد من عَدَن يُخبرون أنّ عسكر عليّ بن مهديّ الّذين كانوا بالزّعارِع محاصَرين بعَدَن(٣) قد هربوا، ثمّ إن السّلطان عليّ بن حاتم عزم على قصدِ تِهامة، فاستشار هَمْدان وسائر القبائل الّذين معه فأجابوه إلى ذلك، ثمّ شاوَرَ السّلطان عبد الله بن يحيى والشّيخ زيد بن عمرو فقالا: حتّى نُشاور جَنْب على ذلك، فشاور[١] هم(٤) فامْتَنَعت.

---

(١) في (ج): «الدحوانة».

(٢) قوله: «دار» سقط في (ب).

(٣) في (ج، هـ): «العدن».

(٤) في (الأم): «فشاورهم»، والأمر يستقيم بأن يكون هو من شاور جنب، أو شاورهم السّلطان والشيخ.

قال: ومن عادة جَنْب أن تكره ما تشتهي رؤساؤها؛، وتقول عند عَزْمها على المسير:

يا راشد بن مروح.

فلمّا رأى السّلطان عليّ بن حاتم ذلك من فِعْلِهم استخار الله تعالى، ورجع يريد صنعاء، فنهض منَ الجَنَد يوم السّبت التّاسع عشر من شهر ربيعٍ الأوّل فأمسى بذي أَشْرِق ودخل جِبْلَة يوم الأحد فأقام بها ستّة أيّام، وأمر بخَراب الدّار الكبير[ة][1] بعدما انتقلت منها الحُرَّة أروى بنت عليّ بن عبد الله بن محمّد الصُّليحيّ إلى حصن قَيْظان، ثمّ نهض يوم السّبت من ذي جِبْلَة فدخل صنعاء يوم الخميس غُرَّة شهر ربيعٍ الآخر.

ولمّا عاد السّلطان عليّ بن حاتم إلى صنعاء عاد السَّيِّد عبد النَّبيّ بن عليّ بن مهديّ إلى زَبِيْد فأقام بها إلى أن بلغه العِلْم أنّ الغُزّ والملك المُعَظَّم شمس الدّولة تُوران شاه بن أيّوب في محلِّ أبي تُراب[2] عندَ الأمير الأَجَلِّ الشّريف قاسم بن غانم بن يحيى بن حمزة بن وهّاس السُّليمانيّ، وأنّهم واصِلون مُنْجدون له.

قال: ونهض الشّريف قاسم بن غانم بالملك المُعَظَّم ومن معه إلى زَبِيْد في سَلْخ شهر رمضان منَ السَّنة المذكورة، فوصلوا زَبِيْد يوم السّبت السّابع من شوّال، وكان القتال يوم الأحد الثّامن من شوّال، وافْتُتِحَتِ المدينة عند طلوع الشّمس من يوم الإثنين التّاسع من شوّال، فنُهبتِ المدينة نهباً شديداً، وقُبِض على السَّيِّد عبد النَّبيّ بن عليّ بن مهديّ وإخوتِهِ جميعاً، ورجع الشّريف قاسم بن غانم إلى بلده يوم الجمعة الثّالث عشر من شوّال المذكورة؛ وقال: (من مجزوء الكامل)

مَنْ عاشَ بَعْدَ عَدُوِّهِ يَوْماً فَقَدْ بَلَغَ المُنى[3]

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين يقتضيه السّياق.

(٢) ورد في معجم البلدان (٢/ ٢٠): «تُرابة: بالضّمّ، بلفظ واحد التّراب»، وفي المستبصر (٥٥): «محلّ أبي تراب».

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «نال المنى».

فعاش بعد ذلك شهراً ومات، وقيل: كان موتُهُ في أوّل سنة سبعين وخمس مئة.

وكان ابن مهديّ حَنفيَّ المذهب في الفُرُوع، خارجيَّ الأُصُول، يُكفِّر بالمعاصي، ويُوجب القتل [بها](١)، وكان يَقْتل من خالف اعتقادَهُ من أهل القِبلة ويَسْتَبيح وَطْءَ سباياهم(٢) واسْتِرْقاق ذَراريهم، ويجعل دارهم دار حرب يحكم فيها حكمه في أهل دار الحرب.

ويروى: أنّه كان لا يَثِقُ بإيمان أحدٍ منَ المهاجرين حتّى يذبح ولدَهُ أو أخاه أو أباه أو أمَّهُ ويقرأ عليهم: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[المجادلة:٢٢] [٦٣ب].

وكان اعتقاد أصحابه فيه فوق ما يعتقدُهُ النّاس في الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وكان الواحد من آل مهديّ يَحْسُنُ عنده أن يقتل جماعةً من عسكره، ثمّ إذا قدروا عليه لم يقتلوه ديناً وعقيدة، وإذا غضب على رجلٍ من أكابرهم وأعيانهم حبس نفسه في الشّمس ولم يطعم ولم يشرب ولم يصل إليه ولدٌ ولا زوجة، ولا يقدر أحد أن يشفع فيه حتّى يرضى عنه ابتداءً من نفسه.

وكان من طاعتهم له أنّ كل واحد يحمل ما تَغْزِلُهُ زوجتُهُ وبناتُهُ إلى بيت ماله ويكون ابن مهديّ هو الّذي يكسو أهله من عنده، وليس لأحدٍ منَ العسكريّة فرسٌ يربطُهُ في داره ولا عدّة من سلاح ولا غيرها، بل الخيل في إصطبلاته والسّلاح في خزانته، وإذا عنَّ له أمرٌ أخرج لهم منَ الخيل والسّلاح ما يحتاجون إليه.

وكان من سيرته: أنّه يقتل المنهزم من عسكره ولا سبيل إلى حياته أبداً، وكان يقتل

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).
(٢) في (ج): «نسائهم».

من يشرب الخمر ومن يستمع الغناء، ويقتل من يزني، ويقتل من تأخَّر عن صلاة الجماعة وعن مجلسَيْ وَعْظِهِ، وهما الخميس ويوم الإثنين، ويقتل من تأخَّر فيهما عن زيارة قبر أبيه.

وهذه الرّسوم، فإنّما هي على العسكريّة، وأمّا الرَّعايا فالأمر فيهم أَلْطَف.

قال عُمارة(١): وكان السَّيِّد عبد النَّبيّ بن عليّ بن مهديّ شاعراً فصيحاً بليغاً، مع المُلْك والشّجاعة والإِقْدام، وكَرَم النَّفس، وله ديوانُ شعرٍ جيّد، ومن مستحسنات شعرِهِ القصيدة المُسَمَّطة؛ احتوت على معانٍ كثيرة، ورَثَى فيها والدَهُ، وشهدت بمعرفتِهِ التّامّة وفضله الكامل، وقد أثبتُّها بأَسْرِها، وهي هذه: (من مشطور الرَّجَز المُسَمَّط)

لِمَنْ طُلُولٌ بِالحِمَى كَأَنْ كُسِيْنَ مَعْلَما تَلْقَى بِها المُصَلَّما
والأَحْقَبَ المُكَدَّما(٢)

وكُلَّما جِئْتَ الرُّبَى وَجَدْتَ فِيْهِ الشَّبَبا يَتْلُو القَرِيْنَ والأَبا
في نَعَجَاتٍ كالدُّمَى(٣)

وصادحاتِ البُلْبُلِ يَصْدَحْنَ في تَبَلْبُلِ وهاتِفاً بِجُلْجُلِ
يُرْهِقُها تَرَنُّما

يَحُثُّها إذا دَعا حَثَّ الكُماةِ الوُزَّعا فَإِنْ خَنَسْنَ أَسْمَعا
فَجِئْنَهُ تَيَمُّما(٤)

---

(١) أخلّت به مطبوعتا المفيد، وكذا أخلّتا بالمسمَّة كلّها.

(٢) في (ب، ج، د): «المكرَّما».

(٣) في (الأمّ): «الشّنبا»، وفي (د): «وفي نعجات». والشَّبَب: الثّور الّذي انتهى شباباً.

(٤) في (الأمّ): «حبسن» وفيه أيضاً: «فجئته»، وفي (ج، د): «فإن الجيش سمعا». والخَنَس: الانقباض والتّأخّر.

يَحْجِلْنَ مَهْما حَجَلا قازِلَةً وأَقْزَلا كَأَنَّهُنَّ مُثَّلا

فَرِيْقَ زِنْجٍ بُهُما

والخَيْطَ والمَساحِلا يَمْشي بِها أَصائِلا مَشْيَ المَها مُوائِلا

سَوارِحاً وسُوَّما(١)

مُنْبَعِثاتٍ بِالرَّجا يَعافِراً وهُدَّجا وتَوْلَباً ومِغْلَجا

وأَخْطَباً وأَغْثَما(٢)

وهُنَّ يَتْبَعْنَ اللَّأَى وكُلَّ مَمْسُودٍ وَأَى تَظُنُّهُ إذا شَأَى

أَقَبَّ دانِي أُطُما(٣)

وتَحْسِبُ الخَفَيْدَدا هَمَرْجَلاً عَمَرَّدا والعِيْنَ غِيْداً مُيَّدا

مُكْتَنِفاتٍ بالإِما

كَأَنَّما رِعالُها راتِعَةً إِفالُها وإِنَّما مِثالُها

كَالشَّوْلِ يَقْفُو مُقْرَما(٤) [٦٤أ]

---

(١) **الخِيط والخَيط**: جماعة النَّعام، وقد يكون من البقر. **والمَساحِل**: واحدها المِسْحَل، وهو الحمار الوحشيّ.

(٢) **الهُدَّج**: واحدها الهَدّاج، وهو الظَّليم إذا مشى في ارْتعاش. **واليَعافر**: واحدها اليَعفور واليُعْفور، وهو الظَّبي وقيل: البقرة الوحشيّة. **والتَّولب**: الجَحْش، ومنه قيل للأَتان: أمّ تَوْلب. **والمِغْلَج**: الحمار إذا عدا. **والأَغْثَم**: من الغُثْمة، وهي أن يغلِب بياضُ الشّعر سوادَه.

(٣) في (الأم): «وأغتما». **والرّجا**، مقصور: ناحية كلّ شيء. **واللّأَى**: البقرة. **والوَأَى**: الحمار الوحشيّ، والأنثى وآةٌ، تشبّه به الفرس وغيره. **وشَأَى**: من الشَّأْو، وهو السَّبْق. **والأَقَبّ**: من القَبَب، وهو الضُّمور. **والأُطُم**: لعلّه جمع الأَطُوم: وهي البقرة، سمّيت بذلك على التّشبيه بالسَّمَكة لغِلَظ جِلدها؛ اللّسان: (أ ط م).

(٤) **الرُّعال**: واحدتها الرَّعْلة، وهي القطعة. **والإفال**: واحدها الأَفِيل، وهو ابن المخاض فما فوقه. **والشَّوْل**: واحدتها الشّائل، بغيرِ هاءٍ، وهي من الإبل اللّاقِحُ التي تَشُولُ بِذَنَبِها للفَحْلِ، أي ترفعه، فذلك آيةُ لِقاحِها. **والمُقْرَم**: البعير الّذي لا يُحْمَلُ عليه ولا يُذَلَّلُ وإنّما هو للفِحْلَة والضِّرابِ.

وقَدْ غَبَرْتُ مُذْ زَمَنْ أَبْكي الدِّيارَ والدِّمَنْ فَما وَجَدْتُ مِنْ قَمَنْ
يَبْكي لِوَجْدي مُغْرَما[١]

وما عَسَى يَرُدُّ لي مِنَ الطَّلا والطَّلَلِ وشادِنٍ ومُطْفِلِ
ونَبْتَلٍ وأَعْصَما

وكَيْفَ خِلْتَ خُلَّتي بَيْنَ اللُّتَيّا والّتي أَبايَتُكَ مِلَّتي
أَمْ ضِقْتَ عَنْها مَحْزِما

وما جَرَيْتُ في أَمَدْ إلَّا وكُنْتُ المُعْتَمَدْ فَاحْمِلْ بِذاكَ لي ضَمَدْ
وانْهَضْ بها أَنْ تَسْأَما

واللهِ لو عَرَفْتَني حَقِيْقَةً أَنْصَفْتَني وإنَّما عَلِمْتَني
بالاسْمِ لَمّا أَنْ سَما

جَهِلْتَ أَمْرَ قِصَّتي وجِئْتَ شَرَّ جِيْئَةِ فَعُدْ بِتِلْكَ الزَّلَّةِ
فَقَدْ أَتَيْتَ مَأْثَما

واعْلَمْ بِأَنَّ الصَّيْلَما تُشْرِقُ عَنْ جَمْرٍ وما فَإِنْ رَتَنْكَ فَاعْلَما
أَنَّكَ مَطْلُوبٌ دَما[٢]

لا تَحْسِبِ الضَّراغِما تَرُوحُ مِنْها سالِما إِنِّي أَراكَ واهِما
لا تَسْتَفِيْقُ مِنْ عَمَى

---

(١) القَمَن والقَمِن: القريب.

(٢) الصَّيْلَم: الداهية، ويُسمّى السيف صَيْلماً.

شَرُّ الرِّجالِ الهَدَرَهْ لا تَرْضَ إلَّا حَيْدَرَهْ وعامِراً وعَنْتَرَهْ
والأَيْهَمَ المُهَرْتَما(١)

أُولئِكَ الفَوارِسُ والجِلَّةُ الدَّهارِسُ والبَطَلُ المُمارِسُ
مَنْ لابَسَ العَرَمْرَما

أَيْنَ السُّها مِنَ القَمَرِ والشَّوْذَنِيقُ مِنْ نُغَرْ إِنَّ الهِزَبْرَ إِنْ زَأَرْ
لَفَّ الرِّعا والنَّعَما

ولو عَلِمْتَ مَنْصِبي ومَنْ أَنَا ومَنْ أَبي لَطُفْتَ حَوْلَ مَذْهَبي
مُصَلِّياً مُسَلِّما

أَنا بْنُ مَنْ جَرَّ القَنا والخَيْلَ تَجْري سَنَنا يَلْقَى الخَمِيْسَ الأَرْعَنا
والقَيْرَوانَ الأَدْهَما

إمامَها المُرَجَّبا ودُرَّها المُحَجَّبا الحُوَّلِيَّ القُلَّبا
المِصْقَعَ المُعَظَّما

فَاسْأَلْ ولا تَرَيَبا **قُوَيْسَ** أو **جُلَيَّا** وذا **شَرَى** و**حُوَّبا**
واشْفِ صَداكَ مِنْهُما

وعُدْ فَشاهِدْ **رِمَعا** فَالأَمْرُ فِيْهِ مُشْرَعا واشْرَبْ هَنِيْئاً جُرَعا
مُزِجْنَ قِدْماً عَلْقَما

وعُدْ إلى **أُمِّ القُرَى** حَيْثُ تُوافي العَسْكَرا فَكَمْ بِها الشَّرُّ طَرا
حَتَّى أَراعَ القَشْعَما

---

(١) الهَدَرَة: واحدها هادر وهو السّاقط من الرّجال. والمُهَرْتَم: لعلّه مأخوذ من الهَرْثَمة، وهي من أسماء الأسد.

ودُوْنَ لَجْجٍ والدِّما ضَرْبٌ يَرُوعُ الضَّيْغَما
وحَيْثُ ما البَحْرُ طَما ويَسْتَقِيدُ السَّلْتَما

جِيادُ أَقْوامٍ خَلَتْ فَاعْجَبْ لِما قَدْ فَعَلَتْ
رِئالُها قَدْ أَبْقَلَتْ تَزاحُماً ومَقْدَما

وهاكَ فَاسْمَعْ خَبَرا مِنْ ساعِدٍ وتَعْشُرا
أَتَتْ بِهِ الحَبَوْكَرَى وعارِضٍ فِيْها هَمَى

لَوَتْ بِوَهّاسٍ ضُحَى وطَلَّ مِنْ تَحْتِ الرَّحَى
فَابْتَدَرَتْهُ مَرَحا مُضَرَّجاً مُرَغَّما

أَتَتْهُ شُعْثاً ضُمَّرا جَرَّ العِرَضْنَى وُقَّرا
وَهْيَ تَجُرُّ العِثْيَرا وفَوْقَها الصِّيْدُ الكُما[1]

وكَمْ عَبَرْنَ نُزَّعا يَحْمِلْنَ كُلَّ أَشْجَعا
وجِئْنَ قَوْماً شُرَّعا يَغْشَى الوَغَى مُصَمْصِما[2]

لا يَنْثَني عَنِ الرَّدى فَاعْجَبْ لَهُ ما أَنْجَدا
حَتَّى يُوافِيْهِ يَدا ما المَرْءُ إِلّا حَيْثُما

ولو عَمَدْنَ قَيْصَرا وقَهْقَرا
وابْنَ قُباذَ الأَكْبَرا لكَبَّرا ومِنْ شَباها أَحْجَما

(١) العِثْيَرَ: الغبار الطّالع. والعِرَضْنَى: العَدْو في اشتقاق.

(٢) في (أ): «... مصمما». والمصمصم: لعلّه من قولهم: رجل صِمْصِم، وهو الجريء الماضي. والمُصَمِّم من السّيوف: الّذي يمرّ في العظام، على التّشبيه في سرعة المَضاء.

وبات أَزْدَشِيْرُها وَهُوَ لَهَا أَسِيْرُها يَقُوْدُهُ صَغِيْرُها
قَوْدَ الوَلِيْدِ العَيْهَما[٦٤ب]

يا حَبَّذا رِعالُها مُصْلَتَةً نِصالُها تَؤُمُّهُ رِجالُها
كَأَنَّ فِيْهِ عَنْدَما

تَشُلُّ خِيطانَ الفَلا شَلَّ الكُماةِ الجُفَّلا والذِّئبُ يَمْشي الدَّأَلا
ويَسْتَخِبُّ السَّمْسَما[1]

والعَيْرُ تَقْفُو السَّمْحَجا وَهْيَ تُعاطِيْهِ النَّجا والرُّبْدُ يَتْلُو الأَخْرَجا
مُسْتَنْسِقاتٍ رُسَّما

فَها أَنَا والأُرَبا مُسْطَحِبيْنَ في الرُّبى حَتَّى نُقَضِّي الأَرَبا
ونَبْلُغُ المُوَسَّما

ومِنْ حُماةِ دَوْلَتي أَهْلُ الكِفا والصَّوْلَةِ ومِنْ رِجالِ حَوْلَتي
في عَصْرِ مَنْ تَقَدَّما

أَنْتَ المُجَلِّي يا عَلي وصاحِبُ التَّبَتُّلِ للهِ أَنْتَ مِنْ وَلي
وقائِدٍ عَرَمْرَما

أَعْزِزْ عَلَيَّ أَنْ تُرى مُغَيَّباً تَحْتَ الثَّرَى فَلَوْ نَبَذْتَ بِالعَرا
مَلأْتَ قُطْرَيْها دَما

تَبَدَّلَتْ أَحْوالُكا وافْتَرَقَتْ رِجالُكا وما مَضَى فِعالُكا
لكِنَّهُ باقٍ كَما

---

(1) السَّمْسَم: الثَّعلب.

أَيْنَ أَبُوْكَ آدمُ وآزَرٌ وغَيْلَمُ وأَيْمَنٌ وإِرَمُ
والبالِغُونَ الظُّلَما

دَهَتْهُمْ الدَّوائِرُ وسارَتِ السَّوائِرُ والمَوْتُ لا يُجاوِرُ
ولا يَرَى أَنْ يَرْحَما

فَيا لَها مِنْ فِتْنَةٍ لَوْ أَنَّها لَمْ تُفْلِتِ سُبْحانَ باري الأُمَّةِ
ومُجْتَبي أَهْلِ السَّما

قال عُمارة[(١)]: واجتمع لعبد النَّبيّ بن عليّ بن مهديّ مُلْكُ التَّهائم والجبال، وانتقلت إليه أموال جميع ملوك[(٢)] اليمن وذخائرها.

قال: وحدّثني محمّد بن عليّ – من أهل ذي جِبْلَة-: أنّه حصل في خزائن ابن مهديّ ملك خمس وعشرين دولةً[(٣)] من دول أهل اليمن، فمن ذلك أموال ملوك الحَبَشة ووزرائها، وما من عَبِيد فاتك وجهاتِهِ وأعيان دولته إلّا من مات عن أموال منَ العين الجزيل صار جميع ذلك إليه؛ لأنّه ملك الذّراري والنّساء، فأظهروا له كنوز أموالهم من المَصاغ واليَواقيت واللُّؤلُؤ والملابس الجليلة على اختلاف ألوانها، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾[الدخان].

وانتقلت إليه مملكة بني سليمان الشُّرفاء، وانتقل[(٤)] إليه ملك بني وائل أصحاب

---

(١) المفيد: (محمود: ١٥٣، الأكوع: ٢٠٠).

(٢) في جميع النّسخ: «وانتقلت إليه جميع ملوك ...» وفي هامش (الأمّ): «ط: مال» وما أثبت اقتضاه سياق الخبر.

(٣) في جميع النّسخ: «... خمسة وعشرين دولة».

(٤) في جميع النّسخ: «وانتقلت».

وحاظَة[1] وهم أهل دولةٍ متأثِّلة، وكذلك [معاقل][2] بني الصُّليحيّ وبكلّ مَعْقِلٍ منها أعمالٌ واسعة، وارتفاعاتٌ جليلة، وانتقلت إليه ذخائر الدّاعي عليّ بن محمّد الصُّليحيّ وذخائر ولده المُكرَّم أحمد بن عليّ وذخائر زوجته الحُرَّة السَّيِّدة بنت أحمد الصُّليحيّ.

وذلك أنّ الجميع انتقل إلى الحُرَّة السَّيِّدة[3] الملكة بنت أحمد فأودعته التَّعْكَر فتغلَّب المُفَضَّل بن أبي البركات على الحصن وما فيه، فلمّا مات المُفَضَّل انتقل التَّعْكَر وما فيه إلى ولده منصور بن المُفَضَّل، ثمّ انتقل ذلك كلُّهُ إلى ابن مهديّ، ثمّ انتقل إليه حصن المَجْمَعَة وأمواله - على ما قيل - ومدينة ذي جِبْلَة، وهي مقرّ الدّعوة الفاطميّة باليمن وكرسيّ مُلك بني الصُّليحيّ، وكذلك مدينة الجَنَد وأعمالها، وكذلك[4] تالبة وشِرْياف وذَخِر وأعماله وهو مِخْلاف واسع[5]، ومدينة[٦٥أ] ذي أَشْرِق ومدينة إبّ وحصون خولان وحصون بني ربيعة، وهي عَزّان وحَبَّ والشّماحيّ وحصن السَّواء لابن السّبائيّ الخولانيّ، ومعاقل الدّاعي عِمران بن محمّد بن سبأ بن أبي السُّعود، وهي سامِع ومَطَران ويُمَيْن وهي حصون إقليم المَعافِر، وانتقل إليه مَعقِل اليمن الّذي ليس بعد التَّعْكَر وحَبّ سواه، وهو حصن السَّمَدان، وبه يُضرب المثل، وهو الحصن الّذي ليس لمخلوقٍ عليه اقتدارٌ ما لم تُفْنِهِ ماضيات الأقدار.

قال عُمارة[6]: وهذا الّذي سمّيتُهُ نقطةٌ من بحر ما مَلَكَ ابن مهديّ، فإنّي لم أذكر بلاد

---

(١) في (الأمّ): «وأصحاب وحاضة» ثم كُتب عليها: «ط: وحاظة»، وإنّما الصّواب: «بني وائل أصحاب وحاظة» بالظاء أخت الطاء، وبإسقاط الواو؛ لأنّ بني وائل هم أصحاب وحاظة وسيأتي ذكرهم كثيراً، ونقل الخزرجي عن عمارة ما يدلّ على زيادة الواو؛ انظر المفيد: (ط محمود: ١٥٤).

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) قوله: «بنت أحمد ... الحرة السَّيِّدة» سقط في (ج، د).

(٤) في (الأمّ): «وذلك» وما أثبت وهو الصّواب عن المفيد: (ط محمود: ١٥٤).

(٥) قوله: «وذخر ... واسع» سقط في (ج، د).

(٦) المفيد: (محمود: ١٥٥، الأكوع: ٢٠٢).

المُظَفَّر بن سبأ بن أحمد الصُّليحيّ ولا إقليم حَراز ولا بُرَع ولا بَكِيل ولا حاشِد ولا جِبْلَة ولا وادي نَخْلة ولا وادي عَنَّة [ولا وادي زَبِيْد](١) ولا وادي رِمَع ولا غير ذلك من جبال وادي رِمَع ورَيْمة الأشاعر وحصونها، ولا وُحاظَة وأعمالها وهو مسيرة أيّام، ودَمْت وأعمالها، ولا غير ذلك ممّا يَكثر تَعْدادُهُ، وكانت دولة بني مهديّ في اليمن خمسَ عشرةَ سنةً وشهرين وأربعة عشر(٢) يوماً، والله أعلم.

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «وأربعة وعشرين» وفي (ب): «خمسة عشر».

الفصل الخامس
في ذِكْر دولة بني أيّوب وأوّل دُخُولهم اليمن(١)

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ قابَلَهُ الله بالقَبول: كان أوّل من دخل اليمن من بني أيّوب السّلطان المُعَظَّم شمس الدّولة تُوران شاه بن أيّوب.

واختلف المؤرّخون في السّبب الموجب لمسيره إلى اليمن؛ **فقال ابن خَلِّكان:** السّبب في ذلك أنّه لمّا استولى السّلطان الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب على مملكة الدّيار المِصْريّة، وأطاعه أهلُها وتمهَّدت قواعد الملك فيها، بلغَهُ أنّ في اليمن إنساناً يُسمّى عبد النّبيّ ابن مهديّ قد استولى على ملك اليمن، ويزعم أنّه ينتشر ملكُهُ حتّى يملِك الأرض كلَّها، وكان قد ملك اليمن واستولى على حصونه، وخطب لنفسه، وتثبَّتت قواعدُهُ واستفحل أمرُهُ، وانتشر في أقطار اليمن عسكره.

فجهّز الملك النّاصر صلاحُ الدّين يوسف بن أيّوب أخاهُ الملك المُعَظَّم شمس الدّولة تُوران شاه بن أيّوب في جيشٍ جَرّار إلى اليمن، فكان مسيره منَ الدّيار المِصْريّة في أثناء شهر رجب من سنة تسعٍ وستّين وخمس مئة.

وقال **الجَنَديّ في (تاريخه)**(٢): السّبب في ذلك أنّ رجلاً من أهل اليمن يُقال له: ابن النّسّاخ كان فقيهاً فاضلاً، كتب رسالةً بليغةً إلى الخليفة ببَغْداد يشكو فيها من ابن مهديّ، ويذكر قُبْحَ سيرته وسُوء عقيدته، وكتب مع الرِّسالة قصيدةً طويلةً يقول فيها: (منَ الطّويل)

فَيَا غادِياً نَحْوَ العِراقِ مُحْثِثاً ... رَحِيْلَ زكاةٍ والحَياةُ نِصابُ(٣)

---

(١) قوله: «وأول دخولهم اليمن» سقط في (ج).
(٢) السّلوك: ٢/٥٢٥.
(٣) في (هـ): «... والحياة تصاب».

إلى أَنْ تَرَى بَغْدادَ والمِنْبَرَ الّذي ... بِهِ نَسَبٌ للهاشِميِّ قُرابُ[1] [٦٥ب]

أَلِمَّ بِأَبْراجِ الخَلِيفَةِ لاثِماً ... عِراصاً وما كُلُّ التُّرابِ تُرابُ

تُرَى مَسَّهُ العَبّاسُ ثُمَّ رِجالُهُ ... هو المِسْكُ والكافُورُ طابَ وطابُوا

مَقامُ بني العَبّاسِ [كُرْسِيُّ مُلْكِهِمْ ... فَلِلَّهِ بَرْحٌ في العِراقِ وغابُ

إمامُ بني العَبّاسِ] مُشْتَقُّ نَبْعِهِ ... وعَنْ شَيْبَةِ الحَمْدِ انْتَضاهُ نِصابُ[2]

وقُلْ لإمامِ العَصْرِ يا بْنَ خَلائِفٍ ... هُمُ حُجَجٌ مَحْجُوجَةٌ وكِعابُ[3]

غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلامِ مَقْصُومَةَ العُرَى ... وعامِرُ دِيْنِ اللهِ وَهْوَ خَرابُ[4]

تُذَبَّحُ أَبْناءٌ وتُسْبَى عَقائِلٌ ... ضَلالٌ يُرَى في أَرْضِنا وتَبابُ[5]

بَناتُ رَسُولِ اللهِ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ ... سَبايا مِنَ السِّتْرِ الجَمِيْلِ سِلابُ

فَدَعْ عَنْكَ أَرْضَ الرُّومِ [وانْهَضْ لِمَكَّةٍ ... فَسَيْفُكَ فِيها مَضْرِبٌ وذِبابُ[6]

فَما في قِتالِ الرُّومِ][7] فَخْرٌ وهذِهِ ... بِأَظْهُرِكُمْ ما في الكَلامِ كِذابُ

يُغَيِّرُ رَيْبُ الدَّهْرِ دِيْنَ مُحَمَّدٍ ... وما رابَ أَدْيانَ اليَهُودِ مَرابُ

قال: فلمّا بلغتِ الرِّسالة إلى الخليفة كتب الخليفة إلى السّلطان الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب وأمره أن يُجهِّز عسكراً إلى اليمن لقتال هذا الخارجيّ بها، فوجّه أخاهُ الملك المُعَظَّم تُوران شاه بن أيّوب في التّاريخ المذكور.

---

(١) في (د): «... بغداد والمنزل ...».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، أ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ. وفي (الأمّ، أ، ب): «مسبق» وفي (ج): «... نبعه».

(٣) في (الأمّ، ج، د): «محجوبة» وكتب عليها ما أثبت وفي (ب) عكس ذلك وفي (ج، د): «محجوبة».

(٤) في (ب، هـ): «مفصومة» وفي (ج، د): «معصومة».

(٥) في (هـ): «ضلال بدا».

(٦) في (ج): «فدع عنك مُلك الروم».

(٧) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب).

وقال الشّريف إدريس بن عليّ بن عبد الله بن الحسن بن حَمْزة في تاريخه (كنز الأخيار): كان السّبب في دخول بني أيّوب وتملُّكِهم بها على اليمن أنّ الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب لمـّا استولى على ملك مِصْر وامتنع من إِتْيان الملك العادل نور الدّين محمود بن زِنْكي صاحب الشّام خشي على مِصْر منَ السّلطان نور الدّين، وعلم السّلطان صلاح الدّين أنّه لا طاقة له به، وكان نور الدّين قد همَّ به، فشَغَلَهُ عنه الفِرَنْج مرّةً بعد أخرى لِمَا قد أراده الله تعالى من تَمَلُّك بني أيّوب.

وكان بنو أيّوب جميعاً وأبوهم أيّوب بن شاذي من غِلمان السّلطان نور الدّين محمود بن زِنْكي صاحب الشّام، وهو الّذي أرسلهم إلى أهل مِصْر نَجْدَةً لهم على الفِرَنْج، فلمّا طَرَدوا الفِرَنْج عن مِصْر مَلَكُوها وخرجوا عن طاعة نور الدّين، وتقدَّم ذكر ذلك في موضعه من كتابنا هذا.

فلم يزل صلاح الدّين يتوقَّع هجومَ نور الدّين، فأحبَّ السّلطان صلاح الدّين أن يَرْتاد موضعاً يَلْجَأ إليه إن قصده نور الدّين، فبعث أخاه شمسَ الدّولة تُوران شاه إلى بلد النُّوبَة في سنة ثمانٍ وستّين وخمس مئة، فوجدَهُ بلداً ضَنْك العيش ضَيّق المسالك، عظيم المَشَقّة، فرجع عنها وقد غَنِمَ منها شيئاً كثيراً منَ الرَّقِيق.

ثمّ بعثه إلى اليمن في سنة تسعٍ وستّين وخمس مئة - كما تقدم من تاريخه - فكان دخولُهُ زَبِيْد يوم التّاسع من شوّال وحاربه عبد النّبيّ فقُتِلَ في الحرب، وقيل: أُخِذَ أسيراً [٦٦أ] ولم يزل في الأسر إلى أن مات في الأَسْر، وافتُتِحَتِ المدينة بعد قَتْلِهِ، وقيل: بعد أسره، وقد قيل: إنّه قُتِلَ بعد أَسْرِهِ، والله أعلم.

وقال صاحب (العقد الثّمين) وغيرُهُ: إنّما دخل الملك المُعَظَّم اليمن نَجْدَةً للشّريف قاسم بن غانم(١) السُّليمانيّ؛ وذلك أنّه لمـّا قُتِلَ أخوه وَهّاس بن غانم، وكان الّذي

---

(١) في (هـ): «ابن علي».

قتله بنو مهديّ، فقام أخوه قاسم بن غانم بحربهم، فألحّوا عليه بالغارات حتّى عجز عن مقاومتهم، فخرج إلى الدّيار المِصريّة مستنجداً بالملك النّاصر صلاح الدّين على ابن مهديّ.

وقيل: كان خروجُهُ إلى الخليفة بالعراق، فكتب له الخليفة إلى الملك النّاصر وأمرَهُ بإنجاده على ابن مهديّ، فأنجده الملك النّاصر بأخيه شمس الدّولة تُوران شاه بن أيّوب في ألفي[1] فارس - وقيل: في ثلاثة آلاف فارس- وكان خروجُهُ من مِصْر في شهر رجب منَ السّنة المذكورة، وكان دخولُهُ زَبِيْد يوم التّاسع من شوّال بعد أن قاتله عبد النّبيّ ابن مهديّ قتالاً شديداً، فقُتِل في الحرب، وقيل: أُسِر ثمّ قُتل بعد الأسر، وقيل: لم يزل في الأسر إلى أن مات.

ولمّا دخل شمس الدّولة مدينة زَبِيْد واستولى عليها أقام بها إلى ذي القِعْدة، ثمّ نهض إلى الجَنَد فأخذ حصن تَعِزّ وقاتل أهل صَبِر، وأهل ذَخِر، فلم ينلْ منهم منالاً، ثمّ نهض لعَدَن فأخذها يوم الجمعة العشرين من ذي القِعْدة منَ السَّنة المذكورة ونهبها العسكر، وقَبَضَ على أولاد الدّاعي عِمران بن محمّد بن سبأ بن أبي السُّعود وعلى الشّيخ ياسر بن بلال.

ولمّا دخل عَدَن في التّاريخ أنشدَهُ الأديب أبو بكر بن أحمد العَنَديّ، فقال: (من الكامل)

أَعَساكِراً أَسْيَرْتَها وجُنُودا ... أَمْ أَنْجُماً أَطْلَعْتَهُنَّ سُعُودا[2]

أَمْ تِلْكَ ماضِيَةُ العَزائِمِ أُرْهِفَتْ ... بِالرَّأْيِ مِنْهُ وجُرِّدَتْ تَجْرِيْدا[3]

أَمْ تِلْكَ أَقْدارُ الإِلهِ ونَصْرُهُ ... رَفَعَتْ عَلَيْكَ لِواءَها المَعْقُودا

---

(١) في (ج، د، هـ): «ألف فارس».

(٢) في (ج، د، هـ): «أطلعنها وسعودا».

(٣) في (ج، د، هـ): «ماهية العزائم أرهفت».

فَسَمَوْتَ تَطْوي البِيْدَ مُنْشَقًّا بِها ... حَتَّى لَكادَتْ، أَنْ تَبِيْدَ، البِيْدا[١]

ونَهَضْتَ لا الصَّعْبُ المَرامِ رَأَيْتَهُ ... صَعْباً ولا المَرْمَى البَعِيدِ بَعِيْدا

واتَّخَذْتَها قُبَّ الأَياطِلِ غادَرَتْ ... مَتْنَ الفَلاةِ بِرَكْضِها مَعْقُودا

شُعْثاً يُطَيِّرُها المراحُ كَأَنَّها الـ ... عِقْبانُ تَحْمِلُ في الحَدِيْدِ أُسُودا[٢]

فاضَتْ على البَرِّ الفَضاءِ مُدُودُها ... كالبَحْرِ فاضَ عَوارِفاً ومُدُودا[٣]

وَسَدَدْتَ مُنْفَتِحَ الفَضاءِ بِنَقْعِها ... وفَتَحْتَ بابَ فُتُوحِها المَسْدُودا

وشَهَرْتَ نَصْرَكَ والعَزائِمَ فَالْتَظَتْ ... مِنْها البِلادُ تَلَهُّباً وَوَقُودا

بِسُيُوفِ بَأْسٍ لا تُفَلُّ مَضارِباً ... وجِيادِ رَكْضٍ ما تَجِفُّ لُبُودا[٤] [٦٦ب]

جَرَّدْتَها مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ ما ارْتَضَتْ ... إِلّا رُبَى يَمَنٍ لَهُنَّ عَمُودا

حَتَّى صَدَمْتَ بِها زَبِيْداً صَدْمَةً ... كادَتْ تُزِيْلُ عَنِ الوُجُودِ زَبِيْدا

لاقَتْكَ بِاسْتِعْدادِها وعَدِيْدِها ... فَرَأَتْكَ أَقْوَى عُدَّةً وعَدِيْدا[٥]

وفَتَحْتَها بِاللَّحْظِ حِيْنَ لَمَحْتَها ... قَبْلَ ارْتِدادِكَ لَحْظَها المَرْدُودا[٦]

نَصْرٌ سَما الإِسْلامُ مِنْهُ بِناصِرٍ ... مُسْتَفْرِغاً في نَصْرِهِ المَجْهُودا[٧]

فَلَتَمْلَأَنَّ الأَرْضَ مِنْ أَنْبائِهِ ... ما تَقْشَعِرُّ الأَرْضُ مِنْهُ جُلُودا

---

(١) في (أ): «مستقاً بها».

(٢) في (ب): «العقبات».

(٣) في (ج، د، هـ): «الفضاء ممدودها ... عوارفاً ممدودا».

(٤) في (الأم): «بسيوف نصر» وكتب فوقها ما أثبت.

(٥) في (أ): «... وعبيدها» وفي (ج، د): «... وعتيدها».

(٦) في (ب): «قبل ارتداد لحظك ..» مختل الوزن.

(٧) في (أ، ج، د، هـ): «مستغرقاً ...».

[وسَمَتْ إلى عَدَنٍ عَزائِمُكَ الّتي صَدَقَتْ وَعِيْداً في الوَرَى وَوُعُودا](١)
وضَرَبْتَ سامِيَةَ الخِيامِ فما انْتَهى مِنْها الجَمِيْعُ مُطَنَّباً مَعْمُودا(٢)
حَتَّى دَكَكْتَ دُرُوبَها وجِبالَها وجَعَلْتَ تُرْباً صَخْرَها الصَّيْخُودا(٣)
وأَبَحْتَ مَغْنَمَها العَساكِرَ مالِئاً مِنْها الصُّدُورَ مَكاسِباً ونُقُودا
ومَدَدْتَ فِيْها أَمْنَ ظِلٍّ لم يَزَلْ بِكَ في البَرِيَّةِ صافِياً مَمْدُودا
وأَعَدْتَ رَيْعانَ الشَّبابِ لِعَصْرِها فَالبَأْسُ شابَ لَهُ الزَّمانُ وَلِيْدا(٤)
فَلْيَأْتِ أَرْضَ الشّامِ مِنْكَ ومِصْرَها أَنْ قَدْ أَسَرْتَ بِها المُلُوكَ عَبِيْدا(٥)
وطَلَعْتَ شَمْساً إِذْ طَلَعْتَ فَكَشَّفَتْ أَنْوارُ طَلْعَتِكَ اللَّيالي السُّوْدا(٦)
ولَوَ انَّ أَمْلاكَ البَسِيْطَةِ أَنْصَفَتْ خَرَّتْ لِعِزِّكَ رُكَّعاً وسُجُودا
ولَوَ انَّها أَوْفَتْ مَقامَكَ حَقَّهُ فَرَشَتْ لِمَقْدَمِكَ البِقاعَ خُدُودا
ولَوَ انَّ نَجْمَ الدِّيْنِ كانَ مُشاهِداً لَرَأَى مَقامَكَ في العُلَى مَشْهُودا
ولَكانَ يَعْلَمُ أَنَّكَ المَلِكُ الّذي [خَلَّدْتَ باهِرَ عِزِّهِ تَخْلِيْدا
أَوَ لَسْتَ شَمْسَ الدَّوْلَةِ المَلِكَ الّذي](٧) بِالنَّصْرِ أُيِّدَ عَزْمُهُ تَأْيِيْدا
مَلأَ النَّواظِرَ والخَواطِرَ هَيْبَةً وعَزائِماً وصَوارِماً وجُنُودا

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب).
(٢) في (ج): «.. ماشية ... عنها الجميع ...» وفي (د، هـ): «عنها الجميع ...».
(٣) في (الأمّ، ب): «الصنجودا» مصحّفا؛ والصَّيخود: الصّخرة العظيمة.
(٤) في (ج): «وعددت ... فالناس شاب» وفي (د): «فالناس شاب ...».
(٥) في (ج، د، هـ): «... عنك ومصرها».
(٦) في (د): «أنوار طلعتها ...».
(٧) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب، ج).

مُتَرَدِّداً كَالشَّمْسِ في أَفْلاكِها ... والشَّمْسُ ما إنْ تُسأَمَ التَّرْدِيْدا[١]

يا أَوْحَدَ الدُّنْيا وواحِدَها الّذي ... نَصَرَ الهُدَى والدِّيْنَ والتَّأْيِيْدا

يا مَنْ تَفَرَّدَ في الوُجُودِ مَكارِماً ... ونَدًى يَفِيْضُ على الأَنامِ وُجُودا

لجلالِ شَمْسِ الدِّيْنِ شَمْسٌ أَخْجَلَتْ ... شَمْسَ النَّهارِ إنارَةً وريودا[٢]

للهِ مِنْكَ مَواقِفٌ مَشْهُورَةٌ ... فاتَتْ بِكَ التَّكْيِيْفَ والتَّحْدِيْدا[٣]

ووَقائِعٌ أَضْرَمْتَ مِنْ يَمَنٍ بها ... في كُلِّ أَرْضٍ بِالسَّماحِ وَقِيْدا

هَزَّتْ بِكَ البِيْضُ الرِّقاقُ مَعاطِفاً ... فكَأَنَّما سَقَّيْتَها القِنْدِيْدا

وجَرَيْتَ عَنْها المُلْكَ مُنْفَرِداً بِهِ ... مُسْتَخْدِماً فِيْهِ المُلُوكَ عَبِيْدا

ونَثَرْتَ سَعْيَكَ في الزَّمانِ مَكارِماً ... نُظِمَتْ على جِيْدِ الفَخارِ عُقُودا[٤][٦٧]

وحَشَتْها بِقِيامِ بَأْسٍ غادَرَ الـ ... أَفْلاكَ في ذُلِّ الخُضُوعِ قُعُودا

ونَشَرْتَها في الخافِقَيْنِ مآثِراً ... مِلْءَ العُيُونِ بَوارِقاً ورُعُودا[٥]

فاسْتَفْتِحِ الدُّنْيا بِسَيْفِكَ إنَّهُ ... حُكْمُ القَضاءِ مُسَدَّداً تَسْدِيْدا

فَلَقَدْ تَطاوَلَتِ البِلادُ ومُهِّدَتْ ... لِلْعِزِّ مِنْكَ دُسُوتُها تَمْهِيْدا[٦]

وتَنافَسَتْ فِيْكَ البِقاعُ مَشارِقاً ... ومَغارِباً وتَهائِماً ونُجُودا

وتَلا مَدائِحَكَ الزَّمانُ وغَرَّدَتْ ... وُرْقُ الحَمامِ بِوَصْفِها تَغْرِيْدا

---

(١) في (ج): «... في إقلاها».

(٢) في (الأم، أ، ب، د، هـ): «إريادة وريودا» مختل الوزن، وما أثبت عن (ج).

(٣) في (ج): «فاتت بها ...».

(٤) في (أ): «ونظمت ...».

(٥) في (الأم، ب): «مثل العيون ...».

(٦) في (أ): «... الملوك ومهدت».

وبقِيْتَ مَنْصُورَ اللّواءِ مُظَفَّراً وغدا الزّمانُ لِمَا أَرَدْتَ مُرِيْدا
ثُمَّ الصّلاةُ على النَّبيّ مُحَمَّدِ الـ مُخْتارِ ما افْتَرَّ الصَّباحُ جَدِيْدا

ولمّا دخل السّلطان الملك المُعَظَّم عَدَن أقام بها إلى النِّصْف من ذي الحِجَّة، ثمّ نهض قاصداً لِمِخْلاف جعفر فأخذ التَّعْكَر يوم الثّلاثاء الثّالث والعشرين من ذي الحِجَّة، ثمّ سار نحو نَقِيل صَيَد يوم الإثنين سَلْخ ذي الحِجَّة، ثمّ قصد ذَرْوان يوم الثّلاثاء غُرَّة المحرَّم أوّل سنة سبعين وخمس مئة، فقاتلَهُ الشّيخ عبد الله بن يحيى الجَنْبيّ قتالاً شديدا، ثمّ صالحَهُ يوم الأربعاء في[1] الشّهر المذكور، ثمّ نهض فأخذ المَصْنَعة منَ الشّيخ محمّد بن زيد بن عمر[2] الجَنْبيّ.

ثمّ نهض يريد ذَمار، فاعترضه جَنْب في موضع يُسمَّى رَخَمَة[3] شرقيَّ ذَمار يوم الخميس العاشر منَ المحرَّم فقُتِلَ منَ الغُزّ خمسةٌ وستّون رجلاً، ثمّ دخل شمس الدّولة إلى ذَمار؛ فأقام أيّاماً ثمّ نهض يريد صنعاء فاعترضَهُ جَنْب ومن معه منَ العرب في الطّريق فذَمَّرَ شمسُ الدّولة عسكرَهُ وقال: أين أنتم منَ الدِّيار المِصريَّة، فقاتلوا عن أنفسكم، وإلّا أكلتكم العرب، فقاتلوا قتالاً شديداً فاهتزمت جَنْب ومن معه، وقُتل منهم نحو سبع مئة رجلٍ، وتَبِعَهم العسكر إلى أن دخلوا حصن هِرّان وأخذوا من خيلهم قلائع كثيرة، وفي ذلك يقول الشّاعر الشّبولي[4]: (منَ الوافر)

وقالَ لِجُنْدِهِ: مُوتُوا كِراماً، فَأَيْنَ دِيارُ مِصْرٍ مِنْ ذَمارِ؟

ثمّ سار نحو صنعاء فوصلها نصف النّهار من يوم الجمعة السّابع عشر منَ الشّهر المذكور، فحطَّ في الجنوب شرقيَّ صنعاء، وكان في الجنوب يومئذٍ ثمانية أفراس من هَمْدان

(١) في (أ، ج، د، هـ): «ثاني الشهر».
(٢) في (أ، ج): «عمرو».
(٣) كذا ضبطه الجنديّ في السّلوك: ٢/٢٧٣، وفي معجم البلدان (٣/٣٩): «رُخمة».
(٤) في (أ، ج، د، هـ): «الشوكي».

فأحاطت بهم الخيل فقُتِل منهم ثلاثةٌ ونجا خمسة، وأقام الملك المُعَظَّم في محطَّته بالجنوب إلى يوم الإثنين الحادي والعشرين منَ الشّهر المذكور، وخرج إليه مشايخ صنعاء ووجوه أهلها في زِيٍّ حسن، فأعجبه زِيّهم، فاستحضر جماعةً من رؤسائهم وحاوَرَهم [٦٧ب] وحدَّثهم، ثمّ دخل صنعاء ومَلَكها.

وكان السّلطان عليّ بن حاتم في بَراش وأخوه بِشْر بن حاتم في عَزّان، ثمّ نهض شمس الدّولة من صنعاء يريد تِهامة صبح يوم الثّلاثاء[١] وقصد طريق نَقِيْل السَّوْد، وهو بين بلاد بني شهاب وبلاد سَنحان، فلحقَهُ قومٌ من بني شهاب، وقومٌ من سَنحان فأخذوا آخر العسكر، فلم يلتفت إليهم وسار قاصداً تِهامة.

فلمّا صار في حدود بُرَع أخذ أهل بُرَع [له][٢] جِمالاً كثيرةً عليها أموالٌ جَمَّة منَ الذَّهب والفضَّة والسّلاح والآلة، وأَجْزَل ما كان عليها من آلة مِصْر، ومال زَبِيْد، ومال عَدَن الّذي نُهِب منها يوم أخذها.

وكان السّلطان عليّ بن حاتم قد شرع في خَراب دَرْب صنعاء من يوم الإثنين السّابع منَ المحرَّم إلى الأربعاء السّادس عشر منه.

فلمّا وصل شمس الدّولة إلى صنعاء أشار عليه قومٌ من أهل صنعاء بعِمارة الدَّرْب وإصلاح ما تَشَعَّث منه، وما قد انهدم.

فلمّا نزل شمس الدّولة من صنعاء يريد تِهامة - كما ذكرنا - خشي السّلطان عليُّ بن حاتم من عودته مرّة أخرى فأمر بإتمام خرابِهِ وكَسْر خَنادقِهِ، وهَدْم سورِهِ، واستئصال مآثره.

ولمّا وصل شمس الدّولة [زَبِيْد][٣] أقام بها إلى شهر جُمادَى الأولى منَ السَّنة

---

(١) في (ج، د، هـ): «الإثنين».

(٢) ما حُفَّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

المذكورة، ثمّ نهض إلى الجَنَد فوصلَ الوالي الّذي على جبل صَبِر، وكان من قِبل عبد النّبيّ ابن مهديّ فسلّم إليه الحصن، ثمّ نهض لحصن ذَخِر فأخذه وأخذ حصن تالبة وشِرياف، ثمّ حطّ على عَزّان ذَخِر، وفيه يومئذٍ علي بن حجّاج من أهل تِهامة فسلَّم إليه الحصن وسلَّم معه عشرة آلاف دينار ملكيّة كانت عنده وَداعة[1] لعبد النّبيّ ابن مهديّ.

ثمّ سار شمس الدّولة إلى أرض المَعافِر، فحارب حصن يُمَيْن وفيه يومئذٍ منصور بن الدّاعي محمّد بن سبأ بن أبي السُّعود، فهرب منه الدّيوان، فسلّم الحصن، ثمّ سلّم حصن مُنِيف، ثمّ سلّم حصن السَّمَدان منَ النّائب الّذي فيه يومئذٍ.

ثمّ نهض إلى الدُّمْلُوَة وفيها يومئذٍ الأميران وَلَدا الدّاعي عِمْران بن محمّد بن سبأ وكان الوالي فيه يومئذٍ جوهر المُعَظّميّ، فلم يَنَلْ منَ الدُّمْلُوَة شيئاً، فعادَ وتركها.

ثمّ عاد إلى جِبْلَة فأقام بها إلى يوم الرّابع من شعبان منَ السّنة المذكورة، وبلغَهُ ظُهُور خلافٍ في تِهامة فأمر بقَتْل عبد النّبيّ ابن مَهديّ وأَخَوَيْهِ[2] أحمد ويحيى فقُتِلُوا في زَبِيْد.

ثمّ نزل شمس الدّولة من جِبْلَة إلى زَبِيْد فدخلها يوم الثّالث عشر من شعبان المذكور، فأقام فيها.

ولـمّا أقام شمس الدّولة في اليمن سنةً كاملةً اشتاق إلى الشّام، وضاقت عليه اليمن، ولم تُعجبْهُ؛ لكونه تَرْبية الشّام، وهي كثيرةُ الخيرات، واليمنُ أرضٌ مُجْدبةٌ بالنّسبة إلى الشّام.

وكان قد بلغَهُ خبرُ وفاة نور الدِّين محمود[3] بن زِنكي واستيلاء أخيه [٦٨أ] الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب على مملكة الشّام، [فاشتاق إلى الشّام][4]،

---

(١) الوَداعة: الأمانة.

(٢) في (الأمّ، ب): «وأخوه» في (ج، د، هـ): «وإخوته» وما أثبت عن (أ).

(٣) في (الأمّ، أ، ب): «محمد» وإنّما هو محمود.

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

نكتب إلى أخيه الملك النّاصر يسألُهُ أن يأذن له في القُفُول إلى الشّام، وأرسل إليه بهذه القصيدة: (منَ البسيط)

لولا تَحَلُّكَ في قَلْبي وأَفْكاري ... ما رَنَّحَ الشَّوْقُ أَعْطافي وتَذْكاري[١]
ولا الْتَفَتُّ إلى مِصْرٍ وساكِنِها ... وقد تَعَوَّضْتُ عَنْ مِصْرٍ بِأَمْصارِ
ولا حَنَنْتُ إلى أَرْضِ الشّآمِ وإِنْ ... كانَتْ مَطالِعَ أَوْطاني وأَوْطاري[٢]
ولا شَجَتْنِيَ كُتْبٌ مِنْكَ وارِدَةٌ ... يَجِلُّ أَخْطارُها في عِظَمِ أَخْطاري
سَحّارَةُ اللَّحْظِ والمَعْنَى وما نَشَأَتْ ... فَسِحْرُها جَلَّ عَنْ إِنْشاءِ سَحّارِ[٣]
ولا تَرَنَّمتُ والأَشْواقُ تَمْرَحُ بي ... لِبارِقٍ مِنْ نَواحي أَرْضِكُمْ ساري
ما الدّارُ إِلّا دِمَشْقٌ والمُنَى حَلَبٌ ... والشَّوقُ مِصْرٌ وفي الزَّوْرا مَدَى داري[٤]
تِلْكَ المَنازِلُ لا لَحْجٌ ولا عَدَنٌ ... ولا زَبِيْدُ ولا أَكْثابُ تَعْشارِ[٥]
هذا على أَنَّ قَدْرَ المُلْكِ في يَمَنٍ ... عالٍ ولكِنَّهِ مِنْ دُونِ مِقْداري[٦]
وقد أَبَدْتُ المُلُوكَ المُنْتَمِيْنَ بِهِ ... واقْتَدْتُهُمْ قَوْدَ إِذْلالٍ وإِصْغارِ
لكِنَّهُ مُذْ أَتَتْني الكُتُبُ تُخْبِرُ مِنْ ... إِضْمارِ شَوْقِكَ ما يُخْفِيْهِ إِضْماري[٧]

---

(١) في (ج، د، هـ): «... أعضائي ...».

(٢) في (ج، د): «ولا حننت إلى أرض الشام راحلتي ... وإن تكن تلك ...».

(٣) في(أ): «...كما نشأت» وفي (ب): «.. اللفظ ...» وفي(ج): «.. اللفظ والمعنى وما نشأت ... فسحر بابل عن إنشاء أسحاري» وفي (د): «... وما نشأة ... فسحر بابل عن إنشاء أسحاري». والسَّحّار: السّاحر، يجمع الأوّل على سَحّارين، ويجمع الثّاني على سَحَرَةٍ وسُحّار؛ انظر المحكم: (س ح ر).

(٤) في (ج، د): «... الزوراء مدراري».

(٥) في (ج): «... ولا أكثار ..» وفي (هـ) كتب: «أكناف» فوق: «أكثاب».

(٦) في (الأمّ، أ، ب): «... في دون ..».

(٧) في (ج، د): «... تخبرني».

وَمُخْبِراتٌ بِفَتْحِ الشّامِ، هَيَّجَ لي ... ما أَعْرَبَتْ عَنْهُ مِنْ شَوْقٍ وأَخْبارِ(١)
وزادَني أَسَفاً جَرُّ الجُيُوشِ ولم ... أَجْرُرْ بِها ذَيْلَ عالي النَّقْعِ جَرّارِ
وفَتْحُ سَيْفِكَ حِمْصاً مَعْ حَماةَ وكَمْ ... حامَى على الغابِ مِنْها لَيْثُها الضّاري
وما رَأَتْ حَلَبٌ في الحَضْرِ إِذْ شَرِقَتْ ... أَنْفاسُها بِمَجاري رِيقِها الجاري(٢)
فَكِدْتُ مِنْ فَرْطِ شَوْقي أَنْ أَطِيرَ إلى ... سامي مَقامِكَ في جَيْشي وأَنْصاري(٣)
وأَطْرُقُ الشّامَ لا هَمّي بِمُنْصَرِفٍ ... عَنِ الشّآمِ ولا عَزْمي بِخَوّارِ
حَتّى تَرَى حَلَبٌ والرَّقّتانِ وأَكْـ ... ـنافُ العِراقَيْنِ تَأْثِيري وآثاري
وتَعْلَمُ المَوصِلُ المَمْنُوعُ جانِبُها ... أَنْ لَيْسَ يُمْنَعُ عن عَزْمي وعَنْ ثاري(٤)
وأَنَّ سَطْوَةَ بَأْسي حِيْنَ يَقْصِدُها ... بِسَطْوَةٍ مِنْكَ تُرْدي كُلَّ جَبّارِ
في حَيْثُ أُلْبِسُ لَيْلَ النَّقْعِ مُتَّضِحاً ... في جَبْجَبٍ صُبْحَ إِقْدامي وإِسْفاري
وأَلْتَقي دُوْنَكَ الفُرْسانَ مُعْلِمَةً ... لِقاءَ مُفْتَرِسٍ للأُسْدِ كَرّارِ
وأَصْحَبُ الجَيْشَ جَيْشَ النَّصْرِ ساقبةً ... فِيْهِ خِيامي خَضِيْباً فِيْهِ بَتّاري
وأَغْتَدي سائِراً تَحْتَ اللِّواءِ إلى ... حَيْثُ اتَّجَهْتَ بِعَزْمٍ مِنْكَ سَيّارِ
فَأُصْبِحُ القُدْسَ والإِفْرِنْجَ في لَجِبٍ ... بِزاخِرٍ بِعُبابِ المَوْجِ تَيّارِ[٦٨ب]
حَتّى تَرَى مِلَّةَ الإِسْلامِ قامِعَةً ... بِالقُدْسِ صَوْلَةَ صُلْبانٍ وكُفّارِ(٥)

---

(١) في (ب): «... ما هيج لي».
(٢) في (أ): «... حلب في الحرب ...».
(٣) في (ب): «... فرط أشواقي أطير إلى».
(٤) البيت سقط في (هـ).
(٥) في (ج، د): «حتى أرى ... قائمة».

هذا اقْتِراحي فَمَنْ لي أَنْ أَفُوزَ بِهِ ... مُحَكَّماً فِيْهِ إِيْرادي وإِصْداري
وإنَّ أَعظَمَ قَصْدي أَنْ أَراكَ على الـ ... ـمَأْلُوفِ باهِرَ إِشْراقٍ وأَنْوارِ[1]
فَكَيْفَ لي بِاجْتِماعٍ مِنْكَ صافِيَةٌ ... مِنْهُ المَوارِدُ عَنْ شَوْبٍ وأَكْدارِ[2]

فأرسل إليه صلاحُ الدّين رسالةً ومضمونها تَرْغيبُهُ في الإقامة في اليمن، وأنّ اليمن بلدٌ مباركةٌ، وهي كثيرةُ الأموال ومملكتُها واسعة. فلمّا قرأ الرّسالة قال شمس الدّولة لمتولّي خزائنِهِ: أحضرْ لنا ألفَ دينارٍ. فأحضرها، فقال لأستاذ داره -والرّسول حاضر-: أرسلْ لنا بهذا الكيس إلى من يشتري لنا به قطعة ثَلْج. فقال له: يا مولانا، هذه بلاد اليمن، من أين يكون فيها ثلجٌ؟ فقال: مُرْ من يشتري بها[3] طَبَقَ مِشْمِش[4] لَوْزي. قال: وأين يوجد هذا حفظك الله؟ فجعل يُعَدِّد عليه منَ الأشياء الّتي لا توجد في اليمن ذلك الزّمن، وقد خصَّ الله تعالى كلّ أرضٍ بفضيلة، وإنّما أراد شمس الدّولة إظهار عدم راحته في اليمن.

فلمّا استوفى الكلام إلى آخره، قال: ليتَ شعري ماذا أصنع بهذه الأموال إذا لم أَنْتَفِعُ بها فيما أريد؟ فإنّ المال بعينه لا ينفع، وإنّما الفائدة فيه أنّ الإنسان يتوصّل به إلى ما يريد، فعاد الرّسول إلى صلاح الدّين وأخبرَهُ بذلك، فأَذِنَ له في القُفُول.

وفي رواية أخرى قال: لمّا اشتاق شمس الدّولة إلى أخيه صلاح الدّين كتب إليه كتاباً وفي الكتاب شعرٌ يقول فيه: (منَ الكامل)

الشَّوقُ أَوْلَعُ في القُلُوبِ وأَوْجَعُ ... فَعَلامَ أَدْفَعُ مِنْهُ ما لا يُدْفَعُ
لا تَسْتَقِرُّ بِيَ النَّوى في مَوْضِعٍ ... إِلّا تَقاضاني التَّرَحُّلَ مَوْضِعُ

---

(١) في (ج، د، هـ): «وإن أعظم صبري ... ... أشواق ..» وفي (هـ) أيضاً: «... على الألوف ...».
(٢) في (ج، د): «... عن شوق وبالدار» وفي (هـ): «... عن سوء وأكدار».
(٣) قوله: «قطعة ثلج ... من يشتري بها» سقط في (ج).
(٤) في (ج): «طبق شمس».

وحَمَلْتُ مِنْ وَجْدِ الأَحِبَّةِ والنَّوى ... ما لَيسَ يَحْمِلُهُ الأَحِبَّةُ أَجْمَعُ
وإلى صَلاحِ الدِّيْنِ أَشْكُو أَنَّني ... مُضْنًى كَئِيْبٌ مُسْتَهامٌ مُولَعُ[1]
جَزَعاً لِبُعْدِ الدّارِ مِنْهُ ولم أَكُنْ، ... لولا هَواهُ، لِبُعْدِ دارٍ أَجْزَعُ
فَلأَرْكَبَنَّ إِلَيْهِ مَتْنَ عَزائِمي ... وتَخُبُّ في رَكْبِ الغَرامِ وتُوضِعُ
حَتَّى أُشاهِدَ مِنْهُ أَسْعَدَ طَلْعَةٍ ... مِنْ أُفْقِها صُبْحُ السَّعادَةِ يَطْلُعُ

ثمّ بعث بالكتاب رجلاً من أعيان أهل اليمن، فلمّا قدم على صلاح الدّين أكرمه وبَجَّلَهُ، وقد كان شمس الدّولة قال له: متى وجدت مجلسَ أُنْسٍ من أخي فأنشدْهُ هذه الأبيات.

فلمّا وجد الرّجل ذلك أنشد الأبيات، فلمّا فرغ من إنشادها قال له صلاح الدّين: القُعُود والقُفُول إليه إذا أَحَبَّ أن يَقِفَ فليَقِف، وإن أحبّ أن يصل فلْيَصِل.

ثمّ إنّه جهّز الرّسول [١٦٩] جهازاً حسناً، وكتب معه كتاباً، وضمَّنَهُ هذه الأبيات:

(منَ الكامل)

مولايَ، شَمْسَ الدَّوْلَةِ، المَلِكُ الّذي ... شَمْسُ السَّعادَةِ مِنْ جَبِيْنِكَ تَطْلُعُ[2]
ما لي سِواكَ مِنَ الحَوادِثِ مَلْجأٌ ... ما لي سِواكَ مِنَ النَّوائِبِ مَفْزَعُ
ولأَنْتَ، فَخْرَ الدِّيْنِ، فَخْريَ في الوَرَى ... ومَلاذُ آمالي ورُكْنٌ أَمْنَعُ[3]
النَّصْرُ إِنْ أَقْبَلْتَ نَحْوِيَ مُقْبِلٌ ... واليُمْنُ إِنْ أَسْرَعْتَ نَحْوِيَ مُسْرِعُ

ثمّ سارَ الرَّسُولُ بِالأَبْياتِ والكِتابِ إلى شمس الدّولة، فلمّا قرأَهُ - وعزمَ على السَّفَر إلى البلاد والعَود إليها - أَمَرَ بشَنْقِ بني مهديّ، وكانوا ثلاثةً في الأسر، وهم: عبد النّبيّ

(١) في (أ، ج، د، هـ): «... موجع».
(٢) في (أ): «... من سناه تطلع» وفي (ج، د): «... منه أضحت تطلع» وفي (هـ): «... من سناها تطلع».
(٣) في (أ): «ولأنت شمس الدين نجمك في الورى» وفي (ج، د، هـ): «ولأنت شمس الدين ...».

وأحمد ويحيى فشُنِقُوا حينئذٍ على باب الخان بزَبِيْد، وأمر بتَوْسِيْط ياسر بن بلال وعبدِهِ مفتاح السّداسيّ؛ وكان ذلك في شهر رجب من سنة إحدى وسبعين وخمس مئة.

وكان مع شمس الدّولة من أعيان الأُمَراء: دِرْباس، وسيف الدّولة مبارك بن كامل بن عليّ بن مقلد بن نصر بن مُنْقِذ وأخو[ا]ه: محمّد ابن مُنْقِذ وخَطّاب ابن مُنْقِذ[١]، وعثمان الزَّنْجَبِيليّ[٢] وياقوت التَّعِزِّيّ[٣] ومُظَفَّر الدِّين قايماز[٤] وغيرهم.

وكان المُبارك بن منقذ يُكْنى أبا الميمون، وتلقَّب بمجد الدّين، ويُعْرف بسيف الدّولة، وهو من أمراء الدّولة الصَّلاحيّة[٥] وشادّ الدّواوين بديار مِصْر، وهم أهل بيت كبير، ويُقال: إنّهم من بني حَمْدان، وكان أديباً شاعراً فصيحاً، ومن شعره قولُهُ: (منَ الكامل)

وإذا أرادَ اللهُ أَنْ يَشْقَى امْرُؤٌ ... وأَرادَ أَنْ يُحْيِيْهِ غَيْرَ سَعِيْدِ[٦]

أَغْراهُ بِالتَّرْحالِ مِنْ مِصْرٍ بِلا ... سَبَبٍ وسَكَّنَهُ بِأَرْضِ زَبِيْدِ

ومن شعره قوله في البراغيث: (منَ البسيط)

ومَعْشَرٍ يَسْتَحِلُّ النّاسُ قَتْلَهُمُ ... كما اسْتُحِلَّ دَمُ الحُجّاجِ في الحَرَمِ

إذا سَفَكْتُ دَماً مِنْهُمْ فما سَفَكَتْ ... يَدايَ مِنْ دَمِهِ المَسْفُوكِ غَيْرَ دمي[٧]

وهو الّذي بنى مسجد المُناخ بزَبِيْد، وهو المسجد الّذي يلاصق دَرْب المُناخ الكبير منَ النّاحية الشّماليّة عند باب شُخار.

---

(١) رُفِع اسمُ أخويهِ إلى جدّهم منقذ، وكذلك يُذكر مبارك؛ فيقال: مبارك ابن منقذ؛ كما سيأتي بُعيده. وخطّاب: كذا وورد في جميع النّسخ غير مرّة، وهو عند بعضهم حطّان؛ انظر الأعلام: ٢٧١/٥، في سياق ترجمة أخيه المبارك.

(٢) الزَّنْجَبِيليّ: كذا في جميع الأصول على كثرة تكراره، وهو عند بعضهم «الزِّنْجِيليّ» انظر العقد الثّمين: ٣٤/٦.

(٣) قوله: «وياقوت التعزي» سقط في (هـ).

(٤) في (ج): «قانماز».

(٥) في (الأمّ، ب): «الصّليحية» وهو خطأ، وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ) نسبةً إلى صلاح الدّين.

(٦) في (الأمّ) : «... أن يشقى امرأ ... أن يحييه ...» لم ينصب بـ«أن» للضرورة.

(٧) في (ج): «يداه من دمه المسفوح ...».

قال عليّ بن الحسن الخزرجيّ: وقد انهدم باب شُخار في سنة سبعٍ وتسعين وسبع مئة، وكان باباً كبيراً غربيَّ المسجد المذكور، يدُهُ الشّرقيّة على جدار المسجد ويدُهُ الغربيّة على جدار الإِصْطَبل، وأوقف الأمير المذكور على المسجد وَقْفاً جليلاً في زَبِيْد، وكان الأمير رجلاً فاضلاً ويحبّ أهل الفضل، ومدحه جماعةٌ منَ الشّعراء فأثابهم وأحسن إليهم.

ولمّا عزم شمس الدّولة على التّوجُّهِ إلى الشّام، جعل أبا الميمون المبارك ابن منقذ على زَبِيْد وما يليها منَ التّهائم، وجعل عثمان الزَّنْجَبِيليّ في عَدَن، وياقوت التَّعِزّيّ في التَّعْكَر وهو مملوكه في تَعِزّ وأعمالها، ومُظَفَّر الدّين قايماز في ذي جِبْلَة وأعمالها[٦٩ب].

قال صاحب (العقد الثّمين): وكان نهوض شمس الدّولة تُوران شاه بن أيّوب من مدينة الجَنَد إلى مِصْر في شهر رجب من سنة إحدى وسبعين وخمس مئة.

قال الجَنَديّ(١): وكان طريقه على صنعاء، ثمّ سار من صنعاء على طريق المدارَة إلى أن صار بالقرب من أَشْيَح، فخرجت عليه جيوشٌ(٢) كثيرةٌ فنهبوا خزانته وهو متقدّم إلى الشّام فقدم على أخيه وهو مُحاصِرٌ لحَلَب في شهر رمضان، وقيل: في ذي الحِجَّة من سنة إحدى وسبعين وخمس مئة.

فلمّا رجع صلاح الدّين من حصار حَلَب، وتوجَّهَ إلى الدّيار المِصريّة في سنة اثنتين وسبعين وخمس مئة ترك أخاه شمس الدّولة تُوران شاه بن أيّوب نائباً بدمشق، فأقام مدّةً، ثمّ انتقل إلى الدّيار المِصريّة في سنة أربع وسبعين.

ثمّ توجّه إلى الإسكندريّة فمات بها في سنة ستٍّ وسبعين وخمس مئة، ودفن بها، ثمّ نقلته أختُهُ ستّ الشّام بنت أيّوب إلى دمشق فدفنته في مدرستها الّتي أنشأتها بظاهر مظاهر دمشق فقبرُهُ بها، وكان كريماً جواداً، توفّي وعليه مِئَتا ألف دينار مِصريّة، فقضاها عنه أخوه صلاح الدين.

---

(١) لم أقف عليه في مطبوع السلوك.

(٢) في (أ): «عربان» وفي (ج): «جنوب».

ويُرْوَى عنِ الشّيخ مهذّب الدّين أبي طالب محمّد بن عليّ المعروف بابن الخَيميّ الحِلّيّ نزيل مصر، قال: رأيت شمس الدّولة تُوران شاه بن أيّوب في المنام، وهو ميت فمدحته بأبيات منَ الشّعر، فلَفَّ كفنَهُ ورماه لي، وأنشدني: (منَ البسيط)

لا تَسْتَقِلَّنَّ مَعْرُوفاً سَمَحْتُ بِهِ مَيْتاً فَأَمْسَيْتُ مِنْهُ عاري البَدَنِ[1]

ولا تَظُنَنَّ جُودي شانَهُ بَخَلٌ مِنْ بَعْدِ بَذْلِيَ مُلْكَ الشّامِ واليَمَنِ[2]

إنِّي خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيا ولَيْسَ معي مِنْ كُلِّ ما مَلَكَتْ كَفِّي سِوَى كَفَني

قال ابن خَلِّكان: ومعنى تُوران شاه: ملك الشَّرْق.

قال المُصنّف أيّدَهُ الله: ولم تزل نُوّاب شمس الدّولة على اليمن وأموالُهُ تُرْفَع إليه إلى الشّام إلى أن توفّي في التّاريخ المذكور.

فلمّا علموا بوفاتِهِ أظهروا الخِلاف والخروج عنِ الطّاعة، وضَرَبَ كلٌّ منهم لنفسه سِكّةً، وحرّم على أهل بلده أن يتعاملوا بغيرها إلّا ما كان من مُظَفَّر الدّين قايماز فإنّه عجز عن ضَبْط المِخْلاف، وكان من جملة أعماله الجَنَد.

فلمّا علم عثمان الزَّنْجَبِيليّ صاحب عَدَن ضعفَهُ نهض إليه وطمع في البلاد فصعِد إلى الجَنَد[3] فلبث فيها ثمانية أيّام وطلع المِخْلاف [فتسلّم المِخْلاف][4] سنة ثمانٍ وسبعين وخمس مئة، واستفحل أمرُهُ، ثمّ غزا حضرموت ونهبها وقتل خَلْقاً كثيراً من أهلها منَ الفقهاء والقرّاء وغيرهم.

قالوا: وكان ممّن سعى في الأرض فساداً، ولم يزل في عَدَن إلى أن قدم سيف الإسلام طُغتِكِين بن أيّوب فهرب في البحر إلى الشّام وسكن دمشق وبنى فيها مدرسة ظاهر دمشق،

---

(١) سمحت به: جُدت به، والسّماح: الجود.
(٢) في (ب، ج، د): «... شابه ...» وفي (ج، د): «... تركي ...».
(٣) قوله: «فلما علم ... إلى الجند» سقط في (أ).
(٤) ما حُفّ بمعكوفتين ليس في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

ودُفِن فيها يوم وفاته، وكانت وفاته في سنة ثمان وثمانين وخمس مئة؛ ذكره ابن شاكر في تاريخه [١٧٠أ] المُسمَّى بـ(عيون التّواريخ).

ومن مآثر الزَّنْجَبِيليّ مسجدُهُ بعَدَن جَعَلَ خان البرِّ وَقْفاً عليه يصرف على المسجد منه ما يحتاج إليه المسجد[1]، وما زاد من ذلك صُرِف على حرم مكّة، واشترى كثيراً منَ العَقار والدّكاكين والدُّور بعَدَن ووَقَفها على المسجد الحرام بمكّة، والله أعلم.

وأمّا أبو[2] الميمون مبارك ابن منقذ فإنّه ضبط[3] التّهائم، وكان يومئذٍ في زَبِيْد رجلٌ صوفيٌّ يُقال له: مبارك ابن خلف، وكان النّاس قد مالوا إليه وأقبلوا عليه، فخشي منه المبارك ابن منقذ فِعْل ابن مهديّ، فقتله فحِيْل بينه وبين النّوم، فأشرف من ذلك على الهلاك، فشكا ما يجد من ذلك على بعض الفقهاء فقال له: إن أعدت الخطبة إلى الجامع القديم رجوت لك الشِّفاء - وكان الجامع القديم مِن عِمارة الحَبَشة - ففعل ذلك فعاوده النّوم، فأمر بإخراب جامع ابن مهديّ، وهو الّذي يُسمّى المشهد، فبادر النّاس إلى ذلك بُغْضاً لبني مهديّ، فبنى المقدّم من جامع زَبِيْد فجميع مقدّم جامع زَبِيْد اليوم من عِمارة المبارك ابن منقذ، واسمُهُ مكتوبٌ فيه في حجر على الباب الّذي يدخل منه الخطيب، وكان تاريخ عِمارتِهِ في سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة.

ثمّ إنّه كتب إلى السّلطان صلاح الدّين يستأذنُهُ في الوصول إلى مصر، وقيل: إنّما استأذن شمس الدّولة فأذن له في ذلك، فاستناب أخاه خَطّاب ابن منقذ على عمله، وتقدّم إلى مصر فقبض عليه صلاح الدّين وصادره واحتجّ عليه بمصادرة بني مهديّ، وتوفّي المبارك ابن منقذ في الثّامن من شهر رمضان سنة سبع[4] وثمانين وخمس مئة.

---

(١) قوله: «ه بعدن ... إليه المسجد» سقط في (أ).

(٢) قوله: «أبو» ليس في (ب).

(٣) في (ب): «هبط».

(٤) في (أ): «تسع».

وأمّا خطّاب ابن منقذ فإنّ صلاح الدّين لمّا صادر أخاه في الدّيار المِصريّة بعث مملوكَهُ سيف الدّين خَطْلَبا[(١)] على اليمن وكتب له إلى أُمَرائها أن يسيروا معه لحرب خَطّاب ابن منقذ وإخراجِهِ من زَبِيْد وأن يكون خَطْلَبا مكانه.

فلمّا وصل خَطْلَبا إلى عَدَن التقاهُ عثمان الزَّنْجَبِيليّ بالطّاعة والإجلال، وسار معه إلى خطّاب فلمّا بلغا الجَنَد وصلهما ياقوت من تَعِزّ[(٢)] وقايماز منَ التَّعْكَر وساروا بأجمعهم إلى زَبِيْد، فهرب خطّاب إلى حصن قَوارِير، ودخل خَطْلَبا[(٣)] زَبِيْد وملكها وعاد كلّ أمير منَ الأمراء إلى بلده، وكان ذلك في سنة أربع وسبعين وخمس مئة.

ثمّ إنّ خطّاب ابن منقذ راسل الأمير خَطْلَبا وهاداهُ حتّى حصلت بينهما أُلْفَةٌ، ثمّ مرض خَطْلَبا وأشرف على الموت، فاستدعى خطّاب ابن منقذ إليه فوصله ليلاً فسلّم إليه البلد، ومات خَطْلَبا من ليلته، واستولى خطّاب على زَبِيْد وأعمالها.

فلمّا سمع عثمان الزَّنْجَبِيليّ بموت خَطْلبا واستيلاء خطّاب على زَبِيْد جمع جموعه وسار إلى زَبِيْد فحاصرها سنة ستٍّ وسبعين[(٤)]، فلم يَنَلْ منها منالاً، فعاد إلى بلاده ولم يزل خطّاب على حَذَرٍ من عثمان الزَّنْجَبِيليّ وكلّما أحسّ به متحرّكاً في بلده طلع حصن قوارير يمتنع به ممّن أراده إلى سنة [٧٠ب] تسعٍ وسبعين[(٥)].

فلمّا علم الملك النّاصر صلاح الدّين بذلك من أمره أرسل أخاه الملك العزيز أبا الفوارس سيف الإسلام طُغْتِكِيْن بن أيّوب وجهّزه إلى اليمن في ألف فارس وخمس مئة راجلٍ؛ فيما قاله ابن عبد المجيد[(٦)].

---

(١) في (أ، د، هـ): «خلطبا» وفي (ج): (خاطبا)، وله ترجمة في ثغر عدن (١٠١)، وهو فيه: «خُطْلُبا».

(٢) في (ج، د، هـ): «ياقوت التعزي».

(٣) في (الأم): «خظلبا» وسيأتي غير مرة وإنّما هو بالطاء «خطلبا».

(٤) في (أ): «ست وتسعين».

(٥) في (أ، ب): «تسع وتسعين» و(ج، د، هـ): «سبع وسبعين».

(٦) بهجة الزمن: ١٣٢.

فدخل مكّة في شهر رمضان من سنة ستٍّ وسبعين[١] وخمس مئة، فلقيه الشّريف فُلَيْتة بن مطاعن الهاشميّ صاحب مكّة يومئذٍ فطاف الشّريف وسعى به، فخلع عليه سيف الإسلام خِلْعَةً لم يُرَ أحسن منها، ثمّ توجّه إلى اليمن ولم يحجّ في ذلك العام، فوصل زَبِيْد في أواخر سنة تسعٍ وسبعين[٢]، فخرج خطّاب ابن منقذ في لقائه إلى مدينة الكَدْراء فترجّل له سيف الإسلام وفرح به؛ إذ كان أوّل منِ التقاه من نُوابِ أخيه فخلع سيف الإسلام عليه وعلى عسكره؛ وقال له: أنت أخي بعد أخي، ثمّ دَخَلا جميعاً زَبِيْد.

قال الجَنَديّ[٣]: وكان دخول سيف الإسلام زَبِيْد يوم السّبت الثّالث[٤] عشر من شهر شوّال من سنة تسعٍ وسبعين[٥] وخمس مئة فأقاما بها أيّاماً.

ثمّ إنّ خطاب بن منقذ استأذن سيف الإسلام في المسير إلى مِصر فأذن له في ذلك، فأخرج جميع أمواله وثقلَهُ وما كان في حَوْزَتِهِ إلى الجَنابِذ، وهي الثّلاث القُبَب اللَّواتي هُنَّ قُبالة باب سَهام على جانب الغرب[٦].

يُقال[٧]: إنّ في إحداهنّ رأس عليّ بن محمّد الصُّليحيّ ورأس أخيه، وفي الأخرى قبر ابن زياد وعمّته اللَّذين بنى عليهما نفيسٌ جداراً، فاستخرجهما نَجاحٌ وقبرهما في هذا الموضع، وفي الثّالثة قبر جَيّاش بن نَجاح؛ حكى ذلك الجَنَديّ في (تاريخه) عمّن[٨] رواهُ له من علماء عصره[٩].

---

(١) في (أ): «تسع وسبعين» وفي (ج): «سبع وسبعين».

(٢) في (ج، د، هـ): «سبع وسبعين».

(٣) السّلوك: ٥٢٧/٢.

(٤) في (هـ): «الثامن».

(٥) في (الأمّ، ب): «سبع وسبعين» وهو خطأ، وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ)، وانظر السّلوك: ٥٢٧/٢.

(٦) في (أ): «العرق» وفي (ب): «الغربي» وفي (ج): «العرب».

(٧) السّلوك: ٥٢٧/٢.

(٨) في (ج): «حكي ذلك عن الجندي ممن».

(٩) السّلوك: ٥٢٧/٢.

فلمّا خرج خطاب بأمواله إلى الجَنابِذ - كما ذكرنا - ولم يبقَ له في المدينة شيءٌ دخل لتوديع سيف الإسلام فأمر بالقبض عليه وعلى أمواله، ثمّ سجنه، فيُقال: إنّه أخذ منه سبعين غِلاف زِرْدِيّة مملوءة ذهباً.

وأمّا ياقوت التَّعِزِّيّ: فإنّه بادر ونزل من حصن تَعِزّ إلى مدينة زَبِيْد وسلَّم مفاتيح الحصن إلى سيف الإسلام فأعجبه وأكرمه، ثمّ أعاده على ولايته، وبعث معه بخطّاب ابن منقذ وألزمه أن يسجنه في حصن تَعِزّ، ثمّ بعد أيّام أمره بقتله فقتله سرًّا.

وهذا ياقوت التَّعِزِّيّ هو جدّ الأمراء المعروفين ببني التَّعِزِّيّ في اليمن، وله ذُرِّيّة في اليمن يدّعون أنّ أُمَّهم من بنات عليّ بن رسول.

ثمّ طلع سيف الإسلام تَعِزّ كما ذكرنا، ثمّ تقدّم إلى الجَنَد فعَيَّد فيها عيد النَّحْر من سنة تسعٍ[1] وسبعين وخمس مئة، فهو أوّل عيد عيَّده، وقد صار مالكاً لليمن ثمّ قبض حصن التَّعْكَر على مملوكه إيليا منَ[2] الأمير عمر بن عليّ أخي عثمان الزَّنْجَبِيليّ.

وأمّا عثمان الزَّنْجَبِيليّ صاحب عَدَن: فإنّه لمـا سمع بما جرى لخطّاب ابن منقذ حمل نفسه وأمواله في البحر وخرج من[١٧١أ]عَدَن يوم الأحد السّادس من ذي القِعْدة منَ السَّنة المذكورة، وأمر سيف الإسلام من قطع عليه البحر فأخذ عليه شيئاً من قماشه ونجا بنفسه.

قال ابن عبد المجيد[3]: وتوجّه إلى العراق، فلمّا علم سيف الإسلام أنّ عَدَن ليس فيها أحدٌ بعث ابن عين الزّمان؛ ومَلَكَ سيف الإسلام اليمن جميعَهُ طوعاً وكَرْهاً، واستولى على الحصون الّتي قد ملكها أخوه شمس الدّولة تُوران شاه بن أيّوب وزاد عليها حصون السَّواء، وذلك أنّه حصره مدّةً طويلةً فأصاب أهله مرضٌ عظيم فسلّموا الحصن له من غير قِلّة ولا ذِلّة، بل ممّا أصابهم منَ المرض الشّديد.

---

(١) في (ج): «سبع».

(٢) في (الأم، ب): «ابن»، وفي السّلوك (٢/٥٢٧): «على يد مملوكه إيليا من الأمير ...».

(٣) بهجة الزّمن: ١٣٣.

ثمّ حصر حصن خَدِد مدّةً ثمّ أخذه، ثمّ تسلّم حصن شَواحِط من أهله بعد أن لقيه شيخُهم في مكّة حرسها الله تعالى وبايعَهُ عند الكعبة، ثمّ تسلَّم رَيْمَةَ الحَدْباء، ثمّ نهض لبيت عِزّ وحصن نُعْم(١) فأخذهما وسَلِمَ مَن فيهما منَ القتل، وكانا للسّلاطين بني أبي النّور بن أبي الفتح، ثمّ أخذ حصن بَحْرانَة، ثمّ أخذ حصن سَماءَة وكان لخولان، ثمّ أخذ حصن عُتُمَة أيضاً(٢) وكان لخولان، ثمّ تسلّم حصن قُزَعَة، ثمّ حصن شار، ثمّ حطّ على حصن حَبّ وفيه يومئذٍ السّلطان الأجلّ زياد بن حاتم بن عليّ بن سبأ بن أبي السُّعود الزُّرَيعيّ فحصره نحواً من سنة فاستنجد السّلطان زياد بن حاتم بالسّلطان الوحيد عليّ بن حاتم وبالسّلطان عبد الله بن يحيى الجَنْبيّ(٣) والشّيخ عِمران بن زيد بن عمرو الجَنْبيّ وسائر الحِجاز.

فوجّه(٤) السّلطان عليّ بن حاتم [أخاه بِشْر بن حاتم وولديه عمراً والفضل ابني عليّ بن حاتم](٥) في عساكر جَمّة آخر ذي القِعْدة من سنة إحدى وثمانين وخمس مئة.

فلمّا وصلوا ذَمار خرج إليهم السّلطان عبد الله بن يحيى والشّيخ عِمران بن زيد الجَنْبيّ ولقيهم السّلطان الأسعد بن عليّ بن عبد الله بن محمّد(٦) الصُّليحيّ إلى الضّنمية وتقدّم بهَمْدان فحطّ بهم على حصن في جبل الشَّعِر يُقال له: نُعْم(٧) قد كان أخذه سيف الإسلام، وهو قريب من قَيْظان(٨)، وأمر قبائل مَذْحِج عن يدٍ إلى السَّحُول.

---

(١) في (الأمّ، ب): «نقم» وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ)، وسيأتي على الصّواب.

(٢) قوله: «ثم أخذ حصن عتمة أيضاً» ليس في (هـ).

(٣) في (الأمّ): «الجبني» بتقديم الباء على النّون، كذا؟ وسيرد غير مرّة، على أنّه شيخ من قبيلة جَنْب ثمّ من مَذْحِج.

(٤) في (الأمّ، ب): «فتوجه».

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

(٦) قوله: «يحيى والشيخ ... بن مهدي» سقط، وفي جميع النّسخ خلا (أ): « ... عبد الله بن مهديّ الصُّليحيّ»، وهو خطأ، وقد سلف على الصّواب في الدّولة الصُّليحيّة.

(٧) في (أ، ج، د، هـ): «نعم» وقوله: «يقال له نقم» ليس في (ب).

(٨) في (الأمّ): «قيضان» وصوابه بالظّاء أخت الطّاء، وقد سلف ذكره.

فلمّا وصلت جَنْب قريباً منَ السّحول أفسدها الشّيخ عليّ بن محمّد بن إبراهيم، فلمّا علم بشر بن حاتم بذلك وقد أشرف على حصن نُعْم فأشعر على هَمْدان بالرّحيل عن نُعْم [فارتحلوا عن نُعْم][(١)]، وساروا إلى حَقْل يَحْصِب فلقيهم الشّيخ عمران بن زيد بن عمرو الجَنْبيّ، وأخبرهم بما كان من جَنْب منَ الخُذْلان له والفساد عليه، فعادتِ القبائل من هَمْدان وجَنْب إلى مواضعها بعد نحوٍ من عشرين يوماً، فكان غرض السّلطان بشر بن حاتم جمع [٧١ب] العساكر إلى جهة واحدة فعاقه عن ذلك السّلطان أسعد بن علي ورغبه في أخذ حصن نُعْم على الفور، وكان سبب ذلك الخُذْلان منَ السّلطان عبد الله بن يحيى بن عليّ بسبب أحقادٍ متقدِّمة بينه وبين الشّيخ عِمران بن زيد.

وعزم السّلطان العزيز - في هذه السّنة - على التقدُّم إلى مكّة، حرسها الله تعالى، فأمر الأمير هُمام الدّين أبوريا أن يرتّب المحاطّ على حصن حَبّ، ثمّ تقدّم إلى مكّة، حرسها الله تعالى.

فلمّا رجع من مكّة حطّ بنفسه على حصن حَبّ حتّى افتتحه صبح يوم الأربعاء في جُمادَى الأُخرى من سنة اثنتين وثمانين وخمس مئة ، وقَتَلَ جميع من كان فيه، وما سلم منهم إلّا مَن لم يُعرف، وتزلزلت جميع اليمن لذلك اليوم.

ثمّ نزل السّلطان عبد الله بن يحيى وأولاده إلى السّلطان سيف الإسلام فخلع عليهم وجمّل أحوالهم، ثمّ تتابعت إليه جَنْب فلم يبقَ منهم أحدٌ عِزًّا وذِلًّا إلّا ما وصله واستوثق منه، ثمّ نزل السّلطان منصور بن أسعد بن عليّ بن عبد الله الصُّليحيّ بأمر والده أسعد، وهو صاحب حصن قَيْظان، ففعل كما فعلت جَنْب ولم يبقَ مَن هو خارج عن طاعة السّلطان الملك العزيز إلّا الشّيخ عِمران بن زيد بن عمرو وإخوته.

ثمّ طلع الملك العزيز فاستولى على بلاد جَنْب وسار الشّيخ عِمران بن زيد إلى مشرق

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين ليس في (الأمّ، ب).

بلاد جَنْب وأقام الملك العزيز في محطّته تحت حصن هِرّان، وقد ملكه واستولى عليه حتّى أطاعته البلاد ودانت له، ووصله مَن لم يكن وَصَلَهُ من مشايخ جَنْب، فكساهم ووفدهم وحلفوا له.

فلمّا دانت له البلاد وملك ذَمار أمر السّلطان عليّ بن حاتم بخَراب قصر غُمْدان في شعبان من سنة ثلاث وثمانين، وخَرَّب سُور صنعاء، ووقف هو وأخوه في حصن بَراش، وحرَّق جميع ما كان لهما من غَلَّة وعَلَفٍ، وأمر الرَّعايا بالخروج إلى حيث يمتنعون من وَطْأة الجيش، فخرج ابنُ عمِّه القاضي الأجلّ حاتم بن أسعد إلى سيف الإسلام، وهو في مشرق ذَمار فأصلحه بثمانين ألف دينار حاتميّة ومئة حصان في سنةٍ واحدة.

وعاد الملك العزيز إلى اليمن وولى في ذَمار الأمير مُظَفَّر الدّين قايماز مملوك أخيه شمس الدّولة، فجمع الشّيخ عِمران بن زيد[1] الجَنْبيّ جموعاً كثيرةً من جَنْب وبلاد عَنْس وغيرها، وقصد بهم ذَمار فأخذها ونهبها، وتحصَّنتِ الرّتبة منه، وأرسلوا رسولاً إلى الملك العزيز وكان في ذي جِبْلَة، فركب على الفور وسار باقي يومه وليلته وأصبح عندهم. فلمّا رأته جَنْب انهزمت فقتل منهم مقتلةً عظيمةً كبيرة، وأخذ خيلاً كثيرة، وأفلت [١٧٢أ] الشّيخ عِمران بن زيد في باقي جَنْب، ولولا ما فعله منَ الصَّبر والكرّ والفرّ ما أفلت من جَنْب أحد.

ثمّ غزا سيف الإسلام موضعاً يُسمَّى بُشاراً[2]، فقتل منهم نحواً من ستِّ مئة رجل ولم يسلم منهم إلّا نفرٌ يسير، وكانوا قد حالفوا جَنْباً وآووهم وعاد بعد ذلك إلى اليمن، ثمّ صالحه السّلطان عليّ بن حاتم عن سنةٍ أخرى بما تقدّم منَ القَطِيعة المذكورة.

ثمّ جرّد لحصار ذَرْوان جيشاً مقدّمهم الأمير مُظَفَّر الدّين قايماز، وكان فيه السّلاطين

---

(١) في (الأمّ): «زيد بن عمران»، وهو خطأ وما أثبت عن (أ، ب)، وسيأتي على الصّواب غير مرّة.

(٢) في (الأمّ): «بسارا» بإهمال السّين، وإنّما هو بإعجامها؛ انظر صفة جزيرة العرب: ٩٢.

الأجلّاء عبد الله بن يحيى وأولاده، فأقام الحصار عليهم خمسة أشهر إلى أن قلّ عليهم الماء وأخلفتِ السّماء، فسلّموهُ.

فلمّا خرجوا منه وصاروا في المحطّة هَطَلَتِ السّماء وامتلأتِ المَناهل، فكان هذا من سعادة الملك العزيز.

ثمّ أمر طائفةً منَ الأمراء والعرب بحصار حصن قَيْظان، وكان فيه السّلاطين الأجلّاء أسعد بن عليّ بن عبد الله الصُّليحيّ وأولاده، فحاصروهم نحواً من تسعة أشهر فسلّموهُ بالأمان، وشرطوا أن يكون خروجهم إلى صنعاء إلى السّلطان عليّ بن حاتم، ورَهَنُوا على ذلك رهائن منهم، ورهائن منَ الملك العزيز على يدِ السّلطان بشر بن حاتم.

ثمّ تقدّم الملك العزيز بنفسه إلى الدُّمْلُوة وحصرها وذلك في سنة أربع وثمانين، وكان فيها يومئذٍ جوهر المُعَظَّميّ مولى الدُّعاة بني زُرَيْع، وولد الدّاعي عِمران بن محمّد بن سَبَأ؛ فلمّا طال الحصار، ورأى جوهر أنّ سيف الإسلام غيرُ مُقصِّرٍ، باع عليه الدُّمْلُوة بعشرة آلاف دينارٍ ملكيّة، واشترط على سيف الإسلام ألّا يطلع إليه نائبٌ، ولا ينزل هو من الحصن حتّى يكون عيالُ سيِّدِهِ وأموالُهم قد جاوزوا البحر، وأنّهم يركبون البحر من أيّ موضعٍ شاؤوا وأرادوا.

فأجابهم سيف الإسلام إلى جميع ما طلب، فلمّا توثّق جوهرٌ من سيف الإسلام وقَبَض المال جهَّز أولاد سَيِّدِهِ منَ البنين والبنات إلى ساحل المُخا، وتجهَّز هو معهم في زِيِّ امرأة، وأخذ نفيسَ أموالَهُ، ثمّ نزل إلى السّاحل فركب البحر في سفنٍ قد أعدّها وسافر إلى أرض الحَبَشة، وترك كاتبَهُ في الحصن[1] وترك عنده أوراقاً كثيرةً تُجاوز الحدّ، قد كتب علامته عليها كلّها، وكان النّائب يكتب ما يحتاج على تلك العلامات إلى سيف الإسلام وإلى غيره، ولا يظنّون إلّا أنّ جوهراً هو الّذي يكتب.

---

(١) قوله: «وترك كاتبه في الحصن» ليس في (ج).

فلمّا فرغ ما في الحصن من قُماش وأثاثٍ وغيره، وقد صار الطَّواشيّ جوهر ومن معه من وراء البحر كتب إلى سيف الإسلام كتاباً، وفي طَيِّهِ كتاب إلى النّائب في الدُّمْلُوَة بتسليم الحصن إلى السّلطان الملك العزيز سيف الإسلام [٧٢ب] منَ الحَبَشة وهو بخطّ جوهر، فقال للرّسول: أليس جوهر في الدُّمْلُوَة؟ فقال: إنّه أوّل من نزل منَ الدُّمْلُوَة، فتعجَّبَ سيف الإسلام من ذلك.

ولمّا وصل كتاب الطَّواشيّ جوهر المُعَظَّميّ إلى نائبِهِ بالدُّمْلُوَة، وهو يأمره بتسليمها إلى الملك العزيز سيف الإسلام، امتنع النّائب عليها لنفسه، فعَظُمَ ذلك على سيف الإسلام وعاود المَحطّة عليها والحصار، ووصله السّلطان الأجلّ بِشْر بن حاتم.

فلمّا علم بوصوله إليه أمر سائر نُوّابه بضيافته وكرامته، فلقيه الأمير مُظَفَّر الدّين قايماز إلى جَهْران - وكان قايماز صاحب ذَمار يومئذٍ - فأقام في ضيافته ثلاثة أيّام، ثمّ سار من عنده فلقيه والي الحقْل، وهو عزّ الدّين ياقوت التَّعِزِّيّ، وكثيرٌ من حاشية سيف الإسلام، فأقام عنده يوماً، ثمّ تقدّم إلى جِبْلَة فلقيه واليها إلى قرية إبّ فأقام بذي جِبْلَة يومين، ثمّ تقدّم من ذي جِبْلَة وأمسى عند الشّيخ الموفَّق محمّد بن المعلم(١) بذي أَشْرِق ولقيه رتبة الجُنْد إلى هنالك.

ثمّ سار إلى تَعِزّ فدخلها في موكب عظيم، ولقيه الملك العزيز إلى جانب من الحصن، ورحّب به وأكرمه وأعطاه خِلْعةَ الخليفة وسيفَهُ وسَرْجاً من ذهبٍ وطَوقاً من ذهب غيرَ ما أعطاه منَ الخِلَع السَّنِيّة، وسمح له في القطيعة عشرين ألف دينار وعشرين حصاناً وجدّد الصُّلح تلك السّنة المقبلة، وخَلَعَ على كلّ من كان معه من هَمْدان ومن سائر العرب، ورَفَدَهم(٢) دنانيرَ صالحيّة.

---

(١) في ثغر عدن (٢٥٨): «محمد بن أبي القاسم بن عبد الله المعلم».

(٢) في جميع النّسخ: «ووفدهم» ولا معنى له. ورَفَدَهم: أعطاهم ووَصَلَهم؛ والرِّفْد: الصِّلَة.

ثمّ إنّ نائب الدُّمْلُؤة بذل تسليمها بعشرة آلاف دينار ملكيّة، وأن يكون ذلك على يدِ السّلطان بشر بن حاتم، فبقي الملك العزيز مُتَحَيِّراً في أمره إن سلَّم عشرة آلاف دينار ملكيّة مرّة ثانية وإلّا فاتته المصلحة، فلم يزل إلى أن سلَّم المالَ على يدِ السّلطان بشر بن حاتم[1] فأمر مَنْ أعلم السّلطان بشراً بذلك، وأنّه يُعوِّل عليه في تمام الأمر ولِقاء النّائب إلى الجُوَّة والاجتهاد معه في ذلك، فأرسل إليه بعشرة آلاف دينار أخرى مع جماعةٍ من خَواصّه، وقالوا له: يقول لك مولانا الملك العزيز: قد صار يَعُدّ تسليم الدُّمْلُؤة منك وتَعْويقها منك، وما يَعْذِرك في السّعي في تمام ذلك الأمر.

فترك الدّراهم[2] في الجَنَد وتقدَّم إلى الدُّمْلُؤة في جماعة من خيله ورَجْله، ومعه جماعةٌ من حاشية العزيز فلمّا التقى النّائب حادَثَهُ في ذلك، فاشترط تسليم عشرة آلاف دينار ملكيّة، وحَمْلَهُ وحَمْل أولاده ومن كان معه إلى صنعاء سالماً من كلّ رَيْب، فصدر السّلطان بشر بن حاتم إلى أخيه عليّ بن حاتم، وتجهَّز النّائب وسار إلى صنعاء فيمن يَثِق به من أصحاب بشر بن حاتم، ووقف بشر بن حاتم [٧٣] في الجَنَد حتّى أتاه كتاب أخيه بوصول الدّراهم ووصول النّائب.

ثمّ تقدّم الملك العزيز بنفسه إلى الدُّمْلُؤة فطلعها ونزل منها غِلْمان السّلطان بشر ابن حاتم.

ولمّا رجع السّلطان بشر بن حاتم من عند الملك العزيز لم يزلْ هو وأخوه عليّ في عِمارة حصونهما وشَحْنها، وخَراب ما عَلِما أنّه لا يمتنع، ورَتَّبا في ذَمَرْمَر وكوكبان والظُّفُر والعَروس وبَراش وفِدَة والفَصِّين[3] وحصن أَشْيَح، وكان لبني الصُّليحيّ، فلمّا انقضى

(١) قوله: «فبقي الملك ... بشر بن حاتم» سقط في (أ).
(٢) كذا: «ترك الدراهم»؟ وإنّما أرسلت له دنانير؛ ولعلّه يريد هٰهنا بالدراهم المالَ لا الدراهم بعينها.
(٣) في (أ، د، هـ): «الفص»، وفي (الأمّ، ب): «وقدة»، وإنّما هي «فدة»، كما ذكر البكري؛ إذ قال: «فِدَة: بكسر أوّله، وتحريك ثانيه، على زنة عِدَة: جبل بضَهْر» معجم ما استعجم: ٣/١٠١٥.

زمن الصُّلْح سار الملك العزيز يريد صنعاء.

فلمّا بلغ جَهْران لقيه القاضي حاتم بن أسعد، وطلب منه ذِمّةً، وتَقَلَّد على السّلطان عليّ بن حاتم بثلاثين ألفاً وثلاثين حصاناً، ورَهَن في ذلك رهائن عند الملك العزيز، ورجع إلى السّلطان عليّ بن حاتم لتسليم المال، فلم يسلّمه ولا دخل في شيءٍ من ذلك، فعاد القاضي إلى الملك العزيز مُتَغَيِّرَ الخاطر، وقد كان تَقَلَّدَ[١] للملك العزيز إنّه إن لم يرجع بالمال شَنَقَ الملك العزيز الرّهائن. فلمّا وصل وأعلم الملك العزيز بما كان من الأمر قال له الملك العزيز: احلف لنا وكن منّا، ونحن نطلق عليك[٢] الرّهائن. فحلف له، فكساه السّلطان سيف الإسلام وأطلق رهائنه.

وسار الملك العزيز إلى حصن أَشْيَح، فقاتل أصحابه يوماً فامتنعوا منه، فلمّا كان اليوم الثّاني قاتلهم، وقد هرب منَ الدّيوان جماعةٌ فأخذ عليهم موضعاً يسمّى ظَفاراً، وفيه قُتِل السّلطان يحيى بن سليمان بن المُظَفَّر وجماعة، وخاطب أهل الحصن الأعلى فسلَّموا الحصن وسلَّمهم منَ القتل ورَفَّقَهم إلى جِبْلَة.

ثمّ تقدّم الملك العزيز إلى السِّرِّ[٣] فاستولى عليه وعلى جبل الشّرق وعاد إلى جَهْران، ثمّ نهض من هنالك إلى صنعاء فوصلها في العشرين من شوّال سنة خمس وثمانين فأقام بها أيّاماً، وسيّر إلى ذَمَرْمَر وإلى فِدَة وإلى الفَصّ، وتقدّم بعد ذلك إلى بلاد حِمْير، فحطّ في سواد عَزّان، وأرسل حاتم بن سعيد الشِّهابيّ إلى المشايخ أولاد مفرح يطلب خطاباً في عَزّان، وكان الشّيخ عامر بن مفرح غائباً فأمر من قاتلهم فأخذ عليهم الحصن قهراً، وقتل فيه من علمائه[٤] أربعون رجلاً، وأجاروا الشّيخين عامراً وعبد الله، وقَدِموا بهم إلى المحطّة

---

(١) تقلّد للملك: أقسم له وحلف، لفظة يمانية مستعملة.

(٢) في (الأم): «عليه».

(٣) في (أ): «آنس» وفي (ج، د، هـ): «براش».

(٤) في (أ، ج): «علمائهم» وفي (د): «غلمانه».

فخُوطِبوا بثلاثة آلاف دينار.

ثمّ تقدّم إلى العَروس فقاتل أصحابه، فضيّق عليهم فنزلت منه امرأةٌ واستأذنت على السّلطان سيف الإسلام، فأذن لها، فدخلت عليه، وتحت ثيابها مولود ولم يَرَهُ أحدٌ، فلمّا دخلت على السّلطان سيف الإسلام[1]، قالت له: إنّا سمّينا هذا المولود باسمك، ونحبّ أن تهب له هذا الحصن. فأمر أن يُكْتب لهم بالحصن ويُلْعَن من يُغيِّر عليهم فيه أو في شيءٍ منه أو من عمله.

وارتحل عنهم مسرعاً وسار إلى حصن الظُّفُر فامتنعوا [٧٣ب] منه، ونزلت خيلٌ من كوكبان مُغيرة، فلقيها خيلٌ من أصحاب العزيز[2] فقَتَلَ من [أهل][3] الخيل المُغيرة من كوكبان ثلاثة نَفَرٍ من خدم السّلطان عليّ بن حاتم، ولزم سنان بن عليّ الحربيّ[4] وقدموا به إلى الملك العزيز، فأمر بقَتْلِه، فقُتِل.

وعاد الملك العزيز إلى صنعاء فأقام فيها ثلاثة أيّام، ثمّ نهض إلى الفَصّ فطلع جبل الظَّلِمَة، وحَطّ فيه وأمر باقي عسكره أن يحطّوا على الحصن.

فلمّا كان في اليوم الثّاني نصب المَنْجَنِيق وقاتلهم فامتنعوا منه، وقُتِلَ من أصحابه جماعة.

وكان اليوم الثّالث أخذ الفَصّ الصّغير قهراً، ثمّ تسلّم الفَصّ الكبير، وكان فيه السّلطانان عمرو وعلوان ابنا بشر بن حاتم فأجارهم السّلطان الملك العزيز وأجار من كان معهم في الحصن منَ الخَدَم والحُرُم، وقَبَضَ الحصن واستولى عليه، وأخرج حريم السّلطان بشر بن حاتم إلى ذَمَرْمَر، ولزم ولديه عمراً وعلوان، فكتب السّلطان عمرو بن

---

(١) قوله: «فأذن لها ... سيف الإسلام» سقط في (ج، د، هـ).

(٢) في (ج، د، هـ): «فلقيها خيل من الغز».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

(٤) في (ج، د، هـ): «الحارثي».

بشر إلى والده بشر بن حاتم يقول: (منَ الطّويل)

أَمَولايَ ما أَسْري بِبِدْعٍ فَلَمْ أَكُنْ كذا النّاسُ: مأسورٌ وآخَرُ آسِرُ[1]
وإِنْ ظَفِرَ المَولَى بِنا وبِحِصْنِنا فَلِلَّهِ مَظْفُورٌ وللهِ ظافِرُ
مَلِيكٌ عزيزٌ لا يُغَيِّرُ بابَهُ لِسانٌ، مُذِلٌّ لِلجَبابِرِ قاهِرُ
ولا غَرْوَ كم مَنِيعٍ قَهَرْنا وسَيِّدٍ أَسَرْنا وأَعْطَتْنا المَقادَ العَشائِرُ
على ذا تَمُرُّ الدَّهْرِ عُسْرٌ مُبَدَّلٌ بِيُسْرٍ قَضَتْهُ حِكْمَةٌ ومَقادِرُ
فلا تَحْسَبَنْ أَنِّي جَزُوعٌ لِما جَرَى وحَقِّكَ إِنِّي صادِقُ العَزْمِ صابِرُ
وما أنا أَخْشَى غَيْرَ قَوْلِ أَراذِلٍ: أَوالِدُهُمْ عَنْ فَكِّهِمْ مُتَقاصِرُ؟
وما شَعَرُوا أَنَّ العَظائِمَ كُلَّها الـ كِبارَ - وإِنْ هالَتْ لَدَيْكَ - أَصاغِرُ
بِسَعْدِ عَلِيٍّ مَلْكِ هَمْدانَ نَرْتَجِي وسَعْدِكَ أَنْ تَنْجابَ عَنّا الدَّياجِرُ[2]

ثم إن السّلطان الملك العزيز حارب أهل الظُّفُر، وهو مقيم في سواد عَزّان، فأخذه قهراً، وكان فيه من أولاد السّلطان عليِّ بنِ حاتمٍ سالمُ بنُ عليّ فرفعه إلى كوكبان، ثمّ حطّ على كوكبان، وكان في ذلك الوقت ما بين كوكبان والظُّفُر بساتين مشتبكة من أنواع الجَوز والمِشْمِش والإِجّاص والكُمَّثْرى والتُّفّاح وسائر أنواع الفاكهة. فأمر الملك العزيز بقَطْع تلك الأشجار، وكَبَسوا بها قَطْعَ كوكبان، ونصب عليها أربع مجانيق يرمون في اللّيل باثنين، وفي النّهار باثنين، وكان سور الحصن مبنيًّا منَ الطِّين، فأثرت فيه المَجانيق وأخربته، وكان فيه مئةُ فارس وألف وخمس مئة راجل، فقُتِل من رجّالة الحصن خمسُ مئة في مدّة الحرب، وقُتِل من عسكر سيف الإسلام أكثرُ [١٧٤] من ألف.

---

(١) قوله: «أكن» يتجهُ بما ضُبط أعلاه، ولعله أيضاً مأخوذٌ من الكِنّ، وهو السّتر.

(٢) في جميع النّسخ: «الذخاير» وهي غير متّجهة، وما أثبت عن السمط الغالي الثمن: ٢٨.

وكان في الحصن السّلطان عمرو بن عليّ بن حاتم فوقع الخطاب على تسليم الحصن، وعلى بقاء السّلطان عمرو بن عليّ في العَروس، فكتب له العزيز خطّهُ بذلك وأعطاه بلاداً معيّنة للعَروس، وأطلق عليه أمواله أينما كانت.

فلمّا تسلّم الملك العزيز كوكبان عمل له السّلطان عمرو بن عليّ ضيفةً عظيمةً، فلمّا دخل الحصن وقد مدّ السّماط، قال الملك العزيز: ما رأينا مثل هؤلاء القوم نأخذ حصونهم وبلادهم ويلقوننا(١) بالإنصاف. فانتقل السّلطان عمرو بن عليّ بأولاده وما كان معه إلى العَروس.

ثمّ نهض الملك العزيز إلى فِدَة ورماها بالمَنْجَنِيق فأضرّ بمن فيه وتَسَلَّمها، ثمّ حطّ على ذَمَرْمَر، وفيه السّلطان عليّ بن حاتم فضيّق عليه وحصره من كلّ مكان، وكانتِ المَحاطُّ عليه من كلّ جانب:

فمحطّةٌ في الظَّلِمَة ومحطّة في الحصن، ومحطّة في أَكَمَة ابن شَيْبَة(٢)، ومحطّة في أَكَمَة الهامة، ومحطّة في الحصن الأبيض ومحطّة في قُهال ومحطّة في أَكَمَة ابن الدّاية، وثلاث محاطّ [في قاع القياضي ومحطّة](٣) في الحصن الأحمر.

فلمّا تقاربتِ المَحاطّ والْتَوَت به من جميع جِهاته لم يخرج منه أحدٌ ولا دخله أحد، ثمّ أقامت هذه المَحاطّ أربع سنين، فتعب الجميع من داخل ومن خارج.

فأمّا السّلطان الملك العزيز فإنّه تعب من كَثْرة الإنفاق. وأمّا أهل الحصن فتعبوا من الحصار وما قلّ عليهم إلّا الحَطَب، فأمر السّلطان عليّ بن حاتم أن يُوقَد في داره خشب في كلّ يومٍ مرتين لجميع من في الحصن.

فلمّا طالتِ المُدّة أمر سيف الإسلام على مملوكه بُورِيَا أن يُصالِحَ عليّ بن حاتم على أنّا

(١) في (الأم): «ويلقونا».
(٢) في (أ، ج، د): «ابن سنينة».
(٣) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأم، ب) ورُمّ عن بقيّة النّسخ.

نعطيه في كلّ شهرٍ خمس مئة دينار وخمس مئة كِيْلَجَة[١]، ولا تكون له بلد، فأجاب إلى ذلك وصالحه وحلف له على التّمام بذلك، فَوَفَى له بالمبلغ المذكور.

وكان من شيمته الوفاء بما عقد به، وخلص له أمواله في كلّ ظهر وفي كل وجهة، فلمّا تمّ ذلك شحن عليّ بن حاتم ذَمَرْمَر شحنةً أعظم منَ الأولى.

وتوفِّي الملك العزيز في شوّال من سنة ثلاثٍ وتسعين وخمس مئة، وكان ملكاً شجاعاً كريماً جواداً، حسن السِّيرة، جيّد السِّياسة، مقصوداً منَ البلاد الشّاسعة لإحسانه وبِرِّه.

وكان إذا تعرَّض له متعرِّضٌ، وهو في موكبه، أمسك رأس حصانه حتّى يسمع شكواه، ويكشف ظُلامته، ودان له اليمن كلُّهُ، ودان له بنو حاتم بصنعاء، ودخل الجوف وصَعْدَة وزَبِيْد وسَوَّر زَبِيْد سوراً جديداً، وسَوَّر صنعاء بعد أن خَرِبَ سورها، وعمر عدّة حصون في اليمن، ومعظم عمرة حصن تَعِزّ عِمارته.

ودوّخ العرب وأذلّ جبابرتهم، وسلطن مملوكه أبوريا في رجب من سنة تسع وثمانين وخمس مئة - قاله الشّريف إدريس - وقَتَلَ عدّةً ممّن ناوَأَهُ، وكان يُنشد مُتَمَثِّلاً [٧٤ب]:

(منَ الطّويل)

بِسَفْكِ الدِّما -يا جارتي- تُحْقَنُ الدِّما ... وبِالقَتْلِ تَنْجُو كُلُّ نَفْسٍ مِنَ القَتْلِ

وقدم عليه شرف الدّين ابن عُنَين الشّاعر المشهور ومدحه بغُرَرٍ منَ القصائد، فأجازه بِبِدَرٍ منَ الفرائد[٢].

ولمّا رجع ابن عُنين إلى الشّام وقد توفِّي السّلطان صلاح الدّين يوسف بن أيّوب، وتولّى الملك بعده ولدُهُ الملك العزيز عثمان بن الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن أيّوب= طُوْلِب ابن عُنَين بزكاة متجرِهِ كسائر التّجار؛ وكان هذا أسلوب أهل مصر والشّام،

---

(١) الكِيْلَجَة: مكيال؛ التّاج: (ك ل ج)، وبعضهم يفتح الكاف أوّله؛ انظر نور المعارف: ١/ ٣٤٣.

(٢) في (الأمّ): «الفوائد» والمشهور فيه ما أُثبت. والبِدَر: جمع البَدْرَة، وهي كيس فيه ألف -أو عشرة آلاف- درهم.

وإنما أبطل ذلك الملك المنصور قلاوون الصّالحيّ. فلمّا طُوْلِب ابن عُنَين بالزّكاة كما ذكرنا ساءه ذلك فقال: (منَ البسيط)

ما كُلُّ مَنْ يَتَسَمَّى بِالعَزِيْزِ لَهَا أَهْلٌ ولا كُلُّ رَوْضٍ سُحْبُهُ غَدِقَهْ[1]
بَيْنَ العَزِيْزَيْنِ بَوْنٌ في فِعالِهِما هذاكَ يُعْطي وهذا يَأْخُذُ الصَّدَقَهْ

وكان سيف الإسلام فقيهاً، له مَقْروءات ومَسْموعات، بحيث أخذ عنِ القاضي أحمد بن عليّ العَرَشانيّ (موطّأ مالك)، وهو الّذي بنى المؤخّر في جامع زَبِيْد، وبنى الجناحين والمَنارة، واختطَّ في اليمن مدينة سمّاها المنصورة، وهي قِبْليّ مدينة الجَنَد على أميال منها، وذلك في القِعْدة من سنة اثنتين وتسعين[2] وخمس مئة، وابتنى في المنصورة قصراً كبيراً وحمّاماً، وابتنى للعسكر فيها بيوتاً، وكان واديها المعروف بخِنْوَة مَسْكناً للوحوش فَأَحْياهُ وأَحْيا وادي الدّارة والقاعدة، وابتنى في قرية خِنْوَةَ دار مضيف[3] لم يزل مستمرًّا إلى أيّام الملك المنصور عمر بن [عليّ][4] بن رسول، فأخربه ابنُ أخيه فخر الدّين أبو بكر بن حسن بن عليّ بن رسول، ونَقَلَ أحجاره فابتنى بها داراً بعَكّار، وهو الّذي قرّر قواعد الملك باليمن ووضع الضّرائب السّلطانيّة، وقَنَّن القوانين، وهو أوّل من جارَ على أهل النّخل وظَلَمَ فيه حتّى هرب طائفةٌ من أهل النَّخل عن أملاكهم.

قال في كتاب (المستبصر)[5]: كان خَراج النَّخل في أيّام الحبشة وأيّام بني مهديّ سبعين ألف درهم، وليس يُسلِّمون نَقْداً وإنّما يُسلِّمون تَمْراً وحَوالات.

فلمّا ولي سيف الإسلام جار عليهم وأوصى بأهل الزّرع ألّا يُغَيّر عليهم، فهرب

---

(١) في (ج): «... برق سحبه ...».
(٢) في (هـ): «وسبعين».
(٣) في (د): «مضيف».
(٤) ما حُفّ بمعكوفتين يتطلبه السياق.
(٥) المستبصر: ٨٠، وفيه: «سبعين ألف دينار».

طائفةٌ من أهل النّخل وعجزوا عمّا قرّر عليهم، وكان كلّ من هرب أُخِذ نَخْلُهُ وسُمّي صافيةً؛ أي صفا لبيت المال.

ثمّ لمّا كان أمر البلاد إلى الأمير سيف الدّين سُنْقُر الأتابك أراد أن يشتري نَخْلاً من بعض الرّعيّة فامتنع صاحبُهُ منَ البيع؛ وكان ذلك لأَخَوَين قد غرساهُ وسقياهُ وقاما عليه حتّى كان من أحسن النّخل، فامتنعا من بَيْعه عليه، فأمر سُنْقُر على العمّال أن يَحِيْفوا على أهل النّخل في العدد، ويَعْنُفُوا عليهم في الخَراج، فضاعفوا الخَراج عليهم أو قريباً من ذلك، فهرب معظم أهل النّخل، وباعوه بأبْخس الأثمان، وبعضُهم وَهَبَهُ [١٧٥] ووهب عليه شيئاً منَ المال.

واشترى سيف الدّين الأتابك سُنْقُر النّخل الّذي كان يريد أن يشتريَهُ[١]: كلّ نخلةٍ بدرهم لمّا عجز أهلُهُ عن أداء الخَراج، قالوا: ولا نعرف لسُنْقُر مَظْلَمَةً إلّا لأهل المِمْلاح بعَدَن ولأهل النّخل بوادي زَبِيْد وغيره.

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ، قابله الله بإحسانه: وكان أوّل من عطف على أهل النّخل وتلافاهم بعد التّلَف الشّديد السّلطانُ الملك الأشرف الكبير عمرُ بن الملك المُظَفّر يوسف بن عُمَر بن عليّ بن رسول، فإنّه لمّا ولي السّلْطنة بعد أبيه الملك المُظَفّر أمر بعَدِيد النّخل، ونَدَب جماعةً من فقهاء الرّعيّة العُدُول، وأمرهم بأن يُزيلوا عنِ الرّعيّة ما تجب إزالتُهُ.

ثم لمّا ولي السّلطنة أخوه السّلطانُ الملك المؤيّد أمر بعَدِيد النّخل، وأمر الفقهاء العُدُول أن يتولّوا أمر النّخل؛ وقال: إذا بقيت لنا نخلةٌ واحدة رضينا بها. فانتعشتِ الرّعيّة، وغرسوا النّخل واستكثروا منه، ورَغِبَ إلى مُلْك النّخل مَنْ لم يَمْلِكْهُ أبداً.

ثمّ لمّا ولي السّلْطنة بعده ولدُهُ السّلطان الملك المجاهد أَحَبَّ النّخل ورَغِبَ إليه

(١) قوله: «أن يشتريه» ليس في (ج، د، هـ).

ورَغّب النّاس فيه، وابتنى في النّخل[1] قصوراً رائقة، وملك منه شيئاً كثيراً، وقرّر قواعد العَدْل فيه وفي غيره، وأمر بعَدِيد النّخل مِراراً كثيرةً كلّها على قانون العَدْل.

ثمّ أمر الملك الأفضل في أيّامه بعَدِيد النّخل، وكذلك ولده السّلطان الملك الأشرف أمر بعَدِيد النّخل في أيّامه ثلاث مرّات كلّها بالفقهاء العُدُول على قوانين العَدْل والرِّفْق بالرَّعيّة مرّة في سنة تسعٍ وسبعين، ومرّة في سنة سبع وثمانين، والثّالثة في سنة أربع وتسعين أو خمس وتسعين وسبع مئة، والله أعلم.

وممّا رُوي عن سيف الإسلام: أنّه لمّا استولى على مُلْك اليمن وأطاعه أهلُهُ جميعاً دعتْهُ نفسه إلى شراء أراضيهم حيث كانت، فنَدَبَ المُثَمِّنِين إلى سائر البلاد وأمرهم أن يُثَمِّنوا البلاد بأسرها، وأراد أن تكون أرضُ اليمن كلّها مِلْكاً للدّيوان، ويكون من أراد حَرْث شيءٍ منها وصل إلى أهل الدّيوان واستأجر منهم كما هو في ديار مِصْر.

فَشَقَّ ذلك على أهل اليمن غايةَ المَشَقّة، واجتمع جماعةٌ منَ الصّالحين، واتّفق رأيهم على أنّهم يدخلون مسجداً ولا يخرجون منه حتّى تنقضي الحاجة، فدخلوا المسجد فأقاموا فيه ثلاثاً صياماً بالنّهار قياماً باللّيل، فلمّا كان في اليوم الثّالث - أو الرّابع - خرج أحدُهم في السَّحَر، ونادى بصوتٍ عالٍ: (يا سلطانَ السّماء اكفِ المسلمين سلطان الأرض). فقال له أصحابُهُ: قليلاً قليلاً. فقال: قُضِيتِ الحاجة، وحقّ المعبود. قالوا: وكيف ذاك؟ قال: سمعت قارئاً يقرأ: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[يوسف:٤١].

ويُقال: إنّ أحد الجماعة قام سَحَرَ اليوم الثّالث، فذكر الله [٧٥ب] تعالى، وقال لأصحابه: أبشروا، فقد قُضيتِ الحاجة. فقال له أصحابه: وبِمَ علمتَ؟ قال: رأيتُ سيف الإسلام بارزاً وسِهامٌ تأتيه من نَواحٍ شتّى، فأصابه شيءٌ منها فوقع ميتاً، فلا تشكّوا في موته.

فلمّا كان وقت الظّهر من ذلك اليوم - وهو يوم السّادس والعشرين من شوّال سنة

---

(١) أراد قرية النّخل القريبة من زبيد..

ثلاث وتسعين وخمس مئة - [توفي](1)، وقد شرَعَ المثمِّنون في تثمين الأراضي.

فلمّا توفي سيفُ الإسلام في التّاريخ المذكور بَطَلَ ذلك الأمر كلُّهُ، ولم يعتمد أحدٌ منَ الملوك قبلَهُ ولا بعده ذلك.

ويُقال: إنّه لمـا أحسَّ بالموت جعل يتقلقل، ويقول: لا إله إلا الله، ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾ [الحاقة].

وكان مدّة ملكه في اليمن أربعَ عشرةَ سنةً وأربعةَ عشرَ يوماً.

ويُقال: إنّه مات مسموماً منَ الشّيخ عليّ بن محمّد(2) المُعَلَّم، وكانت له منه مكانةٌ، وكان قد ضَمِن جميع المِخْلاف بمالٍ معلومٍ فعجز عن أدائِهِ فصادَرَهُ سيف الإسلام مصادرةً منكرة، فهرب، فقَبَضَ سيفُ الإسلام غالبَ أملاكه ودُوره في المقرعة(3) وذي جِبْلَة وضِراس وذي أَشْرِق، وكانت أملاكُهُ جليلةً في أماكن كثيرة.

فلمّا توفي سيف الإسلام وولي ابنُهُ المُعِزّ أعاده على عِمالة المِخْلاف، فأقام يسيراً ثمّ أسره وهدم دُورَهُ في المقرعة وغيرها، فأقام في الاعتقال ستّة أشهر ثمّ شنقَهُ في عاشر المحرّم أوّل سنة ستٍّ وسبعين(4) وخمس مئة.

وكان ابنُ المُعَلِّم رجلاً كريماً شريفَ الهمّة.

قال الجَنَديّ(5): أخبرني الثّقةُ عنِ المُقري حميد المؤذّن بذي جِبْلَة -وكان المُقري حميد من أعيان البلد - قال: دخل علينا شهر ذي الحِجّة ونحن على فَراغٍ منَ النَّفقة، وضِقْتُ ذَرْعاً، وقلتُ: النّاس يصفون ابن المُعَلّم بالكرم والسّخاء، وأنا محتاجٌ في هذا العِيْد لِما لا

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

(٢) في (ج، د، هـ): «أحمد»، والصواب ما أثبت؛ انظر السّلوك: ٢/٥٣٢، العقد الفاخر الحسن: ٣/١٤٨٣.

(٣) في (ج، د): «المجزعة».

(٤) في (أ، ج، د): «وتسعين».

(٥) السّلوك: ٢/٥٣٢.

بُدّ لي منه. فكتبتُ إليه ورقةً أسألُهُ فيها عشرةَ أذْهابٍ[1] ذُرَةً وخمسة أذْهابٍ بُرًّا، وقلت: إذا حصل لي منه الطّعام فالأُضْحِيَةُ تحصلُ من وَجْهٍ آخر، إن شاء الله تعالى.

فلمّا جئتُهُ بالورقة وجدتُهُ قاعداً في دِهْلِيز داره فناولتُهُ الورقة. فلمّا قرأها عَبَسَ وأعرض عنّي، فخرجتُ وأنا ألوم نفسي على الوصول إليه، وأقول: ما أكذبَ النّاسَ. فأمر من لحقني فردّني.

فلمّا جئتُ إليه أدناني منه، وقال لي سِرًّا: سبحانَ الله العظيم، المُقْري حميد! المُقْري حميد: اسمٌ كبير وهمّة ضعيفةٌ، تصلُ إليَّ وتسألني شيئاً حقيراً؟ فاعتذرت منه. فناولني رقعةً بيضاء، وقال: اكتب بجميع ما تحتاجُهُ للعيد، فكتبت بمئَتَي[2] ذَهْب[3] ذُرَة ومئة ذَهْب بُرًّا، وبرأس بقر ورأسَي غَنَم وكسوةٍ لي ولأولادي. فحين نظر فيها أسفر وجهُهُ، وكتب إلى نائبه بجِبْلة بإطلاق جميع ما سألتُهُ مُعَجّلاً. فلمّا وصلتُ [١٧٦] إلى النّائب بالورقة بادر بتسليم جميع ما ذكرتُهُ.

ولما توفّي سيف الإسلام - كما ذكرنا - كانت وفاتُهُ بالمنصورة[4] وأخفوا موتَهُ إلى أن طلعوا به حصن تَعِزّ فقُبِرَ في الحصن المذكور، وأقام هنالك سنةً، ثمّ لم تَطِبْ نفسُ المُعِزّ بطلوع القرّاء كلَّ يوم إلى الحصن، فاشترى دار سُنْقُر الأتابك وجعلها مدرسةً ونَقَلَ والده إليها، ووَقَفَ على تُرْبَتِهِ وادي الضَّباب، وجعل عليه منَ القرّاء سبعة، وهم إلى الآنَ مستمرّون.

وقد يزيد بعض النّظّار فيهم - افتراءً منه - ويبيتُ على قبره كلّ ليلةٍ شمعة كبيرة

---

(١) أذهاب: واحدها ذَهْب: بفتح أوّله وسكون ثانيه: مكيال لأهل اليمن، وهو أنواع؛ انظر نور المعارف: ١/ ٣٤٢، واللّسان والقاموس بفتح الهاء أيضاً: (ذ هـ ب).

(٢) في (هـ): «بمئة».

(٣) الذَّهَب، محركةً: مكيال لأهل اليمن؛ القاموس: (ذ هـ ب).

(٤) في (ج): «بالمنصورية».

تُوقَد من أوّل اللّيل إلى آخره، وتُعْرف المدرسةُ الّتي هو مقبور[١] فيها الآن بالسَّيْفيَّة نسبةً إليه، رحمه الله تعالى.

ثمّ ولي اليمنَ بأسره ولدُهُ الملك المُعِزّ إسماعيل بن طُغْتِكِيْن بن أيّوب، وكان قد غضب من أبيه وأراد اللُّحوق بأعمامه بمصر، وقيل: بل طرده أبوه لمّا ظهر منه من الخروج عن مذهب أهل السّنّة إلى مذهب الشِّيعة، فَقَلاهُ[٢].

فخرج يريد العِراق فتوفّي والدُهُ وهو غائب، فأرسل أعيان الدّولة خلفَهُ البُخْت[٣] وأدركتْهُ الرّسل، وهو على ساحل حَرَض - وقيل: في المِخْلاف السُّلَيمانيّ - فرجع.

فلمّا وصل حَرَضَ طلبَ ناظرها القاضي الأسعد، وكان حين قدم إليه متوجِّهاً إلى الشّام لم يكرمه، فقتَلَهُ، واستصفى أمواله؛ ومن جملتها جارية نفيحة[٤]، فحَظِيت عنده.

وخرج من حَرَضَ وقد حَزَّ شعره، ولبس السّواد حُزْناً على أبيه، فدخل زَبِيْد يوم الخميس التّاسع عشر من ذي القِعْدة فأمسى فيها ليلةً واحدة، ثمّ خرج يريد تَعِزّ فدخلها يوم الأحد الثّاني والعشرين منَ الشّهر المذكور، فأقام فيها شهراً أو نحوه، ثمّ سار إلى جِبْلَة فدخلها يومَ الخميس الرّابع والعشرين من ذي الحِجّة.

وفي شهر ذي الحِجّة المذكور: كان قيام الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن[٥] عليّ بن حمزة، وقد تقدَّم فيما مضى منَ الكتاب.

وفي أثناء هذه المدّة المذكورة: اشترى السّلطان عليّ بن حاتم كوكبان وبُكُراً وثُلا والظُّفَّر منَ الولاة الّذين كانوا فيها، وطلع الإمام عبد الله بن حمزة إلى ثُلا ودعا إلى نفسه،

---

(١) في جميع النّسخ: «... الّتي هي مقبور»؟
(٢) قلاهُ: بَغِضَهُ.
(٣) البُخْت: من الإبل، معرَّب.
(٤) في (ج، د، هـ): «جاريته فتحة» وفي بقيّة النّسخ بما فيها (الأمّ) من دون إعجام، وما أثبت يقبله السّياق، ولعلّه مأخوذ من النَّفح، يقال: نَفَحَ الطِّيب نَفحاً ونَفَحاناً، إذا شمِمت رائحته.
(٥) قوله: «سليمان بن حمزة بن» سقط في (ج، د).

فأجابته العربُ من كلِّ ناحية ومكان، وانضمّ إليه جماعةٌ من عسكر سيف الإسلام.

وفي شهر المحرّم من سنة أربع وتسعين وخمس مئة: سار السّلطان الملك المُعِزّ إسماعيل بن طُغْتِكِيْن بن أيّوب إلى صنعاء وقبض على الأمير أبوريا وقتلَهُ في المحرّم المذكور، ثمّ عاد إلى اليمن وراسل السّلطان عليّ بن حاتم، واتّفق الأمرُ بينهما على أن يكون السّلطان عليّ بن حاتم في طاعته ويعطيه صنعاء، وحلف له الأيمان على ذلك، فنزل إليه السّلطان بشر بن حاتم وولدُهُ حاتم[1] وولده عمرو بعد وصول الذّمّة الأكيدة فأمسكهما وطلع إلى الحقل وقصد كوكبان، فصادف [٧٦ب] الإمام عبد الله بن حمزة ومعه الأمير [حكو][2] في مثنّي فارس، فلمّا تراءى الجمعانِ دخل الأمير حكو في صفّ الملك المُعِزّ وثبت الأمير حكو في ذلك اليوم ثباتاً حسناً إلى أن قُتِلَ، وانكسر الإمام، ودخل المُعِزّ صنعاء ثمّ خرج منها إلى ذي جِبْلَة فابتدأ بخَراب دار العِزّ يوم الإثنين منتصف شهر ربيعٍ الأوّل منَ السّنة المذكورة.

وكان الملك المُعِزّ شجاعاً مشهوراً مقداماً كريماً مِتْلافاً، لا يمسك شيئاً.

حكى الشّيخ مسلم الشَّيْزَري[3] في كتاب (عجائب الأخبار وغرائب الأشعار) الّذي صنّفه برسم الملك المُعِزّ: أنّ الملك المُعِزّ اصْطَبَح ثلاثة أسابيع فأعطى فيها ووهب وذهب في الجود كلّ مذهب، فحسب ما وهب فيها فكان ستّةَ عشرَ لكًّا؛ وهذا غاية الجود، وكان شاعراً فصيحاً بليغاً.

قال: رأيت شعره في مجلّد ضخم، وشعره جيّد بالنّسبة إلى شعر الملوك، ومن شعره:

(منَ الطّويل)

وإنِّي أنا الهادي الخَلِيفَةُ والّذي ... يَقُودُ رِقابَ الغُلْبِ بالضُّمَّرِ الجُرْدِ

---

(١) قوله: «وولده حاتم» ليس في (أ، ج، د، هـ).

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

(٣) في (د): «الشزري»، وفي بقيّة النّسخ بما فيها (الأمّ): «الشيرازي»، وسيرد على الصّواب؛ وانظر الأعلام: ٧/ ٢٢٣.

ولا بُدَّ مِنْ بَغْدادَ أَطْوي رُبُوعَها وأَنْشُرُها نَشْرَ السَّماسِرَةِ البُرْدِ
ويُخْطَبُ لي فيها على كُلِّ مِنْبَرٍ وأُظْهِرُ دِيْنَ اللهِ في الغَوْرِ والنَّجْدِ[١]
وأُظْهِرُ دِيْنَ اللهِ بَعْدَ خُمُولِهِ وأُعْلِنُ ما قَدْ كانَ أَسَّسَهُ جَدِّي[٢]

ثمّ أظهر مذهبَهُ القبيح، واستنصر به أهل مذهبه وتَقَوَّوا به قوّةً عظيمة، وطمعوا في سُقُوط مذهب أهل السّنة، ولو بذي جِبْلَة، وسألوه أن يأمر الخطباء فامتنع، فسألوه أن يأمر بإسقاط ذِكْر الشّيخين، فقال: لا طاقة لي بالسّواد الأعظم؟ فقالوا له: افعل لنا هذا، ولو في جِبْلَة وحدها. فأبى عليهم، وغلب على المُعِزّ الشُّحُّ على الجُنْد، والكرم على الشُّعراء والمُتَمَسْخرين، ثمّ تولَّعَ المُعِزّ بذَبْح بني آدم وأكْلِهم.

ويُحْكى: أنّ الأتابك [سُنْقُر][٣] دخل عليه يوماً فلم يزل قائماً بين يديه حتّى قال له المُعِزّ: ما أحسنَ أضلاعَكَ هذه شُواءً؛ أو كما قال . فخَدَّمَ له. ثمّ قال: حاشاك يا خُوَيد[٤]. ثمّ لم يشكّ في أنّه يريد ذَبْحه، فلمّا خرج من عنده هرب ولم يَعُد إليه بعدها، وهو الّذي بنى في زَبِيْد المدرسة المُعِزِّيّة، وهي[٥] المعروفة بمدرسة المِيْلَين.

وفي تَعِزّ المدرسة الّتي والدُهُ مقبورٌ فيها، وهي المدرسة المعروفة بالسّيفيّة في مَغْرَبَة تَعِزّ، وهو أوّل من بنى من الغُزّ مدرسةً في اليمن.

ثمّ إنّ المُعِزّ ادّعى الخلافة، وانتمى إلى بني أُمَيَّة في النّسب[٦]، وخُطِبَ له بأمير المؤمنين، وذلك في شهر جُمادَى الأخرى من سنة سبع وتسعين وخمس مئة، ووصلت إليه كتبُ أعمامه

(١) في (أ): «... والجند» وهو تحريف .
(٢) في (أ، ج، د، هـ): «وأنشر دين ...» .
(٣) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (هـ).
(٤) خُوَيد: لعلّه أراد تصغير خَوْد: وهي الفتاة الحسنة الخَلْق الشّابة.
(٥) قوله: «المعزية وهي» سقط في هـ)..
(٦) بعده في (ج، د): «وإنما نسب بني أيوب في قيس غيلان من مضر من (العقد الفريد)».

من مِصْر يُنكرون عليه غايةَ الإنكار.

وفي سنة سبعٍ وتسعين المذكورة: توفِّي السّلطان عليّ بن حاتم وقُبِر في حصن ذَمَرْمَر، وقد كان الإمام عبد الله بن حمزة عاضَدَ السّلطان عليّ بن حاتم وصافاه، وجرت بينهما عهودٌ وذِمَم، على أنّ الإمام إذا [١٧٧أ] تمكَّن منَ البلاد ومَلَكَ صنعاء تَرَكَ حصون السّلطان عليّ بن حاتم جميعَها له، وتكون صنعاء بينهما نصفين.

فلمّا مَلك الإمام صنعاء صدّه أصحابُهُ عنِ الوفاء للسّلطان عليّ بن حاتم وتكلّموا عليه، وصرفوا الإمام عمّا عقد له به.

فلمّا رأى ذلك السّلطان عليّ بن حاتم لزم حصنَهُ، ووقف فيه إلى أن توفِّي في التّاريخ المذكور، والله أعلم.

وظَلَمَ المُعِزّ الجُنْد والرَّعايا وأخاف مماليك أبيه، وهرب منهم طائفةٌ عظيمة، وكان معظمُ جنده الأكْراد، وكان رئيسهم رجلاً يُقال له: هِنْدُوَة، فاتّفقوا على قتْله، وكان يومئذٍ في زَبِيْد، وكان يلبس لباس الخلفاء: القُمْصان ذو الأكْمام الطِّوال الواسعة الّتي تسمّى الثُّمانيّة والعُشاريّة؛ يكون طول الكُمّ عشرة أذْرُع أو ثمانية أذرع[١]، بحيث يكون الملك قاعداً في رَوْشَنِه[٢] فيصلُ أحد الغِلْمان أو النّواب ممّن يريد تَقْبِيل يدِهِ، فيرسل المَلِك كُمَّهُ مِنَ الرَّوْشَن إلى الأرض، فيقبل الغِلْمان كُمَّه نيابةً عن يدِهِ، قال المُتنبِّي في مدائح سيف الدّولة[٣]: (منَ الطّويل)

تُقَبِّلُ أفْواهُ المُلُوكِ بِساطَهُ ... ويَكْبُرُ عَنها كُمُّهُ وبَراجِمُهْ[٤]

فخرج المُعِزّ يوماً منَ الأيّام من زَبِيْد يريد جهة القَوْز راكباً على بَغْلةٍ وعليه جُبَّة

(١) قوله: «أو ثمانية أذرع» ليس في (د).
(٢) الرَّوْشَنُ: الرّفّ، والرّوشن: الكُوّة؛ اللسان (ر ش ن).
(٣) في (ج): «مديح سيف الإسلام» وهو وهم، وهو سقط في (د)، والبيت في شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبي: ١٨/٢.
(٤) البراجم: المفاصل التي تحت الأنامل، وهي عبارة عن اليد.

وأكمامها مُسْبَلة على يدِهِ، وفي يدِهِ الأخرى مِقْرَعَة، وخلفه حِصان يُجْنَب، فهجم عليه الأكراد عند مسجد شاشَة[1]، وهو مسجد قِبْليّ مدينة زَبِيْد على طريق القاصد إلى الجهات الشّاميّة على نحو مِيْلين - أو ثلاثة أميال - منَ المدينة، فقاتلهم ساعةً منَ النّهار بالمِقْرَعة الّتي في يدِهِ، فدعا بالجَنِيب فحالوا بينه وبين الجَنِيب واحْتَوَشَتْهُ الخيل من كلّ مكان فاستلّ سيفه، فكان كلّما أراد أن يضرب بالسّيف انْسَدَلَ عليه الكُمّ، فلم يزل على البَغْلَة حتى قُتِلَ، وقُتِلَ معه مملوكُهُ شرف الدّين الحبشيّ، وكان قَتْلُهما يومَ الأحد الثّامن عشر من رجب من سنة ثمانٍ وتسعين وخمس مئة؛ قاله الشّريف إدريس بن عليّ، وصاحب (العقد) وغيرهما.

وقال الجَنَديّ[2]: في سنة تسعٍ وسبعين[3]، والله أعلم.

وكان مدّة ملكه خمس سنين تقريباً، وقُبِر شرقيّ زَبِيْد في قُبَّةٍ هنالك تعرف بقُبَّة الخليفة، وقيل: قُبِر في الدّار السّلطانيّ بزَبِيْد.

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ: وقد رأيت مجلساً في الدّار السّلطانيّ بزَبِيْد وفيه مِحْرابٌ كمحراب المسجد، وفي المجلس المذكور قَبْرٌ ظاهر، يُقال: إنّه قبر الملك المُعِزّ.

ولـمّا كان في أيّام السّلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل، أمر بخَراب الدّورات القديمة فخُرِّبت وخُرِّب المجلس الّذي فيه القبر المذكور وانْدَرَس القبر، ولم يَبْقَ له أثرٌ ظاهر، والله أعلم.

ولما قُتِلَ الملك المُعِزّ في التّاريخ المذكور وكان الّذي قتله الأكراد احتووا على زَبِيْد ونهبوا أهلها نهباً شديداً، وكان أخوه الملك النّاصر أيّوب بن الملك العزيز [٧٧ب] سيف الإسلام يومئذٍ في حصن تَعِزّ، وكان الأتابك سُنْقُر يومئذٍ هارباً منَ المُعِزّ في حصون حَجَّة.

فلمّا قُتِلَ المُعِزّ في التّاريخ المذكور أُعِيْدتِ الخُطْبة لبني العبّاس في يوم الجمعة الثّالث

---

(١) شاشة: بشينين معجمتين بينهما ألفٌ وهاء آخره؛ ثغر عدن: ٥٢.

(٢) السّلوك: ٢/٥٣٥.

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «تسع وتسعين وخمس مئة».

والعشرين من رجب المذكور، وأُعِيْدت في صنعاء يوم الجمعة غُرّة شعبان منَ السَّنة المذكورة.

وكانتِ الخُطْبة قبل قَتل المُعِزّ للمُعِزّ نفسِهِ دون بني العبّاس وغيرهم؛ لأنّه تَسمَّى بالخلافة، وخُوْطِب بأمير المؤمنين.

ووصل الأمير سيف الدّين سُنْقُر الأتابك إلى مولاه النّاصر بن الملك العزيز، وهو يومئذٍ في سنّ الطُّفوليّة، وكان هو الّذي ربّاه، ولذلك قيل له: الأتابك؛ وهذه الكلمة إنّما تُوضَع لمن يربّي أولاد الملوك خاصة؛ قاله ابن خَلِّكان.

وكان الأمير سيف الدّين الأتابك شجاعاً شهماً حَسَن السّياسة، فكاتب[1] الأكراد وصالحهم، وأقطع الأمير علم الدّين وردسار صنعاء فسار إليها فدخلها يوم الإثنين الثّالث عشر من ذي الحِجّة منَ السَّنة المذكورة، وأقطع الأمير حسام الدّين بكتمر[2] البمني[3] تِهامة ما خلا زَبِيْد والكَدْراء.

وكان عسكر النّاصر ذلك الوقت ثلاث مئة مملوك وأربع مئة جنديّ.

وكان قتل[4] سعيد الكرديّ وأصحابه في تَنْعُم يوم الخامس من صفر من سنة تسع وتسعين وخمس مئة.

ثمّ خالف أهل صنعاء على الأمير علم الدّين وردسار، ولزموا من كان فيها منَ الغُزّ يوم العشرين من جُمادَى الأخرى منَ السَّنة المذكورة، وأذّن المؤذّن فيها بـ(حيّ على خيرِ العمل) يوم الجمعة الثّاني والعشرين منَ الشّهر المذكور.

ووصل[5] وحطّ الأمير علم الدّين وردسار على صنعاء من شرقها في يوم الجمعة

---

(١) في (الأم): «فكابت».
(٢) في (د): «يكتمر» وفي (هـ): «مكثمر».
(٣) في (ج): «التميمي».
(٤) قوله: «قتل» ليس في (ج، د، هـ).
(٥) قوله: «ووصل» ليس في (ب)، وفي (ج، د، هـ) بعدها فراغ بقدر كلمتين، وكتب في (ج): «بياض في الأم» وفي (د): «مبيض في الأصل».

المذكور، ووصل الأمير سيف الدّين الأتابك إلى صنعاء يوم الخميس السّادس من رجب[1] في جيشٍ عظيم فنُودي إليه أهل صنعاء، فدخلها يوم الجمعة السّابع[2] من[3] الشّهر المذكور، ولزم والي بَراش يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر شعبان، وقبض منه بَراشاً، وقبض حصن فِدَة من واليها أيضاً.

وعاد الأمير سيف الدّين سُنْقُر الأتابك إلى المِخْلاف يوم الثّلاثاء الثّالث[4] والعشرين منَ الشّهر المذكور.

وفي هذا التّاريخ: نقض الأكراد الصّلح، واستبدّوا بمُلْك زَبِيْد وما وراءها منَ التّهائم، فأمر الأمير سيف الدّين الأتابك نائبه الأمير علم الدّين وردسار بمصالحة الإمام ونزوله إليه؛ لقصد الأكراد، ففعل وخرج من صنعاء في جيشٍ كثيف، وجمع الأتابك جموعَهُ ونَزَلا معاً يريدان الأكراد في زَبِيْد، فخرجتِ الأكراد إلى القُرْتُب وصفّوا هنالك.

فلمّا التقى النّاس قصد فرسانهم القلب فتَضَعْضَع عسكر الأتابك، وانهزم جُلّ أصحابه، وثبت الأمير علم الدّين وردسار عند الأعلام ثَباتاً حسناً، حتّى أعاد الأكراد إلى مصافّهم، ثمّ كانتِ [١٧٨أ] الهزيمة على الأكراد، فقتل منهم مقتلةً عظيمة، وحِيْل بين الباقين وبين زَبِيْد، وكانتِ الوقعةُ يوم الأحد العاشر من ذي القِعْدة من سنة تسعٍ وتسعين وخمس مئة.

واستولى الأتابك من يومئذٍ على مدينة زَبِيْد وعلى التّهائم بأسرها؛ هكذا قاله صاحب (العقد الثمين).

وقال الجَنَديّ[5]: كانتِ الوقعة في قرية الزَّرِيْبَة، وكانت في سنة إحدى وستّ مئة،

---

(١) قوله: «من رجب» ليس في (هـ).

(٢) في (الأمّ، أ، ب): «السادس» والصّواب ما أثبت عن (د، هـ).

(٣) قوله: «من رجب ... من» سقط في (ج).

(٤) في (أ): «الثاني».

(٥) السّلوك: ٢/٥٣٦.

فدخل المدينة عليهم قهراً ونهبها نهباً شديداً، وأمر بإغلاق مدرسة المُعِزّ المعروفة بالمِيْلَين، وإخراج الفقهاء الشّافعية منها، وأبطل وَقْفها، ويُقال: إنّه وقفه على مقام أبي حنيفة بالحرم الشّريف.

قال الجَنَديّ[1]: وفي سنة ستّ مئة نزل منَ السّماء رمادٌ أبيضُ في زَبِيْد ونواحيها يوماً وليلة وأظلمتِ الدّنيا، وخاف النّاس الهلاك، ثمّ نزل بعد ذلك رمادٌ أسودُ، وحصلت أراجيف وزلازل.

ومن عجيب ما جرى في ذلك الوقت لمّا أظلمتِ الدّنيا واشتدّتِ الظُّلمة، كان قد خرج جماعة من أهل زَبِيْد إلى المَجْرَى من خارج باب الشَّبارِق، فلم يمكنهم الرّجوع إلى بيوتهم ولا اهتدوا إليها من شدّة الظُّلمة، وكان فيهم رجلٌ أعمى؛ فقال لهم ذلك الأعمى: مَن أعطاني منكم زَبْديًّا من طعام قُدته إلى بيته أينما كان من زَبِيْد، فالتزموا له بذلك، فقاد كلَّ واحدٍ منهم إلى بيته.

وفي سنة خمس وستّ مئة: قَتَلَ الأمير سيف الدّين سُنْقُر الأتابك أهل بَراقِش، وذلك يوم الأربعاء الرّابع عشر من ذي القِعْدة منَ السَّنة المذكورة.

وتصاوَلَ الإمام عبد الله بن حمزة والأمير علم الدّين وردسار على اليمن مصاولةً عظيمة، فكانت لهم أيّامٌ شديدة، ووقعاتٌ عديدة، منها يوم نصف، وهو في مشرق بلاد نِهم، وقُتِلَ في ذلك اليوم إبراهيم بن حمزة أخو الإمام عبد الله بن حمزة، وفي ذلك اليوم يقول [الإمام][2]: (منَ السّريع)

رَوَّعَني الدَّهْرُ بِأَحْداثِهِ ... ولَيْسَ مِثْلي مِنْ شَباها يُراعْ[3]

---

(١) السّلوك: ٢/٥٣٦.

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٣) في (د): «... من سناها ..».

يَرُومُ إنْزالي على حُكْمِهِ وإنَّما يَفْعَلُ ذاكَ اليَراعْ

تَعَدَّ عَنّا والتَمِسْ غَيْرَنا وخُصَّ بِالرُّعْبِ قُلُوبَ الرَّعاعْ

فنَحْنُ مِنْ قَومٍ إذا أُغْضِبُوا تَلَبَّبُوا واسْتَلأَمُوا لِلمَصاعْ(١)

كم مَوْقِفٍ خُضْنا بِحارَ الرَّدَى قِدْماً ولم تُنْصَبْ عَلَيْنا شِراعْ(٢)

ومَعْرَكٍ كُنّا لأَعْدائِهِ فِيْهِ ذُعافَ المَوتِ ماءً يُصاعْ(٣)

ونَحْنُ مِثْلُ النِّصْفِ أو دُوْنَهُ مِنْهُمْ وقد سَلُّوا سُيُوفَ القِراعْ

نَصْبِرُ للمَوتِ ورَوْعاتِهِ إذا نُفُوسُ الضِّدِّ طارَتْ شَعاعْ(٤)

سَلْ عَنْ أبي إسْحاقَ أَعْداءَهُ وغَيْرَهُمْ فَالحَرْبُ فاشٍ مُذاعْ(٥)[٧٨ب]

يَومَ تَوَلَّى جَيْشُهُ مُعْذَراً وإنَّما يُدْفَعُ ما يُسْتَطاعْ

أَلَمْ يُصَمِّمْ غَيْرَ مُسْتَسْلِمٍ تَصْمِيْمَ سامي الطَّرْفِ عَبْلِ الذِّراعْ(٦)

نَحْنُ بَنُو الحَرْبِ إذا شَمَّرَتْ ولاحَ عُنْوانُ سَناها وضاعْ(٧)

وإنَّما أَوْقَفَنا مُوْجِبٌ بادٍ وقَدْ يُطْرَقُ قَلْبُ الشُّجاعْ(٨)

---

(١) في (أ، د، هـ): «... إذا غضبوا».

(٢) في (أ): «كم من ...» وهو مختل الوزن.

(٣) في (ج): «فيه دعا والموت ما لا يضاع» وفي (د): «فيه دعا والموت ما يضاع» وفي (هـ): «ومعرك كلنا .. ... صاعاً بصاع».

(٤) في (هـ): «.. نفوس الصيد ...».

(٥) قوله: «فالحرب» سقط في (أ)؛ وفي (هـ): «.. فالخطب فاش ..».

(٦) في (ج): «ألم يسلم ...».

(٧) في (هـ): «... وشاع».

(٨) في (ج، د): «... قبل الشجاع» وفي (هـ): «... مثل الشجاع».

ومنها يوم عقَار[1] وهو موضع بالبَوْن الأعلى، ويوم في بلاد ذَمار[2]، وهو اليوم الّذي قاد الغُزّ فيه عيسى بن دعقان[3] صاحب شُوابَة وساعدته على ذلك نِهْم.

وفي ذلك اليوم يقول الإمام عبد الله بن حمزة في قصيدته الّتي مطلعها: (منَ الطّويل)

قِفا فَانْظُرا فالعَيْنُ تُغْني عَنِ الأَثَرْ ... ولا تَسْأَلا بعد العِيانِ عَنِ الخَبَرْ

وقُولا لأَرْبابِ الضَّلالَةِ ما الّذي ... حَداكُمْ على سَوقِ النُّفُوسِ إلى سَقَرْ[4]

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ المُحَكِّمَ عَقْلَهُ ... عَلِيمٌ بما يَأْتي عَلِيمٌ بما يَذَرْ

وفيها: (منَ الطّويل)

بَعَثْنا إلى ذَعْفانَ سَيْفَيْنِ لِلْوَغَى ... فَقالا لَهُمْ عِنْدَ التَّصادُمِ لا وَزَرْ[5]

نَطارُوا بِبِيْضِ الهِنْدِ تَأْخُذُ مِنْهُمُ ... وبِيْضُ العَوالي في الخَواصِرِ والثُّغَرْ[6]

وأَحْجَمَ عَنْهُمْ وردسار وَلَمْ يَكُنْ ... لِيُحْجِمَ إلّا عَنْ مَقامٍ لَهُ خَطَرْ

ولم تزلِ الحرب سِجالاً بين الإمام عبد الله بن حمزة وبين الأمير وردسار حتّى انعقد الصُّلح على أنّ الإمام عبد الله بن حمزة يعطي الأمير علم الدّين في كلّ سنة مئة جملٍ موقرة حديداً من صَعْدَة وعشرة أفراس منَ الخيل.

ووقعتِ المُحادَدة بينهما على البلاد، فكان البَوْنانِ الأعلى والأسفل للأمير علم الدّين وردسار، وكان الظّاهرانِ والجَوفان وصَعْدَة إلى الإمام.

---

(١) في (ج): «اعفار».

(٢) في (ج، د، هـ): «ردمان».

(٣) في (د): «ادعفان».

(٤) في (أ): «أقول ...».

(٥) في (أ، ب): «... دمان ...» وفي (ج، د، هـ): «... ردمان ...».

(٦) في (الأم، ب): «فطاروا ببيض» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

واستمرّ الأمر على ذلك إلى أن توفّي الأمير علم الدّين في التّاريخ الّذي يأتي ذكره -إن شاء الله تعالى- ولم يزل النّاصر في ملكه إلى أن توفّي الأمير سُنْقُر سيف الدّين الأتابك.

وكانت وفاته في سنة ثمانٍ وستّ مئة، وقيل: في سنة تسع؛ قاله الحاتمي في كتاب (العقد)[1]؛ قال الجَنَديّ[2]: في جُمادَى الأولى من سنة سبعٍ، والصّحيح الأوّل، والله أعلم.

وهو والد بنت جَوْزَة، وكانت وفاته في حصن تَعِزّ ودفن في المدرسة الّتي أنشأها بذي هُزَيم - ناحية من نواحي تَعِزّ - وهو الّذي بنى جامع المَغْرَبَة بمدينة تَعِزّ وعمل المِنْبَر الّذي فيه، وبنى مدرستين في مدينة زَبِيْد تعرف إحداهما بالعاصميّة نسبةً إلى مدرّسها الفقيه عمر[3] بن عاصم، وكان أحدَ فقهاء الشّافعيّة يومئذٍ بزَبِيْد، وتعرف الأخرى بالدَّحْمانيّة نسبةً إلى مدرسها [١٧٩أ] وهو الفقيه محمّد بن إبراهيم بن دَحْمان، وكان أحد أصحاب الإمام أبي حنيفة.

وبنى الجامع الّذي بخَنْفَر من أرض[4] أَبْيَن، وبنى الصَّفَّين والجَناحين والمؤخّر من مسجد الجَنَد، وبنى مدرسةً بذي هُزَيم -ناحية من نواحي مدينة تَعِزّ- وهي المدرسة الّتي فيها قبره، وبنى في الدُّمْلُؤة مباني عجيبةً وعدّة مناظر كتب اسمه على أبوابها.

وهو الّذي ينسب إليه الزَّبْديّ السُّنْقُريّ في مدينة زَبِيْد وأعمالها؛ وكان عَبْرَتُهُ يوم قُرّر مئتين وأربعين[5] درهماً، وما بَرِحَ الحكّام يزيدون فيه مرّة حتّى استقرّ على ثلاث مئة وعشرين درهماً بُرْهة منَ الزّمان، ثمّ حصلتِ الزّيادة فيه مرّةً بعد أخرى حتّى أقرّه السّلطان الملك الأفضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أربع مئة درهم، ثمّ زاد فيه السّلطان الملك الأشرف

---

(١) في (د): «المعتقد».

(٢) السّلوك: ٢/٥٣٧.

(٣) في (ج): «عمرو».

(٤) في (ج): «أعمال».

(٥) في (ج): «مئتين وأربع مئة».

فجعلَهُ خمس مئة وسمّاه الأشرفيّ، واستقرّ الأمر على هذا السُّنْقُريّ(١) أربع مئة قَفْلَة، والأشرفيّ خمس مئة قَفْلَة، والله أعلم.

وتوفّي الأمير علم الدّين وردسار في سنة عشر وستّ مئة(٢)، وكانت وفاته في حصن السَّمَدان، وحُمِل منَ السَّمَدان إلى الجَنَد، فقُبِر هنالك، والله أعلم.

وقال الشّريف إدريس: دفن في مسجده بجبل صَرَب(٣) وبُني على قبره قُبّة.

ولمّا توفّي الأتابك والأمير علم الدّين وردسار اسْتَوْزَر السّلطان الملك النّاصر أيّوب بن الملك العزيز طُغْتِكِيْن بن أيّوب = بدرَ الدّين غازي بن جبريل، وجعله قائماً بالمُلك، فحَمَلَ النّاصر على طلوع صنعاء لِقِتال الإمام عبد الله بن حمزة، فطلع في جُيُوشٍ عظيمة، وطلع بأموال جَمّة.

وكان خروجُهُ من تَعِزّ إلى صنعاء يوم السّبت مستهلَّ ذي الحِجّة من سنة عشر وستّ مئة، فلمّا استقرّ في صنعاء سَمَّهُ وزيرُهُ المذكور، فتوفّي هنالك، وكانت وفاتُهُ في اللّيلة المُسْفِرة عن يوم الجمعة الثّاني عشر منَ المحرّم أوّل سنة إحدى عشرة وستّ مئة.

فتولّى غازي بن جبريل أمر البلاد والعسكر، وحلف له الجُنْد في ذلك النّهار، وتَسَمَّى بالمَلِك، وضُرِبتِ السِّكّة باسمه، وخُطِب له في ذلك النّهار(٤) وخرج من صنعاء يريد تَعِزّ، وحمل النّاصر معه بعد أن طَلاهُ بالمُمْسِكات.

فلمّا صار في ناحية السَّحول وَثَبَ عليه مماليك الملك النّاصر فقتلوه، فكان قتلُهُ يوم الأربعاء الرّابع عشر منَ المحرّم المذكور في السّنة المذكورة؛ قاله الخاتميّ في (العقد الثّمين).

---

(١) في (ج، د، هـ): «الأفضلي».

(٢) في (هـ): «ثمان وعشرين وست مئة».

(٣) في (الأم): «ضرب»، وإنّما هو بالصّاد المهملة كما سيأتي، وورد في السّلوك (٢/ ٢٧٣): «صربي».

(٤) قوله: «وتسمى بالملك ... ذلك النهار» سقط في (ج).

وقال الجَنَديّ(١): بل خرج عليه العربُ فنهبوه وتشتّتَ عسكرُهُ، فوصل غازي إلى إبّ في جماعة من خواصّهِ، وكانت أُمُّ الناصر، وغالب الخواتين مقيمين(٢) في حصن حَبّ فطلع مماليك النّاصر إلى حصن حَبّ -كما ذكرنا [٧٩ب] - فشتمتْهُمْ ولعنتهم وحملتهم على قَتْلِ غازي بن جبريل، فنزلوا إلى إبّ فقتلُوهُ بها، واحتزّوا رأسه وحملوا الرّأس معهم إلى حصن حَبّ، وقُبِر في إبّ(٣) جثّةً بلا رأس.

فلمّا وصلوا بالنّاصر إلى تَعِزّ ميتاً - كما ذكرنا - قُبِر في القُبّة الّتي هي قبل(٤) ميدان تَعِزّ، وهي باقية إلى عصرنا هذا على يمين السّائر إلى تِهامة من تَعِزّ.

ثمّ إنّ أمّ النّاصر نزلت من حَبّ إلى تَعِزّ فأقامت نحواً من ستّة أشهر.

ولمّا توفّي النّاصر في التّاريخ المذكور: استولى آل حاتم بن أحمد على حصن بيت نُعْم وحصن فِدَة وحصن الظُّفُر وحصن الفَصّ والمَصْنَعة في يوم الثّلاثاء الثّالث عشر منَ المحرّم منَ السّنة المذكورة.

وسار الإمام المنصور عبد الله بن حمزة إلى صنعاء فدخلها يوم الأحد ثاني شهر صفر منَ السّنة المذكورة، وخرج العسكر(٥) منها إلى حصن بَراش.

وسار سليمان بن موسى الحمزيّ من ذَمار في عسكرٍ جَرّار، ثمّ قصد لَحَجاً فأخذها وأقام بالرَّعارِع أيّاماً، ثمّ عاد إلى بلده.

وقدم الملك المعظّم سليمان بن تقيّ الدّين عمر بن شاهَنْشاه بن أيّوب المعروف بالصُّوفيّ هو وجماعةٌ معه في زِيّ الصُّوفيّة، فاستدعتْهُ أُمّ النّاصر إليها، وكانت في حصن تَعِزّ،

(١) السّلوك: ٢/٥٣٧.

(٢) في (الأمّ، ب، د، هـ): «مقيمون» وهو خطأ. وورد لفظ: «الخواتين» غير معجم في (أ، ج، د، هـ).

(٣) في (الأمّ): «حب» وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وما يقتضيه سياق الخبر.

(٤) في (ج، د، هـ): «قبلي».

(٥) في (أ، ج، د، هـ): «الغز».

فقالت له: إنّا نخشى أن تطمع فينا العرب ونحن نساء لا حِيْلَةَ لنا، وقد ساقك الله إلينا، فقُمْ بمُلْك ابن عمِّك واسْتَوْلِ على مُلْك اليمن.

فأجاب إلى ذلك فأطلعوه الحصن، وأجلسوه على سرير الملك، وحلف له الجُنْد بأسرهم، وكان ذلك يوم الخميس الثّاني والعشرين من شهر ربيعٍ الأوّل منَ السَّنة المذكورة، فقام بالمُلْك قياماً ضعيفاً، واشتغل باللَّهْو واللّعب واللّذّات والنّساء، حتّى تَضَعْضَع الملك، وكان إذا سَكِرَ يركض[1] ويقول: (من مجزوء الرَّمَل)

أنا مَشْغُولٌ بِأَيْرِي ... انظُروا لِلْمُلْكِ غَيْرِي[2]

وفي أيّامه قُتِلَ من الغُزّ نحوٌ من مئة فارسٍ عند أكمة تَعِزّ بجمعة.

واستولى الإمام عبد الله بن حمزة على صنعاء وذَمار، ودخل الشّرفاء حصن كوكبان يوم الثّلاثاء مستهلّ ذي القِعْدة من سنة إحدى عشرة وستّ مئة بعد أن حصروه مدّة طويلة.

ولمّا بلغ الملكَ العادل أبا بكر[3] بن أيّوب بما جرى في اليمن من قَتْل[4] المُعِزّ وسَمّ أخيه النّاصر = جَهَّزَ ابنَ[5] ابنِهِ الملكَ المسعودَ صلاحَ الدّين[6] بنَ الملك الكامل محمّد بن الملك العادل[7] أبي بكر بن أيّوب في جيوشٍ عظيمةٍ وأموال جليلة وحالةٍ كبيرة، وكان يومئذٍ في سنّ البلوغ، وجعل أتابِكَهُ ومُدَبِّرَ مُلْكِهِ جمالَ الدّين فُلَيْت، فكان وصولُهُ إلى زَبِيْد

---

(١) في (أ، ب، ج): «يرقص» وفي (د): «يرض»، وكتب في هامش (الأم): «ط: يرقص».

(٢) العَجُز ليس في (ب).

(٣) في (الأم، ب): «أتابك»، وما أثبت وهو الصّواب عن (أ، ج، د، هـ).

(٤) قوله: «من قتل» ليس في (ب).

(٥) في (ج، د): «أجهز ابنه».

(٦) في (ج، د، هـ): «صلاح الدين يوسف».

(٧) في (الأم): «الكامل» وما أثبت وهو الصّواب عن (أ، ج، د): «العادل» وقوله: «بن الملك الكامل» ليس في (ب)، وقوله: «محمد بن الملك الكامل» ليس في (هـ).

الثّاني منَ المحرّم من سنة اثنتي عشرة وستّ مئة.

فلمّا استقرّ في الدّار السّلطانيّ بزَبِيْد وقد ضعف عسكرُهُ وكلّتْ دَوابّهم، أرسل إلى سليمان بن تقيّ الدّين وكان يومئذٍ [١٨٠أ] في حصن تَعِزّ يُخاطبه في الصّلح على أن تكون الجبال لسليمان والتّهائم للملك المسعود.

فلمّا سمع بذلك الأمير بدر الدّين حسن بن عليّ بن رسول نزل إلى الملك المسعود وحَثَّهُ على الطُّلوع إلى تَعِزّ فطلع وحطّ على تَعِزّ ولقيته عساكرُ اليمن بأسرها.

ثمّ قال الأمير بدر الدّين حسن بن عليّ بن رسول للملك المسعود: أرى أن تكتب إلى الخُدّام الّذين في حصن تَعِزّ كتاباً تقول فيه: (أُقْسِمُ بالله تعالى، لئن لم تمسكوا سليمان بن تقيّ الدّين لا أَصَبْتُم منّي عافية) فكتب كما أشار إليه الأمير بدر الدّين.

فلمّا وصل الكتاب إلى الخُدّام نهضوا بأجمعهم فأغلقوا باب المجلس الّذي فيه سليمان بن تقيّ الدّين عليه، وأمروا إلى والي الملك المسعود فطلع فأمسك سليمان[(١)] وقَيَّدَه.

ثمّ طلع الملك المسعود حصن تَعِزّ، وكان طلوعُهُ يوم الأحد غُرّة شهر صفر منَ السّنة المذكورة، ثمّ تزوّج الملك المسعود بالملكة بنت الأمير سيف الدّين سُنْقُر الأتابك المعروفة بـ(بنت جَوْزَة)، وشُغف بها شَغَفاً شديداً، وصدّر سليمان بن تقيّ الدين إلى مصر مُقَيَّداً.

فلمّا كان في شهر ربيعٍ الأوّل[(٢)]: خرج الإمام عبد الله بن حمزة من صنعاء إلى حصن كوكبان هو وجميع أصحابه، وكان ذلك يوم الأحد الثّاني عشر من شهر ربيعٍ الآخر منَ السّنة المذكورة بعد أن أخرب صنعاء والدّار السّلطانيّ، فتعطّلت صنعاء، ثمّ رجع بعض أهلها إليها، فأغار عليهم أخوه الإمام يحيى بن حمزة فدخلها وفيها جماعةٌ منَ العرب والغُزّ، وسبى من كان فيها منَ النّساء والأولاد منَ العرب والعجم، وذلك يوم الرّابع والعشرين من شهر ربيعٍ الآخر منَ السّنة المذكورة.

---

(١) قوله: «ابن تقي ... فأمسك سليمان» سقط في (هـ).

(٢) في (ج، د): «الآخر».

وطلع الأمير جمال الدّين الأتابك فُلَيْت إلى صنعاء يوم الجمعة ثاني شهر جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة، وقامتِ الفتنة بينهما مدّة طويلة، وجهّز الإمام ولدَهُ عزّ الدّين محمّد بن الإمام عبد الله بن حمزة إلى جبل كَنَن[(١)]، وهو يومئذٍ ابن اثنتين وعشرين سنةً، وقدِ اجتمعت سَنْحان على الخلاف معه، فمال لحربه طائفةٌ منَ العسكر الّذين هم مع فُلَيْت، فكانت بينه وبينهم عدّة وقائع تارةً لهم وتارةً عليهم، إلى أن توفّي الإمام عبد الله بن حمزة، رحمة الله عليه، في حصن كوكبان.

وكانت وفاته يوم الخميس الثّاني عشر منَ المحرّم أوّل سنة أربع عشرة وستّ مئة، فدفن هنالك، ثمّ نُقِل إلى بُكُر في تابوته، ثمّ نُقِل إلى مشهده بظَفار، وكان عمره يوم توفّي اثنتين وخمسين سنة وثمانية أشهر واثنين وعشرين يوماً.

ثمّ خرج الأمير عزّ الدّين محمّد بن الإمام عبد الله بن حمزة ومولاه جابر بن مقبل في عسكرٍ منَ الأشراف إلى جبل كَنَن من بلاد سَنْحان، وأجابهم الشّيخ [٨٠ب] راشد بن مُظَفَّر.

وأمّر[(٢)] الأتابك جمالُ الدّين الأمير جمالَ الدّولة في عسكرٍ إلى صنعاء، فوقف بها وحطّ الأتابك فُلَيْت في بئر الخولانيّ مقابلاً للأشراف، وهم يومئذٍ في جبل كَنَن، ثمّ توفّي الأتابك جمال الدّين فُلَيْت، وهو في محطّته المذكورة في بئر الخولانيّ، وكانت وفاته ليلة الخميس سَلْخ شهر ربيعٍ الأوّل منَ السَّنة المذكورة[(٣)]؛ وقُبِر في صنعاء يوم الجمعة غُرّة

(١) كَنَن: بالتّحريك، كذا ضُبِط بـ(الأمّ)، وهو كذلك في معجم البلدان (٤/٤٨٥)، وفيه: «كَنَن: بالتّحريك: جبلٌ من أعمال صنعاء على رأسه قلعةٌ يقال لها: قَيلة، لبني الهَرِش» غير أنّه ذكر قبله موضعاً بكسر الكاف؛ فقال: «كِنَن: جبل باليمن من بلاد خولان العالية عالٍ يُرى من بُعد ... » معجم البلدان: ٤/٤٨٤. وورد في صفة جزيرة العرب (١٢٥، ١٢٦): «كِنَن» وفي تحقيق الفهارس (٩٦): «كَنِن».

(٢) في (ج، د): «والأمير».

(٣) قوله: «في بئر الخولاني ... السنة المذكور» سقط في (ج).

شهر ربيعٍ الآخر[١] منَ السَّنة المذكورة[٢].

ولمّا علم الملك المسعود بوفاة الأتابك فُلَيْت خرج يريد صنعاء، فوصل محطّة بئر الخولانيّ يوم السّبت مستهلّ جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة، ثمّ دخل الملك المسعود صنعاء يوم السّبت[٣] الثّامن من جُمادَى المذكور[٤].

ونهض الشُّرفاء من جبل كَنَن في ليلة الثُّلاثاء الخامس والعشرين منَ الشّهر المذكور، واستولى الغُزّ على جبل كَنَن في ذلك اليوم، وتسلَّم الملك المسعود حصن كوكبان يوم الخميس الخامس[٥] من جُمادَى الأخرى، واصطلح السّلطان والأشراف في ذلك اليوم، ولحق الشّريف عزّ الدّين ببلاده، وتسلَّم الملك المسعود[٦] حصن بَراش منَ الهروش في الشّهر المذكور، ورجع الملك المسعود من صنعاء إلى اليمن[٧] في شهر رجب منَ السَّنة المذكورة.

ثمّ طلع الملك المسعود صنعاء مرّةً ثانية في شهر ربيعٍ الأوّل من سنة خمس عشرة وستّ مئة، وعاد إلى اليمن في ربيعٍ الآخر[٨] منَ السَّنة المذكورة، فتسلَّم حصن الشّوافي في جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة.

ثمّ طلع صنعاء مرّة ثالثة في شهر رمضان منَ السَّنة المذكورة، ثمّ طلع إلى الظّاهر آخر الشّهر المذكور، فوصل حُوْث[٩] وأخربها، ثمّ نزل الجَوْف من حُوْث فوقف في الجَوْف

---

(١) في (د): «ربيع الأول».

(٢) قوله: «وقبر في ... السنة المذكورة» سقط في (أ).

(٣) قوله: «مستهل ... يوم السبت» سقط في (هـ).

(٤) قوله: «ثم دخل ... جُمادَى المذكور» سقط في (أ) .

(٥) قوله: «الخامس» سقط في (ج، هـ).

(٦) قوله: «حصن كوكبان ... الملك المسعود» سقط في (هـ).

(٧) يريد اليمن الأسفل.

(٨) في (هـ): «ربيع الأول».

(٩) قوله: «حوث» سقط في (ج).

الأعلى ثمانية أيّام، ثمّ نهض إلى غَيْل مُراد ووقف أربعة أيّام، ثمّ نهض منَ الغَيْل إلى شُوابَة، فأقام بها خمسة أيّام، ثمّ نهض إلى رَيْدَة وكانت طريقُهُ تحت حصن ظَفار فاعترضه الأَشْراف وقاتلوه.

ثمّ نهض من رَيْدَة فوصل صنعاء ثالث القِعْدة منَ السَّنة المذكورة، ثمّ رجع اليمن فأقام بها وصالح الأشراف في شهر رجب من سنة ستّ عشرة وستّ مئة.

ثمّ نهض[1] عليهم في شهر جُمادَى الأولى من سنة سبع عشرة[2]، وطلع منَ اليمن إلى صنعاء مرّة رابعة، فدخلها يوم الثّلاثاء التّاسع[3] من رجب من سنة سبع عشرة وستّ مئة، وحطّ على بُكُر يوم الخميس الثّاني عشر منَ الشّهر المذكور، وبنى عليه سوراً وحصره من جميع نواحيه، وأقام محاصراً له ثمانية أشهر واثني عشر يوماً.

وكان فيه من أولاد الإمام وأُمّهات أولاده طائفة، فجمع عزّ الدّين محمّد بن الإمام جموعاً كثيرة وأراد قصد تِهامة لِيُنفِّس [على][4] أهل بُكُر، فخالف عليه علم الدّين سليمان بن موسى، ووصل إلى محطّة بُكُر [١٨١] فتلقّاه المسعود بالإنصاف والصِّلات الجزيلة، وجهّز معه جيشاً لحرب عزّ الدّين، فكانت بينهما بالجوف حروبٌ عظيمة.

ثمّ إنّ الملك المسعود اشترى الحصن منهم بعشرة آلاف دينار مصريّة، وطلعه والشّمس منكسفة، وذلك في السّاعة الثّانية[5] من يوم الإثنين أوّل شهر ربيعِ الأوّل من سنة ثماني عشرة وستّ مئة في طالع الكسوف، ثمّ رجع من حصن بُكُر إلى صنعاء، وعاد إلى اليمن، ثمّ نزل زَبِيْد، ثمّ سار منها إلى مكّة المشرَّفة قاصداً لقتال حسن بن قتادة يوم

---

(١) في (أ، ج، د): «نقض».

(٢) قوله: «ثم نهض ... وست مئة» سقط في (هـ).

(٣) في (ج): «السابع».

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٥) قوله: «الثانية» سقط في (ب).

الثّلاثاء السّابع عشر منَ المحرّم سنة تسعٍ عشرة وستّ مئة.

فلمّا وصل مكّة، حرسها الله تعالى، أخذها قهراً بالسّيف وحرّم سَفْك الدّماء بعد فَتْحها، وحرّم النَّهب وصاحتِ الصّوائح بالأمان لمن كان فيها منَ التّجّار والمجاورين؛ وكان دخوله [مكّة][1] في شهر ربيعٍ منَ السَّنة المذكورة، وهو في آلة الحرب[2].

ثمّ رجع من مكّة إلى زَبِيْد فدخلها في جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة، ثمّ سار إلى صنعاء في جُمادَى الآخرة، ثمّ رجع منها إلى زَبِيْد، ثمّ تقدّم إلى مصر في النِّصْف من شهر رمضان من سنة عشرين وستّ مئة، وترك في اليمن نور الدّين عمر بن عليّ بن رسول، وكان يومئذٍ أتابكه وصاحب بابه، والأمور كلّها بيده.

فقام مرغم الصُّوفيّ في الحَقْل وبلاد زُبَيد ودعا النّاس إلى نفسه، وأخبرهم أنّه داعٍ لإمام حقٍّ، فانضاف إليه من غَوْغاء النّاس وطُمّاعهم[3] الجَمّ الغفير، وأجزلهم[4] أهل المَغارب، وكثير من قبائل جَنْب وعَنْس، فسار إليه الأمير نور الدّين ومعه راشد بن مُظَفَّر ابن الهرش.

فقال مرغم الصُّوفيّ لمن معه: إن قاتلونا في غدٍ هزمناهم، وقتلنا راشد بن مُظَفَّر، فوقع القتال وكان كما قال اتّفاقاً، فازداد النّاس له محبّة وتصديقاً، وكانتِ الواقعة في سنة اثنتين وعشرين وستّ مئة، ثمّ تلاشت أمورُهُ وظهر للنّاس كثيرٌ من كذبه، وفساد مذهبه فتنقّل من بلد إلى بلد هارباً.

ثمّ كانت وقعة عَصُر[5] بين الأمير بدر الدّين حسن بن عليّ بن رسول وبين الأمير

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

(٢) قوله: «وهو في آلة الحرب» سقط في (د).

(٣) في (ج، د، هـ): «وطغامهم».

(٤) في (ج): «وأجزل لهم».

(٥) قوله: «عَصُر» ليس في (ج، د، هـ).

عزّ الدّين محمّد بن الإمام عبد الله بن حمزة، فجمع الشّريف عزّ الدّين جموعه من الفارس والرّاجل، فكانت خيلُهُ سبع مئة فارس ورَجْلُهُ ألفي راجل، فقصد صنعاء بعد خروج الأمير بدر الدّين منها إلى ذَرْوان مُمِدًّا لأخيه نور الدّين بعد الهزيمة؛ وكان خروج الأمير بدر الدّين من صنعاء إلى ذَرْوان يوم الأحد السّادس عشر من رجب سنة ثلاث وعشرين وستّ مئة.

فوصل ذَرْوان يوم الإثنين السّابع عشر منَ الشّهر المذكور، فلمّا بلغه العلم بخروج الأمير عزّ الدّين إلى صنعاء انقلب الأميران نور الدّين وبدر الدّين على الفور إلى صنعاء، فوصلا وقد [٨١ب] دخل الأميرُ سالم بن عليّ بن حاتم والأميرُ علوان بن بشر بن حاتم إلى صنعاء في خيل ورَجْل من ذَمَرْمَر[١] والعَرُوس وحفظوا المدينة.

وقد حطّ الأمير عزّ الدّين في عَصُر وتجهّز للقتال، ونزل قاصداً صنعاء، فخرجتِ الرّتبة ومن معها لقتاله ووقع بينهم الطِّراد يوم الأربعاء السّادس والعشرين من رجب منَ السّنة المذكورة، فاقتتلوا إلى وقت الغداء، ووصل الأمير نور الدّين وأخوه بدر الدّين إلى صنعاء، والنّاس متلازمون في القتال، وقد وقع القَتْل في الفريقين، وكلٌّ حافظ لأصحابه، فدخل الأميران القصر وتغدّى النّاس على السّماط.

وقال الأمير بدر الدّين: نحبّ نستريح أوّلاً ثمّ ندخل الحمّام -إن شاء الله تعالى- ثمّ نخرج فوقفوا في القصر قليلاً، ثمّ دخلوا الحمّام، فلمّا خرجوا منه[٢] حرّك الرياح، واجتمع العسكر الّذين وصلوا معهما وهم[٣] مئة فارس يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً.

فلمّا خرجوا من باب صنعاء وقف نور الدّين في بعض الخيل مركزاً وفيئةً يرجِع النّاس إليه إنِ انهزم، وتقدّم بدر الدّين في الباقين والنّاس متلازمون في القتال، فرتّب

---

(١) في (ج): «ذي مرمر».
(٢) قوله: «منه» ليس في (ج، د).
(٣) في (الأمّ): «وهو» وهو خطأ.

أصحابه وحرّضهم على صِدْق القتال، والتفت فيهم يميناً وشمالاً، وقال: هي هي. فقالوا: هي هي. وكان هذا شعاره في عسكره، وصمّم في حملته، وصمّموا معه ومنحهم الله النصر والظَّفَر، فانهزم جيش الأشراف، ولم يقم منهم أحدٌ وولّوا مدبرين، وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً حتّى قيل: إنّه كسر ثلاثة أرماح، وانقطع السّيف الّذي كان في يده وأطار جِبارة الدَّبُّوس[١]، ولم يرجِع منَ المعركة إلّا وفي يده عرقة الرّكاب بركابها[٢].

ويُروى: أنّه قتل يومئذٍ فارساً بفارس صَرَعَ أحدَهما بالآخر، ولم يزل القتل والأسر فيهم إلى أن دخل اللّيل وغَشيَهم الظّلام، وقُتِل الشّيخ مخلص الدّين جابر بن مقبل بعد أن أبلى بلاءً حسناً، وقُتل الزّنجيّ أيضاً بعد البلاء العظيم، وقُتل من وجوه العرب جماعةٌ؛ ووقع في الأمير عزّ الدين نُشّابٌ في عينه بعد أن قاتل هو ومن حضر من إخوته وأبلى الكلّ منهم بلاءً حسناً، وباتوا ليلتهم سائرين قاصدين ثُلا، ولم ينزلوا[٣] عن ظهور خيلهم حتّى وصلوا ثُلا، وقد تفرّق جمعهم، ولم يبقَ معهم غير أربعين فارساً، وهم الأشراف وعبيدهم؛ وفي هذه الوقعة يقول العماد الشَّيْزَريّ[٤]، وكان شاعر الملك المسعود: (منَ الطّويل)

أَلا هكذا لِلْمَلْكِ تَعْلُو المَراتِبُ ... وتَسْمُو على رُغْمِ العُداةِ المَناقِبُ
فُتُوحٌ سَرَتْ في الأَرْضِ حتّى تَضَوَّعَتْ ... مَشارِقُها مِنْ طِيْبِها والمَغارِبُ[٥]
بِسَيْفِ الجَوادِ ابْنِ الرَّسُولِ تَوَطَّدَتْ ... قَواعِدُ مُلْكٍ رَبُّهُ عَنْهُ غائِبُ[١٨٢أ][٦]
فَوَلَّوا ومِنْ طَعْنِ القَنا في ظُهُورِهِمْ ... عُيُونٌ ومِنْ ضَرْبِ السُّيُوفِ حَواجِبُ

---

(١) الجِبارة: السّوار. والدَّبُّوس: المِقْمَع منَ الحديد، وهو واحد المقامع.

(٢) في (الأم، ب): «المعركة ويده إلّا عرقت» و(أ): «وفي يده إلا عرقة» وما أثبت عن (ج، د، هـ) وقوله: «بركابها» ليس في (ب).

(٣) في (الأم): «يزالوا» وهو خطأ.

(٤) في (ج): «الشيراري».

(٥) في (ج، د، هـ): «... طيها والمغارب».

(٦) في (هـ): «... توطنت».

وكتب السّلطان علوان بن بشر بن حاتم إلى الشّريف عزّ الدّين محمّد بن الإمام يقول فيه: (منَ الوافر)

أسَاداتِ الوَرَى مِنْ كُلِّ حَيٍّ … وأَسْمَى في المَعالي مَنْ يُسامي
وأَرْبَطَها لدى الهَيْجاءِ بَأْساً … وأَحْماها إذا عَدِمَ المُحامي
أُهنيكُمْ قُدُومَ العِيْدِ فَرْضاً … عَلَيَّ، فَعُدْتُمُ في كُلِّ عامِ
وأُهْدي نَحْوكَمْ أَزْكَى سَلاماً … إلى المَأْمُومِ فِيكُمْ والإِمامِ[1]
وأُسْمِعُكُمْ أَحَقًّا ما سَمِعْنا … فَما يَشْفي سِوَى صِدْقِ الكَلامِ
بِأَنَّ جُموعَكُمْ طارَتْ شَعاعاً … ولمَّا تَخْشَ عاقِبَةَ المَلامِ
ووَلَّتْ غَيْرَ كاسِبَةٍ ثَناءً … فِراراً لم تَكُرَّ ولم تُحامي[2]
سِوَى عَشْرٍ فَحَيَّا اللهُ عَشْراً … تَحامَتْ مِنْ بَني سامٍ وحامِ
ولم يَحْضُرْ مِنَ الأُمَراءِ إلَّا … شِهابُ الدِّيْنِ مَحْمُودُ المَقامِ
ونُورُ الدِّيْنِ والبَدْرُ المُرَجَّى … لُيُوثُ الحَرْبِ في يوم الصِّدامِ
وخَيْلُهُمُ إلى مِئَةٍ وعَشْرٍ … وهُمْ ما بَيْنَ رَمّاحٍ ورامِ[3]
فَماذا تَصْنَعُونَ إذا أَلَمَّتْ … جُنُودُ المُلْكِ من يَمَنٍ وشامِ
ولاحَتْ رايَةُ المَسْعُودِ فِيْها … كَلائِحَةٍ على أَرْجاءِ طامِ
هُنالِكَ تَنْدَمُونَ ولا مَحِيْصٌ … إذا حُمَّ القَضاءُ لَدَى الحِمامِ
فَإِنْ تَقْبَلْ نَصِيْحَةَ ذي وِدادٍ … فَإِنَّ النُّصْحَ مِنْ شِيَمِ الكِرامِ

---

(١) في (أ): «... مني سلاماً ... منكم والإمام» وفي (ج، د): «... منكم والإمام».

(٢) في (الأم، أ، ب): «... كاسد ثنا» مختل الوزن.

(٣) في (ج، د، هـ): «... ... رماح وحامي».

أَتَيْتُم طائِعِيْنَ إلى مَلِيْكٍ شَرِيْفِ النَّفْسِ ذي مِنَنٍ جِسامِ
فَتًى هَزَّتْ بَنُو أَيُّوبَ مِنْهُ حُساماً قَدْ يَفُلُّ شَبَا الحُسامِ[1]
وقَلَّدَتِ الأُمُورَ إِلَيْهِ لَمَّا غَدا لا بِالمُدانِ ولا الكَهامِ[2]
وقالَتْ عِنْدَ ذلِكَ قَوْلَ فَذٍّ أَدِيْبٍ شاعِرٍ حَسَنِ النِّظامِ
فَأَعْطِ القَوْسَ بارِيْها ودَعْها فَقَدْ أَوْدَعْتَها في كَفِّ رامي
فَذَبَّ بِرَأْيِهِ والسَّيْفِ عَنْهُمْ وقامَ بِمُلْكِهِمْ أَوْفَى قِيامِ

وأجابه الأمير عزّ الدّين محمّد بن الإمام عبد الله بن حمزة يقول: (منَ الوافر)

أَمِنْ بَرْقٍ تَأَلَّقَ بِابْتِسامِ أَرِقْتَ فلم تَذُقْ طَعْمَ المَنامِ[3]
لِذِكْرِ الوَصْلِ أم لِفِراقِ غِيْدٍ تُضِيءُ وُجُوهُها جُنْحَ الظَّلامِ
رَعَى اللهُ الدِّيارَ وساكِنِيْها ورَوَّى رَبْعَها صَوْبَ الغَمامِ[٨٢ب]
فلا تَعْجَبْ لِتَذْكاري فَإِنِّي ذَكَرْتُ مَنازِلَ الحَيِّ الكِرامِ
وأَعْجَبُ مِنْ تَذَكُّرِ وَصْلِ هِنْدٍ كِتابٌ جاءَنا مِنْ تِلْكَ يامِ[4]
سَلِيْلُهُمُ المُتَوَّجُ أَرْضَعُوهُ لَبانَ المَجْدِ مِنْ قَبْلِ الفِطامِ
وأَوْدَعَهُ السَّلامَ فلا عَدِمْنا أَنامِلَ نَمْنَمَتْ أَزْكى السَّلامِ[5]
ويُخْبِرُ عَنْ طِرادٍ قَوْلَ صِدْقٍ أَحَقًّا ما يُقالُ مِنَ الكَلامِ[6]

---

(١) في (الأمّ، ب، هـ): «بني أيوب»، وما أثبت وهو الصّواب عن (أ، ج، د).

(٢) في (أ، ج): «... لا بالددان ...» وفي (د): «غزا بالردان ...» وفي (هـ): «... لا بالدني ...».

(٣) في (ب، ج): « ... أذق ...».

(٤) في (أ): «.. جاء من ملك بسام» وفي (ج، د، هـ): «... من ملك يام».

(٥) في (الأمّ، أ) وفي (ب، ج، د، هـ): «... أزكى سلامي» وفي (ج): «..يممت ...».

(٦) في (أ): «ونخبر...» وفي (ج، د): «وتخبر ...».

بأنَّ جُموعَنا طارَتْ شَعاعاً ... وولَّتْ لم تكرُّ ولم تُحامي
سِوَى عَشْرٍ أغارَتْ غيْرَ مَكْرٍ ... فَعادَتْ جُنَّحاً مِثْلَ السِّهامِ[1]
فلو كانَ الأَمِيْرُ النَّدْبُ فِيْها ... عِمادُ الدِّيْنِ مَحْمُودُ المَقامِ
لَدارَتْ بَيْنَنا عُصَبٌ صِعابٌ ... بِكُلِّ مُهَنَّدٍ عَضْبٍ حُسامِ[2]
ولكنْ عاقَهُ الرَّحْمنُ عَنّا ... فلم يَحْضُرْ ويَوْمَ الرَّوْعِ حامِ
وكَيْفَ تَعُدُّ هذا القَوْلَ نُصْحاً ... وقَدْ صُدِعَتْ لَهُ صُمُّ السِّلامِ
فوا عَجَباً نُدافِعُ عَنْ حِمانا ... وتَنْسُبُنا إلى فِعْلِ اللِّئامِ
فَلَيْسَ لِنَطْحِ صَخْرَتِهِمْ سِوانا ... بَني حَسَنٍ، فكُفَّ عَنِ المَلامِ[3]
وإنْ كانُوا، لَعَمْرُ أَبِيْكَ، أُسْداً ... تَشُبُّ لَدَى الوَقائِعِ بِانْصِرامِ[4]

قال السّلطان مدرك بن حاتم بن بشر بن حاتم على لسان الأمير نور الدّين والأمير بدر الدّين عُمَرَ وحسنٍ ابني عليّ بن رسول وأرسلا بها إلى الدّيار المِصريّة: (منَ الطّويل)

سَلا ذاتَ سِمْطِ الدُّرِّ والمارِنِ الأَقْنَى ... لَدَى مِصْرَ مَنْ قَدْ أَصْدَقَ الضَّرْبَ والطَّعْنا[5]
ومَنْ شَهِدَتْ صنعاء لولا بَلاؤُهُ ... لَمّا فارَقَتْ رُعْباً ولا رافَقَتْ أَمْنا[6]
وقَدْ كانَتِ البِيضُ الخَرائِدُ خِيفَةَ السْـ ... ـسِبا مِنْ أَعادِينا أَسأْنَ بِنا الظَّنّا[7]

---

(١) في (ج، د، ه): «... نكر» من دون إعجام الحرف الأول.

(٢) في (ج، د): «الزارت بيتنا ...»

(٣) ورد البيت قبل سابقه في (أ).

(٤) في (أ، ج، د، ه): «... بالضرام».

(٥) في (أ): «.. سمط ذات ... .. عصر من أصدق ...» وفي (ج، د، ه): «.. عصر من أصدق ...» وفي (د): «سمط الدار».

(٦) في (ج، د): «... ولا وافقت أمنا».

(٧) في (الأمّ، ب): «...خفية» محرّفاً، وما أثبت وهو الصّواب عن (أ، ج، د، ه). والسّباء: الأسر، وخفّف للضّرورة.

فلمّا تدانى الفَيْلَقانِ عَشِيَّةً غَدا الهامُ فِيها مِنْهُمُ والظُّبا مِنّا
وَرُحْنا إلى قَصْرِ القَلِيْسِ نُصافِحُ الـ كُؤوسَ وتُغْنِينا النَّدِيْمَ وقَدْ غَنّى
وخَيلٍ حَشوناها الأَسِنَّةَ بَعْدَما تَكَرْدَسَ مِنْ هَنّا عَلَيْنا ومِنْ هَنّا[١]
ضَرَبْنَ إِلَيْنا بِالسِّياطِ جَهالَةً فَلَمّا تَعارَفْنا ضَرَبْنَ بِها عَنّا
وشِيمَتُنا وَصْلُ السُّيُوفِ بِخَطْوِنا إذا قَصُرَتْ [حَتّى] نَبِيْدَ العِدا طَحْنا[٢]
ونَحْنُ مَتَى شِئْنا دَمَرْنا عَدُوَّنا ولا نَحْتَقِدْ حِقْداً دَفِيْناً ولا ضِغْنا[٣]
فلاَ زالَتِ الأَخْبارُ مِنكُمْ تَسُرُّنا كَما سَرَّكُمْ في مِصْرَ مُخْبِرُكُم عَنّا[١٨٣]

ولـمّا اتّصل عِلْم هذه الواقعة بالملك المسعود إلى الدّيار المِصريّة رجع سريعاً إلى اليمن، فدخل حصن تَعِزّ يوم الإثنين السّابع عشر من صفر من سنة أربع وعشرين وستّ مئة.

فلمّا كان يوم الإثنين[٤] الخامس عشر من رجب منَ السَّنة المذكورة: وثب الملك المسعود على بني رسول، فقبضهم في مدينة الجَنَد: قبض الأمير بدر الدّين حسن بن عليّ بن رسول والأمير فخر الدّين أبو بكر بن عليّ بن رسول، والأمير شرف الدّين موسى بن عليّ بن رسول.

قال صاحب (العقد الثّمين[٥]): وكان السّبب على قبضهم أنّه لـمّا وصلهم العِلْم والكتب بما كان من وقعة عَصُر بين الأمير عزّ الدّين محمّد بن عبد الله بن حمزة وبين بني رسول، وما كان من هزيمة الأشراف مع كَثْرة جمعهم اشتدّ خوف بني أيّوب على ملك اليمن

(١) في (ج): «تكدسن» وفي (هـ): «تكدس». وهَنّا، بفتح الهاء وتشديد النّون: ظرف بمعنى (هنا).

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ) وفي (ج): «... لمحنا» وفي (هـ): «...العرا لمحنا».

(٣) في (ج، د، هـ): «... دسرنا» وهي متجهة.

(٤) قوله: «السابع عشر ... يوم الإثنين» سقط في (هـ).

(٥) قوله: «الثمين» أخلت به بقيّة النّسخ ماعدا (ب).

من بني رسول، ولم يخافوا أحداً لا منَ العرب ولا منَ العَجَم كخوفهم منهم؛ وذلك لِمَا عرفوا ما فيهم منَ الشّجاعة والإقدام وعُلُوّ الهِمّة وبُعْد الصِّيْت وحُسْن سياسة الأمر وتمام مكارم الأخلاق وحِيازة السِّيادة وانتماء المَجْد واكتساب الحمد؛ ولأجل ذلك تَمّ عليهم[1] ما كان الكَسْر فيه مجبوراً والخَصْم فيه مقهوراً، وكان أمرُ الله قَدَراً مقدوراً.

ولما قبض الملك المسعود على بني رسول، وكان الملك المسعود قد أرسل الأمير نور الدّين عمر بن عليّ بن رسول بخزانة عَدَن يريد تَوْدِيرَهُ[2] حال لزم إخوته؛ لأنّه كان يشقّ عليه كثيراً.

ولما تقدّم الملك المسعود مصر[3] واستنابَهُ في اليمن حَسُنَتْ سيرتُهُ وحُمِدَتْ أفعالُهُ في مغيبه كما ذكرنا= طلع إلى حقل يَحْصِب[4] وأخرب بلد بني سيف خصوصاً، وذلك في [ذي][5] الحِجّة من سنة أربع وعشرين وستّ مئة، وأقام في حقل [يَحْصِب][6] نحواً من ثلاثة أشهر، ثمّ عاد إلى حصن تَعِزّ في نحوٍ من مئة فارس، ثمّ دار في أقطار اليمن إلى أن خرج من مدينة زَبِيْد يريد مصر، فتوفّي في مكّة حرسها الله تعالى مسموماً في شهر رجب -وقيل في شعبان- من سنة خمس وعشرين وستّ مئة؛ قاله الجَنَديّ[7].

وقال ابن عبد المجيد[8]: توفّي الملك المسعود في شهر ربيعٍ الأوّل من سنة ستّ

---

(١) في (أ): «عليهم ومنهم» وفي (ج، د ،هـ): «عليهم منهم».

(٢) تَوديره: هلاكه؛ يقال: وَدّرَ الرَّجَلَ تَوْدِيراً: أوقعه في مَهْلَكَة؛ اللّسان: (و د ر).

(٣) قوله: «مصر» ليس في (ج، د، هـ).

(٤) في (ج، د، هـ): «طلع الحقل».

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٦) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ب).

(٧) السّلوك: ٢/٥٣٩.

(٨) في (الأمّ): «أبو عبد الحميد» وفي (ب): «أبو عبد المجيد» وكلّ ذلك وهم، وما أثبت عن بقيّة النّسخ. ولم أقف على ذكر وفاة الملك المسعود في مطبوع كتاب ابن عبد المجيد.

وعشرين؛ وهكذا قال الشّريف إدريس بن عليّ في كتابه (كنز الأخيار).

وقال الحاتميّ في كتابه (العقد الثّمين): كان خروج الملك المسعود من زَبِيْد يريد مصر في بواقي أيّامٍ من شهر ربيعٍ الأوّل من سنة ستٍّ وعشرين وستّ مئة، وتوفّي بمكّة يوم الإثنين الرّابع[١] من جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة.

قال: وأوصى ألّا تُهلَّب[٢] عليه الخيل ولا تُقَلَّب عليه السُّرُوج، وأن يقبر بين الغرباء في مقبرة مكّة.

قال: ويُروى أنّه اشترى ثوبين برسم الكَفَن من بعضِ النّاس، وكان قد حمل معه جميع خَراج ملك اليمن منَ الصّفراء والبيضاء والجواهر الغالية والطُّرَف والغِلْمان والجواري، وكان قد جعل[٨٣ب] في صنعاء الأمير نجم الدّين[٣] أحمد بن أبي زكريّا[٤]، وكان قد استناب على اليمن الأمير قليم، وكان فيه جَبروت المِصريّين، فصادر رجلاً من أصحاب الشّيخ والفقيه من أهل عُواجَة مصادرة شديدة، فأشار الشّيخ إلى ناحية قليم بإصبعه، وقال طعنته في أُنْثَيَيْهِ، فأصابه فيهما داء فمات منه. فاستناب المسعود على اليمن الأمير نور الدّين عمر بن عليّ بن رسول على اليمن كلِّهِ سهلِهِ ووَعْرِهِ وبَحْرِهِ وبَرِّهِ، فكان ذلك ما أراده الله تعالى وقدّره من إظهار كلمة الملك الرّسوليّ، وتمكين بسطته ونَشْر جناح عدله على الخَلْق ونَفاذ صولتِهِ وتَقْلِيص ظِلِّ الملك الأيّوبيّ، وزوال دولته.

فلمّا توفّي الملك المسعود في التّاريخ المذكور - كما [ذكرنا][٥] - تقدّم مملوكه الأمير حسام الدّين لُؤْلُؤ بمن كان معه من أولاد الملك المسعود إلى مصر.

---

(١) في (ج، د، هـ): «الرابع عشر»، والخبر ليس في مطبوع بهجة الزمن.

(٢) تهلّب: تُنتَف؛ يقال: هَلَب الفرسَ هَلْباً، وهَلَّبَه: نَتَفَ هُلْبَهُ؛ والهُلْب الشَّعرُ تَنْتِفه من الذَّنَب.

(٣) في (ج، د، هـ): «تميم الدين».

(٤) سيأتي مراراً «... بن زكريا» وكذا سيأتي مرة واحدة: «... بن زكري».

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

قال الجَنَدي[١]: ولم يكن للملك المسعود منَ الآثار إلّا تَجْديدُهُ لمدرسة المِيْلَين بزَبِيْد، ثمّ إنّه أخرب جامع الجَنَد، فأرسل الله عليه في يومٍ منَ الأيّام مطراً شديداً، وكان فيه بَرَدٌ عظيم، فاتَّخَمَ ولم يَنْحِم[٢]؛ فأنذر لله[٣] إنّه إنِ انْكشف عنه ذلك الأمر أن يَعْمُر المسجد. نكشف الله عنه ذلك، فأرسل بمالٍ إلى الشّيخ ظَهِير الدّين عليّ بن عمرو، وأمره أن يَعْمُر المسجد عِمارةً جيّدة، وأن يُزخرفَهُ ويُذَهِّبَهُ كما جرت بذلك [العادة][٤] في عمائر الملوك، وأمره أن يبني على بابه خلوةً ليكون إذا جاء سكنها، فلم يَعُد إلى اليمن بعد ذلك، بل اخْتَرمَتْهُ المَنيّة كما ذكرنا في تاريخه المذكور، والله أعلم.

(١) السّلوك: ٥٣٩/٢.
(٢) يقال: نَحَمَ ينْحَم ويَنْحِم: إذا استراح إلى شِبْه أَنينٍ يُخرِجه من صدره؛ اللسان: (ن ح م).
(٣) قوله: «فأنذر لله» كذا؟ وإنّما الفعل ثلاثيٌّ؛ يقال: نَذَر على نفسه لله كذا ينذِر وينذُر نَذْراً ونُذوراً؛ اللّسان: (ن ذ ر).
(٤) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (أ).

الفصل السّادس
في ذِكْر الدّولة الغرّاء الرّسوليّة الزّهراء
وذِكْر قيام السّلطان نور الدّين أبي الفتح عمر بن عليّ بن رسول الغَسّانيّ البَيْحَكيّ التُّرْكمانيّ

قال المصنّف أيّده الله: وكان اسمُ رسول محمّدَ بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رُسْتُم، وهو من ولد جَبَلَة بن الأيْهم بن جَبَلَة بن الحارث بن جَبَلَة[1] بن [الحارث بن][2] ثعلبة بن عمرو بن جَفْنة [بن عمرو][3] مُزَيْقِياء بن عامر ماء السّماء[4] بن حارثة الغِطْرِيف بن امرئ القيس البِطْريق بن ثعلبة البُهْلُول بن مازن قاتل الجوع - ويقال: زاد السّفر - بن الأَزْد بن الغَوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن [يَعْرُب ابن][5] قَحْطان[6].

وإنّما نُسبوا إلى التُّرْكمان؛ لأنّ أولاد جَبَلَة بن الأيْهم ومن انضمّ إليهم من غَسّان سكنوا بلاد التُّرْكمان مع قبيلةٍ منهم يُقال لها: بَيْحَك[7]، هي أشرف قبائل التُّرْكمان، فاختلطوا بهم وتكلّموا بلغتهم، وبَعُدوا عنِ العرب، وانقطعت أخبارهم عن أكثر النّاس، فكان من لا

(١) في (الأمّ): «... بن أبي جبلة» وهو خطأ.
(٢) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ).
(٣) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في (الأمّ).
(٤) في (الأمّ): «عامر بن ماء السّماء» وهو خطأ.
(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).
(٦) انظر نسب جبلة بن الأيهم في نسب معدّ واليمن: ٢/١٠٧، وجمهرة أنساب العرب: ٢٧٢.
(٧) في العقود (١/٢٧): «مَنْجِك».

يعرفهم حقيقةً ينسبهم إلى التُّركمان وهم مقيمون على أنسابهم هنالك، فلمّا خرج أهل هذا البيت إلى العراق ونسبهم مَن يعرفهم [١٨٤أ] إلى غَسّان، ونسبهم من لا يعرفهم إلى التُّركمان(١) وإلى بَيْحك وكانوا بيت شجاعةٍ ورياسة.

وكان محمّد بن هارون جليلَ القدر(٢) في أهل بيته عظيم الشّأن فيهم، له وَجاهة عندَ الملوك، فقرّبه الخليفة العبّاسيّ صاحبُ بغداد وأدناه منه واختصّ به، ورفع عنه الحِجاب، فكان الخليفةُ يرسلُهُ إلى من يحبّ منَ الملوك بما يريد منَ الأمور السِّرِّيّة على لسانه من غير كتاب، ويرجِع بالجواب على لسانه من غير كتاب ثقةً به؛ ولأنّ الكتب ربّما وقف عليها مَن يقف ولو بَعْد حين، فينشر ما يقف عليه، وقد يكون فيه ما يسوء الخليفة نشرُهُ.

فلمّا كان محمّد بن هارون المذكور بهذه المنزلة عرف بها، فانطلق(٣) عليه اسم رسول الخليفة، وخفي على كثيرٍ منَ النّاس اسمُهُ، فأقام مدّةً في العراق، ثمّ انتقل إلى مصر بأولاده واستوطنها.

قال صاحبُ (السّيرة المُظَفَّريّة): ولمّا استوسق المُلْك لبني أيّوب في الدّيار المِصريّة لم يزل معهم عصبةٌ من بني رسول، وذلك لعلمهم بتقدّم منصبهم في المُلْك وعُلُوّ همّتهم، وشدّة بَسالتهم، وثُبُوت رأيهم، فأجمع رأي بني أيّوب على أن يتركوا لهم اليمن، فقال ذو رأيهم: إذن يستقوون عليكم بها وينازعونكم في الشّام. فأجمع رأيهم على تَسْييرهم إلى اليمن صحبةَ الملك العزيز طُغْتِكِيْن بن أيّوب، فدخلوا اليمن معه فجعل الأمير شمس الدّين عليّ بن رسول أميرَ الجيش، وكان على طريقةٍ عظيمة منَ الدّين والصَّلاح وسلامة الصَّدْر، وكان للأمير شمس الدّين أربعة أولاد: أكبرهم الأمير بدر الدّين الحسن بن عليّ؛ والأمير شرف الدّين موسى بن عليّ، والأمير فخر الدّين أبو بكر بن عليّ، والأمير نور الدّين عمر بن عليّ وهو أصغرهم؛

(١) قوله: «وهم مقيمون ... إلى التركمان» ليس في (ج).

(٢) في (الأم): «جليل القدر فيهم في».

(٣) في (ب): «فأطلق».

وكانوا غايةً في الشّجاعة والرّياسة، والكرَم والجود، وكان[1] الأمير بدر الدّين الحسن بن عليّ شجاعاً مِقْداماً، لا يقوم له في الحرب عددٌ وإن كَثُر، وكان الأمير شرف الدّين شجاعاً كريماً شاعراً، فصيحاً، وهو القائل في أيّام الملك المسعود: (منَ الوافر)

نكُونُ حُماتَها ونَذُبُّ عَنْها ... ويَأْكُلُ فَضْلَها القَوْمُ اللِّئامُ

مَعاذَ اللهِ حَتّى نَنْتَضِيْها ... عَقَائِقَ في العَجاجِ لَهَا ابْتِسامُ[2]

فسمعها بعض الأمراء من عسكر الملك المسعود، فقال: خرجتِ اليمن من بني أيوب، وربِّ الكعبة.

وكان السّلطان نور الدّين مع شجاعته حَسَن السّياسة ثاقب الآراء عاقلاً وادعاً، وكان ذلك من أقوى الأسباب في اتّصاله بالملك، وكان من ولاية السّلطنة في اليمن على بِشارات وإِشارات.

فمِن ذلك[٨٤ب] ما رُوي عنه أنّه قال: أمسيت ليلةً منَ اللّيالي مهموماً لعارضٍ عَرَض، فلمّا أخذت مَضْجَعي ومضى نحوٌ من شَطْر اللّيل سمعت دويًّا في الهواء، فرفعت رأسي وإذا عِفْريت يهرب منَ الشّواظ[3] حتّى حطّ نفسه عندي وهو يلهث، فكأنّه مِعْصَرةٌ من عِظَمه، فقمت من مَضْجَعي فأخذت إِداوَةً فسكبتها في فِيْهِ، فلمّا اطمأنّ وزال روعُهُ قال: أَسْفِر وأَبْشِر، يا أبا الخطّاب، بالملك من عَدَن إلى عَيْذاب. ثمّ ذهب عنّي.

ويُروى: أنّ ثلاثة أقوام منَ الصّالحين وصلوا إليه، فقال له الأوّل: السّلام عليك يا أتابك. قال: فقلت: - الأتابِك أخي - وعليكم السّلام ورحمة الله وبركاته. فقال الثّاني: إنّك الأَتابِك وغير ذلك. فقلت: وما غير ذلك؟ قال: سلطان اليمن، وملوكُها من نَسْلك إلى آخر الزّمان.

---

(١) قوله: «نور الدين عمر ... والجود وكان» سقط في (د).

(٢) في (الأم، ب): «عفائق» ولا معنى له. وفي (أ): «عفان» وفي (ج): «عقائر» وما أثبت عن (د، هـ).

(٣) الشُّواظ والشِّواظ: اللّهب.

وكان الملك المسعود يحبُّهُ ويأنس به، ويميل إليه من بين إخوته، وكان يقلّده كثيراً من الأمور، ويثق به لعقله ورئاسته، ولا يطمئنّ إلى أحدٍ من إخوانه -وإن كان أصغرَهم- خوفاً منهم على البلاد؛ لِما يرى فيهم ويسمع.

ولمّا سافر الملك المسعود إلى الدّيار المِصريّة في سنة عشرين وستّ مئة استنابه في اليمن، فكان جيّد السِّيرة محبوباً عندَ النّاس، حافظاً للبلاد إلى أن رجع الملك المسعود إلى اليمن في أوّل سنة أربع وعشرين وستّ مئة؛ كما ذكرناه أوّلاً.

قال صاحبُ (السِّيرة المُظَفَّريّة): أخبرني الشّيخ الصّالح سليمان بن منصور بن جرينة قال: لمّا وصل الملك المسعود[1] من مِصر وعبر طريق خَبْت القُحْريّة، وكان على قارعة الطّريق شيخانِ من مشايخ الصُّوفيّة الصّالحين، أحدهما يسمّى المغيث والآخر الهذْش[2]؛ فقال أحدهما للآخر: هل ترى ما أرى؟ فقال له: وأيّ شيءٍ ترى؟ فقال: أرى شخصاً إن سار سار العسكر جميعُهُ وإن وقف وقف العسكر جميعُهُ. فقال: لعلّه الملك المسعود. فقال: لا، بل هو المنصور عمر بن عليّ بن رسول، والمُلْك في عَقِبه إلى آخر الدّهر.

قال: وسمعت الحكاية عينها من جدّي رحمه الله.

وحُكي أنّ رجلاً [كان][3] على جبل الموسم[4] -وهو جبلٌ صغيرٌ منفَرد في خَبْت العُسْلُقِيَّة من نواحي سَهام- وكان الرّجل هنالك يحرس شجر عُطْبٍ له هنالك، وقد أقبل الملك المسعود في عسكره وطَبْلَخانته فمرّ هنالك ليلاً، فلمّا سمع الرّجل لَجَب[5] الطَّبْلخانة وضَجِيج العسكر قعد متعجّباً، فسمع قائلاً يقول قريباً منه في الجبل:

---

(١) قوله: «إلى اليمن ... إلى الملك المسعود» سقط في (هـ).

(٢) في العقود (١/ ٤٥): «الهدس».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج).

(٤) في (ج، د): «المؤتم» وفي (هـ): «الوتم».

(٥) اللَّجَب: ارتفاع الأصوات واختلاطها.

أَقْبَلَ مِثْلَ السَّهْمِ يُزْجِيهِ الوَتَرْ[1]
لَيْسَ لَهُ مِنْ مُلْكِهِ غَيْرُ السَّفَرْ
هَيْهاتَ فِي الأَيَّامِ طَيَّاتٌ أُخَرْ[١٨٥أ]

قال: قصدتُ الموضع الّذي سمعت فيه الصّوت فلم أرَ أحداً، وكان قريباً منّي، فعلمت أنّه منَ الجنّ، وعلمت أنّ المُلْك منتقلٌ منَ المَلِك المسعود إلى غيره.

ويُروى: أنّ الشّيخ الصّالح المشهور محمّد بن أبي بكر الحَكَميّ رأى رايةَ الملك المسعود يوم وصوله من مِصر إلى اليمن، فقال: هذه آخر رايةٍ تدخل من مِصر إلى اليمن، فكان الأمرُ كما قال.

فلمّا كان سنة ستٍّ وعشرين وستّ مئة: تقدّم الملك المسعود إلى الدّيار المِصريّة، واستناب في اليمن مولانا السّلطان الملك المنصور، وجعل في صنعاء الأمير نجم الدّين أحمد بن زكريّا[2]، فلمّا وصل إلى مكّة المشرّفة توفّي في التّاريخ المتقدّم ذكره.

فلمّا بلغ عِلم موته إلى اليمن قام السّلطان نور الدّين باليمن قياماً كلّيًا وأضمر في نفسه الاستقلال بالمُلْك وأظهر أنّه نائبٌ للملك المسعود ولم يغيّر سِكَّةً ولا خطبة، وجعل يولّي في الحصون والمُدُن مَنْ يرتضيه ويثق به، ويعزل من يخشى منه خلافاً، وكلّ مَن ظهر منه عصيانٌ أو خلافٌ عَمِل في قَتْله أو أَسْره.

وكان السّلطان نور الدّين من أهل العزم والحزم جواداً كريماً سريع النّهضة، وكان محراباً لا يملّ الحرب، وكان[3] صاحب حلمٍ ودهاء، وكان يومئذٍ مقيماً في مدينة زَبِيْد، فاستولى على البلاد التِّهاميّة وقرّر قواعدها، وسار من محروسة زَبِيْد قاصداً تَعِزّ في شوّال من سنة ستٍّ وعشرين فحطّ على حصن تَعِزّ وحاصره حصاراً شديداً، وضيّق على أهله

(١) يُزجيه: يسوقه.
(٢) في (الأم): «زكري» وقد سلف على الصّواب وسيأتي.
(٣) قوله: «محراباً ... وكان» ليس في (د).

حتّى أجهدهم، حتّى قيل: إنهم ابتاعوا منَ الحِنْطة فقط[1] بثلاثين ألف دينار. وتسلَّم حصن التَّعْكَر في سنة سبع وعشرين، ثمّ تسلَّم حصن خَدِد، وتسلَّم صنعاء وأعمالها وأقطعها ابن أخيه الأمير أسد الدّين محمّد بن الحسن بن عليّ بن رسول.

وطلع الأمير نجم الدّين أحمد بن زكريّا حصن بَراش خائفاً منَ السّلطان نور الدّين.

وفي سنة ثمانٍ وعشرين: تسلَّم حصن حَبّ وبيت عِزّ، وحطّ على حصن تَعِزّ مرّةً ثانية فأخذه صُلْحاً على يدِ القاضي المكين -وهو رجلٌ من أهل مِصر كان صاحب الدّواوين في الدّولة المسعوديّة- وكان القاضي المكين رجلاً عاقلاً معروفاً بحُسْن السّياسة.

وفي هذه السّنة المذكورة: تزوّج ببنت جَوْزَة بنت الأمير سيف الدّين سُنْقُر الأتابك، وكان زِمامها الطّواشي نظام الدّين مُخْتَصّ، وكان مُخْتَصّ المذكور لبيباً عاقلاً كاملاً في خدمةِ الملوك.

ولمّا انتظم عَقْد النّكاح ولم يبقَ إلّا الدّخول استدعى بالطّواشي نظام الدّين مختصّ، وقال له: أيّ رأيٍ ترى، فإن هذه امرأة لا أعلم ما في ضميرها ولا ما هي مُنْطوية[٨٥ب] عليه من حسنٍ أو قبيح من خفيّات الأمور؟ فقال له الطّواشي: قد أدركت ما حرّست[2]، ولكنّي قد خبرت ما لم تخبر، فتقدّم وادخل عليها على اسم الله.

فلمّا دخل عليها لم يرَ إلّا خيراً، ورأى منَ القَبول والإقبال ما لم يكن في ظنّه، ثمّ طلع إلى صنعاء وأمر بالمحطّة على بَراش وفيه الأمير نجم الدّين أحمد بن زكريّا، وذلك في شهر رمضان منَ السّنة المذكورة.

وفي خلال ذلك وصل إليه الأشراف إلى حصن ذَمَرْمَر وهم: الأمير عماد الدّين يحيى بن حمزة وأولاده[3]، والأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام وجميع إخوانه، ووهّاس بن أبي قاسم؛

---

(١) ثمة كلمة غير معجمة في (الأمّ) وليست في بقيّة النّسخ. ولعلها وزن.

(٢) حرّست: يقال تحرّستُ من فلان واحترست منه بمعنًى: أي تحفّظت منه.

(٣) في (أ): «حمزة وإخوته وأولاده».

فتحالفوا وتعاضدوا وعقدوا صلحاً على ما بينهم، فتمّ على أحسن الوجوه، ولم يجرِ بينهم خُلف ولا حرب إلى أيّام الإمام أحمد بن الحسين سنة ستٍّ وأربعين وستّ مئة إلّا مرّةً واحدة، وسأذكر سبب ذلك في موضعه منَ الكتاب إن شاء الله تعالى.

ووصلهم السّلطان[1] نور الدّين بمالٍ جزيل وخُلَع سنيّة، وأقرّهم على بلادهم جميعِها، فلمّا افترقوا على الصُّلح والسّداد اضطرب الأمير نجم الدّين أحمد بن زكريّا وعلم حينئذٍ أنّ أسبابه انقطعت، فراسل السّلطان نور الدّين ونزل من حصن بَراش إلى أن لقيه وترجّل بين يديه وحَمل الغاشية[2]؛ فخلع عليه خُلَعاً سنيّة، وأنعم عليه إنعاماً جزيلاً، وعقد له بكريمته، ونزل صحبته إلى اليمن، ونزل صحبته أيضاً الأمير أسد الدّين محمّد بن الحسن بن عليّ بن رسول، فلمّا استقرّ السّلطان في دار ملكه رجع أسد الدّين إلى صنعاء.

وفي سنة تسعٍ وعشرين: طلع السّلطان نور الدّين إلى صنعاء مرّة ثانية، وتسلَّم حصن بُكُر وكوكبان وحصن بَراش، وبعث إلى مكّة المشرّفة أميراً يُقال له: ابن عَبْدان مع الشّريف راجح بن قَتادة، وبعث معهما خزانةً كبيرة، وهو أوّل جيشٍ جهّزه إلى الحجاز، فنزلوا الأَبْطَح وحاصروا الأمير الّذي فيها من قبل الملك الكامل، يسمّى الدَّغْدَكِينيّ، وكان معه مئتَا فارس، فأنفق الدَّغْدَكِينيّ على أهل مكّة نفقةً جيّدة وحلّفهم وتوثّق منهم. فراسلهم الشّريف راجح بن قَتادة، وذكّرهم بإحسان السّلطان نور الدّين إليهم أيّام كان أميراً من قبل الملك المسعود.

وكانت ولاية السّلطان نور الدّين في مكّة سنة سبع[3] عشرة وستّ مئة.

وفي سنة سبع[4] عشرة المذكورة: كانت ولادة السّلطان الملك المُظَفَّر بمكّة المشرّفة،

---

(١) في (الأمّ): «الإمام» وهو خطأ.

(٢) الغاشية: يريد غاشية السّرج، وهي غِطاؤه.

(٣) في (أ، ج، د): «تسع».

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «تسع».

فلمّا راسلهم الشّريف راجح بن قَتادة مال رؤساؤهم إلى جيش المنصور فأحسّ بذلك [١٨٦]
الدَّغْدَكِينيّ، فخاف على نفسه فخرج هارباً هو ومن معه إلى يَنْبُع، وكان في يَنْبُع رتبةٌ للملك الكامل وزَرْدخانة وغَلّة، فأقاموا هنالك وأرسلوا إلى الملك [الكامل][١] رُسُلاً إلى مصر وعرّفوه بوصول العسكر منَ اليمن، وما كان من أهل مكّة، فجهّز الملك الكامل عسكراً كثيفاً، وقدّم عليهم فخر الدّين بن شيخ الشّيوخ، وأرسل إلى الشّريف شِيْحَة أمير المدينة، وإلى الشّريف أبي أسعد أن يكونا معه، وكانا في خدمة الملك الكامل، فوصلوا إلى مكّة وحاصروا ابن عَبْدان والشّريف راجح وقاتلوهما، فقُتِل ابن عَبْدان وانكسر أهل مكّة؛ وقتل من أهل مكّة مقتلة عظيمة؛ وأظهر حقدَهُ[٢] عليهم، ونهب مكّة ثلاثة أيّام، وأخاف أهلها خوفاً شديداً.

فلمّا علم الملك الكامل بما فعل غضب عليه وعزلَهُ واستدعاه إلى مِصر وأرسل بدله أميراً يُقال له: ابن مَحَلّي، فوصل مكّة في سنة ثلاثين.

وفي سنة ثلاثين وستّ مئة: تسلّم السّلطان نور الدّين بلاد علوان الجَحْدريّ وحصونه، وبلاد الهرش[٣] بن الرّياحي[٤] وحصونه.

وفي هذه السّنة المذكورة: أمر بضرب السِّكّة على اسمه، وأمر الخطباء أن يخطبوا له، فخطبوا في سائر أقطار اليمن.

وفي سنة إحدى وثلاثين: جهّز الملك المنصور خزانةً عظيمةً وعسكراً جرّاراً إلى مكّة إلى الشّريف راجح بن قتادة، وأخرج العسكر المِصريّ من مكّة وأرسل بهديّةٍ كبيرة إلى الخليفة ببَغْداد، وكان الخليفة يومئذٍ المستنصر بن الظّاهر، وهو والد المستعصم[٥] بالله، وطلب منه

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (د).

(٢) في (الأمّ، ب): «عقده» ولا معنى له، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٣) في (الأمّ، ب): «الهرس» وما أثبت عن (أ، د، هـ)، وفي (ج): «الهدش».

(٤) في (أ): «الرباحي».

(٥) في (أ، ج، د): «المعتصم».

تشريف السّلطنة والنِّيابة كما جرتِ العادة منَ الملوك، فعاد الجواب بأنّ التّشريف يصلك إلى عرَفة، فخرج منَ اليمن يريد الحَجّ على النُّجُب، فحَجّ حِجّةَ هنيّة، وهرب منه الشّريف راجح بن قتادة ولم يحجّ معه، فضاق صدره، فلمّا قضى نُسُكَهُ ورجع إلى اليمن رجع الشّريف راجح بن قتادة إلى مكّة ولم يكن معه عسكر، فأرسل الخليفة بالنِّيابة والتّشريف إليه صحبة حاجّ العراق، فخرج حاجُّ العراق إلى الطّريق إلى نصف الطّريق فقطعتِ العرب عليهم الطّريقَ ودفنوا عليهم المناهلَ، فاعتاق الحاجّ في الطّريق إلى أن فاتهم الحجّ، ورجعوا إلى بغداد ولم يصل منهم أحدٌ ذلك العام.

وفي سنة اثنتين وثلاثين: وصلت كسوةُ الكعبة من بَغْداد ومعها رسولٌ إلى السّلطان نور الدّين، فعلّق الكسوة ودخل اليمن، وأعلم السّلطان نور الدّين أنّ الكسوة والنِّيابة تصله في البحر على طريق البصرة، فوصلتِ النِّيابة والتّشريف في السَّنة المذكورة.

وفي هذه السّنة: أرسل السّلطان نور الدّين بقناديل إلى الكعبة من ذَهَبٍ وفِضّة، وأرسل بخزانةٍ كبيرة على يَدِ ابن النُّصَيريّ إلى الشّريف راجح بن قتادة، وأمره باستخدام الخَيل والرَّجْل، وأعلمه أنّ عسكراً واصلاً من مصر إلى مكة.

فلمّا دخل ابن النُّصَيريّ مكّة وعلّق القناديل، وصل العسكر المِصريّ إلى مكّة قبل أن يستخدم الشّريف أحداً، فخرج الشّريف راجح وابن النُّصَيريّ[٨٦ب] إلى اليمن، وكان العسكر المِصريّ خمس مئة فارس فيه خمسة أمراء يُقال لأحدهم: وجه السّبع، والثّاني: البُنْدقيّ، والثّالث: ابن أبي زكريّا[١]، والرّابع: ابن بُرْطاس، والخامس هو المقدّم الكبير أميرٌ يُقال له: جفريل، فدخلوا مكّة وأقاموا بها.

فلمّا كان سنة ثلاث وثلاثين: جهّز لهم السّلطان نور الدّين عسكراً منَ اليمن، وقدّم عليهم الأميرَ شهاب الدّين ابن عَبْدان، وبعث بخزانةٍ إلى الشّريف راجح بن قتادة وأمره أن يستخدم العسكر، ففعل.

---

[١] في (الأم): «زكري» وقد سلف على الصّواب وسيأتي.

فلمّا صاروا قريباً من مكّة خرج إليهم العسكر المِصريّ فالتقوا في موضعٍ يُقال له: الحَرِيقَين[١] بين مكّة والسَّرَّين، فانهزمتِ العرب، وأُسِر الأمير الشّهاب ابن عَبْدان، فقيّده الأمير جفريل وأرسله إلى مصر.

وفي سنة أربع وثلاثين: تسلّم السّلطان نور الدّين حصون حَجّة والمِخْلافة[٢] ومِخلافيها، وكان سبب ذلك لمّا وصل الأمير تاج الدّين محمّد بن الأمير عماد الدّين يحيى بن حمزة إلى السّلطان نور الدّين فأكرمه وأنصفه وأقطعه المَحالِب طلع إلى بلاده مسروراً فسوّلت له نفسه الخبيثة أَخْذ كوكبان، ولقد باع غالياً برخيص، فعامل فيه ودخل أصحابه، ولم يبق من أمره شيء.

وكان في الحصن رتبةٌ جيّدة منَ الخيل والرَّجْل، ومن عادتهم في كوكبان أن يتركوا عشراً منَ الخيل لابسةً، وخمسين رجلاً بسلاحهم على الاستمرار.

فلمّا طلع أصحاب الشّريف الحصن خرجت عليهم تلك الخيل ومن معها من الرَّجْل فقتلوا منهم جماعةً وطرح أكثرهم نفسه إلى الحَيْد[٣] تَرَدِّياً، وقد كان الأمير يحيى بن حمزة عمر حصن مَنابر، وهو في بلاد السّلطان مما يلي تِهامة.

فلمّا علم السّلطان بما فعل الشّريف يحيى بن حمزة وولده غضب من ذلك غضباً شديداً، وكان معه يومئذٍ الأمير محمّد بن حاتم العبّاسيّ صاحب حصن عَزّان المَصانع، وكان عزيزاً كريماً عنده، فلمّا رأى اهتمام السّلطان بأَخْذ مَنابر، قال للسّلطان: أنا أعطيك حصن عَزّان، وأنا أعلم أنّ الشّريف يحيى بن حمزة يرغب إليه ويسلِّم حصن مَنابر. قال السّلطان: وأنا أزيدُهُ

---

(١) الحريقين: كذا، وورد بلا إعجام؛ وقد ذكر الشّيخ حمد الجاسر أن ثمّة موضعاً يدعى: الحَريق؛ الأمكنة والمياه والجبال: ١/٤٢٩.

(٢) في (الأمّ، ب): «حجّة المخلاف» وما أثبت وهو الصواب سيأتي مرّتين، وهو كذلك في (ج) وفي (أ): «المِخلافة» وفي (د): «والمِخلافة ومِخلافها» وفي (هـ): «والمِخلافة ومَخالِيفها».

(٣) الحَيْد: الجبل، وقيل: حرفٌ شاخصٌ يخرج منَ الجبل.

عشرة آلاف دينار. فأرسل السّلطان وزيره[1] وهو الشّيخ ناجي بن أسعد- إلى الشّريف يحيى بن حمزة، وعرض عليه ذلك، فلم يقبل، وقال: قد صرتُ شريكاً لكم في المَهْجَم، فعاد الوزير بغير شيء، فغضب السّلطان نور الدّين وازداد غضباً، وكتب إلى الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة متمثِّلاً بقول الشّاعر: (منَ الطّويل)

إذا لم يَكُنْ إلّا الأَسِنَّةُ مَرْكِزاً   فلا رَأْيَ لِلْمُضْطَرِّ إلّا رُكُوبُها[2]

وكان الأمير شمس الدّين مُتَغيِّر الخاطر على عمّه الأمير عماد الدّين في نقضه الذِّمَم والصّلح الّذي جرى في ذَمَرْمَر بين السّلطان نور الدّين وبين الأشراف، ولم يمكنه التَّخلِّي عن عمّه، فخرج السّلطان من محروسة زَبِيْد، وقدم أمامه[١٨٧] الأمير نجم الدّين أحمد بن زكريّا[3]، ولقيه المشايخ بنو بطين وغيرهم.

واستخدم العساكر وأنفق الخزائن وأتلف الأموال، وكانتِ الأكياس تصبّ بين يديه كما تصبّ أَعْدال الطّعام، وسار نحو حَجَّة والمِخْلافة في ستّين ألف رجّال، واستولى على حَجَّة والمِخْلافة وحصونها في يومٍ واحد اتّفاقاً، لا يتفقّ لأحدٍ قبله ولا بعده. وأنتجت هذه الفَعْلات على الأمير يحيى بن حمزة أَخْذ منابر والحصون، وحصون جُبَع جميعها والمِخْلافة وحصونها ولاعَتَين وحصونها، وكان ابنه الأمير تاج الدّين محمّد بن يحيى بن حمزة في حصن الجاهليّ بحَجَّة مقابلاً للأمير نجم الدّين أحمد بن زكريّا[4]، فخاف على نفسه لمّا تفاقم الأمر، فباع حصون حَجَّة[5] جميعها[6] بقيمةٍ هيّنة، ثمّ أخذ السّلطان نور الدّين جميع ما قد كان

---

(١) بعده في (أ): «وهو الشيخ ناجي وهو جد بني ناجي أهل المخادر والسحول وهو الشيخ ...».

(٢) في بقيّة النّسخ ما عدا (أ): «... الأسنة مركباً».

(٣) في (الأم): «زكري» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٤) في (الأم): «زكري» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٥) في (ج، د، هـ): «حصون المِخْلافة».

(٦) في (الأم): «وجميعها».

صالحهم عليه منَ البلاد العُلْيا، وهي البَوْن والأَحْشاد والخَشَب والخارِد[١] ومَطِرَة.

ولمّا رجع السّلطان نور الدّين من غزوته مُظَفَّراً منصوراً وصل إليه الأمير فخر الدّين جعفر بن أبي هاشم[٢]، والشّيخ حسام الدّين حاتم بن عليّ الجَنَد من جهة الأشراف وأصلحوه على البلاد الّتي قد كان استحقّها[٣] لا معارضَ له فيها، وعاد إلى تِهامة.

وقد كان السّلطان نور الدّين عند مسيره إلى حَجَّة والمِخْلافة أمر الأمير أسد الدّين بالخروج لِمَنْع الأمير شمس الدّين ابن الإمام إن أراد نصر عمّيه، فخرج أسد الدّين فحطّ بالجَنّات[٤]، وكان شمس الدّين بالطَّرف، فكان بينهما يوم قارِن[٥]، وهو منَ الأيّام العظام.

ولمّا رجع السّلطان نور الدّين من حَجّة قال الأديب جمال الدّين محمّد بن حِمْير يهنّئه بالنّصر: (منَ البسيط)

هُنّئتَ بِالنَّصْرِ لَمّا جِئْتَ في لَجِبٍ ... مُظَلَّلاً بالرُّدَيْنِيّاتِ والقُضُبِ
ومَرْحَباً بِالرَّسُوليِّ المُلُوكُ وإِنْ ... غابَ السِّماكانِ والجَوْزا فلا تَغِبِ
غَزَوْتَ مَبْيَنَ إِذْ هاجَتْ شَقاشِقُها ... وفي الدُّبَيْنيِّ أَلْفافٌ مِنَ العَرَبِ[٦]
فَاليَومَ قِلْحاحُ لا يَرْغُو لها جَمَلٌ ... والذِّئْبُ لو نَطَحَتْهُ الشّاةُ لم يَثِبِ

وهي قصيدةٌ طويلة، ثمّ إنّ الأمير عماد الدّين يحيى بن حمزة وأولاده اعترفوا بالخطأ،

---

(١) في (الأمّ، أ، ب، هـ): «والحارد» وفي (ج، د): «والحاردة»، وإنّما هو «الخارد»؛ انظر صفة جزيرة العرب: ١٠٩-١١٠.

(٢) في (د): «جعفر بن هاشم».

(٣) في (ج، د، هـ): «استفتحها».

(٤) في (الأمّ) من دون إعجام، وما أثبت عن صفة جزيرة العرب: ١١١.

(٥) في (الأمّ، أ، ب، هـ): «قادن»، وما أثبت عن (ج، د)، وهو كذلك بصفة جزيرة العرب: ١١٢.

(٦) في العقود (١/ ٦٠): «الرُّتينيّ»، وفي (أ، ب): «آلاف» ومثله في (الأمّ) غير أنّه كتب فوقه: «ألفاف» وفي (د): «... شقاقتها».

واعتذروا إلى السّلطان نور الدّين فأعاد عليهم حَجّة والمِخْلافة وحصونهما؛ وهكذا تكون الملوك: تأخذ قَهْراً ويعيدون عَفْواً.

وفي سنة خمسٍ وثلاثين: خرج السّلطان بنفسه قاصداً مكّة المشرّفة في ألف فارس، وأطلق لكلّ جنديٍّ يصل إليه من مِصْر[1] - المقيمين في مكّة - ألف دينار وحصاناً وكسوةً، فمال إليه كثيرٌ منهم.

ثمّ أمر الشّريف راجح بن قَتادة فواجهه في أثناء[٨٧ب] الطّريق فحمل إليه النّقّارات والكُوسات[2] واستخدم من أصحابه ثلاث مئة فارس، وكان يُسايره على السّاحل، ثمّ تقدّم إلى مكّة، فلمّا تحقّق الأسد جفريل خروج الملك المنصور بنفسه، وأَتَتْهُ عيونُهُ بصحّة ذلك، وقاربه الشّريف راجح بن قتادة= أخرج ما كان معه منَ الحَوائج والفَرْشخانة[3] والأثْقال، وتقدّم يريد ديار مِصْر.

وكان السّلطان يومئذٍ في السّرّين، فلم يشعر حتّى وافاهُ نَجابٌ[4] منَ الشّريف راجح ومعه كتابٌ منَ الشّريف راجح يحقّق له في الكتاب هزيمة الأسد جفريل ومسيره إلى مصر على أقبح الأحوال، فقال النّجاب: البشارة يا مولانا السّلطان بهزيمة الأسد جفريل. فقال السّلطان للنَّجاب: من أين خرجت؟ قال: من مكّة وقت العصر فاستبعد السّلطان ذلك، وقال: ما أمارة ذلك؟ قال: هذا كتاب الشّريف، فعجب السّلطان من هذا السّير العظيم، وأمر السّلطان على الأمراء والمماليك الّذين عنده أن يرموا على البشير ما عليهم، فألقوا

(١) في العقود اللؤلؤيّة (١/ ٦١): «من أهل مصر المقيمين».
(٢) في (الأم): «اليافوات والكسوات» وفي (أ): «الناقرات والكوسات» وفي (هـ): «النقارات واللوسات» وما أثبت عن (ج، د). والنّقّارات: جمع النّقارة، وهي من الطّبول العسكريّة الّتي تدقّ في أثناء المعارك. والكوسات: جمع الكوس، وهو الطّبل؛ انظر نور المعارف: ١٠٦
(٣) الفَرْشخانة: بيت الفرش، يريد أخرج ما في البيت من الفرش وغيرها.
(٤) النَّجاب: أحد عساكر الرّتب التّابعين لديوان الجيش، ومهمتهم تنحصر في نقل الرّسائل والهدايا وبعض الاحتياجات الأخرى في إطار الدولة وخارجها؛ كذا ورد في نور المعارف: ١/ ٧٢.

عليه من ذلك ما أثقلَهُ، وسار السّلطان إلى مكّة، فدخلها معتمراً وكان دخولُهُ في رجب منَ السّنة المذكورة.

قال صاحب (العقد[١]): أخبرني من أثق به أن السّلطان نور الدّين دخل مكّة معتمراً ثماني سنين، وكان ذلك في أيّام الحجّ.

ولمّا وصل الأمير جفريل إلى مدينة الرّسول ﷺ واجهه خبر وفاة السّلطان الملك الكامل[٢]، فندم مَن كان معه منَ الجُنْد الّذين لم يميلوا إلى السّلطان نور الدّين، وكان الأمير جفريل أشجع أمراء مصر في وقته ذلك، وفي هذه الوقعة يقول الأديب جمال الدّين محمّد بن حِمْير: (منَ البسيط)

ما ضَرَّ جِيْرانَ نَجْدٍ حَيْثُما بَعُدُوا ... لو أَنَّهُمْ وَجَدُوا في مِثْلِ ما أَجِدُ[٣]
ومَنْ أَباحَ لأَهْلِ الدِّمْنَتَيْنِ دَمي ... ما فِيْهِ لا دِيَةٌ مِنْهُمْ ولا قَوَدُ[٤]
قُلْ لِلْقصائِدِ: حُثّي وازْمُلي وخِدي، ... مِثْلَ النَّجائِبِ في القَفْرِ الّذي تَخِدُ[٥]
قُصّي الحَدِيْثَ عَنِ المَنْصُورِ ما فَعَلَتْ ... جُنُودُهُ وعَنِ القَومِ الّذي حَشَدُوا
لَقِيْتَهُمْ بِجُنُودٍ لا عَدِيْدَ لَها ... وهُمْ كَذاكَ جُنُودٌ ما لَهُمْ عَدَدُ[٦]
فَزَلْزَلَ الرُّعْبُ أَيْدِيْهِمْ وأَرْجُلَهُمْ ... حَتّى السَّماءُ رَأَوْها غَيْرَ ما عَهِدُوا
وَلّوا وكانَ الّذي يَلْقَى بِهِمْ أَسَداً ... فَصارَ ثَعْلَبَ قَفْرٍ ذلِكَ الأَسَدُ

---

(١) في (ج): «العقد الثمين». وورد آخر الخبر في العقود اللؤلؤيّة (١/ ٦٢): «وكان ذلك في غير أيّام الحجّ».

(٢) قوله: «واجهه خبر ... الكامل» ليس في (ب).

(٣) في (أ): «وجدوا لي مثل ما أجد» وفي (ج، د، هـ): «وجدوا مثل الذي أجد».

(٤) في (أ، ج، د): «...الذنبتين».

(٥) في (أ): «قل للفصائل ...» وفي (ج، د): «هل للقصائد».

(٦) في (الأمّ) أيضاً: «كذاك جند ...».

وَمَنْ يَلُومُ أَمِيْراً فَرَّ مِنْ مَلِكٍ ... لا ذا كذاكَ ولا كالخِنْصِرِ العَضُدُ[1]

ولمّا دخل السّلطان نور الدّين مكّة في هذه السّنة المذكورة أنفق وتصدّق بأموالٍ جزيلة، وجعل رتبَتَهُ في مكّة مئةً وخمسين فارساً، وجعل عليهم ابنَ الوليدي[2] وابن التِّعِزِّيّ فأقاموا في مسجد مكّة سنة ستٍّ وثلاثين. وفي سنة سبعٍ وثلاثين[١٨٨أ] نزل عليهم الأمير شِيْحَة صاحب المدينة في ألف فارسٍ فخرجوا عنه وأَخْلوا له مكّة.

وفي هذه السّنة: تسلّم السّلطان نور الدّين حصن الكُمَيم، وطلع صنعاء فأتاه خبر قتل الأمير نجم الدّين أحمد بن زكريّا[3] وأتاه الخبر بهزيمة أهل مكّة.

قال صاحب (العقد): حدّثني مَن أثق به عمَّن شاهد الحال، قال: ما رأيت أَرْبَطَ جأشاً ولا أَطْلَقَ وجهاً منَ السّلطان نور الدّين، وقد أقبل عليه العسكران مقتولين مهزومين، فلم يَتَلَعْثَم، ولم يتوقّف عن جَبْرِ[4] كسرهم وإصلاح أمورهم بالخيل والعدد والملابس والنّفقات حتّى عادوا أحسن حالاً، وأجمل قِشْرة[5] ممّا كانوا عليه.

ثمّ إنّ السّلطان نور الدّين، رحمة الله عليه، جهّز ابن النُّصيريّ والشّريف راجح بن قَتادة إلى مكّة في عسكرٍ جرّار، فلمّا سمع بهم الشّريف شِيْحَة وأصحابه خرجوا من مكّة هاربين فتقدّم شِيْحَة إلى مصر، وكان سلطانُها يومئذٍ الملك الصّالح نجم الدّين بن أيّوب بن الملك الكامل، فجهّز معه عسكراً وفيهم علم الدّين الكبير، وعلم الدّين الصّغير فوصلوا مكّة في سنة ثمانٍ وثلاثين فأخذوها، وحجّوا بالنّاس.

وفي سنة تسعٍ وثلاثين: استولى السّلطان نور الدّين على يُمَين ومُنِيف والسّواء[6] بعد

---

(١) في (ج، د): «ومن يلوم امرأ...».

(٢) في (ج، د، هـ): «ابن الوليد».

(٣) في (الأم): «زكري» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٤) في (الأم): «خبر» والصواب عن بقيّة النّسخ.

(٥) في (ج، د): «مسرة».

(٦) في (الأم، ب): «الشوا» بالشين المعجمة، وما أثبت عن بقيّة النّسخ؛ وانظر معجم البلدان: ٣/ ٢٧٠.

أن قتل عمّار بن الشّيبانيّ، وكان مطيعاً، متمنّعاً على حصونه، فوفد إليه الأديب جمال الدّين محمّد بن حِمْير الشّاعر المشهور، فأقام على باب داره ساعةً من نهار ولم يأذن له، فكتب إليه رقعةً يقول فيها: (منَ البسيط)

بالبابِ، أَصْلَحَكَ اللهُ، امْرُؤٌ لَسِنٌ ... أَمَضَّهُ السَّيْرُ والإِدْلاجُ والسَّهَرُ[1]

وافَى إلى أَرْضِ خولانٍ فصادَفَها ... مِثْلَ القَتادَةِ لا ظِلٌّ ولا ثَمَرُ

فلمّا وقف على البيتين المذكورين وقّع على كتابه:

بل:

مِثْلَ الغَمامَةِ فِيْها الظِّلُّ والمَطَرُ

ثمّ أَذِن له فأكرمه وأنصفه، فأقام عنده أيّاماً ثمّ انصرف عنه، فلقيه جماعةٌ من عبيده فنهبوه فاتّهم عماراً أنّه أمرهم بذلك، فقدم على السّلطان نور الدّين، فأنشده في مجلس الشّراب: (منَ البسيط)

ما شاقَ قَلْبِيَ أَحْداجٌ وأَكْوارُ ... ولا شَجَتْنِيَ أَعْلامٌ وآثارُ[2]

سُرِرْتُ بِاليَمَنِ الخَضْراءِ حِيْنَ صَفَتْ ... لابْنِ الرَّسُولِ فَما في تِلْكَ أَكْدارُ

وكانَ فِيْها عَضارِيْطٌ زَعانِفَةٌ ... فَما بَقِي مِنْ بَني البَظْراءِ دَيّارُ

لكِنْ بَقِي فَرْدُ ثُؤْلُولٍ يُعابُ بِهِ ... والنّارُ تَسْهُلُ مَرْكُوباً ولا العارُ[3]

إِنْ قُلْتُ: ما ثَمَّ سُلْطانٌ سِوَى عُمَرٍ ... قالُوا: بَلى، قَدْ بَقِي السُّلْطانُ عَمّارُ

أَوْ قُلْتُ: لا قَصْرَ إلّا قَصْرُ دُمْلُوَةٍ ... قالُوا: بِرأسِ يُمَيْنَ القَصْرُ والدّارُ[4] [٨٨ب]

---

(١) في (ج، د، هـ): «... والسفر».

(٢) في (د): «ما شاق قلبي أجراح ..».

(٣) في (الأم، ب): «معاب به» وما أثبت عن (أ، هـ) وفي (ج): «لكن فرد ثؤلول يعاث به والنهار يسهل ...» وفي (د): «ثؤلول يعاث».

(٤) في (الأم، ب، ج، هـ): «... براش يمين ...»، وما أُثبت، وهو الصّواب، عن (أ).

أَوْ قُلْتُ ما أَحْسَنَ المِعْشارَ مِنْ جُؤَةٍ   قالُوا: ولَيْسَ إلى ذُبْحانَ مِعْشارُ[١]
نَخُذْ يُمَيْناً ولا تَقْبَلْ مَعاذِرَهُ   فَالكَلْبُ حَيْثُ خَلا في العَظْمِ جَبّارُ[٢]

فأمر السّلطان نور الدّين حينئذٍ بابن الشّيبانيّ فجُعِل في سَلّةٍ ثمّ أُلقي من رأس الحصن، قالوا: ولم يكن ذلك بسبب ابن حِمْير، بل كان في قلبه منه شيءٌ كثير.

وفي هذه السّنة المذكورة: جهّز السّلطان نور الدّين جيشاً كثيفاً إلى مكّة المشرّفة مع الشّريف عليّ بن قَتادة، فلمّا علم العسكر الّذين في مكّة من قبل صاحب مِصر طلبوا من صاحب مِصر نَجْدةً فوصل إليهم مبارز الدّين عليّ بن الحسين بن بُرْطاس وابن التُّرْكمانيّ ومعهم مئةٌ وخمسون فارساً.

فلمّا علم الشّريف عليّ بن قَتادة بوصولهم أقام بالسَّرَّين، وأرسل إلى السّلطان نور الدّين يُعرّفه الحال، فتجهّز السّلطان نور الدّين بنفسه إلى مكّة، فلمّا علم أهل مصر بوصوله ولّوا هاربين وأحرقوا دار المملكة وما فيها من عدّة وسلاح، ودخل السّلطان نور الدّين مكّة وصام رمضان بها، ووصله الأمير مبارز الدّين [عليّ بن][٣] الحسين بن بُرْطاس في عدّةٍ من [بني عمّه][٤] وأصحابه راغبين في خدمته، فأنعم عليهم السّلطان جميعاً.

وأرسل السّلطان نور الدّين إلى الشّريف أبي أسعد[٥] صاحب يَنْبُع، فلمّا أتاه أكرمه وأنعم عليه واستخدمه واشترى منه يَنْبُع وأمر بخرابها حتّى لا تبقى قَراراً للمِصْريّين، وأبطل السّلطان نور الدّين المُكُوسات والجِبايات والمَظالم، وكتب بذلك مربعة[٦] وجُعِلَت

---

(١) في (ج): «... بيحان ..» وفي (د، هـ): «.. أليس ...».
(٢) في (د): «فالكلب حيث ما ...» مختل الوزن.
(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (أ)، وقد مر اسمه: الحسين بن علي بن برطاس.
(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).
(٥) في جميع النّسخ: «أبي أسعد»، وفي العقد الثّمين (٤/ ١٦٠): «أبو سعد» وساق له ترجمة، فقال: «الحسن بن عليّ قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني المكّي، أبو سعد».
(٦) في (ج): «رقعة».

قُبالة الحَجَر الأسود، ورتّب في مكّة الأمير فخر الدّين إياس[1] السّلاح وابن فَيروز، وجعل الشّريف أبا أسعد بالوادي.

وفي سنة أربعين وستّ مئة: توجّه السّلطان نور الدّين من مكّة إلى اليمن. وفيها مات الخليفة المستنصر بالله وتولّى الخلافةَ بعده ولدُهُ المستعصم بالله أبو أحمد، ووصل حُجّاج العراق إلى مكّة، وكان قدِ انقطع حاجّ العِراق عن مكّة تسع سنين لم يحجّ فيها أحدٌ منَ العراق من سنة اثنتين وثلاثين إلى سنة أربعين.

فلمّا وصل أمير حاجّ العراق إلى مكّة كسا الكعبة ونَثَرَ عليها بالذّهب والفِضّة وتصدّق بصدقةٍ كثيرة في مكّة.

وفي سنة إحدى وأربعين: عُمّرَتِ المدرسةُ المنصوريّة على يدِ الأمير فخر الدّين السّلاح، وعُمّر رباط الشّرابي على يدِ خادمٍ يُقال له: الشّهابيّ؛ وحجّ في تلك السّنة والدةُ الخليفة المستعصم بالله، ومعها أميرُ الحاجّ الدُّوَيْدار، فجهّز لهم السّلطان نور الدّين هديّةً عظيمة، وأمر السّلاح بخدمتهم وإقامة حرمتهم، ففعل ذلك، وكانت سنةً كثيرةَ الصّدقات والخُلَع على الأمراء وأهل الدّولة المقيمين[١٨٩] بمكّة، وأقام السّلاح في مكّة أميراً سبع سنين، لم يُرَ أكثر منها خيراً، وكسبت أهل مكّة الأملاك وعمروا القصور، وحلّوا نساءهم بالذّهب والفضّة، وتَظاهروا بالنِّعَم.

وكان السّلطان نور الدّين يرسل كلّ سنةٍ بصدقةٍ عظيمة منَ اليمن إلى مكّة على يدِ خيلخان يَصِلُ بها كلَّ مَن كان في مكّة منَ المجاورين ومن أهل مكّة.

وكان الملك المُظَفَّر في أيّام والده يُتاجر بالطّعام إلى مكّة على يدِ المجد بن أبي القاسم، وكان هذا من فعله يقع موقعاً عظيماً عند أهل مكّة يرونه أعظم مِن موقع الصّدقة، وبلغ الطّعامُ عندهم - بسبب هذا المتجر - كلّ ستّة أَمْدادٍ بدينار.

---

(١) في (ب): «ابن إياس».

وفي هذه السّنة المذكورة: تسلّم السّلطان نور الدّين حصن حُفاش، وهو من مَعاقل اليمن المذكورة في الجاهليّة والإسلام.

وفي سنة اثنتين وأربعين: تسلّم السّلطان نور الدّين حصن سَماوة وبلد خولان، وفي ذلك يقول التّاج بن العطّار: (من الخفيف)

ما سما الدُّنْيا على ابْنِ عَلِيٍّ ببَعِيْدٍ، فَكَيْفَ حِصْنُ سَماوَهْ؟!
مَلِكٌ يَوْمُهُ لِفَتْحٍ مُبِيْنٍ في الأَعادي، ولَيْلُهُ لِلتِّلاوَهْ(١)

وكان ابن العطّار شاعرَهُ، وهو من أهل مِصر.

واستولى السّلطان نور الدّين على بلاد علوان الجَحْدريّ، وطرده إلى بلاد خولان الشّاميّة، واستولى على جميع اليمن الأعلى والأسفل ما خلا ذَمَرْمَر، وبيت أَرْدَم(٢) وثُلا.

وفي سنة خمسٍ وأربعين: استولى على بلاد العَوادِر(٣) وحصونهم، وبلغه عن الأمير أسد الدّين ابن أخيه أُمورٌ غير مستحسنة، فاستدعاه إليه فأتاه إلى الجُوَّة فتخوّف الأمير أسد الدّين من عمّه فرجع هارباً، فلمّا بلغ السَّحُول وجد الأمر قد سبق إلى الأمير ناجي صاحب السَّحول أن يمنع الأمير أسد الدّين من طلوع النَّقِيل، فأشرف عليه الأمير ناجي [من طاقة بيته، وقال: ارجِع إلى عمِّك فلا سبيل لك إلى النَّقِيل. وكان ناجي](٤) المذكور من نُصَحاء الدّولة المنصوريّة فتحيّر الأمير أسد الدّين، وضاق ذَرْعُهُ وخشي من غائلة عمِّه، وكان الأمير أسد الدّين المذكور يصحب الورد بن ناجي فطلبه وأعلمه بما هو فيه، وأنّه خائفٌ من عمِّه، فسار به الورد بن ناجي طريق القَفْر، ووصل به إلى ذَمار من طريق وُصاب فصار حتّى دخل ذَمار في أوّل سنة ستٍّ وأربعين.

---

(١) في (ج، د، هـ): «للأعادي ...».

(٢) في (ج، د، هـ): «وبيت ردم»، وهو كذلك في معجم البلدان: ١/ ٥٢٠.

(٣) في (أ): «جبل العود» وفي (ج): «جبل العواد» وفي (د، هـ): «جبل العوادر».

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

وفي سنة ستٍّ وأربعين المذكورة: قام الإمام أحمد بن الحسين القاسميّ، وكان قيامُهُ باقي النّصف[١] من شهر صفر منَ السَّنة المذكورة، وبثّ الدّعوة في جميع الأقطار فأجابه خلقٌ كثيرٌ من كلّ ناحية، فأمر بالمحطّة على حصون المِخْلافة، وكان واليها يومئذٍ القاضي شهاب الدّين عمارة بن عليّ الأصبهاني من قبل السّلطان نور الدّين[٨٩ب]، وكانت حصون حَجّة بأيدي الشّرفاء أولاد محمّد بن حمزة.

فلمّا قام الإمام أحمد بن الحسين في التّاريخ المذكور راسلَهُ الأمير أسد الدّين على نصرته والقيام معه، فأجابه إلى ذلك وأقام الفتنة على عمّه، فاقتضى الحال طلوع السّلطان نور الدّين لحربهما، وكان لا يملّ الحرب.

فتجهّز وطلع إلى صنعاء فلقيه ابن أخيه أسد الدّين إلى ذَمار فاستعطفه واعتذر إليه، فرضي عنه وسار بين يديه إلى صنعاء فدخلها يوم الحادي والعشرين من شهر ربيعٍ الأوّل، فأقام بها إلى يوم الأحد الثّاني من شهر جُمادَى الأولى، وخرج من صنعاء فحطّ تحت حصن كوكبان في موضع يُقال له: الهَدادي، ثمّ طلع الضَّلَع[٢] وحطّ في الرِّجام وترسّم المادّة والتّفتيش على حصون المِخْلافة، فحال دون ذلك الشّواظ الأعظم من أهل المَغارب، فعاد منَ الرِّجام إلى حوشبان[٣]، وكان الإمام في ثُلا فكان القتال العقال[٤] تحت ثُلا؛ وفي بعض الأيّام يكون القتال تحت حصن حَضُور المَصانع[٥]، فوقع بينهم حروبٌ كثيرة، منها اليوم المعروف بيوم العقاب قُتِل فيه من عسكر الإمام سبعون رجلاً بالنُّشّاب، وكان أمير القتال ابن بُرْطاس، ثمّ تولّى القتال بعد ذلك الأمير أسد الدّين والسّلطان في محطّته بحوشبان[٦].

---

(١) في (أ): «قيامه في ثلاث في النصف» وفي (ج، د، هـ): «قيامة في ثلا في النصف».

(٢) في (الأمّ، ب): «الطلع»، وما أثبت – وقد تقدّم – عن (أ، ج، د، هـ).

(٣) في (ج): «حوشان».

(٤) في (أ): «في العقار» وفي (ج): «القتال العقاب» وفي (د، هـ): «القتال في العقاب».

(٥) في (أ): «حضور الصانع» وفي (د): «حصن الشيخ الصانع».

(٦) في (أ، ج، هـ): «بحوشان».

ثمّ جهّز الإمام إلى بلد بني شهاب عسكراً مقدّمه الأمير عبد الله بن الحسين بن حمزة، فحطّ في حَدّة وسَناع، وخالف النّاس معه بنو شهاب وبنو الرّاعي[1] وأهل حَضُور، فنهض السّلطان نور الدّين إلى ناحية بني الرّاعي، وكانوا قد عمروا موضعاً يُقال له: حجر الجَراد في جبل حَضُور فأخربه ورتّب في جبل حَضُور عسكراً[2] منَ الرَّجْل، ومال إليه جماعةٌ من بني الرّاعي، وذلك في شعبان منَ السَّنة المذكورة، وسار إلى جهة بني شهاب فأخرب زرعهم ووقع هنالك حروبٌ كثيرة، ورجع السّلطان إلى صنعاء يوم الجمعة الثّاني من شهر رمضان منَ السَّنة المذكورة.

ثمّ جهّز الأمير أسد الدّين إلى بلاد هَداد في السّابع والعشرين من رمضان، فاستولى على مَصْنَعة بني حِوال، فقتلهم في شوّال، وقتل أهل عَلّانة في ذي القِعْدة، وأخرب سارة في آخر ذي القِعْدة، وخرج العسكر المنصوريّ إلى غَيْمان من صنعاء فقتلوا أهلها في شهر ذي القِعْدة أيضاً، ورجع الأمير أسد الدّين[3] إليهم فحاربهم في تَنْعُم، وقتل من عسكرهم جماعة، وخرج السّلطان نور الدّين إلى بلد بني شهاب يوم الثّلاثاء التّاسع والعشرين من ذي الحِجّة فحطّ في الحَقْل غربيّ صنعاء، وأمر العسكر فأخربوا زرع حَدّة وسَناع ووقع الحرب هنالك.

وفي هذه[١٩٠أ] **السّنة المذكورة**: عزل السّلطان نور الدّين الأمير فخر الدّين السّلاح عن مكّة، وأمَّرَ ابن المُسيّب عوضه بعد أن ألزم نفسه مالاً يؤدّيه منَ الحجاز بعد كفاية الجُنْد، وقود مئة فَرَسٍ في كلّ سنة، فتقدّم إلى مكّة وخرج الأمير فخر الدّين بن السّلاح فأقام ابن المُسيّب بمكّة سنة ستٍّ وسنة سبع وأربعين إلى ذي القِعْدة منها، فغيّر في هذه

---

(١) في (الأم): «بنو الداعي» وهو تحريف سيتكرّر، وصوابه كذلك، وهو منسوب إلى الرّاعي، وهو قيس بن سيّار بن معاوية بن سيف بن الحارث الهَمْداني، وكان فارس هَمْدان في عصره؛ انظر الإكليل: ١٠/١٤٥.

(٢) في (ج، هـ): «عشراً».

(٣) بعده في بقيّة النّسخ ما عدا (ب): «إلى صنعاء، وقد كان جماعةٌ من الأشراف فحاربهم إلى تَنْعُم، فخرج الأمير أسد الدّين» وليس فيها عظيم عناء فضلا عن الاضطراب بها.

المدّة جميع الخير الّذي كان وضعه السّلطان نور الدّين، وأعاد الجِبايات والمُكوس بمكّة، وقطّع⁽¹⁾ المربعة الّتي كان السّلطان نور الدّين كتبها وجعلها على زَمْزَم، واستولى على الصّدقة الّتي كانت تصلُ منَ اليمن، وأخذ منَ المجد بن أبي القاسم المالَ الّذي كان تحت يدِهِ للسّلطان الملك المُظَفَّر، وبنى حصناً بنَخْلة فسمّي العطشان، واستخلف هُذَيْلاً لنفسه، ومَنَعَ الجُنْد النّفقة فتفرّقوا عنه، ومَكَرَ مَكْراً فمَكَرَ الله به.

ولمّا تحقّق الشّريف أبو سعد[2] منه الخِلاف على السّلطان وَثَبَ عليه وأخذ ما كان معه من خيلٍ وعُدَدٍ ومماليك وقَيَّدَهُ وأحضر أعيان أهل الحَرَم، وقال: ما لزمته إلّا لتحقّقي منه الخلاف على السّلطان، وعلمت أنّه أراد أن يهرب بالمال الّذي معه إلى العِراق، وأنا غلام السّلطان، والمال عندي محفوظٌ والخيل والعُدَد إلى أن يصل مرسوم السّلطان فيه. فوردتِ الأخبار بعد أيّامٍ يسيرة بوفاة السّلطان.

وفي سنة سبعٍ وأربعين: سار السّلطان من محطّته إلى مِخْلاف صُدا فأخرب زرعه، وتقدّم إلى بيت نَعامة وفيه الشّرفاء وعسكرهم وبنو شهاب، فحاربهم وأخرب القرية، فاجتمع الشّرفاء وعسكرهم وبنو شهاب[3] وبنو الرّاعي وأهل حَضُور إلى قرية داعِر فحاربهم السّلطان هنالك، وقتل منهم جماعةً وأخرب القرية، وذلك في المحرَّم من سنة سبعٍ وأربعين.

ولمّا كان في السّابع عشر منَ الشّهر المذكور: طلع عسكر الإمام أحمد بن الحسين حصن كوكبان على حين غَفْلَةٍ من أهله، فلمّا استقلّوا في رأسه خرج عليهم المرتّبون فقتلوهم أَبْرَحَ القتل، وكان الإمام قد أغار بُكْرَةَ ذلك اليوم إلى كوكبان، ووقف تحت الحصن، فلمّا قُتِل عسكره عاد إلى حصن ثُلا من فوره، وعاد السّلطان نور الدّين إلى صنعاء، فأقام بها إلى اليوم

---

(١) في (ج، د، هـ): «وقلع المربعة».

(٢) في (ب): «أسد».

(٣) قوله: «فحاربهم وأخرب ... وبنو شهاب» ليس في (ج، د، هـ).

الثاني عشر من صفر، ووصل إليه الأمير أحمد بن يحيى بن حمزة، فخرج إلى لقائه وأكرمه، ودخل به صنعاء، وأنعم عليه بحصن بُكُر[(١)].

ثمّ تقدّم السّلطان نور الدّين إلى جهة اليمن فحطّ في قرية العَيْن في يوم الثّلاثاء لثلاثٍ من شهر ربيعٍ الأوّل منَ السَّنة المذكورة، وجعل طريقه على تَنْعُم لحرب مَنْ فيها، وكان فيها الأمير عزّ الدّين محمّد بن الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة[(٢)]، والأمير أبو هاشم[(٣)] بن صفيّ الدّين فحاربهم العسكر المنصوريّ[٩٠ب]، وقتل من عسكرهم جماعة، ثمّ تقدّم السّلطان إلى جَهْران ومعه الأمير أسد الدّين محمّد بن الحسن مُشيِّعاً له، فاجتمع أهل بَكِيل وأهل عاثِين، وأهل الصَّيْح وأهل تلك النّواحي، وعسكر الإمام ومقدّمهم الشّريف أيضاً، وكانوا في[(٤)] عشرة آلاف راجل، وأرادوا أن يمنعوا السّلطان منَ التّقدم إلى بَكِيل وركّزوا في نَجْد النّوبة، فهزمهم العسكر المنصوريّ وقتل منهم قتلى كثيرة، وأخرب عاثِين والصَّيْح، وذلك في شهر ربيعٍ الآخر منَ السَّنة المذكورة.

وفي شهر ربيعٍ الآخر: وصل الأميرانِ موسى وداود ابنا عبد الله بن حمزة إلى ظُفُرّ في جُمَلٍ منَ الخيل[(٥)]، وكان في صنعاء أستاذ دار الأمير أسد الدّين -وهو عزّ الدّين المهندس- رتبةً، فحارب الشّريفين وطردهما من ظهر[(٦)]، وعاد الأمير أسد الدّين إلى صنعاء من ذَمار بعد نزول السّلطان إلى اليمن، فلزم أهل البلاد وعسكر الإمام نقيل الفاير[(٧)] ومنعوه منَ الطّلوع إلى صنعاء، فطلع عليهم قهراً بالسّيف وهزمهم، ودخل صنعاء، ثمّ خرج بعد

---

(١) في (الأمّ، ب): «بكرة» وهو وهم، وما أثبت -وقد تقدّم غير مرّة- عن (أ، ج، د، هـ).

(٢) في (الأمّ، ب): «الإمام حمزة» وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وهو كذلك في العقود: ١/ ٨٠.

(٣) في (الأمّ، ب): «والأمير هاشم» وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وهو كذلك في العقود: ١/ ٨٠.

(٤) في (ج، د، هـ): «وكانوا أكثر من».

(٥) في (أ، هـ): «خيل ورجل» وفي (ج، د): «جمال وخيل ورجل».

(٦) في (ج): «فحارب السّلطان الشريفين».

(٧) في (ج): «العابرة»، وفي العقود (١/ ٨١): «الغائرة».

ذلك إلى الكُمَيم في لقاء الخزائن، فاجتمعت سَنْحان كافّة، وعسكر الإمام وهمّوا بأخذ الخزائن، وكانوا نحواً من أربعة آلاف راجل ومئة وخمسين فارساً، فقاتلهم وهزمهم جميعاً، ثمّ خالفت عليه البلاد، وافترق عسكرُهُ منَ الغُزّ والعرب وهربوا إلى الإمام ولم يبقَ معه إلّا مماليكه، فما اكترث بشيءٍ من ذلك ولا خَطَرَ له على بالٍ، وكانتِ الحرب بينه وبين الشّرفاء سِجالاً على قِلّة عسكره وإقبال النّاس على الإمام.

ثمّ كانت وقعة قارن [1] بين الإمام أحمد بن الحسين وبني حمزة، فقتل من بني حمزة طائفةً وأسر طائفة أخرى، وكان يوماً مشهوداً، وذلك يوم الأربعاء الرّابع عشر من شوّال منَ السّنة المذكورة.

واستشهد مولانا السّلطان الملك المنصور نور الدّين عمر بن عليّ بن رسول، رحمة الله عليه، في قصر الجَنَد ليلة السّبت التّاسع من ذي القِعْدة من سنة سبع وأربعين وستّ مئة، وَثَبَ عليه جماعةٌ من مماليكه فقتلوه في التّاريخ المذكور، وكان قد استكثر من المماليك حتّى بلغت مماليكه البحريّة ألف فارس - وقيل: ثماني مئة فارس - وكانوا يحسنون منَ الفُروسيّة والرّمي ما لا يحسنُهُ مماليك مِصر، وكان معه منَ المماليك الصِّغار قريباً منهم في العدد خارجاً عن حلقته وعساكر أمرائه.

وكان الّذي شجّعهم على ذلك وآنسهم ووعدهم بما طابت به نفوسهم الأميرُ أسد الدّين محمّد بن الحسن بن عليّ بن رسول، وذلك أنّه كان مُقْطَع صنعاء من قبل عمّه الملك المنصور وأقطعه إيّاها، وأراد أن يعزلَهُ ويجعلها لولده المُظَفَّر يوسف، فعزّ ذلك على أسد الدّين فعامل المماليك على قَتْل عمّه فقتلوه في التّاريخ المذكور، فلم يرَ أسد الدّين بعد قتل عمّه يومَ سَعْدٍ [١٩١أ] أبداً، وتجري المَقادير بخِلاف التّقادير.

ويُروى: أنّه لمّا رجع السّلطان نور الدّين من حرب الإمام إلى مدينة الجَنَد، وصل إليه

(١) في (الأم، ب، د): «فارق»، وفي (أ): «فارن»، وما أثبت عن (ج، هـ)، وهو كذلك بصفة جزيرة العرب: ١١٢.

رسولٌ من ملك الهند قبل وفاته بيومين، فحضر في مقامه الشّريف وأدّى رسالةً مرسلةً، وأكرمه السّلطان وأنعم عليه.

فلمّا خرج قال لتَرْجُمانه: قد قرب أمدُهُ، إلّا أنّه أبو مَلِكٍ وجَدُّ مَلِكٍ ومن ذرّيته ملوك[1]، ثمّ قال قولاً بالعجميّ، فوجده تُرْجُمانه شعراً: (منَ مشطور الرَّجَز)

يَأْخُذُها ذو شامَةٍ في خَدِّهِ

ويَلْتَقِيْها مِسْعَرٌ مِنْ بَعْدِهِ

لا تَنْقَضِي عَنْ نَسْلِهِ ووِلْدِهِ

وكان السّلطان نور الدّين ملكاً كريماً حازماً حَسَنَ السّياسة سريع النّهضة عند الحادثة؛ فأَعْلَمُ الدّلائل على ذلك طَرْدُهُ العساكر المِصريّة مرّة بعد أخرى عن مكّة وطردهم عنِ الحجاز، واستمال عدّة من عساكرهم، وممّن استماله منَ الأمراء فيروز والمبارز بن بُرْطاس، وكان أميراً كبيراً له طَبْلَخانه، ومن ولد الأمير فيروز الأمراء بنو فيروز أصحاب إبّ.

قال الجَنَديّ[2]: ويُقال: إنّ الأمراء بني فيروز تَدَيَّرُوا[3] إبّ من زمنٍ طويل.

ولمّا قُتِل السّلطان نور الدّين بقصر الجَنَد لم يكن معه يومئذٍ أحدٌ من أولاده، بل كان المُظَفَّر بالمَهْجَم وإخوته[4] ووالدتهم في حصن تَعِزّ بسبب جَهاز السّت غازية بنت السّلطان نور الدّين عَروساً على شريفٍ من أهل مكّة، فانتقلت منهم إلى الدُّمْلُوَة.

فاجتمع بنو فَيروز وحملوا السّلطان نور الدّين في محملٍ وقصدوا به تَعِزّ حتّى دفنوه في المدرسة الأتابكيّة بذي هُزَيم؛ لكونه مزوّجاً على بنت الأتابك المعروفة ببنت جَوْزَة؛ فكان

(١) قوله: «ومن ذريته ملوك» ليس في (هـ) وقوله: «ملوك» ليس في (ب).

(٢) السّلوك: ٢/٥٤٤.

(٣) في (د): «تدبروا» مصحّفاً. وتديّروا إب: اتّخذوها داراً؛ يقال: تَدَيّر فلانٌ المكان إذا اتّخذه داراً.

(٤) في (الأم، ب): «وأخوه» وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وهو كذلك في العقود: ١/٨٣.

السّلطان الملك المُظَفَّر، رحمه الله، يعرف ذلك لهم ويشكرهم على ما فعلوا وأقطعهم إقطاعات جليلة، وحمل لشمس الدّين طَبْلَخانه ولأخيه فخر الدّين أخرى، وكانت لهم عنده حُظْوة عظيمة.

وكان للسّلطان نور الدّين آثارٌ حسنة، فمن ذلك المدرسة الّتي بمكّة، بحيث يَغْبِطُهُ عليها سائر الملوك، وابتنى في تَعِزّ مدرستين، يُقال لإحداهما[١]: الوَزيريّة نسبةً إلى مدرسها الوَزيريّ، وتُسمّى الأخرى: الغُرابيّة نسبةً إلى مؤذّن فيها كان اسمه غُراباً، وكان رجلاً صالحاً. وابتنى مدرسةً في عَدَن، وثلاث مدارس في زَبِيْد يُعرفن[٢] بالمنصوريّات: مدرسة للشّافعية، ومدرسة للحَنَفيّة، ومدرسة للحديث النَّبويّ. وابتنى مدرسةً في المَنْسَكِيَّة[٣]، ورتّب في كلّ مدرسةٍ مدرِّساً ومُعيداً ودَرَسَةً وإماماً ومؤذِّناً ومعلِّماً، وأيتاماً يتعلّمون القرآن، ووقف على الجميع أوقافاً تقوم بكفاية الجميع.

قال الجَنَديّ[٤]: وابتنى في كلّ قريةٍ منَ التّهائم مسجداً[٩١ب] ووقف عليها أوقافاً جيّدة، وكان النّوريّ إذّاك مفازةً عظيمة بين زَبِيْد وحَيْس يهلِك النّاس فيها، فابتنى فيها مسجداً وجعل فيه إماماً ومؤذِّناً، وشرطَ لمن سكن معهما مُسامَحَة فيما يَزْدَرِعُه، فسكن النّاس معهما حتّى صارت [قريةً][٥] جيّدة، وانتفع بها النّاس نَفْعاً عظيماً.

قال المصنّف أيّده الله: وأظنّها إنّما سُميّتِ النُّوريّ نسبةً إليه لكونه يلقّب نورَ الدّين، وابتنى بين المدينتين حصوناً كثيرة ومَصانع، ورتّب فيها الرّجال، وآثارها هنالك باقيةٌ إلى عصرنا هذا.

---

(١) في جميع النّسخ: «لأحدهما».

(٢) في جميع النّسخ: «يعرفون».

(٣) انظر نور المعارف: ١/٣٢١، وفي التّاج (ن س ك): «المَنْسَكَة: قرية باليمن».

(٤) السّلوك: ٢/٥٤٣.

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

وأمر بعمارة البِرْك، وهو جبلٌ متّصل بساحل البحر فيما بين مكّة واليمن، ورتّب فيه العساكر الجيّدة لمحاربة بني أيّوب، وأرسل مُعَيبد بن عبد الله الأشعريّ إلى الشّيخ موسى بن عليّ الكِناني صاحب حَلْي بن يعقوب بأن يتصدّى لمُحاربة عسكر بني أيّوب، وكان موسى بن عليّ الكِنانيّ ممّن يُضرب به المثَلُ في الكرم.

فلمّا وصل إليه مُعَيبد برسالة السّلطان نور الدّين أسمع وأطاع، وقال: أيّ شيء يحملني من ضِيافة هذا الرّجل - يعني مُعَيبداً - فقاد إليه خمسين فرساً، فقادها مُعَيبد بأسرها إلى السّلطان نور الدّين وأثنى عليه عنده.

وقال: صاحب هذا النَّفَس يصلح أن يُجْرَى عليه اسم الأمير. فأجرى عليه اسم الأمير من ذلك الوقت، وكان السّلطان نور الدّين حَنَفيَّ المذهب، ثمّ انتقل إلى مذهب الشّافعيّ.

قال الجَنَديّ في (تاريخه)[1]: أخبرني شيخي أحمد بن عليّ الحَرازيّ بإسناده عن الإمام العلامة أبي عبد الله محمّد بن إبراهيم الفَشَليّ الفقيه المُحَدِّث بزَبِيْد - وكان أحد شُيُوخ المنصور- قال: أخبرني المنصور نور الدّين من لفظه: أنّه كان حَنَفيَّ المذهب فرأى النّبيّ ﷺ في منامه، وهو يقول: يا عُمَر، صِرْ إلى مذهب الشّافعيّ. أو كما قال. قال: فأصبح ينظر كتب الشّافعيّ ويعتمد مذهبه، وكان يصحب الشّيخ والفقيه أصحاب عُواجَة، وهما ممّن بشّره بالملك، وصحب الفقيه محمّد بن إبراهيم الفَشَليّ وقرأ عليه كما ذكرنا، وصحب الفقيه محمّد بن مضمون من أهل الجبل، وكان له منَ الولد ثلاثةُ رجالٍ: المُظَفَّر والمُفَضَّل والفائز، وكان المُظَفَّر أكبرَهم؛ ظهر في أيّام إِمْرة أبيه في مكّة سنة تسع عشرة وستّ[2] مئة - وقيل: سنة عشرين - وهو الّذي ولي الملك بعد أبيه؛ وسأذكره في الفصل التّالي، إن شاء الله تعالى.

---

(١) السّلوك: ٢/٥٤٢.

(٢) في (ب): «سنة ست عشرة...» وفي (ج): «وخمس مئة».

وكان أبوه قد أقصاه وقَلاهُ، وقدّم إخوتَهُ عليه موافقةً لأُمِّهما بنت جَوْزَة، وكانت [غلبت][(١)] عليه كثيراً حتّى إنّه استحلف العسكر لابنه المُفَضَّل وهو أصغر منَ المُظَفَّر.

وكان شاعرُهُ التّاج بن[١٩٢أ] العطّار أحدَ فضلاء أهل مصر، والأديب محمّد بن حِمْير أحد فضلاء أهل اليمن، فاجتمعا يوماً في مجلس الشَّرْب، فقال ابن العطّار للسّلطان نور الدّين: يا مولانا أنا شاعرك منَ الدّيار المِصريّة، وأراكَ تُفَضِّل ابنَ حِمْير عليَّ وتُنْعِم عليه أكثر منِّي. فقال له السّلطان نور الدّين: اعلم أنّ ابن حِمْير حاضرُ القَريحة، سريع البَديهة، وأنتم يا أهلَ مصر - وإن كنتم [أهل] فضلٍ[(٢)] - فإنّكم تُبْطِئون؛ ثمّ التفت إلى ابن حِمْير وقال له: ما تقول؟ فالتفت إلى ابن العطّار وقال ارتجالاً: (منَ الكامل)

مُعْتَجِرٌ بِعِمامَةٍ مَعْقُودَةٍ ... لو بُعْثِرَتْ مَلَتِ الفَضاءَ خَمِيرا[(٣)]

وأَبُوكَ عَطّارٌ فَما بالُ ابْنِهِ ... يُهْدي الصِّنانَ إلى الرِّجالِ بَخُورا[(٤)]

قال: وكان به شيءٌ من ذلك، فضحك السّلطان نور الدّين ومَن حَضَر، وقال: أجبه، فانْحَقَد.

وحضر في مجلس الشّرب يوماً عند السّلطان نور الدّين[(٥)] ومعه ابن أخيه أسد الدّين، وكان للأمير أسد الدّين شاعرٌ من أهل المشرق يُقال له: عليّ بن أحمد، فجعل أسد الدّين يُثني على شاعره عليّ بن أحمد؛ فقال السّلطان نور الدّين لابن حِمْير: ما تقول؟ فقال ارتجالاً: (منَ الطّويل)

أنا البَحْرُ فَيّاضٌ بِكُلِّ غَرِيبَةٍ ... أُحَلِّي بِها المَنْصُورَ دُرًّا وجَوْهَرا

---

(١) ما حُفَّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب، د).

(٢) في (الأمّ، ب): «وإن كنتم أفضل»، وما حُفَّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ.

(٣) قوله: «معتجر» ورد مصحفاً محرفاً في جميع النسخ. وفي (ج، د): «... بحورا» وفي (هـ): «... أبورا». ومعتجر: متلثّم. والخَمِير: لعلّه من قولهم: خَمْرة الطِّيب؛ أي رائحته.

(٤) الصُّنان: ذَفَر الإبط.

(٥) قوله: «ومن حضر ... نور الدين» سقط في (د).

وما إنْ أُبالي عَنْ عَليِّ بْنِ أَحْمَدٍ　　وعَنْ شِعْرِهِ، ذَقْنُ ابْنِ أَحْمَدَ في المِسْكِ[(١)]

فقال له السّلطان نور الدّين: وما منعك من قافية الرّاءِ؟ قال: خوف ابن أخيك هذا.

وكان ابن حِمْير شاعراً فصيحاً جيّد القريحة حَسَن البديهة، وهو القائل في مدح السّلطان نور الدّين: (منَ البسيط)

قَدْ قِيلَ: جاوِزْ لتَغْنَى البَحْرَ أو مَلِكاً　　أَنْتَ المَلِيْكُ وأَنْتَ البَحْرُ يا عُمَرُ

وقال فيه قصيدةً أخرى من مدائحه: (منَ المنسرح)

قُلْ للقَوافي: قِفِي على عُمَرِ　　إِيّاكِ أَنْ تُخْدَعي فَتَنْخَدعي[(٢)]

حِلِّي المكانَ الرَّفِيْعَ تَرْتَفِعي　　ولا تَحِلِّي الوَضِيْعَ تَتَّضِعي

مَنْ أُخْمِدَتْ نارُهُ فَإِنَّ أَبا　　أَحْمَدٍ نِيْرانُهُ على اليَفَعِ[(٣)]

وله فيه عدّة منَ القصائد الطّنانات.

ولمّا توفّي مولانا السّلطان نور الدّين في التّاريخ المذكور، سار المماليك بأسرهم إلى زَبِيْد، ثمّ ساروا منها إلى فَشال وكان فيها يومئذٍ الأمير فخر الدّين أبو بكر بن الحسن بن عليّ بن رسول مُقْطَعاً، فلقّبوه المُعَظَّم وحلفوا له وقصدوا مدينة زَبِيْد وحاصروها حصاراً شديداً، وكان[٩٢ب] فيها يومئذٍ السِّتْر الرّفيع الدّار الشّمسيّ كريمة مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر ووالدتُهُ والطّواشي بدر الدّين الملقّب بالصّغير، وكان مسجوناً بسجن زَبِيْد سجنته بنت جَوْزَة لكونه لا يحبّ إلّا المُظَفَّر. فأخرجته الدّار الشّمسيّ من الحبس وأعطته مالاً جزيلاً، وقالت له: استخدم [به][(٤)]. فاستخدم الرّجال وأَمَرَتْهُ بإغلاق أبواب المدينة

---

(١) في (الأم، أ، ب، ج، د): «... في الخرا»، وما أثبت عن (هـ) وفيها بعده شارحاً: «يريد: الخِراء» وكتبت لفظة «المسك» في الهامش في (ج)، يؤيّد ما أثبت أعلاه ما ورد عقب البيتين من كلام السّلطان نور الدّين.

(٢) في (د): «... على عمري».

(٣) في (أ، ج، د): «خمدت ...». واليَفَع واليَفاع: التّلّ المشرف.

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

وحِفْظها وحراسة أسوارها، فرتّب المقاتلين على الدَّرْب وحارب المماليك والأمير فخر الدّين على كُرْهٍ منَ الأمير والنّاظر.

وكان الأمير في زَبِيْد يومئذٍ مملوك اسمُهُ: قايماز، والنّاظر يومئذٍ غريبٌ يعرف بالشّرف؛ ولم تزل المحطّة والحصار على زَبِيْد حتّى سمعوا أن المُظَفَّر قد صار في الطّريق قاصداً زَبِيْد، فارتفعوا حينئذٍ، والله أعلم.

الفصل السّابع
في ذكر التّبّع الأكبر مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر شمس الدين يوسف بن عمر بن عليّ بن رسول

قال علماء التّاريخ: لـمّا استشهد مولانا السّلطان الملك المنصور بمدينة الجَنَد في التّاريخ المذكور، كان[1] ابنه السّلطان الملك المُظَفَّر يومئذٍ غائباً في إقطاعه بالمَهْجَم، وكان غير طيّب النّفس من والده لـمّا قدّم عليه إخوتَهُ المُفَضَّل والفائز؛ وكانت أُمّهما قد استمالته وغلبت عليه، وأقصت ولدَهُ الكبير السُّلطان الملك المُظَفَّر وكريمته الدّار الشّمسيّ عن أبيهما حتّى حلَّف العسكر لولده الملك المُفَضَّل أحدِ ابْنَي بنت جَوْزَة.

فهَمَّ مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر تلك السّنة بالخروج منَ اليمن والمسير إلى الخليفة المستعصم بالعِراق، فلمّا بلغه العلم بوفاة أبيه شقّ عليه الأمر وانثنى عزمُهُ عن الخروج منَ اليمن، وتحيّر في أمره وضاق ذَرْعاً لِـمَا عرض له منَ الحوادث العظيمة والخطوب الجسيمة من فَقْد والده وانحياز المماليك بأسرهم إلى الأمير فخر الدّين وحصارهم لزَبِيْد واستيلاء الأمير أسد الدّين محمّد بن الحسن على صنعاء وأعمالها، وقيام الإمام أحمد بن الحسين في البلاد العُلْيا وانتشار صِيْته واستيلائه على معظم البلاد العُلْيا وحصونها، واستيلاء إخوته المُفَضَّل والفائز على الحصون والمدائن والمعاقل والخزائن.

ولم يكن في يدِ السّلطان الملك المُظَفَّر إلا قائمُ سيفه، إلّا أنّ القلوب مملوءةٌ بمحبّته، فقام مُشَمِّراً وجمع مَنْ معه مِنَ العسكر[2] واستخدم مِنَ العرب خيلاً ورَجْلاً.

---

(١) في (الأمّ): «وكان» بزيادة الواو، وهو خطأ إنّما هو جواب «لـمّا» أوّل الفقرة.

(٢) في (ح): «من العرب».

ولمّا خرج منَ المَهْجَم بإشارة الشّيخ أبي الغيث بن جميل وسار إلى زَبِيْد بجدٍّ ووَجْد، وتوفيق وسَعْد؛ فكان من دلائل سعادته أنّه لمّا عزم على المسير وأمر بتَحْمِيْل آلته وخزانته، فلمّا شرعوا في التّحميل أخرجوا صندوقاً مملوءاً ذهباً فوضعوه[١٩٣أ] ورجعوا للآخر فمرّ رجلانِ منَ العرب فاحتملا ذلك الصّندوق وذَهَبَا به، فافتقده الخَزّانون فلم يجدوه، فانتهى العلم إليه بذلك، فطلب مشايخ العرب وأمرهم باقتفاء الأثر، فخرجوا من فورهم فما برحوا يقصّون الأثر حتّى وجدوا أثر مَبْرَك الجمل الّذي حُمِل عليه الصّندوق، فوقفوا ينظرون يميناً وشمالاً فرأوا موضعاً على غير هيئته، فنَبَشُوهُ فوجدوا الصّندوق ما فُضَّ له خَتْم، فحملوه ورجعوا به، فكان هذا من أعظم دلائل الفَتْح والسّعادة.

وكان خروج السّلطان الملك المُظَفَّر منَ المَهْجَم في عساكره يوم الثّامن والعشرين من ذي القِعْدة سنة سبعٍ وأربعين وستّ مئة.

فلمّا خرج السّلطان منَ المَهْجَم يريد زَبِيْد كان كلّما مَرَّ بقبيلة منَ العرب استخدم خيلَها ورَجْلها، وسار في خدمته من رؤساء العرب(١) الشّيخ عليّ بن عمران القرابلي(٢) والشّيخ محمّد بن زكري(٣) الحدقي، والشّيخ أحمد بن أبي القاسم، وكان شيخ مشايخ سُرْدُد.

وحضر(٤) الفقيه يحيى بن العَمَك، وكان مقدّم الرُّماة، وخرج الشّيخ زكري بن القرابلي(٥) راكباً على هَجِين؛ فقال له الشّيخ عليّ بن أبي بكر السّواديّ -وكان يُلقّب مخلص الدّين، وهو وزير مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر - وهو يسمع: تكون من أكبر الجُنْد، وتركب على هَجِين؟! فقال: وحقِّ رأس مولانا السّلطان لأَرْكَبَنَّ بغلةَ فخر الدّين إن أنعم

---

(١) قوله: «من رؤساء العرب» ليس في (ب).

(٢) في (ج): «العرالي» وفي (د): «العزابلي».

(٣) في (الأمّ، ب): «زكي» وفي (هـ): «زكريا» وما أثبت عن (أ، ج، د)، وسيأتي على الصّواب.

(٤) في (ب): «حضرة».

(٥) في (الأمّ): «وابن القرابلي»، وهو وَهْم وسيأتي على الصّواب.

عليَّ بها مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر. قال: قد أنعم بها عليك. قال: فسوف ترى.

وسار مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر في مئةٍ وخمسين فارساً وألفَي راجل، وكان الأمير فخر الدّين في ستِّ مئة منَ المماليك وألف راجل، فلمّا سار السّلطان في أثناء الطّريق لقيه بذُؤال مَنْ قال له: هذا فخر الدّين في الجَمِّ الغَفِيْر على عَدْوة الوادي.

قال: فتَنَهْنَهَ العسكر، فركب السّلطان حصاناً حَذِيفاً[1] أشقر، وأخذ قناةً في يدِهِ وكان فارساً حسناً، فعطف رأس حصانه، وقال: يا عَرَب إلى أين تفرّون، أما تَرْضون أنفسنا بأنفسكم، ثمّ جعل يقول: أنا يوسف أنا يوسف[2]، قال: فوالله لقد رأيتُ العسكر يتزايدُ إلى الإِقْدام كما يتزايدُ البحر.

ولمّا علم الأمير فخر الدّين ومن معه منَ المماليك بمَسِيْر السّلطان نحوهم اضطربوا في محطّتهم اضطراباً شديداً، وعزم فخر الدّين على طُلُوع الجبل واللُّحوق بأخيه أسد الدّين إلى صنعاء.

فاجتمع رؤساء المماليك وأعيانهم الّذين لا ذَنْب لهم وهم الأكثر، وكتبوا إلى السّلطان[٩٣ب] الملك المُظَفَّر كتاباً يطلبون الذِّمّة، فأَذَمَّ عليهم على أن يلزموا فخر الدّين والجماعة الّذين قتلوا السّلطان، فأجابوه إلى ذلك، ولزموا الأمير فخر الدّين وهو في خيمته وقطعوا طُنُباً من أَطْنابها وكتّفوه به، وساروا بأجمعهم إلى السّلطان بعد أن لزموا الجماعة الّذين قتلوا السّلطان نور الدّين؛ وهذه رواية الجَنَديّ[3].

وقال صاحب (العقد): كان السّبب في لزمه أنّه لمّا علم بمسير مولانا السّلطان نحوه كاتبه وراسله وبذل له الطّاعة وتسليم المماليك الّذين قتلوا السّلطان [نور الدّين][4]، قال:

---

(١) الحذيف: المُسَوَّى الشَّعر، من تحذيف الشّعر: وهو تطريره وتسويته.

(٢) في (ب): «أنا سيف أنا سيف».

(٣) السّلوك: ٢/٥٤٥.

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

وسمعت من مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر في سبب لزم المماليك الأمير فخر الدّين أنّهم خرجوا منَ المحطّة يتطلّعون الأخبار فوافاهم بَريد الأمير فخر الدّين ومعه كتبٌ منه إلينا فيها ما يسؤوهم، فعادوا إلى المحطّة فلزموه ووصلوا به إليه فقبض عليه.

وكان عليّ بن يحيى ظاهِرُهُ(١) مع السّلطان وباطنُهُ مع الأمير أسد الدّين وأخيه، وكان شاعراً فصيحاً كريماً، وأصلُهُ من عَنْس - قبيلة من مَذْحِج - فكتب إلى الأمير أسد الدّين يحثُّهُ على القيام ويحرّضه على فَكاك أخيه، كتاباً يقول فيه: (منَ الكامل)

لو كُنْتَ تَعْلَمُ يا مُحَمَّدُ ما جَرَى ... لَشَنَنْتَها شُعْثَ النَّواصي ضُمَّرا(٢)
تَرْمي بِها دَرْبَي تَعِزَّ على الرَّجا ... لِتَنالَ مَجْداً أو تُشَيِّدَ مَفْخَرا(٣)
لا بُدَّ أَنْ تُنْجي أَخاكَ حَقِيْقَةً ... مِنْها وإِمّا أَنْ تَمُوتَ فَتُعْذَرا
إِنَّ ابْنَ بُرْطاسٍ تَمَكَّنَ فُرْصَةً، ... آهِ على مَوتٍ يُباعُ فَيُشْتَرى
صِحْ: يا لِحَمْزَةَ، تَأْتِ، واخْصُصْ أَحْمَداً ... لِتَخُصَّ مِنْ بينِ النُّجُومِ الأَزْهَرا(٤)

يعني الإمام أحمد بن الحسين - وقيل: الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة - فاتّصل علمُهُ بمولانا السّلطان، فلم يؤاخذْهُ بشيءٍ من ذلك.

وسار مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر فيمن معه منَ العساكر منَ العرب والمماليك يريد مدينة زَبِيْد فدخلها في غُرّة ذي الحِجّة من سنة سبعٍ وأربعين في موكبٍ عظيم، وعليه جلالةُ المُلْك وأُبّهة(٥) السّلطنة، فلمّا قعد على السّماط واستقرّ في دار الملك قامتِ الشّعراء

---

(١) في (أ): «يحيى بن طاهر».

(٢) في (هـ): «الشننتها ...».

(٣) في (ج، د، هـ): «الوجا».

(٤) في (الأم، أ، ب): «... تأر واخصص ..»، وما أثبت عن (ج، د، هـ) وهو كذلك في العقود: ١٩٢/١.

(٥) في (د): «وهيئة».

بالمدائح، وأنشده يومئذٍ الفقيه أبو بكر بن دَعّاس فقال[1]: (من الكامل)

إنْ غابَ نُورُ المُلْكِ عَنْ أُفُقِ العُلَى فَانْظُرْ ضِياءَ الشَّمْسِ قَدْ مَلأَ المَلا
أو كانَ جَفْنُ الدَّهْرِ أَضْحَى أَرْمَداً فَاليَومَ أَصْبَحَ بِالمُظَفَّرِ أَكْحَلا[١٩٤]
لا تَجْزَعُ الدُّنْيا لِفَقْدِ مَلِيكِها رُزِئَتْ بِرَضْوَى واسْتَعاضَتْ يَذْبُلا
ما كانَ رَبُّ المُلْكِ إلّا غَيْهَباً عَمَّ الوَرَى وافاهُ صُبْحٌ فانْجَلَى[2]
بِالمَلْكِ عادَ الكَسْرُ جَبْراً وانْثَنَى جِيْدُ العُلَى حالٍ وكانَ مُعَطَّلا[3]
هِيَ دَوْلَةٌ غَرّا وهذا مالِكٌ أَضْحَى الزَّمانُ بِهِ أَغَرَّ مُحَجَّلا
لم تَرْضَ غَيْرَكَ يا أَبا عُمَرٍ لَهَا فاسْتَجْلِها إنَّ العَرائِسَ تُجْتَلَى
ما زِلْتَ مُعْتَرِفاً بِنِعْمَةِ رَبِّها مُتَضَرِّعاً لِقُدُومِها مُتَبَتِّلا
أَوَ ما تَراها في زَبِيْدِ تَزْدَهِي وتَمِيْسُ في حُلَلِ المَفاخِرِ والحُلَى
أَمْهَرْتَها وافي الصَّداقِ فَما لَهَا كُفْؤٌ سِواكَ ولا تُرِيْدُ تَبَتُّلا[4]
جاءَتْكَ طائِعَةً ولم تَهْزُزْ لَهَا رُمحاً ولم تُشْهِرْ عَلَيْها مُنْصِلا
قُلْ لِلّذي رامَ التَّمَلُّكَ جاهِلاً وسَعَى فَضَلَّ عَنِ الطَّرِيْقِ وضَلَّلا:
ما أَنْتَ والمُلْكُ الّذي لا سِرُّهُ بادٍ عَلَيْكَ ولَسْتَ فِيْهِ مُؤَهَّلا[5]
ارْجِعْ إلى كَأْسِ الطِّلا ودَعِ العُلَى لِلْمُغْمِدِ الأَسْيافِ في هامِ الطُّلا[6]

---

(١) ثمة سقط في (هـ) يبدأ من قوله: «إن غاب» إلى قوله: «ولو شاء ما قدر» بقدر لوح.
(٢) في العقود (١/ ٩٢): «رزء».
(٣) حال: اسم فاعل من الحَلْي؛ يقال: حَليت المرأةُ حَلْياً فهي حالٍ وحالية. والمُعَطَّل: الخالي من الحَلْي. ومنه قولهم: لا غَرْوَ أن يحسُد الحالي العاطل.
(٤) في (أ، ج، د): «... ولا تريد تبدلا»، وهو كذلك في العقود: ١/ ٩٣.
(٥) في (ج، د): «... لا بشره».
(٦) في (ج، د): «للمعهد ...». والطِّلاء: الخمرة، والعرب تطلق عليها ذلك تحسيناً لاسمها. والطُّلاء: الدَم.

وِلِصاحِبِ الجَيْشِ الّذي سَدَّ الفَضا ... وفَلَى بِحَدِّ السَّيْفِ ناصِيَةَ الفَلا(١)
وأَعادَ رِيحَكَ حِيْنَ هَبَّتْ أَزْيَباً ... نُكْباً بِرِيْحٍ مِنْهُ هَبَّتْ شَمْألا(٢)
أَوْلَى الوَرَى بِالمُلْكِ والِدُهُ الّذي ... ما انفَكَّ يَكْتَسِبُ المَفاخِرَ والعُلَى(٣)
هي دَوْلَتي وأنا الّذي أَمَّلْتُها ... واللهُ يُعْطي سُؤْلَهُ مَنْ أَمَّلا

ولمّا قبض السّلطان الملك المُظَفَّر على الأمير فخر الدّين ودخل محروسة زَبِيْد واستقرّ ملكُهُ، واجتمع له عسكرُ أبيه، وحُمِل إليه حَواصل التّهائم، وانشرح صدرُهُ وطابت نفسه، استأذنه مشايخ العرب في الرُّجوع إلى بلادهم، فقعد لوداعهم في قاعة سيف الإسلام، ودخلوا عليه للوداع، فوَهَبَ لزكري بن القرابلي بَغْلاً من دوابّ فخر الدّين يُسمّى الدراح(٤)، وكتب للشّيخ عليّ بن عمران القرابلي بالمَقْصَريّة، وللشّيخ محمّد بن زكري بلِغْسان، وأحسن جوائزهم، فعادوا إلى أوطانهم فرحين مسرورين.

ولمّا استولى على تِهامة بأسْرها وأطاعه أهلُها وحُمِلت إليه حواصلُها، خرج من زَبِيْد يريد عَدَن فسار على طريق السّاحل، فاستولى عليها وعلى لَحْج وأَبْيَن في شهر صفر سنة ثمانٍ وأربعين، وتسلَّم حصن يُمَين ومُنِيف وحصون بلاد المَعافِر جميعها في شهر صفر أيضاً منَ السَّنة[٩٤ب] المذكورة.

---

(١) فَلا وفَلَى: قَطع؛ يقال فلا رأسَه بالسّيف فَلْياً: ضربه وقطعه.

(٢) النُّكب، من الرِّياح: واحدتها النَّكْباء، وهي الرِّيح النّاكبة التي تَنْكُبُ عن مهابِّ الرِّياحِ القُوَّمِ. والنُّكْبُ في الرِّياح أربع: فنكباءُ الصَّبا والجنوب تسمّى الأَزْيَب، ونكباءُ الصَّبا والشّمالِ تسمّى الصّابية وتسمّى النُّكَيْباء أيضاً، وإنّما صغّروها وهم يريدون تكبيرها لأنّهم يستبردونها جدًّا. ونكباءُ الشّمالِ والدَّبورِ قرّة، تسمّى الجِرْبِياء، وهي نيحَةُ الأزيب. ونكباءُ الجنوب والدَّبورِ حارّةٌ تسمّى الهَيْفَ وهي نَيْحَةُ النُّكَيباء، لأنّ العرب تُناوِحُ بين هذه النُّكب، كما ناوحوا بين القُوَّمِ منَ الرِّياح؛ انظر اللّسان والتّاج: (ن ك ب).

(٣) في (أ): «... ينتسب المفاخر أولا» وفي (ج، د): «... تشتيت المفاخر أولا».

(٤) في (ج، د): «الرياح».

وكان أوّل بلادٍ دخله منَ البلاد جَباً[١] فلقيه القاضي محمّد بن أسعد المُلقّب بالبهاء، فاختطب له فيها وهي أوّل بلدٍ خُطِب له فيها منَ الجبال، وحطّ على تَعِزّ في شهر ربيعٍ الأوّل منَ السَّنة المذكورة، وكانت محطّته في الموضع المعروف بدار السّعيدة، وهو بالجبل[٢] بين المدرسة الأفضليّة وقرية عَسَق[٣].

وكتب إلى الشّيخ علوان الجَحْدريّ فطلب منه رجالاً من مَذْحِج فوصله بجيشٍ جرّار، فأقام محاصِراً للحصن إلى أن تسلّمه في جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة بخديعةٍ منه، وذلك أنّه قبض يوماً منَ الأيّام بريداً جاء بكُتُب منَ المُفَضَّل ووالدته من الدُّمْلُوَة إلى أمير الحصن وزِمامه، وكان أمير حصن تَعِزّ يومئذٍ علم الدّين الشَّعْبيّ[٤]، والزِّمام أستاذٌ يُقال له: عَنبر. فلمّا قبض البريد أخذ ما معه منَ الكُتُب وقبضها وأمر من زَوّر على الخطّ حتّى أتقنَه، ثمّ كتب إلى الأمير علم الدّين الشَّعْبيّ على لسان المُفَضَّل ووالدتِهِ أن يقبض الزِّمام ويسجنه، وكتب إلى الزِّمام بمثل ذلك، وجعلت بين كتب البريد ووهب للبريد ما أرضاه ووعده بالخير.

وتقدّم البريد بالكُتُب إلى الحصن، فلمّا وقف كلُّ واحدٍ على ما كتب به إليه همَّ كلُّ واحدٍ منهما بالآخر، ثمّ اجتمعا وأطلع كلُّ واحدٍ منهما صاحبه على ما عنده، فاتّفقا على أن يكتبا إلى المُظَفَّر ويَتَوثَّقا لأنفسهما منه، ففعلا وسلّما إليه الحصن في شهر جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة.

فجعل الخادم زِماماً لبيت[٥] أسد الدّين، وكان خادماً فيه الخير، وكان للشَّعبيّ عنده

---

(١) في (الأمّ، أ، ب، هـ): «حب»، وما أثبت عن (ج، د)، وسيأتي ذكر سيطرته على «حب» عقب هذا.

(٢) في (د): «بالحبيل».

(٣) في (أ): «عشيق» وفي (ب): «عشق» وفي (ج، د): «عسيق».

(٤) في (الأمّ، أ، هـ): «الشبعي»، وهو خطأ، وما أثبت عن (ب، ج، د)، وسيرد على الصّواب بُعَيد قليل.

(٥) في (الأمّ، ب، هـ): «لبنت»، وما أثبت عن بقيّ النّسخ.

حُظْوة عظيمـة، ثـمّ إنّـه أقطعـه صنعاء، فلـم يـزل بهـا إلى أن تـوفّي في التّـاريخ المـذكور؛ يأتي ذكرُهُ.

وقيل: أقام السّلطان محاصِراً للحصن ستّة أشهر، فلمّا طال عليه الأمر كتب إلى خالته بنت جَوْزَة يسألها أن تسلّم إليه حصن تَعِزّ، ويكون ولده الأشرف وأخته وأُمّهما رهائن عندها، وأرسل بهم إليها، فكتبت إلى الأمير علم الدّين الشَّعْبيّ بتسليم الحصن إليه فسلّمه إليه في شهر جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة، ثمّ تسلّم السّلطان حصن حَبّ [في شهر رجب](1) منَ السَّنة المذكورة، وفي ذلك يقول الأديبُ محمّد بن حِمْير، رحمه الله تعالى:

(من الطّويل)

وإنْ مَلِكٌ وَلَّى فَذِي دَوْلَةٌ لَهُ ... وفي يُوسُفٍ نِعْمَ المَعُوضَةُ مِنْ عُمَرْ(2)

أَغارَ بِها مِنْ بَطْنِ مَلْحاءَ غافِقٍ ... مُحَجَّلَةَ الأَرْساغِ واضِحَةَ الغُرَرْ

ونادَتْ زَبِيْدٌ يا مُظَفَّرُ مَرْحَباً ... أضاءَ بِكَ النّادي وقَرَّ بِكَ المَقَرّ(3)

وسارَ إلى حَبٍّ وحَبُّ يُحِبُّهُ ... وما حَبُّ يَعْصِيْهِ ولو شاءَ ما قَدَرْ(4)

حُصُونُ أَبِيْهِ وَهْيَ بِالشَّرْعِ إِرْثُهُ ... وبِالسَّيْفِ لَيْسَ السَّيْفُ إِلّا لِمَنْ قَهَرْ(5)

وفي أثناء هذه المـدّة المـذكورة اتّفق الإمام أحمد بن حسين والأمير شمس الدّين أحمد[٩٥أ] بن الإمام عبد الله بن حمزة، وقصدا الأمير أسد الـدّين إلى صنعاء، فخرج منها وطلع حصن بَراش، وكان خروجُهُ من صنعاء يوم الثّاني من شهر جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) قوله: «له» سقط في (ج، د) مختل الوزن. وفي العقود (١/ ٩٥): «... دولة ابنه».

(٣) في (أ): «... يا محمد مرحبا».

(٤) هنا انتهى سقط (هـ) كما سبق ذكره أول السقط.

(٥) في (ج، د): «... إلا لمن قدر» وفي (هـ): «.. ليس الملك ...».

ودخل الإمام صنعاء يوم السّابع منَ الشّهر المذكور، ودخل معه كافّة الأشراف، وأجابته القبائل، فاستولى على صنعاء وأعمالها، ثمّ على ذَمار وجِهاتها، وكان الأمراء الحمزيّون معه، وهو غير واثقٍ بهم، وهم كذلك.

قال صاحب (العقد): وأقام الإمام في صنعاء من سنة ...[1]، والأمير أسد الدّين في بَراش يُغاديهم القتال ويُراوحهم، وقدِ اجتمعت عليه العرب كافّة مع الإمام.

فلمّا طال عليه الأمر واشتدّ الأمر راسل[2] الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام على أن يصلح بينه وبين الإمام، فأشار عليه الأمير شمس الدّين بالرُّجوع إلى مولانا السّلطان وأنّه لا ينفعه إلّا ملازمته والارْتِسام تحت أمره، ثمّ التقى الأمير شمس الدّين والأمير أسد الدّين إلى الجَبُوب، واتّفقوا على أنّهم يسعون في الصّلح بين الأمير أسد الدّين وبين الإمام، وأنّ الإمام يجهّز الأمير أسد الدّين إلى اليمن لحرب ابن عمّه مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر، فإذا قد صار قريباً منَ السّلطان أصلح بنو حاتم بينه وبين السّلطان ابن عمّه.

فاتّفق الأمر على ذلك، وسعى من سعى في الصّلح بينه وبين الإمام، فاصطلحوا على ذلك، واتّفقوا وانتظم الأمر، وتجهّز[3] الأمير أسد الدّين وسار في صحبته الأمير أحمد بن علوان وغيره من بني حاتم، وجهّز الإمام أيضاً معه الأمير عبد الله بن سليمان بن موسى ومئة فارس.

وخرج الأمير أسد الدّين في عسكرٍ عظيم، ولم يزل سائراً حتّى حطّ في الشّوافي، فلمّا علم به السّلطان الملك المُظَفَّر خرج في عسكره حتّى حطّ مقابلاً له، فسعى بينهم بالصّلح بنو حاتم وغيرهم حتّى انتظم أمر الصّلح، وكان اللّقاء في الموسعة.

---

(١) ثمّة بياض في جميع النّسخ بقدر التّاريخ الذي كان يريد ذكره؛ وفي العقد (السّمط الغالي الثّمن): ٢٤٣- المنقول عنه-: «وأقام الإمام أحمد بن حسين قريباً من سنة في صنعاء»، وفي العقود (١/٩٦): «في صنعاء نحواً من سنة».

(٢) في (الأمّ، ب): «وأرسل».

(٣) في (الأمّ): «تجهز» من دون واو.

فركب السّلطان فرسه المُشَمَّر وأقبل في جلال ملكه واحتفال جُنْدِه، وكَثْرة عسكره، وأقبل الأمير أسد الدّين يمشي راجلاً، فلمّا قرب منَ السّلطان ترجّل له السّلطان وتسالما وهما راجلان، ثمّ ركب السّلطان حصانه[(١)]، وسار الأمير أسد الدّين قُدّامه، وحمل الغاشية بين يديه حتّى دخل على الخُوان، فلمّا بلغوا المرتبة الشّريفة. قال السّلطان للأمير أسد الدّين: بسم الله يا أمير. قال: حاشاك يا مولانا، هذاك موضعك وموضع أبيك، وهذا موضعي وموضع أبي. ثمّ انتظم الأمرُ على ما شرعوه.

وخرج له من الإنعام العظيم ما هاله، حتّى قال: ليت شعري هل أبقى مولانا السّلطان في خزانته شيئاً.

ثم إنّ السّلطان، رحمه الله، جهّز مئةَ فارس إلى صنعاء وجعل مقدّمهم النّاشف البختي[(٢)] ثمّ ورد[٩٥ب] أمرُهُ على الأمير أسد الدّين بالعَوْد إلى صنعاء، فسار مبادراً في عسكره وأصحابه.

ولـمّا بلغ الإمام العلم بذلك جهّز عسكره إلى نَقِيل الغابرة، وظنّ أنّه يمنعهم من طلوع النَّقِيل، فلم تَقُم عسكره في وجه العسكر المُظَفَّريّ ساعةً واحدة.

فلمّا علم الإمام بوصول الأمير أسد الدّين في العساكر المُظَفَّريّة خرج من صنعاء إلى سَناع بعد أن أخرب قصر الأمير أسد الدّين وقصر أخيه الأمير فخر الدّين، وترك السّيّد[(٣)] الحسن بن وَهّاس الحمزي وأخاه محمّداً وغيرهما منَ الأشراف والعرب رتبةً في ظَبْوَة[(٤)]، فقصدهم الأمير أسد الدّين في العساكر السّلطانية فأخذهم برقابهم وأطلعهم حصن بَراش، ثمّ طلع السّلطان إلى صنعاء في شهر ذي الحِجّة منَ السّنة المذكورة.

---

(١) في (الأم): «فرسه» ثم كتب فوقها: «حصانه».

(٢) في (هـ): «الناشق ...»، وفي العقود (١/ ٩٧): «الناسف اليحيي».

(٣) في (ب): «السيدين».

(٤) في (الأم، ب، هـ): «امرة» وفي (أ): «صبرة» وفي (د): «صرة»، وما أثبت عن (ج) وصفة جزيرة العرب: ١٠٩.

ولمّا رجع السّلطان من سفره هذا تسلّم حصن التَّعْكَر في أوّل شهر محرَّم الحرام من سنة تسعٍ وأربعين.

وفي آخر المحرّم المذكور: وصل العلم بوصول الأمير بدر الدّين(١) الحسن بن عليّ بن رسول من مصر، وقدوم أخيه فخر الدّين أبي بكر بن عليّ بن رسول، فأوجب ذلك الصّلح بين السّلطان الملك المُظَفَّر وبين الإمام فاصطلحا.

ثمّ إنّ مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر كتب إلى كافّة النُّوّاب بالتّهائم، فأمرهم بإكرام عَمَّيْهِ والقيام بحالهما أتمّ قيام، وكتب إلى عمّته المعروفة بالنَّجْميّة - نسبةً إلى زوجها الأمير نجم الدّين بن زكري الّذي كان نائباً للمسعود على صنعاء والجبل الأعلى كافّة -وهي يومئذٍ بالتَّعْكَر يقول لها: إن رأيتِ أن تلقي أَخَوَيْك فافعلي. ففرحت بوصولهما فرحاً شديداً، لأنّها كانت تَبرّ أهلها خاصّة والنّاس عامّة.

وكان محمّد بن [أحمد بن](٢) خضر قد صار من حلف السّلطان وأُمّه زهراء بنت الأمير بدر الدّين، وكانت من أعيان الخَواتين(٣) حازمةً لبيبة، وهي الّتي بَنَتِ المدرسةَ المنسوبةَ إلى بني خضر بقرية الجَبابيّ(٤)، وفيها قبرُها وقبورهم.

وكان محمّد بن خضر قد أساء إلى السّلطان وخالف خلافاً ظاهراً، ثمّ عاد عن ذلك، فقال له السّلطان: يا محمّد أنزل مع جدّتك والْقَ جَدَّيْك، فنزل مع الدّار النَّجميّ وجهَّزهما السّلطان أَتَمَّ جهاز.

فلمّا ساروا نزل السّلطان بعدهم، ولمّا صار الأمير بدر الدّين الحسن(٥) بن عليّ

---

(١) في (الأمّ، أ، ب): «نور الدين»، وما أثبت عن (ج، د، هـ) وسيأتي على الصّواب عقب هذا الموضع.

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن ترجمة الرّجل في السّلوك: ٢/٥٦٣، والعقد الفاخر الحسن: ٤/١٧٩٠.

(٣) في (هـ): «الحرائر».

(٤) في (الأمّ، ب، د، هـ): «الخبالي»، وفي (أ، ج): «الخيالي»، وما أثبت عن السّلوك ضبط عبارة: ١/٣٤٠.

(٥) في (الأمّ، ب): «الحسين» وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ)، وقد سلف على الصّواب.

وأخوه فخر الدّين أبو بكر بن عليّ في مدينة زَبِيْد على الإِعْزاز والإكرام أقاما أيّاماً، ثـمّ سارا يريدان تَعِزّ، فلمّا دَخَلا مدينة حَيْس واجهها العلم بنُزُول السّلطان وأنّه في الطّريق فانتظراه.

فلمّا وصل أوّل العسكر إلى حَيْس خرج الأمير بدر الدّين وأخوه فخر الدّين في لقاء السّلطان، فلمّا قَرُبا منه ترجّل لهما [و]تَرَجّلا وتسالموا جميعاً، ثـمّ ركبوا دوابّهم وسار السّلطان في آلته[١٩٦أ] وجلالته، فنزل في القصر السّلطانيّ بحَيْس، ونزل عمّاه في جانبٍ منَ الدّار، فلمّا اطمأنّوا واطمأنّ السّلطان أرسل جماعةً منَ المماليك وجماعةً من الخُدّام فامسكوهما ولزم معهم محمّد بن خضر، وأمر بتَقْيِيدهم وطلوعهم إلى حصن تَعِزّ تحت الحِفْظ، فساروا بهم من يومه ذلك، فلمّا دخلوا من باب الحصن، قال الأمير بدر الدّين: قَبَحكِ الله من قلعةٍ، خرجنا منك مُقَيَّدين ورجعنا إليك مُقَيَّدين، ثـمّ تمثّل بقول الأوّل:

(منَ الوافر)

أَقُولُ كَما يَقُولُ حِمارُ سَوْءٍ وقَدْ ساموهُ حِمْلاً لا يَطِيْقُ[١]:
سَأَصْبِرُ والأُمُورُ لَهَا اتِّساعٌ كما أَنَّ الأُمُورَ لَهَا مَضِيْقُ
وإِمّا أَنْ أَمُوتَ أو المكاري وإِمّا يَنْقَضي عَنّي الطَّرِيْقُ

فأودعَهم دار الأدب، وقد كان هناك الأمير فخر الدّين أبو بكر بن الأمير بدر الدّين الحسن بن عليّ بن رسول، وكان ممّن حُبِس[٢] منهم. فكتب الأمير شمس الدّين عليّ بن يحيى إلى الأمير أسد الدّين يحقّق له ما كان منَ الأمر، وفي أثناء الكتاب شعرٌ يقول فيه:

(منَ الوافر)

وُدادي فِيكُمُ الوُدُّ القَدِيْمُ وعَهْدي ذلِكَ العَهْدُ القَدِيْمُ[٣]

---

(١) في (الأم): «... حَملا ...» بفتح الحاء، وهو المصدر، وإنّما ما يُحمل بكسر الحاء.

(٢) في (ج، هـ): «أول من حبس».

(٣) في (أ): «..العهد القديم» وفي (ج): «ودادي ذلك الود المصفى» وفي(د، هـ): «ودادي ذلك ... ...العهد القويم».

وبَيْنَ جَوانِحي مِمّا أَراهُ جَحِيْمٌ مِنْهُ تَحْتَرِقُ الجَحِيْمُ
وقُلْتُ: قُدُومُ بَدْرِ الدِّيْنِ فِيْهِ لَنا فَرَحٌ، فَما نَفَعَ القُدُومُ[1]

فبلغ خبرُهُ إلى السّلطان، فأَغْضَى عنه، وكان يكرمه ويُقْطِعُهُ الإقطاعات الواسعة، ولا يُظْهر له شيئاً ممّا يُنْقَل عنه.

وفي هذه السّنة: تقدّم المجد بن أبي القاسم[2] بالرّسالة الشّريفة المُظَفَّريّة إلى المواقف المُطَهَّرة ببَغْداد، وقيل: كان الرّسول إلى بَغْداد الأمير عزّ الدّين جعفر بن أبي الفهم، فسار على طريق بَراقِش، واتّخذ الأدلّة منَ البادية، وسلك طريق الرّمل على السّواحل البحريّة.

فحكى ابنُ أخيه: أنّهم ساروا من بَراقِش إلى بَغْداد أربعة عشر يوماً، فلمّا حضر مقام الخليفة ببَغْداد عرض الكتاب فقرأه الخليفة، ودعا لمولانا الملك المُظَفَّر وأمر بأن يُكْتب له منشورٌ وولّاهُ[3] العهد، ثمّ قال الخليفة: انظروا كم جائزة صاحب اليمن؟ فقالوا: عشرة آلاف دينار وخُلْعَة. فقال عزّ الدّين بن أبي الفهم: وكم جائزة صاحب مصر؟ فقيل له: أربعون ألفاً. فقال: لا أقبل لمَخْدومي دونها. فقال له الوزير: إنّ إقليم مصر أكبر من إقليم اليمن! فقال عزّ الدين: ما كان من ضعفٍ وعجزٍ فأوصافُ مَخْدومي تجبرُهُ. فقال الخليفة: لقد سررتنا بمقالتك. ثمّ التفت إلى الوزير فقال: أجيزوه بجائزة صاحب مصر. ففعلوا، وكتب الخليفة إلى السّلطان الملك المُظَفَّر يأمره باستئصال أحمد بن الحسين[٩٦ب]، وأكّد الوصيّة على الأمير عزّ الدّين بذلك، ثمّ سار الأمير عزّ الدّين راجعاً، وسار معه رسول الخليفة، فلمّا وصل إلى السّلطان ألبسه الخُلْعة وقرأ له المنشور، وولّاه العهد بوكالة الخليفة المستعصم له في ذلك، وسلّم له الجائزة، فأقام في دار المضيف، فحمل له السّلطان ما يستغرق الجائزة وغيرها.

---

(1) في (أ، ب، د): «لنا فرج» وهي متجهة.
(2) في (الأمّ، ب): «المجد بن القاسم»، وهو كذلك في العقود: ١/٩٩، وقد تقدّم على الصّواب.
(3) في (الأمّ، ب): «وأولاه» وما أثبت عن (أ، ج، د)، وهو كذلك في العقود: ١/٩٩. وفي (هـ): «وولاية».

ولما قتل الإمام أحمد بن الحسين كما سيأتي ذكره -إن شاء الله تعالى- كتب مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر إلى الخليفة المستعصم كتاباً يعلمُهُ فيه بذلك، فلمّا بلغ الرّسول بَراقِش لقيه الخبر بقَتْل الخليفة المستعصم بالله ودخول التَّتَر بَغْداد.

وفي هذه السّنة: اصطلح مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر هو وأخوه المُفَضَّل والفائز وأقطعهما لَحْجاً وأبْيَن، وفيها وصل رسول الخليفة إلى مكة المشرفة بكسوة الكعبة وتشريفه للملك المُظَفَّر كما ذكرنا[1]، والنّيابة له، وكسوة البيت وتقدّم إلى اليمن.

وفي سنة خمسين وستّ مئة: اصطلح الإمام والأمير أسد الدّين محمّد بن الحسن[2] ودخل الأمير أسد الدّين في طاعة الإمام، وباع عليه حصن بَراش بمئتَي ألف درهم، وانتقض ما بين الإمام والسّلطان منَ الصلح، وذلك في شهر رجب منَ السَّنة المذكورة، وسيّره في عساكره إلى ذَمار، وجهّز معه عسكراً مِن قِبله، وجعل عليهم الشّريف هبة بن الفضل العلويّ.

فلمّا اتصل العلم بمولانا السّلطان جَرَّدَ لهم الطّواشي تاج الدّين بدر[3] والأمير شمس الدّين عليّ بن يحيى، فوقع بين الأمير شمس الدّين والطّواشي تاج الدّين مُشاجَرة، فرجع الأمير شمس الدّين عليّ بن يحيى إلى[4] الأبواب الشّريفة، وسار الطّواشي تاج وَحْدَهُ في العساكر المُظَفَّرية.

فلمّا رأى الأمير أسد الدّين والشّريف هبة بن الفضل العلويّ ما هابهم منَ العساكر المُظَفَّرية هربوا إلى السَّواد، ولزموا الجبل، وأرسلوا إلى الإمام يطلبون منه الإِمْداد، فأَمَدَّهم بالأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام وجميع العرب من بني شهاب وسَنْحان

---

(١) في (ج، د، هـ): «كما سيأتي».

(٢) في (الأم، ب): «الحسين» وهو خطأ، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٣) في (ج): «وبدر».

(٤) قوله: «الأمير ... يحيى إلى» ليس في (هـ).

وغيرهم، فحصل بينهم وبين العساكر المُظَفَّرية عدّة وقائع مشهورة، ظهرت فيها بَسالة المماليك البحريّة وحَماستهم، ثمّ إنّ الإمام أحمد بن الحسين تابع الإِمْداد إليهم حتّى إنّه لم يبْقَ أحدٌ منَ القبائل إلّا صدّره إليهم.

فلمّا رأى أسد الدّين تكاثف عساكر الإمام وتواتر الإِمْداد إليه أدركته الحميّة وعطفته الأوامر[1] الرّسولية فأنذر الطّواشي تاج الدّين وصوّب له الرّجعة إلى باب السّلطان، وقال له: إنّك إذا رجعت بهذا العسكر وافراً طلع به مولانا[١٩٧أ] السّلطان فلا يقوم في وجهه واحدٌ، فعاد الطّواشي إلى ذَمار [ثمّ سار إلى اليمن][2].

وفي هذه السّنة: استولى السّلطان على حصن الدُّمْلُوْة وذلك أنّ مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر كان قد أرسل بولده الأشرف وكريمته وأُمّهما وبالطّواشي ياقوت إلى بنت جَوْزَة، وجعلهم عندها رهائن، فساسوا الأمر وعاملوا الرّتبة، وأتقنوا القضيّة.

وقيل: بل ظلّت الدّار الشّمسي كريمة السّلطان مغاضبةً لأخيها وشاكيةً منه، وظلّت الدُّمْلُوْة إلى إخوتها وإلى خالتها بنت جَوْزَة، وأظهرت الشّكوى من أخيها السّلطان الملك المُظَفَّر، وطلع معها الطّواشي ياقوت، فأقامت عندهم أيّاماً، وهي تستميل الخُدّام وتصلح أحوالهم، وتستحلف الرّتبة إلى أن أحكمتِ الأمر.

ثمّ قيل لبنت جَوْزَة: إنّ البقرة الفلانيّة في الجُوَّة ولدت عجلاً له رأسان، فأرادت النّزول إلى الجُوَّة لتنظر البقرة وولدها، فأشعرت على الدّار الشّمسي بالنُّزول فاعتذرت لمرضٍ حدث ببطنها في تلك اللّيلة، فلم تنزل معهم، ونزلت بنت جَوْزَة وأولادها، فلمّا نزلوا أوقد الطّواشي ياقوت المُظَفَّري ناراً في رأس الحصن وكانت الأمارة بينه وبين السّلطان الملك المُظَفَّر أن يوقد ناراً في رأس الحصن.

---

(١) في (أ، هـ): «الأواصر»، وهو كذلك في العقود: ٢/ ١٠١.

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

فلمّا رآها السّلطان نزل من فوره، وكان في رأس حَبّ - وقيل: في التَّعْكَر - فركب من ساعته في مئةٍ منَ الشَّفالِيت، وسار فقُطع أكثرهم في الطّريق، وبقيت معه جماعة، منهم النّقيب منصور.

فلمّا صار قريباً من باب الحصن نزل، والنّقيب قائم بين يديه، فقال: مَن هذا؟ فقال: عبدك منصور. فتفاءل به فكساه وأنعم عليه، ورفع منصبه بعد ذلك وولّاه بعض الجِهات، وارتفعت مراتب أولاده من بعده، ومن ذرّيّته الأمير الكبير المعروف بالرّكن بن العَنْقاء، وهو عبد الرحمن بن أبي بكر بن[(١)] منصور[(٢)] وغيرهم.

ولـمّا وصل السّلطان[(٣)] وجد أخاه الفائز قائماً على باب الحصن[(٤)]، ولم يفتح له أحدٌ، فقال له: هكذا تضيّعون الحصون لا معكم ولا معنا؟ وساق عنه ففتحوا له الباب، فدخل فيمن وصل معه من غلمانه وخدمه، وذلك في التّاسع عشر من ذي القِعْدة - وقيل: في الخامس والعشرين منه - منَ السَّنة المذكورة.

ولـمّا رجع الطّواشي تاج الدّين من ذَمار، ورجع الأمير أسد الدّين إلى البلاد العُلْيا فَسَدَ ما بينه وبين الإمام، وذلك أنّه لم يحصل له من قيمة بَراش إلّا التّافه اليسير، ولم يفِ له الإمام بما عاهده عليه في أمر البلاد، فسار نحو رَدْمان[(٥)]، ثمّ وجه طريق المشرق، وكان في صحبته الأمير عليّ بن وَهّاس في جماعة حتّى[٩٧ب] بلغ عَمْقَين وعَمِدان[(٦)] وجُرْدان، وهي أوديةٌ بالمشرق.

---

(١) في (أ، ج، د، هـ): «بكر بن يوسف بن».

(٢) بعد في (هـ): «والأمير عز الدين هبة بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن منصور، والأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن منصور»، وفي (ج، د): «والأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن منصور».

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «ولما وصل إلى باب الحصن».

(٤) قوله: «وجد ... الحصن» ليس في (أ).

(٥) في (أ): «ذمار» وفي (ج، د، هـ): «رداع».

(٦) في (ج، د، هـ): «وعدان».

فضاقت عليه المسالك وقصدتهم العساكر المُظَفَّرية، فلم يروا بُدًّا من قصد الشّيخ علوان بن عبد الله الجَحْدريّ الكرديّ[1] على ما بين الأمير أسد الدّين والشّيخ علوان منَ العداوة والبَغْضاء في أيّام الدّولة المَنْصوريّة، فلمّا نزلوا عليه لَقِيَهم بالرُّحْب والسَّعة، وأنزلهم في العَرُوسين، وحمل إليهم منَ الضِّيافات وأجازهم، ثمّ قصدهم مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر وحطّ في بلاد علوان وأخرب منها عدّة مواضع وأحرق مواضع أُخر.

ثمّ إنّ الشّيخ علوان لم يزلْ يُلاطف مولانا السّلطان ويُراجعُهُ ويسأله الذِّمَّة للأمير أسد الدّين حتّى أَذَمَّ له على يدِهِ؛ فقال الشّيخ علوان في ذلك، وكان من فصحاء العرب:

(منَ الطّويل)

سَلامٌ على الدّارِ الّتي في عِراصِها ... مَعاهِدُ قَوْمٍ لا يُذَمُّ لَهُمْ عَهْدُ[2]
أَناخُوا عَلَيْنا نازِلِيْنَ وفيْهِمُ ... طِوالُ القَنا والمَشْرَفِيَّةُ، والجُرْدُ
لُيُوثُ شَرًى خاضُوا الرِّمالَ فَذَلَّلُوا ... مَقاوِلَها فارْتاعَ مِنْ خَوْفِهِمْ نَجْدُ[3]
رَمَوا مَطْلَعَ الشَّمْسِ احْتِساباً لأَنْفُسٍ ... إماتَتُها مَوْتٌ على العِزِّ أو حَمْدُ[4]
إلى أَنْ سَرَى البَرْقُ اليَمانِيُّ لامِعاً ... بِدُمْلُوَةِ العِزِّ الّذي ما لَها نِدُّ[5]
[وقَدْ] قَدَّمُوا بُزْلَ الرِّكابِ على الوَجَى ... وقادُوا إِلَيْها الخَيْلَ مِنْ فَوْقِها الزَّرْدُ[6]
يَقُودُهُمُ المَلِكُ الّذي في يَمِيْنِهِ ... عَوارِفُ مِنْهُنَّ المَنِيَّةُ والرِّفْدُ
تَحُفُّ بِهِ القَوْمُ الّذين سُيُوفُهُمْ ... عَقائِقُ جَمْرٍ لا يُلائِمِها غِمْدُ

---

(١) في (ج): «الكدوي» وفي (د): «الكروي».

(٢) في (هـ): «... يذم لها ..».

(٣) في (ج): «... خاضوا البلاد ..» وفي (هـ): «... خاضوا البلاد .. تهائمها وارتاع من حولهم نجد».

(٤) في (ج، د، هـ): «أمانيها ...».

(٥) في (أ، د): «بدملوة الغراء» وفي (هـ): «... ما له ند».

(٦) ما حُفّ بمعكوفتين ورد في هامش (الأمّ) وقبله قوله: «لعله» في (أ): «فرموا ...» وفي (ج، د، هـ): «فرموا له ...».

رَأَوا مَوْرِداً عَذْباً فَلَمّا دَنَوا لَهُ   وقَدْ أَشْرَعُوا، قُلْنَ المَقادِيرُ: لا وِرْدُ
وجاشَ عَلَيْهِمْ لِلْمُظَفَّرِ عارِضٌ   لَهُ البِيْضُ بَرْقٌ والطُّبُولُ لَهُ رَعْدُ
هُمامٌ أَبَى أَنْ يُسْلِمَ المُلْكَ فانبَرى   وحَوْلَيْهِ أَرْبابُ الزَّعامَةِ، والجُنْدُ
يَسُوقُهُمْ سَوقَ السَّحابِ يَحُثُّها   نَسِيْمُ الصَّبا حتّى أَلَمَّ بِنا الوَفْدُ(١)
أَكارِمُ كانُوا لي عَدُوًّا فَأَصْبَحُوا   يُنادُونَ: يا علوانُ، قَدْ ذَهَبَ الحِقْدُ
فَقُلْتُ لَهُمْ في فَرْعِ تَيْماءَ فانزِلُوا   أَلا مَرْحَباً هذا السَّمَوْءَلُ والفَرْدُ
مَدَدْتُ لَهُمْ ظِلَّ العَرُوسَيْنِ دانِياً   بَسَطْتُ لَهُمْ أَيْدي الرَّجاءِ الّذي مَدُّوا
فَشُكْراً لِمَنْ أَدْنَى رِكابَ مُحَمَّدٍ   إِلَيَّ وأَهْداهُ لي الفَلَكُ السَّعْدُ
وأَصْبَحَ أَرْبابُ الزَّعامَةِ حَوْلَنا   وما رابَني مِنْها الوَعِيْدُ ولا الوَعْدُ
مُلُوكٌ دَنا بَعْضٌ لِبَعْضٍ فَأَصْبَحَتْ   كَتائِبُ عَزْمي وَهْيَ بَيْنَهُمْ سَدُّ(٢) [١٩٨]
وأُسْدٌ إلى أُسْدٍ تَدانَتْ فَصَدَّها   على حَنَقٍ ما بَيْنَها الأَسَدُ الوَرْدُ
فَمَنْ لِفَخارِ العُرْبِ مِثْلي ومَنْ لَها   كَمِثْلِ مَقامي في المَكارِمِ إِنْ عَدُّوا
فَحَسْبيَ أَنّي العِزُّ مِنْ آل يَعْرُبٍ   وأَنّي لِمَنْ يَلْوي على كَتِفي عَبْدُ(٣)

ثمّ نزل الأمير أسد الدّين ومن معه إلى السّلطان فلقيه بالموسعة فأكرمه وأنصفه، وسار أسد الدّين بين يديه ماشياً بسيفه، فلمّا دخلوا وَقَفَ وخَدَّم.

ثُمّ إنّ مولانا السّلطان حمل إليه أموالاً جليلة، وأيّده بعسكرٍ كثيف وأمره بالمسير إلى صنعاء، فسار أسد الدّين إلى صنعاء، فلمّا علم به الإمام خرج من صنعاء، ثمّ طلع

---

(١) في (أ): «يقودهم سوق ...».

(٢) في (هـ): «... بينهم أسد».

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «... يأوي إلى ...».

السّلطان صنعاء في شهر رجب من سنة إحدى وخمسين، وكان في رِكابه الأمير علم الدّين عليّ بن وَهّاس، فحطّ في دَرْب عبد الله، وكان الإمام في سَناع فخرج من سَناع فأخرب السّلطان سَناع وشيئاً من بساتينها، وعاد إلى اليمن، فتسلّم حصن ذَرْوان منَ الشّيخ الورد بن محمّد بن ناجي.

وفي هذه السّنة: قُتل الشّريف أبو سعد بمكّة، وكان مدّة ولايته عليها أربع سنين إلّا شهراً، فدخل عليه بنو عمّه[1] إلى داره فقتلوه في وسط النّهار؛ وكان الّذي قتله جَمّاز[2] بن حسن، وحجّ بالنّاس في ذلك العام، وأقام بمكّة.

وفي هذه السّنة: اختلف الإمام[3] والأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة وبنو عمّه فاستنصروا بالسّلطان فأمر السّلطان على الأمير أسد الدين بمناصرتهم فخرج الأمير أسد الدّين يوم الخامس من ذي الحِجّة، وقد وصلت الخزائن السّعيدة إليه، والتقى بالأمير شمس الدّين في بَراقِش بعد أن رجع الأمير شمس الدّين من مارب، ثمّ ساروا جميعاً فحطّوا على الزّاهر فأخذوه[4]، ثمّ ساروا إلى صَعْدَة، وكان الإمام يومئذٍ في صَعْدَة، فخرج بعساكره وحطّ مقابلهم فلم يكن بأسرعَ مِن أن دخل الأميران شمس الدّين وأسد الدّين[5] بالعساكر المُظَفَّرية إلى مِخْلاف صَعْدَة، وهرب الإمام إلى عَلاف، وجعل الشّريف السَّيِّد الحسن بن وَهّاس رتبةً في صَعْدَة في نصف العسكر والنّصف الثّاني مع الإمام في عَلاف، فأقامتِ المحطّة على صَعْدَة نحواً من شهر والشّريف شمس الدّين والأمير أسد الدّين يُغاديانهم ويُراوحانهم القتال حتّى انقطعت عليهم المادّة.

---

(١) قوله: «وكان مدة ... بنو عمه» ليس في (ج، د، هـ).

(٢) في جميع النّسخ: «حماد»، وإنّما هو «جَمّاز» وسيأتي على الصّواب؛ وانظر العقد الثّمين: ٣/٤٣٥.

(٣) في (هـ): «اختلف الإمام أحمد بن المنصور وبنو عمه».

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «فأخذوه فأخربوه».

(٥) قوله: «بعساكره وحط ... وأسد الدين» ليس في (د).

وفي أثناء هذه المدّة فُقئت عينُ الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله بن الحسن بن حمزة، ثمّ فُتحت صَعْدَة وأُسر الشّريف الحسن بن وَهّاس ومن معه، وكانتِ المدينة مَحْشُوَةً بأهلها وأموالهم، فنهبا منها أموالاً كثيرة[١]، وأُخِذت غنائم عظيمة، وأخذوا سبعين فرساً؛ وأجار الأمير أسد الدّين أجزل النّاس، وسَتَر الحرائم وشَحَن بَراش صَعْدَة شحنة جيّدة؛ ورتّبا في صَعْدَة الأمير عزّ الدّين محمّد بن أحمد بن الإمام وهبة بن الفضل، وعاد[٢] الأميران إلى صنعاء[٣].

وفي ذلك يقول الأمير عزّ الدّين عزّان بن سعيد بن بشر بن حاتم على لسان الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة ممتدحاً للسلطان الملك المُظَفَّر شاكراً ومُثنياً[٩٨ب]: (منَ الطّويل)

سَلامُ مُحِبٍّ وُدُّهُ ما تَصَرَّما ... يَزُورُكَ مِنْ نَجْدٍ وإنْ كُنْتَ مُتْهِما[٤]
سَلامٌ كَنَشْرِ الرَّوْضِ باكَرَهُ الحَيَا ... فَأَضحَى أَنِيقاً مُشْرِقاً مُتَبَسِّما[٥]
يَخُصُّكَ مِنْ قُرْبٍ وإنْ كُنْتَ نائِيا ... ويُهْدي تَحِيّاتي فُرادَى وتَوْأَما
فَيا أَيُّها المَلْكُ المُظَفَّرُ والّذي ... حَمَى قَصَباتِ المُلْكِ أَنْ تَتَهَضَّما
ويا دافِعَ الجُلَّى إذا الخَطْبُ مُبْهَمٌ ... وقَدْ جَنَّ لَيْلُ الحادِثاتِ وأَظْلَما[٦]
ويا مُخْجِلَ الأَنْوارِ والقَلْبُ خُلَّبٌ ... إذا جادَ بَرْقٌ مِنْ نَوالٍ وأَسْجَما[٧]

---

(١) يريد الأمير شمس الدّين والأمير أسد الدّين اللذين تقدّم ذِكرهما.

(٢) في (الأمّ): «وعادا».

(٣) في (أ): «صَعْدَة».

(٤) في (ج، د، هـ): «سلام مشوق ...».

(٥) البيت سقط في (ب).

(٦) في جميع النّسخ: « ... والجلى والخطب ..» مختلّ الوزن، وما أثبت عن العقود١/ ١١٢.

(٧) في (ب): «ويا مخجل الأقمار ...» وفي (هـ): «ويا مخجل الأنواء والبرق ..».

مَلَكْتَ فَلَمْ تَفْخَرْ، ونِلْتَ فَلَمْ تَطُلْ وجُدْتَ فَلَمْ تَتْرُكْ على الأَرْضِ مُعْدَما[1]

وصُلْتَ فَلَمْ تَتْرُكْ عَلَيْها مُعانِداً ولو أَنَّهُ يَرْقَى إلى الجَوِّ سُلَّما

إِلَيْكَ أبا المَنصُورِ أُهْدِيَتْ أَحْرُفاً أُنَبِّيكَ أَخْباراً وإِنْ كُنْتَ أَعْلَما[2]

وإِنِّي بِما أَوْلَيْتَني مِنْ صَنائِعٍ لأَسْتَنْجِدُ الأَخْبارَ كي أَشْفِيَ الظَّما[3]

وأَسْتَنْهِضُ العَزْمَ السَّعِيْدَ فَطالَما حَلَلْتُ بِهِ عَقْداً مِنَ الهَمِّ مُبْهَما

لأَنْقِمَ ثَأْراً أو لأَكْبِتَ حاسِداً وأَقْضِي لُباناتِ النُّفُوسِ وأَنْعَما

فَشَمِّرْ لِشَيْدِ المَجْدِ إِذْ أَنْتَ أَهْلُهُ وتَمِّمْ على اسْمِ اللهِ تُدْعَ مُتَمِّما[4]

فَلَمْ يَبْقَ في الأَقْوامِ إِلَّا حُثالَةٌ تَهُبُّ بِها رِيْحُ الصَّبا أَنْ تَنَسَّما

نَهَضْتَ بِجَيْشٍ مِنْكَ يَطْمُو عُبابُهُ فَضُيِّقَ رَحْبٌ لِلْفَضا حِيْنَ يَمَّما

يَجُوبُ بِقاعَ الأَرْضِ شَرْقاً ومَغْرِباً ويَطْوِي رُباها مَخْرِماً ثُمَّ مَخْرِما[5]

ويَغْشَى لَظَى الحَرْبِ العَوانِ كَأَنَّهُ طَنِيْنُ ذُبابٍ عِنْدَهُ إِنْ تَرَنَّما

نَزَلْنا بِوادِي الجَوْفِ نَرْعَى خَمِيْلَهُ ونَذْكُرُ عَهْداً كانَ فِيْهِ تَقَدَّما

فَلَمَّا قَضَيْنا نَحْوَهُ كُلَّ حاجَةٍ وجُبْنا المَواشي وَهْوَ كانَ مُحَرَّما

صَعِدْنَ بِنا أَعْمالَ صَعْدَةَ سُنَّحاً تَبارَى كَأَمْثالِ السَّراحِيْنِ سُهَّما[6]

---

(١) في (د): «.. فلم تزل على الأرض مقدما» تحريف، وفي (هـ): «... على الدهر ...».

(٢) في (أ): «أ، ج، د»: «... أهديك أحرفاً» وفي (أ): «أتيتك أخباراً ...» وفي (ج، د): «أنبك أخباراً ...».

(٣) في (ج): «... أشفي الدما».

(٤) في (ج، د): «.. على الله ...» مختل الوزن.

(٥) في جميع النسخ: «... محرما بعد محرما» كذا؟ والمَخْرِم: مُنقَطَع أنف الجبال، والجمع المَخارم، وهي أيضاً أفواه الفِجاجِ والطُّرُق في الجبالِ؛ انظر اللّسان: (خ ر م).

(٦) في (د): «اصعدت بنا ... سحنا».

ولاحَتْ مِنَ الأَقْطارِ أَعْمالُ يُوسُفٍ ... كَأَنَّ شُعاعَ الشَّمْسِ فِيها تَبَسَّما
وصاحَتْ طُيُورُ السَّعْدِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ... تُبادِرُ بِالإِرْحابِ إِنْ كُنَّ حُوَّما(١)
فَلا مَلِكٌ إِلّا وأَرْخَى قِيادَهُ ... ولا قائِمٌ إِلّا تَوَلَّى وأَحْجَما
ولا حَيَّ إِلّا اسْتَيْقَظُوا بَعْدَ هَجْعَةٍ ... وكانُوا سُكارَى قَبْلَ ذاكَ ونُوَّما(٢)
ولله دَرُّ الأَرْيَحِيِّ مُحَمَّدٍ ... شَقِيقِكَ مَحْمُودِ الثَّنا مانِعِ الحِمى
فوالله ما جَشَّمْتَهُ لِمُلِمَّةٍ ... على مِثْلِ حدِّ السَّيْفِ إِلّا تَجَشَّما(٣)
ولا قُلْتُ مَهْلاً يا خَلِيْلِي وقَدْ بَدا ... بِهِ الشَّرُّ إِلّا كَفَّ ثُمَّ تَبَسَّما
فَيا بْنَ المُلُوكِ الغُرِّ مِنْ آلِ جَفْنَةٍ ... غَدا مَجْدُهُمْ فَوْقَ السِّماكِ مُخَيِّما(٤)[١٩٩]
لأَنْتَ صَفيُّ الوُدِّ إِذْ أَنْتَ أَهْلُهُ ... ولا أَرْتَضي إِلّاكَ رُكْناً ومَغْنَما(٥)
ولا يَقْطَعَنْ بَيْني وبَيْنَكَ قاطِعٌ ... إلى أَنْ تَزُوْرا جَنَّةَ الخُلْدِ فاعْلَما(٦)
حَلَفْتُ بِرَبِّ النّاسِ حِلْفَةَ صادِقٍ ... مُؤَكَّدَةً لم أَخْشَ في ذاكَ مَأْثَما
وبِالمُصْطَفَى جَدِّي وبِالمُرْتَضَى أَبِي ... ومَنْ طافَ بِالبَيْتِ العَتِيْقِ وأَحْرَما(٧)
لَوَ انِّي رَأَيْتُ الدِّيْنَ لله خالِصاً ... وأُعْطِيْتُ مُلْكاً يَمْلأُ الأَرْضَ والسَّما
لَما سَمَحَتْ نَفْسي بِدِيْنِ مُحَمَّدٍ ... ولو لم أَذُقْ مِنْ بارِدِ الماءِ مَطْعَما

---

(١) في (ج، د، هـ): «... إن كن وجما».
(٢) في (أ): «... بعد ذاك ونوما».
(٣) في (الأمّ، ب): «فلله ما ...» والتصويب عن بقيّة النّسخ.
(٤) في (ج، د): «فيا بن الكرام ...».
(٥) في (الأمّ، ب): «ولا أرتضي إياك ...» ووفق هذا يكون المعنى هجاء لا مدحاً.
(٦) في (أ): «إلى أن نروري حنة ...» وفي (د): «ولا إن نزور أخيه ...».
(٧) في (ج، د، هـ): «ومن بات ...».

فلمّا رَأَيْتُ الحَقَّ مُلْقَى زِمامُهُ ... ولَيْسَ سِوَى الدُّنْيا مَرَدًّا ومستما[١]
تَنَكَّبْتُ عَنْ تِلْكَ السَّبِيْلِ ولم أَعُجْ ... عَلَيْها ولا في رَفْضِها مُتَنَدِّما
وعُدْتُ لِشَيْدِ المَجْدِ أُزْهي سَوامَهُ ... ولم أَذْكُرْ نَجْداً ولا أَبْرَقَ الحِمى[٢]
ويَمَّمْتُ مَحْمُودَ الطَّرائِقِ يُوسُفاً ... فَلِلّهِ مَلْكاً ما أَعَزَّ وأَكْرَما[٣]
لَقَدْ فَخَرَتْ غَسّانُ مِنْهُ بِماجِدٍ ... حَماها وأَعْلاها سِماكاً ومِرْزَما[٤]
مُجِيْباً إلى داعي التَّكَرُّمِ والنَّدى ... وإِنْ هُوَ لم يُدْعَ ابْتِداءً تَكَرَّما[٥]
فَدامَ قَرِيْرَ العَيْنِ في خَفْضِ عِيْشَةٍ ... ولا زالَ مَأْوَى للوُفُودِ ومُنْتَمى

ولمّا عاد الأمير شمس الدّين وأسد الدّين إلى مدينة صنعاء بمَن معهم منَ الأسرى وكان دخولهم صنعاء يوم الجمعة الثّاني عشر من شهر ربيعٍ الأوّل منَ السّنة المذكورة.

وفي شهر شعبان[٦] منَ السّنة المذكورة: طلعت الخزائن السّعيدة، ووردت الأوامر الشّريفة المُظَفَّريّة بخروج الأمير أسد الدّين صُحْبة الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام أيضاً إلى الظّاهر، فتجهّز الأميران وحرّكا[٧] بالعساكر المنصورة وقصدوا بلاد حاشِد، وهي مِخْلاف ابن وَهّاس فخرّبوا فيها مواضع، ثمّ نهضوا[٨] إلى مَصْنَعة بني القَديم[٩] فأخذوها ونهضوا إلى

---

(١) في (ج): «... مراداً ومغنما» وفي (د، هـ): «... مراداً ومستما».
(٢) في (أ، ج، هـ): «... أرعى سوامه».
(٣) في (أ): «... الطريق يوسفا».
(٤) السِّماك والمِرْزام: نجمان، والسِّماكان: نجمان نيّران، أحدهما السِّماك الأعزل والآخر السِّماك الرّامح. والمِرْزام: نجمٌ من نجوم الأنواء؛ انظر اللّسان: (ر ز م، س م ك).
(٥) في (الأم، ب): «ومكرما» وفي (أ، ج، د، هـ): «... ابتداء وتكرما»، وأثبت ما يتّجه به المعنى.
(٦) في (ج): «رمضان».
(٧) في (أ، ج، د، هـ): «وخرجا».
(٨) في (الأم، أ، ب): «نهض».
(٩) المستبصر: ٢٠٨.

البَوْن، ثمّ إلى الظّاهر فأخذوا موضعاً يُسمّى الأَبْرَق، ثمّ قصدوا الإمام أحمد بن الحسين إلى موضع من بلاد حِمْير يُسمّى الهَجَر[1]، وكان قد جمع جموعاً كثيرة إلى نَقِيْل الحَصِبات وأمرهم بحفظ ذلك النَّقيل، ففرق الأميران عساكرهما في جوانب النَّقِيل فقطعوا على عساكر الإمام فهزموهم هزيمةً شنيعة وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة.

وكان في جملة من قُتل الفقيه حُمَيد بن أحمد المَحَلّي، وكان من علماء الزَّيديّة وفضلائها، وله التّصانيف الجامعة والرّسائل المفردة إلى الملوك والعلماء ما ليس لأحدٍ، وقُتل مَن معه منَ الفقهاء والشّيعة، واستأسروا شمس الدّين أحمد بن يحيى بن حمزة، وكان مخالفاً للإمام على بني عمّه الحمزيّين، وهرب الإمام بعد أن أشفى على الهلاك، ثمّ تحصّن في خُلَب بالمَصانِع، ثمّ رجع الأميران إلى الظّاهر، وأرادا التّقدّم إلى حرف[2] فاختلف عليهما العسكر فوصلوا إلى صنعاء، وكان[٩٩ب] ذلك في شهر رمضان منَ السّنة المذكورة.

وفي هذه السّنة: خرج الشّريف جمّاز بن حسن من مكّة أخرجه الشّريف راجح بن قَتادة وأبو نُمَيّ وإدريس، فأقام بها راجح ثلاثةَ أيّام، ثمّ أخرجه ولدُهُ غانم، وأقام بها إلى شوّال، فأخرجه أبو نُمَيّ وإدريس فأقاما بها شهر شوّال.

وفي شهر شوّال: جهّز السّلطان الملك المُظَفَّر إلى مكّة الأمير مبارز الدّين الحسين بن عليّ بن بُرْطاس في مئتَي فارسٍ فلقيه الأشراف على باب مكّة فكسرهم، وقتل منهم جماعةً، ودخل مكّة وحجّ بالنّاس.

وفي شهر شوّال أيضاً: تجهّز الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة إلى الأبواب السّلطانية المُظَفَّريَّة هو وأخوه داود وجماعة من بني حمزة، وكان السّلطان يومئذٍ في محروسة زَبِيْد، فلمّا وصلوا خرج السّلطان في لقائهم فأكرمهم وأنصفهم، وكان له منَ

---

(١) في (د، هـ): «الهجير».

(٢) في (أ، د، هـ): «حوث» وفي (ج): «جرث».

المقابلة والإتحاف ما لم يُسمع به، وضُربت لهم الخيام والمطابخ على باب الشَّبارِق من زَبِيْد مدّة إقامتهم، واجتمعوا بالسّلطان ثلاثة أيّام، وكانت إقامتهم شهراً، وأطلّ عيد الأضحى وهم بالباب الشّريف، وقال الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام ممتدحاً للسّلطان:

(من الطّويل)

لَعَلَّ اللَّيالي الماضِياتِ تَعُودُ فتَبْدُو نُجُومُ الدَّهرِ وَهْيَ سُعُودُ
عَفا مَنْزِلٌ ما بَيْنَ نَعْمانَ واللِّوَى وجُرَّتْ بِها للرّامِساتِ بُرُودُ
وكانَتْ بِهِ العِيْنُ الغَواني أَوانِساً فَأَضْحَتْ بِهِ العِيْنُ الوُحُوشُ تَرُودُ
مَجَرَّ أَنابِيْبِ الرِّماحِ ومُبْتَنى قِبابِ ظِباءٍ رِيْقُهُنَّ بَرُودُ[1]
فيا دارَنا بَيْنَ العُيَيْنَةِ والحِمَى هَلِ الرَّوْضُ رَوْضٌ والزَّرُودُ زَرُودُ؟
فَكَيْفَ بِمَنْ أَمْسَى ظَفارِ مَحَلَّهُ ومَنْ باتَ قَدْ حالَتْ عَلَيْهِ زَبِيْدُ
هَوايَ بِنَجْدٍ والمُنَى بِتِهامَةٍ مَتَى نَلْتَقي بالمُتْهِمِيْنَ نَجُودُ
وإِنَّ فَتَى دامَتْ مَواثِيْقُ عَهْدِهِ على مِثْلِما لاقَيْتُهُ لَجَلِيْدُ
ولَمّا سَرَى البَرْقُ الشّآمِيُّ هاجَ لي جَوًى واشْتِياقاً لَيْسَ فِيْهِ مَزِيْدُ
فَهَلِ لِجَنُوبِ الرِّيْحِ أَنْ تَلْثُمَ الثَّرَى بِنَشْرِ تَحِيّاتٍ لَهُنَّ صَعُودُ
على أَرْبُعٍ بَيْنَ الصَّعِيْدِ وصَعْدَةٍ وبَيْنَ بَراشٍ لي بِهِنَّ عُهُودُ[2]
مَشاعِرَ حَجِّ الطّالِبِيْنَ فلا الأَذَى قَرِيْبٌ، ولا نُجْحُ الرَّجاءِ بَعِيْدُ
كَرُمْنَ، فَلا يَخْشَى الغَوائِلَ عِنْدَها مُنِيْبٌ، ولا يَخْشَى الهَوانَ طَرِيْدُ

---

(١) في جميع النّسخ: «... ومنيتي قناي ...» وفي العقود (١/١١٦): «مجر .... قباب ...». وما أثبت يتّجه به المعنى. والبرود من الشراب: ما تبرّد به الغُلّة.

(٢) في (ج): «... بهن عقود».

مَلاعِبُ أَمْهارِ الجِيادِ ومُلْتَقَى مَجامِعَ لا يَشْقَى بِهِنَّ وُفُودُ(١)
وأَبْراحُ أَشْباهِ الدُّمَى في كِناسِها عَلَيْهِنَّ مِنْ نَسْجِ العَفافِ بُرُودُ(٢)[١٠٠]
نَعِمْنا بِها أَيّامَ لا البَغْيُ نافثٌ بِنارٍ ولا بَيْنَ الرِّجالِ حُقُودُ(٣)
ظِلالِيَ فيها لِلوَرَى غَيْرُ قالِصٍ وبِرِّيَ حَوْضٌ لَيْسَ عَنْهُ أَذُودُ(٤)
وقَومِيَ يَوْمَ الرَّوْعِ جِنٌّ، وفي النَّدَى بُحُورٌ، وحِلْماً كالجِبالِ رُكُودُ
فَنَحْنُ طِوالَ النّاسِ عِزّاً وتَنْتَهِي إلى الأُفْقِ أَيْدِينا ونَحْنُ قُعُودُ
إلى أَنْ دَعا داعٍ إلى البَغْيِ لِلوَرَى وأَعْلَنَ فِيهِمْ كاشِحٌ وحَسُودُ
ودَلَّ عَلَيَّ الحِلْمُ قَومِي وأَنْسَبَتْ تَمالِكُ لم تُنْظَمْ لَهُنَّ عُقُودُ(٥)
وأُحْسِنُ إحْسانَ الّذِينَ جُلُودُهُمْ عَلَيْهِمْ إذا اسْتَشْهَدْتَهُنَّ شُهُودُ(٦)
فَكَمْ ماتَ مِنْ قَوْمٍ فَحَيُّوا بِحِلْمِنا وكَمْ أَخْلَفَتْ سُحْبٌ ونَحْنُ نَجُودُ
بَسَطْنا على العُرْبِ المَكارِمَ بَسْطَةً لَنا أَبْطَرَتْهُمْ والضَّلُولُ جَحُودُ(٧)
ولَمّا صَبَرْنا ظَنَّتِ النّاسُ أَنَّنا على كُلِّ خَسْفٍ سادِرُونَ هُجُودُ
فَما سَنَّ فِينا النّاسُ إلّا ظُلامَةً كما سَنَّ في قَتْلِ الحُسَيْنِ يَزِيدُ
لَقَدْ جَحَدَتْنا النّاسُ كُلَّ فَضِيلَةٍ كَأَنّا نَصارَى مِلَّةً ويَهُودُ

---

(١) في (الأمّ، ب، ج، د): «ملاعب أمهاد ...» وما أثبت وهو الصواب عن (أ).
(٢) في (د): «وإبراح ...» وفي (هـ): «.. أشباه المها ...».
(٣) في (ب): «.. بها الأيام ...» وفي (ج): «أقمت ... البغي نائبٌ» ونحوه في (د) وفي (هـ): «... البغي ثائر».
(٤) في (أ، ج، د): «وبري خصوص ...».
(٥) في (ج، د، هـ): «... وألبست».
(٦) في (أ): «وأنكر ...» وفي (هـ): «ولم يرع إحساني ...».
(٧) الضَّلول: الضّالّ.

لَمَّا قَصَدْتُ المَلْكَ ذا التَّاجِ يُوسُفاً عَلِمْتُ بِأَنَّ الهَمَّ لَيْسَ يَعُودُ
دَعوتُ فَلَبَّاني فَتًى لا مُزَبِّدٌ مَلُولٌ ولا واهي اليَدَيْنِ بَلِيدُ[1]
وما لِيَ لا أُرْخي الرِّكابَ إلى ذُرَى بِهِ الشُّهْبُ شُهْبٌ والصَّعِيدُ صَعِيدُ
وأَلْفَيْتُ كَفِّي في أَنامِلَ لم تَخُنْ عُهُوداً ولم تُخْلَفْ لَهُنَّ وُعُودُ
وما ابْنُ أبي حَفْصٍ بِدُونِ الَّذي دَعا لَهُ الحِمْيَرِيُّ المَلْكُ وَهْوَ فَرِيدُ
أَعادَ إِلَيْهِ مُلْكَ غُمْدانَ وابْتَنَى مَفاخِرَ في الدُّنْيا لَهُنَّ خُلُودُ[2]
مَكارِمُ سَنَّتْها المُلُوكُ ويُوسُفٌ لآثارِ ما سَنَّ المُلُوكُ يَشِيدُ[3]
فَسَوْحُكَ مَقْصُودٌ وكَفُّكَ قاهِرٌ وجَدُّكَ مَنْصُورٌ وأَنْتَ حَمِيدُ
صَبَرْتَ على حَمْلِ العَظائِمِ فانْتَهَتْ إِلَيْكَ العُلَى، إِنَّ الصَّبُورَ سَعِيدُ
وفي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ تَبْدُو على العِدَى بِخَطْبٍ وتُبْدي في النَّدَى وتُعِيدُ
سَبِيلُ فَتًى لا المَوْتُ يَطْرُقُ هَمَّهُ ولا المَوْتُ فِيْها يَتَّقي فَيَحِيدُ
ويَعْلَمُ أَنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ بِدائِمٍ وأَنَّ خُلُودَ المَكْرُماتِ يُفِيدُ[4]
أَنَخْنا بِكَ الآمالَ وَهْيَ رَكائِبٌ لأَرْسانِها لُطْفُ الإِلٰهِ يَقُودُ
وقَدْ كُنْتُ عَرَّيْتُ الرَّواحِلَ بُرْهَةً وأَطْرَقْتُ حَتَّى لا يُقالَ مُرِيدُ[5] [١٠٠ب]
وداوَيْتُ لابْنِ العَمِّ داءَ وَجْدَتُهُ على الصَّبْرِ يَنْمُو خَطْبُهُ ويَزِيدُ

---

(١) المُزَبِّد: من قولهم زَبَّد الإنسان إذا غضب وظهر على صِماغَيه زَبدتان. وتَزَبَّد شِدْق فلانٍ وزَبَّد بمعنى؛ اللّسان: (ز ب د).

(٢) في (ج): «مكارم في ...».

(٣) في (هـ): «لآثار ما بين ...».

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «... المكْرَمات مفيد».

(٥) في (د): «... الدواخل...». وعُرِّيَت الرَّواحلُ: إذا أُلقي عنها الرَّحْل وتُرِكت منَ الحمْل عليها وأُرسِلَت تَرعى.

فَأَدْنَيْتُ مِنْ أَمْوَاجِ بَحْرِكَ غَمْرَةً ... أَصُولُ بِها فِيمَنْ بَغَى فَيَبِيْدُ
وَخَفَّ بِسَرْجِي التُّرْكُ والعُرْبُ فاغْتَدَى ... بِعِزِّكَ رُكْنِي اليَوْمَ وَهْوَ شَدِيْدُ
كذا يَسْتَعِيْذُ الحرُّ بالحرِّ واثقاً ... بِرَبٍّ لَهُ كُلُّ المُلُوكِ عَبِيْدُ(١)
بِمَنْ بَشَّرَ المَظْلُومَ في كَلِماتِهِ ... بِنَصْرٍ لَهُ أَهْلُ السَّماءِ جُنُودُ
فَدُمْ في ظِلالِ المُلْكِ ما هَبَّتِ الصَّبا ... وما حَنَّ في جُنْحِ الظَّلامِ رُعُودُ

ولمّا عزم الأمير شمس الدّين على الرُّجوع حمل إليه السّلطان منَ الأموال والخيول والكَساوي والطُّرَف ما لا يعلمه إلا الله، وأقطعه مدينة القَحْمَة وجَهَّز معه مئة فارسٍ منَ المماليك والحَلَقَة(٢)، فتقدّم الأمير شمس الدّين إلى الجوف فاستباحه، وكانت له فيها وقعاتٌ عظيمة.

وفي سنة ثلاثٍ وخمسين: جمع أشرافُ مكّة جمعاً عظيماً، وقصدوا المبارز بن بُرْطاس وحاصروه بمكّة، ودخلوا عليه من رؤوس الجبال وقاتلهم في وسط مكّة، فكَثَرُوهُ فكسروه وقتلوا جماعةً من أصحابه ولزموه؛ فاشترى نفسه منهم وعاد إلى اليمن هو والجُنْد الّذين كانوا معه في ذلك الوقت، ووقعت الحرب بين أشراف مكّة وبين أهل العراق، وأصلح بينهم أمير حاجّ الشّام.

وفي سنة أربع وخمسين: خرجت نارٌ بالحجاز بالقرب من مدينة سيّدنا رسول الله ﷺ، فكانت تأكل الحجر ولا تضرّ الشَّجَر، فأقامت مدّةً يعلو لهيبُها ودُخانُها ليلاً ونهاراً، وكانت تُرى على مسافة أيّام، ثمّ طفئت بعد مدّة، وهي الّتي ذكرها رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) في (الأم، ب): «فذى يستعيد ...»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٢) في جميع النّسخ: «الحلية»، وما أثبت عن نور المعارف: ٢/٥٤، وفيه تكلّم على المماليك البحريّة والحَلَقَة المنصوريّة؛ وانظر العقود اللّؤلؤية: ١١٨.

«تظهر في آخر الزّمان نارٌ بالمدينة[1] تُضيء لها أعناق الإبل ببُصْرى من أرض الشّام»[2]، فكان كذلك.

وفي شهر رمضان من هذه السّنة: احترق مسجد رسول الله ﷺ [ولم يبقَ إلّا الضّريح الشّريف فإنّه لم تصله النّار ببركة رسول الله ﷺ][3]، فأرسل الخليفة بعِمارته وآلاته من بَغْداد إلى عند قاضي الشّرع، فلم يتمكّنوا من عمل السِّتارة، فاشتروا من بني شيبة سِتارة الكعبة وعلّقوها على الضّريح الشّريف.

وفي سنة خمس وخمسين: حصل قَحْطٌ عظيم، وارتفع سعر الطّعام ارتفاعاً كلّيًّا في صنعاء وصَعْدَة والظّاهر، ومات كثيرٌ منَ النّاس جوعاً، وأقام ستّة أشهر، ولمّا اشتدَّ أَكَلَ النّاس الكلاب والسِّباع، وفيها اجتمع علماء الزَّيديّة، وفيهم الشّيخ أحمد بن محمّد الرَّصّاص فعابوا على الإمام أحمد بن الحسين أشياء من سيرته وطعنوا عليه وأنكروا أفعاله إنكاراً عظيماً، وأمر بإخافتهم فلحقوا بالمغرب، وقيل: خرجوا من حُوْث على وجه الغضب إلى بلاد بني صفيّ الدّين، فأرسل إليهم السّيِّد الحسن بن وَهّاس ليسمع ما عابوا عليه، فقال[4] له خَواصّه: لا ترسله إليهم فإنّهم يستميلونه إليهم[١٠١أ]، فخالفهم [وأرسله][5]، فلمّا وصل إليهم ناظروه فاستمالوه وصار واحداً منهم، فاجتمعت كلمتهم وصار رأسهم، وكاتبهم الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام يطلب منهم الاتّفاق على حرب الإمام فأجابوه إلى ذلك، فسُرَّ بذلك سروراً عظيماً، فخرج من صنعاء وطلعوا إليه من المغرب، فالتقوا بالبَوْن وصارت كلمتهم واحدة، واجتمعوا على قتاله بعد أن سألوه المُناظرة فيما

---

(١) في (ج، د، هـ): «نار في شرقي المدينة».

(٢) صحيح البخاري:٦/٢٦٠٥، ورقمه: ٦٧٠١، وصحيح مسلم: ٤/٢٢٢٧، ورقمه: ٢٩٠٢. وقد تصرف المصنف في الحديث.

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٤) في (الأمّ، ب): «فقالوا».

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

عابوه من سيرته فأبى، فكتب الأمير شمس الدّين إلى السّلطان الملك المُظَفَّر يعلمه بمَيْل الشّيعة عنِ الإمام ويستمدّه بمال، فأرسل إليه بمئة ألف درهم مع الشّريف علم الدّين حمزة بن الحسن فوافاهم بها قبل الوقعة بساعة، [وكانت][1] المكاشات مطروحة بين الخيام حتّى كان ما كان.

ولما اجتمع الأشراف والشِّيعة على قِتال الإمام أحمد بن الحسين وكان اجتماعهم بشُوابَة خرج الإمام بعسكره من حصن مُدَع نحوهم، وكان ظاهر الأمر منَ الفريقين اللّقاء للمناظرة لا للحرب، فحطّ الإمام قريباً منهم في موضع يُقال له: المَنْظَر فوق قرية شُوابَة، ثمّ نهض منَ المَنْظَر إلى موضع في غَيْل شُوابَة فاعترضته طلائع الأشراف دونها ووقع القتال وتداعت عليه الأشراف من كلّ جانب، وقتل[2] عسكره ولم يثبتوا وكانوا ثلاث مئة فارس ونحواً من ألفي راجل، وكان بنو حمزة يومئذٍ ثمانين فارساً وأربع مئة راجل، فلمّا رأى انهزام عسكره عدل إلى موضعٍ قريب منه، فاستقام فيه وظنّ أنّ الناس يقاتلون عنده فهربوا عنه وأسلموه فريداً فعُقِرَت فرسُهُ، وتولّى قتله رجّالة ظَفار، ولم يباشر شمس الدّين له ضربةً ولا طعنة.

ولما قُتِل رحمة الله عليه قطعوا رأسه وجاؤوا به إلى الأمير شمس الدّين وإلى ابن الرَّصّاص وسائر فقهاء الشِّيْعة، وحمل بعد ذلك إلى ظَفار ورُكِّب به في مدينة ظَفار وطِيْف به في الحصون والأسواق، ولما داروا به في الحصون والأسواق وغيرها، أمر الأمير عليّ بن موسى بن عبد الله بتكفينه ودفنه في المشهد فصدّه عن ذلك أهل المشهد، وقالوا: لا يحلّ قبره في المشهد. فَقَبَره تحت حصن القاهر في موضع الكُنُف والأَزْبال حتّى أمر الأمير شمس الدّين بإنزاله إلى شُوابَة وقَبَرَهُ مع جثّته فقُبِر في موضع يُقال له: الشَّرْعَة من غَيْل

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «وفشل» ولعلها الصواب.

شُوابَة، فأقام في ذلك الموضع ثلاث سنين، ثمّ نُقل إلى ذِيْبِين، فهو هنالك إلى عصرنا هذا يُزار ويُتبرَّك به.

قال الجَنَديّ[(١)]: وأخبر الثّقة أن موضع قبره الأوّل بشُوابَة يوجد عنده رائحة المِسْك.

وكان قَتْله يوم الأربعاء سَلْخ شهر صفر من سنة ستٍّ وخمسين وستّ مئة.

وقال الجَنَديّ[(٢)]: قُتل في اليوم الّذي قتل فيه الخليفة ببَغْداد، وكان الخليفة المستعصم قد كتب إلى السّلطان الملك المُظَفَّر يأمره بأحمد بن الحسين حين بلغه ظهوره وإقبال النّاس عليه[١٠١ب] ووعده على ذلك إقطاع مصر.

وكان الإمام أحمد بن الحسين أَمْثَلَ أئمة الزَّيديّة المتأخّرين عِلْماً وعملاً وجُوداً وكرماً.

وللقاسم بن هُتَيْمل فيه غُرَر المدائح موجودة في ديوانه.

ولما قُتِلَ الإمام أحمد بن الحسين في التّاريخ المذكورة كتب الأمير شمس الدّين إلى السّلطان الملك المُظَفَّر وأرسل رسولاً على الفور مُعَجَّلاً، وكانت نسخة الكتاب-:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، نجدّد السّعادة ونشكر النّعمة لله تعالى، ثمّ للمقام العالي السّلطاني خلّد الله ملكه، وننهي صدورها منَ المصاف[(٣)] بشُوابَة ورأس أحمد بن الحسين بين يَدَيْ: (مَن الطّويل)

وأَبْلَجَ ذي تاجٍ أَشاطَتْ رِماحُنا ... بِمُعْتَرَكٍ بَيْنَ الفَوارِسِ أَقْتَما
هَوَى بين أَيْدِي الخَيْلِ إِذْ فتكَتْ بِهِ ... صُدُورُ العَوالي يَنْضَحُ المِسْكَ والدَّما

وعلى إثر الوقعة تقدّم الأمير شمس الدّين إلى الجوف، ثمّ إلى جهة صَعْدَة في كافّة أصحابه.

---

(١) السّلوك: ٥٤٨/٢.

(٢) السّلوك: ٥٤٨/٢.

(٣) في (الأم، ب): «المصنف» وفي (أ): «المصف» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

وفي يوم ثالثِ قتْل الإمام كانت دعوة الشّريف الحسن بن وَهّاس إلى نفسه بالإمامة فبايعه[١] الشّيعة والأشراف، وبعض عامّة الزَّيديّة وتأخّر الباقون، ولمّا بُويع الحسن بن وَهّاس سار إلى صَعْدَة واقتسم هو والأمير شمس الدّين الحصون والبلاد نصفين.

ولمّا علم السّلطان الملك المُظَفَّر ببيعة الحسن بن وَهّاس خرج في عساكره المنصورة إلى الموسعة، ثمّ أرسل الأمير أحمد بن علوان إلى الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام إلى صَعْدَة، وقد ظنّ به الظُّنون، فرجع أحمد بن علوان بما أرضاه من العلم فعاد ركبانه[٢] إلى تَعِزّ المحروسة، ثمّ جهّز العساكر المنصوريّة صحبة الأمير مبارز الدّين الحسين ابن بُرْطاس إلى حَجّة، فاستولى على بعض حصونها، واشتدّ القحط والغلاء بعد قتل الإمام أحمد بن الحسين ومات كثيرٌ منَ النّاس، ولاسيّما فقهاء الزَّيديّة والحمزيّين؛ وأوّل من مات منهم: الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة، توفّي في شهر ربيعِ الأول منَ السَّنة المذكورة بصَعْدَة، وقيل: كانت وفاتُهُ في الثّالث عشر من شهر جُمادَى الأولى، فقام بالأمر بعده أخوه الأمير نجم الدّين موسى ابن الإمام فلم يلبث أن مات[٣]، ثمّ مات أخوه الحسن[٤] بن الإمام، ومات طائفةٌ من أولاد وَهّاس: سليمان[٥] وعبد الله والمؤيّد وإبراهيم.

ثمّ قام من بني حمزة الإمام صارم الدّين داود بن الإمام، فاتّفق هو والإمام الحسن بن وَهّاس مدّة، وخالفه عليهما[٦] محمّد بن سليمان بن موسى بن داود بن عليّ بن حمزة بن سليمان بن حمزة، فمال إلى خدمة السّلطان.

---

(١) في (ج، د، هـ): «فتابعه».

(٢) في (ج، د، هـ): «ركابه».

(٣) قوله: «فقام بالأمر ... أن مات» سقط في (ج).

(٤) في (أ): «أحمد».

(٥) في (ج، هـ): «ابن سليمان».

(٦) في (أ): «وحالف عليهما» و(ج، د، هـ): «وخالف عليهما».

ولما رجع الأمير مبارز الدّين الحسين[1] ابن بُرْطاس من مخرج حَجّة إلى الأبواب السّلطانية، جهّزه السّلطان[١٠٢أ] أيضاً إلى حَجَّة إلى[2] شمس الدّين عليّ بن يحيى في جيشٍ كثيف، وكان فيها الأمير أبو الحسن أحمد بن قاسم ابن عمّ الإمام أحمد بن الحسين.

فلمّا وصل الأمير شمس الدّين عليّ بن يحيى إلى مَفْرَقٍ -وهو وادٍ بين المِخْلافة وحَجّة- كتب الأمير شمس الدّين عليّ بن يحيى إلى الأمير أبي الحسن أحمد بن قاسم بيتاً واحداً، وهو: (منَ الطّويل)

أبا حَسَنٍ ما جِئْتُ مَفْرَقَ طالِباً   لِمَفْرَقَ، لكنْ غَيْرَ مَفْرَقَ أَطْلُبُ

فأجابه الفقيه نظام الدّين القاسم بن أحمد[3] الشّاكريّ على لسان الأمير أبي الحسن أحمد بن قاسم ببيتٍ واحد أيضاً، وهو: (منَ الطّويل)

أَبا حَسَنٍ قَدْ يَجْلِبُ النَّومُ ما تَرَى   وقَدْ رُبَّما احْتَكَّتْ بالَافْعاءِ عَقْرَبُ[4]

ولم يلبث الأمير عليّ بن يحيى أن عاد إلى الأبواب الشّريفة السّلطانيّة وتسلّم السّلطان حصن أَشْيَح في ذي الحِجّة منَ السّنة المذكورة، ثمّ كانت المحطّة على حصن الكُمَيم، حطّ عليه الأمير أسد الدّين محمّد بن سليمان بن موسى[5]، والأمير شمس الدّين عليّ بن يحيى فتسلّموه في سنة سبع وخمسين.

وفي سنة سبع[6] وخمسين: تسلّم السّلطان حَجّة وحصونها وحصن الرَّبَعَة[7]، وتسلّم هَداد، وكان الأمير أسد الدّين محمد بن سليمان بن موسى بن داود بن عليّ بن حمزة قد

---

(١) في (ج، د): «الحسن» وفي (هـ): «مبارز الدين علي بن الحسين».

(٢) قوله: «إلى» ليس في (ج، د، هـ)، وهو كذلك في العقود: ١/١٢٦؛ وما يفهم من المتن أنه كان مدداً لشمس الدين.

(٣) في (الأم، ب): «أحمد بن القاسم» وما أثبت وهو الصّواب عن (أ، ج، د، هـ).

(٤) في (ج): «... اليوم ما ترى» ولعل الصواب: «... البُوم ...».

(٥) في (هـ): «موسى بن داود بن علي بن حمزة».

(٦) في (أ): «تسع».

(٧) في (ج، د): «الدفعة».

مال إلى خدمة السّلطان كما ذكرنا، وبنى موضعاً يسمّى الرَّوق في بلاد بني صَرار[١] فضاق الأمير أسد الدّين محمّد بن الحسين[٢] وأمر مملوكه الأمير جمال الدّين أقوسى[٣] الأَلِفيّ فحطّ على الرّوق حتّى كاد يأخذه، ثمّ طلع مولانا السّلطان مِخْلاف ذَمار فأخذ بَراش العَرْش قهراً بالسّيف فأخربه واستأسر فيه[٤] ولد الأمير أسد الدّين في جماعةٍ كثيرة، ثمّ أخذ الرّوق وأخربه أيضاً.

ولـمّا خالف الأمير أسد الدّين محمّد بن سليمان بن موسى على الإمام الحسن بن وَهّاس استولى على الجوف، فسار إليه الأمير صارم الدّين داود[٥] ابن الإمام، والأمير نجم الدّين علي بن وَهّاس في عسكرٍ عظيم من عسكر أخيه، وكان محمّد بن سليمان في سوق دُعام، فلمّا وصله العسكر قابلهم[٦] فكُسِر ودخلوا عليه الدَّرْب قهراً، فالتجأ إلى دارٍ فيه فدخلها، فدخل الحسن بن محمّد الجُحافيّ فقتله، وتثور بأبيه محمّد بن جُحاف؛ وكان سليمان[٧] بن موسى قد أَسر محمّد بن جُحاف في جماعةٍ من أصحابه، ثمّ ضرب أعناقهم صَبْراً، فظفر ابنُهُ في هذا اليوم بمحمّد بن سليمان فقتله بأبيه، وكان جملةُ القتلى في هذه الوقعة مئةَ رجل، ثمّ لم يلبث الأمير صارم الدّين داود ابن الإمام والإمام الحسن بن وَهّاس أنِ افترقا وصار ما بينهما متباعداً أشدّ التّباعد.

وفي هذه السّنة: وقعت[١٠٢ب] الزّلزلة بصنعاء في الرّابع من ذي الحِجَّة، ولم تُخْرِب شيئاً، ثمّ وقعت زلزلةٌ أخرى بالمغرب أخذت جبالاً وهدمت مواضعَ كثيرة، وكانت في

(١) في (ج): «ضرار» وفي (هـ): «طرب».

(٢) في (أ، ج): «الحسن» وقوله: «الأمير ... بن الحسين» ليس في (هـ).

(٣) في (أ): «أقموش» وفي (ج، د، هـ): «أقوس».

(٤) في (ج): «واستأثر».

(٥) في (ج): «ابن داود».

(٦) في (أ، د، هـ): «قاتلهم».

(٧) في (أ): «وكان ابن سليمان».

الثاني والعشرين منَ الحِجّة أيضاً، وفيها تولّى السّلطان أمر الحَرَم وعِمارته وإقامة مَناره[١] وخدمته، وجَوامِك[٢] خُدّامه.

وفي سنة ثمانٍ وخمسين: طلع السّلطان صنعاء فدخلها في المحرّم أوّل السّنة المذكورة، وكان الأمير أسد الدّين محمّد بن الحسن في ذَمَرْمَر فطلب من مولانا السّلطان أن يجهّزه إلى حضرموت فساعده إلى ذلك وزوّده، فخرج إلى الجوف فلقيه خضر بن محمّد بن جُحاف وعبد الله بن منصور بن ضَيْغَم فطلبوا منه النّصرة على آل راشد بن مُنِيف فأجابهم إلى ذلك، وكانوا حلف مولانا السّلطان فوقعت الحرب بينهم فقُتل طوق بن حميدان[٣] في جماعةٍ من آل راشد.

فلمّا علم السّلطان بذلك ضاق صدره على الأمير أسد الدين [وتعذّر على الأمير أسد الدّين][٤] المسير إلى حضرموت، فتوجّه نحو ظَفار[٥] الأشراف فأقام فيه أيّاماً، ثمّ خرج الأمير صارم الدّين داود ابن الإمام في عسكره، والأمير أسد الدّين فيمن بقي معه من مماليكه، وقد كان لحق أكثرهم بالسّلطان وتأهّبوا لحرب الإمام الحسن بن وَهّاس فالتقوا بعصافر فانهزم عسكر الإمام، وثبت ثباتاً حسناً، وقاتل قتالاً شديداً، وكان فارساً شجاعاً منَ الشّجعان المشهورين فانهزم أصحابه، ولم ينهزم وكان لا ينهزم أبداً؛ ولذلك أُسر ثلاث مرّات، هذه المرّة الثّالثة، في كلّها يأسِرهُ الأميرُ أسد الدّين، وهذا من عجيب الاتّفاق، ولم يزل مسجوناً عند الأمير صارم الدّين عشر سنين، ثمّ أخرجه على ما سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (أ، ج): «منابره» وفي (د): «منائره».
(٢) الجوامِك: الرّواتب.
(٣) في (ج، د، هـ): «حمدان».
(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).
(٥) في (ج، د، هـ): «ذمار».

وفي شهر ربيع الآخر منَ السَّنة المذكورة: تقدّم الرّكاب العالي إلى اليمن المحروس، وترك الأمير شمس الدّين عليّ بن يحيى(١) في صنعاء [مُقْطَعاً](٢)، فلم يقم إلّا قليلاً حتّى وصل الأمير أسد الدّين فحطّ في المدورة فوق الحمراء، وكان يغير إلى صنعاء فأغارت خيله عشيّةً إلى صنعاء، فخرج العسكر لقتالهم، فقُتل مملوكُهُ الأمير جمال الدّين أقوس الأَلِفي أُصيب بسَهْم؛ وكان الّذي رماه الأشقرُ أحدُ مماليك أسد الدّين أيضاً، ولكنّه قد صار في جملة العسكر السّلطانيّ.

وكان الأَلِفيّ أحد المشهورين(٣) بالشّجاعة والكرم.

ولـمّا بلغ السّلطان ما كان من أسد الدّين جهّز الأمير علم الدّين سُنْجُر الشّعبيّ مغيراً إلى صنعاء فارتفع الأمير أسد الدّين من محطّته ولحق ببلاد الأشراف(٤)، ولم تقم له رايةٌ بعد ذلك.

وأعاد الأمير علم الدّين المَحاطّ على بَراش، وبقي الأمير أسد الدّين يتردّد من ظَفار إلى ظُفَر(٥)، ثمّ لحقته ضَرّةٌ(٦) شديدة حتّى باع ثيابه، فكتب إلى السّلطان كتاباً يقول فيه[١٠٣أ]: (منَ الطّويل)

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ أَنْتَ آكِلي وإِلّا فَأَدْرِكْني ولَـمّا أُمَزَّقِ

فأمر السّلطان [الأمير](٧) علي بن يحيى والأمير عبد الله بن العبّاس إلى الأمير أسد الدّين فما زالا به حتّى نزل معهما إلى السّلطان، وإنّما أرسل إليه السّلطان الأميرَ عليّ بن

(١) في (أ): «علي بن موسى بن يحيى».
(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب، د).
(٣) قوله: «وكان ... المشهورين» ليس في (هـ).
(٤) في (ج، د، هـ): «الشرق».
(٥) في (الأمّ): «ضفر» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.
(٦) في (أ، ج، د، هـ): «مضرة». والضَّرّة: شدّ الحال.
(٧) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د).

يحيى لِما يعلم[١] بينهما منَ المحبّة والصّداقة.

فلمّا وصل الأمير شمس الدّين إلى الأمير أسد الدّين بكى عنده وتألّم منَ القبض على أبيه وأخيه، وقال له: لعلّك في القرب أَنْفَع لهم منَ البعد، ولعلّنا ننتظر فرصةً في الدّهر نفعل كذا وكذا. فنُقل ذلك إلى السّلطان، وكان السّلطان يومئذٍ في محروسة زَبِيْد، فلمّا وصلوا زَبِيْد[٢] أمر السّلطان بالقبض عليه وعلى عليّ بن يحيى فقيّدهما وأرسل بهما إلى حصن تَعِزّ، فقال في ذلك القاضي سراج الدّين أبو بكر[٣] بن دَعّاس: (منَ البسيط)

ما دارَ في فَلَكِ الأيّامِ ذا أبَداً ... كَلّا ولا دارَ لِلأقْوامِ في خَلَدِ

إنّ الكُسُوفَ جَمِيْعاً والخُسُوفَ مَعاً ... في ساعَةٍ في نُزُولِ الشَّمْسِ بِالأَسَدِ

فلمّا وصلوا بهما إلى تَعِزّ ودخل الأمير أسد الدّين على أبيه وأخيه وعمّه وابن أخيه محمّد بن خضر جعلوا يعاتبونه ويخاصمونه، فقال لهم: يا هؤلاء لا نكن مثل أهل جهنّم ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[الأعراف: ٣٨]. فلم يزالوا في السّجن إلى أن تُوفُّوا إلى رحمة الله تعالى.

فأمّا الأمير بدر الدّين الحسن بن عليّ بن رسول فتوفّي في سنة اثنتين وستّين[٤] وستّ مئة، وهو الّذي بنى المسجد بعَكّار[٥] عند تُرْبة أبيه[٦] عليّ بن رسول ووقف عليه وقفاً جيّداً للدَرَسَة ومدرّس وإمام ومؤذّن وضيف إن نزل المسجد.

وأمّا الأمير أسد الدّين محمّد بن الحسن بن عليّ بن رسول فإنّه تاب في السّجن[٧]

---

(١) في (أ): «لما يعلم والأمير عبد الله بن عباس».
(٢) قوله: «فلما وصلوا زبيد» ليس في (ج، د، هـ).
(٣) في (ج): «بن أبي بكر».
(٤) في (ب): «اثنتين وست مئة».
(٥) في (ج): «بعكان».
(٦) في (ج، د): «أخيه».
(٧) في (أ): «بات في المسجد».

وحسنت سيرته، ونَسَخَ كتباً كثيرةً ومصاحف ومقدّمات ووقف شيئاً منها في ذي عُقَيب وشيئاً في مدرسته الّتي أنشأها.

ومنَ المآثر الّتي أنشأها الأمير أسد الدّين: مدرسة بقرية الجَبابيّ[1]، حيث كان يسكن، وفيها تربته وتربة ذرّيته، وله مدرسة[2] في مدينة إبّ وبنى سَدًّا في قرية فرقة[3] ووقف على الجميع وَقْفاً يقوم بما يليق من حاله، وكان يستدعي الفقيه أحمد بن عليّ السُّرْدُديّ وغيره منَ الفقهاء إلى السّجن ويسمع عليهم هو وعليّ بن يحيى ومحمّد بن خضر كتبَ الحديث، وكان كثير الإحسان إليهم، وكان من أكمل بني رسول في الدّين والشّجاعة والكرم وعُلُوّ الهمّة، وكان أيِّداً قويًّا شديداً وبقوّته يُضْرَب المثل، فكان يقبض على الرّكاب الحديد فيضمّ بعضه إلى بعض، ورمى الهلال الّذي على رأس مَنارة صنعاء بدَبّوس من حديدٍ فأماله عن مستقرّه.

وكانت وفاته على الطّريق المرضيّ في السّجن يوم الأحد الثّالث[١٠٣ب] عشر من ذي الحِجّة من سنة ستّ وسبعين وستّ مئة، وله ذرّيّة مشتغلون بالعلم والعمل إلى يومنا هذا، واجتمعت ذرّيّة بني رسول بقرية الجَبابيّ[4] وعَكّار، وكان فيهم من يسطو على النّاس بإدْلال قرابة السّلطنة، فشقّ ذلك على كثيرٍ منَ النّاس، فكتب منصور بن حسن - وكان يومئذٍ ملتزم المِخْلاف- إلى مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر يعلمه بالحال، فعاد جوابه: رحمة الله عليك، أَنْفُكَ مِنْكَ وإِنْ جُدِعَتْ؛ (منَ الطّويل)

وإِنْ كُنْتُ أَكّالاً لُحُومَ بَني أَبي ... فَلَسْتُ بِمُهْدِيْها إلى كُلِّ جازِرِ

فللّهِ دَرُّهُ ما أكرَمَه.

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ عامله الله بإحسانه: وقد جرى مثل هذه القصّة في أيّام

---

(١) في جميع النّسخ: «الخبالي»، وما أثبت عن السّلوك ضبط عبارة: ١/ ٣٤٠.

(٢) قوله: «بقرية الخبالي ... وله مدرسة» سقط في (أ).

(٣) في (ج، د، هـ): «قرقة».

(٤) في جميع النّسخ: «الخبالي»، وما أثبت عن السّلوك ضبط عبارة: ١/ ٣٤٠.

السّلطان الملك المجاهد، [وذلك](١) أنّ بعض بني رسول - وهو الأمير شرف الدّين محمّد بن الأمير صلاح الدّين أبي بكر ابن السّلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن عليّ بن رسول - كان قد استوطن قرية النُّوَيْدِرة بزَبِيْد وتديّرها وكان رجلاً لبيباً عاقلاً أديباً، فاحتاج إلى معاشرة النّاس على اختلاف حالاتهم، وكان يعامل كلّ أحدٍ بما يليق به، فيعامل السِّفْلة والسُّوقة ومَن لا إنسانيّة فيه بما يليق بهم من إظهار الجبروت والبطش، فيشكونه إلى الوالي بزَبِيْد - وهو محمّد بن أحمد بن الخَرْتَبَرتي(٢) - فلا يجد مقدماً عليه، وكان للشّريف المذكور غلامٌ يجلب الحِنّاء من وادي [زَبِيْد](٣) ويبيعه تحت بيت سيِّده في النُّوَيْدِرة، فشكاه ضامن الحِنّاء أيضاً إلى الوالي المذكور، فكتب الأمير ابن الخَرْتَبَرتي إلى السّلطان الملك المجاهد، رحمة الله عليه، يشكو حاله ويعدّد أفعاله ويذكر بيع الحِنّاء وأنّه كسر الضّامن(٤).

فكتب السّلطان الملك المجاهد إلى الأمير المذكور يقول: يا محمّد، أما رضيتم ببعض بني رسول أن يبيع عندكم الحِنّاء، ولا وَسِعَهُ الموضع؟ إذا قدرت أن تقصره فأقصره، وأمّا نحن فلا نمنعه عن شيءٍ من ذلك.

فامتنع الأمير وغيره عن معارضته.

وأمّا محمّد بن خضر فإنّه أُطلق منَ السّجن بعد وفاة الأمير عليّ بن يحيى وأقام(٥) في مسكنه بالمَنْظَر غربيّ الجَبابيّ(٦) وكان خيِّراً فاضلاً عالماً بأخبار النّاس، ذاكراً للتّواريخ، كثيرَ المطالعة في الكتب، ولم يزل السّلطان الملك المُظَفَّر ومَنْ بعده مِنَ الملوك يُجْرون عليه ما يقوم بحاله إلى أن تُوفِّي في النّصف من شعبان سنة سبعٍ وسبع مئة.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).
(٢) في (د): «وهو أحمد بن الخرتبرتي».
(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د).
(٤) قوله: «ويذكر بيع ... الضامن» ليس في (ب).
(٥) في (الأم): «وأقامه» وهو خطأ.
(٦) في جميع النّسخ: «الخبالي»، وما أثبت عن السّلوك ضبط عبارة: ١/ ٣٤٠.

ولمّا قبض شمس الدّين عليّ بن يحيى وكان مُقْطَعاً بصنعاء طلع عُقَيب ذلك الطّواشي نظام الدّين مختصّ نائباً في صنعاء، ورجعت المَحاطّ على فِدَة[1] وبَراش والظَّفَر فأقام مدّة، ثمّ طلع بعده فيروز فأقام أيّاماً قلائل، ثمّ طلع الأمير عزّ الدّين هبة بن الفضل مُسْتَخلِصاً للأموال، فاستخلصها[١٠٤أ] على أتمّ ما يكون، ثمّ تسلّم السّلطان حصن [حرة في شهر رجب، وكان بناه بنو وَهّاس فأُخْرِب بعد ذلك التّسليم، ثمّ تسلّم حصن][2] فِدَة في ذي الحِجّة منَ السّنة المذكورة.

وفي سنة تسعٍ وخمسين: تسلّم السّلطان حصن [عَضُدان في المحرَّم أوّل السّنة المذكورة، ثمّ تسلَّم السّلطان حصن][3] بَراش في رجب منَ السّنة المذكورة منَ الشّريف أحمد بن محمّد العَلويّ وعوّضَهُ عنه المَصْنعة وعَزّان من بلاد حِمْير ومالاً أعطاه إيّاه.

وفي شهر رمضان من هذه السّنة المذكورة: طلع الأمير علم الدّين سُنْجُر الشّعبيّ صنعاء مُقْطَعاً لها ولأعمالها، وقد تأهّب السّلطان، رحمه الله إلى مكّة المشرّفة لأداء فريضة الحَجّ، فخرج من حصن تَعِزّ في شوّال منَ السّنة المذكورة، فكان له من الصّدقات في البَرّ والبحر ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وكان رحمة الله عليه يسير في البرّ والمراكب تسير في البحر مسايرةً له بالعُلُوفات والأطعمة.

فلمّا قارب مكّة المشرفة، حرسها الله تعالى، خرج عنها الشّريفان إدريس بن قَتادة وأبو نُمَيّ بن أبي سعد[4] بن عليّ بن قَتادة خوفاً منه، ثمّ دخل مكّة في عساكره وجنوده داعياً ملبّياً خاشعاً متضرِّعاً، عاري الرّأس والجَنْب حتّى قضى حقّ الطّواف، ثمّ تقدّمتِ العساكر والجيوش فحطّت في الحَجُون ولم تزل إلى أن قضى ما يجب عليه من الوقوف

---

(١) في (ج، د، هـ): «فذة».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب)؛ وفي (أ): «حيرة».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

(٤) في جميع النّسخ: «سعيد» وما أثبت عن العقد الثّمين: ١/ ٤٥٦، وسيأتي بعد قليل: «أبو أسعد».

بعَرَفَة، فوقف بالصّخرات؛ وطلعت أعلامُهُ الشّريفة وأعلام صاحب مِصر مضمومة، فقال له الأمير عزّ الدّين بن الإمام: هلّا أطلعت أعلامك يا مولانا قبل أعلام المِصريّين. فقال: أُتراني أُؤخِّر أعلام ملكٍ كَسَرَ عساكر(١) التَّتَر بالأمس فأُقَدِّم أعلامي لأجل حضوري ومغيبه؟ لا أفعل هذا أبداً.

ثمّ مضى في حجّه حتّى أتمّه، ثمّ قصد البيت الشّريف وحلّ ما حرم عليه، ولم يزل مدّة إقامته بمكّة يصلّي المغرب على قبّة زَمْزَم، ثمّ يطوف وارداً وصادراً، ثمّ خدم البيت الشّريف، وأخذ المِكْسَحَة فكَسَحَهُ، وتأبّط للقِرْبة وغسله، ثمّ ضمَّخه بالغوالي الفاخرة:

(منَ المتقارب)

مَقامٌ يَحِقُّ لِذي الكِبْرِياءِ بِهِ أَنْ يُبَدِّلَهُ بِالخُضُوعْ(٢)

رَأَيْنا بِهِ المَلْكَ رَبَّ الفَخارِ أبا عُمَرٍ ذا النَّوالِ الهَمُوعْ(٣)

خَشُوعاً مَرُوعاً لِتَقْوَى الإلٰهِ وما كانَ مِنْ قَبْلِهِ بِالمَرُوعْ

ثمّ أقام في مكّة عشرة أيّام يفرّق الصّدقات المبرورة حتّى وصلت صدقاتُهُ إلى كلّ منزل بمكّة، وعمّت جميع الحاجّ على اختلاف أنواعهم(٤)، وجهّز حاجّ مصر بالإنعام والمراكب والأَزْواد وكسا البيت المُعَظَّم وكسا رؤساء الحرم الشّريف، وبثّ(٥) على البيت الذّهب والفضّة.

ولمّا أزمع الرّحيل تقدّمتِ الأَسْباق(٦) المباركة إلى البئر المعروفة بالبيضاء، ثمّ ودّع البيت باكياً مُسْتَعْبِراً[١٠٤ب]، وعاد إلى مُلْكِهِ باليمن سعيداً مقبولاً.

---

(١) قوله: «كسر عساكر» ليس في (هـ).
(٢) في (أ): «به أن تذل له بالخضوع».
(٣) البيت الثاني سقط في (ج، د، هـ). والهَمُوع: السّائل.
(٤) في (ج): «ألوانهم».
(٥) في (ج، د، هـ): «الشريفات ونثر».
(٦) في (أ): «الأسباب» محرّفاً، والأسباق كالسّوابق.

ولم يزل يوالي السّير وينشر المعروف في كلّ محطّةٍ حطّ فيها حتّى بلغ فَشالاً، ثمّ دخل مدينة زَبِيْد في أحسن زِيٍّ وأكمل آلةٍ في شهر [صفر][(١)] من سنة ستّين وستّ مئة.

وقد كان الشّريف يحيى بن محمّد السّراجيّ دعا إلى نفسه في ناحية حَضُور[(٢)] وما والاها في آخر سنة تسعٍ وخمسين وستّ مئة، فأجابه أهل[(٣)] تلك النّاحية، فخرج الأمير علم الدّين سُنْجُر الشّعبيّ من صنعاء مواثباً له، فانهزم إلى المغرب وعاد الأمير إلى صنعاء، فسار الشّريف يحيى إلى بلاد بني فاهم[(٤)] فأمسكوه وسلّموه إلى الأمير علم الدّين فكَحّله في ذي الحِجّة من سنة ستّين وستّ مئة.

وفي سنة إحدى وستّين: تسلّم السّلطان حصن الجاهليّ، اشتراهُ منَ الشّريف أحمد بن قاسم القاسميّ في شهر ربيعٍ الأوّل، ثمّ تسلَّم حصن الشّوافي في شهر رجب منَ السَّنة المذكورة، ثمّ سارتِ العساكر المنصورة إلى ذَمَرْمَر في شوّال، فكانت محطّة في الحصن الأبيض، ومحطّة في الحصن الأحمر، ومحطّة في أَكَمَة بني شَيْبة، ومحطّة في الهامة.

ووصل الأمير عزّ الدّين محمّد بن[(٥)] الإمام والأمير عزّ الدّين هبة بن الفضل وبذلوا لأهل ذَمَرْمَر مئة ألف دينار وحصن بَرَيْش[(٦)] وحصن فِدَة ووادي ضَهْر[(٧)] وغير ذلك منَ الكَساوي والإنْعامات ولم يقبلوا، فأصابهم مرضٌ لم يُسمع بمثله، كان إذا أصاب أحدهم سقطت أضراسُهُ جميعاً، فيقيم بعد ذلك[(٨)] خمسة عشر يوماً ثم يموت، فهلك طائفةٌ في مدّة يسيرة.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) في (ج، د، هـ): «مسور».

(٣) في (الأم، أ، ب): «فأجابه أحوال».

(٤) في (الأم، ب): «قاهم»، وما أثبت عن بقيّ النّسخ.

(٥) في (ج): «محمد بن أحمد بن الإمام».

(٦) في (أ، ج، د، هـ): «براش».

(٧) في جميع النّسخ: «ظهر».

(٨) في (أ، ج، د، هـ): «نحو».

وفي هذه السّنة: أرسل مولانا السّلطان بكسوة البيت المُعَظَّم، وكسوة الحُجْرة الشّريفة النّبويّة على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام.

وفي سنة اثنتين وستّين وستّ مئة: تسلّم السّلطان الرّاحبة والحصون الحمزيّة(١)، وتسلّم حصن مُدَع من بني وهيب(٢) وعوّضهم حصن بيت أَنْعَم وما اشترطوه، فطلع الأمير علم الدّين إلى مُدَع بعد أن دخلته العساكر المنصورة، وفيها منَ المقدّمين حسن بن بَهْرام ومحمّد بن زُرَيْع وغيرهما، وقد كان الأمير صارم الدّين داود ابن الإمام أقام الشّريف الحسن بن محمّد القُطابِريّ(٣) واستمدّ به رجاء أن يُنَفِّس على أهل ذَمَرْمَر وعلى أهل مُدَع، فلم يكن إلّا ما عوّد الله منَ النّصر والظَّفَر، فلمّا قبض الأمير علم الدّين حصن مُدَع وقبض الوهيبون(٤) حصنهم والمال الّذي اشترطوه وهو ستّون ألف دينار سُقِط في أيدي الأشراف ورأوا أنّهم قد ضلوا.

ثمّ وردتِ الأوامر الشّريفة على الأمير علم الدّين الشّعبيّ بالتّقدّم إلى بَراقِش ووصلت الخزائن السّعيدة والعساكر المنصورة منَ اليمن المحروسة[١٠٥أ] فلم يكن عُقَيب ذلك إلّا تسليم بَراقِش والزّاهر(٥) أو أَخْذهما، وكان تسليمهما في شهر ذي القِعْدة(٦)، ودخل العسكر المنصورة بعده(٧) في ذي الحِجَّة منها.

وفي سنة ثلاث وستّين: قبض محمّد بن الوشاح الشّهابيّ(٨).

---

(١) في (الأمّ): «الحميزية»، وفي (أ، ب) من دون إعجام وما أثبت عن (ج، د، هـ).

(٢) في (ج، د): «وهب».

(٣) في (أ، ب، ج): «النظايري».

(٤) في (ب، ج): «الوهبيون» وغير معجمة في بقيّة النّسخ ما عدا (أ).

(٥) في (ج، د، هـ): «والدها».

(٦) ورد بعده بهامش (الأمّ): «من السّنة المذكورة».

(٧) في (أ، ج، د، هـ): «صعدة».

(٨) في (ج): «الشيباني» وفي (د): «الشنابي».

وفي شهر شعبان منها: تسلّم السّلطان ذَمَرْمَر، سلّمه أهلُهُ لِما أصابهم منَ الجهد والمشقّة، وطلبوا الذِّمّة والرُّفاقة، ونزلوا إلى الأبواب السّلطانية فأعطاهم السّلطان ستّةً وعشرين ألفاً، وتصدّق عليهم بِفِدَة.

وفي شهر رمضان: تسلّم السّلطان الفَصّ الكبير، ثمّ تسلَّم براقش الباقر من[1] محمّد بن الفضل[2] الوهيبي في شهر ذي الحِجَّة.

وفي سنة أربع وستّين: تقدّم الأمير فخر الدّين بكتمر العلات[3] في العساكر المنصورة فحطّ على المَصْنَعة وعَزّان، واستنجد الإمام فخر الدّين عبد الله بن يحيى بن حمزة والأمير شجاع الدّين أحمد بن محمّد بن حاتم =الشّريفَ مطهّراً، واستنجد به أيضاً أهل بيت أَرْدَم[4] لمّا قبض محمّد بن الوشاح، فطلع الشّريف إلى حصن الطّويلة، وخرج الأمير علم الدّين سُنْجُر الشّعبيّ فحطّ في الرِّجام، وجهّز العساكر إلى المغرب وجبل تَيْس فاستفتحها، وعَمَرَ موضعاً فوق الطّويلة يُسمّى: غرات[5] واكن، وأقامتِ الحرب على الطّويلة نحواً من سبعة أشهر.

وفي جُمادَى الأولى: تسلّم السّلطان حصن المَصْنَعة وحصن عَزّان، وأنعم على الأميرين عبد الله بن يحيى بن حمزة وأحمد بن محمّد بن حاتم بثلاثين ألف دينار، فسلّموا الحصنين؛ وأيّ حصنين هما! مَنْكِبَا الشّوامخ اليمنيّة وروحَا[6] المَصانع الحمزيّة، لم يقمع أهلَهما قامعٌ،

---

(١) في (ج): «الباقر بن»، وفي العقود (١/١٤٧): «ثم تسلم براش الباقر بن محمد بن مفضل الوهبي»، و في نور المعارف (٢/١٧٩) في أثناء الحديث عن وثيقة الصّلح الّتي وقعت في سنة ٦٩٣هـ بين الملك الأشرف والأشراف: «براش الباقر».

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «مفضل».

(٣) قوله: «العلات» كذا؟ وسيأتي بعد قليل: «الفلات»، وهو مضطرب في المصادر التي ذُكر فيها، ففي العقود (١/١٥٢): «القلاب» وفيه أيضا(١/١٥٧): «الغلاب».

(٤) في (ج، د، هـ): «ردم».

(٥) في (ج، د، هـ): «عراب واكن» وفي العقود (١/١٥٢): «غراب واكن».

(٦) في (أ): «ورمي» وفي (ج): «وذوي» و(د): «وذروني» وفي (هـ): «ورقي».

ولا يطمع فيها منَ الملوك طامع.

وقد كان الأمير جمال الدّين فُلَيت حطّ عليهما في عساكر مِصر واليمن، ثمّ لم يَكَدْ ينجو بنفسه إلّا بعد أن نُهبت المحطّة وما فيها منَ المَنْجَنِيقات والزَّرْدخانة والسُّروج والحوائج خاناة بعد أن أنفق عليهما مئتَي ألف مثقالٍ ذهباً.

وكان تسليمهما وتسليم ذَيْفان أيضاً في شهر جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة، ثمّ تسلّم السّلطان بعدها الفَصّ[1] الصّغير في شهر رمضان، ثمّ تسلّم حصن بيت أَرْدَم[2] في ذي القِعْدة، ثمّ تسلّم القُفْل وشَمْسان من بني شِهاب، ثمّ تسلّم حصن اللِّجام في ذي الحِجَّة اشتراه منَ أولاد الأمير سليمان بن موسى بن داود بن محمّد [بن عليّ بن حمزة.

وفي سنة خمسٍ وستّين في شهر شعبان منه: قتل الأمير فخر الدّين][3] بكتمر الفلات، وكان السّلطان قد أمره بعِمارة الزّاهر وجرّد معه مئة فارسٍ وخمس مئة راجل، فقصده الأشراف بنو حمزة فقتلوه وقُتل معه جماعةٌ من أصحابه، وانحاز الباقون إلى بَراقِش[١٠٥ب].

وقد كان الرّكاب العالي تقدّم إلى دَنْيْنة، فلمّا رجع منها مؤيّداً منصوراً بَرَزَ أمرُهُ الشّريف على الأمير علم الدّين الشَّعبيّ بالتّقدّم إلى جهة الظّاهر في عساكره، ثمّ طلعت العساكر المنصورة إلى حَجّة ووقعت هنالك حروب عظيمة، وتفاقم الأمر فاقتضى الرّأي السّديد طلوع الملك الأشرف إلى حَجّة لإطفاء نار الفتنة هنالك، فخرج في عساكره المنصورة حتّى حطّ في محطّة جَدِّهِ[4] السّلطان الملك المنصور، ثمّ وجه المقدّمين في العساكر إلى حَجَّة، فحصروا حصن[5] مَبْيَن، وكان فيه الشّريف مطهّر؛ فلما اشتدّ عليه الحصار خرج

---

(١) في (ج، د، هـ): «القفل».
(٢) في (ج): «ردم».
(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).
(٤) في العقود (١/١٥٧): «حتّى حطّ في الدبايب في محطّة جدّه الملك المنصور».
(٥) قوله: «السّلطان الملك ... فحصروا حصن» ليس في (ج).

مترفّقاً، واستولى العسكر المنصور على الحصن.

فأمر الملك الأشرف حينئذٍ بخرابِهِ فخرب خراباً [كلّيًا][(١)]، ثمّ صرف همّته بعد فتح مَبْيَن إلى حصن المِخْلافة، وكان فيها الأمير أحمد بن قاسم القاسميّ فجمع جموعاً عظيمة وقصد المحطّة، فثبت لها العسكر حتّى كانت الدّائرة عليه وعلى من معه، واستولى العسكر السّلطانيّ على جميع حصون المِخْلافة وهي: المَوْقِر وقُراضَة والعُكّاد[(٢)] وكُحْلان والغرانِيْق الثّلاثة، وكان فتحاً عظيماً له في حَجَّة والمِخْلافة، لم يكن لأحدٍ قبله منَ الملوك إلّا لجدّه الملك المنصور، رحمة الله عليه، وكان فتح حَجَّة في شهر رمضان منَ السَّنة المذكورة، وفتح المِخْلافة في ذي الحِجَّة منَ السَّنة المذكورة[(٣)] أيضاً.

وفي سنة ستّ وستّين: تسلَّم السّلطان حصون الشّيخ علوان بن عبد الله الجَحْدريّ وهي العَرائِس.

وفي شهر جُمادَى الأخرى منَ السَّنة المذكورة: ورد أمر السّلطان على الأمير علم الدّين الشَّعبيّ بالتّقدّم إلى صَعْدَة، فخرج إليها في خمس مئة فارس وثلاثة آلاف راجل فحطّ في الجوف، ثمّ تقدّم نحو صَعْدَة وجمع الأمير صارم الدّين داود[(٤)] كافّة بني حمزة وعسكراً عظيماً منَ القِبْلة، فيهم عسكر بن مفتخر، وفيهم منَ الرّجل ما لا يحصى، وركزوا في نَقِيْل العَجَلَة وهو موضعٌ وَعِر ما فيه إلّا طريقٌ واحدة، فحفظوا تلك الطّريق بالخيل والرَّجْل، فلمّا بلغ الأمير علم الدّين إلى النَّقِيل المذكور حطّ في أسفله ضَحْوة نهار وتَغَدّى وغَدّى النّاس جميعهم، ثمّ وقف إلى الظّهيرة، ورتّب الأمير ابن نور في مئتَي فارس وألف راجل في المحطّة، ثمّ لُبِّست الخيل وطلعت النَّقِيل فلم يجدوا فيه مسلكاً لضِيْقه ووَعْره وكَثْرة العساكر فيه.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن العقود، وفي (هـ) تُرك فراغ قدر كلمة.

(٢) في جميع النّسخ: «والعكار»، وما أثبت - وهو الصّواب - عن معجم البلدان: ٤/١٤١.

(٣) قوله: «وفتح المخلافة ... المذكورة».

(٤) في جميع النّسخ: «صارم الدين أحمد بن داود»، وقد سلف ذكره على الصّواب وسيأتي؛ انظر الأعلام: ٢/٣٣٣.

فلمّا رأى الأمير علم الدّين ذلك تقدّم في كتيبةٍ عظيمة منَ الخيل وأجواد الرَّجْل، فطلع من موضعٍ آخر فما شعروا به حتّى صار معهم مستدبِراً لهم، فلقيه الأمير علم الدّين حمزة بن الحسن بن حمزة، وكان فارسَ بني حمزة غيرَ مُدافَعٍ فكان أوّل مَنْ صُرِعَ[1]، وانكسر عسكر الأشراف، ثمّ قُتل عسكر بن مفتخر وكان فارساً شجاعاً، فولّوا مُدْبِرين، وأُخِذت طَبْلَخاناتِهم، وسار العسكر المنصور في إِثْرهم، فمالَ الأمير داود ابن الإمام إلى بَراش[١٠٦أ] صَعْدَة، [ودخل الأمير علم الدّين إلى صَعْدَة][2] وقُدّامه رأس الشّريف حمزة بن الحسن، ورأس عسكر بن مفتخر وأَخْرَب في صَعْدَة عدّة مواضع، وخرج إلى مَخاليفها، فأخرب فيها أيضاً ما أخرب، ونهب العسكر مَنْ وَجَدَهُ في مِخْلاف صَعْدَة، ثمّ عاد إلى صَعْدَة فأقام فيها أيّاماً، وقفل إلى صنعاء ظافراً منصوراً.

وفي هذه السّنة: أمر السّلطان، رحمة الله عليه، بتَحْلِية باب الكعبة بالذّهب والفضّة على يدِ ابن التَّعِزِّيّ، ووصل رسولُ صاحب مصر إلى اليمن بالهدايا والمكاتبات، فتوفّي الرّسول باليمن في آخر السّنة.

وفي سنة سبع وستّين: تسلّم السّلطان براش صَعْدَة منَ الأمير عزّ الدّين محمّد[3] بن الأمير شمس الدّين بعد أن رَهَنَ الأمير عزّ الدّين ابنه وابنته، ثمّ ورد الأمر على الأمير علم الدّين بالمحطّة على ثُلا، فحطّ عليه مَحاطَّ كثيرة، وذلك في شهر ربيعٍ الآخر، وأخذ التَّعْبُرة قهراً بالسّيف، ورتّب فيها مَن يحفظها.

وفي هذه السّنة: سار موسى بن الرّسول والأمير سيف الدّين مُغْلَطاي أحد المماليك البحريّة في عسكرٍ منَ الباب الشّريف مع الأمير عزّ الدّين محمّد بن أحمد بن الإمام للمحطّة على تَلَمُّص.

---

(١) في (الأمّ، ب، ج): «صرخ» وما أثبت عن (أ، د، هـ)، وقد قُتل في هذه المعركة.

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) في (الأمّ، ب): «عز الدين بن محمد» وما أثبت -وهو الصّواب- عن (أ، ج، د، هـ)، وسيأتي بعد قليل.

فلمّا اشتدّ الحصار على ثُلا وتَلَمُّص، واجتمع العلماء والأشراف منَ الزَّيديّة على الأمير صارم الدّين داود [بن](١) الإمام وسألوه أن يُخرج الإمام الحسن بن وَهّاس للنُّصرة به على رفع هاتين المحطّتين فأخرجه على كُرهٍ منه، فخرج به الشّريف عليّ بن عبد الله من ظَفار إلى حصنه المِيْقاع(٢)، فلمّا اجتمعت عساكرهم قصدوا صَعْدَة، فبيّتوا المحطّة على تَلَمُّص، فانهزم مُغْلَطاي بالمماليك إلى فَلَلَة، فأجارتهم خولان وساروا بهم إلى طريق تِهامة.

وأمّا موسى بن الرّسول فتخفّر(٣) بقومٍ منَ العرب يريدون نَجْران فعلم به الأشراف فلحقوه وأدركوه معهم فقتلوه دغمةً(٤) تحت تَلَمُّص في نصف شهر جُمادَى [الأولى](٥)، ورجع الأشراف من صَعْدَة وجمعوا جموعاً عظيمة، وقصدوا علم الدّين الشّعبيّ إلى ثُلا فنزل منَ المحطّة، وكان سببُ نزوله أنّ المكان وَعْرٌ والخيل لا تنفع فيه، فخاف على الرُّتب فنزل وأنزلهم، فدخل الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله ثُلا في رَجْلٍ كثير، وانحاز الأمير علم الدّين إلى شِبام، وسار منها إلى صنعاء ودخلها في شهر رمضان منَ السَّنة المذكورة، ثمّ خرج الأمير علم الدّين إلى الظّاهر الأعلى والأسفل فأخربهما خراباً عظيماً، وعاد إلى صنعاء.

وفي هذه السّنة: حجّ الملك الظّاهر ركن الدّين(٦) صاحب مصر إلى مكّة المشرّفة، حرسها الله تعالى.

وفي سنة ثمانٍ وستّين: تجهّز الأمير علم الدّين سُنْجُر الشّعبيّ إلى صَعْدَة، فدخلها يوم الثّلاثاء(٧) من صفر منَ السَّنة المذكورة.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٢) في (الأمّ، ب): «الميفاع» وفي (د): «المنقاع» وغير معجم في (هـ)، وما أثبت عن(أ، ج) وهو الصّواب.

(٣) تخفّر: استجار.

(٤) في (ب، ج، د): «وعمه» وفي (هـ):«دهمة».

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

(٦) في (ج، د): «زين الدين».

(٧) في (ج، د، هـ): «يوم الثالث».

وفي شعبان من السّنة المذكورة: وقع الصُّلح بين السّلطان[1] والأشراف بني حمزة[١٠٦/ب].

وفي سنة تسعٍ وستّين: قُتل الشّريف إدريس بن قَتادة صاحب مكّة، وترتّب بعده الشّريف أبو نُمَيّ بن أبي سعد[2] بن عليّ بن قَتادة في مكّة والياً، فأقام بها إلى أن توفّي في شهر ربيع الآخر من سنة سبع مئة.

وفي سنة سبعين وستّ مئة: ورد الأمر العالي بإعادة المَحاطّ على ثُلا مرّةً ثانية، فكانتِ المحطّة على الجنّات[3] فحصروا أهل ثُلا وضيّقوا عليهم وأجهدوهم حتّى أيقنوا بالهلاك، وتسلّم السّلطان حصون المَصانِع[4] باعه عليه عبدٌ من عبيدهم يُسمّى: محمّد بن قفل.

وفي هذه السّنة: قام الإمام إبراهيم بن أحمد بن تاج الدّين الهَدَويّ، وكان قيامُهُ في ذي الحِجّة منها ودعا إلى نفسه فأجابه أهل حَضُور وبنو الرّاعي[5] وبنو شِهاب وغيرهم من بلاد عَنس وزُبيد، ونهض الشّرفاءُ والإمام إلى جبلٍ يُسمّى: ضِيْناً[6] بالخَشَب، وكان الأمير علم الدّين في الجنّات، فنهض بمحطّته، وحطّ تحت حصن كوكبان، ونهض الشُّرفاء من محطّتهم إلى حازّة[7] بني شِهاب.

وفي سنة إحدى وسبعين: سيّر الإمام إبراهيم بن أحمد بن تاج الدّين الشّريفَ جمال الدّين عليّ بن عبد الله إلى حَضُور وبلد بني شِهاب وبلد الرّاعي فتلقّوه بالطّاعة، وكان

---

(١) قوله: «السّلطان» ليس في (هـ).

(٢) في (الأم): «أسعد»، وفي (ج): «سعيد» و(هـ): «سعد»؛ انظر ترجمته في العقد الثّمين: ١/ ٤٥٦، وقد سلف قبل قليل: «أبو سعيد».

(٣) في (الأمّ) من دون إعجام، وفي (ب): «المجناب»، وما أثبت عن صفة جزيرة العرب: ١١١.

(٤) في (أ، د، هـ): «حضور المصانع».

(٥) في (أ، ج، د، هـ): «الداعي»، وهو تحريف قد مرّ وسيتكرّر، وصوابه كذلك، وهو منسوب إلى الرّاعي، وهو قيس بن سيّار بن معاوية بن سيف بن الحارث الهَمْدانيّ، وكان فارس هَمْدان في عصره؛ انظر الإكليل: ١٠/ ١٤٥.

(٦) في (الأمّ): «ظينا»، وقد مرّ على الصّواب وسيأتي.

(٧) في (أ): «جهات».

وصولُهُ إليهم في سبعةِ نفرٍ، فصلّى بالنّاس في أوّل جمعةٍ في سبعة آلاف.

وفي هذه السّنة: خالف الأشراف آلُ سليمان بن موسى بن داود بن محمّد بن عليّ بن حمزة مع الإمام، وهم أهل جَهْران، وكان السّلطان، رحمه الله، قد أَقْطَعهم نواحي ذَمار، ثمّ تسلّم منهم اللّجام وأقامت معهم علماء الزّيديّة بتلك النّاحية، فساروا في جموعٍ عظيمةٍ إلى ذَمار(١) فدخلوها قَهْراً وقتلوا جماعةً وخَفَروا(٢) الباقين وأخربوها، وذلك في شهر جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة.

وسار الإمام إبراهيم والأمير صارم الدّين داود ابن الإمام والأمير عزّ الدّين محمّد بن شمس الدّين وسائر الأشراف يريدون حَدّة وسَناع، فمرّوا على السّبخة(٣) ولم يكن في صنعاء إلّا ابنُ نجاح في مئة فارس من عسكر اليمن، وكان الشّعبيّ وعسكره في محطّته بالجنّات خوفاً على رتب ثُلا، فانصرف الأشراف من صنعاء، فلمّا كان آخر اللّيل دخلها الأسديّة الّذين كانوا في محطّة الشّعبيّ، وكانوا سبعين فارساً نُقاوة عسكر صنعاء وفرسانهم(٤).

وطلع الشّعبيّ في بقيّة عسكره، فمرّ على المَحاطّ بثُلا فقوّاها وسار إلى شِبام، ومنها إلى صنعاء وحصل بينه وبين الأشراف قِتالاتٌ عظيمة، وجمع الأشراف جمعاً عظيماً، وسار بهم الشّريف عليّ بن عبد الله فرفع المَحاطّ بثُلا، وسار بعسكره قاصداً الذَّرْوَة(٥) وبها الورد(٦) بن ناجي، ولم يكمل عِمارتها، فهجم عليه آخرَ اللّيل فأخربها وعاد إلى أصحابه بسَناع، فاقتضى الحال طلوع السّلطان إلى ناحية ذَمار، فلمّا وصلها أقبل إليه أهل تلك النّاحية رغبةً ورهبة.

---

(١) قوله: «ثم تسلم منهم ... إلى ذمار» سقط في (هـ).

(٢) في (د): «وحقروا» محرّفاً. وخفروا: أجاروا وآمنوا.

(٣) قوله: «السبخة» بالخاء المعجمة، وفي بقية النّسخ بالمهملة، وثمّة قريةٌ معروفة اليوم بـ(السّبحة) بالمهملة.

(٤) في (ج، د): «بعامره». ونُقاوة الشيء: خِياره، والنُّقاوة: أفضل ما انتقيتَ من الشّيء.

(٥) في (الأمّ، ب): «الذرو» وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ)؛ وانظر صفة جزيرة العرب: ١٢٥.

(٦) في (ج، د، هـ): «الوزير».

وكان ذلك في شعبان منَ السَّنة المذكورة، فأقام في ذَمار أيّاماً وأمر بعِمارة دَرْبِها، ثمّ سار يريد صنعاء فحطّ في دَرْب عبد الله[١٠٧أ]، وانحاز الأشراف إلى بيت حَنْبَص، فطلع عليهم الأمير علم الدّين الشّعبيّ، فكانت وقعة النّاهم قُتل فيها بنو صفي الدّين من عسكر الأشراف، وذلك في القِعْدة منَ السَّنة المذكورة، ثمَ تقدّم السّلطان إلى صنعاء فحطّ في الميدان في ذي الحِجَّة.

وفي هذه السّنة: بعث بكسوة البيت المُعَظَّم على يدِ قاسم بن محفوظ.

وفي سنة اثنتين وسبعين: دخل السّلطان صنعاء يوم الثّاني عشر منَ المحرّم، فأقام بها، ونهض الأشراف إلى حَضُور وأَجْلَب[١] معهم أهل حَضُور كافّة، وحطّوا على عَزّان، فكانت محاطّهم في القاهر -وهو يومئذٍ خراب- فحصروا عَزّان[٢] وأجهدوا مَن فيه، فوقع الخطاب على تسليم عَزّان وسلامة مَن فيه منَ العسكر، وقبض الأشراف الحصن، ووصل عُقَيب ذلك أحمد بن جابر وشَرَعَ صُلحاً بينَ الأشراف وبينَ السّلطان خاصّة، ثمّ للإمام وكافّة النّاس عموماً، ثمّ تقدّم الرّكاب العالي إلى اليمن في شهر ربيعِ الأوّل منَ السَّنة المذكورة، ثمّ جرّد عساكره المنصورة لعِدَى[٣] بيت حَنْبَص فأخذه قهراً، ووجد العسكرُ فيه خمراً كثيراً فكسروا أوعيتها وأراقوها، فقال غازي المعمار[٤] في ذلك: (منَ الطّويل)

ولَمّا فَتَحْنا بَيْتَ حَنْبَصَ عَنْوَةً ... وَجَدْنا بِهِ الأَدْواحَ مَلْأَى مِنَ الخَمْرِ[٥]

وعِنْدَ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عِصابَةٌ ... يَصُولُونَ بِالبِيْضِ الحِسانِ وبِالسُّمْرِ[٦]

---

(١) في (الأم، ب): «وأحلت»، ما أثبت عن العقود: ١/١٨٥. وفي (ج): «وأخلف» وفي (د، هـ): «وأحلف» وقوله: «وأحلت معهم أهل حضور كافة» ليس في (أ).

(٢) قوله: «عزان» ليس في (ج، د).

(٣) العِدَى: النّاحية.

(٤) في ثغر عدن (٢١٨): «غازي بن المعمار».

(٥) في (د): «ولما افتتحنا ...».

(٦) في جميع النّسخ ما عدا (ج): «يقولون بالبيض ...»، والمعنى غير متّجه.

فَإِنْ تَكُنِ الأَشْرافُ تَشْرَبُ خِفْيَةً وتُظْهِرُ لِلنَّاسِ التَّنَسُّكَ بِالجَهْرِ[١]
وتَأْخُذُ مِنْ خَلْعِ العِذارِ نَصِيبَها فَإِنِّي أَمِيرُ المُؤْمِنِيْنَ ولا أَدْرِي

وكان فَتْح بيت حَنبُص يوم الجمعة سَلْخ شهر ربيعٍ الأوّل منَ السَّنة المذكورة.

ولـمّا دخل العسكر السّلطانيّ بيت حَنبُص - كما ذكرنا - انهزمتِ الأشراف من حَدَّة وسَناع فأخربهما السّلطان خراباً شنيعاً، وقطع أشجارها، وكانت فيهما أشجارٌ قديمة لها مقدار مئتي سنة، فما ترك منها شيئاً. ويُقال: إنّ شجرةَ لوز عُقِرت فوُجِد فيها لوحٌ من رُخامٍ مكتوبٌ فيه: غُرِسْتُ سنة أربعين للهجرة النَّبويّة.

وأمر بعِمارة الجبل المُسمّى قرن عنتر[٢] وسَمّاهُ[٣] ظَفاراً وشحنه من أصناف الشّحن، ونهض بمحطّته إلى الصّافية، ثمّ نهض من محطّة الصّافية قافلاً إلى اليمن في شهر جُمادَى الأخرى منَ السَّنة المذكورة.

ثمّ سار الأمير علم الدّين صُحْبَةَ رِكابه العالي إلى ذَمار، وتقدّم السّلطان إلى اليمن.

وفي هذه السّنة: خالف الأمير الحسام بن البدلي في بَراقِش وتَغَلَّب عليها، وكان والياً فيها فجرّد له السّلطان الأمير علم الدّين، وأمر الأمير شمس الدّين أُزْدُمُر[٤] بالوقوف في صنعاء، وتقدّم الأمير عليّ بن حاتم صحبةَ الأمير علم الدّين إلى بَراقِش فراسل الحسام بن البدلي وقَبَّحَ فعله، ووعدَهُ بعَطْف السّلطان، وما زال به حتّى أخذ له شيئاً من صدقات السّلطان وحصناً لبني الرّاعي يُسمّى المَصْنعة، وتسلّم الأمير علم الدّين بَراقِش، وعاد إلى صنعاء، ثمّ اصطلح السّلطان والإمام وسائر الأشراف.

---

(١) في (ج، د، هـ): «... في شرب خفية ... في الجهر».

(٢) في (أ): «عنترة» وفي (ج، د): «عنبر».

(٣) في (الأم): «وسقاه» ثمّ كُتب: «ط وسماه»، وهو كذلك في بقيّة النّسخ.

(٤) قوله: «أُزْدُمُر» ليس في (أ).

وكان المشرق[1] على السّلطان الأمير محمّد بن حاتم [بن عمرو بن عليّ بن][2] حاتم الهَمْداني، واتّفق للأشراف مخرج إلى نَجْران[١٠٧ب] عُقَيْب الصّلح فقتل فيه الأمير علم الدّين علي بن وَهّاس؛ قَتَلَتْهُ يام[3].

وفي سنة ثلاث وسبعين: حصل قَحْطٌ عظيم في البلاد، ومات عالَمٌ لا يُحصون وأُكِلَتِ المَيْتة[4].

وفي شهر ربيعٍ الأوّل: أَخَذَ حصن كوكبان جماعةٌ مِن الحِواليّين واستولوا عليه، فارتفع رأس كلّ مفسدٍ وهاج النّاس للخِلاف.

وفي سنة أربع وسبعين[5]: خرج الأمير علم الدّين الشّعبيّ إلى مِخْلاف ذَمار لقَبْض الواجبات السّلطانية، وترك المماليك الأسديّة جميعهم في صنعاء رتبةً مع ابن العلات وسار مع الأمير منهم رجلٌ فوقع بينه وبين الدّاوي[6] - أحد مماليك الأمير - خُصْمَة[7] على شرابٍ فقتله الدّاوي في مسير الأمير علم الدّين إلى ذَمار وهرب القاتل، فلمّا علم الأسديّة بقَتْل صاحبهم قاموا وقعدوا، وكانوا قد أعجبتهم أنفسهم فخالفوا على السّلطان واستولوا على صنعاء وقبضوا موجوداً الشّعبيّ، وذلك في الرّابع والعشرين من شهر ربيعٍ الآخر منَ السَّنة المذكورة.

وكاتبوا الأشراف بالوصول إليهم، فوصلهم الشّريف عليّ بن عبد الله يوم السّابع والعشرين منَ الشّهر المذكورة في سبعة آلاف راجل، وكان في جبل حَضُور، ثمّ جاء

---

(١) في (أ، ج، د): «المشرف».
(٢) ما حُفَّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).
(٣) في (الأم): «... لثلاثة أيّام» وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ)؛ وانظر العقود: ١/ ١٨٧، مع إمكان صواب ما كان.
(٤) في جميع النّسخ: «وأكل الميتة» والعبارة غير متّجهة، وتتّجه بما أُثبت أو بـ«أكل النّاس الميتة».
(٥) في (ب): «أربع وأربعين».
(٦) في (د): «الراوي».
(٧) الخُصْمَة: الاسم منَ التّخاصم.

الإمام والأمير صارم الدّين داود ابن الإمام والأمير عزّ الدّين محمّد بن شمس الدّين وسائرُ الأشراف، فدخلوا صنعاء يوم الخامس[(١)] من شهر جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة فأقاموا بصنعاء، وركب الإمام يوم الجمعة إلى جامع صنعاء ورقى مِنْبَرَهُ، وأذّن المُؤذّنُ في منارته: (حيّ على خير العمل)، وخالطهم منَ العُجْب والجَذَل أمرٌ عظيم: (منَ الطّويل)

ولو عَلِمُوا عُقْبَى الأُمُورِ لَقابَلُوا ... أَوائِلَها بِالحَزْمِ واطَّرَحُوا العُجْبا

ولكِنَّهُ المَقْدُورُ يَلْوِي بِذِي الحِجَى ... فَيَسْلُبُهُ - إِنْ حُمَّ - آراءَهُ سَلْبا[(٢)]

وكانوا جميعاً على عزم الخروج من صنعاء إلى ذَمار وربّما طمعوا فيما خلف ذَمار.

ثمّ إنّ الأمير عليّ بن عبد الله ركب في بعض الأيّام إلى الأمير صارم الدّين داود ابن الإمام فتراجعوا في أمورهم، فقال الأمير صارم الدّين: إنّي رأيتكم يا هؤلاء الشُّرفاء مُذْ دخلتم هذه البلد مِلْتُم إلى الرّاحة والدَّعَة، وأنفسكم تحدّثكم بالخروج إلى ذَمار، ثمّ إلى اليمن ومناصبةَ السّلطان، وهذا رأيٌ فاسد، فلو نظرتم أوّلاً في أموركم خاصّةً، ثمّ نظرتم بعد ذلك في الخروج من صنعاء إلى ذَمار لكان أصوب، فلا تغرَّكم أحاديثُ هؤلاء الغُزّ الّذين صاروا في جَنَبَتكم[(٣)]، فوالله لقد شَمّوا ريح الملك المُظَفَّر وشامُوا بَرْقَهُ، لقد بان لكم دَخِيلة أمورهم.

ثمّ إنّي أستفهمكم: هل رأيتم أحداً وصلنا من هَمْدان، وهم الجزء الوافر، وهل أحدٌ يردّهم عن صنعاء بعد إجلائنا عنها، ألم يُؤْمَر إليهم بأنّهم يوكبون[(٤)] إلينا؟ فقالوا: نحن لا نُوْكِب حتّى تجوزوا بلادنا. فجُزْناها وما أتانا منهم أحدٌ، وكذلك سَنْحان؛ هل هذا إلّا

---

(١) في (الأم، ب): «العاشر» وصححت في الهامش، وفي (د): «الخميس».

(٢) حُمّ: قُدِّر؛ يُقال: حُمَّ الشّيء وأُحِمّ: أي قُدِّر، فهو محموم؛ والضّمير عائد على المقدور.

(٣) الجَنَبَة: النّاحية.

(٤) قوله: «وهم الجزء ... يوكبون» ليس في (ج) وفي (د، هـ): «يركبون».

تَرَبُّصٌ وترقُّبٌ واستطلاعٌ لِما يأتي من ناحية اليمن؟ والملك المُظَفَّر لا يترك مدينته ولا بلاده، وما الّذي قد شغله عنِ المُبادرة[١٠٨أ] والطّلوع؟ فانظروا في أموركم.

فقال له الأمير عليّ بن عبد الله: النَّظَرَ في أمورنا كلِّها إليك، ونحن بين يديك. فقال: والله لتَرْمون عن قوسٍ واحدة، الإمام منكم والمأموم منكم والغُزّيّ والعربيّ. قال: فما الّذي تأمرنا به، وما هو الأصوب؟ فقال: الصّواب إن قبلتموه أحدُ وجهين:

أمّا الأوّل[(١)]: فنقف في صنعاء فنحن ثلاث مئة فارس، نصبّح كلّ يومٍ قريةً من قرى هَمْدان وسَنْحان حتّى يدخلوا في طاعتنا أذلّةً وهم صاغرون.

وأمّا الوجه الثّاني: فنخرج إلى حافد ونُخْلي صنعاء ونخربها، ونحن ثلاث مئة فارس وخمسة آلاف راجل، أيُّ قبيلةٍ مِلْنا عليها أخذناها، ونحن نعود إلى مَعْقِل وحِرْزٍ حَرِيْز، ومع ذلك لا يتقدّم علينا أحدٌ، ولا يدخل أحدٌ إلى صنعاء ونحن على هذه الصّفة.

ثمّ قاما وخرجا إلى الإمام، فلم يكن عُقَيْب ذلك إلّا الخروج إلى ناحية جَهْران وتَبْطِيل آراء الأمير صارم الدّين، فبرز الإمام إلى الميدان[(٢)]، ثمّ نهض الجميع منهم إلى بئر الخولانيّ، ثمّ نهضوا إلى العُمريّ تحت الكُمِيْم.

فلمّا خيّموا بالعُمريّ أمر الإمام على الأمير عليّ بن راشد بن حاتم[(٣)] بن عطوة أن يتقدّم إلى حراز[(٤)] ويستنهض خالَهُ الشّيخ الحسام بن الفضل في كافّة أصحابه من سَنْحان، فلمّا وصل إليه وأخبره برسالة الإمام، قال: ما لنا تأخُّرٌ عنِ الوصول إلى الإمام. فأمسى عنده.

---

(١) في (الأمّ، ب): «فالأول».

(٢) قوله: «فبرز الإمام إلى الميدان» ليس في (ب).

(٣) في (د): «راشد بن حاتم».

(٤) في (أ، هـ): «حدار» من دون إعجام، وهي كذلك في العقود: ١/ ١٩٢، وفي التّاج (خ د ر): «خِدار ككتاب قلعة بصنعاء اليمن على مرحلة منها»، وانظر معجم البلدان: ٢/ ٣٤٨.

فلمّا كان بعد مُضيّ شطرٍ [منَ](1) اللّيل، وصل رسول السّلطان إلى الشّيخ الحسام بن الفضل وكتاب فيه:

صدُورُها منَ الحقْل، ونحن على المسير إلى صنعاء - إن شاء الله تعالى- ونحن نشعركم الوصول إلينا ونحذّركم الاغتِرار بهؤلاء الشُّرفاء. فسُقِط في يدِ الشّيخ الحسام بن الفضل، ودخل على عليّ بن راشد فأيقظَهُ، وأوقفه على كتاب السّلطان إليه، وقال له: قُمْ وتقدَّم إلى الإمام وأعلمه بهذا، فما بقي لنا إليه وصول.

فلمّا وصل عليّ بن راشد إلى الإمام أخبره، فطلب الإمام كافّة الشُّرفاء وأخبرهم الخبر. فاضطربوا، وقالوا للأمير صارم الدّين: ما ترى؟ قال: وقد أشرتُ عليكم في صنعاء فلم تقبلوا، وأنا اليوم واحدٌ منكم، لا آمرُكُم بالإقدام ولا آمركم بالإِحْجام، إن أقدمتم لم تأمنوا الكَسْرة، وإن أَحْجَمتم فهي كَسْرة الإقدام، ولكن ارحلوا هذه السّاعة قبل يشيع الخبر بطُلُوع السّلطان، فنهض الجميع منهم منَ العُمريّ، وانحدروا في نَقِيل الغابرة، وشاع الخبر بطلوع السّلطان وقد صاروا سائرين، فاضطربوا وتحيّروا، فعاد الغُزّ إلى صنعاء، ثمّ تقدّم الشّرفاء فحطّوا في مَعْبَر ونهضوا إلى إفْق(2) بكرةَ يوم الخميس، وكان غرضهم النّهوض إلى الجَبْجَب.

فخرج الأميرَ عزّ الدّين في ستّين فارساً يستطلعُ الخبر، فجاؤوا وقد حطّ الرّكاب العالي في ذَمار، فأغارت خيلُهم على أطراف المحطّة، فأمر السّلطان ألّا يخرج إليهم أحدٌ، وحرم النّاس الرُّكوب، فعاد الشُّرفاء إلى محطّتهم بإفْق، وقالوا[١٠٨ب]: وصلنا إلى محطّة السّلطان، وما خرج إلينا أحد.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٢) في جميع النّسخ: «افق» من دون تحقيق الهمز، والمعروف اليومَ ما أثبت؛ وفي معجم ما استعجم والمُشْتَرك وَضعاً المُفْتَرق صُقْعاً (افيق): «أَفِيْق» ولعلّهما موضعان؛ وانظر الكلام علي ذلك في شعراء مَذْحِج: ١١٨.

والغالب أنّ المحطّة ضعيفةٌ فأمسوا ليلهم مسرورين، فلمّا كان صبح يوم الجمعة لم يشعروا حتّى أطلّ عليهم فارسٌ منَ الخيل، فركب الأشراف وما شكّوا أنّها غارة لأجل غارة الشُّرفاء بالأمس، وركب الأمير صارم الدّين في نحوٍ من أربعين فارساً، وأمر النّاس بالوقوف حتّى يعود، فما كان بأسرع من عودته، فاجتمعوا إليه وقالوا له: ما الخبر؟ فقال: هذا الملك المُظَفَّر في عساكره وكتائبه بعدي. فقالوا: ما ترى؟ فقال: ما أرى إلّا الصّبر والحرب، فإنّه يوم عصيب، ثمّ طلب أهل إِفْق، وقال: أخبروني أين عَوْرة بلدكم؟ فقالوا له: إذا لزمت الأَكَمَة لم تَخْشَ حالاً. فقال: أنا أَلزمُ الأَكَمَة[1]، وأمر الإمام أن يقف في الحصن، فإن وقعت كَسْرَة كان بعيداً منَ القتال.

وأمّا ما كان من أمر السّلطان فإنّه لمّا حطّ في ذَمار، وصل إليه الأمير علم الدّين الشّعبيّ، فقال له: يا مولانا اليوم يوم الجمعة وهؤلاء العرب لا يستجيزون صلاة الجمعة إلّا بعد الإمام، فإن تأخّرنا عنهم إلى وقت صلاة الجمعة اجتمع معهم منَ العسكر ما لم يَنْحَصر، وكانت حربُهم أشدّ؟ فقال له السّلطان: دَعْهم فإنّا لا نحب سفك الدّماء في يوم الجمعة، وفي أيّ حالةٍ كانوا فإنّهم مهزومون. فلم يقبل منه الشّعبيّ، وقام من عنده فجمع عسكره وأخذوا عدّتهم، وجعلوا طريقه على باب قبّة مولانا السّلطان، فأرسل إليه السّلطان بأن يقف، [فلم يقف][2]، ونهض حينئذٍ مولانا السّلطان وأمر العسكر بالرّكوب وسار نحو إِفْق، فأقبل علم الدّين الشّعبيّ فقصد الأَكَمَة، ثمّ أقبلتِ العساكر المنصورة يتلو بعضها بعضاً، ثمّ أطلّ السّلطان فوق الجبل الأَسْود في شِرْذَمَة من عساكره وجنوده، فكأنّما اشتمل الجبل بثوبٍ أبيضَ غطّى جوانبه كلّها.

ولمّا قصد علم الدّين بعسكره الأَكَمَة انهزمت الأشراف وحصلتِ العساكر على الغنيمة العظيمة، وما نجا الأمير صارم الدّين وكافّة الحمزيّين إلّا بعد الجهد العظيم.

---

(١) قوله: «لم تخش ... الأكمة» ليس في (هـ).

(٢) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (أ).

ثمّ أحاطتِ العساكر المنصورة بالإمام في الحصن فأسروه وقتلوا طائفةً ممّن كان معه، منهم الأمير أحمد بن محمّد بن حاتم وزير الإمام، والقاضي ابن أبي النّجم، وتمزَّقَ الشُّرفاء في تلك الأودية، وخلّوا محطّتهم بما فيها، ونزلوا عن خيولهم وتركوها قياماً تضطرب أرْسانها، ووصلوا بالإمام وسائر الأُسارى إلى السّلطان.

فلمّا وصل الإمام إلى السّلطان وهو مكشوفٌ سلَّم وهنَّأَهُ بالظَّفَر[1]، فهنّأه السّلطان بالسّلامة وأكرمه وآنسه، وأمر بسِتْر رأسه، وكان قد هَمَّ به جماعة منَ المماليك فزجرهم وزَبَرَهم[2] وشتمهم وأركبه بغلةً، فكان يسير بينه وبين الصّاحب بهاء الدّين[3] حتّى دخل به حصن تَعِزّ فأودعه دار الأدب؛ فلم يزل[١٠٩أ] هنالك مُعَزَّزاً مُكرَّماً يُحمَلُ إليه في كلّ يوم أربعين درهماً، والطّعام بكرةً وعشيّة، والكسوة له ولمن معه بقدر حاجتهم وكفايتهم؛ فقال: لقد كان لنا في سِلم السّلطان غنًى عن حربه، وكتب الإمام على باب مجلسه بدار الضّيف[4]: (منَ الكامل)

هذِهْ مَنازِلُ سادَةٍ أَجْوادِ ... ومَحَلُّ جُوْدٍ شامِلٍ وأيادي[5]

قَصْرُ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيْرِ مُقَصِّرٌ ... عَنْهُ وذو الشُّرُفاتِ مِنْ سِنْدادِ[6]

ولم يزل الإمام على الإِعْزاز والإكرام إلى أن توفِّي في التّاريخ الآتي ذكرُهُ، إن شاء الله تعالى.

---

(١) بعد في (الأمّ): «فيهاه»!.

(٢) في (أ، د): «وزيرهم» وفي (ج): «ونبزهم» وفي (هـ): «وزأرهم». وزَبَرهم: نَهَرَهم.

(٣) الصّاحب بهاء الدين، محمّد بن أسعد بن موسى العِمْرانيّ؛ العقد الفاخر الحسن: ٤/ ١٨٢٠، والعطايا السّنيّة: ٥٦٢.

(٤) كتب فوقه بهامش (الأمّ): «ط: الأدب».

(٥) في (ج، د): «... سادات وأجواد».

(٦) عجزه في (ج، د): «عنه ذوو الشرفات من شداد».

ولما أُسِر الإمام إبراهيم - كما ذكرنا - أراد الأشراف أن يقيموا ابن وَهّاس بعده إماماً، فقال الحَيّانيّ الكاتب[1] في ذلك ويمدح السّلطان: (منَ الكامل)

أقْبَلْتَ في لَجِبٍ، يَسُدُّ فَضاءَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وأَمامِهِمْ، يَتَجَلْجَلُ
والى ابْنِ وَهّاسٍ أتَوا مِنْ فَوْرِهِمْ مُسْتَبْهِمِيْنَ قِيامَهُ واسْتَعْجَلُوا[2]
فَأَجابَهُمْ وإذا تَكُوْنُ عَظِيْمَةٌ ادْعَى لَهُ: أَيْنَ الإِمامُ الأَوّلُ؟[3]

فقال ابن المَوصليّ: في السّجن.

وفي هذه القصّة[4] يقول القاسمُ بن هُتَيْمل في قصيدةٍ يمدح فيها السّلطان: (منَ الكامل)

قَصَدُوا ذَمارِ فَرَدَّ سَعْدُكَ ذالَها دالاً فَأَيُّ هَزِيْمَةٍ ودَمارِ؟
صَبُّوا السِّياطَ على قَوارِحِ خَيْلِهِمْ هَرَباً عَنِ المُهُراتِ والأَمْهارِ[5]
فَمَضُوا وإِبْراهِيْمُ يَأْمُرُ نَفْسَهُ بِالكَرِّ لا بِالفَرِّ خَوْفَ العارِ

ولما رجع السّلطان من ذَمار أمدّ علم الدّين سُنْجُر الشّعبيّ بمالٍ جزيل، وسار إلى صنعاء، وكانت طريق الأشراف المغارب فلحقتهم مَضَرّةٌ ومشقّة عظيمة، وساروا إلى حصن رَذْمان المعروف بالحِوالِيّين، وكان في يدِ الشّريف عليّ بن عبد الله فأقاموا فيه مدّة والأمير صارم الدّين يُراسلُ الشّريف مطهّر بن يحيى ويستدعيه للإمامة، فلمّا وصلَهُ ألزمه القيام للإمامة، فدعا إلى نفسه فأجابه كافّة الزّيديّة، وأقام الأشراف مدّة في بلد بني شهاب[6] على غير قاعدة.

---

(١) في (الأمّ، ب): «الكتاب»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وفي هامش (الأمّ): «لعله الكاتب».
(٢) في (د، هـ): «مستنهضين ...».
(٣) قوله: «ادعى له» كذا في جميع النّسخ، وإنّما الضّمير عائد على قوله: «عظيمة».
(٤) في (الأمّ، أ، ب): «القصيدة» ولا يتّجه بها المعنى، وما أثبت عن (ج، د، هـ).
(٥) القَوارِح: جميل قارح، وهو الفرس قَرَح نابُهُ. والمُهُرات والأمهار والمِهار والمِهارة: جمع المُهْرة.
(٦) قوله: «فدعا ... بني شهاب» ليس في (أ).

ثمّ حصل عُقَيب ذلك مراسلاتٌ بين السّلطان والأمير صارم الدّين أفضت إلى الصُّلْح فيما بينهما، وأخرج الإمامُ صارم الدّين الإمامَ[1] مطهّراً والأميرَ جمال الدّين عليّ بن عبد الله، وتَصَوَّبَ رأيهم أنّهم يحفظون الحصون ويحاربون منها؛ وكان الأمير عليّ بن عبد الله[2] يختلف فيما بين الحصون، فمرّةً في كوكبان وتارةً في رَدْمان وأخرى في القاهر وعزّان.

وفي سنة خمسٍ وسبعين: تسلّم السّلطان حصن الرّيشة[3]، وذلك في شهر ذي الحِجّة منَ السّنة المذكورة.

وفي سنة ستٍّ وسبعين: حطّ الأمير علم الدّين على الحصون الحَضُوريّة، وهي القاهِر وعَزّان، فاستمدّ[١٠٩ب] الشّريف علي بن عبد الله بالأشراف فلم يمدَّهُ أحدٌ منهم إلّا الإمام المطهّر بن يحيى فإنّه جمع جمعاً عظيماً، وقصد الشّعبيّ إلى محطّته، وكاتب الزّعْلاء[4]، فوصلت عساكره القاهِر[5]، وعجزوا عن قصد علم الدّين إلى محطّته.

فلمّا رأوا أن أمورهم إلى نقصان طلب الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله لِقاء الأمير شمس الدّين بن عليّ بن حاتم، فلمّا وصل إليه وتواجهوا تحدّثوا في أمر الصُّلْح، فقال الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله: خذوا لي من مولانا السّلطان مئةَ ألف دينار وأعطوني رهينةً منكم في تسليم المال. ولم يزل به إلى أن اتّفقوا على تسليم ألفَي دينار ويخرجون منَ الحصون ويسلّمونها، فانعقد الأمر على ذلك، وصاحتِ الصّوائح لهم بالذِّمّة وسلّموا كافّة الحصون الحَضُوريّة.

---

(١) في (ج): «والإمام».

(٢) قوله: «وتصوب رأيهم ... علي بن عبد الله» ليس في (د).

(٣) في (د): «الرمشة» وفي (هـ): «الرثة»، وفي صفة جزيرة العرب (٧٧): «الرَّيْشَة».

(٤) قوله: «وكانت الزعلاء» ليس في (أ) وفي (ج): «وكان بالرعلاء» وفي (د): «وكان بالدغلاء» وفي (هـ): «وكان بالدعلاء».

(٥) في جميع النّسخ: «القاهرة»، وإنّما هو «القاهر» الذي تقدّم ذكره، وليست صفة للعساكر.

وفي شهر رمضان: تسلَّم السّلطان حصن رَدْمان[١] وخرج مَن فيه منَ الأشراف بمالٍ بسير، وعاد[٢] الشّريف عليّ بن عبد الله إلى الظّاهر والإمام إلى المغارب.

وفي سنة سبعٍ وسبعين: توفّي الأمير الأجلّ الخطير أسد الدّين محمّد بن الحسن بن عليّ بن رسول، وكانت وفاتُهُ يوم الثّالث عشر من ذي الحِجَّة منَ السَّنة المذكورة.

وفي سنة ثمانٍ[٣]: كان فَتح مدينة ظَفار الحَبُوضي، وقَتْل صاحبها سالم بن إدريس، وقُتِل معه يومئذٍ نحوٌ من ثلاث مئة رجل، وأُسِر خَلْقٌ كثير؛ وكان السّبب [في ذلك][٤] حدوث مجاعةٍ عظيمةٍ وقَحْطٍ شامل لأهل حضرموت، فأقبل أهلها إلى سالم بن إدريس وطلبوا منه ما يدفعون به كَلَب[٥] تلك السَّنة عنهم، وسلّموا إليه مَصانع حصون حضرموت وحسّنوا له ذلك ورَغَّبُوه فيه، فأجابهم إلى ما طلبوا، وخرج معهم إلى حضرموت لتَمام ما قد شرعوا فيه؛ وهو أمرٌ لم يسبقْهُ إليه أحدٌ من آبائه، ولم يعلم دَهاءهم ومكرَهم.

فلمّا أخذوا منه جميع ما طلبوا وسلّموا إليه المصانع فقبضها وعاد إلى ظَفار، ورأى أنّه قد أنجح وأفلح وأنّ حضرموت قد صارت تحت يدِهِ، فلمّا رجع إلى ظَفار مالُوا ميلةً واحدة على مصانعهم، فأخذوها طَوْعاً وكَرْهاً، ولم يكن دونها حائل يحول، فأصبح لا مال ولا بلاد، فكاد يهلِك أَسَفاً على تَضْييع أمواله في غير موضعها.

واتّفق في ذلك الوقت أن السّلطان، رحمه الله تعالى، نَدَبَ سفيراً إلى ملوك فارس بهديّةٍ جيّدة صحبة[٦] جماعةٍ منَ التّجّار؛ فصرفتهم الرّيح عن طريقهم ورَمَتْ بهم إلى ساحل ظَفار، فقبضهم سالم بن إدريس، وقبض ما معهم منَ الهديّة والأموال والبضائع؛

(١) في (الأم، ب): «رومان» وفي (ج): «ذمار» وما أثبت عن (أ، ب، د).
(٢) في (الأم): «ودعا» وكتب فوقه: «ط وعاد» وهي كذلك في (ج، د).
(٣) في (ج، د، هـ): «ثمان وسبعين».
(٤) ما حُفَّ بمعكوفتين عن (أ).
(٥) الكَلَب: الشِّدّة.
(٦) في جميع النّسخ: «وصحبة»، ولا يستقيم بها المعنى.

سوّلت له نفسُهُ أنّ هذا جُبْران ما فات عليه في حضرموت، فراسلَهُ السّلطان بسبب ذلك وكاتبه، وقال له: لم تَجْرِ بهذا عادةٌ من أهلك، ونحن نُحاشِيك مِن قَطْع السّبيل وأنت تعلم ما بيننا وبين والدك[١١٠أ]، ثم بيننا وبينك، والمكافآت تمكّننا غير أنّا نتأدّب بآداب القرآن الكريم، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء:١٥]. فازداد غلظةً وجهلاً، ورجع جوابُهُ يقول: هذا الرّسول فأين العذاب؟، وغير ذلك من الجَهْل والعُجْب، ولم يكن بعد ذلك إلّا أنّه أفسد صاحب الشِّحْر أيضاً أسد[(١)] بن شجيعة، وحملَهُ على العصيان، فمال إليه هرباً منَ الخَراج الّذي عليه للسّلطان، وكان عليه خراجٌ معلوم في كلّ سنة يحملُهُ إلى الخزانة المعمورة، فكان حتفُهُ في سوء رأيه[(٢)]: (منَ المنسرح)

والأَمْرُ للهِ رُبَّ مُجْتَهِدٍ ... مَا خَابَ إِلّا لأَنَّهُ جَاهِدْ
وضَيِّقٍ والسِّهامُ تَرْشُقُهُ ... يَحِيصُ ما حَابِضٍ إلى صارِدْ[(٣)]

فجرّ الأمر[(٤)] عُقَيْب ذلك على والي عَدَن وهو الشّهاب عليّ بن غازي بن المعمار بالتّقدّم إلى ساحل ظَفار بالشُّواني[(٥)] والرّجال، فوصل ظَفار ولم يكن ثَمَّ حربٌ طائل ولا حادث، ثمّ عاد إلى عَدَن المحروسة.

ولمّا رجع المعمار[(٦)] من ظَفار نهض سالم بن إدريس وسوّلت له نفسُهُ الغارة إلى ساحل

---

(١) في بقيّة النّسخ ما عدا (ب): «راشد».

(٢) البيتان للمتنبّي؛ انظر شرح ديوانه: ٤/٣٨٩.

(٣) في (أ): «.. والسها ترشكه محيص عن ...» وفي (ج، د): «ومتق والسهام مرسلة يحيص عن محيص عن صارد» وفي (هـ) سقط واضطراب في الرسم. وفي شرح الديوان: «ومتق والسهام مرسلة يحيص عن ...». والسهم الحابض خلاف السهم الصارد؛ يقال: حبض السهم: إذا وقع بين يدي الرامي لضعف الرمي، والصارد: السهم النافذ في الرمية.

(٤) في (ج): «فخرج الأمير» وفي (د، هـ): «فخرج الأمر».

(٥) في جميع النّسخ: «الشواني» محرّفاً. والشّواني: المراكب المُعدّة للجهاد في البحر، واحدها: الشُّونَةُ؛ التّاج: (ش و ن).

(٦) في (ج، د، هـ): «ابن المعمار».

عَدَن، ولم يكره ذلك صاحب الشِّحْر، فوصلت غارتُهُ في البحر إلى ساحل عَدَن[١] المحروسة، وكان السّلطان يومئذٍ في الجَنَد فاستكثر النّاس ذلك الأمر من سالم بن إدريس؛ إذ لم يقدم على مثلِهِ صاحبُ الهند ولا الصّين ولا ملوكُ فارس.

فاستشاطَ السّلطان غضباً وخرج أمرُهُ بعِمارة الشُّواني والمراكب والطَّرايد[٢] وأنواع مَطايا البحر، وتقدّم رِكابُهُ العالي إلى ثَغْر عَدَن المحروسة، وأنفق منَ الذّهب والفضّة ما يزيد على عدد الحصى، وجهّز الأمراء والمقدّمين والعساكر المنصورة منَ الخيل والرَّجْل وملأ البَرَّ والبحر خيلاً ورَجْلاً وأَزْواداً.

وسارت العساكر ثلاثَ فِرَقٍ: فرقة في البحر وهم معظم الرَّجْل فيهم الشّيخ فارس بن أبي المعالي الحَرازي، والشّيخ محمّد بن محمّد بن ناجي[٣]، والشّيخ الهُمام بن عليّ بن عواض المليكي، وشمس الدّين الكبوس، والشّيخ بدر الدّين حسين[٤] بن عليّ المَذْحِجيّ وهو أكثرُهُم جيشاً؛ وكان المقدَّم على أهل البحر الأمير سيف الدّين سُنْقُر البرنجلي[٥] نقيب[٦] المماليك البحريّة، وسارت الفرقة الثّانية مع الشّيخ بدر الدّين عبد الله بن عمرو بن الجيّد[٧] وهم العرب كانوا ثلاثَ مئة فارس، ساروا على طريق حضرموت قَهْراً على رِقاب أهلها، وهي مشحونة بقِلاع بني الحُبُّوضي وأحلافهم، ولم

---

(١) قوله: «ولم يكره ... ساحل عدن» سقط في (ج، د، هـ).

(٢) في جميع النّسخ: «الشّواني ...» محرّفاً سلف تصحيحهُ قبل أسطر. وفي (الأمّ، ب): «.... والطراريد»، وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ). والطّرايد، جمع الطّرّاد، السّفينة الصّغيرة السّريعة، والعامّة تقول: تَطْرِيدة؛ التاج: (ط ر د).

(٣) في (ج، د): «محمد بن ناجي» بإسقاط «بن محمد».

(٤) في (أ): «الحسين» وفي (ج، د): «حسن» وفي (هـ): «أحسن».

(٥) في (ب): «الزّنْجَبِيلِيّ».

(٦) في (الأمّ): «بقيت» وفي (ج): «بقية» وما أثبت عن (أ، ب، د، هـ).

(٧) قوله: «الجيّد» بالجيم المعجمة والياء المشدّدة، كذا سيرد في (أ: ١١٢ب) مشدّداً، على أنه سيرد أيضاً مهملاً تارة ومعجماً بنون بدل الياء تارة أخرى في بقية النّسخ وتارة تعقب النون ياء، ولكنّني أثبته في كلّ مواضعه كما هو في (أ) اتّكالاً على أنّ الإهمال يحتمل الإعجام.

يكن في تلك الجهة من أحلاف مولانا السّلطان إلّا أبناء شماخ، والشّيخ عمر بن عليّ بن مسعود، وفيهم أيضاً مَيْل إلى جانب بني الحُبُوضي.

قال صاحب (العقد): وبلغني أنّ الشّيخ بدر الدّين عبد الله بن عمرو بن الجنيد [وأصحابه][(١)] ما فارقوا الحرب ليلةً واحدةً حتّى عبروا حضرموت، وما زال أصحابه يتخلّفون[١١٠ب] عنه حتّى وصل ظَفَار في مئة فارس وثلاثة عشر رجلاً بعد خمسة أشهر من يوم خرجوا من صنعاء.

وسارت الفرقة الثّالثة طريقَ السّاحل، وهم أربع مئة فارس منَ المماليك البحريّة، وحَلَقَة السّلطان، وكان مقدّم المماليك الأمير حسام الدّين لُؤْلُؤ التّوْرِيزيّ وهو أمير العلم المنصور، ومقدّم الحَلَقَة الأمراء بنو فيروز، وكان مقدّم الجمع الأمير شمس الدّين أُزْدُمُر أستاذ دار السّلطان؛ وقال له السّلطان: أنت تقتل سالماً -إن شاء الله تعالى- فإنّي رأيت فيما يرى النّائم أنّ حيّةً عظيمة خرجت إليّ مِن كُوَّة، فقلت لك: يا أُزْدُمُر اقتلها. فقتلتَها وعدتَ إلى مقامك.

وكانت طريق الأمير شمس الدّين صعبة وَعْرة في شواهق منَ الجبال وكُثْبان الرَّمْل، فكانوا يسيرون أضعف السّير والمراكب في البحر تسير معارضةً لهم، فإذا بعدت بهم الطّريق عنِ السّاحل تعبوا وضاقت أحوالهم حتّى تدور بهم إلى السّاحل فيستريحوا[(٢)].

وكانت المراكب مشحونةً من كلّ شيءٍ من أصناف الأَزْواد منَ الطّعام والتَّمْر وسائر الحبوب والحوائج خانات، ثمّ أنواع السّلاح: منَ القَنا والسُّيُوف والزَّرْد والخُوَذ والبَيْض والخفاتين[(٣)]

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) في (الأم): «فيستريحون».

(٣) في جميع النّسخ: «الحفاتين» وما أثبت عن العقد الفاخر الحسن: ٢/٩١٥، وانظر مصادره، وفُسّر بهامش مطبوعه: «خَفْتان: ثوب يُلبس في الحرب وهو فارسيّ».

والقِسِيِّ والسّهام والتِّراس والأَوْضاف[(١)] من نِعال الخيل واللُّجُم وسائر العدد على اختلاف أنواعها، ثمّ المَنْجَنِيقات ستّة وغِلْمانها وحجارتها وآلتها.

وبلغني: أنّه رَسَبَ[(٢)] عليهم في البَحْر ألفُ قطعة؛ والقطعة عبارة عنِ الجُوالِق[(٣)] العظيمة من أنواع الشَّحْن فما فُقدت.

ثمّ كانت الأسواق قائمةً كأعظم ما يكون من أسواق المُدُن، وفيها من أصناف الطّباخين والخبّازين والحُلْوانيّين وأرباب الصِّناعات.

ولم تزلْ كلّ فرقةٍ تسير على جَنْب[(٤)] ما يمكنهم منَ المسير حتّى جمع الله بينهم في يومٍ واحد على بَنْدَر رَيْسُوت[(٥)]؛ هكذا حكاه صاحب (العقد).

فأقبلت مَطايا البحر منَ الشُّواني تَقْدُمُها الحَواشِك والسّنابِيق كأنّها العِقْبان، ثمّ أقبلت الطَّرِيدة، وهي المركب الأعظم، وقدّامها السُّفُن كأنّها بعض الملوك، والسُّيُوف مسلولةٌ والأعلام منصوبةٌ والطَّبْلخانات[(٦)] راجِفة.

وفي هذه الطَّرِيدة الخزانة السّعيدة ومبلغها أربع مئة ألف دينار ملكيّة، وأمّا القماش منَ البُنْدقيّ والسُّوسيّ والمَوصليّ والزَّبِيديّ فشيءٌ لا يُحيط به الحَصْر؛ فللّه دَرُّهُ من ملكٍ ملأتِ البرَّ والبحرَ كتائبُهُ، ووسعتِ العَرَبَ والعَجَمَ مواهبُهُ ورغائبه، فكان كما قال عمرو بن كلثوم[(٧)]: (منَ الوافر)

---

(١) في (الأمّ، ب): «والتراس من الأوضاف» وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وهو كذلك في العقود: ٢١٠/١. والتِّراس: جمع التُّرْس، نحو أتراس وتِرَسة وتُروس.

(٢) رَسَبَ الشّيء في الماء: ذهب سُفْلاً.

(٣) الجُوالق: الوعاء.

(٤) في بقيّة النّسخ ما عدا (ب): «حسب».

(٥) في (ج، د): «ريسوب».

(٦) في (الأمّ): «والطلبخانات» وفي (هـ): «الطيلخانات» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٧) ديوانه: ١٠٠.

مَلأْنَا البَرَّ حَتَّى ضَاقَ خيلاً كذاك البَحْرُ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا[1]

ولمّا اجتمعتِ العساكر المنصورة في بَنْدر رَيْسُوت كانتِ الخيل خمسَ مئة فارس، والرَّجْل[١١١أ] سبعة آلاف راجل، فقال بعضهم لبعض: قد رأيتم ما نحن فيه من إنفاق الأموال وركوب الأهوال والتَّواني حينئذٍ منّا عَجزٌ وخَورٌ، ولم يَبْقَ إلّا الحَزْم والعَزْم، فساروا حتّى بلغوا عَوْقَد[2] وهي محلّةٌ من محالّ ظَفار، فأرجف عليهم: بأن خيل حضرموت وصلت إلى ظَفار، وكذلك خيل البحرين، فتذامَرُوا فيما بينهم، وقالوا: إنّما جئنا للقتال لا لغيره وأين تَعِزّ منّا؟ ولم يكن في ظَنِّهم أنّ سالم بن إدريس يبرز إليهم فبيناهم كذلك إذ أقبلت عساكر ظَفار يقدمها سالم بن إدريس، فلمّا رآه العسكر المنصور تأهّبوا للقتال، فصفَّ لهم، على بعدٍ منَ المدينة، وصفّوا له.

وكان الشّيخ بدر الدّين عبد الله بن عمرو بن الجيّد وأصحابه في الميسرة وكانتِ الحَلَقَة في الميمنة، وكان الأمير شمس الدّين أُزْدُمُر في القَلْب، فلم يكن بأسرع من أن التقوا واصطدموا صدمةً واحدة، فجالتِ العسكر المُظَفَّريّة جولةً اقتلعت فيها نحواً من خمس مئة فرس، ثمّ كانت الهزيمة، فما نجا من أهل ظَفار إلّا منِ استأسر، فكانت القتلى ثلاث مئة قتيل والأُسارى نحواً من ثماني مئة أسير، وأخذ منَ العبيد ما شاء الله.

وقتل سالم بن إدريس فيمن قُتِل، ولم يكن له قاتل معروف، واستبقَ النّاس إلى باب ظَفار، وضُرِبت الخيام على باب المدينة، وكان الأمير شهاب الدّين أحمد بن أُزْدُمُر قد تركه أبوه في المحطّة، فجاء العلم منه ليلاً إلى أبيه والأمراء، وهم مجتمعون على باب المدينة بأن رأس سالم بن إدريس قد صار عنده، وقيل: بل عرف أخوه موسى مصحفَهُ ومَلُّوطَته[3]، فقال: هذا مصحف أخي، وما أظنّ أخي إلّا مقتولاً، ثمّ طلبوه بين القتلى فوجدوه قتيلاً،

---

(١) في (هـ): «وظاهر البحر ...»، وفي الديوان: «... ضاق عنا».

(٢) في (ج، د، هـ): «عرفد».

(٣) المَلُّوطة: قَباءٌ واسِعُ الكُمَّيْنِ عامِيةٌ جَمْعُه مَلالِيطُ؛ التّاج: (م ل ط).

نُبِرَ جسدُهُ وأُخِذ رأسُهُ.

وكانتِ الوقعةُ يوم السّبت السّابع والعشرين من شهر رجب منَ السَّنة المذكورة، وطلب أهل ظَفار الذِّمّة فأذَمَّ عليهم الأمير شمس الدّين أُزْدُمُر، ودخلتِ الأعلام السّعيدة المُظَفَّرية مدينة ظَفار يوم الأحد الثّامن والعشرين منَ الشّهر المذكور، ووقع العَفْو عنِ النّاس كلِّهم، ولم يُؤْخَذ لأحدٍ منهم شيءٌ، واختطب الخطباء على منابر ظَفار بالألقاب الشّريفة المُظَفَّرية يوم الجمعة الثّالث عشر من شهر شعبان منَ السَّنة المذكورة.

ووصلت البشائر والرُّؤوس إلى صنعاء يوم الخامس والعشرين من شعبان المذكور[1]، وتسلَّم العسكر السّلطانيّ مدينة شِبام في حضرموت يوم الثّامن من شهر رمضان، وقبض الأمير شمس الدّين أُزْدُمُر قصرَ ظَفار يوم السّادس والعشرين من شهر رمضان، وقبض كافّة بني الحُبُوضي وحُملوا إلى زَبِيْد وما برحوا تحت الصّدقات السّلطانيّة حتّى انقرضوا في أثناء الدّولة المجاهديّة، رحمة الله عليه، وانقرض عَقْبهم، ولم يبقَ في عصرنا هذا أحدٌ نعرفه.

ولمّا فتح السّلطان مدينة ظَفار - كما ذكرنا - امتلأت من هيبته قلوب ملوك فارس[١١١ب] وملوك الهند والصِّين، لِما رأوا من عِظَم هيبته وعظيم نقمته، ولمّا قتل سالم بن إدريس ارتعدتِ الأقطار القَصِيّة هيبةً له، وأرسل صاحب عُمان بهديّته فَرَسين ورُمحين إلى الأمير شمس الدّين أُزْدُمُر، وهو يومئذٍ في ظَفار، ووصلت هدايا صاحب الصِّين، ووصل صاحب البحرين إلى زَبِيْد.

ورتّب الأمير شمس الدّين أُزْدُمُر في ظَفار الأمير سيف الدّين سُنْقُر البرنجلي نائباً والحسام التَّوْرِيزيّ معه وعدّة من مشايخ العرب ومقدَّمي الرَّجْل، وعاد إلى اليمن.

وقال صاحب (السِّيرة) في مدح مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر، رحمه الله تعالى، وهي من قصيدةٍ طويلة: (منَ الكامل)

---

(١) قوله: «ووصلت ... المذكور» سقط في (ج).

فَاسْأَلْ بِهِ الأَعْلامَ فَهْوَ عَقِيدُها والعِلْمَ فَهْوَ مُصَنِّفٌ ومُؤَلِّفُ
واسْأَلْ شِبامَ وحَضْرَمُوتَ ومَنْ بِها: أَوَعِيدُ يُوسُفَ صادقاً أَمْ يُخْلِفُ(١)
أَمْ صارِماً بِالسَّيْفِ أَغْلَبَ لم يَزَلْ لِلْحَقِّ يُنْصِفُ، والأَعادي يَنْسِفُ؟(٢)
إِذْ أَصْبحتْ بِبِقاعِ جُرْثُمَ خَيْلُهُ كَالطَّيْرِ للمُهَجِ الكَرائِمِ تَخْطِفُ
تَرْمي العِدَى بِشُواظِ كُلِّ مُثَقَّفٍ فِيْهِ لِمِعْوَجِّ الطُّغاةِ مُثَقِّفُ
فَهُناكَ ما بَقِيَتْ لِغَيٍّ هامَةٌ إِلّا بِسَيْفِ أَبِي المُمَهِّدِ تُقْطَفُ
مَنْ لا يَفُوتُ عَلَيْهِ نَيْلُ مَرامِهِ لَوْ أَنَّهُ خَلْفَ الكَواكِبِ يُقْذَفُ
هُوَ في الأَباعِدِ كَالأَقارِبِ حاضِرٌ كَالشَّمْسِ مِنْ كُلِّ المَطالِعِ تُشْرِفُ
ومِنَ المُلُوكِ الصِّيْدِ تَحْتَ لُوائِهِ فِرَقٌ وأُخْرَى في حَدِيْدٍ تَرْسِفُ
لَيْسَتْ ظَفارِ بِمُعْظَمٍ في مُلْكِهِ بَلْ في مَواهِبِهِ تَهُونُ وتَضْعُفُ
كَالبَحْرِ لَيْسَ يَزِيْدُ في أَمْواجِهِ نَهْرٌ، وليسَ يَضُرُّهُ مَنْ يَغْرِفُ
أَظْفارِ بِدْعٌ مِنْ مَدائِنَ حازَها بِالسَّيْفِ لا تُحْصَى ولا هِيَ تُحْصَفُ
أَمْ تِلْكَ بِدْعٌ مِنْ حُصُونٍ شَواهِقٍ تَبْدُو فَتُنْكَرُ في النُّجُومِ وتُعْرَفُ
أَلْقَتْ بِساحَتِكَ الرِّحالُ مُلُوكَها فَبِظِلِّ بابِكَ شَمْلُهُمْ يَتَأَلَّفُ
أَدْنَيْتَ قاصِيَهُمْ، فَكَكْتَ أَسِيْرَهُمْ آنَسْتَهُمْ، أَمَّنْتَ مَنْ يَتَخَوَّفُ(٣)
هِيَ عادَةٌ لَكَ مِنْ قَدِيْمٍ لَمْ تَزَلْ الذَّنْبُ يُغْفَرُ والشَّدائِدُ تُكْشَفُ(٤)
كَمْ مِنْ مُلُوكٍ قَدْ أَضَعْتَ دِماءَهُمْ لَمّا عَصَوْكَ ولَمْ يَضِعْ ما خَلَّفُوا

---

(١) في (أ، ج): «... لم يخلف» وفي (د): «... لا يخلف».

(٢) في (ج، د، هـ): «أم راضها ...».

(٣) في (د): «... فكيف أسيرهم».

(٤) في (ج، د، هـ): «تعفو وتغفر ...».

قال صاحب (العقد): وقال أخو[1] كندة مهنئاً لمولانا السّلطان، رحمة الله عليه، [في لسان الحال][2]:

بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧]

[١١١٢أ] مطالع صِدْق بالنّصر نورُها، وتباشير صِدْق تضاعَفَ على العالمين سرورُها، وسَطَوات مُلكٍ دَمَغَ منَ البِدْعة باطلها، وجُيُوش نَصْرٍ عُقِدت بمشارق الأرض قَساطِلُها، وهدمت من رُبُوع البَغي باطلها، حتّى دخلت صفقات الخَسار، ونزلت بوائق البَوار لمن نهض فلم يقدر، وزاحم فلم يصبر، والحمد لله الّذي خبّأ[3] لمولانا المقام الأعظم السّلطان العالميّ العامليّ الجواديّ الرّحيمي الملكيّ المُظَفّري، خلّد الله ملكه في غُضُون الأزمان، ومَعاطِف المَلَوان هذا الفَتْح المُبين، فأخْمَد بسيفه نارَ المُبْطلين: (منَ الطّويل)

وَلَيسَتْ بِبِكْرٍ لَمْ يَرَ النّاسُ مِثْلَها ... ولكِنْ عَوانٌ كانَ مِنْ قَبْلِها مِثْلُ

وحين وردت البِشارة وضح الحقّ للمرتابين، وازدادت طمأنينة قلوب المطمئنّين: (منَ البسيط)

وعايَنَ النّاسُ هاماتٍ مُفَلّقَةً ... جاءَتْ مِنَ البَحْرِ تَسْري بَيْنَ أَمْواجِ
نَوُّمُها هامَةٌ كانَتْ مُتَوّجَةً ... أَوْدَى بِها المَلِكُ الصِّنْدِيْدُ ذو التّاجِ[4]
ساقَ المُظَفّرُ جَيْشَ النّصْرِ مِنْ عَدَنٍ ... يَأْتَمُّ في البَحْرِ أَفْواجاً بِأَفْواجِ[5]
وأَفْعَمَ البَرَّ حتّى ضاقَ واسِعُهُ ... بِجَحْفَلٍ لَجِبِ الأَصْواتِ عَجّاجِ[6]

---

(١) في (الأم، أ، ب): «أخوه كندة»، وما أثبت عن (ج، هـ)، وفي (د): «أخوا».
(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ).
(٣) في (ج): «حبا».
(٤) في (الأم، ب): «... الصنديد والتاج»، وما أثبت عن بقيّ النّسخ.
(٥) في (الأم): «يأتم ... أفواج ..» وفي (أ، ج، د): «... جيش البطن ... ... أمواجاً بأفواج» وفي (هـ): «... من ربى عدن».
(٦) في (ج، د، هـ): «.. البحر ...».

قال صاحب (العقد): وقال أخو[(١)] كندة مهنئاً لمولانا السّلطان، رحمة الله عليه، [في لسان الحال][(٢)]:

بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الرّوم:٤٧]

[١١٢/أ] مطالع صِدْق بالنّصر نورُها، وتباشير صِدْق تَضاعَفَ على العالمين سرورُها، وسَطَوات مُلكٍ دَمَغَ منَ البِدْعة باطلها، وجُيُوش نَصْرٍ عُقِدت بمشارق الأرض قَساطِلُها، وهدمت من رُبُوع البَغي باطلها، حتّى دخلت صفقات الخَسار، ونزلت بوائق البَوار لمن نهض فلم يقدر، وزاحم فلم يصبر، والحمد لله الّذي خَبّأ[(٣)] لمولانا المقام الأعظم السّلطان العالميّ العامليّ الجَواديّ الرَّحيمي الملكيّ المُظَفَّري، خلَّد الله ملكه في غُضُون الأزمان، ومَعاطِف المَلَوان هذا الفَتْح المُبين، فأَخْمَد بسيفه نارَ المُبْطلين: (منَ الطّويل)

وَلَيسَتْ بِبِكْرٍ لَم يَرَ النَّاسُ مِثلَها ... ولكِنْ عَوانٌ كانَ مِنْ قَبْلِها مِثْلُ

وحين وردت البِشارة وضح الحقّ للمرتابين، وازدادت طمأنينة قلوب المطمئنّين: (منَ البسيط)

وعايَنَ النّاسُ هاماتٍ مُفَلَّقَةً ... جاءَتْ مِنَ البَحْرِ تَسْري بَيْنَ أَمْواجِ

تَؤُمُّها هامَةٌ كانَتْ مُتَوَّجَةً ... أَوْدَى بِها المَلِكُ الصِّنْدِيْدُ ذو التّاجِ[(٤)]

ساقَ المُظَفَّرُ جَيْشَ النَّصْرِ مِنْ عَدَنٍ ... يَأْتَمُّ في البَحْرِ أَفْواجاً بِأَفْواجِ[(٥)]

وأَفْعَمَ البَرَّ حتّى ضاقَ واسِعُهُ ... بِجَحْفَلٍ لَجِبِ الأَصْواتِ عَجّاجِ[(٦)]

---

(١) في (الأمّ، أ، ب): «أخوه كندة»، وما أثبت عن (ج، هـ)، وفي (د): «أخوا».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ).

(٣) في (ج): «حبا».

(٤) في (الأمّ، ب): «... الصنديد والتاج»، وما أثبت عن بقيّ النّسخ.

(٥) في (الأمّ): «يـاتم ... افـواج ...» وفي (أ، ج، د): «... جيش البطن ... ... امواجاً بـأفواج» وفي (هـ): «... مـن ربى عدن».

(٦) في (ج، د، هـ): «... البحر ...».

مِنْ كُلِّ مَعّاجةٍ تَعْدُو بِشِكَّتِها ... وكُلِّ نَهْدٍ جَمُومِ السَّيْرِ مَعّاجِ[١]

كَتائِبُ لأَبي المَنْصُورِ ما فَتَرَتْ ... لِفَرْطِ أَيْنٍ وتَهْجِيْرٍ وإِدْلاجِ[٢]

تَشُقُّ في فَلَواتِ البِيْدِ سائِحَةً ... صَخْراً مِنَ الرَّمْلِ إِلّا أَنَّهُ شاجِي

يا طُوْلَ ذَلِكَ مِنْ حِلٍّ ومُرْتَحَلٍ ... وكُثْرِ شَدٍّ وإِلْجامٍ وإِسْراجِ

حتّى وَرَدْنَ ظَفاراً بَعْدَ ما نَبَذَتْ ... ما في البُطُونِ مِنَ افْلاذٍ وأَمْشاجِ

وبَعْدَ أَنْ عَقَدَتْ في عَوْقَدٍ قُبَباً ... ما كان سالِمُها بِالسّالِمِ النّاجي

ما أُنْعِلَتْ ثَمَّ حتّى مِنْهُمُ انْتَعَلَتْ ... بِصائِكٍ مِنْ دَمِ الأَجْوافِ ثَجّاجِ

تَعْساً لِسالمٍ مِنْ غاوٍ لَقَدْ سلكتْ ... به الغَوايَةُ جهلاً شَرَّ منهاجِ

فَصارَ مُوْرِدَ أَمْرٍ غَيْرَ مُصْدِرِهِ ... وصارَ ولّاجَ حَرْبٍ غَيْرَ خَرّاجِ

أَضْحَتْ بِعَوْقَدَ مِنْهُ جُثَّةٌ طُرِحَتْ ... والرَّأْسُ في كُلِّ أَرْضٍ فَوْقَ مِعْراجِ

رامَ المُضاهاةَ جَهْلاً فَاعْتَدَى سَفَهاً ... ولا مُضاهاةَ بَيْنَ الدُّرِّ والعاجِ

لا زالتِ الثّغورُ معمورةً والجيوش مؤيّدةً منصورة، وعقود التّهاني منتظمة السُّلوك، والجنود المُظَفَّرية قافلةً بجَماجِم الملوك[٣]، ما هَمَرَ رُكام، وسَجَعَ على فُرُوع الأَيْك حَمام.

ولـمّا فُتحت ظَفار انقادت حضرموت، فجعل السّلطان أميرَها محمَّد بن محمَّد بن ناجي، فأقام فيها مدّةً، ثمّ رجع إلى تَعِز فقيل له: كيف عاملت أهل حضرموت؟ قال[١١٢ب]: لـمّا دخلت شِبام راغمني رجلٌ منهم يماني، أعظمهم حالاً، فجمع عسكراً لحَرْبي، وجمعتُ عسكراً وطاولتُهُ في الحرب حتّى أنفق ما كان عنده[٤] من صامتٍ وناطقٍ،

---

(١) في (هـ): «... تعدو سنابكها».

(٢) الأين: الإعياء، وليس له فعلٌ.

(٣) في (الأم، ب): «الملك»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وما يقتضيه السّياق.

(٤) كتب فوقه بـ(الأمّ): «معه».

لم يبقَ معه شيءٌ، وأنا استمدّ من مولانا السّلطان؛ فلمّا لم يجد شيئاً ينفقُهُ على عسكره وصلني بنفسه حتّى أناخ بعيرَهُ على باب داري، ودخل الحاجب يستأذن له. فقلت: يحضر. فلمّا دخل عليَّ قال: اعلم أنّي لمّا أردت الخروج عليك[1] أشهدت كافّة أهل بيتي أنّي على ذِمَّة ابن الرّسول وذِمَّتك. فقال: فقلت له: وهما عليك. ثمّ أكرمتُهُ وأحسنت إليه، وجعلت له موضعاً يكفيه، وعاد إلى أهله على أحسن حال، فجرى على ذلك النَّمَط أربعة أقوام أُحاربهم حتى يُؤَدُّوا أنفسهم إليّ، وبعد ذلك لم يرفع رأسَهُ إليَّ أحدٌ من أهل حضرموت.

وفي سنة تسعٍ وسبعين: استعاد السّلطان حصن كوكبان منَ الحِواليّين بحصن رَدْمان واثنين وعشرين ألفاً.

وفي هذه السّنة: كانتِ الفرحة السّعيدة، فاستدعى مولانا السّلطان، رحمه الله تعالى، الأمير علم الدّين سُنْجُر الشّعبيّ إلى محروسة زَبِيْد، واستدعى كافّة الأشراف الحمزيّين إلى أبوابه الشّريفة، فلم يصله منهم إلّا الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله بن الحسن بن حمزة، والأمير عزّ الدّين محمّد بن الأمير شمس الدّين أحمد بن الإمام[2] عبد الله بن حمزة، واعتذر الأمير صارم الدّين داود بن الإمام عبد الله بن حمزة وسائر الشُّرفاء.

فلمّا نزل الأمير عزّ الدّين والأمير جمال الدّين إلى الأبواب السّلطانية بسبب الفرحة - كما ذكرنا - قبض الإمام صارم الدّين داود بن الإمام حِصْنَيهما، وكان لعزّ الدّين صَعْدَة، فطلع الصّاحب بهاء الدّين محمد بن أسعد العِمْرانيّ محاكماً للأمير صارم الدّين داود فحطّ بالجنّات بالبَون، والأمير صارم الدّين بالمَصْنَعة؛ بالجبل المطل عليها.

فكانا يلتقيان على الثّالث والرّابع، والأمير علم الدّين في صنعاء، فلم يتمّ بينهم أمرٌ، فرأى الصّاحب مِن تَعَجْرُفِهم وإِدْلالهم بكَثْرَة عساكرهم وسُوْء مقالتهم ما أغاظه، فكتب

---

(١) كتب بهامش (الأمّ): «ط إليك» وهي كذلك في (ج، د، هـ).

(٢) في (الأمّ، ب، ج): «الإمام بن ...»، وهو خطأ، صوابه عن (ج، د) وقد مرّ على الصّواب غير مرّة، وفي (هـ): «والأمير عز الدين بن أحمد بن المنصور واعتذر».

إلى السّلطان يُعْلِمُهُ بذلك فورد جوابُهُ يقول:

إن لم يدخلوا فيما شرعوه فانبذ إليهم على سواءٍ، وأشعرهم النّقض، فتوقّف الصّاحب عنِ النّقض رجاءَ أن يعودوا، ورجع إلى اليمن.

وفي سنة ثمانين وستّ مئة(١): وقع النّقض، فنزل الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله والأمير عزّ الدّين محمّد بن أحمد إلى الأبواب الشّريفة السّلطانية، فلم يزالا هنالك حتّى انفصل أمرهما على تسليم حِصْنَيهما المِيْقاع وتَعِزّ صَعْدَة، فقبضهما نوّاب السّلطان(٢) في المحرّم أوّل سنة إحدى وثمانين.

وفي سنة إحدى وثمانين: طلع الأمير جمال الدّين عليّ بن[١١٣أ] عبد الله، وخرج إليه الأمير علم الدّين الشّعبيّ بعساكره وساروا جميعاً إلى الظّاهر، فحطّ الأمير علم الدّين الشّعبيّ على الكَوْلَة وشرع في عِمارتها ومعه الأمير عزّ الدّين، وخطّ الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله على حِصْنَي كَحَل وأَشْيَح بالظّاهر الأعلى فأخذهما في أقرب مدّة.

وعاد الأمير علم الدّين إلى محطّته وقد رتّب في الدَّحْضة(٣) والحَنَشَيْن(٤) وذَرْوة نُقَباء في عساكر جيّدة، ثمّ رتّب الشّريف عليّ بن عبد الله بالكَوْلَة في مئة فارس وألف راجل، وأضاف إليه سائر الرّتب، ونزل هو والأمير عزّ الدّين نحو شُوابَة ولم ينقل الأمير علم الدّين محطّته منَ الكَوْلَة إلّا بعد سنةٍ حتّى استقامت أمور الرّتب على ظَفار منَ الناحية العُلْيا.

ثمّ نهض إلى النّاحية السُّفلى - كما ذكرنا - فحطّ في شُوابَة هو والأمير عزّ الدّين فعَمَرَ دَرْبَ شُوابَة(٥) وشَحَنَه ورتّب الأمير عزّ الدّين، ثمّ عاد إلى صنعاء واستقامتِ

---

(١) في (الأمّ، ب): «سنة ثمان وست مئة»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وهو ما يقتضيه السّياق.

(٢) قوله: «فلم يزالا ... نواب السّلطان» سقط في (د).

(٣) في صفة جزيرة العرب: (١١٦) والمستبصر (٢٣٨): «الدَّحْض».

(٤) في (أ): «البحصة والجبسين».

(٥) في (ب): «هو والأمير شمس الدين ...»، وقوله: «هو والأمير ... درب شوابة» سقط في (ج، د).

المحاطُ والحصار على ظَفار: الأمير[1] جمال الدّين في النّاحية العُليا والأمير عزّ الدّين في النّاحية السُّفلى.

وفي سنة اثنتين وثمانين: توفّي الأمير علم الدّين سُنْجُر الشّعبيّ بصنعاء؛ انهدم عليه القصر فمات هو وجماعةٌ ممّن كان معه حينئذٍ.

وحكى صاحب (العقد) في كتابه قال: كنت ممّن كان يومئذٍ في مجلس الأمير علم الدّين دخلتُ عليه ومجلسُهُ يَغَصّ بالنّاس فحضر غداؤه وتغدّى النّاس وانقضت حوائجُهُم وخرجوا، ولم يبقَ في المجلس إلّا الأمير علم الدّين وصهرُهُ محمّد بن بدر ومملوكانِ للأمير صغيرانِ، وأبو بكر بن عمارة، وكاتب[2] الأمير وقاضي الشّرع عمر بن سعيد[3] وأنا وأخي عليّ بن حاتم. فوقفنا إلى أن أذّن المؤذّن للظّهر، فقام الأمير فتطهّر[4] وصلّى وعاد إلينا، ثمّ قال لمملوكه: احملِ الماء للجماعة يصلّون. ثمّ عدنا إلى ما كنّا فيه منَ الحديث، فلم نشعر حتّى دخل علينا غُبارٌ من قرب الشّبابيك، فقام الأمير وسأل غلاماً له ما سبب الغُبار؟ فانتثر علينا غُبارٌ وتُراب منَ السَّقْف، فهَمَمْنا بالخروج وتحطّم السَّقْف الأسفل من تحتنا قبل الأعلى، وذلك آخر عهد بعضنا ببعض. وكان الهَدْم في أوّل وقت الظّهر فوقفنا تحت الهَدْم إلى المغرب، وكنت أنا أتلو ما أحفظه من القرآن وأدعو بما تيّسر منَ الدّعاء، وأَتَضَرَّع إلى الله، ولم يبقَ في خاطري إلّا الموت، فما شعرت إلّا بالمَساحي[5] فوق رأسي، فكان يقرب قليلاً قليلا، حتّى فتشوا على رأسي ووجهي، فذكرت الله تعالى، فاستخبروني عن نفسي، فقلت: أنا بخير إن شاء الله، فسألوني عنِ الأمير، فقلت: هو قريب منّي،

---

(١) في (أ، هـ): «والأمير».

(٢) في (أ، هـ): «عمارة كاتب».

(٣) في (ب): «علي بن سعيد».

(٤) في (الأمّ، أ، ب، هـ): «فطهر» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

(٥) المَساحيّ: جمع المِسْحاة، وهي كالمِجْرفة إلّا أنّها من حديد.

فأخرجوني وحفروا عنِ الأمير فوجدوه ميتاً قد وقعت على رأسه خشبة عظيمة، واستمرّ[١١٣ب] الحَفْرُ عنِ الجماعة فأخرجوا القاضي عمر بن سعيد سالماً، وهلك الباقون، ولم يصلوا إلى آخرهم إلّا آخر اللّيل.

ولمّا وقع هذا الحادث العظيم اضطرب النّاس في صنعاء وأعمالها، وبلغ الأمير صارم الدّين فجمع عسكره والمماليك الأسديّة وتوسّموا قصد الأمير جمال الدّين ورفع المحاط، فخرج الأمير عزّ الدّين دُوَيْدار الأمير علم الدّين من صنعاء في مئة فارس وخمس مئة راجل إلى البَوْن، وجاءت [عيون][1] الأمير صارم الدّين بالعلم إليه، فخرج بعسكره إلى الظّاهر الأسفل وتجرّد عنِ الظاهر الأعلى، ثمّ سار إلى حُوْث، ولمّا وصل العسكر المجرّد من صنعاء إلى الأمير جمال الدّين أغار على الأمير صارم الدّين إلى حُوْث[2]، ثمّ عاد إلى ظَفَار، وطلع الأمير فخر الدّين فيروز في عسكره منَ اليمن إلى صنعاء، واستقرّتِ المَحاط على ظَفار بعد ذلك نحواً من سنة، وانتقل الشّريف عليّ بن عبد الله منَ الكَوْلَة فعَمَرَ المَنْقَل وأقام فيه مدّة، ثمّ طلع المَنارة فعَمَرَها وأقام بها مدّة، وهجم عليه الأمير صارم الدّين ليلةً في أوّل عِمارتها فلم يظفر بشيء.

ثمّ نزل الأمير عزّ الدّين إلى السّلطان وعاد إلى صنعاء[3]، ولم يلبث أن مات.

وفي سنة ثلاث وثمانين: طلع الملك الواثق إبراهيم بن السّلطان الملك المُظَفّر إلى صنعاء مُقْطَعاً لها، فدخلها يوم الثّاني والعشرين من شهر ربيعٍ الأوّل منَ السّنة المذكورة، وتسلّم حصن بَراش وقبض على الأمير سيف الدّين بَلْبان العلميّ الدُّوَيْدار، وكان قد ظهر منه ما يوجب ذلك.

ولمّا تَضايقتِ الأحوال بالأمير صارم الدّين داود بن الإمام عرض على الإمام

(١) ما حُفّ بمعكوفتين سقط في جميع النّسخ ورُمّ عن العقود: ١/٢٢٩.

(٢) قوله: «ولما وصل ... إلى حوث» سقط في (ج، د، هـ).

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «إلى صَعْدَة».

الحسن بن وَهّاس القيامَ معه فأبى عليه، وعرض على الإمام المطهَّر بن يحيى فأبى عليه أيضاً لِما يعلمون من سيرته مع الأئمّة ومخالفته لهم، فعمد إلى ابن أخيه وهو يوسف بن إبراهيم بن الإمام، وكان قد قرأ شيئاً يسيراً في العلم، ولم يكن يَكْمل للإمامة ولا لغيرها، فأقامه إماماً وأخرجه إلى ثُلا ولبَّسَ به على العامّة واجتمع معه عسكر كثير، ثمّ خرج به إلى الظّاهر فانحاز منهم الشّريف عليّ بن عبد الله إلى جبل المِنْقاع، إذ لم يكن معه منَ العسكر ما يقابلهم به، فقاتلوا على الكَوْلَة والحَنَشَيْن، فلم يظفر منهما بشيء، فقصدوا المَنْقَل والمَنارة فأخذوهما قهراً، ثمّ ساروا نحو صَعْدَة فطلب الأمير عليّ بن عبد الله المادّة منَ السّلطان فجهز إليه الملك الواثق الفهد بن حاتم في سبعين فارساً من هَمْدان، والأمير شمس الدّين أحمد بن أُزْدُمُر في ثلاثين فارساً وخمس مئة راجل.

فلمّا وصلوا الكَوْلَة إلى الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله جعل إخوتَهُ وعيال يحيى بن الحسن في[١١٤ا] الكَوْلَة، وسار في العسكر المنصور نحو صَعْدَة، وكان العسكر يومئذٍ أربع مئة فارس وألف راجل، فساروا حتّى دخلوا صَعْدَة، وكانتِ الأشراف تحت تَلَمُّص، فتراكزوا نحواً من شهرين، ووقعت حروبٌ شديدة، وعُقِرت خيولٌ كثيرة منَ الفريقين.

وكان الأمير جمال الدّين يعرم الخيل ويطعم الخيّال[1] ويتولّى الأمور بنفسه وسائر المحطّة ليلاً ونهاراً، وكان السّلطان، رحمه الله، يجهّز إليه الخزائن ونَفَقات العساكر قبل استحقاقها، فعجز الأمير صارم الدّين عن مقاومته فخرج هارباً على جبل بني عُوير، ثمّ على سواد عَزّان، ثمّ على شَظَب حتّى دخل على ثُلا، والشّريف عليّ بن عبد الله معارضٌ له إلى أن حطّ في الجَنّات.

وفي هذه السّنة: توفّي الإمام إبراهيم ابن تاج الدّين في حصن تَعِزّ مُعْتَقَلاً، وكانت وفاته في شهر ربيع، رحمه الله رحمةً واسعة.

---

(١) في (أ، ج، د، هـ): «الجمال».

وفي شهر ذي الحِجَّة: توفِّيَ الإمام الحسن بن وَهّاس، وكانت وفاته بصَعْدَة رحمة الله عليه.

وفي سنة أربع وثمانين: جهزّ مولانا الملك الواثق عسكراً إلى المَنْقَب، وخَشِيَ أن يخرج الأمير صارم الدّين من ثُلا إلى البلاد الشِّهابيّة، فحصروه في ثُلا، فتداركه الشّيخ بدر الدّين عبد الله بن عمرو بن الجيّد، وسعى بالصُّلح بينه وبين السّلطان، وارتفعتِ المَحاطّ وعاد الكلّ إلى صنعاء، وكان الصُّلح على خلاص رهينة الأمير صارم الدّين وهو ولدُهُ محمّد بن داود، وكان في حصن الدُّمْلُؤة وعلى تعديل حصن القُفْل بظَفار، فانعقد الصُّلح على ذلك، واستمرّت الذِّمّة والصُّلح بُرْهةً منَ الزمان.

وفي سنة خمس وثمانين: ضرب الدّرهم السّعيد المُظَفَّريّ في مدينة صَعْدَة[1]، ونزل الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله إلى الباب الشّريف السّلطانيّ، فتلقّاه الملك المسعود حسن بن الملك المُظَفَّر والقاضي بهاء الدّين الصّاحب إلى الحَوبان، وحضر المقام السّلطانيّ للفَوْر، وأقام أيّاماً، ثمّ حملت له الطَّبْلخانة خمسة أحمال وخمسة أعلام، وزاده مع البَونَين[2] الخَشَب[3] والخارِد ومَطِرَة وحصن ذَيْفان، فأنشأ قصيدةً يمدح بها السّلطان الملك المُظَفَّر، وفيها يقول: (منَ الطّويل)

وأَعْلَمْتُ بِالأَعْلامِ يُوسُفَ أَنَّني ... صَفِيٌّ، وأَنِّي عِنْدَ حادِثِهِ ذُخْرُ

وحَرَّكَتِ الكُوساتُ ما كانَ ساكِناً ... ولكِنْ بِهِ عَنْ سَمْعِ تَحْرِيْكِها وَقْرُ[4]

وفي هذه السّنة المذكورة: احتال الأمير صارم الدّين في فكاك حصنه القُفْل، وخشي

---

(١) في (أ): «صنعاء».

(٢) في جميع النّسخ ما عدا (أ) من دون إعجام وبألف بعد الواو.

(٣) في (الأمّ، أ، ب): «الحب» وما أثبت عن (ج، د، هـ) وقد مرّ على الصّواب.

(٤) في (الأمّ): «الكوشات» وهو خطأ. والكوسات: جمع الكوس، وهو الطّبل؛ انظر نور المعارف: ١٠٦

عليه الفَوات، فتقدَّم إلى جهة صَعْدَة وأصلح أموره فيما بينه وبين ابن أخيه[1] الأمير نجم الدّين موسى بن أحمد بن الإمام، فاستنجدوا بالإمام مطهّر وحملوه على الخروج إلى ناحية[١١٤ب] صَعْدَة، فخرج من ذَرْوان لَحَجَّة وجمع جموعاً وسار نحو صَعْدَة، وجاءته خولان فقاتل على الدَّرْب فأخذه قهراً، وقتل الرّتبة الّذين كانوا فيه، وهم نحوٌ من ثمانين رجلاً، وأسروا الوالي غلاب، وقُتِل من عسكر الإمام خمسةٌ وثلاثون بالنُّشّاب، ثمّ سار الإمام ومعه الأمير موسى بن أحمد إلى الجوف فأخذوا الفَجْرَة وشراقة[2]، وطلعوا الظّاهر وخربة الكَوْلَة والدَّحْضة، وحطّوا على الزّاهر ووثب الأمير صارم الدّين داود بن الإمام على حصنه القُفْل فحطّ عليه، وأرسل إلى الملك الواثق بالنَّقْض، فجهّز الملك الواثق مئتي فارسٍ منَ الغُزّ والعرب، وتقدّمهم الشّريف جمال الدّين عليّ بن عبد الله وأمرهما بطلوع الظّاهر، فلم يتهيّأ لهم الطُّلوع، ثمّ جهّز السّلطان أستاذ داره الأمير شمس الدّين عليّ بن الهُمام في خيلٍ منَ اليمن وأمره بالغارة على الزّاهر. فلمّا وصل صنعاء خَرَّجَ إليه الملك الواثق شحنةً[3] إلى ذَرْوَة، وجهّز الأمير عليّ بن عبد الله والأمير أستاذ دار[4] لرَفْعِ المحطّة عنِ الزّاهر.

فلمّا علم بهم الأشراف ارتفعوا عنِ الزّاهر، وطلع الإمام إلى الظّاهر واشتدّت محطّة الأمير صارم الدّين على القُفْل، وعاد الملك الواثق إلى صنعاء، فكثرت الأَراجِيف والغرائر في البلاد، واضطربتِ البلاد اضطراباً شديداً، وتفاقم الأمر واشتدّ، وخالف أهل المشرق وأهل المغرب، وفسدتِ البلاد من نَقِيل صَيَد إلى صَعْدَة.

فلمّا حدثت هذه الحوادث أرسل السّلطان ولده الأشرف إلى صنعاء مُقْتَطَعاً لها، واستدعى ابنه الواثق، فدخل الملك الأشرف صنعاء يوم الثّامن من جُمادَى الأخرى منَ

---

(١) في (د): «وبين أخيه».

(٢) الكلمتان في بقيّة النّسخ مضطربتا الرّسم، وفي صفة جزيرة العرب (٣٦١): «وسراقة».

(٣) في (الأمّ، ب) من دون إعجام ورسم النّون قبل الحاء، وما أثبت - وهو الصّواب - عن (أ، ج، د، هـ).

(٤) في (ب): «أستاذ داره».

السَّنة المذكورة، ثمّ خرج منها إلى محطَة ذَيْفان، ثمّ سار نحو الظّاهر، ووطئ البلاد وطأةً شديدة وأخرب أجزل الظّاهر الأعلى وأجزل الظّاهر الأسفل، ووصلت عساكره المنصورة عِيَان وخَيْوان، ولم يُمْنَع منه شيء، ولا بلغ أحدٌ حيث بلغ، وقاتل على القُبَّة مراراً، وأمر بعِمارة الكَوْلَة، ورتّب الشّريف عليّ بن عبد الله بها، وأَظَلَّ عيدُ رمضان وهو مخيّم بالكَوْلَة، فكان أحسن عيد وأبهجه.

ولمّا خرب الظّاهر - كما ذكرنا - وحُصر الأمير صارم الدّين في القُبَّة، وقوّى الرّتب على ظَفار وعَمَرَها، ورتّب الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله في مئة فارس[1] وألف راجل في الكَوْلَة= نهض منَ الظّاهر إلى بلاد الأمير عبد الله بن عليّ بن وَهّاس فأخربها وقطع أشجارها وكَرْمها وأخرب فيها دوراً[2] من زمان الجاهليّة، ثمّ قَفَلَ من بلاد ابن وَهّاس إلى مدينة صنعاء، فخرجتِ العساكر من صنعاء لدُخُوله وحُشِدت الجنود[١١٥أ]، فلم يُرَ يومٌ أَعْجَب ولا أَبْهَج ولا أَكْثَر جُمُوعاً من ذلك اليوم.

فدخل من باب النّصر، فلمّا حاذَى القصر السّعيد فرش لحصانِهِ ثياب الحرير المُعْلَمة بالذّهب، ونثر على النّاس منَ البيضاء والصّفراء ما لا يُحْصر، فأقام في صنعاء والأمور منتظمة والثُّغُور مُنْسَدّة، والحرب على القُبَّة والحصار على ظَفار والإمام مطهّر في جبل تَنْعُم لا يصل إليه أحدٌ منَ العرب، والأمير صارم الدّين محصورٌ في القُبَّة.

وفي سنة سبع وثمانين: جرى حديث الصُّلح، فأصلح الأمير صارم الدّين بعد استيلائه على القُفْل فصاحت الصّوائح في محروسة صنعاء يوم السّبت الثّاني عشر من شهر جُمادَى الأولى منَ السّنة المذكورة، ثمّ وقع الصُّلْح بين الإمام وبين الملك الأشرف، فصاحتِ الصّوائح بذلك يوم العاشر من جُمادَى الأخرى[3]، ولم يصلحه على شيءٍ منَ البلاد ولا

---

(١) في (أ): «ألف فارس».

(٢) في (أ، ج، هـ): «دروباً».

(٣) في (هـ): «جُمادَى الأولى».

الرَّعايا إلّا على بعض القبائل الأخيار كبني[1] حيّ وبني سُحام والأَعْرُوش وبني مطعم، ثمّ قَفَلَ إلى اليمن فكان خروجه من صنعاء يوم الجمعة غرّة شهر رجب منَ السَّنة المذكورة، ثمّ طلع السّلطان الملك المؤيّد صنعاء مُقْتَطَعاً لها، فدخلها في الرّابع عشر منَ القِعْدة منَ السَّنة المذكورة.

ولمّا دخل صنعاء وصلَهُ جميع النّاس منَ العرب، ووصل الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله، ووصلت رُسُلُ الشُّرفاء كافّة بالخيل ضيفةً، فأقام مدّة في صنعاء، وخرج إلى جهات ذَمار، ونفذ الصُّلح بينه وبين الإمام مطهَّر.

وفي سنة ثمان وثمانين: دَغَمَ المرتّبون بحصن بَرَيْش[2] في شهر رجب فسار إليهم الملك المؤيّد فقتل منهم طائفةً وأخذه منهم قهراً.

وفي هذه السّنة: وثب جماعةٌ من جشم على حصن بيت أَنْعَم، وكان الإمام مصلحاً عليه، وكان في شروط الصّلح: أنّ أيّ قبيلة تعدّت من إحدى الجَنْبين وامتنعت بحصنٍ أو جبل فإنّهم غُرَماء لمولانا السّلطان وللإمام، وأنّ مولانا السّلطان والإمام يتّفقان على مَنْ أحدث حَدَثاً يَعْتَضِدان[3] عليه، فلمّا حدث من هؤلاء ما حدث أمر السّلطان بالمحطّة عليهم فلم يفعل الإمام ولا ساعد إلى شيءٍ من ذلك.

وفي سنة تسع وثمانين: توفّي الأمير صارم الدّين داود بن الإمام عبد الله بن حمزة، وكانت وفاته في التّاسع عشر من صفر.

وفي هذه السّنة: نزل السّلطان إلى زَبِيْد بسبب الفرحة الّتي أنشأها لتَطْهير أولاده[4]، ونزل بسببها مولانا الملك المؤيّد، ونزل الشّريف جمال الدّين عليّ بن عبد الله، والأمير

---

(١) في (الأم، ب): «البني» وما أثبت عن بقيّة النّسخ. وفي (ج): «الأجبار كبني».
(٢) في (أ): «برش» وفي (ب): «براش» وفي (ج، د، هـ) ورد الرسم مضطرباً.
(٣) في جميع النّسخ: «يعتقدان» ولا معنى له، وما أثبت عن العقود: ١/ ٢٥٠.
(٤) في (أ، ج، د، هـ): «أولاد أولاده».

نجم الدّين موسى بن أحمد بن الإمام، فكان ذلك سبباً لقوّة إمارة الأمير هُمام الدّين سليمان بن القاسم بعد عمّه الأمير صارم الدّين فتَملّك حصون ظَفار وسار إلى تَلَمُّص صَعْدَة فقَبَضَهُ.

ولمّا رجع المؤيّد إلى صنعاء وقد انتقض الصُّلح بين السّلطان والإمام - كما ذكرنا- تَظاهر الإمام[1] بنَقْضِ الصّلح، فلمّا نقض الإمام الذِّمّة جاءت كتب[١١٥ب] أهل المشرق بالطّاعة لمولانا السّلطان فطلع الملك المؤيّد بجيوشه وعساكره ولم يبقَ أحدٌ من قبائل المشرق إلّا وصله ودخل في طاعته رَغَباً ورَهَباً، ومنهم مَنِ امتنع فقاتلهم الملك المؤيّد وأخرب بلادهم ودخلوا في طاعته قهراً، واستولى الملك المؤيّد على كافّة المشرق فأخربه وقاتل عسكر الإمام، ثمّ قصد الإمام إلى جبل اللّوز وكان الإمام المطهَّر بن يحيى يومئذٍ فيه، وكان قد رتّب ابن عمّه الشّريف أسعد بتَنْعُم، وفيه حريمه وأولاده، فقاتله الملك المؤيّد أيّاماً على الجبل، ثمّ طلعه عليه قَهْراً في خامس المحرّم أوّل سنة تسعين.

وفي سنة تسعين وستّ مئة: قتل طائفة من عسكر الإمام، وخرج الإمام هارباً من الملك المؤيّد في طريق متوَعِّرة وشُعُوب لم تُسْلَك قبل ذلك، وخرج على بلد بني وَهّاس، ثمّ على الظّاهر إلى أن صار إلى ذَرْوان، وعاد الملك المؤيّد من جبل اللّوز إلى تَنْعُم فحطّ عليها يومين وتسلّمها ورَفَّقَ حريم الإمام فلحقوا به، وأخرب تَنْعُم خراباً عظيماً، وعاد إلى صنعاء ظافراً منصوراً مسروراً، فأقام بها بُرْهةً منَ الزّمان.

وفي سنة اثنتين وتسعين: أقطع السّلطان الملك المُظَفَّر ولده الواثق نور الدّين إبراهيم ظَفار الحَبُوضي، فركب البحر من عَدَن في شهر رمضان وسار إليها ولم يزل فيها إلى أن توفّي، رحمه الله تعالى رحمةً واسعة.

وكان وفاته يوم العاشر منَ المحرّم أوّل سنة إحدى عشرة وسبع مئة، واستقلّ أولادُهُ

---

(١) في جميع النّسخ: «وتظاهر الأمر»، وهو خطأ، وما أثبت عن العقود: ١/ ٢٥٤.

بالملك بعده هنالك، فهُم ملوك ظَفار إلى يومنا هذا.

وكان الملك الواثق، رحمة الله عليه، مِن خَيْر أولاد أبيه، لم تُعْرف له صَبْوةٌ، وكان له مشاركة في العلم والنَّحْو واللُّغة[1]، وكان شاعراً فصيحاً، حَسَنَ الشِّعْر، ومن شعره قولُهُ في أبيه من جملة قصيدةٍ يمدحه فيها: (منَ الطَّويل)

وما أَنْتَ إلّا دَوْحَةٌ أَنَا غُصْنُها وأَفْضَلُ ما في الدَّوْحِ غُصْنٌ ومُثْمِرُ[2]

وفي هذه السَّنة: حصلت وَحْشَة بين الشّريف[3] جمال الدّين عليّ بن عبد الله[4] وبين الملك المؤيّد فتخوَّف الشّريف جمال الدّين منَ الملك المؤيّد فترك الوصول إليه، فأخرج حريمه من صنعاء ليلاً، فنَمَى ذلك إلى الخليفة، فكتب إلى الشّريف عليّ بن عبد الله بسبب تخلُّفه عنِ الوصول، فكتب إليه الشّريف جواباً يقول فيه:

يا مولانا ابنُكَ شابّ قادرٌ، فأخشى منه بادرةً؛ وأكبر ما تقول: أَخْطأَ داود.

فعاد جوابُهُ: معاذَ الله، أن يفعل ذلك، وأن يُخالف أباهُ.

فلم تطمئن نفسُ الشّريف، واستمرَّ على الامتناع وتأكدّتِ الوحشة، وتظاهر الأمير[5] جمال الدّين بالخِلاف ومراسلةِ الإمام المطهَّر، وطلع إليه بعسكرٍ عظيم، وحشد[١١٦أ] الأمير جمال الدّين مَن معه من أهل شَظَب وأهل الظّاهر، والتقى بالإمام وقصد الجميع منهم الكَوْلَة وحطّوا عليها أيّاماً، فلم يتّصلوا منها بشيء، وبعد ذلك اتّفق الأشراف واحتلفوا[6]، وهدموا ما بينهم منَ الذُّحُول[7] والقُتُول، وأقبلوا على حرب السّلطان، وطلعتِ العساكر

---

(١) في (أ): «في العلم من الفقه ...» وفي (ج، د، هـ): «مشاركة في الفقه ...»
(٢) في (ج، د، هـ): «... غصن مثمر».
(٣) في هامش (الأم): «الأمير» وما أثبت عن هامش (الأمّ)، وفيه: «ط: الشّريف» وهو الصّواب.
(٤) في (أ): «جمال الدين يحيى بن عبد الله».
(٥) في (الأمّ، ب، ج): «الأمر» هو خطأ، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.
(٦) في (الأمّ): «واحتلفوا واحتلفوا» مكرّرة، ونحوه في (ب).
(٧) الذّحول: الثّارات.

المنصورة والخزائن المعمورة منَ اليمن، فكانتِ الخيل نحواً من ألف فارس والرَّجْل نحواً من عشرة آلاف رجّال.

وخرج الملك المؤيّد في عساكره وعساكر أبيه وطلع الظّاهر فحطّ[1] [في الماجلين][2]، فحصل بينه وبين الأمير جمال الدين عليّ بن عبد الله بن وَهّاس[3] خِطابٌ ومراسلات، ثمّ التقوا واصطلحوا ومال بعسكره إليه بعد أن حلف على الوفاء، فأقام الملك المؤيّد شهراً، ثمّ طلع الظّاهر وأقام في الظّاهر الأعلى أيّاماً، ثمّ نهض إلى الظّاهر الأسفل، ثمّ قصدهم إلى ماجل الصَّعْديّ، فوقع قتالٌ عظيم، وولّت خيل الأشراف ورَجْلها حتّى صاروا بالأَكَمَة الحمراء، فخالف عليه بنو شِهاب، وأهل حَضُور وانْحاز مِن عسكر السّلطان إلى عسكر الأشراف وردّوا على النّاس رَدّةً صادقة، فقتل خمسة أنفار، ثمّ عاد الملك المؤيّد إلى محطّته، ثمّ نهض إلى الكَوْلَة ولم يقف غيرَ ليلةٍ واحدة، ونهض إلى البَوْن وطلب منه الأمير عليّ بن عبد الله بن وَهّاس[4] عسكراً تَقِفُ معه، فأعطاه خيلاً ورَجْلاً ورجع إلى صنعاء.

وفي سنة ثلاث وتسعين: تجهّز الملك المؤيّد للحرب والطُّلُوع إلى ناحية حَضُور والبلاد الشِّهابيّة، فخرج من صنعاء فحطّ في القُبَّة، فوقع بينه وبين الأمِير جمال الدّين عليّ بن عبد الله مراسلةٌ وخِطابٌ في مُضِيِّ[5] الصُّلْح على يدِ الفقيه شرف الدّين أحمد بن عليّ بن الجُنَيْد وزير مولانا الملك المؤيّد، فلقيه الفقيه وثبتوا على كلام الصُّلح: على أنّ مولانا الملك المؤيّد يرجع[6] إلى صنعاء، وأنّ تمام الصُّلح يكون في ذَمار؛ ولم يُرِدِ[7] الأمير جمال الدّين إلّا الخديعة؛ لأنّه

---

(١) في هامش (الأم): «ط فحصل».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٣) في (الأم، أ، ب، د، هـ): «جمال الدين عبد الله بن علي بن وهّاس...»، وما أثبت عن (ج)، وقد تقدّم على الصّواب وسيأتي عليه أيضاً.

(٤) في (الأم، ب، د، هـ): «الأمير عبد الله بن علي بن وهّاس...»، وما أثبت عن (أ، ج).

(٥) في (أ، ج، د): «في معنى».

(٦) قوله: «فلقيه الفقيه ... يرجع» سقط في (ج، د، هـ).

(٧) في (الأم، ب): «يرد» وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

على غير أهبة الحرب، فرجع الملك المؤيّد إلى صنعاء وتجهّز الشّريف جمال الدّين للمَراح إلى ظَفار، واستصحب مشايخ البلاد وكبارها معه، وجهّز الملك المؤيّد وزيره الفقيه شرف الدّين[1] في خمسين فارساً من المماليك البحريّة ومئتي راجل، وما تحتاج إليه منَ الخيام والمطابخ والآلة وجماعة من الجِنْداريّة[2]، فخرج من صنعاء وحطّ تحت ظَفار في وَزْوَر، ثمّ طلع إلى ظَفار بجماعةٍ منَ الخيل وجماعة منَ الرَّجْل وخاضوا في حديث الصُّلح وأوهموا الوزير أنّ الأشياء تامّة وما قصدُهم إلّا إصلاح نفوسهم، واستِلْحاق مَن تأخّر عنهم من أصحابهم مثل: الأمير موسى بن أحمد بن الإمام، والأمير جمال الدّين عبد الله بن عليّ بن وَهّاس وكاتبوهما واستمالوهما فخالفا على السّلطان أيضاً، ودَخَلا ظَفار مُوْكِبِين، فاتّفقوا جميعاً، وحلف الكلّ منهم للأمير هُمام الدّين[١١٦ب] سليمان بن القاسم.

فلمّا اتّفقت كلمتهم اجتمعوا بالفقيه شرف الدّين وقد كتبوا كتاباً بسبب الصُّلح وشرطوا فيه أشياءَ لم تَجْرِ بها عادةٌ، وقالوا: نحن لا نصلح إلّا على ما قد ضَمَّنّاهُ هذا الكتاب، فأرسل به إلى مخدومك. فأرسل الوزير بكتابهم إلى الملك المؤيّد؛ فلمّا وقف على مضمونه أرسله إلى والده الخليفة، فلمّا رآه الخليفة استنكره، ولم يكن جوابٌ إلّا خروج الأمر العالي إلى الملك المؤيّد بخروجه في عساكره إلى البلاد الشِّهابيّة والحَضُوريّة، وتجهيز الأمير بدر الدّين حسن بن بَهْرام والفهد بن حاتم إلى ناحية صَعْدَة.

فلمّا وصل جواب السّلطان الملك المُظَفَّر إلى ولده الملك المؤيّد تجهّز وخرج إلى البلاد الشّهابيّة، فأخرب فيها عدّة مواضع، ونهض إلى ناحية حَضُور فأخرب فيها مواضع أيضاً في حازّة الجبل، فوصل الأمير تاج الدّين محمّد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بعسكر جرّار نحوٍ مِن ألْفَي راجل مادّةً للأمير جمال الدّين علي بن عبد الله، وخرج الأمير[3] هُمام الدّين

---

(١) في جميع النّسخ: «شهاب الدين» وقد تقدّم أوّل الفقرة على الصّواب وسيأتي عليه.

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «الجندارية والبردارية».

(٣) في (الأم): «الإمام» وهو خطأ.

سليمان بن القاسم من ظَفار فحطّ في موضع يُسمَّى[(١)] أَقْسَط من بلاد ابن وَهّاس قريب منَ الرُّحْبَة، فكان الملك المؤيّد يحاربهما تارةً في رهقة وتارة في جبل حَضُور، وصبّح بيت شعيب فأخذه قهراً بالسّيف وقتل أهله، ثمّ عاد إلى بلد ابن وَهّاس فأخذ مَصْنَعة بني القَديم وأخرب البلاد، وعاد إلى صنعاء في شهر شعبان منَ السّنة المذكورة، بعد عقد ذِمَّةٍ في الباب السّلطانيّ بالصُّلح بينه وبين الأشراف، ولذلك عاد إلى صنعاء.

وأمّا جريدة صَعْدَة فكان في مقابلهم الأمير نجم الدّين موسى بن أحمد بن الإمام في نحو من ثلاث مئة فارس ما خلا الرَّجْل، فوقعت بينهم حروبٌ حصل القتل في الفريقين، ثمّ حصلت ذِمَّة ثلاثة أشهر، فنزل الملك المؤيّد إلى الأبواب السّلطانية، ونزلت رسل الأشراف لتمام الصّلح، وخرج الأمير عليّ بن عبد الله إلى ناحية المشرق فابتنى مَصْنَعة تَنْعُم، فأجابه أهل المشرق قاطبةً، واتّصل بالأمير سليمان بن محمّد بن سليمان بن موسى، وكان في ناحية ذَمار، وركن النّاس إليهم، ووقع الفساد في البلاد.

فبرز أمر السّلطان بطلوع ولده الملك الأشرف إلى البلاد العُلْيا بسبب الصُّلْح، فدخل مدينة صنعاء يوم الإثنين العشرين[(٢)] من شهر ذي القِعْدة منَ السّنة المذكورة، فوصل إليه أهل المشرق قاطبةً والكافّة من أهل حَضُور والأمراء الشِّهابِيّون، وجاء بنو الرّاعي أرْسالاً، ثمّ خرج الأمير عليّ بن عبد الله من ظَفار إلى رَدْمان، فخرج أمر مولانا الملك الأشرف على الأمير بدر الدّين محمّد بن حاتم بالمُضِيّ إلى رَدْمان والمسير مع الأمير عليّ بن عبد الله إلى صنعاء.

قال: وقد كان الأمير تاج الدّين محمّد بن أحمد بن يحيى بن حمزة، وصل إلى الشّريف عليّ بن عبد الله وأقام عنده في رَدْمان فنزلا معاً صُحْبة الأمير بدر الدّين محمّد بن حاتم إلى مولانا الملك[١١٧أ] الأشرف بصنعاء.

---

(١) في جميع النّسخ: «مواضع تسمى»، وما أثبت عن العقود: ١/ ٢٧٠.

(٢) في (أ): «الإثنين والعشرين».

فلمّا وصلوا إلى القلعة لقيهم الأمير صلاح ابن مولانا الملك الأشرف مُؤْنِساً ومُشْرِفاً، فلمّا صاروا قريباً منَ المدينة لقيهم مولانا الملك الأشرف[1] بنفسه في عساكره وجنوده فسلّموا عليه، ودخل الجميع تحت رِكابه حتّى وصلوا القصر السّعيد، فأكرمهم وقابلهم بالقَبول، ولم يبقَ أحدٌ ممّن شهر نفسه بالخِلاف إلّا وصل إليه رَغْبة ورَهْبةً؛ وفي ذلك قال أخو كندة ممتَدِحاً لمولانا الملك الأشرف من قصيدةٍ مطلعها: (منَ الكامل)

هُوَ في انْتِقادِ البِيْضِ صَبٌّ صَيْرَفُ ... فَتَنَحَّ عَنْهُ فَرُبَّما هُوَ أَعْرَفُ[2]
يَرْتاحُ مِنْ كُلِّ المِلاحِ إلى الّتي ... في ثَغْرِها بَرَدٌ يَرِفُّ وقَرْقَفُ[3]
واسْأَلْهُ عَمّا شِئْتَ مِنْ أَلَمِ الهَوَى ... يُخْبِرْكَ فَهْوَ المُسْتَهامُ المُدْنَفُ
ما فارَقَتْ أحفانه حتّى علّما ... أَجْفانَهُ كَيْفَ المَدامِعُ تُذْرَفُ[4]
أَبَداً ولا عَنَّتْ بِعُسْفانَ المَها ... إلّا وعَنَّ لَهُ هَوًى مُتَعَسِّفُ[5]
ولَطالَما سالَتْ غَرائِبُ نَظْمِهِ ... وسَمَتْ، فكانَ لَها اليَفاعُ المُشْرِفُ
مِدَحٌ إذا رُوِيَتْ أَشادَ بِذِكْرِها ... عُمَرٌ وشَرَّفَها المَلِيْكُ الأَشْرَفُ
عُقِلٌ بِهِ وَسِمَتْ ومِنْ تَنْكِيْرِها ... أَضْحَتْ بِطِيْبِ ثَنائِهِ تَتَعَرَّفُ
وبِضاعَةٌ جُلِبَتْ فَتَنْسَى رِيْحَها ... فِيْما لَدَيْهِ مُحَصَّبٌ ومُعَرَّفُ
مَلِكٌ بِيُمْنِ قُدُومِهِ بابُ الرَّجا ... فَتْحٌ وسُحْبُ الجُودِ جَوْدٌ وُكَّفُ[6]

---

(١) قوله: «مؤنساً .. الملك الأشرف» سقط في (ج).
(٢) الصَّيْرَف: المتصرِّف في الأمور، الحاذق بها.
(٣) في الأصل: «... يرق وقرقف» والصواب بالفاء. ويرف: يلمع ويبرق. والقَرْقَف: الخمر.
(٤) في (ج): «... حتى عمى» وفي (هـ) والعقود (١/ ٢٧٢): «ما فارق العلمين ...» والبيت مشكل ومختل الوزن.
(٥) في (الأم، ب): «... عينان تعسفان الهمى» مختل الوزن وفي (أ، ج، د، هـ): «...تعسفان المهى» مختل الوزن أيضا، وما أثبت عن العقود: ١/ ٢٧٢.
(٦) في (د): «ملك يؤم ...». الجود، بفتح الجيم: المطر الغزير؛ يقال: مطر جَود وسَحابة جَود. وسَحاب وَكوف: إذا كان يسيل قليلاً قليلا.

قَرْمٌ تَشَذَّرَ فالوَغى مَشْبُوبَةٌ ... والخَيْلُ تَعْدُو والرَّكائِبُ تَرْجُفُ(١)

ومُعَوَّدٌ لِلنَّصْرِ مَشْهُورٌ بِهِ ... راياتُهُ بِدَمِ الفَوارِسِ تَرْعُفُ(٢)

وافَى وَلِيُّ العَهْدِ جادَ عِهادَنا ... وأَمانُنا مِنْ كُلِّ ما نَتَخَوَّفُ(٣)

وافَى الخَلِيفَةَ بَعْدَ نَصٍّ نَصَّهُ ... في عُنْفُوانِ حَياتِهِ المُسْتَخْلِفُ

بُرْدٌ تَقَمَّصَهُ المُمَهَّدُ خَصَّهُ ... بِلِباسِهِ المَلِكُ المُظَفَّرُ يُوسُفُ

قُلْ للأُولَى زَعَمُوا بِأَنَّ عِنادَهُمْ ... ما كانَ حَتّى كُلِّفُوا فَتَكَلَّفُوا

لِيَعُدْ إلى المَحْبُوبِ كُلُّ مُكَلَّفٍ ... فَلَدَيْهِ مَلْكٌ بِالرِّضا مُتَعَطِّفُ

أَوْ فَلْيَتَّقِ إِنْ لَجَّ في طُغْيانِهِ ... بِعِقابِ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ مُنْصِفُ

هذا مَلاذُ الخائِفِينَ وهذِهِ ... عَيْنُ الحَياةِ فَمَنْ أَحَبَّ فَيَغْرِفُ

هذا ابْنُ سَيِّدِ يَعْرُبٍ ومَلِيكُها ... هذا الجَوادُ السَّيِّدُ المُتَعَطِّفُ(٤)

حَرَمُ الخِلافَةِ ما عَداهُ فَخائِفٌ ... مِنْ حَوْلِهِ يُتَخَطَّفُ المُتَخَطِّفُ

سَنَّ الوَفاءَ فَما السَّمَوْءَلُ قَبْلَهُ ... في الصِّيتِ إِلّا آخِرٌ مُتَخَلِّفُ[١١٧ب]

وتَأَلَّفَتْ فِيهِ قُلُوبٌ لَمْ تَكُنْ ... إِلّا بِسِيرَةِ عَدْلِهِ تَتَأَلَّفُ

ودعا مُنادِيهِ الأَنامَ فَلَمْ يَكُن ... لِلْخَلْقِ عِنْدَ نِدائِهِ مُتَوَقِّفُ(٥)

يَغْشَوْنَ بابَ مُتَوَّجٍ ما إِنْ لَهُمْ ... عَنْهُ وعَنْ عَتَباتِهِ مُتَصَرَّفُ

---

(١) في (هـ): «قرم تصدر والوغى مشبوبة». والقَرْم: السّيّد. وتشذّر: تهيّأ للقتال.

(٢) في (ج): «... موسوم به».

(٣) في (الأم): «أماتنا من ...» وفي (د): «وأمانيا من» وما أثبت عن (أ، ب، ج، هـ).

(٤) في (ب): «... يعرب وملاذها».

(٥) في (الأم، ب): «... الإمام فلم يكن».

يُمْضِي ويُنْجِزُ ما يَقُولُ ويَعْسِفُ ... ويَرُوعُهُمْ خَلْفَ الحِجابِ مُمَلَّكٌ
وَعْرٌ لِمَنْ عاداهُ حَتْفٌ مُتْلِفُ ... سَهْلٌ لِمَنْ والاهُ عَدْلٌ مُنْصِفُ
فَهُوَ النَّسِيْمُ يَهُبُّ فِيْهِ الحَرْجَفُ[1] ... عَمَّتْ مَراحِمُهُ وطَمَّ عِقابُهُ

قال صاحب (العقد): ثمّ أقبل مولانا الملك الأشرف على حديث الصُّلح فيما بينه وبينَ الأشراف كافّة على يدِ الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله وتمّتِ الأمورُ وصاحتِ الصّوائح وأَطَلَّ عيد النَّحْر، والخلق كلُّهم على بابه منَ الشّرق والغرب والغُزّ، فخرج إلى الميدان في عساكره المحشودة، ثمّ انقلب إلى المُصَلَّى على أَنْعَم حالٍ وأعلى شأن، ووقف في صنعاء باقي ذي الحِجَّة والمحرّم.

وفي سنة أربع وتسعين: توجَّهَ الملك الأشرف إلى اليمن وكان خروجُهُ من صنعاء يوم الجمعة الثّاني عشر من شهر صفر، فلمّا وصل إلى تَعِزّ المحروسة وأقام واستقرّ فيها خصَّهُ والدُهُ بالمُلْك العَقِيم ومَكَّنَه أَزِمَّةَ الأمر القَوِيم، وخرج التّقليد الكريم بمشهد المُلُوك العظماء والجَحاجِح الكرماء، ناطقاً من فَصْل الخطاب وأَثارَة التّحقيق والصّواب، بما يُرْبي على الرَّوض غِبَّ السَّحاب، ويُزْري بفَرِيد الدُّرّ في عُنق الكِعاب، قائلاً بعد الحمد والثّناء والصّلاة والدُّعاء:

أمّا بعد: فقد ملّكنا عليكم مَن لم نؤثر فيه -والله- داعي التّقريب على باعث التّجريب، ولا عاجل التّخصيص على آجل التّمحيص، ولا مُلاءمة[2] الهوى والإيثار على مُقاحَمة البَلْوى والاختيار، وهو سليلُنا الخطير وشهابُنا المنير، وذُخْرنا الّذي وقف على المزاد[3]، ونصيرُنا الّذي نرجو به صلاح العباد والبلاد، ونؤمِّل فيه مِن الله الفَوز والنَّجاة في المَعاد،

(١) الحَرْجف: الرّيح الباردة.
(٢) في (أ، ج، د، هـ): «ملازمة».
(٣) في بقيّة النّسخ: «المراد».

وقد رسمنا له من وُجُوه الذَّبِّ والحِماية ومعالم الرِّفْق والرِّعاية ما قد التزم بوفاء عهده ومضى عليه بجدّه وجهده، والمسؤول في إعانته مَن لا عون إلّا مِن عنده، ولن نعرّفكم من حميد خصاله وسَديد فعاله إلّا ما قد بدا للعِيَان وزكا مع الامتحان، وفَشا مِن قبلكم على كلّ لسان: (منَ الخفيف)

وشاهَدْتُمُوهُ وَشَهِدْتُمْ بِهِ ... وحَمِدْتُمْ عُقْباهُ في كُلِّ أمْرِ
كانَ [في] كَشْفِها لَكُمْ ضَوْءُ فَجْرٍ[1] ... مِنْ حَنادِيْسِ ظُلْمَةٍ شَمِلَتْكُمْ
ومَسْلولٌ على كُلِّ مَنْ رَماكُمْ بِنُكْرِ ... سَيْفُهُ مُغْمَدٌ عَلَيْكُمْ
لَمْ يَزَلْ مُنْذُ حُلَّ عَنْ جِيْدِهِ الطَّوْ ... قُ خَلِيْقاً لِكُلِّ حَمْدٍ وشُكْرِ[2]
عُدْمُلِيٍّ يَبْنِيْهِ أَوْ سَدِّ ثَغْرِ[3] ... هَمُّهُ ما تَرَونَ مِنْ شَيْدِ مُلْكٍ [١١٨أ]

وقد حدّدنا له أن يكون بكم رؤوفاً رحيماً جواداً كريماً ما أطعتموه على المراد ومطاوعة الانقياد، فأمّا مَن شقّ العصا وبان عنِ الطّاعة وعصى فهو يَغُضُّ[4] منه ولو مَتَّ إليه بالقرابة الدُّنيا، فكونوا له خير رعيّةٍ بالسّمع والطّاعة في كلّ حالٍ يكن لكم بالبِرّ والرّأفة خيرَ ملكٍ ووال.

وانضافتِ الأوامر والنّواهي والحَلّ والعَقْد والبَسْط والقَبْض في البَرّ والبحر والأقاليم والسّواحل والأمصار والحصون والثُّغور وتَدْبير الحرب والسِّلْم وتجهيز العساكر والجنود إلى السّلطان الملك الأشرف، ولم يَفْزَع إلى أبيه إلّا في جَلائل الأمور من غير وَهْنٍ منه ولا عَجْزٍ ولا خَوَرٍ[5].

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٢) في جميع النّسخ: «... مذ حل ...» مختلّ الوزن.

(٣) **العُدْمُليّ**: القديم.

(٤) في (ج، د): «ينقض».

(٥) بعده في (هـ): «كان ذلك في جُمادَى الأولى من سنة أربع وتسعين وست مئة».

ولما تولّى أمر المملكة - كما ذكرنا - سكن حصن تَعِزّ وسكن الخليفة ثَعَبات وحينئذٍ توجّه الملك المؤيّد نحو الشِّحْر وحضرموت، ونفسه غير طيّبة لِما خُصّ به أخوه الملك الأشرف دونه منَ المملكة وسارت معه عمَّتُهُ الشّمسيّة، وكانت تحبُّهُ كثيراً.

وفي هذه السّنة: توفِّي الخليفة مولانا السّلطان الملك المُظَفَّر شمس الدّنيا والدّين يوسف بن مولانا الملك المنصور نور الدّين عمر بن عليّ بن رسول، وكانت وفاته يوم الثّلاثاء الثّالث عشر من شهر رمضان منَ السّنة المذكورة، وهو يومئذٍ ابن أربع وسبعين[١] سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوماً وعشر ساعات.

وكان مُلْكُهُ ستًّا[٢] وأربعين سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوماً[٣]، وهو الّذي عنى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، عليه السّلام، بقوله في ملحمته يخصُّ أهل اليمن: ثمّ يملِكُ الملكُ المُظَفَّر فيسُوسُهم ثلاثين سنةً وسبعة أشهر.

وكان الخليفة، رحمة الله عليه، ملكاً جواداً بذّالاً للأموال خاصّة في الحروب وأعطي منَ السّياسة وتدبير الملك ما لم يُعْطَ غيرُهُ من الملوك؛ ولما توفِّي رحمه الله قال الإمام مطهَّر بن يحيى حين أتاه خبر وفاته: مات التُّبَّعُ الأكبر، مات معاوية الزّمان، مات مَن كانت أقلامُهُ تكْسِر أرماحَنا وسيوفَنا.

قال المصنِّف أيّده الله: وكان للسلطان الملك المُظَفَّر منَ المآثر الحسنة ما هو مشاهدٌ إلى الآن، في ذلك المدرسة الّتي أنشأها بمَغْرَبَة تَعِزّ المعروفة بالمُظَفَّريّة، ورتّب فيها مدرِّساً ومعيداً وعشرةً منَ الطّلبة، ورتّب فيها إماماً ومؤذِّناً ومعلِّماً وعشرة أيتام يتعلّمون القرآن وقَيِّماً، وأوقف عليهم منَ العَقار ما يقوم بكفاية الجميع، وبنى الجامع بذي عُدَيْنة ودار المضيف بها.

---

(١) في (الأم، ب): «أربع وتسعين» وهو خطأ، صوابه عن بقيّة النّسخ.

(٢) في (ج): «ثلاثاً».

(٣) قوله: «وكان ملكه ... يوماً» سقط في (د).

ومن مآثره: الخانَقَة[1] الّتي في مدينة حَيْس، طُعْمها في كلّ يوم مُدٌّ من طعامٍ خارجاً عنَ التَّمر واللَّحْم، وخارجاً أيضاً عن نفقات المرتّبين بها.

ومن مآثره: جامع مدينة المَهْجَم، وهو جامعٌ عظيم وفيه مدرِّس ودَرَسَة أيتام[2] ومعلِّم وإمام ومؤذِّن وقَيِّم وخطيب[١١٨ب]، ووقف عليهم ما يقوم بكفايتهم، بل بأضعاف أضعاف الكفاية، وله جامعٌ في واسط المَحالِب فيه مدرِّس ودَرَسَة وإمام ومؤذِّن وخطيب وقَيِّم، وأوقف عليهم ما يقوم بكفايتهم.

ومن مآثره: مدرسةٌ في مدينة ظَفار الحَبُوضي.

وله منَ الوقف هنالك ما يقوم بكفاية المرتّبين بها، وبنى خادمه بدر[3] المُظَفَّريّ في مدينة زَبِيْد مدرسة الشّافعيّ تعرف بالتّاجيّة، ومدرسةً للقرّاء بالقراءات السَّبع، ومدرسةً للحديث النَّبويّ ودارَ مضيفٍ أيضاً. وله هنالك أوقاف جيّدة تقوم بكفاية الجميع منَ المرتّبين في المواضع المذكورة.

وبنى خادمُهُ مختص[4] [أيضاً مسجداً بزَبِيْد غربيَّ الدّار السّلطانيّ، ويعرف في وقتنا هذا بمسجد الطّواشي، وبنى][5] مدرسةً أيضاً في مدينة زَبِيْد تعرف بالنِّظاميّة ووقف عليها وَقْفاً جليلاً يقوم بكفاية المرتّبين فيها وزيادة.

وكانت دولة الخليفة أقرب إلى العَدْل والرّأفة، وكان يُجِلّ العلماء والصّالحين، وكان مشتغلاً بالعلم لا يَفْتُر؛ قرأ الشّريعة على الفقيه محمّد بن إسماعيل الحضرميّ وغيره، وقرأ الحديث على الفقيه محمّد بن إبراهيم الفَشَليّ، والفقيه مُحِبّ الدّين أحمد بن عبد الله الطَّبَريّ، والنّحو واللُّغة على الشّيخ يحيى بن إبراهيم العَمَك، والمنطق على الفقيه أحمد بن عبد المجيد

---

(١) الخانَقَة: لعلّه كالخانَقاه، وهو المكان الّذي يخصّص لسكن أهل الصّلاة والخير والصّوفيّة؛ التاج: (خ ن ق).

(٢) في بقيّة النّسخ: «وأيتام».

(٣) في (ج، د): «بدر الدين».

(٤) في (ج): «نظام الدين مختص».

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د) وفيها آخر العبارة: «... وبنى أيضا»، وحذفت: «أيضا» لتتّجه العبارة.

السُّرْدُديّ، وصنّف أربعين حديثاً: عشرين في التّرغيب وعشرين في التّرهيب.

وسمعت الفقيه جمال الدّين محمّد بن عبد الله الرَّيميّ يقول: طالعتُ في أُمّهات الحديث من كتب الخليفة فوجدتها مضبوطةً بخطٍّ يدِهِ حتّى مَن رآها يقول: لم يكن له شُغْلٌ غيرها طولَ عمره مع كَثْرة اشتغاله [بالعلم][1] في فنون شتّى، واشتغاله بأمور المملكة.

وقال معلِّمه الفقيه محمّد ابن الحضرميّ[2]: كان مولانا الملك المُظَفَّر يكتب كلَّ يوم آيةً من كتاب الله تعالى وتفسيرها ويحفظها ويحفظ تفسيرها ويدرسها عليَّ غَيْباً، وكان مُحِبًّا للرَّعيّة ومحسناً إليهم.

وروي: أنّه كان له خمس مئة فارسٍ في مِصْر تُجاهد الإفرِنْج، وتُحمل جَوامِكُها منَ اليمن مع ما كان يحمله إليهم من أصناف الهدايا والتُّحَف.

وروي: أن ملك الصِّين حرَّم على المسلمين الخِتان في سائر مملكته، فتعبوا من ذلك وضاقوا، فكتب إليه الخليفة شفاعاتٍ يسأله الإذن لهم، وأرسل له بهديّةٍ توافق مُرادَهُ وعزمه[3]، فقبل شفاعته وأذن لهم في ذلك.

وكان يأمر المُقْطَعِين بالعَدْل في الرَّعايا وتبجيل العلماء والمتعلّمين، وكان له من الولد سبعة عشر ذكراً مات أكثرهم في سنّ الطّفوليّة، وعاش منهم بعد وفاته خمسة رجال: عمر الأشرف، وداود المؤيَّد، وإبراهيم الواثق، وحسن المسعود، وأيّوب المنصور، وكلّهم ولي مُلكاً وخُطِب له على المَنابر وضُرِبت السِّكَّة باسمه إلّا حسن المسعود[١١٩أ] فإنّه لم يتّصل شيءٌ من ذلك.

وكان وزيره القاضيَ بها الدّين محمّد ابن العِمْرانيّ[4]، وله عدّة منَ الشّعراء منهم: محمّد بن حِمْير، كان أوحدَ شعراء عصره، أدرك صدراً من دولة الخليفة، وله فيه غُرَرُ

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).
(٢) محمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن أحمد بن ميمون الحضرميّ؛ انظر العقود: ١/٢٧٧، والأعلام: ٦/٣٦.
(٣) في (أ، ج، د، هـ): «وغرضه».
(٤) في (ج، د، هـ): «محمد بن أسعد العمراني»، وفي الأعلام (٦/٣٢): محمد بن أسعد بن محمد بن موسى العمراني.

المدائح في أيّام إمارته وأيّام خلافته، وهو القائل يهنّئُهُ في أيّام إمارته، وقد أقْطَعَه والدُهُ[1] رِمَع، وظهر له ولدُهُ الملك الأشرف، فقال: (منَ البسيط)

هُنِّيتَ بِالوَلَدِ المَيْمُونِ والبَلَدِ ... ولا بَرِحْتَ سَعِيْداً مُدَّةَ الأَبَدِ[2]

في غُرَّةِ البَدْرِ في عُمْرِ الشَّوامِخِ في ... سَعادَةِ المُشْتَرِي في جَبْهَةِ الأَسَدِ[3]

أُعِيْذُهُ بَعْدَ أَسْماءِ الإلهِ: بـ﴿قُلْ﴾ ... و﴿قُلْ﴾، و﴿قُلْ﴾، وبِحَمْدِ الواحِدِ

مِنَ العُيُونِ ومِنْ رَيْبِ المَنُونِ ومِنْ ... رُقْشِ المُتُونِ ومِنْ نَفّاثَةِ العُقَدِ

ومنهم: القاسم بن هُتَيمل شاعرُ المِخْلاف السُّلَيمانيّ، وكان فصيحاً عارفاً مَدّاحاً، وله فيه عدّةٌ منَ القصائد الطَّنّانات، والمدائح المشهورات؛ ومن مدائحه فيه قصيدةٌ أوّلها: (منَ الطّويل)

أَعِدْ لي أَحادِيْثَ الفَرِيقِ وكَرِّرِ ... وهاتِ لَنا عَنْ حاجِرٍ ومُحَجَّرِ[4]

وفيها يقول: (منَ الطويل)

قُلِ الحَقَّ واعْجَبْ مِنْ مَلِيْكٍ مُمَلَّكٍ ... رِقابَ الرَّعايا لا أَمِيْرٍ مُؤَمَّرِ

أَغَرَّ رَسُولِيٍّ يَزُرُّ قَمِيْصَهُ ... على القَمَرِ التِمِّ الخِضَمِّ الغَضَنْفَرِ[5]

فَحاطَ ثُغُورَ المُلْكِ مِنْهُ بِقادِرٍ ... على كَوْنِ ما لم يُقْضَ أو لم يُقَدَّرِ

أَعَمَّ سَماحاً مِنْ سَماحَةِ حاتِمٍ ... وأَعْظَمَ بَأْساً مِنْ بَسالَةِ عَنْتَرِ

ومنهم: الفقيه سراج الدّين أبو بكر بن دَعّاس، وكان شاعراً ماهراً، فقيهاً نَحويًّا لُغويًّا، وكان جليساً للخليفة وخَصِيْصاً به، وكان الخليفة يُثني عليه ويفضِّله على ابن حِمْيَر، ويقول: إنّما

---

(١) في (د): «ولده».

(٢) في (ج): «هنيت بالوالد الميمون والولد».

(٣) في (ج، د): «... عز الشوامخ في».

(٤) في (الأمّ، ب): «...العذيب والمرر» مختلّ الوزن، وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وفي (الأمّ): «لي» وكتب فوقها: «لنا».

(٥) في (أ): «... يزرر قميصه».

ابن حِمْير صاحب خَلاعةٍ. وكان ابن دَعّاس متوسّعاً في العلم، وكان أهل زَبِيْد ينسبونه إلى سرقة الشِّعر، ويقولون: إذا حُوسِب الشّعراء يوم القيامة يُؤْتَى بابن دَعّاس للحساب على شعره، فيقول: هذا البيت لفلان، وهذا الصّدر لفلان، وهذا العَجُز لفلان؛ فيخرج بريئاً.

ولما حجّ الخليفة، رحمه الله، ورجع إلى اليمن استأذنه ابن دَعّاسٍ في المَهْجَم للتّقدّم إلى زَبِيْد، قبل السّلطان، فقال: تريد أن تتقدّم لتجمع شعراً منَ الدّواوين وتَلْقانا به؟ ثمّ أذن له، وقال: إيّاك تفعل ذلك. وكان كثيراً ما يمازحه. فتقدّم إلى زَبِيْد، فلمّا وصل الخليفة زَبِيْد أنشده ابن دَعّاس قصيدةً أوّلها: (منَ الخفيف)

لَيْسَ في قُدْرَةٍ ولا إِمْكانِ نَيْلُ ما نِلْتَ يا مَلِيْكَ الزَّمانِ

وفيها يقول[١١٩ب]:

هاكَ دُرًّا مُنَظَّماً لم أَغِزْ فِيْـ ـهِ على مُصْحَفٍ ولا دِيْوانِ[١]

فقال له: نهيناك عنِ الدّيوان[٢] فتعدّيت إلى المصحف!

ولما قدم العماد الأعمش[٣] منَ الدِّيار المِصْريّة بجماعةٍ من كُتّاب الدَّرْج، قال فيهم ابن دَعّاس: (منَ مجزوء الرَّجَز)

أَهْدَى العِمادُ نَحْوَنا مِنْ مِصْرَ كُتّاباً غُرَرْ
تَنَفَّرُوا تَفاتِراً لكِنَّها على بَقَرْ

ولم يكن الأمر كما قال، بل كان عندهم كلّ فضلٍ وفضيلة، ولكن كان النّاس يقولون عنِ ابن دَعّاس: إنّه كان حسوداً، والله أعلم بحاله.

ويُروى: أنّه لما قدم الطّاهر البَيْلَقانيّ[٤] الأنصاريّ إلى عَدَن، وكان عالماً متفنّناً، أعلم

---

(١) في (ج): «هاك دراً منضداً ...».
(٢) في هامش (الأم): «ط دواوين».
(٣) في (هـ): «العماد بن الأعمش».
(٤) في (أ، ج): «أبو الطاهر السلفاني» له ترجمة في ثغر عدن: ١١٢، وفي (د، هـ): «أبو الطاهر البيلقاني».

السّلطان الملك المُظَفَّر بقدومِهِ فأمر بتجهيزه إلى حضرته.

فلمّا حضر أراد السّلطان، رحمة الله عليه، أن يقرأ عليه شيئاً في المنطق، فاستشار ابن دَعّاس، فقال له: إنّ رسول الله ﷺ قال: «البلاء مُوَكَّلٌ بالمَنْطق»(١)، فتطيّر السّلطان من قوله، وقال: لقد حُلْتَ بيننا وبين الانتفاع به، يا شيطان.

ومن شعراء الخليفة: شاعرٌ من أهل الشّام، كان أحدَ شعراء الشّام، وهو القائل في الخليفة: (منَ الطّويل)

لَكُمْ كِيْمِياءُ المُلْكِ صَحَّتْ وغَيْرُكُمْ ... يُعالِجُ في تَحْصِيْلِها الزّاجَ والمِلْحا(٢)

وتُصْبِحُ أَقْلامُ الوَقائِعِ في الوَغَى ... شِراعاً على أَعْلامِكُمْ تكْتُبُ الفَتْحا

وقال في مدح مولانا الخليفة، رحمه الله، يصف الرَّكْب والسَّفْر: (منَ الطّويل)

وقَدْ كَتَبُوا وَخْيَ المَطِيِّ: فَأَسْوُقُ الـ ... مَطِيِّ يَراعٌ والفَلاةُ مَهارِقُ(٣)

إذا أَدْلَجُوا خَوْفَ البَياتِ تَسَلَّقُوا ... سُراها، وقالوا للْوَنَى: أَنْتَ طالِقُ(٤)

فَيا جِيْرَتي بِالشّامِ بَيْني وبَيْنَكُمْ ... مَهالِكُ مِنْها أَبْحُرٌ وشَواهِقُ

ودَوْحَةُ سُلْطانٍ بِهِ تُنْبَذُ العصا ... وتُزْجَى بِهِ دُوْنَ الرُّجُوعِ السَّوابِقُ(٥)

---

(١) شعب الإيمان: ٧/ ٢٥، ورقمه: ٤٥٩٧، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٧/ ٣٩٤، ورقمه: ٣٣٨٢.

(٢) في (الأمّ): «يعالج في إصلاحها ...» ثم كتب عليها ما أثبت أعلاه، وفي (هـ): «له كيمياء ...».

(٣) وَخْي المَطِيّ: حُسْن صوت مشيها، ويقال: وَخَتِ النّاقة تَخي وَخْياً: سارت سيراً قَصْداً؛ اللّسان: (وخ ي).

(٤) في جميع النّسخ: « ... تسلفوا» ولا معنى له. الوَنَى: الضّعف.

(٥) في (أ، ب، ج، د، هـ): «... الرجوع السابق».

الفصل الثّامن
في ذِكْر دولة مولانا السّلطان الملك الأشرف
مُمَهِّد الدّين عُمَر بن يوسف بن عُمَر بن عليّ بن رسول

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ عامله الله بإحسانه: لمّا توفّي السّلطان الملك المُظَفَّر في التاريخ المذكور قام بأمر الملك بعده ولده السّلطان الملك الأشرف فاستولى على الحصون والمدن وسائر المَخاليف والبلاد كلّها بَحْراً وبَرًّا وسَهْلاً ووَعْراً، وكان مَلِكاً سعيداً عاقلاً فاضلاً أديباً لبيباً، وكان حَسَن السّيرة وادعاً، واشتغل بطَلَبِ العِلْم في أيّام إمارته حتّى بَرَعَ في عدّةٍ منَ الفنون وشارك فيما سواها، وله عدّة مصنّفات أكثرها في الطّبّ، وله كتاب (التّفاحة في معرفة الفِلاحة) وكتاب (الاصطباح) وكتاب (الدّلائل في معرفة الأوقات والمنازل)، وكان محبوباً عند النّاس على اختلاف حالاتهم وتباين طبقاتهم.

ولمّا علم الملك المؤيّد بموت والده وكان يومئذٍ بالشِّحْر - كما ذكرنا -[١٢٠أ] خرج منَ الشِّحْر يريد اليمن طالباً للملك قاصداً لأخيه السّلطان الملك الأشرف.

قال ابن عبد المجيد[١]: فلمّا قرب منَ اليمن[٢]، وصل إليه كتابٌ من أخيه الملك المنصور يحذّره منَ التّقدّم إلى جهة اليمن وعرض عليه حصن السَّمَدان وكان يومئذٍ بيده، فشكر له هذا الصّنيع، وبقي متردّداً في الإقدام والإحجام، فبينا هو كذلك إذ وصله كتابٌ منَ القاضي موفّق الدّين عليّ بن محمّد اليَحْيَويّ ويقول فيه: قد شاع

---

(١) بهجة الزمن: ١٧٢

(٢) قوله: «قال ابن ... من اليمن» سقط في (ج، د).

الخبر أنّك واصل إلى اليمن، وبلغني منَ المحقّق أنّ أخاك مولانا الملك الأشرف أرسل نَفَرَيْنِ منَ الفِداوِيّة إليك، فالحَزْمَ الحَزْم، واحترز في نفسك. فبقي المَلِكُ المؤيَّد في أشدّ من ذلك التّردّد.

فلمّا وصل إلى أَبْيَن -وكان فيها عسكر من جهة السّلطان الملك الأشرف- هرب المقدّم إلى جهة اليمن في طائفةٍ أخرى، ومالت طائفةٌ أخرى إلى الملك المؤيّد فجهّز أثقالَهُ وحرسه[1] إلى حصن السَّمَدان وجهّز معهم عسكراً فوصلوا على السَّلامة، وعزم على حصار عَدَن وأخذها لينظر أين يبلغ من أخيه، فتوجّه إلى عَدَن وتأمّلها فرأى في بعض نواحيها دَرْباً رَكِيكاً مُتَشَعِّثاً، فطلب صيّاداً منَ الصّيادين الّذين يصطادون حول الجبل وسأله عنِ الجبل وعن طرقه وهل هو سَهْلٌ أو ممتنع، وهل فيه طريق يُفْضي إلى باب عَدَن أم لا؟ فقال الصّيّاد: إنّ فيه طريقاً يصل الإنسان منها إلى باب البلد. فقال له: تقدر أن تأخذ معك عسكراً وتسير بهم إلى الموضع الّذي ذكرت؟ قال: نعم. فكتم السّلطان أمره واستوثقه عنده، فلمّا كان بعد المغرب أرسل معه من أجواد الرَّجْل ثلاث مئة راجلٍ وأمرهم ألّا يظهروا حتّى يروا السّلطان بالقُرْبِ منهم.

ولـمّا أصبح الملك المؤيّد جمع عسكره وتوجّه نحو الباب، وقد جمع الوالي عسكره من داخل المدينة يحفظ الباب، فلمّا قرب منهم مولانا الملك المؤيّد وتأهّبوا لقتاله ثار عليهم ذلك الرَّجْل فصاحوا :الأمان. فأَذَمَّ عليهم الملك المؤيّد واستدعاهم إلى عنده، فخرج الوالي والنّاظر وأعيان البلد وصدور أهل البلاد وعيون التّجار إليه رَغْبَةً ورَهْبَة، فاستولى على عَدَن ولم يَنَلْها منَ الطُّمّاع أحدٌ، بل ساسها سياسةً جيّدة ورجع إلى أخيه[2] وهو في

---

(١) في (ج، د، هـ): «وحرمه».

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «إلى الأحبة».

تردّدٍ عظيم وجعل يتمثّل بقول [الشّاعر](١): (منَ الطّويل)

إذا لم يَكُنْ إلّا الأَسِنَّةُ مَرْكِباً فلا رَأْيَ لِلْمُضْطَرِّ إلّا رُكُوبُها

ثمّ تقدّم إلى لَحْج وأَبْيَن فاستولى عليهما وامتلأ اليمن هيبةً منه، وقلوب النّاس محبّة له.

فلمّا سمع الأشرف بذلك وأنّ النّاس مالوا إليه كما يميل الحديد إلى المغناطيس، جهّز ولده النّاصر فأقام في الرّاحة(٢) ثلاث مئة فارس، ووصل الشّريف جمال الدّين عليّ بن عبد الله منَ البلاد العُلْيا فجهّزه في خيلٍ وألحقه بولده، ثمّ طلب الجيوش من[١٢٠ب] صنعاء وغيرها وجهّز وَلَدَي أُزْدُمُر نجم الدّين وبدر الدّين، فكثرت الجموع وتألّبت الفرسان، ولم يكن مع الملك المؤيّد يومئذٍ إلّا عسكرُهُ الّذي وصل به من الشِّحْر وجماعةٌ منَ الجحافل مقدّمهم عمرو بن سهيل(٣).

وفي سنة خمسٍ وتسعين: سارتِ العساكر الأشرفيّة منَ الرّاحة إلى الجُوَّة، ثمّ إلى كثيب القَشِيب، فالتقى النّاس بعضهم ببعضٍ في آخر المحرّم منَ السّنة المذكورة، فبرز الملك المؤيّد بين ابْنَيْهِ الظّافر والمُظَفَّر، وهو كما قال الشّاعر(٤): (منَ البسيط)

تَراهُ مِنْ نَفْسِهِ في جَحْفَلٍ لَجِبِ(٥)

فلمّا اصطدم الجيش هزمهم حتّى علّقهم بالكَثِيْب، فنزل الشّريف عليّ بن عبد الله ووجوه العسكر فملكوا بعض العَرَصَة، واصطدموا صدمةً أخرى فانهزمت الجَحافل وهم معظم عسكره، فرجع إلى الدَّرْب على حامية وقد نهبت خزانتُهُ وآلته، وأحاطتِ

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ).

(٢) في (الأم، ب): «الداحة» محرّفا، وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ) وسيرد على الصّواب غير مرّة.

(٣) في (أ، ج، د): «سهل».

(٤) عجُز بيت لأبي تمام متصرّف فيه، فهو في ديوانه (١/٥٩):

لو لم يَقُدْ جَحْفَلاً يوم الوغى لغدا مِنْ نفسِهِ وحدَها في جَحْفَلٍ لَجِبِ

(٥) في (أ، د): «تراه في ...».

العسكر بالدَّرْب؛ دَرْب الدُّعَيْس من كلّ ناحية، فدخل إليه ابن أخيه فوقف قليلاً، ثمّ خرجوا جميعاً إلى خيمةٍ قد ضُرِبت لهم، فلم يزالوا به حتّى تقيّد هو وولداه، وأقاموا بقيّة يومهم هنالك وأصبحوا سائرين إلى الجُوَّة، وكان الملك الأشرف واقفاً بها منتظراً لما يحدث من أخبارهم.

فلمّا علم بتقييدهم بكى بكاءً شديداً، وأمر بإكرامهم وأرسل بهم إلى حصن تَعِزّ فوصلوا يوم الأحد التّاسع عشر منَ المحرّم منَ السَّنة المذكورة، فأُسْكِنوا دارَ الأدب وأمر [لهم][1] بترتيب الأطعمة والأشربة وجعل عليهم خادماً اسمه كافور البَتوليّ وكان إذاك معظَّماً مقدَّماً على المماليك، فكان - فيما يقال -: يفتّش عليه الزَّباديّ ويكسر الخبز.

وكتب إليه الفقيه أبو بكر بن محمد اليَحْيَويّ[2] رقعةً مكتوب فيها: بسم الله الرّحمن الـرّحيم ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى].

وهنّأ الملكَ الأشرف جماعةٌ منَ الشّعراء بمَسْك أخيه، ولقد أحسن القاضي تاج الدّين موسى بن الحسين بن عليّ بن أبي بكر بن محمّد بن الحسين المَوصليّ، حيث يقول: (منَ الوافر)

ولولا أَنَّ ضِدَّكَ مِنكَ قُلْنا مَقالاً مِنْهُ تَنفلِقُ الصُّخُورُ
ولكِنّا نُرَجّي السُّخْطَ مِنْكُمْ بِعَوْدِ رِضاً وتَنْجَبِرُ الأُمُورُ

ولمّا أراد الشّريف عليّ بن عبد الله الطّلوع إلى البلاد العُلْيا أعطاه العَطِيْمة والمِيْقاع وأكرمه وأنعم عليه.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د).

(٢) في (الأمّ): «النّحويّ» وقد تقدّم على الصّواب.

ولما سُجن الملك المؤيّد - كما ذكرنا - وصلت عمّته الدّار الشّمسيّ إلى تُرْبة أخيها الخليفة فأقامت هنالك أيّاماً، ثمّ توجّعت فانتقلت إلى دار الملك المؤيّد بالمِيْهال فسكنت فيه إلى أن توفّيت به في مستهلّ رجب منَ السَّنة المذكورة.

فلمّا بلغ علم[١٢١أ] موتها إلى الإمام المطهَّر بن يحيى قال: ماتت بلقيس الصُّغْرى.

وفي هذه السّنة: توفّي الصّاحب بهاء الدّين محمّد بن أسعد العِمْرانيّ، وكانت وفاته يوم الحادي عشر[١] من ربيعٍ الأوّل منَ السَّنة المذكورة.

وفي شهر جُمادَى الأولى: وقع في اليمن مطرٌ عظيم عمّه، وجاء كتابٌ إلى الإمام مطهَّر بن يحيى مِن والي الرّاحة - راحة بني شريف - يخبِرُهُ بهذا المطر، وأنّه كان فيه بَرَدٌ عظيم قتل عدّة منَ الأغنام، ونزل يومئذٍ بَرَدَةٌ عظيمة كالجبل الصّغير لها شَناخِب[٢] يزيد كلّ واحدة منها على ذِراع، فوقعت في مَفازة بين بلد سَنْحان والرّاحة، فغار في الأرض أكثرُها وبقي بعضُها ظاهراً على وجه الأرض، فكان يدور حولها عشرون رجلاً لا يرى بعضهم بعضاً، ووقعت أخرى ممّا يلي بلد عَنْس حاول قَلْبَها أربعون رجلاً، فما أمكنهم. وهذا من عجيب ملكوت السّموات، فسبحان مَن أبدع ذلك بقدرته واخترعته حكمته.

وفي شهر جُمادَى الأولى: طلع السّلطان الملك الأشرف إلى محروسة الدُّمْلُؤة وكان طلوعه يوم الرّابع منَ الشّهر المذكور، ثمّ نزل إلى زَبِيْد فدخلها في جُمادَى الأخرى وكان دخوله من باب القُرْتُب وبين يديه الفقهاء يحملون المصاحف والمقدّمات، وكان يوماً مشهوراً.

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ: وحدّثني مَن أثق به من حفّاظ الأخبار، قال: سَبَتَ الملك الأشرف في أيّام السُّبُوت[٣] من زَبِيْد إلى النّخل في أيّام سلطنته سَبْتاً، فنزل معه ثلاث مئة

١) في (د): «الحادي والعشرين».

٢) في (د، هـ): «شناخيب»، وشَناخب الجبل: رؤوسه، واحدها شُنخوب وشُنْخوبة.

٣) السُّبوت: عيدٌ شعبيّ لدى أهل اليمن يكون في مناطق النّخيل والسّواحل في تِهامة في موسم التّمر، وفي صنعاء في موسم قِطاف العِنَب؛ وقد أشار إليه ابن المجاور، وقد ظلّت هذه العادة في تِهامة إلى عهدٍ قريب.

محملٍ، في كلّ محمل سريّة وجاريتها، ولم يزل بِتهامة إلى شهر شعبان.

وفي ذي الحِجَّة آخر سنة خمس[١]: وثب والي ذَمار على حصن مَثْوَة واستقرّ فيه بعسكره، وكان منَ المماليك المُظَفَّريّة يُقال له: الفارس، فالتفّت عليه قبائل مَذْحِج وطلعوا عليه من مكانٍ يعرفونه ليلاً فحصروه بعض يوم، ثمّ طلعوا عليه فقتلوه وقتلوا من أصحابه سبعين رجلاً.

وفي سنة ستٍّ وتسعين: توفِّي السّلطان الملك الأشرف مُمَهِّد الدّين عُمَر بن يوسف بن عُمَر بن عليّ بن رسول، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لسبعٍ بَقِين منَ المحرّم من أوّل سنة ستٍّ وتسعين وستّ مئة، وكان ولده الملك النّاصر يومئذٍ في القَحْمَة والعادل في صنعاء لأمرٍ أراده الله تعالى، فاتّفقت آراء أهل الحصن منَ الخاصّة والعامّة والسُّتُور الكريمة على إبراز بدر الوجود وإطلاع شمس الجود[٢]، وأن يزأر اللّيث في غابه، وأن يستقرّ الحقّ في نصابه، وأن يَسوس الدّولة نُعْمانها، وأن يتسلّم الحكمة لُقْمانها.

فلمّا كان السَّحَر من تلك اللّيلة تقدّمتِ الأكابر منَ الخدّام إلى مولانا السّلطان الملك المؤيّد وهو في مجلسه فأخبروه بانتقال أخيه الملك الأشرف إلى رحمة الله تعالى، فلم يصدق، وظنَّ أنّهم يريدون ينظرون ما عنده، فلمّا تحقّق الأمر ناله من الأسف ما ناله لفِقْده، وداخل المسلمين منَ السُّرور ما كاد يذهب بالنّفوس [١٢١ب] (منَ المتقارب)

ومِنْ فَرَحِ النَّفْسِ ما يَقْتُلُ

ولمّا خرج من مجلسه طلب والي الحصن سيفاً يكون في يده فأعطاه ثلاثة سيوف له ولولدَيْهِ، وسار حتّى وقف عند رأس أخيه فبكى بكاءً شديداً وتأسّف عليه تأسُّفاً عظيماً، ثمّ خرج من عنده وقد أمر بتجهيزه فقعد في تَخْت الملك.

---

(١) في (ج، د): «خمس وتسعين».

(٢) في (ج، د، هـ): «السُّعود».

فلمّا لاح ضوء الفجر أمر نُوّابة الحصن بالتَّرَحُّم عليه، فصاحوا بالتَّرَحُّم على الأشرف، وبالصّباح السّعيد على السّلطان الملك المؤيّد؛ فسبحان مَن لا يزول مُلْكُهُ ولا يَبِيد[1] سلطانه.

وكان السّلطان الملك الأشرف ملكاً سعيداً صالحاً بَرًّا بإخوته وقرابته محبًّا لهم، وكان رؤوفاً بالرّعيّة.

ومن مناقبه: أنّ رعيّة النّخل بوادي زَبِيْد كانوا قد تَلِفُوا منَ الجَوْر الشّديد وغَفَلات الملوك عنهم حتّى بلغ بهم الأمر أن من كان له نخلٌ لا يزوّجه أحدٌ، وأيّ امرأة لها نخلٌ لا يتزوّجها أحدٌ إلّا معزوزةً، وكان الرّجل الّذي ليس له نخلٌ إذا تزوّج امرأةً لا نخلَ لها يُقال له عند عقد النّكاح: ومن سعادتهما ألّا نخل لواحدٍ منهما.

فلمّا ولي الملك الأشرف أمر منِ افتقد النّخل فأزال عن أهله ما نزل بهم منَ الظّلم وهو أوّل من سنّ عديد النّخل بالفقهاء العُدول.

وحصل في سنته جَرادٌ عظيم واستولى على الزّرع والثّمار فاشتكت الرَّعيّة إليه فأمر بمسامحتهم فتوقّف الوزير عليهم وهو القاضي حسام الدّين حسّان بن أسعد العِمْرانيّ، ولم يُمْضِ المسامحة فاشتكوا به إلى السّلطان، فكتب إليه: يا فلان اقتصر عنهم، ولا تفرّقهم يصعب علينا جمعهم.

قال الجَنَديّ[2]: ومن مناقبه الحسنة:أنّه أخلص الدّراهم منَ الغِشّ إخلاصاً جيّداً.

قال عليّ بن الحسن الخَزْرَجيّ: ليس لكلام الجَنَديّ هذا معنًى، فقد رأى النّاس كثيراً منَ الدّراهم المنصوريّة والمُظَفَّريّة فلم يكن في شيءٍ منها شيءٌ منَ الغِشّ، وربّما هي أجود فضّةً من غيرها، والله أعلم.

---

(١) في جميع النّسخ: «مبيد».

(٢) السّلوك: ٢/٥٥٤.

وكان للملك الأشرف من الولد: محمّد النّاصر، وأبو بكر العادل، وكان وزيره القاضي بهاء الدّين وزيرَ والده، فلمّا توفِّي في التّاريخ المذكور استوزر أخاه القاضي حسام الدّين حسان بن أسعد العِمْرانيّ إلى أن توفِّي، رحمة الله تعالى عليه.

الفصل التّاسع
في ذِكْر دولة مولانا الملك المؤيّد
هِزَبْر الدّين داود بن يوسف بن عُمَر بن عليّ بن رسول، رحمة الله عليه

قال علماء الأخبار: لـمّا توفّي السّلطان الملك الأشرف وأعلن الصّائح بالتَّرحُّم عليه، والصّباح السّعيد على مولانا السّلطان الملك المؤيّد - كما ذكرنا - ارتجّت المدينة وانزعج النّاس وماج بعضهم في بعض، فأمر السّلطان بفَتْح أبواب الحصن، فكان أوّل من طلع إليه الوزير القاضي الأجلّ حسام الدّين حسان بن أسعد العِمْرانيّ وزير أخيه[١٢٢أ] [(١)المرحوم فاجتمع به وحلف له الأيمان المُغَلَّظة، واستحلف له الجُنْد والأمراء وأعيان الدّولة، فلم يختلف عليه اثنان، ولم يمتنع عليه سهلٌ ولا جبل، ولا صاحب بلد ولا صاحب حصن، ومرّت(٢) أموره على السَّعد والتّوفيق.

وكان تاج الدّين ابن المَوصليّ كاتب الدَّرْج، فكتب في ذلك كتباً كثيرةً إلى بلاد التَّهائم وإلى كافّة البلاد بأجمعها وإلى جهة صنعاء والأشراف، فدخل النّاس في دين الله أفواجاً، وأمر بتجهيز أخيه وتنفيذ وصيته، فخرجوا به منَ الحصن في صبيحة(٣) اللّيلة الّتي توفّي فيها وأمامه الظّافر والمُظَفَّر يمشيان وأعيان الدّولة حتّى دخلوا به مدرسته الّتي أنشأها في مَغْرَبَة تَعِزّ فدفن فيها، وأقام القُرّاء عليه والقراءة كما جرتِ العادة سبعة أيّام.

فلمّا انقضت أيّام القراءة عليه أنشد شعراء الدّولة التّهاني المُعْجِبة، فقام الأديب

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين - وهو بقدر لوح ونصف - سقط في (الأمّ) ورُمّ عن (ب) كونها أكثر النّسخ موافقةً لـ(الأمّ)، ويبدأ السّقط بقوله: «المرحوم فاجتمع ...» وينتهي بقوله: «..فساروا بهما إلى الحرم الشريف السّلطاني، فحنا».

(٢) في (أ، د، هـ): «وجرت» وفي (ج): «وخرجت».

(٣) في (ب الأمّ): «صحية».

سابق الدّين يوسف بن العَنْسيّ بقصيدةٍ بديعة الاستهلال بارزة في قالب الكمال، وهي:

(منَ البسيط)

القَوْسُ مُوْتَرَةٌ في كَفِّ بارِيْها فَلْيَعْلَمِ النّاسُ قاصِيْها ودانِيْها
ولْيَلْبَسِ الكُلُّ مِنْهُمْ دِرْعَ مَسْكَنَةٍ كي يُصْبِحُوا في أَمانٍ مِنْ مَرامِيْها(١)
فَكُلُّ نِعْمَةِ قَوْمٍ مِنْ نَدَى مَلِكٍ فَالْبَغْيُ سالِبُها والذُّلُّ كاسِيْها(٢)
يَهْنَى المُؤَيَّدُ بَلْ يَهْنَى خِلافَتُهُ إِنِّي أُهَنِّيْهِ مِنْها بَلْ أُهَنِّيْها
خَلِيْفَةُ اللهِ مِنْ بَعْدِ الخَلِيْفَةِ يا مَلْكَ المُلُوكِ جَمِيْعاً لا أُحاشِيْها(٣)
إِنَّ الخِلافَةَ ما قَرَّتْ ولا هَدَأَتْ حتّى رَمَتْ نَفْسَها في سُوحِ حامِيْها(٤)
أَضْحَتْ مُحَجَّلَةُ الأَيّامِ مُذْ وَقَعَتْ في كَفِّ داوُوْدِها غُرًّا لَيالِيْها(٥)
إِنَّ الرَّعِيَّةَ في أَمْنٍ وفي دَعَةٍ وفي بُلَهْنِيَةٍ إِذْ أَنْتَ راعِيْها
وكَمْ يَدٍ لِهِزَبْرِ الدِّيْنِ قد حَمَلَتْ لِغَيْرِ طالِبِها مِنْها وراجِيْها(٦)
أَمْلاكُ غَسّانَ ما انْفَكَّتْ دَعائِمُها لَمّا بَنَتْ بِمَعالِيْهِ مَعالِيْها(٧)
إِنّا نَرى المَلْكَ في عَرْشٍ لِوالِدِهِ سَقّاهُ وَبْلُ أَوادِيْهِ وهامِيْها(٨)

---

(١) في (ج، د): «... من مراسيها».

(٢) في (ج، د): «فكل نعمة عبد ...» وقوله: «قوم» بياض في (هـ).

(٣) في (د): «... الخليفة بل».

(٤) في (الأمّ، ب): «... سوح حاصيها» ولا معنى له، وما أثبت عن (أ، ج، د) وفي (هـ): «... سرح حاميها»، والسُّوح كالسّاحات: جمع ساحة.

(٥) في (أ): «أضحت مجلجلة ... ... لتاليها» وفي (ج، د): «... إذ وقعت ... داود بل غرا لياليها».

(٦) البُلَهْنِيَة: الرّخاء وسعد العيش.

(٧) عجزه في (ج، د): «لما بنت من معاليه معاليها» والعجز برمته سقط في (هـ).

(٨) في (ب الأمّ، هـ): «أراديه وهاميها» (أ): «... أياديه وهاميها» وفي (ج، د): «سقى وبل أياديه ..». والأَواذيّ: أمواج البحر. والهامي: السّائل، من قولهم همى يهمى: إذا سال.

وهنّأه العفيف عبد الله بن جعفر[١] بقصيدةٍ أوّلها: (منَ البسيط)

أَمُلْكُ داوُدَ أَمْ مُلْكُ ابنِ داوُدِ ... ما إنْ أَقِيْسُ بِكَنْعانٍ ونُمْرُودِ[١٢٢ب/(ب) ١٠١ب]

أَفي الرُّواقِ هِزَبْرٌ تَحْتَ غابَتِهِ ... أَمِ الهِزَبْرُ هِزَبْرُ الدِّيْنِ والجُوْدِ

بَيْنَ السَّماءِ وبَيْنَ الأَرْضِ مُزْدَحَمٌ ... مِنَ الظُّبا والقَنا والشُّزَّبِ القَودِ[٢]

ومِنْ ذَوائِبِ راياتٍ إذا خَفَقَتْ ... حَسِبْتَها طارِداتٍ بَعْدَ مَطْرُودِ[٣]

تُدافِعُ الرِّيْحَ أَنْ تَجْتازَ ساحَتَها ... طَوْراً وتَكْمُنُ طَوْراً في الأَمالِيْدِ

كَأَنَّ أَمْواجَ بَحْرِ الهِنْدِ مِنْ زَرَدٍ ... يَفِيْضُ ما بَيْنَ مَوْضُوْنٍ ومَسْرُودِ

للهِ مِنْ طَوْدِ مُلْكٍ في السَّماءِ سَما ... وظِلِّ أَمْنٍ على الآفاقِ مَمْدُودِ[٤]

وَرِثْتَ دَوْلَةَ غَسّانٍ كما وَرِثَتْ ... آباؤُكَ الغُلْبُ مِنْ أَجْدادِكَ الصِّيْدِ

نامَتْ جُفُونُ البَرايا في حِماكَ وفي ... أَجْفانِ سَيْفِك عَنْها أَيُّ تَسْهِيْدِ[٥]

فَالأَرْضُ مُشْرِقَةٌ والسُّحْبُ مُغْدِقَةٌ ... والنَّبْتُ ما بين مَخْضُودٍ ومَنْضُودِ

ولي مَواعِيْدُ مِنْ نُعْماكَ صادِقَةٌ ... ومِنْكَ يُعْرَفُ إِنْجازُ المَواعِيْدِ

كم أَنْعُمٍ لَكَ أَيّامَ الخَلِيْفَةِ لي ... قَدْ كانَ أَوَّلُ مَسْقِيٍّ بِها عُودي[٦]

---

(١) ورد في العقود اللؤلؤية في موضعٍ واحدٍ (٣٢٧/١) : «العفيف عبد الله بن علي بن جعفر»، وعنه نقل الزِّركلي: (١٠٦/٤)، وإنّما هو في العسجد حيث ذكر كما أثبت أعلاه.

(٢) في (ب الأمّ، أ، د): «... والقود» مختل الوزن، وفي (هـ): «من القنا والظبا ...».

(٣) في (ب الأمّ): «... إذ خفقت» مختل الوزن، وفي (هـ): «... خلف مطرود».

(٤) في (هـ): «وظل أمر ...».

(٥) في (الأمّ ب، أ): «نامت حصون ... أجفاك سيفك ...»، وفي (هـ): «نامت عيون ... أجفان سيفك ...» وما أثبت عن (ج، د).

(٦) في (ب الأمّ، هـ): « .... عود» وما أثبت عن (أ، ج، د).

ولمّا علم الملك النّاصر جلال الدّين[(١)] محمّد بن الملك الأشرف بوفاة أبيه واستيلاء عمّه على الملك والسّلطنة، وكان في إقطاعه القَحْمَة[(٢)] بادر إلى باب عمّه ممتثلاً أمره.

فلمّا وصل أقبل عليه وأجلّه وأحلّه منَ العزّ محلّه، ثمّ وصل أخوه الملك العادل صلاح الدّين أبو بكر بن الملك الأشرف من صنعاء وكانت من إقطاعه فعامله معاملةَ أخيه منَ الكرامة والإنصاف، وعرض عليهما الاستمرار على إقطاعهما فاستعفيا منَ الآمريّة[(٣)]، وقالا: لا نحبّ خدمةً بعد الوالد. وتوسّط الفقيه أبو بكر بن محمّد بن عمر اليَحْيَويّ بينهما وبين السّلطان وأخذ لهما منَ السّلطان عهداً ألّا يغيّر[(٤)] عليهما ولا على أحدٍ منهما، وأخذ عليهما عهداً: ألّا نازعاه أبداً[(٥)]، وكان بين الملك المؤيّد وبين الفقيه أبي بكر بن محمّد اليَحْيَويّ صحبةٌ أكيدة ومحبّةٌ شديدة.

وكان السّلطان الملك المؤيّد، رحمه الله، معتمداً آراء الفقيه في جميع ما يشير به عليه، وكان الفقيه من علماء عصره وفقهاء زمانه.

فلمّا حصل على الملك المؤيّد ما ذُكِر[(٦)] منَ السِّجْن والاعتقال في مدّة أخيه الأشرف، اتّصل العلم بالملك الأشرف ... [(٧)] (أنّ الفقيه أبا بكر قصد المخالفة وإثارة الفتنة، فاستوحش منه الملك الأشرف) ولمّا علم الفقيه بالمكِيدة كتب إلى السّلطان الملك الأشرف قصيدةً يقول فيها: (منَ البسيط)

---

(١) في (ج، د): «جمال الدين».

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «بالقحمة».

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «عن الآمرية».

(٤) في (ب الأم): «أن لا غير» وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ).

(٥) في (ج): «ولا على واحد منهما أن لا ينازعه أبداً» وفي (د): «ولا على واحداً منهما عهداً أن لا ينازعاه أبداً».

(٦) في (أ، ج، د، هـ): «ما ذكرنا».

(٧) في (ب الأم) فراغ بقدر كلمتين، والكلام في بقيّة النّسخ متّصل على اضطرابه. وما حُفّ بقوسين عن العقود: ١/٣٠١-٣٠٢.

تَبْغُونَ قَتْلي وما لي فِيكُمُ غَرَضٌ غَيْرُ النَّجاةِ على مَجْمُوعِ أَحْوالي[(١)]

أو تَزْعُمُونَ جَمِيعَ الجِنِّ طَوْعَ يَدي هَلْ تُقْهَرُ الجِنُّ إِلّا بِالمَلا العالي؟

هَلْ يُخْرِقُ السِّجْنُ مَنْ مَولاهُ أَدَّبَهُ إِلّا أَخُو الجَهْلِ بِالآتي وبِالحالي[(٢)]

أَبْحَتَ داري وآلي قُلْتَ يَنْصَرِفُوا ما الدّارُ داري وآلي ما هُمُ آلي

وكُلَّما تَرْتَضُوا مِنّي وتَنْتَقِمُوا ما القَوْلُ قَولي ولا الأَفْعالُ أَفْعالي

فاحْكُمْ بِما شِئْتَ إِنْ صَبْراً وإِنْ عَجَلاً فَالأَمْرُ أَقْرَبُ مِنْ نَقْلٍ على بالي[(٣)]

فَلَيْسَ شَهْرانِ فِيما يَنْقَضي عَجَلاً إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ فَانْظُرْ صِدْقَ أَقْوالي

عِشْرِيْنَ شَهْراً تَوالَى لا يُجاوِزُها ولَيْسَ آخِرُها يُفْضي بِإِكْمالِ[١٢٣/أ/(ب)١٠٢أ]

ويَدْخُلُ الدّارَ مَنْ لا تَرْتَضِيْهِ لَها بِصائِحٍ مِنْكُمُ يَدْعُو بِإِثْكالي[(٤)]

لم تَفْكروا النَّصَّ والتَّنْزِيْلَ وَيُحْكُمُ ووَعْدِ رَبِّي ما هذا بِإِجْمالِ[(٥)]

فاسْمَعْ لِما قُلْتُهُ وارْقُبْهُ مُصْطَبِراً ولا تُعَرِّجْ على قِيْلٍ ولا قالِ

وخُذْهُ بِالجِدِّ لا هَزْلاً ولا كَذِباً فَلَيْسَ ذا القَوْلُ مِنْ أَقْوالِ هُزّالِ[(٦)]

وهذه الأبيات مَن وَقَفَ عليها عَلِمَ مِنْ تَمَكُّن الشّيخ العارف مِن علم المعارف، وفي ذلك لمن تأمل.

---

(١) في (ج): «... فيهم غرض».

(٢) يُخْرِق: يُدهش، ويقال أيضاً خَرِق الرّجل يَخْرُق فهو أخرق.

(٣) في (ج) ورد العجز عجزاً للبيت التالي، وعجزه لهذا.

(٤) في (أ): «بصالح ... بإعوالي» وفي (ج): «وأدخل الدار .... بصالح ... بأنكال» وفي (د): «بصالح ...» وفي (هـ): «بصالح ... بإنكالي».

(٥) في (أ، ج، هـ): «لم تنكروا ...» وفي (د): «لم تنكر ...». وفَكَر في الشيء وأفْكَر فيه وفكَّر بمعنًى.

(٦) في (ب الأم): «فليس هذا ...» مختل الوزن، وصوابه عن بقيّة النّسخ.

ثمّ توجّه الفقيه بعد إنشاء هذه القصيدة إلى ناحية وُصاب هارباً منَ الملك الأشرف، فأقام هنالك إلى أن توفّي الملك الأشرف [في][1] تاريخه المذكور.

فلمّا استولى السّلطان الملك المؤيّد على المملكة رجع الفقيه أبو بكر إلى مدينة تَعِزّ واجتمع بالسّلطان وفرح به السّلطان فرحاً شديداً، واستوزر أخاه عليّ بن محمّد بن عمر اليَحْيَويّ المعروف بالصّاحب، وكان وزارته في شهر جُمادَى الأولى من سنة ستٍّ وتسعين وستّ مئة، وصنع له ما صنع للوزراء من رَفْع الدَّواة[2] وعَقْد الطَّيْلَسان، وفوّض إليه قضاء الأقضية، وكان ثابتاً في أموره ليس فيه منَ الطَّيْش والعَجَلة شيءٌ، ونَفَذَ أمره في البلاد، وأمر بالمعروف ونهى عنَ المنكر، وتقدّم عند السّلطان تقدُّماً كلّيًّا، وانطلق عليه اسم الصّاحب انطلاقاً كلّيًّا[3] في أقطار اليمن كلّها، حتّى صار علماً في حقّه كالصّاحب ابن عَبّاد في العِراق، فجميع أولاده وأولاد أولاده وإخوته لا يعرفون حتّى يتعرّفون به إمّا بأُبُوّةٍ أو بأُخُوّةٍ.

ولمّا استوزر السّلطان القاضي موفّق الدّين - كما ذكرنا - برز أمر السّلطان على القاضي حسام الدّين حسان بن أسعد العِمْراني وزير أخيه الملك الأشرف وإخوته[4] أن يسكنوا قرية سَهْفَنَة[5] على الإعزاز والإكرام، ولم تتغيّر عليهم حالٌ منَ الأحوال، فانتقلوا إليها.

ثمّ بلغ السّلطان الملك المؤيّد منَ النّاصر ابن أخيه على جهة النُّصْح لعمّه: أنَّ عبداً للقاضي حسام الدّين طلع إلى جهة عَوْمان، ووجد جاريةً معتقةً منَ الأشرفيّة، كانت تحت يدِ القاضي بهاء الدّين محمّد بن أسعد العِمْرانيّ، فتحدَّث العبد معها بحديثٍ أسرّه إليها أن

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (هـ)، وفي (ج، د): «في التاريخ».

(٢) في (ج): «الدّولة».

(٣) قوله: «وانطلق عليه اسم الصاحب انطلاقاً كلياً» سقط في (هـ).

(٤) قوله: «وإخوته» ليس في (ج، د، هـ).

(٥) في (هـ): «سفهنة» وهو خطأ.

معه قارورةً مملوءةً [سُمّاً][١] من عند سيِّده حسام الدّين ابن أسعد، أمره أن يتلطّف بمن يتّصل بالملك المؤيّد، ويسقيه منها؛ وأنّ غرض القاضي حسّان وبني أبيه[٢] هلاك بني رسول قاطبةً، فحينئذٍ غضب السّلطان عليهم وطلبهم بحِسْبة الأموال الّتي كانوا يتصرّفون عليها من الأوقاف وأموال الأيتام في مدّة نظرهم عليها، فما أجابوا إلى شيءٍ من ذلك أبداً، فأمر بهم إلى عَدَن، وبنى لهم سجناً على باب دار الولاية استكفاءً[٣] لشرِّهم.

وكان في خاطر السّلطان، رحمه الله، مِن وَلَدي أُزْدُمُر: نجم الدّين وبدر الدّين، ومن ابن الهكاري أشياء[٤] من يوم الدُّعَيس[٥]، فأمر بالحَوْطَة عليهم، فقُبِضُوا وأُرْسِل بهم إلى حصن الدُّمْلُؤة، ثمّ قُبِض بعدهم أمير خاندار[٦] فجُعِلَ معهم في دار الأدب بالدُّمْلُؤة[٧].

ثمّ قدمتِ الأشراف للتّهنئة بالملك وانعقد الصُّلح، وكانوا عُقَيب موت السّلطان الملك الأشرف قد استولوا على الكَوْلَة فأخربوها[٨] وأخذوا حصن[٩] اللِّجام ونَعْمان، وعلى مدينة صَعْدَة فاصطلحوا على ذلك.

وكان الإمام المطهَّر بن يحيى حاطًّا على كُحْلان الشَّرَف، فطلبه الأشراف للدّخول معهم في الصُّلح ورفع المحطّة، فأمر بالصّلح وطيّبهم، ولم يزل حاطًّا على الحصن حتّى أخذه.

وفي شهر جُمادَى الأخرى[١٢٣ب/(ب)١٠٢ب]: نزل السّلطان زَبِيْد بعد أن أقطع ولده

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٢) في (ج): «وبني أمية».

(٣) في (ج، د): «استكفافاً».

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «إساءات».

(٥) في (ب الأمّ، د، هـ): «الدعيش» وما أثبت عن (أ، ج) وقد مرّ من دون إعجام السّين.

(٦) في (ج، د، هـ): «خازندا».

(٧) في (ج، د، هـ): «في دار الدُّمْلُؤة».

(٨) في (أ، ج، د، هـ): «فأحرقوها».

(٩) في (أ، ج، د، هـ): «حصني».

المُظَفَّر صنعاء، وأقطع الظّاهر القُحْريّة والحازَّتَيْن(١)، فتوجّه الملك المُظَفَّر إلى صنعاء في رجب منَ السَّنة المذكورة واستعاد حصن أَوْد من بني الحارث في آخر شعبان بعد أن رماه بالمنجنيق.

وفي آخر شعبان: طلع السّلطان من زَبِيْد إلى محروسة تَعِزّ، ونزل الملك المُظَفَّر من صنعاء إلى تَعِزّ في النّصف من رمضان، وكان نزولُهُ بسبب العيد(٢) في تَعِزّ وعاد إلى إقطاعه بصنعاء.

وفي شهر ذي الحِجَّة: استعاد السّلطان حصن حَجَّة والمِخْلافة منَ الصّارم إبراهيم بن يوسف بن منصور، وكانت في يدِهِ من سنة إحدى وتسعين وستّ مئة، واشترط الصّارم شروطاً كثيرة منها: إقطاع مَوْزَع ونصف حَيْس، والذِّمّة الأكيدة والعفو عمّا جناه.

وفي هذه السّنة: أظهر الملك المسعود الخلاف على أخيه السّلطان الملك المؤيّد، وكان مُقْطَعاً في الأعمال السُّرْدُدِيّة مقيماً بها، [فأوقع](٣) بأهل المَحالِب، وصار إلى حَرَض فاستولى عليها، وكان قد وصل ولدُهُ أسدُ الإسلام إلى السّلطان بتَعِزّ فأكرمه وأنصفه وأبقى أباه على إقطاعه.

فلمّا صار الملك المسعود في حَرَض جمع العساكر وجاءته الأشراف من المِخْلاف السُّلَيمانيّ وسقط إليه منَ الجبال والجوف خيلٌ كثيرة، فاجتمع معه عسكر عظيم، فجهّز السّلطان لحربه أخاه الملك المنصور(٤) وولدَهُ الملك الظّافر ووزيرَهُ الصّاحب موفّق الدّين، وأرسل معهم ثلاثة أَفْيال فساروا إليه في عسكرٍ منَ الباب السّلطانيّ.

وفي هذه السّنة سبعٍ وتسعين: التقى العسكران فيما بين المَحالِب وحَرَض، فلمّا تراءى

---

(١) في (ج، د): «والحازمين» وفي ثغر عدن (١٠٦): «الجازبين».

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «بسبب العيد فعيد».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، ج، د، هـ).

(٤) في (ب الأمّ): «الناصر» وما أثبت عن (أ، ج، د، هـ).

الجمعان وتهيأ للحملة الفريقان رأى الملك المسعود أنّه مغلوبٌ لا محالة، فأذعن إلى الصُّلح قبل اصطدام الجيش، فقبض العسكر السّلطانيّ على الملك المسعود وعلى ولده أسد الإسلام، وذلك في شهر المحرّم منَ السَّنة المذكورة، فساروا بهما إلى الحرم الشّريف السّلطانيّ، فحنا(١)](٢) [١٢٤/أ/(ب)١٠٣أ] عليهما وأسكنهما دار الأدب من حصن تَعِزّ، فأقاما فيه نحواً من سنة، ثمّ أطلقهما وأمرهما أن يسكنا حَيْس وقرّر لهما جامكيّة جيّدة حاملة لهما ولمن معهما.

وفي شهر صفر منَ السَّنة المذكورة: نزل الملك المُظَفَّر حسن ابن السّلطان الملك المؤيّد متبرّماً من صنعاء، ولم يكن دخلها في المرّة الثّانية، وإنّما كان واقفاً في ذَمار.

وفي شهر ربيعٍ الأول: قُتل الشّريف سليمان بن محمّد بن داود(٣)، قتله عبدُهُ بالماء الحار(٤).

وفي شهر ربيعٍ الآخر: طلع الأمير سيف الدّين طَغْرِيل للمحطّة على حصن شَخَب فرتّب عليه، ولزم جماعةً من مشايخ مذْحِج ونزل.

في آخر ليلة من جُمادَى الآخرة: وهي ليلة السّبت، وقع مطرٌ عظيم في قطر اليمن، فعمَّ اليمن كلَّه، وكان حدوثُهُ على مُضيّ النّصف منَ اللّيلة المذكورة. وكان فيه رعدٌ عظيم وريحٌ شديدة، وكان معظمها بتِهامة حتّى قيل: إنّ الرّيح أخرجت سُفُناً من ساحل الشَّرْجَة والأَهْواب بما فيها، وطرحتها على السّاحل، وهدمت حصوناً كثيرةً شامخة في جبال تِهامة، واقتلعت أشجاراً عظيمة بأصولها.

قال المصنّف أيّده الله: وأظنّها الّتي تُسمَّى مَطْرَة السّبت، فإنّها مشهورةٌ مذكورة، وهي في آخر المئة السّابعة، وقَلَّ مَن يعرفها في عصرنا هذا، وأدركتُ جماعةً ممّن يعرفها،

---

(١) في (ج، د): «فخلع».

(٢) انتهى السقط من (الأم) وما أثبت من (ب) كما نبه على ذلك أول السقط.

(٣) في (أ، د، هـ): «سليمان بن محمد بن موسى بن داود».

(٤) قوله: «وفي شهر ربيع الأول ... الماء الحار» سقط في (ج).

وقد انقرضوا الآن لتقادم العهد.

وفي شهر شعبان: طلع الأمير جمال الدّين عليّ بن بَهْرام[1] إلى مارِب، فعمر الخَرِبَة، وأعاد أمورها كما كانت، على أَحسن قاعدةٍ ملوكيّة.

وفي شهر رمضان: توفّي الإمام المطهَّر بن يحيى، وكانت وفاته بذَرْوان حَجَّة.

فطلع الملك المُظَفَّر إلى صنعاء في النّصف الثّاني من رمضان، وكان السّلطان جهّز عسكراً إلى حَجَّة، فيهم أستاذ داره الأمير بدر الدّين محمّد بن عُمَر بن ميكائيل، والفقيه شرف الدّين أحمد بن عليّ الجُنَيْد للمحطّة على ابن الصُّليحيّ بمَبْيَن، وعلى عُمَر بن يوسف بظُفَّر فسلَّما الحصنين، ونزلا على الذِّمَّة. ثمّ تقدّم السّلطان إلى البلاد العُلْيا وذلك عند امتناع الأشراف منَ الصّلح، فكان دخوله صنعاء لخمسة أيّام بقين من ذي القِعْدة[2].

ثمّ طلع الظَّاهِر يوم الرّابع عشر من ذي الحِجَّة، وكان طلوعُهُ في اليوم المُسْفِر عن ليلة الخُسُوف القَمَريّ.

ولـمّا استقرّ السّلطان بالعسكر يوم الأحد، ثمّ سار يوم الإثنين نحو المِيْقاع بعساكره، فقاتل عليه، ثمّ عاد إلى محطّته وأقام السّلطان بالعسكر ثمانية عشر يوماً. وفي أثنائها دخلت عساكره صَعْدَة مع الأمير جمال الدّين عليّ بن بَهْرام والأمير أسد الدّين أحمد بن عزّ الدّين[3] فراكز بهم[4] الأمير نجم الدّين موسى بن أحمد، والأمير أحمد بن عليّ، والشّريف محمّد بن الهادي، ولـمّا افترقت عساكرهم نزل الأمير موسى إلى حصنه عَزّان، فخرّب العسكرُ داره وبستانه.

وفي سنة ثمانٍ وتسعين: نهض السّلطان أوّل يوم منَ المحرّم من محطّته[١٢٤ب] إلى

---

(١) في (أ، ج، هـ): «بهران».

(٢) في (ج): «ذي الحِجّة».

(٣) في (أ، ج، د): «محمد بن أحمد بن عز الدين» وفي (هـ): «علي بن أحمد ...».

(٤) في (ب، د): «فراكزهم».

الجِراف بالظّاهر فوقف فيها ثمانية أيّام، ثمّ نهض منها على غُمْدان[1] فوقف فيها ثمانية أيّام أيضاً، ثمّ نزل فحطّ بالظّاهر الأسفل، وقد كان أخرب دار الأمير هُمام الدّين وبستانه، ثمّ سار نحو جبل ظَفار فتأهّب الأشراف لقتاله فأخرب ما حوله منَ الأعناب، ووصله الأمير محمّد بن داود[2] ابن الإمام فوقف عنده أيّاماً ومات في المحطّة.

وفي هذا التّاريخ: وصل الأشراف والسَّيِّد[3] محمّد بن الهادي القُطابريّ فراوده الأشراف على القيام فامتنع من ذلك.

ونهض السّلطان يوم الإثنين الثّالث من صفر من محطّته فبات بالكَولَة يوم الثّلاثاء، ثمّ سار يوم الأربعاء فحطّ بالقَفْر عند أَشْيَح، ووقف فيه يوم الخميس، وسار يوم الجمعة السّابع من صفر فحطّ على المِيْقاع محطّته المعروفة فملأت جيوشه تلك الأماكن:

(منَ الطّويل)

إذا حَلَّ في أَرْضٍ بَناها مَدائِناً ... وإِنْ سارَ عَنْ أَرْضٍ ثَوَتْ وَهْيَ بَلْقَعُ

فلمّا أصبح يوم السّبت الثّامن منَ الشّهر المذكور: نصب المنجنيق فحاصر الحصن المذكور، وهو يومئذٍ للأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله، ولم يكن فيه، وإنّما كان فيه ابنه الشّريف عماد الدّين إدريس بن عليّ فرجعت العساكر المنصورة على الحصن ثلاثة أيّام متوالية، وكتب الأمير عليّ بن عبد الله إلى كافّة الأشراف كُتُباً مُسْتَأْنَفة[4] يطلب منهم النُّصْرة، وهم يغالطونه ويعتذِرون العَجْز، ثمّ حصل خطابٌ ومراسلاتٌ في معنى الصُّلح، فاستقرّ الحال على أنّ الأمير عليّ بن عبد الله يواجه الصّاحب موفّق الدّين، فوصل إليه واتّفق حُضُور الملك المنصور والملك المُظَفَّر واجتمعوا جميعاً وساروا جميعهم

---

(١) في (ج): «عمران».

(٢) في (أ): «داود بن محمد ...».

(٣) في (أ، ج، د): «الأشراف السيد».

(٤) في (ج، د، هـ): «متابعة». والمُسْتَأنَف: الّذي أعيد فيه النّظر.

إلى المقام الشّريف السّلطانيّ. فلمّا علم السّلطان بوصولهم ركب من مخيّمه وقد صار بالقرب منه فأكرمه وأنصفه[١]، وانعقد الصُّلح بينهم، وأخذ الأشراف ذِمَّةَ سبعة أشهر، وتسلَّم لأجلها حصن ذَيْفان؛ لأنّ السّلطان مر الدِّيَة[٢] عليهم.

فلمّا استقرّ في المحطّة طلب[٣] السّلطان دخول الأعلام الشّريفة الحصن إظهاراً للطّاعة والتّسليم، فنُصِبَتْ في أعلى الحصن وكذلك العَظِيمة، فخَفَقَتْ ذوائبها في أعلى الحصن، ولقد أحسن الحسن بن هانئ حيث يقول: (منَ الكامل)

مَنْ كانَ بِالسُّمْرِ العَوالي خاطِباً جُلِيَتْ لَهُ بِيْضُ الحُصُونِ عَرائِسا

وقال في ذلك العفيف عبد الله بن جعفر يمدح السّلطان الملك المؤيّد ويذكر أَخْذه للعَظِيمة والمِيْقاع: (منَ الكامل)

إِرْثُ الخِلافة في يَدِيْكَ مَشاعُ وغِرارُ سَيْفِكَ شاهِدٌ قَطّاعُ
مَنَعَ النّصيبَ مِنَ العِدَى نَصْبُ القَنَا وحَمَى القِراعَ مِنَ السُّيُوفِ قِراعُ
شَمْسٌ رَأَتْ غُلْبُ المُلُوكِ شُعاعَها فَقُلُوبُهُمْ مِنْها يَطِيْرُ شُعاعُ
نَبْعُ التَّبابعِ في عَناصِرِ حِمْيَرٍ وإلى مَناقِبِهِمْ لَهُ أَتْباعُ[٤] [١٢٥أ]
عَمْرٌو وعَمْرٌو والجَناحُ ومُنْذِرٌ والأَيْهمانِ وفائِشٌ وكَلاعُ[٥]
ماءُ السَّماءِ سَقَى مَنابِتَ أَصْلِهِ رِيًّا فَأَوْرَقَ عِرْقُهُ النَّزّاعُ

---

(١) في العبارة اضطراب وعودة ضمير على مفرد والكلام على جماعة؛ وفي العقود (١/ ٣١٥): «فلمّا علم السّلطان، رحمة الله عليه، بوصول الأمير جمال الدين عليّ بن عبد الله ركب من مخيّمه للقائه ...».

(٢) في (ج): «يرى الذمة» وفي (د، هـ): «بر الذمة». وفي العقود (١/ ٣١٥): «لأنّ السّلطان امتنع من الذّمة عليهم».

(٣) في (ج، د، هـ): «طلب من».

(٤) في (ج، د): «وإلى المناقب هم له أتباع» وفي (هـ): «وإلى المناقب هم لهم أتباع».

(٥) في (أ، ب، هـ): «عمر .. ذو الجناح» وفي (ج، د): «... ذو الجناح ومنذر».

فلقد أعاضَ بِيُوسُفٍ نُقْصانَ لا نكِلٌ ولا وَكَلٌ ولا مِجْزاعُ

أسْرَى إلى الشَّرْقِ القَصِيِّ بشُزَّبٍ خُطُواتُها نَحْوَ المراعِ سِراعُ

والشَّمسُ مِنْ لَمْعِ الحَدِيْدِ كَلِيْلَةٌ والجَوُّ مِنْ سُمْرِ اليَراعِ يَراعُ

وفَيالِقٌ سالَتْ هَوادي خَيْلِها سَيْلَ الأَتِيِّ تَداوَلَتْهُ تِلاعُ

تَسْري فَمِنْ زُرْقِ الأَسِنَّةِ فَوْقَها نارٌ ومِنْ أَسَلِ الوَشِيْجِ سَماعُ[1]

غَسَلَتْ مِياهُ سُيُوفِها ماءَ الدُّجى فَتَشابَهَ الإِصْباحُ والإِهْزاعُ[2]

بِنُجُومِها مَبْدا النُّجُومِ طَوالِعاً مَلِكٌ مُطِيْعٌ لِلإِلَهِ مُطاعُ[3]

لَيْسَ العَظِيْمَةُ بِالعَظِيْمَةِ عِنْدَ مَنْ لِسُيُوفِهِ مِيْقاعُها مِيْقاعُ

لَمْ يَشْقَ وافِدُهُمْ إِلَيْهِ وهَلْ عَسَى يَشْقَى امْرُؤٌ وجَلِيْسُهُ القَعْقاعُ

فَغَنِمْتَ أَدْعِيَةً بِأَفْواهٍ لَهُمْ فِيْهِنَّ مِنْ ثَدْيِ البَتُولِ رِضاعُ

وحَفِظْتَ حَقًّا لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فِيْهِمْ ولَسْتَ بِما حَفِظْتَ تُضاعُ

أَمُؤَيِّدَ الإِسْلامِ داوُدُ الَّذي لِلْعالَمِيْنَ بِفَضْلِهِ إِجْماعُ[4]

ما قامَ للإِسْلامِ سَيْفٌ قاطِعٌ إِلَّا ورُمْحُكَ في البِنا سَطّاعُ

ما يَلْتَقي شَرْقُ البِلادِ وغَرْبُها إِلَّا إذا ما امْتَدَّ مِنْكَ الباعُ

أَهْوَيْتَ بِالسَّيْفِ العُداةَ كما هَوَى وَدٌّ، بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ، وسُواعُ

اللهُ أَعْطاكَ السَّعادَةَ كُلَّها مَنْ ذا يَضُرُّ ورَبُّكَ النَّفّاعُ

---

(١) في العقود(١/٣١٦): «... الوشيج شعاع».

(٢) الإهزاع: الدّخول في الهَزِيع منَ اللّيل، وهو ثلثه الأوّل أو ربعه.

(٣) البيت سقط في (هـ).

(٤) البيت ليس في (ا).

وهي أطول ممّا ذكرت، وهذه عنوانها.

وأقبل السّلطان، رحمه الله، على الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله بالمحبّة، وأزال ما في خاطره وجَدّد له رفع الطَّبْلخانة، وحمل معها منَ الكِساء والأموال شيئاً كثيراً، ولمّا كان أوّل يومٍ من شهر ربيعٍ الأوّل سار السّلطان من محطّته قاصداً صنعاء(١): (منَ المتقارب)

أمَامَ الكَتِيْبَةِ تَزْهَى بِهِ فكَانَ السِّنانَ مِنَ العامِلِ(٢)

قال الشّريف إدريس: وسِرْتُ في خدمته مع والدي إلى البَوْن، وعدت من هنالك، وقد كنت خرجت إليه في محطّة المِيْقاع، فأنصفني وأكرمني وأمر لي بمالٍ جيّدٍ، وكسوةٍ نفيسة، وحصانٍ جواد.

ولمّا استقرّ السّلطان في صنعاء: وصله أمراء[١٢٥ب] الأشراف، ومشايخ العرب، ووصل جملتهم الأمير نجم الدّين أحمد بن عليّ بن موسى ابن الإمام لتمام صلح الأشراف، فتمّ على تسليم اللِّجام، ونَعْمان، وصَعْدَة، وقسمة بلاد مُدَع كما كانت في أيّام الخَلِيفة، وسارت البشائر بما استولى عليه منَ الممالك، ثمّ توجّه إلى قبّة الغُزّ [من] مدينة تَعِزّ(٣)، وفي صحبته الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله، والأمير جمال الدّين أحمد بن عليّ بن موسى(٤)، والأمير عبد الله بن عليّ(٥) بن وهّاس وأمراء العرب، وقد دانت له البلاد والعباد، فأقام في تَعِزّ أيّاماً؛ ووَلَدَ ولدُهُ الملكُ السّعيد منَ الجهة المصونة بنت الأمير أسد الدّين محمد بن الحسن بن عليّ بن رسول، وكانت له فرحة عظيمة، ولم يلبث إلّا يسيراً ثمّ مات، وكان كما

---

(١) شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي: ١٦٦/٣، وفيه: «... تُزْهَى به» بالبناء للمجهول.

(٢) قوله: «أمام الكتيبة ...» يتّجه أيضاً بـ: «إمامَ الكتيبة ...»، وهو في ديوان المتنبّي: ٧٤٣/٢، وفيه: «مكان السّنان ...».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ، هـ) وفيهما أيضاً: « .... ثم توجه قبة ...» بإسقاط «إلى» وهي ساقطة في (الأمّ) أيضاً، ولكنّه كُتب بهامش (الأمّ): «ط إلى» ووضع إشارةً إلى موضعها من المتن. وفي (ج): «... فيه الغر إلى مدينة ...»، وفي (د): «ثم توجه فيه الغر إلى مدينة ...» .

(٤) في (ج، د، هـ): «موسى بن علي بن الإمام».

(٥) قوله: «بن موسى والأمير عبد الله بن علي» سقط في (أ).

قال التِّهاميّ حيث يقول: (منَ الكامل)

يا كَوْكَباً ما كانَ أَقْصَرَ عُمْرَهُ وكذاكَ عُمْرُ كَواكَبِ الأَسْحارِ
وهِلالَ أيّامٍ مَضَى لم يَسْتَدِرْ بَدْراً ولم يُمْهَلْ لِوَقْتِ سِرارِ[1]
عَجِلَ الخُسُوفُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَوانِهِ فَمَحاهُ قَبْلَ مُضِيئَةِ الإِبْدارِ

ثمّ توجّه السّلطان إلى زَبِيْد في شهر جُمادَى الأخرى وصحبته أمراء الأشراف ومشايخ العرب، فأقام فيها إلى أن مضت أيّامٌ من شعبان الكريم، ثمّ طلع تَعِزّ في آخر شهر شعبان الكريم فصام رمضان في تَعِزّ وعيّد عيد الفِطْر بها، واستودعه الأمير جمال الدّين عليّ بن عبد الله يوم العيد، وهما على السِّماط، ثمّ توجّه إلى بلاده في شوّال منَ السَّنة المذكورة.

وحكى الشّريف إدريس بن عليّ بن عبد الله في كتابه قال: تذاكرنا يوماً عند والدي إنصاف السّلطان له وما أعطاه منَ الأموال من يوم خروجه منَ المِيْقاع، وذلك في سَلْخ شهر صفر إلى أن فارقه في مستهلّ شوّال، فحسبناه جُمَلاً لا تدقيقاً، فكان أكثر من سبعين ألف دينار خارجاً عنِ الكسوات والخيول والعروض والآلات وما أشبَهَها[2]: (منَ البسيط)

تِلْكَ المكارِمُ لا قَعْبانِ مِنْ لَبَنٍ شِيْبا بِماءٍ فَعادا بَعْدُ أَبْوالا

وفي شهر ذي القِعْدة: تقدّم السّلطان الملك الظّافر إلى صنعاء مالكاً لها، وقد كان نزل مع أبيه يوم نزوله، فكان دخوله صنعاء يوم الإثنين الثّالث عشر من شهر ذي القِعْدة منَ السَّنة المذكورة.

وفي آخر شوّال: تقدّم السّلطان إلى عَدَن فأقام إلى سَلْخ ذي الحِجّة منَ السَّنة المذكورة، فعيَّدَ عيد النَّحْر بها، وكان السِّماط بحُقّات تحت المَنْظَر السّلطانيّ على شاطئ البحر، وقام الشعراء على السِّماط بأنواع المدائح، وتعذّر وصول العفيف عبد الله بن

---

(1) السِّرار: يَوْم يَسْتَتِرُ فيه الهلالُ؛ وهو آخِرُ يومٍ منَ الشهر، وربّما اسْتَتَر ليلةً وربّما اسْتَتَر ليلتين.
(2) البيت لأميّة بن أبي الصّلت، انظر ديوانه: ٤٥٩.

جعفر فأرسل بقصيدته صحبةَ الشّيخ محمّد بن خطاب، فأُنشدت على السّماط وهي قصيدةٌ طنّانة أوّلها: (من الكامل)

أَعَلِمْتَ مَنْ قادَ الجِبالَ خُيُولا وأفاضَ مِنْ لَمْعِ السُّيُوفِ سُيُولا
وأماجَ بَحْراً مِنْ دِلاصٍ سابغٍ جَرَّتْ أُسُودُ الغابِ مِنْهُ ذُيُولا
ومِنَ القِسِيِّ أَهِلَّةً ما تَنْفَصي عَنْها الخِضابُ عَنِ الخِضابِ نُصُولا[1] [١٢٦أ]
وتَزاحَمَتْ سُمْرُ القَنا فَتعانَقَتْ قُرْباً كما يَلْقَى الخَلِيلُ خَلِيْلا
فَالغَيْثُ لا يَلْقَى الطَّرِيْقَ إلى الثَّرى والرِّيْحُ فيه لا تُطِيقُ دُخُولا
سُحُبٌ سَرَتْ فيها السُّيُوفُ بَوارِقاً وتَجاوَبَتْ فِيْها الرُّعُودُ صَهِيلا
طَلَعَتْ أَسِنَّتُها نُجُوماً في السَّما فَتبادَرَتْ عَنْها النُّجُومُ أُفُولا
تَرَكَتْ دِيارَ المُلْحِدِيْنَ طُلُولا مِمّا تُبِيْحُ بِها دَماً مَطْلُولا
والأَرْضُ تَرْجُفُ تَحْتَها مِنْ أَفْكَلٍ والجَوُّ يَحْسِبُ شِلْوَهُ مَأْكُولا[2]
حَطَمَتْ جَحافِلُها الجَحافِلَ حَطْمَةً تَدَعُ الحِمامَ مَعَ القَتِيلِ قَتِيْلا[3]
طَلَبُوا الفِرارَ فَمَدَّ أَشْطانَ القَنا فَأَعادَ مَعْقِلَهُمْ بِهِ مَعْقُولا[4]
عَرَفُوا الّذي جَهِلُوا فَكُلُّ غَضَنْفَرٍ في النّاسِ عادَ نَعامَةً إِجْفِيْلا[5]
أَيْنَ الفِرارُ ولا فِرارَ وبَعْدَهُمْ مَنْ لَيْسَ يَتْرُكُ لِلْفِرارِ سَبِيْلا
مَلِكٌ إذا هاجَتْ لَواقِحُ بَأْسِهِ تَرَكَ العَزِيْزَ مِنَ المُلُوكِ ذَلِيْلا

---

(١) تنفصي: تزول. نصولا: زوالا.

(٢) في (أ): «والجو يكسب سلوة ..» وفي (ج، د): «... شاوه ماكولا».

(٣) في (أ): «خطبت ...» وفي (ب): «تدع الجمام ...» مختل الوزن.

(٤) في (ج، د، هـ): «... سلطان القنا».

(٥) في (ج، هـ): «في البأس ...».

يَقْفُو المُظَفَّرُ والشَّهِيدُ مآثِراً وعُلَى وفَخْراً في المُلُوكِ أَثِيْلا
وافى إلى عَدَنٍ كَمَقْدَمِ جَدِّهِ سَيْفِ بْنِ ذي يَزَنَ الكَرِيْمِ أُصُولا
بَحْرٌ إلى بَحْرٍ ولَيْسَ كَمِثْلِهِ والبَحْرُ أَحْقَرُ أَنْ يَكُونَ مَثِيْلا[1]
فَتَطايَرَتْ أَمْواجُ لُجَّتِهِ إلى عَيْذابَ يُنْذِرُ دِجْلَةً والنِّيلا
واسْتَقْبَلَتْ عَدَنٌ جَبِيْنَكَ والْتَقَتْ في مُلْتَقاهُ سَعادَةً وقَبُولا
والشَّمْسُ تَحْسُدُ تاجَكَ المَعْقُودَ والـ إِكْلِيْلُ يَحْسُدُ ذلِكَ الإِكْلِيْلا
لو يَسْتَطِيعُ الثَّغْرُ كانَ مُقَبِّلاً بِالثَّغْرِ مِنْهُ رِكابَكُمْ تَقْبِيْلا
إِنْ جاوَرَتْ هذي الشَّمائِلُ ثَغْرَهُ جَعَلَتْ مَذاقَ الماءِ مِنْهُ شَمُولا[2]
أَنْتَ الّذي الدُّنْيا مُبَشَّرَةٌ بِهِ والنّاسُ يَنْتَظِرُونَ جِيْلاً جِيْلا[3]
فَاليَومَ قد وَهَبَ الإِلَهُ لِخَلْقِهِ ظِلًّا على الأَقْطارِ مِنْهُ ظَلِيْلا
وأَتى لَهُمْ بَدْرُ السَّماءِ بِذِمَّةٍ مَكْتُوبَةٍ: ﴿لَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾
أَهِزَبْرَ غَسّانَ بْنِ قَحْطانَ الّذي نَدْعُوهُ في النَّسَبِ القَبِيْلِ قَبِيْلا[4]
في حَيْثُ ما وَقَعَتْ بُنُودُكَ نُزِّلَتْ آياتُ نَصْرِكَ فَوْقَها تَنْزِيْلا[5]
لولا العَوائِقُ والعَلائِقُ لم أَغِبْ عَنْ ظِلِّ بابِكَ بُكْرَةً وأَصِيْلا
ومِنَ التَّكَرُّمِ والتَّفَضُّلِ لم يَزَلْ عُذْري إلى صَدَقاتِكُمْ مَقْبُولا

---

(١) في (أ، ج، د، هـ): «... يسير بمثله».
(٢) في (ج، د): «... الشمائل منكم» وفي (هـ): «... الشمائل نحره». وفي العقود (١/ ٣٢٠): «إن جاوزت ...».
والشَّمول: الخمرة.
(٣) في (ج، د، هـ): «... مبشرة به».
(٤) في (الأم، ب): «.. والنسب ...»، وما أثبت عن بقيّة النسخ..
(٥) في (أ، ج، د، هـ): «في حيث ما رفعت ...».

لا زَالَ تَوْفِيقُ الإِلَهِ مُقارِناً لَكَ حَيْثُ كُنْتَ إِقامَةً ورَحِيْلا[١٢٦ب]

وقدَّم التّجّار المقيمون بالثَّغر المحروس التّقاديم النّفسية على عوائد الملوك، فردّها السّلطان وأمر بإفاضة الخُلَع عليهم والتّشاريف والمراكيب منَ البِغال المختارة بالعُدَد الكاملة والسُّرُوج المُذهبة، والزّنانير المُنوَّعة، وأجرى نَواخِيْذ(١) الهند على جاري عادتهم وأمر بإكرام النَّواخِيْذ والتّجّار المتردّدة إلى الثَّغر، وأمر بإبطال ضمان بيت الخلّ، وأقام بعدله موسم الفضل وشاهد موسم الخيل(٢) من دار الطّويلة، وسارت النَّواخِيْذ والتّجّار الكارِميّة ناشرين لواء عدله في أمصارهم، وابتسم الثَّغْر عن مقالته.

وكانت إقامته في المدينة إلى ثاني يوم من ذي الحِجَّة، وعيّد عيد النَّحْر بفوز، وأقام الشّعراء على خُوان العيد بالقصائد المختارة على جاري عادتهم كعادة أبيه وجدِّه، وعاد قافلاً إلى مدينة تَعِزّ.

وفي سنة تسع وتسعين: توفِّي الأمير الكبير الشّريف جمال الدّين عليّ بن عبد الله بن الحسن بن حمزة بن [سليمان بن حمزة بن](٣) عليّ بن حمزة، وكان من رؤوس الأشراف ووجوههم وأعيانهم وصدورهم، وقد أناف على سبعين(٤) سنةً، وكانت وفاته يوم الثّامن من شهر جُمادَى الآخرة منَ السَّنة المذكورة.

وتمثّل ابنه عند موته بقول زياد الأعجم، حيث يقول: (منَ الكامل)

ماتَ المُغِيْرَةُ بَعْدَ طُوْلِ تَعَرُّضٍ لِلْقَتْلِ بَيْنَ أَسِنَّةٍ وصِفاحِ(٥)

ولـمّا مات الشّريف - كما ذكرنا - أجمع أهلُهُ على تقدّم ولده الأمير عماد الدّين

---

(١) النَّواخيذ: جمع النّاخوذ، وهو قبطان السّفينة.

(٢) في (ج، د، هـ): «الخير».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٤) الرسم في (الأمّ، ب) يحتمل أن يقرأ: «سبعين» و«تسعين» وكتب فوقه بالرقم: «٧٥٠».

(٥) في (ج، د): «... أسنة ورماح».

إدريس بن علي بن عبد الله، وكان الشّريف إدريس بن عليّ من أعيان الرّجال، جامعاً لخصال الكمال، فارساً هُماماً، شجاعاً مقداماً، أديباً أريباً، عاقلاً لبيباً، جواداً كريماً، عفيفاً حليماً، جامعاً لأشتات العلوم منَ المنثور والمنظوم، وهو مصنِّف كتاب (كنز الأخيار في التّواريخ والأخبار) وله غيره عدّة مصنَّفات.

فكتب إلى السّلطان يعرف خاطره الكريم أنّه ثمرة شجرةٍ غرسها إنعامه، وغصن دَوحةٍ سقاها إكرامه.

وتقدّم الشّريف شكر بن عليّ القاسميّ إلى الباب [الشّريف][1] فقرّر له عند السّلطان قاعدة[2]، وكاتبه أن يصل إلى الأبواب الكريمة، وكتب له بذِمَّة، فتقدّم إلى الباب الكريم، فوصل في آخر شهر ذي القِعْدة، وكان السّلطان يومئذٍ مقيماً بثَعَبات فأُحضر إلى دار السّلام للسّلام، فتلقّاه السّلطان بالتّرحيب التّامّ والإجلال والإكرام، واتّفق حضور عيد النَّحْر منَ السَّنة المذكورة، فبرز الأمر العالي إلى أتابك العسكر المنصور: ألّا يستفتح الميدان أحدٌ غيره، مقدّماً على أعيان الأمراء ووجوه الدّولة، فكان كذلك.

ولـمّا كان بعد العيد جرى الكلام في تسليم الحصون الّتي تحت يدِهِ، وهي العَظِيْمة والمِيْقاع، فرأى أن تسليمها عنوان السّلامة؛ لأنّها كانت[١٢٧أ] عنده عدالة، وخشي أن تؤخذ عليه فيتّهم بالمساعدة فسلّمها.

وفي هذه السّنة: أخذ الملك المُظَفَّر حصن عَراس قَهْراً بالسّيف، وقبله حصن رباب[3] وهما معاً للإسماعيليّة، وأقيمت لذلك في صنعاء فرحةٌ عظيمة، وكسا جامعَهُ بأنواع الملابس، وأمر أمير البلد أن تلبّس الدّكاكين والأسواق وأظهروا سبَّ الإسماعيليّة ولَعْنهم.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ).

(٢) قوله: «قاعدة» ليس في (ج، د، هـ).

(٣) في (ج، د): «وقبض حصن رباب».

وفي سنة سبعِ مئة: تسلَّم نوّاب السّلطان الحصون الّتي كانت تحت يدِ الشّريف عماد الدّين إدريس بن عليّ في سادس عشر المحرّم، وأمر السّلطان أن يجرى على عادة أبيه، فحملت لـه الطَّبْلخانة والأعلام، وأمر لـه بسبعة آلاف دينار وتُحَفٍ وملابس وخيلٍ ومماليك، وركب في الأمراء والأَجْناد في الخدمة الشّريفة تحت خَوافق الأعلام السّلطانية وارداً وصادراً، وانثنى إلى داره فيمن معه منَ العسكر المنصور، فأقبلوا إلى سِماطٍ جليلِ الشّأن مختلف الطّعم والألوان، وقبض المنشور بإقطاع مدينة القَحْمَة.

وفي هذه السّنة: تقدّم الرِّكاب العالي إلى تِهامة، فكان دخوله زَبِيْد يوم الثّالث من صفر فأقام فيها إلى أيّامٍ من شهر ربيعِ الأوّل، ثمّ سار إلى الجهات الشّماليّة يريد الأعمال السُّرْدُديّة، فدخل مدينة المَهْجَم في ألف فارسٍ من عسكره، وهنّأه عدّةٌ من شعراء دولته، منهم العفيف عبد الله بن جعفر فقال: (منَ الكامل)

لو كانَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ الزّائِرا ... لَكَ سُرْدُدٌ لَمَشَى إِلَيْكَ مُبادِرا
مَنَعَ الجَمادَ جُمُودُهُ أَنْ يَعْتَري ... عَتَباتِ بابِكَ وارِداً أو صادِرا
لو تُفْتَقُ الأَرْواحُ مِنْ جِسْمِ الرُّبَى ... لَرَأَيْتَ غائِبَها بِبابِكَ حاضِرا[1]
وتَمَرَّغَتْ أَيْضاً على الأَرْضِ الّتي ... فِيْها مَقامُكَ أَوْجُهاً ومَحاجِرا
شَرَّفْتَ مَهْجَمَ سُرْدُدٍ فَتَشَرَّفَتْ ... ورَفَعْتَها فَوْقَ النُّجُومِ مَفاخِرا
أَوْرَدْتَها رَجْراجَةً جَفْنِيَّةً ... خَضْراءَ طامِيَةً تَفِيْضُ عَساكِرا[2]
بَحْرٌ إذا ما الرِّيْحُ سارَتْ فَوْقَهُ ... جَعَلَتْ لِمَسْلَكِها البُنُودَ قَناطِرا[3]
شَرَعَتْ صُدُورُ الخَيْلِ في حافاتِهِ ... حتّى حَسِبْتَ الفُلْكَ فِيْهِ مَواخِرا

(١) في (أ، ج): «... في جسم الربى» وفي (هـ): «... جسم في الربى».

(٢) في (الأمّ، ب): «رجاحة» وهو تحريف، وصوابه عن بقيّة النّسخ وما يقتضيه السياق.

(٣) في (هـ): «بحراً إذا ...» بالنصب وهي متجهة.

أذكَرتُهُ مَغْدَى أبيكَ لِمكَّةٍ ... وإيابُهُ مِنها فأَصْبحَ ذاكِرا[1]

وكَفاهُ فَخراً أنْ يَمسَّ قَساطِلاً ... كَرِكابِكُمْ ومَناسِماً وحَوافِرا[2]

حَظّاً يَكُنْ فيهِ تُرابُ بِلادِهِ ... مِسْكاً ويَرْمَعُهُ يَعُودُ جَواهِرا[3]

عَجَباً لِحُكْمِكَ في الخَلائِقِ عادِلاً ... ولِحُكْمِ كَفِّكَ في الخَزائِنِ جائِرا[4]

ولِحَدِّ سَيفِكَ أَينَ غايَةُ حَدِّهِ ... إذْ لَيسَ يَبْرَحُ في الرِّقابِ مُسافِرا

نارٌ بِقَبْضَةِ راحَةٍ فَيّاضَةٍ ... فالبَرْقُ يَصْطَحِبُ السَّحابَ الماطِرا[5] [١٢٧ب]

ولَقَدْ تَعَدَّى في العُلَى أَفْعالَهُ ... ضَرْباً فكُنَّ لَها الفُتُوحَ مَصادِرا

نَبَتَتْ أُصولُ المُلْكِ بَيْنَ بُيوتِكُمْ ... فَقَسَمْتُمُوها سُؤْدُداً ومآثِرا

فَحَكَتْ أَواخِرُكُمْ بِذاكَ أَوائِلاً ... وحَكَتْ أَوائِلُكُمْ بِذاكَ أَواخِرا

أُنْجِبْتَ مِنْ جُرْثُومَةٍ مَلَكِيَّةٍ ... حُسْنُ المُظَفَّرِ ثُمَّ عِيسَى الظّافِرا

أَعْجَزْتَ أَلْسِنَةَ الخَلائِقِ كُلِّها ... مَدْحاً، فَكَيْفَ أَكُونُ وَحْدي قادِرا

فَبَقِيْتَ يا رُكْنَ الخِلافَةِ دائِماً ... أَبَداً وكانَ لَكَ المُهَيْمِنُ ناصِرا

وفي شهر جُمادَى الأخرى: قفل السّلطان منَ المَهْجَم إلى زَبِيْد فتقدَّمتِ العساكر المنصورة إلى بلاد المَعازِبَة لفسادٍ ظهر منهم، فقتل منهم جمعٌ كثير، ونُهبت لهم أموالٌ كثيرة، وسلّموا الرّهائن فتركت في زَبِيْد، وتقدّم إلى النَّخل، ثمّ إلى البحر في أوائل شهر رجب وأقام في النّخل، ثمّ أقطع ولده الملك الظّافر صنعاء، فلقيته القبائل إلى نَقِيْل صَيَد، وسار

---

(١) في (الأم، ب): «أذكرته بعدى» محرّفاً، وما أثبت عن (أ، ج، د).

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «الركابكم ...» وفي (د) أيضاً: «... يمسك قساطلا» مختل الوزن.

(٣) صدره في (ج، د): «حظاً تكون في ترب بلاده». واليَرْمَع: الحصى الأبيض الذي يلمع.

(٤) في (ج): «عجباً لحلمك ...».

(٥) في (أ، ج، د، هـ): «... الغمام الماطرا».

إلى رَداع ثمّ إلى ذَمار، وكان دخوله صنعاء(١) في العشر الأواخر من رمضان.

وفي سنة إحدى وسبع مئة: طلع السّلطان الدُّمْلُؤة فأقام فيها عشرين يوماً، وعاد إلى تَعِز، ثمّ عزم السّلطان على طلوع البلاد العُلْيا، فاستدعى الشّريف عماد الدّين إدريس بن عليّ منَ القَحْمَة، فلمّا صار الشّريف في تَعِز اتّصل العلم بأنّ الشُّرفاء بني عليّ أصحاب المِخْلاف السُّليمانيّ قتلوا المقدّم خَلْطيا(٢) وأخذوا من رتبته أربعين فرساً(٣)، وكان مقيماً بالرّاحة في مئة فارس، فبرز مرسوم السّلطان إلى الشّريف إدريس بالتَّقدُّم نحوهم وأضاف إليه عسكراً من الحَلَقة المنصورة ومشدّ زَبِيْد أحمد بن الخَرْتَبَرْتي، والأمير المتولّي بحَرَض، فسار العسكر المنصور إلى الرّاحة، فدخلوها قهراً بالسّيف في آخر شعبان منَ السّنة المذكورة، وحُرِّقت قرى المفسدين وهربوا، وتبعهم العسكر إلى نحو اللُّؤلُؤة، ثمّ طَلَبوا الصُّلح وأعادوا الخيل الّتي أخذوها منَ الرّتبة، وتسلّم نائب السّلطان الرّاحة وهو الأمير الشّريف السّيّد عليّ بن سليمان(٤) بن عليّ وانثنى العسكر راجعاً إلى باب السّلطان.

وفي شهر جُمادَى الأخرى: أوقع الأمير سيف الدّين طَغْرِيل بالجحافل والعَجالم وكان يومئذٍ مُقْطَعَ لَحْج، فقتل منهم نحواً من أربعين رجلاً، ثمّ اتّفق له وقعةٌ أخرى بهم فقتل منهم في ناحية الدُّعَيس نحواً من سبعين رجلاً.

وفي هذه السّنة: توفّي الأمير الكبير الشّريف نجم الدّين أبو نُمَيّ محمّد بن أبي سعد(٥) بن عليّ بن قَتادة الحسنيّ صاحب مكّة حرسها الله تعالى، وكان أميراً كبيراً له بَخْتٌ وحَظّ في الآمريّة، راغباً في الأدب وسماعه، وله الإجازات السّنيّة[١٢٨أ] للشّعراء الوافدين عليه من إطلاق الخيل الأصائل في قُبالة القصائد.

---

(١) قوله: «دخوله صَنْعاء» ليس في (ب).

(٢) في (أ): «خطلبا» وفي (ج، د، هـ): «خلطبا».

(٣) في (أ، ب): «فارساً».

(٤) في (ج): «علي بن حاتم بن سليمان».

(٥) في جميع النّسخ: «أسعد» وما أثبت عن العقد الثّمين: ١/ ٤٥٦.

ولمّا وافاه أمير المحمل السّعيد والعَلَم المنصور السّلطانيّ وهو القائد بن زكي[1] في السّنة الّتي اتّصل فيها السّلطان الملك المؤيّد بالملك تلقّاه الشّريف أبو نُمَيّ بالإجلال والإكرام، وخفقت ذَوائب العَلَم المنصور على جبل التّعريف بعَرَفَة، وأعلن مؤذّن قبّة زَمْزَم بمناقب السّلطان على رؤوس الأشهاد، فسمع تلك الأوصاف من ضمّه ذلك المقام الشّريف، وحُلِف للسّلطان الأيمان المُغلَّظة، وكتب على قميصه لمُقْتَضى ما جرت به العادة، ووصل إلى الشّريف ما اقتضته المواهب السّنيّة ممّا كان قرّره والده الخليفة منَ العَيْن والغَلّة والكَساوي والطِّيْب منَ المسك والعُود والصَّنْدَل والعَنْبَر والثياب الملّونة والخُلَع النّفيسة، وكان مبلغ العَين ثمانين ألف درهم، ومبلغ الغَلَّة أربع مئة مُدٍّ، واستمرت آمريّته على مكّة ونواحيها أكثر من خمسين سنة.

وكان له منَ الولد عشرون ولداً، فافترقت [أولاده بعده وافترق][2] الأشراف والقُوّاد مع أولاده، فكان طائفةٌ منهم مع رُمَيْثة وحُمَيْضة وطائفةٌ أخرى مع أبي الغيث وعُطيفة، فاستقوى رُمَيْثة وحُمَيْضة على أبي الغيث وعُطَيْفة[3] فلزموهما فأقاما في حبسهما مدّة، ثمّ احتالا فخرجا، وتجوَّرا في بعض دور الأشراف والقُوّاد فأجاروهما.

ولمّا وصل الحاجّ المِصريّ تلقّاهم أبو الغيث فمالوا إليه، ولمّا انقضى الموسم قبض أمير الحاجّ المِصريّ على الشّريفين رُمَيْثة وحُمَيْضة، وكان أمير الحاجّ يومئذٍ ركن الدّين بِيْبَرس فسار بهما إلى مصر مقيّدين وأمّر في مكّة أبا الغيث ومحمّد بن إدريس وحلّفهما لصاحب مصر فأقاما أيّاماً.

ثمّ إنّ الشّريف أبا الغيث أخرج محمّد بن إدريس من مكّة واستبدّ بالأمر وجرت بينهما حروبٌ كثيرة، قتل فيها جماعة منَ الأشراف، وكتب أبو الغيث إلى السّلطان الملك

---

(١) في (ج، د، هـ): «زاكي».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) قوله: «فاستقوى ... وعطيفة» ليس في (هـ).

المؤيّد وبذل الطّاعة والخدمة والنّصيحة وأرسل برهينته، فقُبِل منه ذلك.

وفي آخر شهر رمضان منَ السّنة المذكورة: طلع مولانا السّلطان إلى البلاد العُلْيا، وكان السّبب الّذي أوجب طلوعه ما فعله الأميران موسى وتاج الدّين في الصُّلح من خراب تَعِزّ والقُبّة، ثمّ دعوة محمّد بن مطهّر إلى نفسه بالإمامة، واجتماعه بالأشراف في حُوْث(١) وتقدّمه إلى الطّريق(٢)، ونزول الأمير تاج الدّين إلى حَجَّة والمِخْلافة، وقد حالفت إليه بنو شاوِر وغيرهم من قبائل العرب، فأحرق العارِضة وعاد.

فلمّا طلع السّلطان من نَقِيْلِ عَجِيْب لقيه الأمير موسى بن أحمد إلى هنالك، والأمير عبد الله بن وهّاس، وطلع السّلطان جبل مفتح ظَفَار من جبل منيح(٣)، واستولى على القُبّة يوم الثّلاثاء آخر يوم [من] (٤) رمضان، فحطّ فيها بجميع عساكره، وسار بُكْرة الأربعاء [١٢٨ب] فأشرف على ظَفَار منَ الجهة الّتي تلي القاهر(٥) من غربيّها، ونزل جماعةٌ منَ [الحصن](٦) فقاتلوا في السّاقية، فقتل نقيبٌ للملك المنصور، وعاد السّلطان إلى القبّة فأقام بها ثمانية أيّام، وشرع في عِمارتها، فلحق العسكر فيها مَضَرَّة من عدم الماء والزّاد، فبلغت القِرْبة عشرة دراهم والزَّبْديّ الدّقيق كذلك.

فلمّا تحقّق السّلطان مَضَرَّة العسكر أمر بانتقال المحطّة إلى وَرْوَر، ورتّب في القبّة الأمير نجم الدّين موسى بن أحمد، ورتّب في تَعِزّ الحسام بن مسعود بن طاهر وهو الحصن القديم الّذي أخربه سليمان بن قاسم، وأمر بعِمارة الموضعين، ونصب في تَعِزّ منجنيقين، فأضرّ بهم المنجنيق غاية الضّرر.

---

(١) في (ج): «جوب».

(٢) كذا: «... إلى الطريق» وفي العقود (١/ ٣٣١): «... إلى الطَّرْف».

(٣) في (هـ): «صبيح».

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين سقط (الأمّ).

(٥) في (هـ): «القاهرة».

(٦) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ) وهي بياض في بقيّة النّسخ.

واستمرّ بالحصار، وقد يقع قتالٌ في بعض الأوقات تحت باب النّصر بين أهل المحطّة وأهل ظَفار، ثمّ أصاب الدّوابّ بالمحطّة آفةٌ فمات كثيرٌ منَ الجمال خاصّة، وكان السّعر تارةً يرخص فيبلغ الزَّبْديّ أربعة دراهم، وقد يَغْلُو فيبلغ سبعة دراهم.

فلما كان ثالث الحِجَّة - أو رابعها -: طلع السّلطان تَعِزّ وأشعر العسكر الزَّحْفة والقتال فبَرَقَتْ[١] الكُوسات الهِزَبْريّة، وخفقتِ السَّناجق السّلطانيّة، فأشبهت البُرُوق اللّوامع، فرأى الأمير علم الدّين سليمان بن قاسم أنّه إن دام هذا الأمر أدّى إلى خراب بلاده، فأعمل في ذلك فأخرج بني أخيه وجماعةً منَ الأشراف إلى خارج عند باب خَيْبَر، وكان معهم وزيره عليّ بن دحروج[٢] فصاح بأعلى صوته: إنّ الأمير والأشراف[٣] يسألون[٤] منَ السّلطان أن يشرف عليهم، فأشرف السّلطان عليهم، فخدَّموا له بأجمعهم وقالوا: نحن غِلمان السّلطان، وطلب ابن دحروج ذِمَّةً يقبل بها إلى المخيّم. فأُجِيب إلى ذلك، فنزل ومثل بالمقام السّلطانيّ واستقرّ الأمر على أنّ الشّريف سليمان بن قاسم يبيع على مولانا السّلطان حصن تَلَمُّص[٥] بخمسين ألف دينار، ويرهن بذلك أحد ولَدَي أخيه: محمّداً أو داوداً، ووزيرَهُ عليّ بن محمّد بن دحروج، وأن يخرب السّلطان تَعِزّ المعمورة على ظَفار والقبّة، وعلى أنّ الأمير تاج الدّين يسلِّم حصن الحَدَّة والحقوت[٦]، ويخرّب حصن شُرَيْب[٧] ويناقل بشيءٍ من بلاده إلى بلاد مُدَع، ويرهن ولده.

---

(١) (أ): «مترقب» وفي (ج): «فبرزت» وفي (هـ): «فترقب»، والكوسات: الطّبول؛ وهي - في العادة - تدقّ وتضرب، ولعله أراد ببرقها لمعانها عند رفعها لتضرب وتدقّ.

(٢) في (ج): «رحروح».

(٣) قوله: «إلى خارج ... الأمير والأشراف» سقط في (أ).

(٤) في (الأم، أ، ب): «يسالوا» وفي (ج، د، هـ): «سالوا».

(٥) في (ج): «حصن كوكبان تلمص».

(٦) في (أ، ج، د): «والحقوب».

(٧) قوله: «شريب» ورد في جميع النّسخ مهمل السّين، وهو معجمها؛ انظر صفة جزيرة العرب: ١٩٥.

فقال مَن حول السّلطان: هذه مصلحةٌ عظيمة، فإنّ السّلطان يملِك صَعْدَة بغير شريك[1]، وهذه الرّهائن وثيقةٌ لمن صدق، فأجاب السّلطان إلى ذلك، وقبض الرّهائن بعد أن صاح لهم بالطِّيب، وأطلع لهم المال المشروط، وجهّز مولانا الفقيه شرف الدّين أحمد بن عليّ الجُنَيد[2] في عسكر لقبض تَلَمُّص، وأرسل الشّريف سليمان بن قاسم رسولاً معهم من أحد ثقاته وتقدّموا جميعاً[١٢٩أ] إلى صَعْدَة، وعَيّد السّلطان عِيد النَّحر في وَرْوَر، وتخلّف الشّعراء عنِ الوصول لبُعْد الشُّقّة، فلم يحضر منهم إلّا الأديب سابق الدّين يوسف العَنْسيّ[3]، فقام بقصيدةٍ وهي: (منَ الكامل)

المُلْكُ لَيسَ تَنامُ مِنْهُ عُيُونُ ... حتّى تَسِيلَ مِنَ الدِّماءِ عُيُونُ[4]
لولا إزالَتُكَ المَصُونَ مِنَ العِدَى ... ما باتَ وَجْهُ الدَّهْرِ وَهْوَ مَصُونُ
وافَيْتَهُ بِكتَائِبٍ أَعْلامُها ... النَّصْرُ والتَّأْيِيْدُ والتَّمْكِيْنُ
مِنْ كُلِّ أَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ أَصْبَحَتْ ... مِنْهُ سُهُولُ الأَرْضِ وَهْيَ حُزُونُ[5]
لو شِئْتَ تُورِدُ بَعْضَهُ جَيْحُونَ ما ... أَرْواهُ جَيْحُونٌ ولا سَيْحُونُ
كم نَقْعِ لَيْلٍ قد دَجا مِنْ رَكْضِهِ ... فَجَلاهُ سَرْدُ دِلاصِهِ المَوضونُ[6]
ضاقَتْ لِكَثْرَتِهِ البَسِيْطَةُ كُلُّها ... فَمُقامُها في الشَّرْقِ أَيْنَ يَكُونُ
فَدَعِ الحُصُونَ بَلاقِعاً مِنْ أَهْلِها ... فَلَقَدْ أَضَلَّتْهُمْ عَلَيْكَ حُصُونُ[7]

(١) في (ج): «اشك».
(٢) في (ج، د): «ابن الجنيد».
(٣) في (الأم): «العبسيّ» وغير معجمة في (ب، ج، هـ)، وما أثبت – وقد مرّ – (أ، ج).
(٤) في (أ، ج، د): «... فيه عيون» وفي (هـ): «... عنه عيون».
(٥) في (ج، د): «... أرض مكفهر».
(٦) في جميع النّسخ: «... المضنون» ولعلّه وَهْم، والصّواب ما أثبت؛ والموضون من الدّروع: ما كانت منسوجة حلقتين حلقتين.
(٧) بعده في (هـ): «ضلوا السكون بها وضلوا إنهم ... قد ضلهم أيضاً عليك حصون».

فَاطْحَنْهُمُ طَحْنَ النَّوَى بِكَتائِبٍ هِيَ لِلطُّغاةِ جَمِيْعِهِمْ طاحُونُ[(١)]

فَالأَرْضُ إِرْثُكَ كُلُّها مِنْ تُبَّعٍ فَاعْقِلْ حَدِيْثِي فَالحَدِيْثُ شُجُونُ

غُمْدانُ قَصْرُكُمُ القَدِيْمُ وقَصْرُكُمْ صِرْواحُ ثَمَّ وقَصْرُكُمْ بَيْنُونُ[(٢)]

أَظْهَرْتَ بِالجَيْشِ العَرَمْرَمِ كُلَّ ما أَخْفَتْ ظُهُورٌ مِنكُمُ وبُطُونُ

خَرِّبْ ظَفارِ ولا تَدَعْ كُحْلانَ، تا جَ الدِّيْنِ، فَهْوَ لِمُلْكِهِمْ قانُونُ

واقْبِضْ ظَفارِ ولا تَدَعْهُ مُعَجَّلاً يا بْنَ المُلُوكِ فَفَوْقَهُ لَكَ دُونُ[(٣)]

أَنْتَ المُؤَيَّدُ بِالإِلهِ فَلا تَخَفْ مِمَّا يَكِيْدُكَ جاهِداً ويَخُونُ[(٤)]

هذي الخِلافَةُ سَعْدُها بِكَ طالِعٌ في حَيْثُ كُنْتَ ووَجْهُها مَيْمُونُ[(٥)]

لولاكَ للإِسْلامِ يا مَلِكَ الوَرَى كَهْفاً يَلُوذُ بِظِلِّهِ المِسْكِيْنُ[(٦)]

فَبَقِيْتَ للإِسْلامِ كَهْفاً واقِياً مِمّا عَراهُ وما عَسَى سَيَكُونُ

ونهض السّلطان من محطّته وَرْوَر يوم الجمعة الخامس عشر وسار نحو جُرْبان فزحف عليه يوم [الإثنين][(٧)] الثّامن عشر منَ الشّهر المذكور، فقاتل العسكر قتالاً عظيماً، وبلغ الشَّفاليت باب الحصن، ووقع عنده الطَّعن والضّرب، ونزل الشَّفاليت للكسوة، فأخرب أهل الحصن المحمولة، ورجع الشَّفاليت للقتال فوجدوها قد أخربت، وإلّا فما كان دون فتحه شيء، وقتل منَ الشَّفاليت جماعة رمياً بالنُّشّاب فيهم الأمير محمد بن الشّعبيّ.

---

(١) في (الأم، ب): «هي للطاغة...» غير متجهة. وفي (ج، د): «.. طحن الورى ..» وفي (هـ): «..طحن الرحى ..».

(٢) في (أ): «صرواح كان وقصركم بينون».

(٣) في (ج): «يا بن الكرام ...».

(٤) في (ب، د): «... جاهلاً ويخون».

(٥) في (أ): «... لك طالع».

(٦) في (ج) جعل صدر البيت التالي عجزاً هذا البيت وأسقط بقيتهما؛ وعجزه في (هـ): «لتنكر المفروض والمسنون».

(٧) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج).

فأمر السّلطان بالمحطّة ونصب المنجنيق فأقام ثمانية أيّام، ثمّ سار إلى صنعاء وترك في المحطّة على جُرْبان الأمير شمس الدّين عبّاس بن محمّد بن عبّاس بن عبد الجليل، والشّريف عماد الدّين إدريس[١٢٩ب] بن عليّ بن عبد الله، والأمير محمّد بن[١] حاتم ومحمّد بن أحمد بن عمر[٢] فوقفوا أيّاماً وطُلبوا إلى صنعاء.

ولمـا أراد السّلطان النّهوض من محطّة وَرْوَر قبل أن يسلّم الأشراف تَلَمُّص رهَنَهُ الأشراف: الأميرين محمّداً وداودَ ابنَي الأمير أحمد بن القاسم والشّيخ عليّ بن محمّد بن دحروج وولده وولد القاضي أحمد الرَّماديّ[٣] فقبض الرّهائن.

وفي سنة اثنتين وسبع مئة: جهّز السّلطان، رحمه الله، الشّريف إدريس بن عليّ فأخرب الجاهليّة رحابة[٤]، وجهّز الأمير شمس الدّين عباس بن محمّد بن عبّاس إلى جبل جَشْم فأخرب زروعهم، وكان السّلطان عند مسيره من وَرْوَر جهّز الفقيه شرف الدين أحمد بن علي الجُنَيد لقَبْض تَلَمُّص، وأرسل معه الأشراف رسولاً منهم، فامتنع أهل الحصن من تسليمه، وسلّموه إلى الشّريف أبي سلطان، فسار الشّريف شكر إلى الأشراف لتمام ما قد قيّدوه من تسليم حصن تَلَمُّص، فأقام عندهم أيّاماً، ثمّ وصل كتابه يطلب وصول[٥] الأمير محمّد بن حاتم فسيّره السّلطان إليهم، وفي خلال ذلك وصل الأمير سيف الدّين طَغْرِيل من لَحْج وكانت إقطاعَهُ، فأقطعه السّلطان صنعاء، وذلك في النّصف الثّاني من صفر، وأقام الشّريف شكر والأمير محمّد بن حاتم أيّاماً بظَفار، ثمّ عاد إلى السّلطان بذِمّة ستّة أشهر على رهائن أُخَر بَذَلها الأشراف، وطال الحديث في ذلك، فغضب

(١) قوله: «عباس بن عبد الجليل ... والأمير محمد بن» سقط في (د).

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «عمرو».

(٣) في العقود (١/٣٣٨): «الذماري».

(٤) في العقود (١/٣٣٨): «ورجانة».

(٥) في (الأمّ، ب):«رسول»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

السّلطان من ذلك غضباً شديداً، وجهّز الأمير سيف الدّين طَغْرِيل والأمير ابن وَهّاس فحطّوا في وَرْوَر، معهم الشّيخ محمّد بن عليّ [بن][1] دحروج في التّرسيم، وقد أظهر الخدمة والنّصيحة وتكفّل للسّلطان بأَخْذ ظَفار في مدّةٍ يسيرة. فلمّا صار العسكر في وَرْوَر صُدِّرُوا جيشاً فلزموا القُبّة وشرعوا في عِمارتها وأقامتِ المحطّة بوَرْوَر.

ووقع في البلاد قحطٌ عظيمٌ شديد، فبلغ الزَّبْديّ في المحطّة أربعة دنانير وأكثر من ذلك، وخلا كثيرٌ منَ البلاد من أهلها وماتوا جوعاً، وابتاع الطِّين بأرخص الأثمان، وعمّ القحط اليمن جميعه.

واستمرّ الشّريف إدريس بن سلطان في تَلَمُّص، وخالف الأمراء إلى عزّ الدّين، وغار[2] أهل صَعْدَة من فَلَلَة، فجهز السّلطان الأمير نجم الدّين موسى بن أحمد إلى صَعْدَة لصلاح أمرها، وجهّز الأمير عبّاس بن محمّد في عسكرٍ إلى بلاد الأمير تاج الدّين لحربه ولزم الأشراف محمّد بن الرّمادي وأخذوا ما وجدوا في بيته.

وفي رجب: وقع في مِخْلاف صنعاء والظّاهر أمطارٌ عظيمة، وكان السِّعْر على حاله، ودخل ظَفار من هذا المطر ما ملأ مواجِلَهُ، ولم تزلِ المحطّة على ظَفار وعلى تَلَمُّص، وازداد السِّعر غَلاءً حتّى بلغ الزَّبْديّ الدّقيق بالمحطّة ثلاثين درهماً.

وفي بواقي أيّام رجب: تداعى النّاس إلى الصّلح على ردّ المال المسلم في تَلَمُّص [١٣٠أ]، فسلّموا منه ستّة عشر ألفاً وحريراً وحَلْياً باثني عشر ألفاً، وامتهلوا في الباقي إلى عشرة أيّام في شوّال، ورهنوا فيه ولدَي الأمير أحمد بن قاسم وحصن العرارة[3] على يدِ الأمير ابن وَهّاس، وأخرج بنو دحروج حريمهم من ظَفار وسكنوا صنعاء، وسلّم الأمير

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، هـ)، وقد مرّ على الصّواب غير مرّة.

(٢) في (هـ): «وعادوا» وفي بقيّة النّسخ بما فيها (الأمّ): «وغاروا».

(٣) في العقود (١/٣٣٩): «المدارة».

تاج الدّين الحدَّة وخَرَّب شُرَيْب[١] ورهن ولده مع رهينة الأمير سليمان بن قاسم[٢] وانعقد بين السّلطان وأصحاب ظَفار وتاج الدّين: على أنّ السّلطان يحارب تَلَمُّصاً ويفعل فيه ما يشاء ولا عتب.

وفي هذه السّنة: أقطع السّلطان الشّريف عماد الدّين إدريس بن عليّ لَحْجاً حين انفصل منها طَغْرِيل، وذلك في شهر ربيعٍ الأوّل منَ السَّنة المذكورة، فسار إليها فوصلها يوم الرّابع من شهر ربيعٍ الآخر، وكانتِ الجحافل قد جمعت جموعاً وحطّت بالصّعيد.

فلمّا وصل الشّريف عماد الدّين إلى الدُّعَيس ارتفعوا عن محطّتهم فأغار عليهم العسكر فأدركوا جماعةً منهم يوسف بن صدقة فقتلوه واحتزّوا رأسه.

وأقامتِ الجحافل بعد ذلك مدّة وهم يغزون إلى السّاحل وغيره، ثمّ قصدهم الشّريف عماد الدّين، ولقيه الأمير بدر الدّين محمّد بن حسن[٣] بن نور وكان مُقْطَعَ أَبْيَن يومئذٍ، فدخلوا عليهم موضعاً يسمّى الشُّعْبَة، وبلغوا مواضع من بلادهم لم يبلغها أحدٌ منَ العساكر السّلطانيّة قبل ذلك.

ولمّا رجع الأمير من غزوته جهّز عسكراً إلى السّاحل، فظفر العسكر بإبراهيم بن سفيان[٤] بن عبد العزيز، وكان فارس الجحافل يومئذٍ فقتلوه واحتزّوا رأسه، وظفرت خيلُ الصّعيد بخمسةٍ منَ العَجالم فقتلوهم.

وتوجّه السّلطان إلى اليمن في شعبان من هذه السّنة: فدخل حصن تَعِزّ المحروس يوم الجمعة آخر يوم من شعبان، وقيل: أوّل يوم من رمضان.

وفي هذه اللّيلة المذكورة: توفّي الملك العادل صلاح الدّين أبو بكر بن الملك الأشرف، وكانت وفاته في قرية ضِراس.

---

(١) في (الأم، أ، ب، د): رسم «شريب» غير واضح، وفي(ج): «وحريب وسريب» وفي (هـ): «وحريب سريب».

(٢) قوله: «وحصن ... الأمير سليمان بن قاسم» سقط في (د).

(٣) في (هـ): «أحسن».

(٤) في (أ): «سقير» وفي العقود (١/ ٣٤٠): «سعد».

وفي آخر رمضان: طلع الشّريف إدريس بن عليّ إلى تَعِزّ المحروس (١) بسبب العيد، وحضر جماعةٌ منَ الشّعراء، وقام العفيف عبد الله بن جعفر بقصيدةٍ من عيون شعره، وهي: (منَ البسيط)

أَثْمارُ هذا القَضِيْبِ الرَّطْبِ أَلْوانُ ... كَرْمٌ وطَلْعٌ وتُفّاحٌ ورُمّانُ
أَهكذا الفِضَّةُ البَيْضا إذا نَبَتَتْ ... غُصْنٌ وزَهْرَتُها في الخَدِّ عِقْيانُ(٢)
ظَبْيٌ مَباسِمُهُ دُرٌّ ورِيقَتُهُ ... خَمْرٌ وأَنْفاسُهُ رَوْحٌ ورَيْحانُ
قَدْ صَحَّ مَنْشُورُ إِقْطاعِ القُلُوبِ لَهُ ... ونُونُ حاجِبِهِ في الخَدِّ عُنْوانُ(٣)
وأَضْرَمَ الحُسْنُ في أَمْواهِ وَجْنَتِهِ ... ناراً لَها مُهَجُ الأَكْبادِ قُرْبانُ(٤)
عَجِبْتُ إِذْ نَبَتَ المَرْجانُ في فَمِهِ ... وقَبْلَها لم يَكُنْ بِالعَذْبِ مُرْجانُ[١٣٠ب]
تَصْوِيْرُ شَخْصِكَ في عَيْنَيَّ مُمْتَنِعٌ ... أَنْ تَلْتَقِي لِيَ فَوْقَ النَّومِ أَجْفانُ(٥)
هذي دُمُوعي بِوَجْدي مِثْلُ شاهِدَةٍ ... تُنْبِيْكَ بِالشّانِ ما يَجْري بِهِ الشّانُ(٦)
ما اخْتَصَّ ناظِرُكَ السّاجي بِأَنْفُسِنا ... بِفِتْنَةٍ كُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ فَتّانُ
لا تَمْشِ بِالصَّبِّ في طُرْقِ الهَوَى مَرَحاً ... ﴿وَٱقْصِدْ﴾ كما قالَ في فَحْواهُ لُقْمانُ
أَتَسْتَبِيحُ جُباراً قَتْلَ أَنْفُسِنا ... والأَرْضُ فِيْها هِزَبْرُ الدِّيْنِ سُلْطانُ(٧)
سَيْفٌ مِنَ اللهِ لولا حَدُّهُ عُبِدَتْ ... كَأَوَّلِ الدَّهْرِ أَصْنامٌ وأَوْثانُ

---

(١) قوله: «يوم الجمعة ... تعز المحروس» سقط في (هـ).

(٢) البيت سقط في (ج). وفي (أ، هـ): «... قد نبتت» وفي (د): «... قد ثبتت». **والعِقيان:** الخالص منَ الذَّهب.

(٣) عجزه في (هـ): «ولون حاجبه في الخط عنوان».

(٤) في (ج، د، هـ): «... أمواج وجنته».

(٥) ورد البيت في (أ) قبل سابقه.

(٦) في (ب): «هذي دموعي بأجفاني ...» وفي (ج، د، هـ): «.. منك شاهدة».

(٧) **جُباراً:** هدراً؛ يقال: حربٌ جبار لا قود فيها ولا دية، والجُبار من الدم: الهدر؛ اللسان: (ج ب ر).

مَلْكٌ مَكارِمُهُ غَيْثٌ ونَجْدَتُهُ غَوْثٌ وأيّامُهُ أَمْنٌ وإِيمانُ
في حُكْمِهِ لِشَدِيْدِ البَأْسِ مَدْرأَةٌ تُرْضي الإِلهَ وحَدُّ السَّيْفِ غَضْبانُ(١)
مُسْتَحْسَناتُ صِفاتِ النّاسِ قَدْ جُمِعَتْ فِيْهِ فَدَعْهُمْ فَأَهْلُ الأَرْضِ إِنْسانُ
لِمْ لا ويُوْسُفُ شَمْسُ الدِّين مَنْبِتُهُ ومَنْبِتُ الأَصْلِ قابُوسٌ ونُعْمانُ(٢)
وتُبَّعُ الأَكْبَرُ السّامي وذو يَزَنٍ عَمٌّ، وبَيْتُكَ صِرْواحٌ وغُمْدانُ(٣)
تِلْكَ العَباهِلُ مِنْ قَحْطانَ إِنْ عَدِمُوا فَبِالمُؤَيَّدِ عادُوا مِثْلَما كانُوا
ما ضَرَّ داودَ مالٌ ظَلَّ يُنْفِقُهُ داودُ بَحْرٌ بِهِ المُرْجانُ مَجّانُ
أَنْتَ المَلِيْكُ الّذي في عَصْرِهِ أَمِنَتْ مِنْ عَصْرِهِنَّ عَناقِيْدٌ وقُنْوانُ
وطَهَّرَ اللهُ أَرْضاً أَنْتَ مالِكُها مِنْ أَنْ يَكُونَ بِها كُفْرٌ وعِصْيانُ(٤)
هُنِّئْتَ يا مالِكَ الدُّنْيا بْنَ مالِكِها ثَلاثَةٌ هُنَّ لِلأَفْراحِ صُنْوانُ
نَصْرٌ وحُسْنُ قُدُومٍ جاءَ بَعْدَهُما عِيْدٌ بِوَجْهِكَ يا داوُودُ يَزْدانُ(٥)
وفي اللَّيالي فُنُونٌ مِنْ سَعادَتِكُمْ إِنَّ اللَّيالي لِما تَهْواهُ خُزّانُ
فَلا بَرِحْتَ على مَرِّ الزَّمانِ كذا ولا خَلَتْ مِنْكَ أَوْقاتٌ وأَحْيانُ

وفي شهر ذي الحِجَّة منَ السَّنة المذكورة: تُوفِّي الأمير نجم الدِّين موسى بن أحمد بن الإمام، وكانت وفاته يوم السّادس والعشرين منَ الشّهر المذكور في نواحي صَعْدَة.

وفي السّنة المذكورة: أمر السّلطان، رحمة الله عليه، ببناء مدرسته المعروفة بالمؤيّديّة في

---

(١) في (ب): «... البأس مدارة» مختل الوزن، وفي (هـ): «في حلمه ...».

(٢) في (أ): «... بدر الدين منبته».

(٣) في (الأم، أ، ب): «... وذي يزن».

(٤) سقط عجز البيت وصدر الذي يليه في (أ).

(٥) في (ج، د، هـ): «... مزدان».

مَغْرَبَة تَعِزّ ورتّب فيها مدرِّساً ودَرَسَة، ومعيداً وإماماً ومؤذِّناً ومعلّماً، وأيتاماً يتعلّمون القرآن العظيم، ومقرئاً يُقْرِئُ القرآن الكريم بالسَّبْعة الأحرف، وقَيِّماً، ووقف عليها منَ الأراضي والكُرُوم ما يقف بكفاية الجميع، ووقف بها خزانةً من الكتب النّفيسة.

وفي سنة ثلاث وسبع مئة: توفِّي الملك الظّافر[١٣١أ] عيسى بن السّلطان الملك المؤيَّد، وكانت وفاته في حصن تَعِزّ يوم الرّابع والعشرين منَ المحرّم أوّل السّنة المذكورة، وحضر دفنه أخوه الملك المُظَفَّر وعمّه مولانا الملك المنصور أيّوب، وكافّة أعيان الدّيوان، وقبر في مدرسة والده الّتي أنشأها في مَغْرَبَة تَعِزّ، وكان ملكاً ذا هِمّةٍ بارعة، وعزمة[١] لأبكار المعالي فارعة، وأمر والده[٢] السّلطان الملك المؤيّد يومئذٍ بذَبْح خيله الخواصّ حين حملوه على الرّقاب، وما كان أحقَّهُ بقول القائل: (منَ الطّويل)

يَمُرُّ على الوادي فَتُثْني رِمالُهُ عَلَيْهِ وبِالنّادي فتَبْكي أَرامِلُهُ[٣]

وفي هذه السّنة: توفِّي الأمير الكبير الشّريف أبو سلطان المستولي على تَلَمُّص، وكان قد اتّفق هو والأمير جمال الدّين ابن بَهْرام على تسليم الحصن إلى السّلطان وتراهَنا على ذلك، فغلب المرتّبون بعد موته على تمام الأمر، وباعوه بعد موته على الأمير عليّ بن موسى بن شمس الدّين أحمد بن الإمام فسيّر[٤] نحوه شحنةً من آخر اللّيل من طعامٍ وغيره.

فلمّا علم ابن بَهْرام خرج من صَعْدَة نحوهم فوقع بينهم قتالٌ شديد وتلازم الأميران عليّ بن موسى وعليّ بن بَهْرام، وقُتِل فارسانِ منَ الفريقين.

وكان السّلطان قد أرسل الأمير عليّ بن موسى لصلاح صَعْدَة، ووصل الأمير

---

(١) عُزْمة الرّجل: أسرته وقبيلته.

(٢) في (أ): «ولده».

(٣) في (ج): «... فتبكي رماله» وفي (د): «... فتبقى رماله عشية بالبادي ...» وفي (هـ): «... فتبقى رماله».

(٤) في (الأمّ، أ، ب): «فسار» وما أثبت عن (ج، د، هـ، وهو ما يقتضيه السّياق.

عبّاس بن محمّد بن عبد الجليل إلى بلاد[(١)] تاج الدّين لمحاربته، فكان من عليّ بن موسى ما كان.

ولمّا طلعتِ الشُّحنة إلى تَلَمُّص وصل الأمير المؤيّد بن أحمد من بني الهادي وكان من علماء الزَّيديّة وفضلائها وذوي السّنّ والرّياسة فيها، فأقام في محطّة الأشراف أيّاماً وكانت محطّتهم تحت حصون الأمير موسى.

وفي خلال ذلك وصل الأمير محمّد بن مطهّر من ظُلَيْمة قاصداً صَعْدَة فلقيه الأمير المؤيّد بن أحمد إلى جبل بني عُوير، ثمّ لقيه الأشراف بجمعٍ جيّد منَ الخيل والرَّجْل وساروا جميعاً [يريدون تَلَمُّصاً، فركب الغُزّ من صَعْدَة وعارضوهم، فحصل بين العسكر قتالٌ عظيم][(٢)] فانهزمت ميمنة عسكر السّلطان وميسرته، وثبت القَلْب ثباتاً حسناً.

فلمّا انهزم أصحابهم لم يمكنهم الاستقرار بعد انهزام الجيش فساروا بعدهم.

وقُتِل يومئذٍ أيبك الحجازيّ الأشرفيّ، وكان منَ الشُّجْعان المعدودين، وقُتِل معه[(٣)] ثلاثةُ فرسان وأربعة منَ الرَّجْل، وسار الأشراف من فورهم إلى مدينة صَعْدَة وذلك في النِّصْف الأخير من شعبان، فأقام الأشراف في صَعْدَة[(٤)] أيّاماً يكاتبون في الصُّلح.

فانعقدتِ الذِّمّة إلى سَلْخ الحِجَّة على إخلاء صَعْدَة منَ الفريقين، ونزل الشّريف شكر إلى الأبواب السّلطانيّة لتمام الصُّلح، وسار معه الأمير داود عزّ الدّين فلم يُنصف، فعاد غاضباً إلى أصحابه فعملوا على تمام الذِّمَّة.

وجهّز السّلطان جيشاً عليهم الأمير شمس الدّين عبّاس بن محمّد بن عبّاس بن عبد الجليل[(٥)] في مئتَي فارس ومقدّمين من مَذْحِج فدخلوا صَعْدَة في آخر القِعْدة، وتراسلوا

---

(١) في (ج): «إلى كحلان».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) في (ج، د، هـ): «وقتل معه يومئذٍ».

(٤) قوله: «وذلك في النصف ... إلى صَعْدَة» سقط في (ج، د، هـ).

(٥) في (الأمّ، ب): « ... بن عبد الله الجليل»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ: «... عباس بن عبد الجليل»، وقد مرّ.

في الصّلح على تمام الذِّمّة الأولى.

وفي هذه السّنة: وصل الأمير بدر الدّين مكنون[1] المرقبي سفيراً منَ الدِّيار المِصريّة إلى اليمن يخبر بانتصار المسلمين على عساكر التَّتَر بمَرْج الصُّفَّر، وكان عدّة الّذين قتلو ا[١٣١ب] منَ التّتَر يوم الوقعة مئةَ ألف قتيلٍ وعشرين ألف قتيل، فاحتفل السّلطان بالرّسول الوارد إليه بكتاب النّصر، ودُقَّتِ[2] البشائر وأُعْلِن السُّرور، وتلقّى البشيرَ أعيانُ الدّولة الشّريفة وأمراؤها، وقال في دخوله الشّريف إدريس بن عليّ بن عبد الله: (منَ البسط)

لم يَأْتِكَ الرُّسْلُ مِنْ مِصْرٍ وساكِنِها ... إلّا مُؤَدِّيَةً حقًّا لَكُمْ يَجِبُ
وحِيْنَ لاحَتْ قُصُورُ الحِصْنِ لاحَ لَهُمْ ... مِنْ نُورِ وَجْهِكَ ما لا تَسْتُرُ الحُجُبُ
واسْتَقْبَلَ العَسْكَرَ المَنْصُورَ فَانْصَدَعَتْ ... قُلُوبُهُمْ فَهْيَ في أَجْوافِهِمْ تَجِبُ[3]
كَتائِبٌ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ قَسْطَلُها ... غَيْمٌ فَساروا بِلَيْلٍ والقَنا شُهُبُ[4]
حَفَّتْ بِهِمْ فَرَأَوا أُسْداً ضَراغِمَةً ... عاداتِهِمْ في الوَغَى إِنْ غُولِبُوا غَلَبُوا
فَكَيْفَ لا وأَمِيْنُ الرُّوحِ يَقْدُمُهُمْ ... في كُلِّ رَوْعٍ وحَيْزُومٌ بِهِ يَثِبُ[5]
وعايَنُوا مِنْكَ وَجْهاً طالَما سَجَدَتْ ... لَهُ المُلُوكُ وقامَتْ بِاسْمِهِ الخُطَبُ

وأمر مولانا السّلطان بإكرام السّفير المذكور، وإنزاله مُنْزلاً يُناسب حاله، وأُفِيض عليه الإنعام التّامّ، وكُتِب له جوابٌ في معنى ما أتى به، وعاد إلى مخدومه قافلاً إلى مِصر.

ثمّ تواترتِ الأخبار بوصول عسكرٍ جرّار منَ الدّيار المِصريّة إلى مكّة المشرّفة، فأخذ السّلطان بالحَزْم وتوجّهَ من قصر زَبِيْد في ذي القِعْدة وصدّر جيشاً إلى البِرْك لعِمارته.

---

(١) في العقود (٣٤٨/١): «مكتوب».

(٢) في (ج، د): «وزفت».

(٣) تجب: تضطرب، يقال: وجَبَ قلبُهُ: إذا اضطرب، ومنه قيل للجبان: الوَجْب لاضطراب قلبه.

(٤) في (ج، د): «... والظبا لهب». وقسطلها: غبارها.

(٥) في (أ، ج، هـ): «فكيف لا والأمين ...» وفي (د): «فكيف لا والروح الأمين يقدمهم».

ولما انقضى الحجّ اتصلتِ الأخبار بأنّ الأمير سيف الدّين مبارز[١] نائب السّلطنة في الدّيار المِصريّة حجّ في جيشٍ عظيم، وأنّه تصدّق على أهل الحرمين بصدقةٍ عظيمة.

قال ابن عبد المجيد في كتابه (بهجة الزّمن)[٢]: سمعت أنّ صدقتَهُ تزيد على ستّ مئة ألف درهم، ومنَ الغَلّة الجيّدة المحمولة في البحر من جهة القصير إلى جُدَّة عشرة آلاف إرْدَبّ[٣]، وإنّه لم يترك بالحِجاز في تلك السّنة مَن عليه دَيْن.

قال: وبلغني أنَّ دَخْلَ إقطاعِهِ وضماناته ومستأجراته وأُجْرة عَقاره بمِصْر والشّام في كلِّ يومٍ مئة ألف درهم خاصّة لخزانته خارجاً عن كلفته المختّصة بحاشيته.

وفي هذه السّنة: وصل رجلٌ منَ التّجّار من بلاد الخطاء على طريق الصِّين، يُقال له: عبد العزيز[٤] بن منصور الحَلَبيّ بمالٍ عظيم جاء به[٥]، وصحبته منَ الحرير ثلاث مئة بُهار[٦]؛ البُهار الواحد ستّ مئة رطل بالبغداديّ، ومنَ المسك المُفْرَغ في أواني النّحاس أربع مئة رطلٍ وخمسون رطلاً، ومنَ الفَخّار الصِّينيّ جملةٌ مستكثرة، ومنَ الأواني اليَشم[٧] المُطَعَّمَة بالذّهب منَ الصُّحون الكبار جملة جيّدة، ومنَ الثّياب المختلفة الألوان مثل ذلك، ومنَ المماليك والجواري جملةٌ أخرى، ومنَ الفضّة والماس أَرْطال جمّة، وزعم أنّها صدقةٌ للحرمين على يديه من تجّار تلك النّاحية، فبرز[٨] عُشُور ما وصل به إلى ثَغْر عَدَن المحروسة ثلاثَ مئة ألف درهم.

---

(١) في (ج، د، هـ): «سلال».

(٢) بهجة الزمن: ٢٣٠.

(٣) الإِرْدَبّ: مكيال ضخمٌ لأهل مصر.

(٤) في (ج، د، هـ): «عبد الرحيم».

(٥) في (أ، ج، د، هـ): «عظيم شأنه».

(٦) البُهار: شيءٌ يوزن به، وهو ثلاث مئة رطل كما عرّف أعلاه؛ وانظر التّاج: (ب هـ ر).

(٧) اليَشْم: حجرٌ معدنيّ؛ قال الزَّبيديّ: «أجوده: الزّيتيّ فالأبيض فالأصفر، وله خواصّ» التّاج: (ي ش م).

(٨) في (أ، ج، د، هـ): «فتقرر».

فلمّا استقرّ بعَدَن توجّه إلى الأبواب الشّريفة فتلقّاه بالكرم الهِزَبْريّ والإنعام العامّ، فقدم بين يديْ نَجْواه هدايا عيّنَها وتُحفاً استحسنها[١٣٢أ] فبرز المرسوم بقَبولها، وأفاض عليه السّلطان خُلَعاً نفيسةً وأعطاه المراكب السَّنيّة، فكتب له بالعِوَض بما قدّمه بأضعاف ذلك، وتقدّم المرسوم الشّريف إلى نُوّاب الثَّغْر المحروس بإجلاله واحترامه وخِيَرَتِهِ[١] بين الظَّعْن والإقامة، فاختار الرِّحلة إلى صَوْب مِصْر ونواحيها ليجدّد عهداً بأهله.

وفي هذه السّنة المذكورة: أوقع الشّريف عماد الدّين إدريس بن عليّ بالحجافل وقعةً أتى[٢] فيها عن همّةٍ عَلَويّة وشهامةٍ حسنيّة، كان جملة منِ اجتمع فيها منَ الجحافل أربعون فارساً وألف ومئتا راجل، وكان الشّريف في مئتَي راجل وأربعين فارساً، فقُتِل منَ الجحافل[٣] مقتلةٌ عظيمة، وقُتِل منَ العسكر نَفَرٌ يسير، منهم الشّريف عليّ بن محمّد الأَبْرش، وهو ابن عمّ الشّريف، وفي هذه الوقعة يقول الشّريف إدريس: (منَ الطّويل)

ولو لم تَخُنّي عِنْدَ صَبْرِيَ كَبْوَةٌ ... مِنَ الأَحْمَرِ الجَيّاشِ ما فاتَ مَطْلَبُ[٤]
ولكنَّ خِرْصانَ الرِّماحِ تَشاجَرَتْ ... هُنالِكَ حتّى كادَ يُؤْدي ويَعْطَبُ[٥]
فَإِنْ كانَ فِيمَنْ أَدْرَكَتْهُ رِماحُهُمْ ... صَرِيْعٌ لَنا ثَأْرٌ يُعَدُّ ويُحْسَبُ
فَقَدْ صُرِعَتْ حَوْلَيْهِ سَبْعُونَ أَغْلَباً ... تَهاداهُمُ في القَفْرِ ذِئْبٌ وثَعْلَبُ

وفي سنة أربع وسبع مئة: توجّه الأمير جمال الدّين نور بن حسن بن نور من حَرَض إلى صَعْدَة مَدَداً لعبّاس بن محمّد وابن بَهْرام فأخرب عبّاسُ بن محمّد زرع الأشراف وصَعْدَة ومَخالِيفها[٦]، ودخل عَلاف ومَجْز، ثمّ رتّب ثلاثين فارساً في ثَغْر صَعْدَة وثلاث

---

(١) خِيَرَته: اختياره.

(٢) في (أ، ب، د، هـ): «أبان» وفي (ج): «إنبات».

(٣) قوله: «أربعون فارساً ... من الجحافل» سقط في (أ).

(٤) في (أ): «من الأحمر الخناس ...».

(٥) في (ج، د): «ولكن حرمان ... ... ويتعب». والخِرْصان: أطراف الرّماح الّتي تلي الأسنّة.

(٦) في (أ، ب، ج،): «ومَخاليفها».

مئة رجّال، ونزل الجوف ثمّ حول صنعاء، ثمّ توجّه إلى اليمن.

فلمّا خلت صَعْدَة منَ العساكر جمع آل شمس الدّين عسكرهم ونزلوا الجوف فأقاموا بسوق ذُعَام ثلاثة أيّام، وقد جمعت المَخالِيف السّلطانية في الزّاهر، وكانت له عمولةٌ[1] في نَعْمان.

وفي شهر صفر منَ السَّنة المذكورة: لزم السّلطان الأمير أسد الدّين محمّد بن أحمد بن عزّ الدّين وولد الشّريف شكر بن عليّ القاسميّ، وأمر بلزم أولاده حيث كانوا، وذلك لمّا وقع في الخاطر الكريم من فِعْلهم في صَعْدَة، فأدّبهم بآداب مثلهم، وبرز الأمر العالي بتجهيز الأمير أسد الدّين محمّد بن نور سفيراً إلى الدّيار المِصريّة، فاتّصل العلم أنّ الأمراء بمصر عبثوا بالسّلطان، وأنّ البلاد على غير وَضْع، فأخّر السّلطان ذلك العَزْم، وحمل للأمير أسد الدّين المذكور أربعة أحمال طَبْلخانة وأربعة أعلام ورَدَّهُ إلى إقطاعه.

وفي شهر جُمادَى الأولى من هذه السّنة: زالتِ الشّدّة وارتفع الغَلاء ورَخُصتِ الأسعار في جميع نواحي اليمن، ورجع المقدّم الّذي عمر البِرْك وهو موسى بن أبي بكر بن علاء الدّين، وكان الشّريف طاهر بن أبي نُمَيّ قد وصله إلى البِرْك من مكّة، حرسها الله تعالى، قاصداً إلى الباب الشّريف السّلطانيّ فسارا معاً، فلمّا بلغا قريباً منَ اللّؤلؤة لقيتهم[2] جُهَيْنة فانهزم العسكر وتُعِقّب الشّريف الطّاهر، فقُتِل وأخذت أثقالهم ودَوابّهم.

وفي النّصف من شهر رجب: تقدّم الرِّكاب العالي من محروسة زَبِيْد قاصداً تَعِزّ فأقام بثَعَبات[3]، وحصل عليه تَوَعُّك، فأَرْجَف النّاس بذلك وامتلأ اليمن[١٣٢ب] خوفاً، فمنّ الله بشفائه، وذلك في النّصف الأخير من شعبان، ولم يزل في ثَعَبات إلى يوم العاشر من رمضان، ثمّ طلع الحصن وكان طلوعُهُ يوماً مشهوداً.

---

(١) في (الأم، أ، ب): «عمولا» وما أثبت عن (ج، د، هـ)، وفي العقود (١/ ٣٥٩): «وكانت لهم عمولة ...».

(٢) في (الأم، ب، د): «القيهم» وما أثبت عن (أ، د، هـ).

(٣) في (ج، د، هـ): «شعبان».

وفي شهر شوّال: أقطع السّلطان ابن بَهْرام مدينة أَبْيَن وأعمالها، وتجهّز ابن نور إلى الدّيار المِصريّة، وقد أقطعه السّلطان القَحْمَة، فسار في أوائل الشّهر المذكور بأنواع التُّحَف السَّنيّة منَ الفضّيّات على اختلاف أنواعها كالطُّسُوت والأباريق والصُّليحيّات[١] والمَجامر والأُكُر[٢] والقرامات[٣] وسواري العُود والصَّنْدل والقطع الكبار منَ العَنْبر ونَوافِج المِسْك، وما عظم شأنه من فخّار الصّينيّ واليَشَم منَ الصُّحون والزَّباديّ ما لم يمكن شرحه منَ الحُسْن[٤]، ومنَ الخدّام الحَبَش والقَنا الهنديّ والمَراقِد الحبشيّة، ومنَ المراكب المذهبة والشّاشات الرّفاع، والبيلقانيّات [ومنَ الثياب][٥] المُذْهَبة الصّينيّة ما عظم شأنها، ومنَ الأواني والأطباق والصّناديق مملوءة بالمِسْك المُفْرَغ والشّاه صينيّ والكافور النّازة[٦]، جملة أخرى.

وممّا يتعلّق بالحوائج خاناة: كالفُلْفُل والقَرَنْفُل والزَّنْجَبِيل واللُّكّ والبَقَّم، أَبْهُرُهُ، ومنَ الوُحُوش: كالسِّباع والفِيْل وحمار الوَحْش والزَّرافة، كلّها بكسوة الحرير الأَطْلس والحرير المُلَمَّع بالذّهب، ومنَ الخيل: المُسَوَّمة العربيّة الأصائل اللّائقة بحال المُراسِل والمُرسَل إليه[٧]، نقل ذلك كلَّه مركبانِ عظيمان، ومثل هذه الهديّة لا تكاد تتأخّر ما بين كلّ عامين أو ثلاثة أعوام طَلَباً للمحبّة والمودّة، واستمراراً على ما يعهد منَ الصُّحبة.

وفي هذه السّنة: توفّيت الجهة المصونة بنت الأمير أسد الدّين زوج مولانا السّلطان

---

(١) في جميع النّسخ: «الصّلاحيّات»، وإنّما هي **الصُّلَيْحيّات**: نوعٌ من آنية الزّجاج يرجِع إلى عصر الدّولة الصُّليحيّة؛ انظر نور المعارف: ١/ ٢٢١.

(٢) **الأُكَر**: خشب الرّقّاصات؛ انظر نور المعارف: ١/ ٩٨.

(٣) في (ج، د، هـ): «الرباب»، وفي العقود (١/ ٣٦١): «القرابات».

(٤) في جميع النّسخ: «الحيس» ولا معنى له، وما أثبت عن العقود (١/ ٣٦١).

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د، هـ).

(٦) في (ج): «العشور». وفي نور المعارف (١/ ٤٤٩) الكافور تارة: «نسبةٌ إلى مدينة (تارة) أو (صارة) وهي من بلاد البلغة في الهند».

(٧) في (ج، د، هـ): «المهدي والمهدى إليه».

الملك المؤيّد، وكانت عنده عزيزةً مَكِينة؛ لأنّها بنت عمّه ابن عمّ أبيه، وكانت كثيرةَ المروءة، حسنة الشّفاعة، يعزّ عليه فَقْدها، وأمر بالقراءة عليها في سائر جوامع مملكته، وحملت من رأس حصن تَعِزّ تحت التّشْتخاناة الحرير، وأمامها ملوكُ بني رسول، ودفنت في مدرسته الّتي أنشاها في مَغْرَبَة تَعِزّ، وكان يوم وفاتها يوماً مشهوداً.

وفي هذه السّنة: توجّه الأمير سيف الدّين [طَغْرِيل][(١)] نحو الباب الشّريف متبرّئاً من صنعاء بسبب معارضةٍ حصلت بينه وبين ياقوت متولّي الأملاك السّلطانيّة فأبرّأه السّلطان منها، وأقطعها ولده المُظَفَّر، وسار نائبه لقَبْضها في ثاني عشر ذي القِعْدة، ثمّ إنّ عيال شمس الدّين عادوا [إلى عِيَان][(٢)] مرّةً أخرى، وجاءهم الإمام محمّد بن المطهّر إلى هنالك فجهّز السّلطان لحَرْبهم الأمير سيف الدّين طَغْرِيل، فقصدهم إلى عِيَان فنزلوا إلى الجوف فقصدهم إليه، فطلعوا صَعْدَة فسار بعدهم[(٣)] وعاد إلى فَلَلَة وحصون الأمير عليّ بن موسى، وأخرب ما قدر عليه من مِخْلافهم[(٤)]، ووقعتِ[١٣٣أ] الذِّمّة إلى آخر القِعْدة، وعاد إلى صنعاء فدخلها خامس خروجه من صَعْدَة.

وفي هذه السّنة: كانت الوقفة يوم الجمعة وحجّ خَلْقٌ كثير من مصر وغيرها، وكان أمير الحاجّ الأمير الكبير ركن الدّين بِيبَرْس الجاشَنْكير، وحجّ معه عدّةٌ منَ الأمراء المِصريّين، ووصل معه الشّريفان رُمَيْثة وحُمَيْضة وَلَدَا أبي نُمَيٍّ وكانا بمصر معتقَلَين كما ذكرنا أوّلاً.

فلمّا انقضى الحجّ أحضر الأمير الكبير ركن الدّين بِيبَرْس الشّريفين وأخويْهما[(٥)]

---

(١) ما خُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) ما خُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) قوله: «فقصدهم إلى عيان ... فسار بعدهم» سقط في (ب).

(٤) في (ج، د، هـ): «مخاليفهم».

(٥) في (الأمّ، أ، ب): «وإخوانهما».

أبا الغيث وعُطَيْفة، فلم يتقابلا[١] بالسّمع والطّاعة، وحصلت بينهما المُنافرة، وكان في مكّة والمدينة غَلاءٌ عظيم حتّى بلغ المُدُّ الحِنْطة عشرين درهماً والذُّرَة ستّة عشر درهماً[٢]، واستمرّ حُمَيْضة ورُمَيْثة في البلد، وأظهرا حُسْنَ السِّيرة وأَبْطَلا شيئاً منَ المُكُوس.

وفي سنة خمسٍ وسبع مئة: أقطع السّلطانُ الأميرَ سيف الدّين طَغْرِيل أَبْيَن، فنزل إليها في النّصف الأخير منَ المحرّم وانفصل عنها ابن بَهْرام.

فلمّا وصل إلى الأبواب السّلطانيّة منفصلاً من أَبْيَن أمر مولانا السّلطان أن يُحْمَل له أربعة أَحْمال طَبْلخانات وأربعة أعلام، وأُقْطِع الأعمال الرَّحْبانيّة[٣].

وقد كان الأشراف آل شمس الدّين قد غزوا حَرَض قبل وصول ابن بهرام إليها، وأفسدوا في نواحيها، وكان فيها مقدّم ورتبة من عسكر السّلطان فخرجوا لقتال الأشراف وقاتلوهم عند المدينة فانهزموا إلى الدَّرْب، ودخل الأشراف حَرَض فنهبوا ما أمكنهم ورجعوا من فورهم، وخالف الأشراف بنو حمزة وانضّم إليهم ابن وَهّاس، فجهّز السّلطان حينئذٍ الأمير بدر الدّين محمّد بن عمر بن ميكائيل أستاذ داره يومئذٍ في جيشٍ آخر إلى جهة صنعاء، فوقف هنالك إلى آخر شهر رمضان[٤]، ونزل بعد تمام الصّلح بين السّلطان وبين الأشراف على أن للسلطان ثلثَ مِخْلاف تَلَمُّص، وقُبِضت رهائنهم على ذلك، ورجع أهل مدينة صَعْدَة إلى مدينة صَعْدَة وسكنوها.

وفي آخر شعبان منَ السّنة المذكورة: تَبَرَّأَ الملك المُظَفَّر من صنعاء، وتوجّه إلى حرم أبيه فأقطعها السّلطان الأمير سيف الدّين طَغْرِيل فسار إليها، فلمّا وصل ذَمار أقام بها إلى شهر ذي القِعْدة وقَبَضَ في مدّة وقوفه حصناً من حصون بني عَبِيْدة.

---

(١) في (الأم، ب): «فلمّا تقابلا» وما أثبت عن (ج، د، هـ) وفي (أ): «فلم يقابلا».

(٢) قوله: «والذرة ستة عشر درهماً» ليس في (ج، د، هـ).

(٣) في (أ، هـ): «الرحابية».

(٤) في (ج): «آخر شعبان».

وفي الرّابع والعشرين من شهر رمضان المعظّم: أقطع مولانا السّلطان الأمير عماد الدّين الشّريف إدريس [بن](١) عليّ أَبْيَن وما يَنْضاف إليها.

وفي النّصف الأخير من شوّال: أمر مولانا السّلطان رحمة الله بإعادة الجحافل على جَوامِكهم وكان قد قطعها منهم من مدّة خمس سنين(٢) على سبيل الأدب لهم.

وفي هذه السّنة: المذكورة رجع الأمير أسد الدّين نور منَ الدّيار المِصريّة بعد أن عُومِل بما يجب منَ الإكرام، ووصل معه سفيرٌ من[١٣٣ب] هنالك يُقال له: مبارز الدّين الطّوريّ، فأقام في تَعِزّ أيّاماً وحضر المقام السّلطانيّ فقُوبِل بالإقبال والإكرام، ثمّ سار إلى زَبِيْد فأقام بها إلى أن تهيّأ له السّفر إلى مخدومه.

وفي هذه السّنة المذكورة: حجّ من مصر ونواحي المغرب وبلاد العراق والعَجَم خلقٌ كثيرٌ لا يحصيهم إلّا الله تعالى، واجتمعت في عَرَفَة ثلاثةُ ألويةٍ: لصاحب اليمن ولصاحب مِصْر ولصاحب العراق، وأخذا نبده(٣)، وحصل الحرب بمِنًى بين المِصريّين والحجازيّين وكان أمير الرّكب المِصريّ الأميرَ سيف الدّين أقبيه، وكان فظًّا غليظاً سفّاكاً مقداماً على الجرائم، فقتل جماعةً منَ السَّرو وَسَّطَهم ولم تدخله عليهم شفقةٌ ولا رحمة.

وفي هذه - سنة ستٍّ وسبع مئة -: ملك مولانا السّلطان حصن القُرانِع(٤) وهو مُصاقِب(٥) الطّويلة، بحيث تختلف بينهما النُّشّاب والحَجَر، فحطّ الشّريف تاج الدّين على القُرانِع ولزم حصن شُرَيْب، فخرج إليه الأمير سيف الدّين من صنعاء في شهر ربيعٍ

---

(١) ما حُفَّ بمعكوفتين سقط في جميع النسخ، وهو وهمٌ، وسيأتي على الصواب مراراً.

(٢) قوله: «من مدة خمس سنين» ليس في (ب).

(٣) ورد الاسم في بقيّة النّسخ غير معجم، وفي العقود (١/٣٦٨): «حذابذة وهو الشّجاع باللّغة التّركيّة»، وفي العقد الثّمين (٤/٢٤١): «خَرْبَنْدا بن أرغون بن أَبْغا بن هولاكو».

(٤) في (الأم، أ، ب): «القرنقع»، وما أثبت عن (ج، د، هـ)؛ وانظر معجم البلدان: ٣١٨/٤.

(٥) في (الأم، أ، ب): «مضافت» وما أثبت عن (ج، د، هـ). **والمصاقب:** المُواجه.

الآخر، والأمير عبّاس بن محمّد فكسروه، وشحن الأمير سيف الدّين الحصنين[١] بأنواع الشّحن بعد أن عمرهما، ورجع إلى صنعاء ظافراً منصوراً، وكان رجوعه في شعبان.

وفي الثّالث عشر من جُمادَى الآخرة: كان ميلاد السّلطان الملك المجاهد، رحمة الله عليه، وقِيْل كان ميلاده في العاشر من شهر رمضان منَ السَّنة المذكورة بزَبِيْد في مجلسٍ من قاعة الأسد يُقال له: مجلس الولادة لولادته فيه، والله أعلم.

وفي النّصف الأخير من جُمادَى الآخرة: أخذ ابن صُهَيب حصن السّانَة بوُصاب وهو حصنٌ عظيم يُناطح النُّجوم ويُتَلَبَّس بالغُيُوم، من أَحْرَز الحصون وأَمْنَعها وأَهْنَعها[٢] وأَضَرِّها وأنفعها، وهو من أَحْرَز مَعاقل اليمن، والّذي يحطُّ عليه لا تراه؛ لأنّه في رأس جبلٍ عالٍ وليس له إلّا طريقٌ واحدة، فأهمّ السّلطان بأخذه، فجهّز القاضي موفقّ الدّين الوزير إلى جِبْلَة بجمعِ الرَّجْل، وسار السّلطان إلى زَبِيْد مبادراً[٣]: (منَ الوافر)

أَشَدُّ مِنَ الرِّياحِ الهُوجِ بَطْشاً ... وأَسْرَعُ في النَّدَى مِنْها هُبُوبا

ثمّ خرج من زَبِيْد فحطّ على السَّانَة فأذعن ابن صُهَيب بالطّاعة، ووقف على قدم الاستطاعة، ونزل على الذِّمَّة الشّريفة، وتسلّم السّلطان الحصن المذكور وحصوناً أُخَر معه هنالك، وانثنى راجعاً.

فلمّا استقر بزَبِيْد عَلَنَتِ[٤] الأفراح والبشائر، وهَنّأه شعراء دولته، فقال العفيف ابن جعفر[٥]: (منَ الكامل)

تَرَكَ الجِبالَ الشُمَّ قاعاً صَفْصَفا ... مِنْ وَعْدِهِ ووَعِيْدِهِ ما أَخْلَفا

---

(١) في (الأم، أ، ب): «الحصن» وما أثبت عن (ج، د، هـ)، يدلّ على ذلك عودة الضمير في «عمرهما».

(٢) **أهنعها:** أقصرها.

(٣) شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبي: ٣٤٣/٢.

(٤) في (ج، د، هـ): «عملت».

(٥) في (ج): «العفيف عبد الله بن جعفر».

مُتَقاضِياً ميراثَهُ مُسْتَشْهِداً سُمْرَ العَوالي والصَّفِيْحَ المُرْهَفا[١٣٤أ]
تَغفُو عُيُونَ الصَّابِرِيْنَ نُفُوسُهُمْ عَنْ نَيْلِ ما طَلَبُوا، وكَلَّا ما عَفا(١)
جَمَعَ الجُيُوشَ إلى المُغارِ ولو أَتَى لِلْحَرْبِ قَبْلَ جُيُوشِهِ فَرْداً كَفَى
لا يَسْتَقِرُّ الدَّارِعُونَ أَمامَهُ حَسْبُ الرَّمادِ لِعاصِفٍ أَنْ يُنْسَفا(٢)
دَأْبُ المُؤَيَّدِ أَنْ يَسُلَّ على العِدَى سَيْفاً ودَأْبُ رِقابِها أَنْ تُقْطَفا
تَرْضَى مُلُوكُ الأَرْضِ أَيْسَرَ حَقِّها مِنْهُ وتَفْرَحُ مِنْ وَفاهُ باللَّفا(٣)
لا تَقْدِرُ الأَيَّامُ تَرْفُو خَرْقَهُ أَبَداً ولا الأَيَّامُ تَخْرِقُ ما رَفا
العاقِدُ الرَّاياتِ لم يَكُ زاجِراً طَيْراً لِمَسْرَحِها ولا مُتَعَيِّفا(٤)
بِحَبائِسٍ لِلْحَرْبِ بين حَبائِسٍ تُمْسي وتُصْبِحُ للمَراكِزِ عُكَّفا
قامَتْ عُقابُ المَنْجَنِيْقِ وَراءَها فَأَشارَ مَولانا بِأَنْ تَتَخَلَّفا
جَمَعَتْ جَناحَيْها ومَدَّتْ عُنْقَها لِلسَّيْرِ في إِثْرِ الخَمِيْسِ وتَرْجُفا
نَوْءٌ تَجَلْجَلَ مِنْ زَبِيْدٍ رَعْدُهُ الـ سَّاري فَصابَ وُصابَ غَيْثاً واكِفا
حتَّى إذا ما السَّيْفُ بالَغَ خَطْوَهُ فِيْها وحَشْحَشَهُ السَّباقُ فَأَوْجَفا(٥)
وجَرَتْ سُيُولٌ مِنْ دَمٍ لو أَنَّها ماءٌ لكانَ رَبِيْعُهُمْ والصَّيِّفا
ورَأَوا مِنَ النِّيْرانِ حَوْلَ قِلاعِهِمْ عَدَّ الكَواكِبِ في السَّماءِ ونَيِّفا

---

(١) في العقود (١/ ٣٧٠): «تغفو عيون ... . غفا».

(٢) في (ج، د): «... الزارعون أمامه».

(٣) في (د): «يرجى ملوك ...». واللَّفاء: دون الحق.

(٤) في جميع النّسخ: « ... ولا متعنفا»، وما أثبت عن العقود (١/ ٣٧١).

(٥) في (د): «... بالغ خطره ... السياف فأوجفا».

فتوجَّسوا أنَّ الطُّبولَ زَلازِلاً ... كادَتْ بِهِمْ وبِطَوْدِهِمْ أنْ تَخْسِفا
طَرَحُوا نُفوسَهُمْ على أَبْوابِهِ ... فعَفا ومِثْلُ أبي المُظَفَّرِ مَنْ عَفا
هَرَبُوا إِلَيْهِ مِنْهُ واعْتَصَمُوا بِهِ ... ولكَمْ أجارَ الهارِبَ المُتَخَوِّفا
مُتَشَفِّعِيْنَ بِآلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ... أَهْلِ الشَّفاعَةِ لِلْمُسِيءِ إذا هَفا
فَأَقالَ عَثْرَتَهُمْ وعادَ بِهِمْ إلى ... ما أَوْرَثَتْهُ بَنُو الرَّسُولِ مِنَ الوَفا
وأَتَتْ عَقائِلُ في الحِجالِ فَجاوَرَتْ ... مِنْهُ الكَرِيْمَ الطّاهِرَ المُتَعَفِّفا
مَنْ لم يَمُدَّ إلى الخَنا طَرْفاً ولم ... يَسْحَبْ إلى طُرُقِ الفَواحِشِ مِطْرَفا
يَدْعُونَ يا سُلْطانُ عَفْواً بِالرِّضا ... فَأَجابَهُمْ وأَثابَهُمْ وتَعَطَّفا
ومُهَلْهَلِ الشَّرَفِ اسْتَجارَ بِأَمْنِهِ ... فتَسَلَّمَ الشَّرَفَ الرَّفِيْعَ المُشْرَفا[1]
نَظَرُوا البَوارِقَ مِنْ بِلادِ رَبِيْعَةٍ ... وُقِدَتْ فَخافَ بِلَمْعِها أَنْ يُخْطَفا[2]

وهي قصيدةٌ طويلة اختصرتُ منها ما ذكرت.

وفي شهر شوّال من هذه السّنة[١٣٤ب]: نقض الجحافل الصّلح وأغاروا على لَحْج فقُتل منهم عبّاس بن أبي شُقْرة وكان من وجوههم وفرسانهم.

وفي ثامن ذلك اليوم: أغاروا على الأخبة[3] فقُتل أحمد بن أبي شُقرة[4] أخو عبّاس، وكان أعظم منه محلًّا فيهم.

وفي يوم العشرين من القِعْدة: جمعوا جموعاً كثيرة وقصدوا الأخبة ولم يستقرّوا عندها فرجعوا طريق الرّجاع[5] فتبعهم العسكر فأدركوهم بعد العصر، وقد أصابهم سَمومٌ فتفرّقوا

---

(١) (أ): «... الرفيع الأشرفا».
(٢) في (أ): «نظر البوارق ...» وفي (ج): «نظر البوارق ... وقد فخاف ...».
(٣) قوله: «الأخبة» كذا في جميع النّسخ؛ وفي المستبصر (١٤٨): «اللَّخبة»، وتاريخ ثغر عدن: ٢٩، والتّاج: (ل خ ب).
(٤) قوله: «وكان من وجوههم ...بن أبي شُقرة» سقط في (ج).
(٥) في (ج): «الرعارع».

فقَتل منهم نحواً من أربعين رجلاً، فانكفّ فسادُهم.

وفي سنة سبعٍ وسبع مئة: جاشتِ النّخوع إلى ناحية حَرَض فجرّد السّلطان إلى ناحية حَرَض نحواً من ثلاث مئة فارس من حَلَقَتِهِ المنصورة فأغاروا عليهم وشتّتوا شملهم.

وفي هذه السّنة: هرب الشّريف محمّد بن خالد من زَبِيْد وكان السّلطان يومئذٍ بزَبِيْد ورهينته أُمُّهُ وأخته.

وفي جُمادَى: خالف والي شَيْعان[1] على الأمير تاج الدّين وباع الحصن على السّلطان، فقصده الأمير تاج الدّين وقتل من أصحابه مقتلةً عظيمة، فجرّد السّلطان لحرب الأمير تاج الدّين الأمير سيف الدّين طَغْرِيل وسار معه بالمنجنيق لرَمْي عَزّان.

فلمّا صار بالضِّلَع التقى بالأمير تاج الدّين وأخيه الأمير علم الدّين حمزة أسفل عقبة بُكُر[2] فاتّفقوا على الصّلح وعلى خدمة السّلطان، وحلّفهما على ذلك وخَلَعَ عليهما ورجع إلى محطّته ومعه الأمير علم الدّين حمزة.

فلمّا أصبحوا منَ النّهار الثّاني طلعتِ الأعلام السّلطانيّة حصن بُكُر وخَفَقَت ذوائبها هنالك طاعةً للسّلطان، ثمّ نزل الأمير تاج الدّين إلى المحطّة فأنصفه الأمير سيف الدّين وخَلَعَ عليه وأعطاه حصاناً جيّداً، وكسا أكثر أصحابه وغِلمانه، وانعقد الصّلح بينهما وبين السّلطان خمس سنين، وتوجّه الأمير سيف الدّين إلى الباب الشّريف وصحبته الأمير علم الدّين حمزة بن أحمد صِنْو الأمير تاج الدّين ولم يكن وصل الأبواب السّلطان قبل ذلك، وكان معه ابن أخيه عبد الله بن تاج الدّين وجماعةٌ منَ العرب.

وفي هذه السّنة: عزم الأمير[3] سلار نائب السّلطنة في الدّيار المِصريّة على أنّ يجهّز

---

(١) في (الأمّ، أ، هـ): «سيفان» وفي (ب): «سفيان» في (ج): «سعارة» وفي (د): «سفارة»، وإنّما هو «شيعان»؛ انظر صفة جزيرة العرب: ١٠١، ومعجم البلدان: ٣/ ٣٨٥. .

(٢) في (ج، د، هـ): «بكيل».

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «الأمير سيف الدين»، وفي (الأمّ) (وصل الأمير سيف الدّين بيبرس سولار) ثمّ ضبّب عليها ما عدا الكلمتين الأولى والأخيرة، ولم تتّجه العبارة ببقاء كلمة «وصل» وما أثبت عن العقود: ١/ ٣٧٣.

الأمير سيف الدّين بِيبَرس في جيشٍ كثيف إلى اليمن، وأمر على الأمير عزّ الدّين الأشقر شاد الدّواوين أن يتقدّم إلى جهة قَوْص لعِمارة المراكب فعَمَرَها، وهي نَيِّفٌ وخمسون مركباً، وقدر الله موته وموت أولاده وعائلته وجميع أهل داره في أيّام[1] قلائل، ولم يبقَ منهم أحد.

فرجع الأمير سيف الدّين[١٣٥أ] سلار عن ذلك الرّأي وأشار بأن يحضر الفقهاء والقضاة ومشايخ الخوانق والزّوايا وأرباب الخير والصلاح إلى مقام السّلطان الملك النّاصر ويعلّموه أن هذا الأمر لا يحلّ الإقدام عليه؛ لأنّ اليمن بلاد الإيمان وهي بلاد العلم والعلماء والفقهاء والصّلحاء وأرباب الخير والصّلاح، ومُلْكُها ثابتُ الولاية مستمرّ الحكم، قدِ انعقد الإجماع عليه، فلا يجوز البَغْي عليه، فرجع السّلطان عن ذلك الأمر، وجعل هذا سبباً لتأخير المسير.

ولمّا علم مولانا السّلطان المؤيَّد، رحمه الله، بذلك منع[2] المكارم تلك السّنة حتّى وصل الرّسول بما وصل واستقرّت الأمور على تَسْفير رسولٍ منَ الدّيار المِصريّة ومُتَعَمِّم، وكان الرّسول رجلاً يُسمَّى السَّعديّ من مماليك الملك الظّاهر والمُتَعَمِّم القاضي شمس الدّين محمّد بن عدلان أحد القضاة، وكان مضمون الرّسالة تقرير الحال، وأنّ السّلطان قد رجع عمّا كان عليه منَ العزم، وفي خلال ذلك الرّغبة إلى الصّلح والمُوادَعة، ثمّ توجّه الرّسولان إلى بلاد اليمن فحضرا المقام السّلطانيّ، وكان السّلطان يومئذٍ مريضاً لا يستطيع الكلام، واتّفق أنْ حدث بالأمير الواصل مرضٌ أفضى به إلى الموت، فتوفِّيَ في الثّاني والعشرين من جُمادَى الأخرى من سنة ثمانٍ[3]، وكانت وفاته بزَبِيْد، فقُبِرَ في ظاهر المدينة ورجع القاضي شمس الدّين إلى الدّيار المِصريّة وصُحبتُهُ جوابُ ما أتى بسببه، والله أعلم.

---

(١) في (الأمّ): «في أرض» ثم كتب في الهامش: «ط أيام».

(٢) في (الأمّ، ب): «صنع» من دون إعجام، وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وفي العقود (١/ ٣٧٤): «منع الكارم».

(٣) في (ج): «ثمان وسبع مئة».

وفي سنة ثمانٍ وسبع مئة: اتّفق فراغُ القصر السّعيد السّلطانيّ المعمور بثَعَبات المُسمَّى بالمَعْقِل في النّصف من صفر، وهو قصرٌ قصرت المحاسن على نواحيه، وأطلعت الإجادة في أفق معاليه[1]. أجمع أرباب اختراق الآفاق أنّه لا نظير له في شام ولا عِراق، وأنّهم لم يشاهدوا مثله أبداً، وهو مجلسٌ طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً بسقفين مذهبين بغير أعمدة، له أربع مناظر بأربع رَواشِن ليس فيه إلّا رخام وذهب، وأمامه بِركة طولها مئة ذراع في عرض خمسين ذراعاً، حافاتها صفة طيورٍ ووحوشٍ من صُفْر أَصْفَر ترمي الماء من أفواهها، وفي وسط البِرْكة فوّارة ترمي بالماء إلى السّماء فيبلغ أَمَداً بعيداً، وقُبالة المجلس شاذَروان بعيد المدى، ينصبّ ماؤه إلى البِرْكة المذكورة كأنّه لوح من بلّور، بل لا يمكن التّعبير عنه، وفي المجلس شبّاك يفضي إلى بستان عجيب المنظر حسن المختبر والمخبر، وكانت إقامة الصّنّاع في عمله سبع سنين.

وسمعت من يحكي ممّن أدرك أيّام عِمارته قال[١٣٥ب]: كان يطلع إليه أو ينزل منه في كلّ يوم نحوٌ من سبعين بَغْلة منَ الصّنّاع والغرباء[2] ما بين نَجّار ومُرَخِّم ودهّان[3] ومُزَخْرف خارجاً عمّن يركب الحمير، ومن لا يركب من أتباعهم، وهذا ما عدا صنّاع البلاد وهم أضعاف ذلك.

ولمّا فرغت عِمارته على الصّفة المذكورة: أمر السّلطان، رحمة الله عليه، بعمل فرحةٍ عظيمةٍ جامعةٍ عميمةٍ حضرها أعيان النّاس، بل عامّتهم على اختلاف حالاتهم وتنوّع طبقاتهم.

---

(١) في جميع النّسخ: «وهو قصر المحاسن على نواحيه وأطلع الإجادة في أفق تعاليه» وفي (ج، د، هـ): « ... أفق معاليه»، وما أثبت عن العقود (١/ ٣٧٤)، وهو ما يتّجه به المعنى.

(٢) في (ج، د، هـ): «الصناع الغرباء».

(٣) في (الأم، ب): «وذهاب» وما أثبت عن بقيّة النّسخ (أ، ج، د، هـ)، وهو كذلك بالعقود: ٣٧٨/١.

وكان السّلطان، رحمة الله عليه، ينظر إليهم منَ الطّبقة الثّانية، وأمر بإفاضة الخُلَع على أعيان النّاس وأجرى للجميع، رحمة الله عليه، من كرمه نوالاً، وبلغهم من جوده آمالاً، وهنّأه الشّعراء بذلك؛ وفي ذلك يقول العفيف عبد الله بن جعفر: (منَ البسيط)

يا حَبّذا بُرْجُ سَعْدٍ فِيْهِ قد رُسِما ... هُنّئْتَ قَصْراً على كُلِّ القُصُورِ سَما

نَصْرٌ مِنَ اللهِ قد أَجْرَى لَكَ القَلَما[1] ... بَنَيْتَهُ مُسْتَجِدًّا تُسْتَجَدُّ بِهِ

والخُلْدَ والعِزَّ والأَفْراحَ والنِّعَما ... وتَلْتَقِي الأَمْنَ واليُمْنَ المُقِيْمَ بِهِ

وُقُوفُ سَقْفٍ ولا شَيْءٌ بِهِ دُعِما ... هَلْ في الخِلافَةِ آياتٌ فَشاهِدُها

مِنْها ثِيابٌ تَلُفُّ الوَهْدَ والأَكَما[2] ... بَيْنَ الحَدائِقِ والأَعْنابِ قد نُشِرَتْ

وأَظْهَرَ اللهُ مِنْ أَسْتارِهِ إِرَما ... كأَنّما عادَ غُمْدانٌ كَمَبْدَئِهِ

والخركتان كَأَنَّ الفَرْقَدَيْنِ هُما[3] ... كَأَنَّ أَرْبَعَةَ الجَوْزاءِ رَواشِنُهُ

هُما جَناحانِ وَهْوَ النَّسْرُ بَيْنَهُما ... بَيْنَ الشَّبِيهَيْنِ شاذَرْوانُ قِبْلَتِهِ

مُؤَدِّياتٍ لِسُلْطانِ الوَرَى خِدَما ... تَظَلُّ مِنْهُ صُفُوفُ الماءِ ساجِدَةً

فاعْجَبْ لِجامِدِ ماءٍ فِيْهِ ذائِبُ ما[4] ... إلى سَواقِي رُخامٍ فَوْقَ فَسْقِيَةٍ

وهي أكثر ممّا ذكرت.

ولمّا فرغ من بناء المَعْقِل المذكور في التّاريخ المذكور: أمر السّلطان ببناء قصر ثانٍ في بستان صالة[5]، وتوجّه إلى محروسة زَبِيْد يوم الرّابع من جُمادَى الأولى فأقام فيها نصف شهر،

---

(١) في (أ، ج، د، هـ): «نصرا من الله ...».

(٢) في (ج): «منها بباب يلف ...» وفي (د): «منها نبات يلف ...».

(٣) في جميع النّسخ: «... واشيه» ولم يتضح لي معناه، وما أثبت عن العقود (١/٣٧٩)، وفيه: «الجركتان ...».

(٤) الفَسْقِيّة: حوضٌ منَ الرّخام ونحوه مستديرٌ غالباً، تُوضع فيه نافورة، تكون في القصور والحدائق وغيرها.

(٥) في (الأمّ): «مثاله» وفي (ب): «مثله»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ وسيأتي على الصّواب عقب هذا.

وتقدّم نحو المَهْجَم فأقام بها إلى اليوم التّاسع عشر [1] من رجب، ثمّ سار إلى حَجّة في جيشٍ أَجْيَش [2]: (منَ الوافر)

يَحُفُّ أَغَرَّ لا قَوَدٌ عَلَيْهِ ولا دِيَةٌ تُساقُ ولا اعْتِذارُ [3]
تُرِيقُ سُيُوفُهُ مُهَجَ الأَعادي فَكُلُّ دَمٍ أَراقَتْهُ جُبارُ

وذلك حين طال الحصار على الظّهرين ولم يتّصل المقدّمون إلى عوض [4]، فوصل السّلطان إلى الجاهليّ [5] يوم الثّالث والعشرين من رجب، وتسلّم الظّهرين يوم الرّابع والعشرين من رجب، ونقل المحطّة والمنجنيق إلى شَمْسان وتواتر القتال عليه ورماه بالمنجنيق، فعمل فيه المنجنيق عملاً عظيماً، وكان الملك المُظَفَّر والصّاحب موفّق الدّين ينزلان لحضور الزّحْفة عليه وتطاول عليه القتال إلى النِّصف من شعبان، ثمّ[١٣٦أ] سلمّه صاحبه، وبعد تسليمه وصل الأمير تاج الدّين إلى المحطّة، وقد كان وصل قبله الأمير ابن وَهّاس وصاحب ثُلا وعساكر اليمن الأعلى حتّى امتلأت حَجَّة بالعساكر وتوسّط ابن وَهّاس في الصّلح لصاحب حراف [6]، فعاد إلى الخدم السّلطانيّة ورهن ولده وتوسّط أيضاً في صلح الإمام محمّد بن مطهّر على تسليم غُرْبان وبَراش.

ثمّ عاد السّلطان من حَجَّة يوم السّبت التّاسع عشر من شهر شعبان، فدخل المَهْجَم يوم الثّالث والعشرين منه، وخرج منَ المَهْجَم يوم الخامس والعشرين [7] متوجِّهاً إلى زَبِيْد

---

(١) في (هـ): «التاسع من»

(٢) في (أ): «أجر» وفي (ب): «أجيش جيش» وفي (ج، هـ): «أجش» وفي (د): «أحسن»، والبيتان للمتنبي؛ انظر شرح ديوانه: ٣/٤٧٦.

(٣) في العقود (١/٣٨١): «يخف ...».

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «عرض»، وفي العقود (١/٣٨١): «غرض».

(٥) قوله: «إلى الجاهلي» ليس في (ج، هـ).

(٦) في (أ): «حراق» وفي العقود (١/٣٨١): «جراف».

(٧) قوله: «منه وخرج ... والعشرين» سقط في (أ، ج).

وصام شهر رمضان وعيّد العيد هنالك.

وفي يوم السّادس عشر من شوّال: وصل الأمير تاج الدّين محمّد بن أحمد بن يحيى بن حمزة إلى الأبواب السّلطانيّة بزَبِيْد بعد الامتناع الشّديد والمرام البعيد وأكرمه وأتحفه وعظّمه وأنصفه، ولم يكن قبل ذلك وصل إلى السّلطان، وكان من أعيان الشُّرفاء ورؤسائها وهو صاحب الحصون الغربيّة: كُحْلان والطَّويلة وعدّة حصون كثيرة منَ الحصون الصّغار، فعامله السّلطان بإنعامه وأفاض عليه سَيْب إكرامه.

وتوجّه الرِّكاب العالي إلى بحر الأَهْواب ساحل زَبِيْد فركب الفِيْل عند دخوله الفازّة، وأردف الأمير تاج الدّين خلفه فارتاع قلب الشّريف من ركوب الفيل؛ وفي ركوب الفيل يقول عبد الباقي بن عبد المجيد[1]: (منَ البسيط)

اللهُ أَوْلاكَ يا داودُ مَكْرُمَةً ... ومُعْجِزاً ما أتاها قَبْلُ سُلْطانُ
رَكِبْتَ فِيْلاً فَظَلَّ الفِيْلُ في رَهَجٍ ... مُسْتَبْشِراً وَهْوَ بِالسُّلطانِ فَرْحانُ
لَكَ الإِلهُ أَذَلَّ الوَحْشَ أَجْمَعَهُ ... هَلْ أَنْتَ داودُ فِيْها أَمْ سُلَيْمانُ؟

وأقام السّلطان أيّاماً في البحر، ثمّ عاد إلى زَبِيْد فأقام بها أيّاماً قلائل، وتوجّه إلى محروسة تَعِزّ فدخلها يوم السّابع والعشرين من ذي القِعْدة وأحضر الأمير تاج الدّين للنُّزهة والفرحة في قصور ثَعَبات وقُراضَة وصِهْلَة وصالَة، فرأى مُلْكاً كبيراً و﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[الإنسان: ١٢] وفي ذلك يقول الأمير عماد الدّين إدريس بن عليّ يُهنّئ السّلطان بقدومه ثَعَبات، ويذكر دخول العشر من ذي الحِجَّة: (منَ الطّويل)

تَهَنَّأْ بِكَ العَشْرُ الكَرِيْمَةُ والشَّهْرُ ... وتَزْهُو بِكَ الأَيّامُ والمُلْكُ والدَّهْرُ
فَبِاليُمْنِ والإِقْبالِ حَلَّتْ رِكابُكُم ... بِحَيْثُ اسْتَقَرَّ المُلْكُ والنَّهْيُ والأَمْرُ[2]

---

(١) بهجة الزّمن: ٢٥٥.

(٢) في (ج): «بحيث استقل ...».

سَمَتْ ثُعباتٌ فَوْقَ كَيوانَ رُتْبَةً وطالَتْ على الآفاقِ وابْتَهجَ القَصْرُ
وأَشْرَقَ نُورُ المَعْقِلِ فكَأَنَّما تبَدَّى لنا مِنْ بينِ أَرْكانِهِ الفَجْرُ
وقد كانَ ظَنَّ الهَجْرَ لمّا رَحلْتُمُ ورامَ اصْطِباراً وَهْوَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ[١٣٦ب]
فَلَمّا أَتَتْ مِنكُمْ بَشائِرُ حَجَّةٍ وما فَعلَتْ فِيْها صَوارِمُكَ البُتْرُ
تَسَلَّى عَنِ البُعْدِ المُلِمِّ وسَرَّهُ لَكَ الفَتْحُ والإِقْبالُ والعِزُّ والنَّصْرُ
وحِيْنَ بَدا فِيْهِ جَبِيْنُكَ مُشْرِقاً ولاحَ ضِياءٌ مِنْهُ يَحْسُدُهُ البَدْرُ[١]
زَهَا حِيْنَما حَلَّ ابْنُ جَفْنَةَ صَدْرَهُ ولا غَرْوَ أَنْ يَزْهُو بِكَ الدَّسْتُ والصَّدْرُ
لَعَمْري لَقَدْ آنَسْتُمُ عَرَصاتِهِ وما رَضِيَتْ بُعْداً تِهامَةُ والبَحْرُ
ولا يَئِسَتْ مِنكُمْ أَباطِحُ مَكَّةٍ وما زالَ مُشْتاقاً لَكَ البَيْتُ والحِجْرُ
وفي كُلِّ أَرْضٍ مِنْ سَطاكَ مَخافَةٌ وفي كُلِّ قَلْبٍ مِنْ مَخافَتِكُمْ ذُعْرُ
وفَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ قَدْراً ورِفْعَةً ضَرَبْتُمْ رُواقَ المَجْدِ فَانْفتَحَ الفَخْرُ[٢]
وقَلَّدْتُمُ كُلَّ الأَنامِ صَنائِعاً فَما أَحَدٌ مِنْ رِقِّ إِحْسانِكُمْ حُرُّ
فلا زِلْتَ لِلدُّنْيا ولِلدِّيْنِ بَهْجَةً لَيالِيكُمُ زُهْرٌ وأَيّامُكُمْ غُرُّ
تُجَدِّدُ في الأَيّامِ كُلَّ مَسَرَّةٍ تَدُومُ وتَبْقَى ما لآخِرِها حَصْرُ[٣]

وفي هذه السّنة: أخذ محمّد بن غامس وولدُهُ من مشايخ حَجَّة حصنَ مَأْذِن وقتل صاحبه عليّ بن صعصعة وأخاه إسحاق بن صعصعة.

وفي هذه السّنة المذكورة: ظهر منَ الشّريفين رُمَيْثة وحُمَيْضة في مكّة منَ الجور

(١) في (ج، د، هـ): «وحين تبدى فيه وجهك ..»

(٢) في (أ، ج، هـ): «... فاتضح الفجر».

(٣) في (ج، د، هـ): «تجدد في كل الأنام ..».

والتَّعسُّف والطَّمع في أموال النّاس ما لم يُعْهد منهما ولا من غيرهما قبل ذلك.

وفي سنة تسعٍ وسبع مئة: توجّه الشّريف عماد الدّين [إدريس][1] بن عليّ لافتتاح الشَّرَفَين وصحبته العساكر المنصورة، واتّفق على أنّ ولد عليّ بن صعصعة تمّت له عُمُولة في حصن مَأْذِن، فدخلته العساكر السّلطانية ومُكِّنُوا منه، ولزموا ابن غامس وولده وتسلَّم نُوّاب السّلطان الحصن، وكذلك حصن الحَرِيْوَيْن[2] في بلد الجَبْر أيضاً فسلّمه العسكر السّلطانيّ، ووصل أمر السّلطان بتسليم ابن غامس وولده إلى ولد عليّ بن صعصعة وابن عمّه ولد إسحاق بن صعصعة فقتلاهما بأبَوَيهما عند باب الجاهليّ.

وتقدّم الشّريف بالعساكر منَ الظّهيرة[3] نحو الشَّرَف الأعلى فاستولى على جبل سَعْد ببلد الجَبْر وحصن القاهرة ببلد المَحابِشَة وأخذ رهائن من أهل الشَّرَفَين، وتوّجه نحو الشَّرَف الأسفل يوم الحادي عشر شهر ربيعٍ الأوّل، وتسلّم ذلك اليوم حصن القُفْل، فاجتمعت الشَّرَفَين[4] مع العساكر السّلطانيّة، فكان الجميع خمسة آلاف، فقصد بهم الأمير عماد الدين جبل الشّاهِل وهو من أَحْرَز الجبال وأَمْنَعها، فجعل الشّريف ابن عمّه في عسكر العرب أوّل النّاس وسار هو بالعسكر السّلطانيّ آخر النّاس، فلم يلقهم دون حصن أَقْتاب أحدٌ منَ النّاس، فحطّ عليه وأخذه واستولى على حصن القاهرة، وسار نحو جبل المسهلة[5]، فداخل[6] الشّريف يحيى بن أحمد القاسميّ رعبٌ عظيم فطلب الصّلح على تسليم حصن العَرُوس وهو مستَقَرُّ الشّريف[١٣٧أ]، حيث أموالُهُ وطعامه، وحصن شَمْسان وقلعة الشّمول، ولم يبقَ بيده

---

(١) ما حُفَّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) في (الأمّ، أ، ب، هـ): «الحربوس»، وما أثبت عن (ج، هـ)؛ وانظر المعجم اليمني: ٢/٧٤٦، ومعجم البلدان: ٢/٢٥٢، ولكنّه عدّه من حصون صنعاء.

(٣) في صفة جزيرة العرب (٦٩): «الظّهْرة».

(٤) في (ج، د): «أهل الشّرفين»، وفي العقود (١/٣٨٥): «عساكر الشرفين».

(٥) في صفة جزيرة العرب: «المشهل».

(٦) في (الأمّ، ب): «فدخل».

إلّا المنصورة، فانتقل إليها وسلّم ولده رهينةً في نزوله إلى الباب الشّريف.

فلمّا صفّى الشّرف الأسفل ولم يبقَ به إلّا حصن المَشُوكَة[1] للأشراف أهل جبل الحرام، ومنهم بالباب الشّريف محمّد بن عليّ وأخوه يطلبانِ بَيْعها على السّلطان فحطّ عليه الأمير عماد الدّين في العسكر المنصور أيّاماً فسلّمه أصحابه بألفَي دينار، وطلوع الشّريفين منَ الباب، فجاءتِ البِشارة إلى السّلطان وقدِ اشتراه الصّاحب منَ الشّريفين بخمسة آلاف دينار وأفراس وكَساوٍ، فسرّ السّلطان بأَخْذه وبَطَّلَ ما شرع فيه الصّاحب، وسار الشّريف إدريس إلى الشّرف الأعلى.

وفي يوم الإثنين السّادس عشر: قُتل الأمير سيف الدّين طَغْرِيل قتله أكراد ذَمار[2]، وكان على باب المدينة في قصر السّلطان، وكان قد طلب جريدة منَ الباب، فطلعت إليه جريدةٌ جيّدة بسبب تسليم القطع منَ البلاد، فتوهّم الأكراد أنّه يريد النّقض عليهم فقصدوه آخر الليل، فأتاه النّذير في تلك اللّيلة مِراراً فضيّع الحَزْم، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. فلمّا عزموا على قتاله وأجمعوا وخرجوا إليه منَ المدينة قصدوا محطّة عسكره فعقروا خيلهم[3] وساروا نحو القصر فأخذوا الإصْطَبل، فجاءهم عسكر السّلطان منَ المماليك البحريّة وغيرهم، فكسروهم وطردوهم عنِ القصر إلى باب المدينة، ورجعتِ المماليك إلى الأمير وهو بالقصر، فسألوه الخروج إليهم فامتنع ولم يحفل بهم، فتوقّف[4] العسكر عنه، ثمّ قصده الأكراد فحاصروه إلى بعد طلوع الشّمس، فخرج إليهم على ذِمّةٍ فقتلوه وقتلوا معه صِهْره، وهو أستاذ داره وكاتبه ووالي ذَمار ونقيبه وأربعة من مماليكه، فكان جملة من قُتل معه ثمانية نفر وهو تاسعهم، ونهبوا المحطّة وما فيها من خيلٍ وعُدَدٍ

---

(١) في بقيّة النّسخ ما خلا (هـ): «الشوكة» وانظر معجم البلدان (٥/١٣٦).

(٢) في العقود (١/٣٨٦): «قتله الأكراد في ذمار».

(٣) خيلهم: أي خيل عسكره.

(٤) في (الأمّ، ب): «فتوقوا» وما أثبت عن بقيّة النّسخ، وفي العقود (١/٣٨٦): «فتفرق».

وهرب مَن هرب سالماً.

ولمّا وصل العسكر إلى السّلطان وقد أُخِذت خيولُهم وعُدَدُهم أثابهم وعوّضهم عمّا فات لهم، وجهزّ العسكر مع الأمير شجاع الدّين عمر بن القاضي العماد وهو يومئذٍ أمير جانداره[1]، وسيّر الأمير عبّاس بن محمّد نحو صنعاء على طريق تِهامة وحَجَّة، ومعه مالٌ جيّد استخدم به عسكراً، فأتى ابن العماد في طريقه حتّى خرج عبّاسٌ من صنعاء في العساكر، وفيها الأمير علم الدّين حمزة بن أحمد والأمير ابن وَهّاس وصاحب ثُلا وهَمْدان وعِيال سُرَيْح وغيرهم، فكان دخولهم ذَمار هم وابن العماد في يومٍ واحد، وقدِ انحازت الأكراد إلى الوادي الحارّ، واستولوا على حصن هِرّان وشحنوه ورتّبوا فيه جماعةً فقصدهم العسكر إلى الوادي فقاتلوهم ثلاثةَ أيّام، قتل في كلِّ يوم منها ثلاثة منَ الأكراد وأخذت خيلهم، ثمّ تفرّقتِ الأكراد في كلّ ناحية[١٣٧ب] وأخرب العسكر السّلطانيّ أموال الفضل بن منصور وعاد العسكر إلى ذَمار، فتوجّه الأشراف نحو بلادهم وأقام الأميرانِ بذَمار.

وحصلتِ المكاتبة والمراسلة بين الأكراد والإمام محمّد بن مطهَّر فأجابهم وسار إلى بلد بني شهاب، وطلب الأكراد إلى هنالك فأجابوه، وسار عبّاس بعسكر صنعاء إلى صنعاء، وسار الإمام والأكراد وغيرهم إلى قَرْن عنتر فأخذوه قهراً وقتلوا مَن كان فيه، وكان فيه نحوٌ مِن مئة راجل، وأخذتِ العرب بيت بَرام وبيت رَدْم وقاهر حَضُور ورَدْمان بني حِوال؛ وزحف الإمام على صنعاء آخر شهر رمضان.

وكان الأمير عبّاس قائماً في أفْراس السّائلة خلف الباب، وقاتل أهل صنعاء على الدّوائر، ودخل بعض العسكر من بستان السّلطان ورجعوا، وعاد الإمام إلى حَدّة وسَناع فأقام بها، وكان معه منَ الأكراد وغيرهم نحوٌ من مئة فارس، وتتابعتِ الأَمْداد نحو صنعاء، ثمّ طلع السّلطان بنفسه النّفيسة.

فلمّا وصل ذَمار جعل رحلته من ذَمار صُبْحاً، فأمسى على باب صنعاء فلم يطمع

(١) في (ج، هـ): «يومئذٍ خازن داره» وفي (د): «يومئذٍ خازن بداه».

الإمام في مُعاودة القتال عليها.

وفي ليلة الخميس العشرين[(١)] من شهر ربيعٍ الآخر: توفِّي الفقيه العالم أبو بكر بن محمّد بن عمر اليَحْيَوِيّ، وكانت وفاته بزَبِيْد، وهو يومئذٍ أفضل أهل اليمن عِلْماً وفَضْلاً، وقد كان أخوه الصّاحب موفّق الدّين نزل لزيارته، فحضر دفنه والقراءة عليه.

وفي العشرين من جُمادَى الآخرة: توفِّي الأمير تاج الدّين محمّد بن أحمد بن يحيى [بن][(٢)] حمزة، وكان مع السّلطان من يوم نزوله إليه، إلى زَبِيْد، في شهر شوّال إلى هذه الغاية.

وفي أوّل شوّال: خالف الأمراء آلُ شمس الدّين بصَعْدَة وأخرجوا الأمير الكرديّ[(٣)] منها وسيّروه على طريق حَرَض، فغضب السّلطان، وجهّز ولده الملك المُظَفَّر إلى قاع بيت النّاهم فحطّ به يوم السّادس من ذي القِعْدة، ولوقته سار إلى بيت حَنْبَص فاستولى عليه، وظهر[(٤)] على الإمام ابن مطهَّر بِحَدّة فانهزم هو ومن معه منَ الأكراد طريق الحازَّة إلى حافد، ثمّ طلعوا إلى سبأ.

وكان الميعاد بين السّلطان وولده الملك المُظَفَّر آخر نهار الإثنين، فكانت عجلته سبباً لسلامة ابن مطهّر والأكراد، ولكلّ أجلٍ كتاب.

ونقض الأمير هُمام الدّين ما بينه وبين السّلطان في أوّل ذي القِعْدة، وكاتب آل شمس الدّين باللِّقاء والاتِّفاق، وأقام الإمام محمّد بن مطهَّر بجبل رهقة والأكراد في البَرَوِيّة[(٥)] والملك المُظَفَّر في محطّته[(٦)] في قاع بيت النّاهم مدّة نصف شهر، وعامل[(٧)] محمّد بن الذّيب

---

(١) في (ب): «الخامس والعشرين».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين يتطلّبه السّياق، وقد مرّ.

(٣) في (أ، ج، د، هـ): «البهاء الكردي» وكتبت كذلك في (الأمّ) ولكنه ضبب عليها.

(٤) في (الأمّ، أ، ب): «وظهرت» وفي العقود (١/٣٨٨): «وظهرت عساكره».

(٥) في (الأمّ، ب) غير معجمة وبلا واو، وما أثبت عن (أ) وغير معجمة في (ج، د، هـ)؛ وانظر معجم البلدان: ١/ ٤٠٥.

(٦) قوله: «والملك المُظَفَّر في محطته» ليس في (ب).

(٧) في (ج، د، هـ): «وعاب» وكلاهما بمعنًى.

الشِّهابيّ في الإمام والأكراد، فطلع العسكر الجبل فانهزم الإمام والأكراد، ثمّ نزلوا طريق مَفْحَق وافترقوا من هنالك[١٣٨أ]، فسار الأكراد نحو صُوْران، وسار الإمام نحو ذَرْوان، ثمّ سار نحو ظُلَيْمة، فعيّد بها عيد الأضحى، ووصله الأمير عليّ بن موسى إلى هنالك في آل الإمام فقصدوا الشَّرَف لِما بلغهم من تأخُّر النَّفقة عنِ العسكر وافتراقهم من أجل ذلك، فطلعوا من طريق كُحْلان فركز لهم الأمير عماد الدّين فعادوا خائبين نحو الظّاهر وقصدوا القُبّة ولقيهم الأمير هُمام الدّين إلى هنالك فحطّوا عليها ثلاثة أيّام، ثمّ افترقوا ورجع الأمير هُمام الدّين إلى ظَفار، وسار ابن مطهّر وعليّ بن موسى إلى صَعْدَة.

وفي غرّة ذي الحِجّة: أمر السّلطان بالقَبْض على الأمير جمال الدّين عبد الله بن عليّ بن وَهّاس[(١)] ووِلْده: داود والمؤيّد[(٢)] بصنعاء، واحتجّ عليه بأمور أوجبت ذلك، وسيّر العساكر مع عبّاس بن محمّد للمحطّة على حصنه عَزّان[(٣)]، وسيّر معه المنجنيق وعيّد السّلطان عيد الأضحى بصنعاء.

وفي سنة عشرٍ وسبع مئة[(٤)]: تسلّم الأمير شمس الدّين عبّاس بن محمّد بن عبّاس حصن عَزّان، ونقل محطّته نحو ظَفار، وحطّ بالطّبَقة[(٥)] عند حصن تَعِزّ ونصب المنجنيق عليه، فرغب الأشراف في الصّلح على يدِ الشّيخ نجم الدّين محمّد بن عبد الله بن عمر بن الجيّد[(٦)] بصَعْدَة، ورهن الأشراف على تمامه، وسار مُعِدًّا نحو السّلطان إلى صنعاء، فأتمّ السّلطان ما فعله، وصاح الصّائح بالصّلح ليلاً على كُرْهٍ منَ الأمير عبّاس، وكان ذلك خديعةً منَ الشّيخ ابن الجيّد لمّا علم بمَضَرّة أهل ظَفار إن أقام عليهم الحصار، فاستغاثوا

---

(١) في (هـ): «جمال الدين علي بن عبد الله بن علي بن وهاس».

(٢) في (ج، د، هـ): «داود المؤيد».

(٣) في (ج، د): «حصن عزان».

(٤) في (أ): «وفي سنة ستة عشر وسبع مئة».

(٥) في (أ، ج، د): «الطفة» وفي (هـ): «الضفة».

(٦) في العقود (١/٣٩٣): «الجند».

به فبادر مسرعاً لرَفْع المحطّة عنهم، فعدّها السّلطان له منَ الذّنوب، وأتمّ السّلطان ما تقرّر منَ الصّلح.

وفي الخامس والعشرين من صفر: توجّه السّلطان إلى تَعِزّ وترك في البلاد الصّنعانيّة الأمير أسد الدّين محمّد بن حسن بن نور مُقْطَعاً بها.

وفي هذه السّنة: تسلّم الأمير عماد الدّين إدريس بن عليّ حصن المفتاح مضافاً إلى ما تسلَّم من حصون الشَّرَفَين، وسلّم الجميع إلى نائب السّلطان، وهو حسن بن الصّباح بن ناجي وقد ولّاه السّلطان جهات الشّرق[1].

وفي السّابع عشر[2] من جُمادَى الآخرة: تقدّم الرِّكاب العالي من محروسة تَعِزّ إلى محروسة زَبِيْد، وفي هذا التّاريخ اصطلح [3] الأكراد ودخلوا في الطّاعة بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَت، وبذلوا الطّاعة من أنفسهم، ولجؤوا إلى الحرم الشّريف متفيِّئين ظلاله، مستمطِرين نواله، فعادت الشِّنْشِنة[4] الرّسوليّة عليهم بالإقبال، واستقرَّ الحال على بقاء هِرَّان تحت أيديهم، واستخدام مَن أراد الخدمة منهم، وتسلّم خمس رهائن.

وفي هذه السّنة: أقطع السّلطانُ الأميرَ جمال الدّين نور بن حسن بن نور الأعمال الصَّعْديّة، والجَوْفيّة، والحَيْسيّة[5] بتِهامة، وعوّض الأمير[١٣٨ب] عماد الدّين عنِ الجَنّة بالقَحْمَة.

وفي جُمادَى الآخرة: سار الإمام محمّد بن مطهَّر يريد لقاء الأكراد وقد طلبوه، فوصل الباقر[6] وأقام ينتظرهم فبدا لهم في الصّلح فأصلحوا السّلطان على أنفسهم، فرجع الإمام

---

(١) في (ج): «الشرف».

(٢) في (ج): «السابع والعشرين» وفي (د): «سابع وعشرين».

(٣) في (الأمّ، أ، ب): «أصلحوا» وفي (د): «اصطلحوا»، وما أثبت عن (ج، هـ).

(٤) الشِّنْشِنة: الخُلُق والطّبيعة.

(٥) في (ج، د، هـ): «الجنبة».

(٦) في (الأمّ، ب، هـ): «الباقي» وما أثبت عن (أ، ج، د)، يريد: «براقش الباقر»، وقد مرّ.

إلى ذَرْوان، وطلع السّلطان من زَبِيْد إلى تَعِزّ في آخر ذي القِعْدة منَ السَّنة المذكورة.

وفي هذه السّنة: حَجّ عدّةٌ منَ الأمراء بمِصْر في عدّةٍ كثيرةٍ منَ العسكر، وكان قَصْدهم لَزم الشَّريفين رُمَيْثة وحُمَيْضة، فلمّا علما بذلك نَفَرَا من مكّة ولم يتمكّن العسكر من قبضهما، فلمّا انقضى الحجّ ورجعتِ العساكر المِصْريّة رجعا إلى مكّة.

وفيها توفِّي الفقيه الفاضل عبد الرّزاق بن محمد الجَبَرْتيّ الزَّيْلَعيّ، ويُقال: إنّه شريف النّسب، [وكان فقيهاً تقيًّا، من أهل المروءة والدّين محبًّا في السّعي لقضاء حوائج الأصحاب][(1)]، وكان مدرِّساً في مدينة تَعِزّ، وتفقّه بمحمّد بن عبّاس وعليّ بن أحمد الجُنَيد، وكان وفاته في صفر منَ السَّنة المذكورة.

ويُروى: أنّه لمّا حُمِل نَعْشُهُ وساروا به نحو المقبرة جاء طائرٌ منَ الهواء فدخل في أكفانه ولم يُرَ بعد ذلك، والله أعلم.

وفيها توفِّي عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله ولد صاحب المِقْداحة، وكان خرجَ في حياة أبيه للسّياحة والتّعبّد، فطلع مدينة ظَفَار الحَبُّوضي[(2)] وأقام هنالك مدّة؛ فلمّا توفِّي والده أرسلوا له رسولاً قاصداً وسألوه الوصول إليهم، [فوصل][(3)] وابتنى رِباطاً، وقام بالموضع قياماً مرضيًّا إلى أن توفِّي في سَلْخ جُمادَى الأولى منَ السَّنة المذكورة، رحمة الله عليه.

وفي سنة إحدى عشرة: حصل منَ الإمام محمّد بن مطهَّر عزمٌ عظيم، وتوجّه إلى الشَّرف في جمعٍ كثيرٍ منَ العساكر، وكان قد أصاب[(4)] قبائل الشَّرَف[(5)] من ولاة السّلطان بعض ما يكرهونه فسار بهم نحو جبل الشّاهل، فلم يظفر بشيء، فطلع بلد المَحابِشَة،

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقية النسخ ما عدا (ب).

(٢) في (الأمّ): «الحبوظي».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٤) في (الأمّ، أ، ب): «أجاب» وما أثبت -وهو ما يتّجه به سياق الخبر- عن (ج، د، هـ).

(٥) في (د): «المشرق»، وهو كذلك في العقود: ١/٣٩٦، وهو خطأ.

فقاتل على القاهرة واستولى عليها وأخذ حصن هبيب وجبل سَعْد والشّجعة[1] والمفتاح، فأجابه أهل الشَّرَف الأعلى كافّةً.

فنزل السّلطان تِهامة وجرّد الجَرائد إلى تلك الجهة، وأمر الشّريف عماد الدّين إدريس بالتّوجُّهِ إليها على عادته، فسار على أَقْتاب، وكاتب القبائل فما أجابوا[2]، وسار إلى عَكّاش في اليوم السّابع من شعبان فقاتلهم ثمانية أيّام، وكان عسكرهم ألفاً وخمس مئة، وكان كلّ يوم ينقص من عسكره جماعةٌ، واستمدّ الإمام بقبائل حَجَّة وشَظَب والأَهْنُوم وقبائل الشّام، فاقبلوا إليه فقصدوا المحطّة يوم الخامس عشر[3] من شعبان في ستّة آلاف راجل، فانهزم العسكر السّلطانيّ قبل وصول الإمام، ولم يبقَ إلّا الشّريف عماد الدّين في أربعة أفراس، فأُسِرَ الشّريف عمادُ الدّين وقُتل ابن عمّه قاسم بن الأَبْرَش وأُسر خالُهُ، وسلم الرّابع بعد أن عُقِر حصانُهُ، وقُتِل في الوقعة[١٣٩أ] الأمير جمال الدّين غازي بن أبي بكر بن خضر، وكان يومئذٍ والي المركز والمِخْلافة والسُّرْدُديّة، وقتل سبعةٌ منَ الرَّجْل.

وأقام الشّريف عماد الدّين في الأسر نحواً من نصف شهر، ثمّ أفلت، فلحق بحصن حران[4] الّذي لابْنَي شرحبيل، فجمع الإمام جموعه وزحف عليه، فلم يظفر منه بشيء.

وتَسَلَّم الإمام حصن المفتاح يوم الخامس عشر من شهر رمضان بعد أن أفرغ ابن الطّمّاح جميع ما فيه من شُحْنَةٍ، وصَبَرَ هو ومن معه على أهون القُوت، وانتقل الأمير عماد الدّين إلى حصن الظَّفَر حصن الأمراء بني صفيّ الدّين في نصف رمضان، وقد كان السّلطان جهّز ولده الملك المُظَفَّر والصّاحب موفّق الدّين إلى الشَّرَف قبل الوقعة فبلغهما الخبر وهم بالمَهْجَم فسارا وأَخطّا[5]

---

(١) في (ج، د، هـ): «والشعفة».

(٢) في (أ): «القبائل فأجابوا».

(٣) في (هـ): «الخامس من شعبان».

(٤) في (ج، هـ): «حراز»، وفي العقود (١/ ٣٩٧): «عزان».

(٥) في (أ، ج، د، هـ): «فسار وخطا»، وفي (ب): «فسار وأخطا».

في قِلْحاح، ثمّ سارا إلى موضع[1] الشّريف عماد الدّين فهزمهم عسكر الإمام وقتل الشّيخ الرّياحي صاحب جبل تَيْس، ثمّ انتقل الشّريف عماد الدّين منَ الحصن المذكور إلى محطّة الملك المُظَفَّر بقِلْحاح فأقام عنده على أحسن حال إلى الرّابع عشر من شوّال، وأمره بالإقامة في جبل الشّاهل، وترك عنده منَ العسكر ألف راجل، ونزل المُظَفَّر والصّاحب موفّق الدّين إلى تِهامة، وتجهّز الأمير شمس الدّين عبّاس بن محمّد بن عبّاس إلى حَجَّة لحرب إبراهيم بن مُظَفَّر بذَرْوان، فحطّ عبّاس في سهل شَمْسان.

ولمّا تطاولتِ الفتنة بين السّلطان والإمام استقرَّ الحال على ذِمَّةٍ منَ السّلطان مدّة سنةٍ كاملة ليستريح النّاس منَ الفتنة وتضع الحرب أوزارها، ورجع الملك المُظَفَّر والصّاحب شمس الدّين إلى الأبواب السّلطانية بزَبِيْد.

وفي هذه السّنة: توفّي السّلطان الملك الواثق نور الدّين إبراهيم بن السّلطان الملك المُظَفَّر شمس الدّين يوسف بن عمر بن عليّ بن رسول في ظَفار الحَبُوضي، وكان فريداً في محاسنه، له معرفةٌ بالأدب ومشاركة في فنون العلم وكان جيّد الشّعر، ويُجيز عليه الجوائز السّنيّة: (منَ الطّويل)

ومَنْ يَكُ داودُ بْنُ يُوْسِفَ صِنْوَهُ فَلَيْسَ غَرِيْباً أَنْ يُرَى بِكَرِيْمِ

ويُروى: أنّ ولد الشّيخ أحمد الرِّفاعي وصل إلى ظَفار يريد الحجّ فتلقّاه السّلطان الملك المُظَفَّر بالإجلال، فأقام عنده ثلاثة أيّام في الضّيافات السّنيّة، وكان يرسل له كلّ يوم ألف دينار ملكيّة وتشريفاً، فتلك شِنْشِنةٌ مُظَفَّريّة ونَخْوة[2] هِزَبْريّة.

فلمّا وصل العِلْم بوفاته أمر السّلطان بالقراءة عليه سبعة أيّام، وحضر القراءة عليه ملوك بني رسول وأعيان الدّولة ووجوه النّاس، وفي كلّ يوم ينصرفون إلى سِماطٍ نفيس بُعَيد القراءة حتّى انقضتِ السّبعة الأيّام، رحمه الله تعالى.

---

(١) في (الأم): «محطة» ثم كتب عليها «موضع».

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «وأخوة».

وفي سنة اثنتي عشرة: طلع السّلطان الملك المؤيّد من محروسة زَبِيْد إلى محروسة تَعِز، وكان مسيره أوّل يومٍ منَ المحرّم منَ السَّنة المذكورة.

وفي[١٣٩ب] **اليوم الرّابع عشر من شهر ربيعٍ الأول:** قتل الشّريف عماد الدّين يحيى بن تاج الدّين؛ وكان سبب قتله أنّ بعض القبائل من أهل مِلْحان جرّؤوه على آخرين غيرهم وعدلوا فيه وفي عسكره، فلمّا أراد الخروج ردّ حصون أهل العدالة قبل انفصاله منَ الجبل فدغموا به، فقُتِلَ وقُتِلَ معه نيّف وأربعون رجلاً من أصحابه.

وفي هذا التّاريخ: وصلت رُسُلُ الإمام إلى الشّريف عماد الدّين إدريس بن عليّ ليَسْعَى[1] في الصّلح بينه وبين السّلطان قبل انقضاء الذِّمّة، فسيّرهم الشّريف إلى الباب الشّريف السّلطانيّ فتلقّاهم الشّيخ محمّد بن عبد الله بن عمر بن الجيّد، فكان [الحديث][2] على يدِهِ، وكان الصّاحب موفّق الدّين يومئذٍ مريضاً، فاشْتُهِر الأمر على صُلْح عشر سنين أوّلها جُمادَى الأخرى منَ السَّنة المذكورة: على أنّ الشّرف الأعلى والجَبْر بحَجَّة وصاحب بيت رَدْم وشركاءه وأموال الوُشاح حيث كانت وظفر بن وهّاس وما هو معروف للإمام بحَجَّة وظُلَيْمة وغيرهما =[إليه][3]، وثلاثة آلاف دينار كلّ سنة، وصاح الصّائح بالصّلح في تَعِزّ لمدّة عشر سنين.

فلمّا تمّ صلح الإمام وانفصل عنه الأكراد جرّد السّلطان من عسكر الباب مئتَي فارس ورَجْل مُدَجَّجٍ بالمحطّة على هِرّان وأمر الأمير أسد الدّين محمّد بن حسن بن نور أن يسير بعسكره من صنعاء إليهم فتوجّه الشّيخ ابن الجيّد حينئذٍ وعقد صُلْحاً للأكراد على تَرْك دخول ذَمار ورَداع وتَرْك الأَقْطاع، وأن تستمرّ رهائنهم بالعَرُوس، وأمر السّلطان الأمير أسد الدّين بسُكْنَى ذَمار واستيطانها، فامتثل الأمر.

---

(١) في جميع النّسخ ما خلا (ج): «الشعبي».

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين - وهو ما يتّجه به سياق الصّلح- عن العقود: (١/ ٤٠١).

وفي يوم الثّالث من جُمادَى الأخرى: سار السّلطان إلى الجَنَد بسبب الصّيد.

وفي اليوم الرّابع والعشرين: سار السّلطان إلى زَبِيْد فدخلها يوم الرّابع من رجب.

وفي ليلة الجمعة السّابع عشر من رجب المذكور: احترق دار المرتبة[١] بتَعِزّ لأسبابٍ اختلف النّاس فيها، فتلف فيها شيءٌ كثيرٌ منَ الأثاث والكتب النّفيسة والفروش[٢] وغير ذلك ممّا لا ينحصر.

وكان من جملة ما احترق شنخانتان كبيرتان كاملتان منَ الزَّرْكشيّ إحداهما صفراء والأخرى حمراء، وكان السّلطان يومئذٍ في زَبِيْد.

وفي هذه السّنة: أمر السّلطان بإنشاء قصرٍ بزَبِيْد على ظهر باب الشَّبارِق في البستان الّذي أمر بإنشائه، وهو المعروف بحائط لبيق[٣]، وكان صفةُ بنائه يومئذٍ: إيوانٌ طوله خمسةٌ وأربعون ذراعاً، وفي صدره مقعد طوله سبعة أذرع، وله دِهْليز متّسع، وفوق الدِّهْليز قصر بأربعة أواوين تشرف على البستان المذكور من جميع نواحيه.

وفي هذه السّنة: حجّ الملك النّاصر صاحب مصر في مئة فارس من[١٤٠أ] مماليكه وستّة آلاف على الهُجُن وسلاحهم القِسِيّ[٤]، فوصل مكّة المشرّفة في اثنين وعشرين يوماً من يوم خروجه من دمشق مُحْرِماً مُقْرَعاً، فطاف بمرأى النّاس، وكان أعرجَ قبيح العُرْجة[٥]، فقضى مناسكه، فلمّا حلّ حلق رأسه وأحسن إلى النّاس وتصدّق وعاد ومعه الشّريف أبو الغيث بن أبي نُمَيّ[٦]، وقد هرب رُمَيْثة وحُمَيْضة لمّا أحسّا بوصوله، فنهبا التّجّار الواصلين نهباً شديداً وفعَلا منَ الأفعال القبيحة ما لا يفعله أحدٌ، ولمّا انقضتِ أيّام الحجّ عادا إلى مكّة.

---

(١) في (هـ): «المدرسة».

(٢) في (أ، ج): «والفرش» وليس الكلمة في (ب).

(٣) في (أ): «البيق».

(٤) كتب في (الأمّ، ب): «القنا» ثم صححت بـ«القسي».

(٥) العَرَج والعُرْجة: موضع العَرَج من الرِّجْل.

(٦) في (أ): «أبو الغيث وابن أبي نُمي».

وفي شهر شعبان من هذه السّنة: حصل على الملك المُظَفّر حسن بن السّلطان الملك المؤيّد توعّك في جسمه، وذلك بعد وصوله منَ الشّرق[١]، وكان قبل طلوعه الشّرق غير طيّب، وكانت الحُمّى لا تفارقه مع سُعال، فلمّا اشتدّ عليه ذلك أمره والده بالطّلوع فطلع فاشتدّ به الأمر في رمضان، فهمّ والده بالطّلوع ثمّ توقّف، فلمّا كان يوم العيد أتى خبرٌ أزعجه فأمر الصّاحب موفّق الدّين بالطُّلوع لفوره، فطلع يوم العيد الظّهر وهو يوم الإثنين، فوصل تَعِزّ صبح يوم الثّلاثاء بعد طلوع الشّمس، وخرج السّلطان من زَبِيْد ظهر يوم الثّلاثاء فدخل تَعِزّ يوم الخميس وأرسل لابنه إلى ثَعَبات وأرسل الأطبّاء لمعالجته، فلم يزدد إلّا ضعفاً ونحفاً، ولم يزل كذلك إلى أن توفّي يوم الأحد السّادس من ذي القِعْدة، بعد أن أوصى وتَثَبّت في وصيّته.

وفي جملة وصيّته: أن يُبتنى له في قرية المَحالِب[٢] مدرسة، وأن يُجرى لها الماء، وأن يُجَرّ منها الماء إلى حوضٍ تحتها، وأوصى ألّا يُصاحَ عليه، ولا يشقَّ عليهِ ثوب، ولا يُغطّى نعشه إلّا بثوب قُطْنٍ، وألّا يُعقر على قبره شيءٌ من خيله، وأن يُقبر في مقابر المسلمين.

فنفّذ والده وصيته كلّها في جميع ما أوصى به إلّا في الدّفن؛ فإنّه أمر أن يدفن عند أخيه الظّافر في المدرسة المؤيّديّة في مَغْرَبة تَعِزّ، وكان من أجلّ الملوك قدراً، وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً.

وحضر دفنه ملوكُ بني رسول وشهدوا القراءَة عليه سبعة أيّام، وأمر والده بالقراءة عليه سبعة أيّام في سائر مملكته، وكتب العفيف ابن جعفر إلى السّلطان يعزّيه بهذه الأبيات:

(منَ المتقارب)

أَمَوْلَى المُلوكِ وسُلْطانَها ... وَيا مَنْ لَهُ طاعَةٌ تُفْتَرَضْ

---

(١) في (أ، ج): «الشرف»، وهي كذلك في العقود: ١/ ٤٠٣.

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «المحارب».

ولا مَلِكٌ ناقِضٌ عَقْدَهُ ولا مَلِكٌ عاقِدٌ ما نَقَضْ[1]
ولا عِوَضٌ مِنْكَ في ذا الوَرَى وكُلُّ الوَرَى أَنْتَ مِنْهُمْ عِوَضْ[2]

وفي العاشر من ذي القِعْدة: توفّي القاضي جمال الدّين محمّد بن أحمد بن محمّد بن[3] عمر اليَحْيَويّ، وهو الّذي كان ينوب عمّه القاضي موفّق الدّين الصّاحب في قضاء الأقضية، وكان يباشر الأحكام ويفصل القضايا ولا يعارضه أحد، وكان الغالب عليه سلوك طريق[١٤٠ب] الزّهد، بحيث إنّ أكثر أهله وأصحابه يقول عنه: إنّه لم يكتسب شيئاً منَ الدّنيا، وكان عمّه أبو بكر هو الّذي تولّى تربيته ولم يصر إليه أمر الوزارة والقضاء إلّا بعد أن تفقّه وتعبّد وحجّ وجاور في مكّة والمدينة، وعَرَفَ النّاس يَمَناً وشاماً وحِجازاً، ولم يكتسب شيئاً منَ الدّنيا كما اكتسب أهلُهُ أجمعون، ولا تزوّج امرأةً قطّ، وكان ما أشار به على عمَّيْهِ أبي بكر وعليّ لم يخالفاه، وفي أصحاب عمّه أبي بكر جماعةٌ يعترفون له وربّما يفضّلونه على عمّه أبي بكر.

[**وقال الجَنَديّ**[4]: كانت وفاته يوم الخميس تاسع عشر ذي القِعْدة منَ السَّنة المذكورة][5].

وقال الجَنَديّ[6]: وفيها توفّي القاضي موفّق الدّين الصّاحب عليّ بن محمّد بن عمر اليَحْيَويّ المعروف بالصّاحب، وكان رجلاً كاملاً رئيساً، فاضلاً فقيهاً نبيهاً، فصيحاً، شهماً، ولي الوزارةَ والقضاء الأكبر في الدّولة المؤيّديّة إلى يومِ وفاتِهِ يومَ الثّالث من ذي

---

(١) في (أ): «... ناقض عهده».

(٢) في (أ، ج، د): «... عنهم عوض» وفي (د): «ولا عوض عنك ...».

(٣) قوله: «محمد بن» ليس في (ج، د، هـ).

(٤) السّلوك: ١٣٢/٢.

(٥) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٦) السّلوك: ١٣٢/٢، بتصرّف.

الحِجَّة منَ السَّنة المذكورة، رحمة الله عليهم أجمعين.

وفي سنة ثلاث عشرة: برز مرسوم السّلطان إلى الأمير أسد الدّين محمّد بن حسن بن نور بأن يخرج من ذَمار ويحطّ على حصن هِرّان وينصب عليه المنجنيق ففعل ما أمره به ونصب المنجنيق، ووصل الأمير شمس الدّين عبّاس بن محمّد بن عبّاس معزولاً من حَرَض.

وفي آخر شهر ربيعٍ الأوّل: قتل الأكرادُ والي صنعاء حسن بن إياس في ستّة نفرٍ منَ الغُزّ، منهم: ابن الغلاب، والتّاج بن العزّ، وابن منقار، وجماعة منَ الرَّجّالة، فجهّز السّلطان عبّاس بن محمّد في خمسين فارساً خارجاً عن عسكره، فساروا من تَعِزّ يوم الخامس من جُمادَى الأولى فأقاموا مع ابن نور في محطّته على هِرّان، ولم يزل المنجنيق يصكّ هِرّان حتّى أتلفه إتلافاً كلّيًّا لم يُعلم قطّ أنّ منجنيقاً عمل في حصنٍ قطّ ما عمل المنجنيق في هِرّان.

فلمّا ضاق الأمر على الأكراد واشتدّ ورأوا الموت عِياناً لجؤوا إلى السّلطان فكاتب لهم الشّيخ محمّد بن عبد الله بن عمر [بن] الجيّد[١]، واستعطف خاطر السّلطان عليهم، فبرز أمر السّلطان بالذِّمّة على الأمير إبراهيم بن شكر والجلال بن الأسد فحضرا مقام السّلطان ودخلا تحت الطّاعة واستعطفا خاطره الشّريف، فرجع إلى شِنْشِنته الكريمة وعفا عنهم بشرط ألّا يبدو منهم ما يوجب الغِيار[٢]، وسلّموا هِرّان وعادوا إلى ذَمار على عادتهم[٣].

وفي هذا التّاريخ: تقدم السّلطان إلى زَبِيْد فدخلها يوم الثّاني عشر من رجب، ووصل إلى السّلطان -وهو مقيم بزَبِيْد- الأميرانِ الكبيران الهادي بن عزّ الدّين وداود بن عيسى[٤] مخاطِبَيْنِ في الأمير أسد الدّين محمّد بن أحمد بن عزّ الدّين، فلم يُجابا إلى خروجه منَ

---

(١) في جميع النّسخ: «... عمر الحيد» بإسقاط (بن) وبحاء مهملة، وقد مرّ تحقيق الاسم وَفْق ما أثبت أعلاه.

(٢) الغِيار: البِدال.

(٣) قوله: «بشرط ... عادتهم» سقط في (أ).

(٤) في (الأمّ، ب): «وداود وعيسى».

السّجن، وبرز أمر السّلطان بتوجيه الأمير عماد الدّين إدريس بن عليّ إلى صوب صُهَيب في جمعٍ كثير منَ الخيل والرَّجْل، فأقام في بلاد الأسياف حتّى رهنوا رهائن أكيدة، ثمّ سار إلى مَقْمَح فأخرب العسكر بلادهم وأتلفوا عليهم طعاماً[١٤١أ] كثيراً وأتلف الشّريف للجحافل طعاماً كثيراً وزَرْعاً وغير ذلك.

وفي أوّل يوم من ذي الحِجّة: أخرج السّلطان الأمير جمال الدّين عبد الله بن عليّ بن وَهّاس(١) من سجن تَعِزّ، وكان السّلطان يومئذٍ في زَبِيْد فنزل الأمير جمال الدّين وصحبته والي تَعِزّ إلى الشّريف مخاطباً في رجوعه إلى الخدمة الشّريفة وتسلَّم حصن ظُفَّر فأجيب إلى ذلك، وكانت إقامته في السّجن أربع سنين لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً.

فأقام في زَبِيْد أيّاماً ونزل إليه جماعةٌ من بني عمّه وأصحابه فأعلموه بامتناع ولده منَ الحصن المذكور، فسأل منَ السّلطان أن يقبل أولاده وبني عمّه رهينةً مع أربع حُلَل من حريمه قد صِرْنَ في صنعاء، ويتركه يطلع على حسب حاله ليتوصّل إلى دخول الحصن ويسلّمه إلى نُوّاب مولانا السّلطان فأذن له في ذلك، فسار إلى ولده ودخل الحصن وتمكّن منه وأمر ولده بالمسير إلى باب السّلطان وسلّم الحصن إلى نُوّاب السّلطان.

وفي هذه السّنة: وصل الشّريف أبو الغيث بن أبي نُمَيّ من مصر في عسكر جرّار إلى مكّة وفيهم منَ المماليك التّرك ثلاث مئة وعشرون فارساً وخمس مئة فارس من أفراس المدينة خارجاً عمّا يلحقهم منَ المُتَخَطِّفة والحَراميّة، فلمّا علم بهم رُمَيْثة وحُمَيْضة هربا إلى صوب حَلْي بن يعقوب واستولى الشّريف أبو الغيث على مكّة.

وكان المقدّم الأمير سيف الدّين طفصيا(٢)، فلمّا وصل المحمل السّعيد المؤيّديّ والعَلَم المنصور خرج الشّريف أبو الغيث والأمير سيف الدّين طفصيا للقائه وطَلَعَا به جبل عَرَفات على عادته.

---

(١) في (ج): «علي بن عبد الله بن وهاس».

(٢) في العقد الثمين (٤/٢٣٥): «طُقُصْبا»، وهو كذلك في العقود: ١/٤٠٧.

وفي هذه السّنة: توفّيت الحرّة المصونة مريم ابنة الشّيخ ابن العفيف زوج السّلطان الملك المُظَفَّر، وكانت من عقائل النّساء، طاهرة عاقلة، لبيبة، لها عدّة منَ المآثر الدّينيّة منها: المدرسة الّتي في زَبِيْد وهي الّتي تسمّى السّابقيّة، وكثير منَ النّاس يقول: مدرسة مريم. وهي من أحسن المدارس وَضْعاً، رتبت [فيها][1] إماماً ومؤذّناً ومعلّماً وأيتاماً ومدرِّساً ومعيداً وطلبة على مذهب الإمام الشّافعيّ ﵀، وأوقفت على الجميع وَقْفاً جيّداً يقوم بكفايتهم وابتنت في تَعِزّ مدرسةً في النّاحية الّتي تسمّى الحُمَيْراء، وأوقفت عليها وَقْفاً جيّداً[2]، ولها مدرسة في ذي عُقَيْب وهي الّتي دفنت فيها، ولها دار مضيف؛ وكان وفاتها بجِبْلة في جُمادَى الأولى منَ السّنة المذكورة، رحمها الله تعالى.

وفي هذه السّنة: توفِّي الفقيه الأديب الفاضل أبو محمّد عبد الله بن عليّ بن جعفر أديب اليَمَنَين وشاعر الدّولتين، وكان شاعراً فصيحاً بارعاً فاضلاً ظريفاً بليغاً، وقد أوردنا في كتابنا هذا ما فيه كفايةٌ ودليل على فضله، وكان ذا دِيْنٍ رَصِين لم يُحْكَ عنه شيءٌ يَشِينُ دينه[١٤١ب] ولا عِرْضه، وكان وَصُولاً لرَحِمِهِ، قائماً بأصحابه، باذلاً لهم جاهه.

قال الجَنَديّ[3]: وقد خالطتُهُ ولم أَحْكِ عنه إلّا ما هو عن نظرٍ لا عن خبر.

وكان كثير العبادة محافظاً على الصّلوات المفروضة والمسنونة، لطيف الأدب صائن العِرْض، واستمرّ كاتب الإنشاء في الدّولة المؤيّديّة، وكان مُداخلاً للملوك والأمراء، وله مدائحُ كثيرة في رسول الله ﷺ، ومدائح ربّانيّة، وكان أهله الذين يعولهم نحواً من أربعين بيتاً، وتوفِّي في النّصف من جُمادَى الأولى منَ السّنة المذكورة، وقيل: في السّابع منه[4]، والله أعلم.

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٢) قوله: «وابتنت ... جيداً» سقط في (ب).

(٣) السّلوك: ٢/٣٥٢، بتصرّف.

(٤) في (ب): «السابع عشر».

وفي سنة أربع عشرة: سار الشّريف أبو الغيث بن أبي نُمَيّ والأمير طفصيا إلى صوب حَلْي بن يعقوب يريدان حُمَيْضة ورُمَيْثة فلم يجدا لهما خبراً، وكانا قد لحقا ببلاد السَّراة.

فلمّا وصل الأمير سيف الدّين إلى مدينة حَلْي لم يدخلها، بل قال: هذه أوائل بلاد صاحب اليمن، ولا ندخلها إلا بمرسوم منَ السّلطان الملك النّاصر، وعاد على عقبه.

وفي صفر منَ السَّنة المذكورة: سلم الأمير عبد الله بن عليّ بن وَهّاس حصن الظَّفَر عدالةً إلى الأمير سليمان بن محمّد صاحب حصن العَرُوس، وسلّم إليه حصن اللّجام فانتقل إليه، ونقل ما كان معه إليه من أهلٍ وحَيَوان وأخرجت رهائنه من صنعاء، ووصلت كتب الأمير سليمان بقَبْضه ليلة الخميس الرّابع عشر من شهر ربيعِ الأوّل، فضربتِ البشائر بمدينة تَعِزّ وكُسِي المُبَشّرون، وجَهّز السّلطان أصحابه وأولاده الرّهائن وسِير بِهم إليه، ونزل الأمير عبد الله إلى الباب السّلطانيّ، فحملت له الطَّبْلخاناة والأعلام وأُقطِع مدينة القَحْمَة.

وفي العشرين من شهر ربيعِ الآخر: توفّي الشّريف عماد الدّين إدريس بن عليّ بن عبد الله بن الحسين بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن عليّ بن حمزة، وكان شريفاً طريفاً شجاعاً كريماً جواداً مِتْلافاً، وكان عالماً عاقلاً لبيباً أريباً مُتَّصِفاً بصفات الإمامة، وكان شاعراً فصيحاً بليغاً، وقد تقدّم من شعره ما يشهد بفضله، وهو مصنِّف كتاب (كنز الأخيار في معرفة السِّيَر والأخبار) وهو كتاب حسنٌ ممتعٌ، وله عدّةُ تصانيف في فنون كثيرة، ومدحه عدّةٌ منَ الشّعراء، فكان يُجيزهم الجوائز السّنيّة، وكان رحمة الله عليه غايةً في الجود والكرم والشّجاعة، رحمه الله تعالى.

وفي هذه السّنة: توفّي الفقيه الفاضل أبو الحسن عليّ بن عبد الله الزَّيْلَعيّ الفَرَضيّ؛ وشُهِر بالفَرَضيّ لإحكامه علم الفَرائض والحساب، مع أنّه كان مشاركاً في عدّةٍ من العلوم الدّينيّة مشاركةً مرضيّة، لاسيّما في الفقه والحديث والتّفسير والنّحو. وكان تفقّه بالإمام

أبي العبّاس أحمد بن موسى بن عُجيل، وأخذ الحديث على الإمام أبي الخير[١٤٢أ] بن منصور، وانتفع به جمعٌ كثير من زَبِيْد وغيرها، واستمرّ مدرِّساً في المدرسة التّاجيّة بزَبِيْد من قِبَل بني محمّد بن عمر، وكانت وفاته في أثناء السّنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

وفيها: توفِّي الفقيه الإمام البارع أبو محمّد صالح بن عمر بن أبي بكر بن إسماعيل البُرَيهيّ، وكان مولده سنة خمس وثلاثين وستّ مئة[١]، وكان فقيهاً بارعاً فاضلاً عالماً عاملاً محقِّقاً مدقِّقاً متفنِّناً، تفقّه بمحمّد بن مسعود المذكور أوّلاً، وإليه انتهت رياسة الفتوى بعده في ذي السَّفال، وارتحل هو والإمام أبو الحسن عليّ بن أحمد الأصبحي إلى أَبْيَن فأخذا عن ابن الزّنبول. وكان هذا صالحٌ فقيهاً فَرَضِيًّا حسابيًّا نَحْويًّا لُغَويًّا، عارفاً الحساب والجَبْر والمقابلة، وله تصنيفٌ جيّد في الفرائض قصد به (شرح الكافي) الّذي للصَّرْدَفيّ، وعنه أخذ أبو الحسن الأَصْبحيّ (نظام الغريب في اللُّغة[٢]) وغيره، و[به][٣] تفقَّهَ جماعةٌ منهم: محمّد بن أحمد بن سالم وأبو بكر بن عليّ وابن أخيه أحمد الشّوافي[٤] وجماعةٌ كثيرون. وكان يقول لأصحابه - كما يقول الصَّعْبيّ[٥] -: إن بلغت ثمانين عملت لكم شُكرانَة[٦]. فتوفِّي قبل ذلك، وكان وفاتُهُ ليلة الجمعة الثّالث من شوّال منَ السَّنة المذكورة.

قال الجَنَديّ[٧]: وفي كلّ ليلةٍ يُرَى على قبره نورٌ ساطعٌ صاعدٌ إلى السّماء حتّى ظنّ بعض النّاس أنَّ ثَمّ ناراً تُوْقد؛ أخبرني بذلك مَن شاهده مراراً، والله أعلم.

---

(١) قوله: «ابن أبي بكر ... وست مئة» سقط في (هـ).

(٢) في (ج): «نظام الغريب في الفقه».

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين - وهو ما تتّجه به المعنى - عن (أ، د، هـ)، وهي كذلك في العقود: ١/ ٤١٣.

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «وابن أخيه وأحمد الشوافي»، وهو كذلك في العقود: ١/ ٤١٣، وفي (ب): «وأبو بكر بن علي وابن أحمد الشوافي».

(٥) في (الأم، ب): «كما يقول لأصحابه»، وفي (أ): «الصبعي».

(٦) الشُّكْرانة: مأدبةٌ يصنعها المرء إذا أسنّ وبلغ الثّمانين شكراً لله على بلوغه سِنًّا عالية.

(٧) السّلوك: ٢/ ٢٣٨، بتصرّف.

وفيها: توفي الفقيه الفاضل أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سالم بن عمران السّهليّ[١] المُبيريّ، وكان ميلاده سنة ثلاث وسبعين وستّ مئة، تفقّه بأبيه وأخيه، وكان أحد أعيان زمانه في الزّهد والوَرَع والعلم، أخذ بطرَفَي الأمرين[٢]، واشتُهِر بفضل الذِّكْرَين.

ويُروى: أنّه نسخ (المهذّب) وهو يدرّس القرآن، فدرّس على كلّ جزءٍ منه عشر ختماتٍ مع نَسْخِهِ، فدرّس أربعين ختمةً على أربعة مجلّدات[٣]، وهو أمرٌ غريب؛ لأنّ النّاسخ لا يستطيع عمل شيءٍ آخر معَ النِّساخة، وهذا دليلٌ على الكرامة الواضحة، وكانت وفاته في أثناء السّنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

وفي سنة خمس عشرة وسبع مئة: وصل الأمير علاء الدّين كشدغدي ومعه جماعةٌ منَ المطلوبين منَ الدّيار المِصْريّة والشّاميّة[٤]، وكان الأمير علاء الدّين المذكور أستاذ دار الملك المُظَفَّر صاحب حَماة، وكان فاضلاً في أبناء جنسه، جمع بين شهامة السِّنان[٥] وفصاحة اللِّسان، وكان على ذهنه جملةٌ من أشعار الجاهليّة والمِصْريّين وغيرهم منَ المُحدَثين والمولَّدين، وكان يعرف شيئاً من أنواع البَزْدَرَة، ويُقال: إنّه كان يعرف شيئاً من ضَرْب الملاهي، وتقدّم عند السّلطان تقدُّماً كلّيًّا لم يُعْهَد مثلُهُ، فقابله السّلطان، رحمه الله، بالإقطاع المتّسع، وحمل[١٤٢ب] له طَبْلخاناة وعقد له الألوية وجعله من جملة ندمائه.

وفي هذه السّنة: رجع الشّريف حُمَيْضة بن أبي نُمَيّ إلى مكّة المشرّفة وقتل أخاه أبا الغيث واستولى على مكّة، فغضب من ذلك السّلطان الملك النّاصر، وجهّز جيشاً كثيفاً صحبة الشّريف سيف الدّين عُطَيْفة، فلمّا علم حُمَيْضة بوصولهم هرب من مكّة، فاستولى

---

(١) في (ج، د، هـ): «السهيلي».

(٢) في (أ): «الأمرين العلمين».

(٣) في جميع النّسخ ما عدا (د): «مجلدة»، وما أثبت عنها، وهو كذلك في العقود: ١/ ٤١٦.

(٤) في (ج): «والسياسة».

(٥) في (ج): «الشأن».

عُطَيْفة على مكّة ولحق حُمَيْضة بالشّرق.

وفي هذه السّنة: تولّى[1] القاضي جمال الدّين محمّد بن الفقيه رضي الدّين أبي بكر بن محمّد بن عمر اليَحْيَويّ قضاء الأقضية، وكان السّلطان يعظّمه إكراماً لأبيه، وكان عمره يومئذٍ عشرين سنة.

وفي هذه السّنة: توفِّي الإمام الفقيه العالم أبي الحسن علي بن الفقيه إبراهيم بن محمّد بن[2] حسين البَجَليّ، وكان مولده سنة ثلاث – وقيل: سنة أربع – وثلاثين وستّ مئة، وكان رجلاً مبارَكاً مشهوراً بجودة الفقه، وكرم النّفس، وحسن الأخلاق.

تفقّه في بدايته بعمِّهِ إسماعيل، ثمّ ارتحل إلى بيت حسين فأكمل تفقّهه بالفقيه عمرو بن علي التّباعيّ[3] فأخذ عنه (المهذّب) أَخْذاً مَرْضِيًّا، ثمّ ألزمه أن يتغيّبه، فتغيّبه تغيبياً مَيَّزَ فيه بين الفاء والواو، وأخذ عنه (البيان) وغيره، ثمّ سار إلى الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل، فأخذ عنه أيضاً، ثمّ عاد إلى بلده فسكن قرية شُجَيْنة، ولزم طريق الوَرَع والزُّهْد لزوماً تامًّا، وأقام يُدَرِّس، فأَتَتْهُ[4] النّاس منَ القُرْب والبعد، وشُهِر بالعلم والصّلاح، وكان أشرف أهل عصره نَفْساً وأدراهم بالعلم حِسًّا، وأكثرهم للكتاب والسّنة دَرْساً.

قال الجَنَديّ[5]: وأخبرني عبد الله بن محمّد الأحمر – أحد المدرّسين بزَبِيْد– قال: صحبت الفقيه عليّ بن إبراهيم ولزمت مجلسه عشرين سنةً ما علمت أنّ سائلاً يسأله فاعتذر، بل يعطيه ما سأل، وكان مستعملاً لجميع الطّاعات الواجبة والمستحسنة استعمالَ مُداومة، وكان من أبرك الفقهاء تدريساً.

---

(١) في (ج): «توفي».

(٢) قوله: «عمر اليحيوي ... إبراهيم بن محمد بن» سقط في (ج).

(٣) في (أ): «البناعي»، والتّباعيّون، بكسر التّاء: جماعة من أهل اليمن حدّثوا؛ انظر التّاج: (ت ب ع).

(٤) في (أ): «فأثابه» وفي (ج، د): «فانتفع به» وفي (هـ): «فانثابه».

(٥) السّلوك: ٢/٣٦٦.

قال(١): وأخبرني الفقيه محمّد بن عبد الله الحضرميّ فقيه زَبِيْد ومُفْتيها في عصره قال: لمّا جئت إلى الفقيه عليّ بن إبراهيم أريد أن أقرأ عليه وأنا على حالٍ متبلبلٍ أريد اجتماع قلبي على تحصيل العلم، فأوّل درسةٍ قرأتها عليه قمت وأنا بخلاف ما أعهد منَ الرّغبة، وكان عندي عدّة مسائل [قد اشتبهت عليَّ، فحين بدأت قرأت عليه أوّل يوم عرضت أنا على خاطري جميع تلك المسائل](٢)، فما عرضت مسألةٌ في خاطري إلّا وزال إشكالها، وذلك من بركته، وتبيّن لي خطؤها من صوابها، وما زلت أجد الزّيادة إلى وقتي هذا.

قال(٣): وكان لديه دنيا واسعة، إن وقف في بيته أطعم الواردين والزّائرين والطّلبة والمنقطعين، وكان كثيراً ما يحجّ فيصرف في الطريق إلى مكّة ما يجاوز الحدّ، وأحصوا حجّاته فكانت نيّفاً وثلاثين حجّةً، وخرج من بين يديه نحوٌ من مئة مدرّس[١٤٣أ]، ولم يَكُ في مدرِّسي تِهامة ولا الجبال المتأخرين أكثر أصحاباً منه.

وكانت وفاته يوم الثّاني عشر منَ المحرّم منَ السَّنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

وفيها: توفِّي الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن يحيى بن مضمون، وكان فقيهاً عارفاً نَحْويًّا بارعاً، ولي قضاء صنعاء من قبل بني محمّد بن عمر، وكان شديد الأحكام، مبالغاً في إقامة الحقّ وإقامة مذهب السّنة وإماتة البِدْعة، وكان يحلِّفُ الإسماعيليّة بأيمانٍ تشقّ عليهم، ثمّ بلغه أن بعضهم لمّا مات ودُفن دُفِن معه مصحف، فأمر من ينبش القبر وأخرج المصحف، فشقّ ذلك عليهم، فكادوه وبذلوا في عزله الأموال الجزيلة، فعُزِلَ بغير سببٍ يُوجب العَزْل، فعاد إلى بلاده فأقام بها مدّة، فرتّبه بعض أولاد أسد الدّين مدرِّساً في مدرسة جدّه بإبّ، فلم يزل بها إلى أن توفِّي، وكانت وفاته في السّنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

---

(١) السّلوك: ٢/٣٦٦.

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

(٣) السّلوك: ٢/٣٦٧.

وفيها: توفِّي الفقيه أبو حفص عمر بن أبي الرّبيع[1] سليمان المُلقّب بالجُنَيد بن محمّد بن أسعد بن أبي النُّهَى، وكان إماماً فاضلاً صالحاً، له كراماتٌ كثيرة، تفقّه بسعيدٍ الغولي[2]، وتوفِّي يوم الثّامن منَ المحرّم أوّل شهور السّنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

ومات الفقيه الأجلّ الفاضل أبو العبّاس أحمد بن أبي بكر بن أسعد بن زُرَيع بن أسعد، تفقّه بالفقيه صالح بن عمر البُرَيْهي تفقّهاً جيّداً، وكان عارفاً مجتهداً ذا صِيانة وعِفّة وعبادة، ودرس بسَهْفَنَة[3] على حياة شيخه، وتوفِّي لسبعٍ بقين من شهر ربيعٍ الآخر منَ السَّنة المذكورة، رحمه الله تعالى.

وفي سنة ستّ عشرة: حصل على السّلطان مرضٌ شديد خِيْف عليه منه التَّلَف، وأشفى[4] منه على الهلاك، وأرجف بموته ورُوي: أنّ القاضي جمال الدّين محمّد بن أبي بكر بن محمّد بن عمر راسل الملك النّاصر جلال الدّين محمّد بن الملك الأشرف بالأمور الباطنة وأمره بنَشْر الدّعوة وإياسه من عمّه، فلمّا انتشر العلم بذلك خرج السّلطان الملك المؤيّد من تَعِزّ إلى الجَنَد فرآه النّاس، فخشي ابن أخيه منه، فالتجأ إلى جبل سَوْرَق وهو جبلٌ حصين مُطِلٌّ على مدينة الجَنَد، فجهّز السّلطان له العساكر، وكان مقدّمها الأمير جمال الدّين نور بن حسن[5] بن نور، فحطّ عليه وأحاط بالجبل من كلّ ناحية، فطلب الملك النّاصر الذِّمَّة [من عمِّهِ][6] فأَذَمَّ عليه فنزل إليه على الذِّمَّة، وحصل بينه وبين عمِّهِ اتّفاق وصلح. ويُقال: إنّه عَرَّفَ السّلطانَ سببَ ذلك، فعزل القاضي جمال الدّين عنِ القضاء واعتقله في حصن تَعِزّ، وفوّض أمر القضاء إلى القاضي رضي الدّين أبي بكر بن الأديب أحد فقهاء الشّافعية، وكان

---

(١) في (أ): «ابن الربيع».

(٢) في ثغر عدن (١٣٠): «سعيد بن عمران العَوْدريّ»، ولهذا ترجمة وافية في العقد الفاخر الحسن: ٢/٩٥٩.

(٣) في (الأم، أ، هـ): «بسهفية» وما أثبت عن (ب، ج، د)؛ وانظر معجم البلدان: ٣/٢٩١، والسّلوك: ١/٢٨٨.

(٤) **أشفى**: أشرف؛ يقال: أشاف الرّجل على الشّيء وأشفى: إذا أشرف.

(٥) في (د): «حسين»، وهو في العقد الفاخر الحسن (١/٥٨٧): «بوز بن حسن بن بوز».

(٦) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (ب).

ذلك بمحضر جماعةٍ كثيرة من فقهاء الجبال والتّهائم، فحصل الإجماع عليه، وكان فقيهاً فاضلاً له بسطة في العلم، يعرف كثيراً منَ المعقولات والمنقولات.

وفي سنة سبع عشرة: وصل القاضي أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد من دمشق على طريق مكّة يطلب[١٤٣ب] من [صدقات][(1)] السّلطان الملك المؤيّد فناله من إكرامه وإحسانه ما صغّر عنده أخبار مَنْ مَضَى منَ الأجواد والكرماء، وولي كتابة الإنشاء في المملكة اليمنيّة.

وفي هذه السنة المذكورة: دخل العسكر المنصور مدينة فَلَّلَة ومَلَكُوها وضُرِبت البشائر في سائر البلاد، وفيها وصل رسول صاحب هُرْموز بالهدايا والتُّحَف فقابله السّلطان بما يليق به وأكرمه وعَظَّم قدره.

وفي سنة ثماني عشرة: وصل القاضي صفيّ الدّين عبد الله بن عبد الرّزّاق الواسطيّ بطلبٍ حثيثٍ منَ السّلطان وصرف مولانا السّلطان عليه إلى حال وصوله نحواً من ألفَي مثقال، فلمّا وصل في التّاريخ المذكور صرف إليه مولانا السّلطان شدَّ الاستيفاء، وحظي عند السّلطان، وانبسطت يدُهُ في الدّواوين، وكان زوجاً لابنة الأمير علاء الدّين كشدغدي، وهو الّذي عينه لذلك، فسار بالنّاس سيرةً عنيفة[(2)]، ثمّ توجّه إلى عَدَن، فحمل منها إلى الخزانة ثلاث مئة ألف دينار ملكيّة، فلمّا وصل لقي السّلطان في الجَنَد فأكرمه وعظّم قدره.

وفي هذه السّنة: توجّهتِ الرّسل إلى مصر وهم الأمير بدر الدّين[(3)] حسن بن الأسد ومن جرتِ العادة بمسيرهم معه في خدمته.

وفي السّنة المذكورة: رتّب الأمير علاء الدّين كشدغدي عساكر السّلطان المنصورة على ترتيب العساكر المِصريّة، وجعل لها جناحاً للميمنة وجناحاً للميسرة، وجعل

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د).

(٢) في العقود (١/ ٤٢٦): «عفيفة».

(٣) في جميع النّسخ: «أسد الدين» وسيأتي على الصّواب لاحقاً، وانظر العقود: ١/ ٤٢٧.

للسّلطان عصائب كثيرة، وركب المماليك بالنّفخ، وجعل منهم طائفة طبرداريّة، وركب السّلطان في هذا الزّيّ.

وفي سنة تسع عشرة: توجّه السّلطان، رحمة الله عليه، إلى الأعمال السّهاميّة(١)، فوقف في الكَدْراء وعزل بعضَ النُّوّاب وولّى آخرين، وكان القاضي صفيّ الدّين مستمرّ الحكم في الدّواوين، وفوّض السّلطان نيابةَ السّلطنة إلى الأمير علاء الدّين كشدغدي، وكان أتابك العسكر المنصور، وتقدّم عند السّلطان في هذه السّنة تقدُّماً لم يُسْمع بمثله، وحصل بينه وبين صِهْره القاضي صفيّ الدّين منافسةٌ في الظّاهر والباطن.

وفي هذه السّنة: حصل منَ السّلطان تغيّرٌ على الأمير شجاع الدّين عمر بن علاء الدّين الشِّهابيّ، فعزله عن وظيفته، وقبض عليه وأودعه السّجن، ونُسِب إليه حديثٌ من جهة الملك النّاصر فأقام أسبوعاً في السّجن وتحقّق السّلطان براءته فيما قِيْل عنه، فأطلقه.

وحصل بين الأمير شجاع الدّين وبين القاضي جمال الدّين محمّد بن أبي بكر منازعاتٌ طويلة، وأحضر القاضي جمال الدّين إلى مقام السَّلْطنة جماعةً يشهدون على(٢) الأمير شجاع الدّين بكلامٍ كثير يتعلّق بالملك النّاصر، وحضر الملك النّاصر يومئذٍ مقام السّلطان، ونفى عن[١٤٤أ] الأمير شجاع الدّين جميع ما ذُكِر عنه، وحقّق لمولانا السّلطان ما كان منَ القاضي جمال الدّين، فغضب السّلطان على القاضي جمال الدّين غضباً شديداً، وسلّمه إلى القاضي صفيّ الدّين ليستخلص منه مالاً كثيراً، فصادره مصادرةً قبيحة.

وفي سنة عشرين وسبع مئة: مرض الأمير علاء الدّين كشدغدي مرضاً شديداً أفضى به إلى الموت، وحصلت مرافعاتٌ كثيرة على القاضي صفيّ الدّين عبد الله بن عبد الرّزّاق، وحقّق عليه كُتّاب الدّواوين في المقام السّلطانيّ أنّه أخذ جملةً منَ المال، فعزله السّلطان عن شدّ الاستيفاء، وفوّض الأمر في ذلك إلى الأمير جمال الدّين يوسف بن يعقوب بن الجواد،

---

(١) في (ج): «التهامية».

(٢) في جميع النّسخ ما عدا (أ): «يشهدون عن».

وكان أميراً كبيراً عالي الهمّة، حسن التّأنّي [في الأموال](١)، وسأل منَ السّلطان، رحمه الله، ألّا يجعل عقوبة أحدٍ على يديه، وأنّ مهما تعيّن في الأموال [السّلطانيّة](٢) يأمر السّلطان على أمير جاندار [باستخراجه](٣)؛ وهذا دليلٌ على خيره.

وفي هذه السّنة المذكورة: وصل القاضي محيي الدّين يحيى بن عبد اللّطيف التّكْرِيتيّ منَ الدّيار المِصريّة على طريق مكّة المشرّفة، وأحضر إلى مقام السّلطان جوهراً كثيراً منَ الزُّمُرُّد واللآلئ، وتقدّم عند السّلطان تقدُّماً حسناً، وأحلَّه محلّ الوزارة، وسلّم إليه السّلطان من خالص ماله مئةَ ألف دينار ملكيّة منَ المال الحلال على حكم التّجارة، وكتب [له](٤) إلى عَدَن بخمسين ألفاً(٥)، فلمّا نزل عَدَن تصرّف فيها تصرّف المُلّاك، وكان قاضياً على الوزارة.

وفي هذه السّنة: وصل الأمير بدر الدّين حسن بن الأسد منَ الدّيار المِصريّة صحبته جماعةٌ كثيرة ممّن طلبهم السّلطان، ومن جملتهم: القاضي بدر الدّين حسن بن أحمد المختار، الإمام الفاضل العارف بعلوم الأوائل منَ الهيئة والهندسة، وعلم المَجَسْطيّ(٦)، وكان مشاركاً في كلّ فنٍّ، وضارباً في كلّ علمٍ بنصيب، ولم يكن في البلاد الشّاميّة والدّيار المِصريّة مع اتّساعها مَن يُناسبه في معرفته، وفرح السّلطان بوصوله فرحاً شديداً.

وفي سنة إحدى وعشرين: وصل القاضي محيي الدّين من عَدَن وحصل بينه وبين القاضي صفيّ الدّين مرافعاتٌ كثيرة، واتّفق لمحيي الدّين اتّفاقات ليست بحسنة فنقض ذلك القَبول من جهة السّلطان، فكان في خلال ذلك يطلب الوزارة، وسعى في تحصيلها، فلمّا

---

(١) ما حُفّ بمعكوفتين عن بقيّة النّسخ ما عدا (أ، ب).

(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (أ).

(٣) في (ج، د، هـ): «خازندار» وما حُفّ بمعكوفتين عن العقود: ١/ ٤٣٤.

(٤) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، د).

(٥) قوله: «من المال ... بخمسين ألفاً» ليس في (هـ).

(٦) **المَجَسْطِيّ**: اسمٌ لِعْلمِ الهيئةِ، وبِهِ سُمّيَ الكتابُ الّذي وَضَعَهُ بَطْلَيْمُوسُ الحَكِيمُ؛ التّاج: (م ج س ط).

ألحّ[١] وأكثر، قال السّلطان: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾ [القيامة]، ثمّ أراد السّلطان أن يجبر خاطره فأركبه يوم عيد الفطر في موضع الوزارة، وركب بالطَّرْحَة على عادة الوزراء المِصريّين.

وفي هذه السّنة: توفّي السّلطان الملك المؤيّد، رحمة الله عليه، وكان قد عزم على النّزول إلى زَبِيْد كجاري عادته في كلّ سنة، فبرز إلى قصر الشَّجَرة، فأقام فيها نحواً من عشرة أيّام بسبب مرضٍ أصابه، فلمّا اشتدّ به المرض وهو في دار الشَّجَرة أمر ولده السّلطان الملك المجاهد بطُلُوع الحصن، ولم يكن له يومئذٍ ولدٌ غيره، فطلع الحصن يوم الإثنين سَلْخ ذي القِعْدة منَ السَّنة المذكورة، وتوفّي والدُهُ نصفَ اللّيل من ليلة الإثنين[٢] في ذي الحِجَّة، وقد نزل الأمير جمال الدّين يوسف بن يعقوب بن الجواد[٣] وكان[١٤٤ب] يومئذٍ نائب السَّلطنة وأتابك العسكر وأستاذ دار السّلطان، ونزل بنزوله جماعةٌ منَ العسكر[٤] وأعيان الأمراء، فثبت ثباتاً حسناً، وحفظ نظام السّلطنة[٥]، وضرب أَيْزَكاً[٦] على الشَّجَرة إلى آخر اللّيل، وطلعوا آخر اللّيل بالسّلطان المرحوم إلى الحصن فأنزلوه في دار العدل، وكان، رحمة الله عليه، قد أوصى أن يغسله جماعةٌ منَ الفقهاء منهم: الفقيه عبد الرّحمن الصّفاري[٧] والبهاء الخازندار، وأن تكون آلة الغَسْل كلّها مَدَراً يُشْتَرى له منَ السُّوق، فاشتُري له كما ذكر، فكان هذا أوّل شيءٍ استنكره النّاس من ولده المجاهد، وحمل من دار العدل إلى مدرسته الّتي أنشاها في مدينة تَعِزّ، فدُفِنَ بها، وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً فيا لها

(١) في (الأمّ، ب): «ألحح».

(٢) في (أ، ج، د، هـ): «الثلاثاء».

(٣) في (هـ): «يعقوب الجواد».

(٤) في (ج، د): «العسكر المنصور».

(٥) في (ج): «السّلطانية السعيدة» وفي (د): «السلطنة السعيدة».

(٦) **الأَيْزَك**: من طلائع العسكر؛ صبح الأعشى: ١٢/١٦٧.

(٧) في (أ، ج، د): «الظفاري».

من مصيبةٍ تركت العامّة حَيارى والخاصّة سُكارى، وكان كما قال أبو الطَّيِّب المتنبِّيّ[(١)]:

(منَ الكامل)

خَرَجُوا بِهِ ولِكُلِّ باكٍ حَوْلَهُ صَعقاتُ مُوسَى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ[(٢)]

حتّى أتَوْا جَدَثاً كَأنَّ ضَرِيحَهُ في كُلِّ قَلْبِ مُوَحِّدٍ مَحْفُورُ[(٣)]

والشَّمْسُ في أُفُقِ السَّماءِ مَرِيْضَةٌ والأَرْضُ راجِفَةٌ تَكادُ تَمُورُ[(٤)]

وكان له منَ المـآثر الدّينيّة: مدرسته الّتي أنشأها بمَغْرَبَة تَعِزّ المعروفة بالمؤيّديّة، ورتّب فيها مدرِّساً ودرسةً[(٥)] ومعيداً وإماماً ومؤذِّناً ومعلِّماً وأيتاماً يتعلّمون القرآن الكريم، ومقرئاً يُقرئ القرآن بالسّبعة الأحرف، ووقف عليها منَ الأراضي والكُرُوم ما يقوم بكفايتهم، ووقف بها خزانةً منَ الكتب النّفيسة، وابتنى في أيّامه عدّة منَ المـآثر؛ وابتنت كريمتُهُ الّتي تسمّى[(٦)] دار الدُّمْلُؤة مدرسة بزَبِيْد[(٧)] ومسجداً بتَعِزّ ومدرسة بظَفار الحَبُّوضي، وابتنت كريمته الأخرى الّتي تسمّى دار الأسد مدرسة بتَعِزّ في ناحية حَدَبَة، ومدرسة بظَفار الحَبُّوضي[(٨)]، وجدّدت مسجداً بزَبِيْد، وكان قد أشرف على الانهدام، وابتنى الأمير الفارس الخازندار مسجدَين أحدهما في زَبِيْد والآخر في مَغْرَبَة تَعِزّ، وابتنى البهاء الخازندار مسجداً[(٩)] بتَعِزّ بين المَغْرَبَة وعُدَيْنة.

---

(١) شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبي: ١/٢٥٧-٢٥٨؛ وترتيب الأبيات فيه ضمن القصيدة: ٦، ٩، ٧.

(٢) في شرح الديوان: «... باك خلفه».

(٣) في (أ، د): «في كل يوم ...» وفي (ج، هـ): «في قلب كل ...».

(٤) في (هـ) وشرح الديوان: «والشمس في كبد ...»، وفي شرح الديوان أيضاً: «والأرض واجفةٌ ...».

(٥) في (أ): «ودُرسة».

(٦) في (العقود اللؤلؤية): «فابتنت كريمته الّتي تسمى جهة دار الدُّمْلُؤة».

(٧) في (د): «بزبيد وتعرف بالأشرفية».

(٨) قوله: «وابتنت كريمة الأخرى ... الحبوضي» سقط في (ج، د).

(٩) قوله: «بزبيد وكان قد أشرف ...الخازندار مسجداً».

وابتنى الأمير محمّد بن ميكائيل الّذي كان أستاذ داره مدرسةً بزَبِيْد، ولم يمت، رحمة الله عليه، حتّى استحلف العسكرَ لولده الملك المجاهد.

وكان الملك المؤيّد، رحمة الله عليه، ملكاً جبّاراً شجاعاً مقداماً شهماً جواداً كريماً؛ فممّا يُحكى عنه من شجاعته وشدّة بأسه أنّه حضر مقامه يوماً عدّة من أمراء الأشراف وأشراف الأمراء فأمر بإحضار الطّعام، فلمّا حضر الطّعام أكل منه الحاضرون بحسب كفايتهم، وكان بين يديه خروف فأكل جنبه الأعلى، ثمّ قلبه فأكل من جنبه الأسفل، ولم يكن يعتد ذلك، فاسْتُوْحِش أمرُهُ.

فلمّا انقضى الطّعام وغسل الجماعة أيديهم، أمر بإحضار الأسد إلى مجلسه بغير علم أحدٍ منَ الحاضرين فما علموا حتّى صال[1] الأسد على باب المجلس، فارتاعوا جميعهم فأدخلهم في شبابيك المجلس وكُمَّيْهِ، وأمر بإدخال الأسد إليه، ولم يكن[١٤٥أ] في المجلس أحدٌ غيره فأخذ سيفاً ودَرَقَة وقام إلى الأسد حَثِيثاً[2] وهو عظيم الخلقة، فحمل عليه الأسد فاتّقاه بالدَّرَقَة وضربه بالسّيف ضربة أخرج حشوَتَهُ ومِصْرانَهُ على الفرش، ووقع الأسد صريعاً لا يملِك من نفسه شيئاً، وقعد السّلطان في موضعه الّذي قام منه غيرَ مُكْتَرِثٍ، وخرج إليه الجماعة منتقعةً[3] ألوانهم، طائشةً عقولهم يدعون له بالبقاء ويهنّئونه بالظَّفَر، فأذن لهم في الانصراف، وقعد من موضعه في خاصّته. فساءَلَه بعضهم عمّا فعل من حضور الأسد وقتله، وما السّبب الّذي أوجب ذلك، فقال: إنّي أكلت اليوم أكلاً متناهياً لا أعتاده، وفي المجلس غير أهله، فربّما استوحشوا ذلك منّي، فأردت أن أُريهم منَ الفعل ما لا يستعظمون عنده ذلك الأكل.

---

(١) في (ج، د): «هاك».

(٢) في (ج، د): «وقام إلى الأسد، وكان الأسد خبيثاً عظيم الخلقة».

(٣) في (الأمّ، أ): «منقعة» وفي (هـ): «متبقعة»، وما أثبت عن بقيّة النّسخ.

وله عدّة مشاهد في الحرب، وكان والده يرمي به في كلّ مخوفٍ ويرسله لكلّ قَبيلٍ عاص، ويُقْطِعُهُ كلّ بلدٍ يعظم فسادُ أهلها، ثمّ لا يعزله عنهم إلّا رحمةً عليهم.

وأما جوده وكرمه فغير محدودٍ ولا معهود، وله في ذلك عدّة فَعْلات مشهورة فمنها: أنّه وهب خزانة عَدَن بأسرها - وهي أُلُوفٌ منَ الذّهب ومثلها منَ الفضّة وأضعاف ذلك منَ الملابس والأَطْياب والتُّحَف والطُّرَف ممّا لا يحويه الوَصْف ولا يُحْصِيه العدّ - لأحد ندمائه، وهو الأمير شمس الدّين عليّ بن رضوان، وكان خَصِيصاً به، وكتب له بذلك إلى الخازندار.

فلمّا وقف الخازندار على الكتاب استعظم الأمر، وقام إلى السّلطان، وكان مُعَظَّماً عنده، فاستأذن عليه فأذن له، فلمّا مثل بين يديه قبّل الأرض، وأعلم السّلطان بما كان منَ الأمر وأوقفه على خطّه، فقال: صدق، هذا خطّي. فقال الخازندار: وإن كان خطُّك فما أنا معطيه ما يريد. ونزل مُغْضَباً من عند السّلطان وهو بين الإقدام والإحجام، فلمّا وصل إلى الجماعة الكتّاب، وابن رضوان واقفٌ بين الجماعة قال له الأمير:

يا هذا، اعلم أنّ هذه الخزانة فيها جوامك عسكر اليمن كافّة، وفيها كسوة السّلطان وأولاده وأهل بيته وأطيابهم، وما ينبغي لك ولغيرك أن تختصّ به، فإن رأيت أن نعطيك من جميع ما فيها من ذهبٍ وفضّة وملبوسٍ ومشموم وغيره ممّا يليق لك أن تستعمله، وينبغي لك أن تلبسه فعلنا، وهو المصلحة لك، ولا مصلحةَ لك في أن تترك الخاصّة والعامّة أعداءك، وإن لم تقبلِ المشورة فعلنا نحن بخلاف ذلك ومنعناك الدّخول إلى السّلطان رأساً[1]، وربّما أنّك لا تسلم لك نفسك من هؤلاء الجُند الّذين طال انتظارهم، وقلّ اصطبارهم. ثمّ سمع قائلاً يقول: لا رحمه الله[2]. فقبل ابن رضوان ما أشار به

(١) قوله: «رأساً» كذا بجميع النّسخ، وهو أسلوبٌ مستخدمٌ اليوم بمعنى: مباشرة.

(٢) في (الأمّ، أ، ب، هـ): «رحمه الله»، وما أثبت عن (ج، د).

الأمير، وأُعطي من ذلك سهماً وافراً، فلامه السّلطان على قَبوله البعض وعنّفه.

وهذه قصّة مستأنفة في اليمن يعلمها الصّغير والكبير. ولعَمْري إنّ هذا غاية الجود[١٤٥ب].

ومن ذلك ما أخبرني به الفقيه جمال الدّين محمّد بن عبد الله الرَّيْميّ قاضي قضاة اليمن، عمّن حدّثه بذلك: أنّ السّتّ رشيد كتبت إلى السّلطان الملك المؤيّد، رحمة الله عليه، تطلب منه مُدًّا من زكاة الطّعام، ومُدًّا من زكاة التَّمْر، وعِبْرَة المُدّ الواحد في اليمن - في ذلك الزّمن -: ثلاث مئة وعشرون مكيالاً؛ المكيال الواحد ثلاث مئة وعشرون قَفْلَة بالمِصريّ.

فكتب إلى نائبه على أملاكه السّعيدة أن يصرف لها عشرة أَمْداد منَ الطّعام وعشرة أَمْداد منَ التّمر، وقال: أَبَى قَلَمُنا أن يكتب مُدًّا واحداً.

وممّا أخبرني به الفقيه جمال الدّين أيضاً: قال: لمّا خالف الملك النّاصر على عمّه السّلطان الملك المؤيّد، رحمه الله، وجهّز إليه العساكر المنصورة التجأ إلى جبل سَوْرَق وطلب الذِّمَّة من عمّه، فأَذَمَّ عليه، فنزل منَ الحصن المذكور وسار إلى عمّه فأمر السّلطان كلَّ العسكر بتلقِّيه، فالتقاه العسكر ووصل إلى الباب الشّريف، ثمّ سار إلى منزله، فلمّا استقرّ في منزله كتب السّلطان[١] منَ الغدِ إلى الخازندار: يا فلان، احمل إلى الولد محمّد[٢] مئة ألف دينار، وخذْ خَطَّهُ بذلك.

وقد كان السّلطان الملك المؤيّد، رحمة الله عليه، أقبل على ابن[٣] أخيه الملك السّعيد أسد الإسلام محمّد بن عبد الملك[٤] المسعود حسن بن السّلطان الملك المُظَفَّر إقبالاً كلّيًّا

---

(١) في (ج، د): «كتب له ..» وفي بقيّة النّسخ بما فيها (الأمّ): «وغاروا».

(٢) في (ج، د): «الولد السعيد ..».

(٣) كتب في (الأمّ) فوقه: «ط ابن».

(٤) في (أ، ج، د، هـ): «محمد بن الملك المسعود».

وأحبّه حبًّا شديداً، ولم يكن في منزلته أحدٌ منَ الخَلْق، فظنّ الخازندار أنّ الّذي كتب له السّلطان بما كتب هو أسد الإسلام لِما يعلم منَ المحبّة والإقبال عليه.

فحمل إليه الخازندار مئة ألف دينار وأخذ خطّه بما قبض منه، ثمّ وصل الخازندار إلى باب دار مولانا السّلطان وكتب مطالعةً، وطوى فيها الخطّ خطَّ أسد الإسلام وأرسلها إلى السّلطان، فلمّا وقف السّلطان على المطالعة والخطّ جوّب له: إنّما أردنا محمّد النّاصر ولم نُرِد غيرَه، فبادِر احمل إليه مئةَ ألف أخرى، وخُذْ خَطَّهُ بما قبض.

فرجع الخازندار إلى الخزانة المعمورة وحمل إلى النّاصر مئةَ ألف أخرى، وأخذ خَطَّهُ وأوصله إلى السّلطان من ساعته فقبضه، ولم يسترجع المال من أسد الإسلام ولا بعضه، ولا نقص النّاصر شيئاً ممّا قد لفظ به ولا عنّف الأمير في عدم المراجعة، وهذا غايةُ الجود والكرم. ومكارمه كثيرةٌ أَشْهر من أن تُذْكر، وأَكْثر من أن تُحْصر[1].

وكان، رحمة الله عليه، مشاركاً في العلوم، قد أخذ من كلّ فنٍّ، وشارك في كلّ علم، فحفظ (مقدّمة طاهر ابن بابِشاذ)، و(كفاية المتحفّظ في اللُّغة)، و(الجُمَل) للزّجّاجي قراءةً، و(التّنبيه) لأبي إسحاق الشّيرازيّ قراءةً محقّقة، وطالع الكتب المبسوطة في كلّ فنّ، وسمع الحديث النّبويّ منَ الشّيوخ الموثوق بهم ممّن سندُهُ عال[2].

وأجازَهُ الشّيخ الإمام المحبّ أبو العبّاس أحمد [بن عبد الله][3] بن محمّد الطَّبريّ - شيخ السّنّة بالحرم الشّريف - في (البخاريّ) و(التّرمذيّ)، وناوله (صحيح مسلم)، وأجازه في الأمّهات على حكم[١٤٦] روايته الّتي سمعها واستجازها وما صنّفَهُ في فنٍّ وما وجد له من نظمٍ أو نثر، واختصر كتاب (الجمهرة في البَيْزَرَة) وبيّن في مختصره ما لم يُنبّه عليه صاحب

---

(١) والخبر في (د، هـ) فيه بعض التقديم والتأخير والتصرف.

(٢) في (الأمّ، أ، ب، هـ): «سنده» وما أثبت عن (ج، د).

(٣) ما حُفّ بمعكوفتين سقطٌ في جميع النّسخ؛ انظر ترجمته في العقد الثّمين: ٣/ ٦١، والأعلام: ١/ ١٥٩.

الكتاب من عمل الدَّبِيْق ووَصْل الجَناح(1)، وشَرَحَ (طرديّة [أبي](2) فراس) شرحاً كافياً، وهي الّتي أوّلها: (منَ مشطور الرَّجَز)

ما العُمْرُ ما طالَتْ بِهِ الدُّهُورُ
العُمْرُ ما تَمَّ بِهِ السُّرُورُ

ونَقَلَ كثيراً من أشعار الجاهليّة والمخضرَمين والمولَّدين، وجَمَعَ من مصنّفات العلم على اختلاف أنواعها من عِلْم قراءاتها وقُرّائها وحديثها وفقهها وأصولها وفروعها، وحقيقتها، وأدبها، ومعرفة أيّام عربها من تاريخها، ونسبها وأشعارها على اختلاف طبقاتها= شيئاً كثيراً، والله سبحانه أعلم.

(١) قوله: «ووصل الجناح» ليس في (ج، د).
(٢) ما حُفّ بمعكوفتين عن (ج، هـ).

شركة [illegible]
بيروت

شركة فؤاد البعينو للتجليد
بيروت - لبنان